حـــــديث الهجرة

لفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

«أما بعد» : فانه ليذكرنا مطلع هذا العام الجديد ، بحادث الهجرة المباركة ، هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة ، وهى التى مر عليها اليوم ثلاثة عشر قرنا وخمسة وسبعون عاما ، إذ كانت فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة من ميلاد المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام .

هذه الهجرة قد أشار القرآن الكريم اليها وإلى أسبابها ، ونوه بفضلها وبنعمة الله فيها ، إذ أمر الله بها رسوله وأوحى اليه بخطتها ، وطريقة انفاذها ، ليتم رسالة ربه ، ولينجو المؤمنين من كيد المشركين الغادرين ، وذلك قوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وكذلك أشار القرآن إلى هذه الهجرة فى آية أخرى من سورة الأنفال ، أرشد الله بها المؤمنين - بعد أن أمدهم بعونه وأيدهم ، ونصرهم فى غزوة بدر على عدوهم - أرشدهم سبحانه وتعالى أن يذكروا بالشكر وعظيم الحمد ، تلك النعمة الكبرى ، التى أنعم بها عليهم ، إذ كانوا قلة فكثرهم ، وكانوا فى مكة مستضعفين مستذلين ، فآواهم فى المدينة وأعزهم ونصرهم ، كما قال سبحانه وتعالى : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

حقا إن هذه الهجرة كانت خيرا ونصرا ، وكانت بركة عظيمة وفتحا مبينا ، عاد بها المؤمنون جماعة قوية عزيزة ، وأمة فاضلة كريمة ، بل كانوا كما قال الله جل شأنه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

فلقد مكن الله لرسوله بهذه الهجرة ، أن يجمع شمل المسلمين ويقوى وحدتهم بما أجراه عليه الصلاة والسلام من عقد مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، مؤاخاة يعتزون بها إلى عزة الإسلام ، ويتعزى بها المهاجرون الغرباء ، عن مفارقة الأهل والولد والأقرباء ،

حديث الهجرة

كما مكن للمؤمنين الذين عذبوا وأوذوا فى مكة ، ففروا بدينهم إلى الحبشة ، أن يعودوا إلى إخوانهم فى المدينة فرحين مستبشرين ، وهذه رحمة الله يدرك بها عباده المخلصين الصابرين .

فتح الله بهذه الهجرة باب الهداية والإيمان ، والدخول فى دين الإسلام ، لكل من يريد – طائعا مختارا – أن يعتنق عقيدة التوحيد ، ويخلع عبادة الأوثان ، من أولئك الذين كانوا يخشون بأس أهل مكة وبطشهم بمن يترك دينهم الى الدين الإسلامى الحنيف . فقد صارت الدعوة الإسلامية والدخول فيها الى مجال واسع ، يتمتع أهله بالطمأنينة وحرية العقيدة ، والتمكن من إقامة شعائر الدين فى أمن ويسر وسلام .

تمكن محمد عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينه من تثبيت أركان الإيمان ، ونشر تعاليم الشريعة ، وارساء قواعد الدولة ، فسرى نور الحق فى أرجاء الأرض ، وانتصر الرسول بحقه ، على مناوئيه وأعدائه ، أهل الباطل وأهل النفاق ، وعلى سائر أحزاب الشرك والكفر ، من قريش وغير قريش ، حتى استقر أمر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وتم للرسول وأصحابه فتح مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفرادا وجماعات .

وهكذا تكون عاقبة الصبر والثبات على الحق ، وهكذا يكون الفوز للمجاهدين المصابرين ، الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، لا علاء كلمة الله ، وتمكين مبادىء العدالة فى الأرض ، ودفع الطغاة البغاة الذين يعتدون على الآمنين فى أوطانهم ، ويبغون عليهم فى أنفسهم وأهليهم ، ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

وقد نوه القرآن الكريم بمكانة المهاجرين الأولين ، على صبرهم وثباتهم وحسن بلائهم ، وسجل لهم المنزلة الكريمة بين عباد الله المؤمنين .

كما أشاد بذكر الأنصار الذين آووهم وأكرموهم ، وخلطوهم بأنفسهم وأحبوهم وآثروهم ، كما قال الله تعالى : « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » ، « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

حديث الهجرة

وقال عز وجل : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

* * *

كانت أسباب الهجرة النبوية كلها من جانب المشركين شرورا ومآثم، وطغيانا ومظالم، وكانت تعصبا وجهالات، وإعناتا شديدا واعتداءات ، افتن فى ألوانها أولئك المشركون ، واستمروا طوال ثلاثة عشر عاما يعذبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم والجماعة القليلة من أصحابه ، وهو ثابت صابر ، قوى العزم مصابر ، لا يقابل شرهم إلا بالخير ، ولا يجزى إساءتهم إلا بالإحسان ، يرجو بذلك لهم الصلاح والهداية ، وأن يخلصهم مما هم فيه من جهالة وغواية .

لم يهاجر عليه الصلاة والسلام من مكة لأول ما لقى من تعنت المشركين وجحودهم ، ولم يتبرم لأول وهلة من تعصبهم وعدوانهم وإيذائهم ، فانه عليه الصلاة والسلام قد فضله الله بأن جعله من الرسل أولى العزم ، بل إنه كان أقوى أهل العزم عزما ، وأشدهم جلدا وثباتا وصبرا ، ولذلك مكث تلك السنين الطوال، يصابر المشركين ويلاينهم ويعالج نفوسهم الجامحة ويعظهم، وطالما احتمل أذاهم وافتراءهم، وسخريتهم وتهكمهم ، يغفر لهم جهالاتهم، ويعفو عن إساءاتهم ، ويدعو الله لهم ولا يدعو عليهم ، وكان يقول : « اللهم اهد قومى فأنهم لا يعلمون » .

ذهب يوما إلى الطائف ـ لما اشتد عليه أمر قريش فى مكة ـ يدعو أشراف ثقيف، إلى دين الله، وإلى معاونته حتى يبلغ رسالة الله ، فلم يجيبوه إلى الدين ولا إلى النصرة ، بل ردوا عليه رد تهكم وجهالة، وتعصب وحماقة، يقول له أحدهم : « أما وجد الله أحدا يرسله غيرك » . ويقول له آخر : « والله لا أكلمك أبدا : لئن كنت رسول الله لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك» . ثم أغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم يقفون له فى طريق عودته، يسبونه ويصيحون به، ويرمون بالأحجار فى أعقابه، حتى سالت دماؤه، وحتى كان يضطر إلى الجنوح إلى جانب من الطريق ، ليقعد من شدة الألم ، ومن العجز عن متابعة السير ، فلا يمكنونه من ذلك، إسرافا فى تعذيبه والتنكيل به ، حتى تعبوا من متابعته ، فتفرقوا من خلفه ، يتضاحكون ويسخرون .

حديث الهجرة

لم يلجئه عليه الصلاة والسلام إلى الذهاب إلى الطائف ، والتعرض لما أصابه من العنت والشدة ، وألم الاستهزاء والسخرية ، إلا جحود قومه قريش وتعنتهم ، وإسرافهم فى سفاهتهم وشدة إساءتهم ، ولذلك أرسل الله اليه ملكا يقول له : « إن الله قد بعثنى اليك لتأمرنى بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » يريد الجبلين : جبل أبى قبيس والذى يقابله ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده » .

إن طغاة المشركين وجبابرتهم ، قد تعبوا هم أنفسهم من قوة احتمال الرسول وثباته ، وكانوا هم الذين تبرموا من جلده وصبره ، وضاقت نفوسهم بعفوه وسعة حلمه ، فدبروا أمر قتله ، ليقضوا على دعوته ، فكان اجتماعهم فى دار الندوة ، واتفاقهم على الأخذ برأى اللعين أبى جهل ، أن يجمعوا له من مختلف القبائل فتيانا أشداء ، يرصدون بسيوفهم فى جنح الليل أمام بيته ، ثم ينقضون عليه ، يضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى تلك القبائل ، وبذلك لايقوى بنو هاشم على القيام للأخذ بثأره .

وهنا كشف الله لرسوله عن تدبير المشركين ومكرهم ، وسوء نيتهم وختلهم ، وأمره أن يهاجر ويترك لهم مكة ، حتى يقضى فيهم قضاءه المحتوم .

أما بعد : فان على المسلمين اليوم أن يتخذوا من حادثة الهجرة أعظم المثل، وأحسن العبر ، وأن يتعلموا منها ومما لاقاه الرسول فيها، وفى السنين الطوال قبلها ــ من العنت والأذى والشدة ــ كيف يكون الصبر والجلد ، وكيف يكون الثبات والاحتمال ، وكيف يكون الاعتصام بالحق ، والاستمساك بالعقيدة ، والجهاد دفاعا عن حقوق الإنسان ، وحماية للحريات والأوطان .

إن مصر اليوم تتظاهر عليها قوى الطغيان والبغى ، وتهدد كيانها بعض دول الغرب التى يملؤها الغرور والفجور ، ويحدوها التعصب والتعنت المرذول ، والتى تطبق بتصريحاتها وتصرفاتها ، قصة الذئب والحمل المشهورة فى أبشع صورة .

أليس زعماء هذه الدول وقادتها ، يعيبون على مصر ــ التى قررت تأميم القناة ــ أنها احتفظت واستمسكت بموظفى الشركة المنحلة ، فحفظت لهم حقوقهم ، وأبقتهم فى مراكزهم ، يتمتعون بجميع رواتبهم ومخصصاتهم ؟

إنهم يعيبون على مصر هذا الصنيع الجميل . وكانوا يعيبون عليها بالضرورة ، وكان يشتد صراخهم وعويلهم ، واحتجاجهم وتظاهرهم ، لو أنها استغنت عن أولئك الموظفين ، واستبدلت بهم أهل كفايات من المصريين .

فهل لهذا التعنت مثيل ، إلا ما أوردناه من قصة الطائف ، ورد بعض زعماء ثقيف ، على الرسول محمد بقوله : إن كنت صادقا فى دعوى الرسالة فلا أكلمك ، لأنك أعظم خطرا من أن يكلمك إنسان ، وإن لم تكن صادقا فلا أكلمك ، لأنه لا ينبغى أن يكلمك إنسان .

تعنت واضح ، وتعصب فاضح ، لم يختلف فيه أهل الزعامة والرياسة والمدنية ، من الغربيين فى القرن العشرين ، عن أولئك الغلاظ الجفاة ، من أهل الجاهلية الأميين .

نسأل الله أن يحفظ مصر وأهلها ، من كيد الأعداء الباغين ، وأن يعلى شأن الإسلام والمسلمين ، وأن يقوى وحدة العرب ، ويديم الألفة والمحبة بينهم ، ويجمع على الحق كلمتهم ، ليكون لهم النصر والفوز ، الذى كتبه الله للمجاهدين الصابرين . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الأول ـ القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٦ ـ ٨ أغسطس ١٩٥٦ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هجرة تتجدد . . .

كانت الهجرة الأولى هي الحد الفاصل بين طفولة الإنسانية وبلوغها سن الرشد . . وكانت الحد الفاصل بين التعبد للأساطير والأهواء والأوثان الحجرية والعجول الذهبية والعظمة الذليلة ، وبين اتخاذ (الحق) ميزانا لأحكام العقل، ومقياسا للتوجيه الإنساني، ودليلا إلى الله : فلا سلطان إلا سلطانه ، ولا جبار إلا وهو آخذ بناصيته .

ونحن اليوم أمام ظروف جديدة يجب أن نستلهم فيها من معاني الهجرة المحمدية ، والثورة الأولى من الحق على الباطل ، لأننا في مثل الظروف التي كانت فيها تلك الهجرة ، فالقيود التي كبّل الاستعمار الصليبي أيدينا وأرجلنا بها منذ ارتكبنا جريمة الضعف ، ومنذ سمحنا لدولتنا الإسلامية بأن تستعجم ، قد نهضنا الآن بحول الله وقوته لتحطيمها والتحرر منها ، وقد فعل ولاة أمرنا في سبيل ذلك أكثر مما كان يخطر في أوهام الناس أو يرونه في أحلامهم . فالهجرة تتجدد الآن ، وهي ليست هجرة من بلد إلى بلد ، بل هي هجرة من الباطل إلى الحق ، ومن الأساليب الملتوية إلى صراط الله المستقيم . وليعلم كل مسلم أنه من هذه الهجرة أمام واجب جديد ، وهو أن يتطهر من الأخلاق التي يمقتها الله ، وأن يتخلق بأخلاق أهل الهجرة الأولى من أصحاب رسول الله ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس . فالى الهجرة الجديدة ، وإلى ما يلائمها من استقامة وجهاد وجهود ، أيها المسلمون . . .

« المحرر »

يحاربون الله !

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » . المائدة ــ ٣٣

بقيةٌ من بقايا عهد الفجور الذى أباده الله ومحق طواغيته وقوّض أركانه ، لا تزال ــ ويا للأسى ــ منبثة فى صحافتنا ، وعلى بعض كراسى التدريس فى مدارسنا وكلياتنا ومعاهدنا ، تعمل على تمزيق غشاء العفة والفضيلة فى قلوب شبان الوطن وشاباته ، بما تتفنن فى عرضه على مسامعهم ، ووضعه أمام أنظارهم ، من أحاديث ، وبحوث ، وقصص ، ويوميات ، وأخبار ، وصور ، وأكاذيب تدور كلها حول تهييج الغرائز الجنسية ، أو تهوين أمر الأعراض ، أو دفع أبناء الجيل فى طريق التحلل . حتى إذا خيل إليهم أنهم انتصروا فى هذه الجبهة ، وأن « العيار قد انفلت » حقا ، تظاهروا بالعويل والبكاء ، وراحوا يتساءلون : لماذا انفلت العيار ؟ ! وهل انفلت إلا بجهودكم وكفاحكم ومختلف أساليبكم لتقويض دعائم العصمة والعفة والمناعة فى قلوب ضحاياكم من أبناء هذا الوطن المسكين وبناته ؟ !

وهل يخفى على الله والناس ما رسموا من خطط ، وما بثوا من سموم ، ومارسوا من دسائس ، فيما كتبوه من جد وهزل ، وأدب مغطى أو مكشوف ، وتضليل باسم الثقافة تارة والعلم تارة أخرى ، بل باسم الحضارة المفترى عليها ، ليزحزحوا هذه الأمة عن عقائدها ومقدساتها ، وليقطعوا ما أمر الله به أن يوصل من أرحام القومية بين سلف عزيز كريم ، وبين خلف لا صلاح لآخره إلا بما صلح به أوله .

وقد حسب فريق منهم أن المعركة فى هذه الجبهة قد وضعت أوزارها ، فأعلنوها

حربا فى جبهة أخرى ، وهى حرب على الله مجاهرة ووجها لوجه ، بلا حياء ولا خوف من أمة أو قانون أو ذى سلطان .

وهـذه مجلة تصدر باسم امرأة تقلبت بين المسرح والصحافة ، وبين قناع النصرانية واسم الإسلام ، تفتح صدرها لزنديق لا يستحى أن يقول :

« إن الله فـكرة . . . إنه فـكرة فى تطور مستمر . . كما تدل على ذلك قصة الأديان (بزعمه) .

« الله فى العقل الحديث . . معناه الطاقة الخام التى فى داخلنا .

« الله هو الحركة التى كشفها العلم فى الذرة ، وفى البروتوبلازم ، وفى الأفلاك .

« هو الحيوية الخالقة فى كل شىء ، أو بعبارة القديس توماس : الفعل الخالص الذى ظل يتحول فى الميكروب حتى صار إنسانا ، وما زال يتحول إلى ما لا نهاية له [١] .

« والعلم بهذا المعنى الجديد عبادة . . والفن عبادة . . والفلسفة عبادة . . لأنها إدراك لهذا الإله بوسائل مختلفة . . وإحساس به من زوايا مختلفة .

« والمعبد بهذا المعنى الجديد برلمـان حر ومدرسة عصرية تضم كل الآراء . . وينضوى إليها جميع المختلفين تحت قانون واحد ، هو حب الحقيقة [٢] .

« هل هناك مسلم أو مسيحى أو يهودى يخالفنى فى هـــذه الحقائق الأوليـة ؟ ! لا أظن ؟ ! [٣] » .

هذا بعض ما يقوله هذا الزنديق ، وهو يزعم ـ مع ذلك ـ أن كل مسلم وكل مسيحى وكل يهودى يوافقـه على ما يقول من أن الله فى العقل الحـديث معناه الطاقة الخـام التى فى داخلنا . . ولعـله ـ إذا سكت له كل مسلم وكل مسيحى ـ سيصدق نفسه بأن مصر قد كفرت معه بالله ، ولم يبق فيها لله ولى ولا نصير .

---

[١] الزنديق كاتب المقال يكذب على توماس الذى يصفه المسيحيون بأنه قديس ، فالقديس توماس لم يسمع بكلمة الميكروب . والذى يكذب على الله لا يستحى أن يكذب على القديس توما أو توماس .

[٢] مسكينة الحقيقة التى تتلوث بلسان هذا الكاتب وتتسمم بلعاب قلمه .

[٣] ومتى كان ظنك يصيب الواقع ؟ إن الظن لا يغنى من الحق شيئا .

وهو لا يكتفى بهذه القحة ، بل يقول أيضا فى مقاله الذى نشرته له مجـلة الـكفر والفسوق والعصيان لله :

« إن الأديان تمر بمرحلة انهيار تشبه المرحلة التى مرت بها ديانة الإغريق . وهناك اسمـان حملا لواء هـذا التطور هما : كوپرنيك ، وداروِن . أثبت الأول أن الأرض ذرة تراب بين ملايين الأراضى المبعثرة فى الـكون ، وأثبت الثانى أن الإنسان حلقة فى سلسلة مخلوقات يتطور الواحد منها إلى الآخر : من الأميبا ، إلى الذبابة ، إلى الكلب إلى الحمـار ، إلى القرد ، إلى الإنسان ، إلى شكسپير . وأثبت أن البقاء للأصلح ، وليس البقاء لمن يدخل الـكنيسة ، وأن السماء قد تركت الأرض بمن فيها ينطح كل منهم صاحبه بقرنيه .

« وزاد فى (تحلل) الإنسان من المقدسات القديمة ظهور الإله . . والقوة الهائلة التى وجدها الإنسان فى يديه ، وساقيه ، وعقله . فبدلا من الـكاهن الذى كان يدخل الغابة ليمجد الله ويصلى ، أصبح الرجل العصرى يدخل الغابة ليقطع الأشجار ويصنع ورق الصحف . وطالب الـكيمياء أصبح يلهو بالعـالم الذى يحلل ويتركب تحت بصره كل يوم دون أن يذكر اسم الله . والمدارس التى كانت تنفق عليها الـكنيسة لتعلم اللاهوت والشعر ، تحولت إلى معاهد للجبر والرياضيات تنفق عليها منحة روكفلر . إن كل (ما تبقى) من الأديان هى الأيام المقدسة التى تحولت الآن إلى إجازات وأيام راحـة ، والأمل الوحيد الباقى للدين أن يقيم معبده فى عالم الحقيقـــة الذى أنشأه كوپرنيك وداروِن وڤولتير وسپنسر . والرب الذى لا يحترم عقلا صنعه بيديه يعطينا العذر فى أن لا نعبده »

ومن العجيب أن ينشر هـذا الهذيان المتهافت فى مصر الاسلامية التى أسس دينها أول معبد فى وادى النيل لإقامة الحق وتحطيم الأوهام وإنقاذ العقل من تعاريج الباطل ، ذلك الدين الذى أعلن فى سورة التوبة ٣٣ ، وفى سورة الفتح ٢٨ ، وفى سورة الصف ٩ أنه (دين الحق) ، وأن الله شرعه لاقامة الحق ما كان منه وما سيكون ، وقد آخذ الذين تخلفوا عنه وعاب عليهم أنهم رأوا الحق وخذلوه . فكل حق كان أو سيكون فهو إسلام ، ومن واجب المسلم تأييـده من حيث هو حق ، ورأس الحق وأوله وآخره الإيمـان بالله مبدع هذا الكون ومودع ما فيه من قوى وخصائص لا يعلم منها الإنسان إلا ما علمه الله ، وإن ديننا لم يصطدم بالحق ولا مرة واحدة فى أربعة عشر قرنا سيبقى صديق الحق ونصيره

ما بقى العالم ، فالاسلام يرحب بكل حقيقة علمية خالصة من الشوائب الطارئة والأباطيل الملتوية ، ويحمى الحقيقة ويضيء المصابيح من حولها لتنال حقها من الظهور والاستقرار . وعلماء الاسلام قد سبقوا كوپرنيك إلى معرفة أن الأرض ذرة بين ملايين الأجرام المبعثرة فى الكون ، والتى تدل بنظامها الدقيق وبدائع صنعها العجيب على أنها من خلق إله عظيم يفضح جهالات الحمق والأغرار ممن حرموا سعادة الايمان به ، وسلبوا جمال معرفته ، وباءوا بخذلان من الله فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . وإن من الجهل والكذب على العلامة تشارلس دارون القطع بأن شكسپير كان — فى أصوله العريقة فى القدم — ذبابة وكلبا وحمارا وقردا ، إن دارون لايقول هذا ، ولا يتهمه به إلا من كان علمه كعلم الذبابة والكلب والحمار والقرد ، ونظرية النشوء والتطور فى خلق الله من نبات وحيوان نظرية قد تصدق فى الأنواع المتقاربة جملة وأحيانا ، وكان دارون أعلم بالنبات والحيوان من أن يجرؤ على القطع بهذه الاطلاقات التى نقلناها عن عدو الله صاحب هذه المقالة ، والتى لايجرؤ على إطلاقها هكذا إلا من كان جاهلا بعلم دارون ونظريته التى لاتزال فى موازين الأخذ والرد ، ولم تبلغ أن تكون حقيقة علميــة بتفاصيلها ، مع مرور عشرات السنين على تقريرها فى كتاب أصل الأنواع ، وما برح معارضا لهــا فى تفاصيلها كثير من علماء الطبيعة إلى يوم الناس هذا . وأى تعارض بين أن يدخل الانسان الغابة ليمجد جمال الله ويصلى ، وبين أن يستفيد ناس آخرون من شجر الغابة فى وقودهم وأبنيتهم ومرافقهم وفى صنع ورق صحفهم النجسة والطاهرة ؟ ! وكم من فحول العلماء فى الكيمياء يذكرون عظمة الله فى دراستهم لدقائق صنعه وجمال خلقه كلما تأملوا فى تحليل العناصر وتركيبها ، فازدادوا بذلك إيمــانا إلى إيمانهم . وقد عرفنا من نجباء طلبة كلية الطب عشرات كانوا يخرجون من محاضرات الكيمياء التى كان يلقيها عليهم الأستاذ محمد أحمد الغمراوى وهم أشد إيمــانا بالله وأنفذ بصيرة فى سرائر الله التى أودعها فى جمال الطبيعة منذ برأ ملكوت السماوات ، فكانت عدسة المجهر محرابا من محاريب عبادتهم لله وتعظيمه وتمجيده ، إذ يتبينون بها العمى الذى أصيبت به قلوب الجاحدين والملحدين ، والنور الذى ملأ الله به قلوب المؤمنين به والمتقين .

وقد يظن القارئ أن كاتب ذلك المقال فى مجلة روز اليوسف هو عدو لله وحده ، ونحن نخالف فى ذلك ونذهب إلى أنه عدو للانسانية كلها ، لأن الانسانية بفطرتها فيما بين الأزل والأبد مؤمنة بالله ومتدينة . وإن مصر التى يعيش هــذا النكرة من خيرها لاشك أنهــا وطن إسلامى تمتلىء مساجده بالمؤمنين العابدين والركع السجود فى كل مدينة

و بلدة وقرية من أقصى الصعيد إلى سيف البحر من آخر الدلتا . إن هؤلاء الملايين هم مصر ، وكلهم متدينون . والذين شذوا عنهم بالكفر والإلحاد من أمثال هذا الكاتب لا يكاد يزيد عددهم على عدد القردة فى حديقة الحيوان ، بل هم أقل وأحقر ، فمن البغى والعدوان على الإنسانية كلها أن يقول هذا الكاتب ، وأن تنشر له مجلة الفسق والفجور قوله :

« هل رأيت الخوف والذهول فى عين الكلب وهو يتـأمل ورقة طائرة فى الهواء ؟ إنه لا يرى الهواء . . وأراهن أنه ينظر إلى الورقة كما ينظر إلى مخـلوق حى . . ويظن أن بها روحها تحركها . . إنه كلب متدين » .

هكذا يمثل هذا الزنديق التدين ، والايمان بالله . فهو عنده وهم ، كالوهم الذى يتوهمه الكلب فى الورقة الطائرة أنهـا مخلوق حى ، ولذلك يقول عن الكلب إنه كلب متدين ، ومعنى ذلك أنه يقذف البشر كلهم ، ولا سيما المؤمنين بالله من مواطنيه فيما بين أقصى الصعيد وآخر الدلتا بأنهم كهذا الكلب المتدين على حد تعبيره .

فهل يستحق هذا المخلوق شرف « المواطن » فى موقفه هذا من مواطنيه ؟ !

ودعنا من كونه عدوا لله ، فهل يليق به أن يعيش فى وطن ينظر فيه هـذه النظرة إلى جميع المواطنين المؤمنين بالله من سكانه ؟ !

كل هؤلاء تشملهم كلمة « القذف » من عدو الله وعدو الانسانية وعدو مصر كاتب ذلك المقال الذى يقول فيه عن الكلب الناظر بخوف وذهول إلى الورقة الطائرة فى الهواء : إنه كلب متدين . ومع كل ذلك يسأل فى ختام مقالته : هل هناك مسلم أو مسيحى أو يهودى يخالفه فيما قاله ؟

أجيبوه أيها المسلمون والمسيحيون واليهود ، فأنه يسألكم . وإن لم تجيبوه سيزعم لنفسه أن الأثنين والعشرين مليونا من المصريين كلهم على دينه فى الزندقة والإلحاد ، وأن المساجد كلها فارغة لا يغشاها مصل لله يرى السعادة كل السعادة فى طاعته وابتغاء مرضاته .

أجيبوه ليعلم أن الإسلام اليوم أقوى فى قلوب أهله ممـا كان منذ ثلاثمـائة سنـة إلى الآن ، وأن قوة الإسلام فى قلوب أهله هى التى تطارد الاستعمار الآن من بقعة إلى بقعة ، ومن خط حربى إلى خط حربى آخر من ورائه ، وأن الضعف الذى آنسـه الاستعمار فى إيمـان المسلمين بدينهم فأطمعه فيهم قبل ثلاثمـائة سنة ، قـد استحال الآن قوة وسطوة وأملا ونورا . و بمـا بثه الإسـلام فى قلوب أهله من قوة وسطوة وأمل ونور يطـارد

المسلمون الآن فلول الاستعمار من مكان إلى مكان، حتى ينتهى ذلك بالنصر المؤزر والظفر الكامل إن شاء الله ، وحينئذ ستنخنس فئران الإلحاد والزندقة والفجور فى جحورها ، وستكون أيام المسلمين كلها أعيادا ترتفع فيها أصوات أهل الإيمان بكلمة : « الله أكبر وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » ، وأول هذه الأحزاب حزب الإلحاد والتحلل والطمع فى أن يزول نور هذا الإسلام من الوجود « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

وبعد فقد رأينا كثيرين ممن قرأوا مقالة هذا الزنديق يتساءلون : أليس فى مصر قانون ينقذ أهلها من شر الصحف التى أسرفت فى البغى على العفة والفضيلة ، وفتكت ما استطاعت فى قلوب أبناء مصر وبناتها ، حتى إذا أيقنت بأن « العيار قد انفلت » أعلنت بعد ذلك الحرب على الله ، وعلى إيمان المسلمين بالله . ومع أن هذه المعركة الجديدة بنت سنتنا هذه ولا تزال فى بداية ظهورها فانها بلغت أقصى فجورها ! .

إن وزير الداخلية ــ شكر الله له ــ ساهر على الأمن يمنع الناس أن يبغى بعضهم على بعض فى أموالهم وأنفسهم ، ولكن أليس لله فى مصر قوة رادعة تضرب على أيدى أعدائه الذين يعتدون بالبغى والسلاطة وقلة الأدب على المؤمنين به وعلى الإيمان به ؟ .

يظن هؤلاء البغاة أنهم (تحرروا) من كل وازع ، وأنه لم يبق فى هذا الوطن سلطان يحمى المتدينين والمؤمنين بالله من أن يهاجموا على صفحات هذه المجلات الماجنة بهذه القحة والمجاهرة ، وأنهم يستطيعون ــ لأول مرة منذ عشرات الآلاف من السنين ــ أن يقولوا فى الله والمؤمنين به ما لم يكن يجرؤ على القول به أحد من قبل فى مصر ، كنانة الله فى أرضه . فما عدا مما بدا ؟

ما الذى جد فى مصر حتى جد فيها هذا اللون من الفجور والبغى بعد أن لم يكن ؟ .

أهكذا يكون المواطنون المؤمنون ــ وهم مصر كلها ــ معرّضين لبغى الملحدين فى مصر ، وهم أقل عددا من القردة فى حديقة الحيوان ؟

إذا لم يكن فى مصر قانون يحمى الكثرة الخيرة من القلة الشريرة فسنوا لنا قانونا يحمينا فى ديننا وإيماننا ، فقد طفح الكيل ؛ بل طمى السيل ، فأنقذوا البلد وأهله يرحمكم الله . . .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

مسئولية المرء عن أقواله

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما » .

١ — تناولت هذه الآية جانبا من جوانب الأدب الإنسانى ، ولعله الجانب الخطير الواسع الذى تناط به المسئولية أمام الله وبين الناس : وهو جانب الأقوال التى تجرى على اللسان ، فلئن كان للانسان عقل يذوده على الإسفاف ، وفيه حياء يكفه عن الهذر ، فكثيرا ما يسبق لسانه عقله ، ويغلب طيشه حياءه ، فتتهافت ألفاظه فى غير تريث ، ويكون خطؤه أكثر من صوابه ، ويغيب عن وعيه أثر ذلك فى علاقته بالناس ، وسوء عاقبته فيما وراء دنياه .

٢ — من أجل هذا عنى القرآن بتوجيهاته الأكيدة إلى تجنب السقطات اللسانية ، وشدد نكيره على المنحرفين فى القول بنحو الغيبة ، والنميمة ، والغمز فى الناس بما يشبه الغيبة كالإشارات ، والاستفهام الذى يراد منه إثارة المعايب ، وكشف ما يخدش الناس فى سمعتهم ، وكثيرا ما أفصح الرسول عن خطر اللسان حتى عجب البعض ، وسأل عن مبلغ الأثر لما ينطقون به ؟ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ ؟ » ، وكانت مهازل القول وسقطات اللسان ظاهرة اجتماعية من ظواهر الجاهلية ، وأثرا من آثار الجفوة قديما عند من لم تتسع بينهم الثقافة ، ومن أسف أنها اليوم أكثر شيوعا بيننا مع ما بلغته الثقافة من توسع .

وتعليل ذلك أن الثقافة العلميه تعوزها القدوة العملية ، ثم الثقافة والقدوة يعوزهما معا

ألا يفسح الطريق للأسباب الفاسدة المزاحمة للتربية ، والناقضة لأثرها الإيجابى فى نفوس الناشئة وغير الناشئة .

٣ — وكان طبيعيا كذلك ألا يكتفى القرآن بالتوجيه إلى تجنب السقطات والتحذير منها ، بل يعالجها فيما يعالجه من شئون الناس ، وأن يعلم الناس ما لم يعلموه ، وأن يرتفع بهم عما يهبطون إليه من الأقاويل ، فزجرهم فى غير هذه الآية عن الهمز ، والنميمة ، والغيبة ، والكذب ، ونحو هذا .

ثم علمهم إجمالا فى مقامنا هذا أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول كيفما كان ذلك السوء : من كل مالا يرتضيه الخلق الكريم ، ولا يستقيم عليه الأمن بين الناس ، أو يمس أى نظام مقبول اصطلحوا عليه .

وكل مالا يحبه الله يكون عمله جريمة ، وتكون نتيجته حسابا وعذابا : وذلك هو القول الفصل وهذا إجمال قوى فى التنبيه وإجمال قوى فى التهديد بالعذاب .

وإنما تعلق هذا الزجر بالجهر دون السر ، لأن السر من خفايا النفس وبواطن الخاطر . وواضح أن الخواطر تنساب فى خيال الإنسان ، وتدور فى أفقه الذهنى دون محاولة فى جلبها غالبا ، ودون قدرة على دفعها والتخلص منها بتاتا ، ولا تعتبر عملا ظاهرا يدركه الناس فيما يدركونه من شئون المرء ، ولا يكون لها مساس بأحد .

وإزاء ذلك لايتعلق بها الحكم بأنها خير أو شر ، وتجاوزتها المسئولية فلا ثواب عليها ولا عقاب ، ووقفت المسئولية عند الجهر فقط دون السر .

وثبت ذلك فيما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم : من أن الله تجاوز لأمته عما حدثت به أنفسها مالم تقل أو تعمل .

٤ — غير أن تجاوز المسئولية لما تحدث به النفس لا يمنع من تهذيب الباطن ، والتوجيه إلى الخواطر الكريمة ، فان الخواطر مثار العزيمة ، وباب العمل : خيرا أو شرا .

فاتجاه الإسلام إلى تهذيب الخواطر الباطنة دون محاسبة عليها يعتبر بناء للخلق ، وتقويما للشخصية ، وتربية للضمير ، حتى لا تكون الخواطر إيحاء شيطانيا يدفع بالمرء نحو المهالك ويحبب إليه المفاسد ، فتصبح خواطره شرورا ومآثم على نفسه وعلى المجتمع .

ووسيلة هذا النوع من التربية هو إصلاح القلب ، واستمداد هديه وغذائه من جوانب القرآن وروضاته النافحة بنسمات الحياة ، وروح الوجود فى دنيا الناجحين .

وإذا تيسر لامرئ تذوق القرآن والتماس توجيهاته أمكنه أن يقتصد فى خواطره ، وأن يعدل فى تفكيره ، وأن يتخير فى أحاديثه النفسية ، ويطرح كثيرا مما يساوره من الظنون ، ويقترن بذلك إحساسه بيقظة الضمير ، وشعوره فى خلجاته الباطنة بأن مداركه نافذة لاتتعثر فيما كانت تتعثر فيه من غشاوات الخطايا .

وكما تجاوزت المسؤلية خواطر النفس ـ وهذه فسحة كريمة من جانب الله سبحانه ـ فقد اتسعت هذه الفسحة الكريمة فأتاحت للمرء جزاء طيبا على خواطره الطيبة إذا تركزت .

فاذا ماجالت فى فكرته نزعة إلى الخير واعتزم القيام به ثم لم يفعله فهو مأجور على ذلك مع أنه لم يقل ولم يعمل .

وفى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » فانظر : تجد أن وسيلة التربيـة فى نظر الإسلام بلغت من السمو مبلغا يعتبر غاية التلطف والسخاء ، فهو لايدخل تحت المسؤلية خواطر السوء ، ويقف بها عند الجهر به فقط ، لأنه عمل .

وهو يدخل فى استحقاق الثواب خواطر الخير ، ولا يضيق بالجزاء الحسن عليها ، تشجيعا على الخير من أوسع أبوابه ، إذا ما كانت هذه الخواطر مستقرة فى نفسه ، ولم تكن مجرد سوانح خيالية .

ونعود فنقول :

٥ — كره الله الجهر بالسوء من القول فى كل شأن ، وربما كان فى هـذا التعميم صد عن شكاية المظلوم لظالمه ، أو زجر عن إيضاح المصائب ، وذكر المساوئ حين يقتضى الأمر ذلك فى مقام التربية ومواقف الخصومة ، ولو فهم ذلك وقلنا به لكان كبتا للشكاية فى صدر المهيض ، وقد يستفزه الغيظ والكبت إلى الإسراف فى ثأره ، وكان فيه كذلك تضييق على المربين فى مجال التربية وعلاج النقائص ، وكان فيه ثالثا إغراء للمعتدين على الناس

بالتمادى فى عدوانهم إذا أمنوا ذكر عيوبهم وإفشاء مظالمهم ، وكل ذلك ينافى ماقصد من التربية .

ولهذا : استثنى الله تعالى من كراهيته للجهر بالسوء من القول شكاية المظلوم من ظالمه (إلا من ظلم) .

٦ — وفى هذا الاستثناء إباحة للمظلوم أن يجهر بشكواه من الظالم، ويذكر ما بنفسه من الحنق على ظالمه ، وفى هـذا الاستثناء أيضا تنبيه على أن الله تعالى يستجيب للمظلوم دعاءه ويثأر له من ظالمه .

إذ المستثنى من المكروه محبوب ، والشيء الذى يحبه الله يتقبله ، وهذه قضية مفروغ منها ، وقد تقرر فى غير موضع أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

فضلا عن أن الظلم جرأة على الله ، واستهانة بما رسم بين عباده من وجوب العدالة ، وفى مقامنا هذا يقول سبحانه : « وكان الله سميعا عليما » .

وفى التعقيب بذكر السمع والعلم توكيد لما علم أن الاستثناء من سماع ظلامة المظلوم ومناصرة الله له ، لأنه مستضعف ولاجىء إلى ربه ، وكفى بالله سميعا للشكوى ، عليما بما لا يعلمه غيره ، وقادرا على الأخذ بحق الضعيف من القوى المتجبر . . .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى الحث على الخير كيفما كان نوعه : قولا أو عملا ، جهرا أو خفية . . . وإلى الحث على العفو عن السوء كذلك « إن تبدوا خيرا أو تخفوه ، أو تعفوا عن سوء ، فان الله كان عفوا قديرا » .

ومفهوم أن العفو تسامح من القادر على الجزاء ، والتسامح مجلبة للمحبة غالبا ، وهو تخلق بصفة الله عز شأنه ، والله يجزى صاحب العفو على عفوه ، ويجزى صاحب السوء على سوئه .

٧ — وقد يقال : كيف يكون العفو عن السوء محببا إلى الله بعد أن قلنا إن شكوى المظلوم ولو بسوء القول مرضية مسموعة ؟ .

وجوابنا : أن للعفو مجالا يتسع له ، وهو فيما تحتمله النفس ، ولا يفحش ضرره ولا يكون فى شأن دينى ، فأذا كان الأمر هينا وفى حق شخص كان العفو طيبا ، وإذا لم يجنح المظلوم إلى العفو فى هذا الأمر الهين فشكواه مسموعة ومن حقه أن يجهر بالسوء فى حق ظالمه .

فما بالك إذا ضاقت النفس بما ينالها من سوء ، ولم يتهيأ لها العفو عن الظالم ؟ فمن حكمة القرآن أن يدعو إلى العفو إذا استطعناه ورضيناه ولم يكن فيه تشجيع على الإضرار بالغير والمساس بنظام المجتمع .

ومن عدالة الإسلام أن يفتح باب الشكوى أمام المظلوم وأن يفسح له مجال التشفى من ظالمه بما يبدى به ظلامته ، وهنا تنهض الحقوق وتجاب الشرور ويستقيم الأمر .

والظلم من شيم النفوس فأن تجد ذا عفـة فلعلة لا يظـلم

٨ — ونحن نشهد ما ينتاب الأدب الاجتماعى من تصدع ، وما يشيع بيننا من مخازى القول السيء جهارا ، وفى كل وسـط ، حتى أصبحت مهازل الألفـاظ ، والدعوات إلى المجون بأسوأ الأساليب ديدنا مألوفا بين السوقة ، وكذلك بين كثير من كتاب يزعمون أنهم دعاة إصلاح اجتماعى !

وما كان ذلك التبجح إلا نتيجة طبيعية للتسامح مع هـؤلاء الهازلين ، والمـاجنين ، والمتجرين بالأقلام ، والأمر بحاجة إلى علاج حاسم إذا قصـدنا الإصلاح وبناء المجتمع الصالح ، أما أن تـكون الحرية مجـالا للاخفـاش ، وللجهر بسوء القول فشيء من ذلك لا يحبه الله ، ولا يمكن أن يأتى بخير ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الحياء من الله

قال علقمه بن علاثة للنبي صلى الله عليه وسلم :

— يا رسول الله ، عظنى

فقال له المرشـــد الأعظم صلى الله عليه وسلم : « استحى من الله استحياءك من ذوى الهيبة من قومك » .



عيد الجلاء الأول (*)

— ١ —

شر الناس مكانا ـ أحسد الناس للناس ـ من فتن اليهود ـ شأنهم مع المحسن إليهم ـ كتب الله عليهم الجـلاء منجما ـ جلاؤهم فى العهد النبوى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود . فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس ، فقال : أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بمـاله شيئا فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

المدراس : صيغة مبالغة من الدرس ، أو اسم مكان منه ، والمعنى أنهم جاءوا بيت الحبر العـالم الذى يدرس لهم كتابهم ، وهو التوراة ؛ أو جاءوا البيت الذى يقصده اليهود للدراسة والتعليم ، من إضافة العام إلى الخاص ، مثل : مسجد الجامع ، كما يقول النحاة . . وفى بعض روايات الحديث : « حتى جئنا المدراس » وهى ترجح المعنى الثانى .

وباء « بمـاله » للبدل والمقابلة ، أى إنكم مكرهون على الجـلاء بحق ، ولا مناص منه ، فمن وجد منكم بدل ماله شيئا ولا سيما إذا لم يستطع نقله فليبعه .

* * *

شر النـاس مكانا ، وأبعدهم فتنة وطغيانا ، وأشدهم عداوة للناس كافـة ، وللذين منوا منهم خاصة ، هم اليهود ! .

(*) لمناسبة عيد الجلاء عن مصر .

وإذا كان فى مكنة عدو واحد أن ينقض حبل أمة بأسرها ! ليفسد عليها أمرها ! ويوقد نار العداوة والبغضاء بينها ـ فكيف بأحزاب تحزبت ، وطوائف تجمعت ، وكلهم ـ مجتمعين ومفترقين ـ أعدى الأعداء وأشقى الأشقياء وأحسد الناس للناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ ! !

هذه حقائق جلاها كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبينها رسول يعرفه اليهود أنفسهم كما يعرفون أبناءهم أو أشد ، ولذلك كانوا يستنصرون به ويستفتحون على الذين كفروا « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . . .

ثم آمن الناس جميعا بهذه الحقائق ، شعوبا ودولا ، فأخذوا يقتلونهم تقتيلا ، ويشردونهم فى الأرض تشريدا ، ويسومونهم سوء العذاب ، لما رأوا رأى العين من صدق الله ورسوله فيهم . . وإذا كانت الشواهد على إفسادهم فى الأرض فى كل زمان أكثر من أن تعد ، فحسبنا أن نشير إشارة عاجلة لما صنعه واحد منهم بغيا وحسدا ! !

كان شاس بن قيس اليهودى شيخا من شيوخ الكفر والطعن على المسلمين ، فمر بنفر من الأوس والخزرج وهم فى مجلسهم يتحدثون ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام بعد أن كان من أمر عداوتهم ما كان ، فقال والله مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ! فأمر شابا من اليهود كان معه أن يعمد إليهم فيجلس معهم ويذكرهم يوم بعاث ، وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل الشاب ما أمر به ، فثار القوم وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين وتقاولا . . وغضب الفريقان جميعا وتنادوا : السلاح السلاح ! ! حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فيمن معه من أصحابه المهاجرين فقال : يا معشر المسلمين : الله الله . أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به . . . فعرفوا أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من إخوانه فألقوا السلاح . . وأنزل الله تعالى فيما أنزل « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » . . .

* * *

لو لم يسئ اليهود إلى قوم يساكنونهم أو ينزلون بأرضهم ـ وهذا فرض محال ـ لكان للقوم العذر فى إجلائهم وتطهير البلاد منهم ؛ لأنهم طبعوا على اللؤم والغدر والكيد والأذى ، ما وجدوا إلى كل أولئك سبيلا . . فكيف بمن يحسن إليهم ويكفرون إحسانه ، ويمضى عهودهم وينكثون عهده ، ويدفع الضر عنهم ويتربصون به الدوائر ؟ ! !

هكذا كان شأنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن هاجر من مكة إلى المدينة ،

حتى أجلاهم ما شاء الله أن يجليهم . . . ثم أوصى فى مرض موته باخراج المشركين من جزيرة العرب ، وألا يبقين دينان فيها . . . وسيأتى إن شاء الله بعض تفصيله .

* * *

وإذا كان الله جلت حكمته قد كتب على اليهود الجلاء منجما فان أول ما كان منه فى العهد النبوى ، جلاء يهود المدينة ، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم وكتب بينهم كتاب أمن وأقرهم على دينهم وأموالهم ، على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوا ، ولكن معدن اللؤم لا يستقر حتى ينقض !

أخذوا ينقضون العهد تباعا ، فلم يكن بد من غزوهم ثم إجلائهم تباعا كذلك . . وكانت غزوة كل طائفة منهم وجلاؤه عقب غزوة من الغزوات الكبار : بدر ، وأحد ، والخندق .

فأما بنو قينقاع فقد غصوا بانتصار النبي صلى الله عليه وسلم فى بدر ، وأظهروا ما كانوا يكون من الغيظ والحسد له وهددوه وأصحابه بأنهم هم الناس فى الحرب ، وكانوا أشجع يهود . . فتوجهت إليهم جنود الله يقودهم عبد الله ورسوله على رأس عشرين شهرا من مهاجره ، وحاصروهم فى حصونهم أشد الحصار وأعظمه ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب حتى ذلوا ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين أموالهم .

فجلوا إلى أذرعات من بلاد الشام ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا .

* * *

وفى شهر ربيع الأول من السنة الرابعة لحق بنو النضير باخوانهم فى نقض العهد والجلاء ، وكانوا ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فأنذرهم . . وأجلهم عشرا ليخرجوا من المدينة ولا يساكنوه بها . . فتحصنوا : « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » وامتن الله على المؤمنين بأنه هو الذى أخرجهم من ديارهم لأول الحشر [*] .

[*] فى العهد النبوى ، وثانى الحشر فى العهد العمرى ، أو الأول فى الدنيا والثانى وهو الحشر الأكبر فى الآخرة . . هذا وكان ابن عباس رضى الله عنهما يسمى سورة الحشر سورة بنى النضير لأنها كلها نزلت فيهم . . .

وقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم .. فأجلاهم بنفوسهم وذراريهم ، على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح . . وقد جلا معظمهم إلى خيبر ، وجلا بعضهم إلى الشام ..

* * *

ثم لحق بنو قريظة باخوانهم فى نقض العهد من قبل ، وكانوا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظهم كفرا ، وأقذعهم سبا وفحشا ..

فما إن رجع صلى الله عليه وسلم من غزاة الخندق فى أواخر سنة خمس وهم أن يخلع لباس الحرب حتى جاءه جبريل فقال وضعت السلاح، فان الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بنى قريظة ، فانى سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف فى قلوبهم الرعب ..

ولم يكن من بنى قريظة إلا أن تحصنوا بحصونهم التى لم تغن عنهم من الله شيئا . . . فهزمهم الله شر هزيمة بعد أن نازل حصونهم جند الله خمسا وعشرين ليلة حاصروهم فيها حصارا لم يعرفه تاريخهم من قبل .. حتى إذا رأوا أنه لا مناص من هلاكهم جوعا طلبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال والذرارى، فأبى .. ولما شفع فيهم رجال من الأوس قال لهم صلوات الله عليه وسلامه : ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ فقالوا نعم ... ثم حكم سعد رضى الله عنه ـ وكان جريحا بسهم أصابه فى غزوة الخندق ـ بأن تقتل الرجال وتسبى النساء والذرية ، فقال صلوات الله عليه : لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد .. وهكذا طهر الله أرض نبيه من قوم لن يفيد فيهم ميثاق ولا عهد . . .

* * *

أجلى الله هذه الطوائف الغادرة الفاجرة ، من أرض نبيه الطاهرة المطهرة ، فمن هم هؤلاء اليهود الذين خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه ، ومنهم راوى الحديث أبو هريرة رضى الله عنه ؟ .

ضاق المجال عن إجابة هذا السؤال ، فموعدنا الجزء التالى بمشيئة الله عز وجل «

طه محمد الساكت

الجيل المثالى :

سيد الأوس

كان سيدا جديرا بالسؤدد ، حقيقا بالمجد . كان سيدا عمرى النزعة ، مثله فى الأنصار مثل عمر بن الخطاب فى المهاجرين ، أعز الله به الإسلام بمقدار ما بقى للاسلام ، وكان هو وأخوه سيد الخزرج كما قال القائل :

فان يسلم السعدان يصبح محمد   بمكة لا يخشى خلاف مخالف(١)

وكان ذلك بمقدار ما منحهما الله سبحانه من عزة ، وما أمدهما به من أنصار وعشيرة ، على أن لله جنودا منها ملائكة الرحمن ، كما كان منها السعدان ، إلا أن ذلك قول له دلالته على ما كان لسعد وسعد من مكانة فى النفوس ، ومجد تالد موروث .

ولقد أكرم الله (سعد بن معاذ) بالإسلام ، وأكرم الإسلام بسعد بن معاذ ، فكان من أكبر الأدلة على أن هذا الدين إذا عرفته النفوس الكريمة الصالحة فما أسرع أن يحولها سماوية ربانية تتمثل فيها العظائم ، وتتجلى فيها العزائم ، وتطير إلى مجد لا يحد بحدود ، وتخترق كل حجاب يحاول أن يحول ، لا تريد إلا مرضاة هذا الخالق المحسن ، ولا تبتغى إلا ما يحب شاء الناس أم أبوا ، رضوا أم كرهوا . وسترى فى ذلك النموذج من سيرة هذه النفس الملهمة العظيمة ما يدلك على ما يصنع الإسلام بالنفوس الخصيبة وما تفعل النفوس الخصيبة للاسلام .

* * *

تبتدئ قصة السيد (سعد بن معاذ) بحديث له مع مصعب بن عمير عريف المسلمين الأولين فى يثرب ، الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أسلم من أهل المدينة فى بيعة العقبة يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويؤمهم فى الصلاة .

مضى سعد بن معاذ فى سبيله يوما ، فاذا مصعب يجلس مع ابن خالته (أسعد بن زرارة) وهما يعلمان الناس الإسلام ، فاستدعى أسيد بن حضير ، وكان من سادة الأوس فقال له : ويحك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا ،

(١) السعدان : سعد بن معاذ سيد الاوس وهو هذا ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج . وتقدم الحديث عنه فى ص ٧٤٦ من المجلد السادس والعشرين .

فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارنا ، فلولا أن أسعد بن زرارة منى ما قد علمت (ابن خالتى) لكفيتك .

وتناول أسيد حربته وانطلق إلى أسعد ومصعب ثم صاح بهما : ما جاء بكما إلينا ؟ أتسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كانت لكما فى نفسيكما حاجة .

قال مصعب وهو متزن هادئ : أوتجلس فتسمع ؛ فان رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته فكف عنه .

وعند ذلك ركز أسيد حربته وجاس يسمع ، وبعد برهة خالطت فيها بشاشة الإسلام وأدبه قلبه ، فترعرع وحى عن بينة واهتدى إلى الحسنى ـ لم يشعر إلا وهو يهتف بهم : ويحكم ، كيف تدخلون هذا الدين العجيب ؟ . . ثم اغتسل وتطهر وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

واستطال سيد الأوس مدته فذهب بنفسه ثائرا حنقا ، وكذلك العصبية الجاهلية قبل أن يهجم عليها نور الحق وتخالطها سكينة الإيمان الصحيح ، فأخذ يرمى القوم بقوارضه ، ويلمزهم بكلمه ، ويتهددهم بوعيده ، ولكن مصعبا العريف المعلم المهذب احتال له كما احتال لصاحبه من قبل ، سنة الإسلام فى تعليمه وتهذيبه « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ـ ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، وأصغى السيد ابن معاذ إلى السيد مصعب ، فسرعان ما كان تأثره بآيات الله والحكمة ، واستفادته لذلك الهدى والرشاد ، ثم يرجع إلى قومه والحماسة تهزه ، والتعصب للحق ينطقه : يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ . . . سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ـ قال سعد ـ فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . ثم يسلم القوم جميعا فيعز الله بهم الإسلام ، ويعزهم به ، وكانت أولى بركات سعد على قومه وعلى المسلمين . ثم دخل الإسلام دور الأنصار كلها ، وأصبحت الخزرج تدين لسعد بن معاذ أيضا كما دانت له الأوس من قبل .

وكان سعد يعرف بأصالة الرأى وسداد القول ، ثم تجلى فضل سعد فى نصرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتأييده ، ومشاطرته إياه فى كل عارض ينزل بالمسلمين ، لا يألوه نصحا ولا يسلمه لشىء ، ويقيه الردى ، ويدفع عنه كل كيد واعتداء ، ويحشد له كل قوة من رجال وعتاد ، حتى صار النبى صلى الله عليه وسلم يعتد بالأنصار ويعتز بهم ويثنى عليهم

ويدعو لهم ولأبنائهم وأبناء أبنـائهم ، وكذلك العناية الربانية إذا منحها المنعم ، والعروة الوثقى إذا وهبها الله بعض عباده المـكرمين :

وإذا سخـــر الإله أناسا لسعيد فانهم سـعداء

شهد كل الغزوات التى غزاها النبي صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته ، وكان مجليا فى كلها مضحيا بأعز ما عنده .

وأولى الغزوات وأحفلها بنصر الله وتأييده والتى سماها الله سبحانه فى كتابه الفرقان فى قوله : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفـرقان يوم التقى الجمعان » هذه غزوة بدر ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفق يومها من ألم الأنصار فى الاستهداف للعظائم ، وما تتطلبه الحروب من تضحيات كرائم ، وكان رقيقا رفيقا ، فـكان يعرض الأمر فى شأنها على أصحـابه ليرى رأى الأنصار فيها ، فقـال كبار المهاجرين فأحسنوا ، وظهر استعدادهم المنشود المنتظر . ثم نظر السيد سعد بن معاذ إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة الرضا والحفاوة وهو يقول : والله لـكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهـدنا أن ما جئت به الحق ، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لمـا أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحـد ، وما نـكره أن تلقى عدونا بنا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك فينا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

وهذا موقف أحسن به السيد سعد إلى الأنصار والمهاجرين جميعا ، وأشاع فى نفوسهم روح الحمـاسة والتقدم ، وطمأنهم على الحب المتبادل الذى هو كفيل أن يغمرهم بالعون السماوى ، والمجد المتطاول الربانى .

لقد أحسن سعد فى هـذا الموقف الحاسم بمـا ثبت الله به قلوب المؤمنين وربط عليها ، ولقد أنزل الله جنده من السماء وهزم جند الأعداء .

وكان سعد حريصا كل الحرص أن يفى بالعهد ، فينضم مع أبى بكر ومعهما خيرة الأنصـار والمهاجرين لحراسة السيد الرسول صـلى الله عليه وسلم وتنظيم الدفاع عن ذاته الـكريمة ، يقومون فى ذلك بأخطر مهمة فى المعركة باستبسال يعز نظيره .

وفى الخندق كان سعد كدأبه المضحى الأمين الوفى والمجاهد الصادق المجلى . لقد اعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه سعد الخزرج معه وعلى عبد الله بن رواحة معهما ، فبعث بهم إلى يهود بنى قريظة ليوافوه بأخبارهم ، وكانوا قد عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه ، فلما انقض الأحزاب على المسلمين بالمدينة انضموا إليهم ونقضوا عهد المسلمين . فبعث النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر المخلصين ليوافوه بخبر بنى قريظة ، وقال لهم فيما قال : إن كان حقا ما بلغنا عن هؤلاء فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس . فعادوا ولحنوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنقضهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معاشر المسلمين !

ثم اشتد خوف المسلمين من انضمام بنى قريظة إلى قريش وحلفائها ، وبدأ النبى صلى الله عليه وسلم يفاوض غطفان فى قبول ثلث غلة المدينة على أن يكفوا عن الحصار ، فعل ذلك إشفاقا على المسلمين ، وتخفيفا عليهم ، حتى لا يصابوا من قبل الإسلام ، وحتى يأتى الله سبحانه بفتح قريب . ولما علم السعدان بذلك سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذلك شىء أمر الله به لا بد من تنفيذه ؟ أم هو شىء يحبه النبى صلى الله عليه وسلم فيصنعه من نفسه ؟ فأجاب النبى صلى الله عليه وسلم : بل هو شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنعه إلا لأنى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! والله ما لنا بهذا حاجة ، ووالله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . وتناول سعد الصحيفة التى كانت قد كتبت بذلك فمحا ما بها .

ثم جال سعد جولات تذكر وهو يدفع المشركين ، حين يحاولون اقتحام الخندق إلى المسلمين ، فلم يلبث أن رماه عاصم بن عمرو بن قتادة بن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة . قال سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله شهادة لى ، ولا تمتنى حتى تقر عينى فى بنى قريظة .

وقد نصر الله المسلمين على الأحزاب ، فأرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ، وكان الله بما يعملون بصيرا . ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا .

ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظهرا ، فأمر بلالا أن يؤذن في الناس : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة . وتلاحق المسلمون ، وأخذ على الراية وهى لم تطو بعد ، وخار جيش بني قريظة لما رأوا جيش المسلمين ، وأيقنوا بالهلاك إن مضى محمد صلى الله عليه وسلم في خطته ؛ فتابوا إليه نفاقا منهم ، وسألوه أن يعفو عنهم . فأبى ذلك حسما لمادة الغدر والخيانة ، وحاصرهم خمسة وعشرين يوما حتى استجاروا بحلفائهم من الأوس ليشفعوا لهم . وتدافعت الأوس على السيد الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه في أمرهم ، فقال لهم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ وكان ذلك مظهرا عجيبا من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في جمع القلوب حوله مع المحافظة على صالح الدولة العام .

حكم إذا صلوات الله عليه سعد بن معاذ الجريح الذى سأل الله سبحانه ألا يميته حتى يقر عينه في بني قريظة . وبماذا حكم سعد بن معاذ ؟ لقد حكم بحكم الله من فوق سبع أرقعة [١] . أحضر وهو جريح فحكم بأن تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الأموال ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يضرب لسعد فسطاط في المسجد ليكون على مقربة منه ؛ وكان يزوره كل يوم ومعه أبو بكر وعمر ومن استطاع من المسلمين ، وبعد أن استجاب الله دعوته فأقر عينه في بني قريظة انفجر جرحه وسال دمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يندبه : واكسر ظهراه ! وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : مه . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون . وأقر الله عين سعد بالشهادة ، ففاضت روحه ، وانحدرت دموع النبي صلى الله عليه وسلم على لحيته حزنا على سعد . وقيل اهتز عرش الرحمن لموت سعد .

وما اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به ، إلا لسعد أبي عمرو

رحمه الله سعدا ، وجعل منه في نفوس المسلمين عبرة تنفخ فيهم روح الشجاعة والإيمان والتضحية . آمين ١٥

محمود النواوى

---

[١] أى سماوات ، وهى عبارة بعض الآثار

بحـــوث
فى مصادر الشريعة النظرية
– ٣ –

أدلة المنكرين لحجية القياس :

استدل المنكرون لحجية القياس بأدلة كثيرة من المنقول والمعقول [١] ، وأظهر هذه الأدلة ما يأتى :

أولا : ما جاء فى الكتاب الكريم من النهى عن اتباع الظن ، وأنه لا يغنى من الحق شيئا ، كقوله سبحانه : « ولا تقف ما ليس لك به علم » وقوله جل ثناؤه : « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا » والقياس ظن من الظنون لأن مبناه على الظن بأن العلة التى لأجلها شرع الحكم فى المنصوص هى كذا ، فيكون منهيا عن اتباعه والعمل به ، والمنهى عنه لا يكون حجة فى استنباط الأحكام [٢] .

والجواب عن ذلك : أن الظن الذى نهى الله عن اتباعه هو الظن فى الأحكام المتعلقة بالعقائد ، لأنه لابد فيها من القطع واليقين ، أما الأحكام العملية فان الظن فيها كاف باتفاق العلماء ، ولهذا صح إثباتها بأخبار الآحاد وظاهر الكتاب والسنة ، والعمل بشهادة الرجلين وشهادة الرجل والمرأتين وهى لا تفيد إلا الظن .

وثانيا : ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب ، وبرهة بالسنة ، وبرهة بالقياس ، فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا وأضلوا » . وقالوا فى وجه الاستدلال بهذا الحديث : إن المقصود منه أن الأمة تعمل مرة بالكتاب ، ومرة بالسنة إذا لم يوجد كتاب ، ومرة بالقياس إذا لم يوجد كتاب ولا سنة ، فاذا

---

[١] راجع المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢٥٦ ، وما بعدها ، وأصول السرخسى ج ٢ ص ١١٩ ، ١٢٠ .

[٢] شرح الاسنوى على المنهاج ج ٢ ص ٢٣٢ ، المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢٥٨ ، وأصول السرخسى ج ٢ ص ١٢١ .

حصل منهم العمل بالقياس فقـد ضلوا فى أنفسهم وأضلوا غيرهم باتباعه لهم ، ولو كان القياس حجة شرعية لمـا كان العمل به ضلالا للنفس و إضلالا للغير [١] .

والجواب عن هذا : أولا أن هذا الحديث لا تقوم بمثله الحجـة ، لأن فى بعض رواته من لا يعتد به . قال ابن السبكى فى معراج الوصول [٢] : هذا الحديث لا تقوم بمثله حجة لأن راويه جبارة بن المفلس ، وهو ضعيف . وثانيا أن هذا الحديث على فرض أنه حجة فليس معناه ما قالوا ، بل معناه أن هذه الأمة تعمل زمنا بالـكتاب وحده ، وزمنا بالسنة وحدها ولو مع وجود الكتاب من غير نسخ ولا تخصيص ؛ وزمنا بالقياس وحده ولو مع وجود الـكتاب والسنة تبعـا للأغراض والأهواء ، وهـــذا خروج عن الدين ولا يقول به مسلم .

وثالثا أن هذا الحديث ـ على تسليم صحته وأن المراد منه ماقالوا ـ معارض بحديث معاذ بن جبل وغيره من الأحاديث الدالة على أن القياس حجة فيجب التوفيق بينه و بينها ، وذلك بأن يحمل هـذا الحديث على القياس الفاسد ، ويحمل حديث معاذ وغيره على القياس الصحيح ، فيكون الحديث المذكور بعيدا عن محل الخلاف ، لأن الخلاف إنمـا هو فى العمل بالقياس الصحيح ، أما القياس الفاسد فلا يصح العمل به من غير خلاف .

واستدلوا ثالثا : بأن أكابر الصحابة قد ذموا الرأى ، وأنكروا العمل به ، والمراد به فى كلامهم القياس ، ولم يعارضهم أحد فى ذلك فكان إجماعا منهم على أن القياس ليس حجة شرعية ، وهذا كثير مشهور عنهم ، فمن ذلك ما يأتى :

١ — ما روى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنـه حينما سئل عن معنى الكلالة قال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى؟ إذا قلت فى كتاب الله تعالى برأيى ، يعنى القياس [٣] .

٢ — ما روى أن عمر رضى الله تعالى عنـه قال : إياكم وأصحاب الرأى ، فانهم

---

[١] المصدر السابق حـ ٢ ص ٢٣٣ .

[٢] هذا الـكتاب شرح لمنهاج الاصول للبيضاوى وهو مخطوط بمـكتبة الازهر .

[٣] المستصفى للغزالى جـ ٢ صـ ٢٤٧ ، وشرح المنهاج للاسنوى جـ ٤ صـ ١٨ ، ومسلم الثبوت جـ ٢ صـ ٣١٥ .

أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا ، والرأى فى كلامه هو القياس اتفاقا [١] .

٣ — ما روى عن عمر أيضا أنه قال : « إياكم والمكايلة قيل وما المكايلة ؟ قال : المقايسة » [٢] .

٤ — وما روى عن على بن أبى طالب أنه قال : « لو كان الدين بالرأى لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره » [٣] .

٥ — مانقل عن عبد الله بن عباس أنه قال : « يذهب قراؤكم وصلحاؤكم ، ويتخذ الناس رؤساء جهالا يقيسون الأمور بالرأى » [٤] .

٦ — ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « إذا قلتم فى دينكم بالقياس أحللتم كثيرا مما حرمه الله ، وحرمتم كثيرا مما أحله الله » [٥] ... إلى غير ذلك مما نقل عن الصحابة من ذم الرأى وإنكار العمل به [٦] .

والجواب عن ذلك : أن هذه الروايات تخالف المشهور عن هؤلاء الصحابة من القول بالرأى ، والعمل به ، فأبو بكر — كما نقلناه عنه سابقا — قال فى الكلالة : أقول فيها برأيى ، فان يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان . وأما عمر فالقول بالرأى وأمره لأبى موسى الأشعرى بالعمل به أشهر من الشمس ، وكذلك على بن أبى طالب كان القول بالرأى مشهورا عنه ، فقد روى عنه أنه قال : « اجتمع رأيى ورأى عمر على حرمة بيع أمهات الأولاد ، ثم رأيت أن أرقهن . وقد اشتهر القول بالرأى عن عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه أنه قال فى المفوضة : أجتهد رأيى ، فان يك صوابا فمن الله ، وإن يك خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان . وغير ذلك كثير ، وهو يدلنا على أن مانقل عنهم من ذم الرأى ومنع العمل به غير صحيح ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه

---

[١] المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢٤٧ .
[٢] شرح المنهاج للاسنوى ج ٤ ص ١٨ وأعلام الموقعين ج ١ ص ٣٠٩ .
[٣] مسلم الثبوت ج ٢ ص ٣١٥ .
[٤] ، [٥] مسلم الثبوت ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
[٦] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، أعلام الموقعين ج ١ ص ٣٠٦ وما بعدها .

الروايات ـ على فرض صحتها عنهم ـ معارضة باجماعهم المتقدم على العمل بالقياس ، وإذا لابد من التوفيق بينهما جمعا بين الدليلين المتعارضين فى الظاهر ، وطريق التوفيق بينهما أن نحمل ما مدحوه وعمـلوا به على القياس الصحيح المستجمع لشروط الصحة ، الصادر ممن هو أهل للنظر والاستدلال ، ونحمل ما أنكروه على القياس الفاسد الذى لم تتوافر فيه شروط الصحة والاعتبار ، كالقياس المخالف للنص أو الصادر عمن ليس أهلا للنظر والاستدلال أو الصادر عن هوى النفس والمقصود به مصالح خاصة ، وما أشبه ذلك [١] .

قال الغزالى فى المستصفى ـ بعد أن أورد ماساقه المنكرون للقياس عن بعض الصحابة من ذم الرأى والعمل بالقياس ـ : « والجواب من أوجه » :

الأول : أنا بينا بالقواطع من جميع الصحابة الاجتهاد والقول بالرأى والسكوت عن القائلين به، وثبت ذلك بالتواتر فى وقائع مشهورة، كميراث الجد والإخوة، وتعيين الإمام بالبيعة ، وجمـع المصحف ، والعهد إلى عمر بالخلافة ، وما لم يتواتر كذلك فقد صح من آحاد الوقائع بروايات صحيحة لا ينـكرها أحد من الأمة ما أورث علما ضروريا بقولهم بالرأى ، وعـرف ذلك ضرورة ، كما عرف سخاء حاتم وشجاعة على ، فجاوز الأمر حـدا لا يمكن التشكك فى حكمهم بالاجتهاد ، وما نقلوه بخلافه فأكثرها مقاطيع ، ومروية عن غـير ثبت ، وهى بعينها معارضة برواية صحيحة عن صاحبها بنقيضه ، فكيف يترك المعلوم ضرورة بمـا ليس مثله ، ولو تساوت فى الصحة لوجب اطراح جميعها ، والرجوع إلى ما تواتر من مشاورة الصحابة واجتهادهم .

الثانى : أنه لو صحت هذه الروايات وتواترت أيضا ، لوجب الجمع بينها وبين المشهور من اجتهادهم ، فيحمل ما أنـكروه على الرأى المخالف للنص أو الرأى الصادر عن الجهل الذى يصدر ممن ليس أهلا للاجتهاد ، أو وضع الرأى فى غير محله ، والرأى الفاسد الذى لا يشهد له أصل ، ويرجع إلى محض الاستحسان ، ووضع الشرع ابتداء من غير نسج على منوال سابق ،وفى ألفاظ روايتهم ما يدل عليه إذ قال : « اتخذ الناس رؤساء جهالا » وقال : لو قالوا بالرأى لحرموا الحـلال ، وأحلوا الحرام [٢] .

---

[١] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ٢٣٣ .
[٢] المستصفى ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

رابعا : أن القياس يؤدى إلى الاختلاف والتنازع بين الأمة، لأن مبناه على مقدمات ظنية كثبوت الحكم فى الأصل ، وأن العلة فيه هى وصف كذا ، وأن هذا الوصف متحقق فى الفرع ، والمقدمات الظنية مثار لاختلاف الأفهام والأنظار ، والاختلاف والتنازع لا تقره، ولا ترتضيه، قال تعالى: « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» [١] أى قوتكم ودولتكم ، وقال عز من قائل : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » [٢] .

والجواب عن هذا : بأن الاختلاف والتنازع الذى تنهى عنه الشريعة ولا ترتضيه هو الاختلاف فى العقائد وأصول الدين أو فى شأن من شئون الحرب وسياسة الدولة ، لا ما كان فى الأحكام الشرعية العملية ، كما يرشد إلى ذلك التشبيه فى قوله تعالى: « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » فان المشبه بهم إنما اختلفوا فى العقائد والديانات ، وقوله جل ثناؤه فى الآية الثانية : « فتفشلوا وتذهب ريحكم » فان التنازع الذى يوجب الفشل وذهاب القوة والدولة هو التنازع فى العقائد والشئون الحربية ، لا فى الأحكام العملية والفروع الفقهية ، والاختلاف الناشئ عن العمل بالقياس ليس اختلافا فى العقيدة أو فى شأن من شئون الدولة وسياستها ، وإنما هو اختلاف فى أحكام جزئية فرعية لا يؤدى الاختلاف فيها إلى أية مفسدة ، بل قد يكون فيه رحمة وتوسعة من الله على عباده .

خامسا : وهو منقول عن النظام وقد ساقه للاستدلال به على امتناع القياس عقلا ، وحاصل هذا الدليل أن مدار القياس على التسوية فى الحكم بين المتماثلات ، والتفرقة فيه بين المختلفات، وعلى أن الأحكام معقولية المعنى، وأحكام الشريعة على خلاف ذلك، لأن الشريعة فرقت فى الحكم بين المتماثلات، وجمعت فيه بين المختلفات ،وجاءت بأحكام لا مجال للعقل فيها ، وكل شريعة هذا شأنها لا يكون للقياس مجال فيها .

أما فرقها بين المتماثلات فلأنها فرقت بين الأزمنة والأمكنة فى الفضل والشرف ، ففضلت ليلة القدر على سائر الليالى. قال تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » وفضلت مكة والمدينة وبيت المقدس على سائر الأمكنة ، مع استواء الكل فى أنه زمان ومكان ، ورخصت فى قصر الصلاة الرباعية دون الثنائية والثلاثية ، وأسقطت الصلاة والصوم

---

[١] آية : ٤٦ من سورة الأنفال

[٢] آية : ١٠٥ من سورة آل عمران

عن الحائض، وأوجبت عليها قضاء الصوم دون الصلاة ، مع أن الكل عبادة . وأما جمعها بين المختلفات فلأنها جعلت التيمم بالتراب موجبا للطهارة كالماء ، مع أن التراب يشوه الأعضاء والماء ينظفه ، وجعلت الخطأ كالعمد فى ضمان الأموال وقتل الصيد فى الحرم ، مع أن العمد فيه قصد ، والخطأ لا قصد فيه ، وجعلت الظهار موجبا للكفارة كالقتل خطأ مع الفرق الشاسع بينهما .

وأما أنها شرعت أحكاما لا مجال للعقل فيها فلأنها أوجبت قطع اليد فى سرقة القليل ولم توجبه فى غصب الكثير ، وأوجبت الحد على من قذف غيره بالزنا ، ولم توجبه على من قذفه بالكفر ، مع أن الكفر أشد وأعظم ، وشرطت فى الشهادة على الزنا أربعة رجال ، واكتفت فى القتل بشاهدين ، مع أن القتل أشد وأغلظ . . إلى غير ذلك من الأحكام التى لايدرك العقل عللها وأسرارها : كتحديد أعداد الركعات فى الصلوات الخمس ، وتحديد عدد الأشواط فى الطواف بسبع ، وتحديد الجلد فى حد الزنا بمائة وفى حد القذف بثمانين .

هذه خلاصة ماأورده النظام دليلا على امتناع القياس عقلا ، وقد أجاب العلماء عن هذه الشبهة بجوابين :

أحدهما بطريق الإجمال ، وثانيهما بطريق التفصيل . أما الأول فقد اختلفت فيه أنظار الأصوليين بحسب اختلاف أفهامهم ومعرفتهم بأسرار الشريعة ، وأحسن هذه الأجوبة فى نظرنا ما أجاب به ابن القيم فى أعلام الموقعين (١) لوضوحه وقوة بيانه ، قال رحمه الله تعالى : إن ما ذكرتم من الصور وأضعاف أضعافها فهو من أبين الأدلة على عظم هذه الشريعة وجلالتها ومجيئها على وفق العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، حيث فرقت بين أحكام هذه الصور المذكورة لافتراقها فى الصفات التى اقتضت افتراقها فى الأحكام ، ولو ساوت بينها فى الأحكام لتوجه السؤال وصعب الانفصال ، وقال القائل : قد ساوت بين المختلفات ، وقرنت الشىء إلى غير شبيهه فى الحكم ، وما امتازت صورة من تلك الصور بحكمها دون الصورة الأخرى إلا لمعنى قام بها أوجب اختصاصها بذلك الحكم ، ولا اشتركت صورتان فى حكم إلا لاشتراكهما فى المعنى المقتضى لذلك الحكم ، ولا يضر افتراقهما فى غيره ، كما لا ينفع اشتراك المختلفين

---

[١] حـ ٢ ص ١٦٩، ١٧٠

فى معنى لا يوجد الحكم، فالاعتبار فى الجمع والفرق إنما هو فى المعانى التى لأجلها شرعت تلك الأحكام وجودا وعدما .

وأما الثانى فلم يتعرض له أحد من العلماء ـ فيما أعلم ـ إلا ابن القيم، فانه أورد الأمثلة التى ساقها النظام وزاد عليها أمثلة أخرى ، وأفرد كل مسألة منها بجواب مستقل مفصل مبينا حكمة الشارع فى التفريق بين الأمور التى تماثلت فى الظاهر ، وفى الجمع بين الأمور التى تخالفت فى الظاهر بيانا شافيا وافيا يقنع كل منصف بأن أحكام الشريعة جاءت على وفق العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولأهمية هده الردود ونفاستها ننقل هنا بعضها لتكون عنوانا لغيرها [١] ، قال رحمه الله جوابا عما زعم النظام أن فيه تفريقا بين المتماثلات : وأما نقصه الشطر من صلاة المسافر الرباعية دون الثلاثية والثنائية ففى غاية المناسبة، فان الرباعية تحمل الحذف لطولها بخلاف الثنائية، فلو حذف شطر لأجحف بها ولزالت حكمة الوتر الذى شرع خاتمة العمل ، وأما الثلاثية فلا يمكن تشطيرها ، وحذف ثلثيها مخل بها، وحذف ثلثها يخرجها عن حكمة شرعها وترا ، فانها شرعت ثلاثا لتكون وتر النهار ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المغرب وتر النهار فاوتروا صلاة الليل » .

وأما إيجاب الصوم على الحائض دون الصلاة فمن تمام محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح المكلفين، فان الحيض لما كان منافيا للعبادة لم يشرع معه فعلها، وكان فى صلاتها أيام الطهر ما يغنيها عن صلاة أيام الحيض، فيحصل لها مصلحة الصلاة فى زمن الطهر لتكررها كل يوم بخلاف الصوم فانه لا يتكرر ، وهو شهر واحد فى العام، فلو سقط عنها فعله بالحيض لم يكن لها سبيل إلى تدارك نظيره ، وفاتت عليها مصلحته ، فوجب عليها أن تصوم شهرا فى طهرها لتحصيل مصلحة الصوم التى هى من تمام رحمة الله بعبده وإحسانه إليه بشرعه .

وأما قطع يد السارق فى ثلاثة دراهم وترك قطع يد المختلس والمنتهب والغاصب فمن تمام حكمة الشارع ، فأن السارق لا يمكن الاحتراز منه ، فأنه ينقب الدور ويهتك الحرز ، ويكسر القفل ، ولا يمكن صاحب المتاع الاحتراز بأكثر من ذلك ، فلو لم يشرع قطعه لسرق الناس بعضهم بعضا، وعظم الضرر ، واشتدت المحنة بالسراق، بخلاف

---

[١] راجع أعلام الموقعين ج ٢ ص ١٦٩ - ٢٨٤

المنتهب والمختلس ، فأن المنتهب هـو الذى يأخذ المـال جهرة بمرأى من الناس فيمكنهم أن يأخذوا على يديه ، ويخلصوا حق المظلوم ، أو يشهدوا له عند الحاكم ، وأما المختلس فانه إنمـا يأخذ المـال على حين غفلة من مالـكه ومن الناس ، فلا يخلو الحال من نوع تفـريط يتمـكن به المختلس من اختلاسه ، وإلا فمع كمال التحفظ والتيقظ لا يمـكنه الاختلاس ، فليس كالسارق بل هو بالخائن أشبه ، والمختلس إنمـا يأخذ المـال من غير حرز مثله غالبا ، فأنه الذى يغافلك ويختلس متاعك فى حال تخليك عنه وغفلتك عن حفظه ، وهـذا يمـكن الاحتراز منه غالبا فهو كالمنتهب ، وأما الغاصب فالأمر فيه ظـاهر ، وهو أولى بعدم القطع من المنتهب ، ولـكن يسوغ كف عدوان هؤلاء بالضرب والنكال والسجن الطويل والعقوبة بأخذ المـال .

وأما إيجاب حـد الفرية (يعنى القذف) على من قذف غيره بالزنا دون الـكفر ففى غاية المناسبة ، فان القاذف غيره بالزنا لا سبيل للنـاس إلى العلم بكذبه بجعل حـد الفرية تكذيبا له ، وتبرئة لعرض المقذوف ، وتعظيما لشأن هـذه الفاحشة التى يجلد من رمى بها مسلما ، وأما من رمى غـيره بالـكفر فأن شاهد حال المسلم واطلاع المسلمين عليها كاف فى تكذيبه ، ولا يلحقه من العار عليه فى ذلك ما يلحقه بكذبه عليه فى الرمى بالفاحشة ، ولا سيما إن كان المقذوف امرأة ، فأن العار والمعرة التى تلحقها بقذفه بين أهلها وتشعب ظنون الناس وكونهم بين مصدق ومكذب لا يلحق مثله بالرمى بالـكفر .

وأما اكتفاؤه فى القتل بشاهدين دون الزنا ففى غاية الحكمة والمصلحة ، فأن الشارع احتاط للقصاص والدماء ، واحتاط لحد الزنا ، فلو لم يقبل فى القتل إلا أربعة لضاعت الدماء ، وتواثب العادون ، وتجرأوا على القتل ، وأما الزنا فأنه بالغ فى ستره كما قـدر الله ستره ، وكره إظهاره والتـكلم به ، وتوعد من يحب إشاعته فى المؤمنين بالعـذاب الأليم فى الدنيا والآخرة .

وأما قوله : « وخص بعض الأزمنة والأمكنة ، وفضل بعضها على بعض مع تساويها فى أن الـكل زمان ومكان » فالمقدمة الأولى صادقة ، والثانية كاذبة ، فأنه لم يفضل بعضها على بعض إلا لخصائص قامت بها اقتضت التخصيص ، ولم يخص سبحانه شيئا إلا بمخصص ، ولـكنه قـد يكون ظاهرا ، وقـد يكون خفيا ، واشتراك الأزمنة والأمكنة فى مسمى الزمان والمـكان كاشتراك الحيوان فى مسمى الحيوانية ، والإنسان فى مسمى الإنسانية ،

بل وسائر الأجناس فى المعنى الذى يعمها ، وذلك لا يوجب استواءها فى أنفسها ، والمختلفات تشترك فى أمور كثيرة ، والمتفقات تتباين فى أمور كثيرة ، والله سبحانه أحكم وأعلم من أن يفضل مثلا على مثل من كل وجه بلا صفة تقتضى ترجيحه ، هذا مستحيل فى خلقه وأمره ، كما أنه سبحانه لا يفرق بين المتماثلين من كل وجه ، فحكمته وعدله تأبى هذا وهذا ، وقد نزه سبحانه نفسه عمن يظن به ذلك ؛ وأنكر عليه زعمه الباطل ، وجعله حكما منكرا ، ولو جاز عليه ما يقول هؤلاء لبطلت حججه وأدلته ، فأن مبناها على أن حكم الشيء حكم مثله ، وعلى ألا يسوى بين المختلفين ، فلا يجعل الأبرار كالفجار ، ولا المؤمنين كالكفار ، ولا من أطاعه كمن عصاه ، ولا العالم كالجاهل ، وعلى هذا مبنى الجزاء ، فهو حكمه الكونى والدينى وجزاؤه الذى هو ثوابه وعقابه ، وبذلك حصل الاعتبار ، ولأجله ضربت الأمثال وقصت علينا أخبار الأنبياء وأممهم .

وقال رحمه الله فى الجواب عما زعم النظام أن فيه جمعا وتسوية بين المختلفات : وأما قوله إن الشريعة جمعت بين الخطأ والعمد فى ضمان الأموال فغير منكر فى العقول والفطر والشرائع والعادات اشتراك المختلفات فى حكم واحد باعتبار اشتراكها فى سبب ذلك الحكم ، فأنه لا مانع من اشتراكها فى أمر يكون علة لحكم من الأحكام بل هذا هو الواقع ، وعلى هذا فالخطأ والعمد اشتركا فى الإتلاف الذى هو علة للضمان ، وإن افترقا فى علة الإثم (وهو القصد) وربط الضمان بالإتلاف من باب ربط الأحكام بأسبابها ، وهو مقتضى العدل الذى لا تتم المصلحة إلا به ، كما أوجب على القاتل خطأ دية القتيل ، وذلك لا يعتمد التكليف ، فيضمن الصبى والمجنون والنائم ما أتلفوه من الأموال ، وهذا من الشرائع العامة التى لا تتم مصالح الأمة إلا بها ، فلو لم يضمنوا جنايات أيديهم لأتلف بعضهم أموال بعض ، وادعى الخطأ وعدم القصد ، وهذا بخلاف أحكام الإثم والعقوبات فانها تابعة للمخالفة وكسب العبد ومعصيته ، ففرقت الشريعة فيها بين العامد والمخطئ .

وأما جمعها بين الماء والتراب فى التطهير فلله ما أحسنه من جمع وما ألطفه وألصقه بالعقول السليمة والفطر المستقيمة ، فقد عقد الله سبحانه الإخاء بين الماء والتراب قدرا وشرعا ، بجمعهما الله عز وجل وخلق منهما آدم وذريته ، فكانا أبوين اثنين لأبوينا وأولادهما ، وجعل منهما حياة كل حيوان ، وأخرج منهما أقوات الدواب والناس والأنعام ، وكانا أعم الأشياء وجودا ، وأسهلها تناولا ، وكان تعفير الوجه بالتراب لله

من أحب الأشياء إليه ، ولما عقد هذه الأخوة بينهما قدرا أحكم عقد وأقواه كان عقد الأخوة بينهما شرعا أحسن عقد وأصحه .

هذه هى أدلة الفريقين المتنازعين فى حجية القياس، وما يرد عليها من مناقشات، ومنها يتبين بجلاء أن ما ذهب إليه الجمهور من العلماء هو المذهب الحق الذى لا تشوبه شائبة ، ولا تحوم حوله ريبة ، وهو الذى جرى عليه عمل الصحابة وانعقد عليه الإجماع فى العصور المتقدمة قبل أن يوجـــد النظام وشيعته ومن لف لفه .

قال أبو القاسم عبيد بن عمر فى كتاب القياس : ما علمت أن أحدا من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق إبراهيم بن سيار النظام إلى القول بنفى القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت إليه الجمهور ، وممن خالفه فى ذلك فريق من زعمـاء المعتزلة كأبى الهـذيل وبشر بن المعتمر وبشر المريسى .

وقال الإمام المزنى « الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وهـلم جرا استعملوا المقاييس فى الفقه فى جميع الأحـكام فى أمر دينهم قال : وأجمعوا أن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل، فلا يجوز لأحد إنكار القياس، لأنه التشبيه بالأمور والتمثيل عليها [١] » .

ويقول الإمام السرخسى فى أصوله ـ بعد أن أورد كثيرا من المسائل التى عمل الصحابة فيها بالرأى والقياس فى عصر الرسول وبعده ـ : فتبين بهذا أن العمل بالرأى كان مشهورا متفقا عليه بين الصحابة ، وأنهم كانوا مجمعين على جواز العمل بالرأى فيما لا نص فيه، وكفى بإجماعهم حجة (٢) » .

زكى الدين شعبان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

---

(١) نبراس العقول ص ١١٣
(٢) راجع أصول السرخسي حـ ٢ ص ١٣١ وما بعدها

بنو اسرائيـــــــل
فى الماضى والحاضر
— ٤ —

عداوة اليهود للاسلام :

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة صار بالمدينة ثلاث طوائف :

١ — المسلمون من المهاجرين والأنصار .

٢ — اليهود الذين كانوا يسكنون بأطراف المدينة .

٣ — المنافقون وكانوا خليطا من اليهود وعرب المدينة ، وقد ترأسهم عبد الله ابن أبى (ابن سلول) رأس النفاق . وكما ابتلى المسلمون فى مكة بالمشركين ابتلوا فى المدينة باليهود والمنافقين ، وكانت عداوة اليهود للمسلمين أشد من عداوة المنافقين . وقد ناصب رؤساء اليهود ـ إلا قليلا منهم ـ الرسول العداوة من أول مقدمه المدينة ، وداخلهم منه هم كبير ، وحملوا له الحقد والضغن ، وليس أدل على ذلك من هذه القصة ؛ روى يونس ابن بكير عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت : « لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب إليهما منى ، لم ألقهما فى ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قباء ـ قرية بنى عمرو بن عوف ـ غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر ابن أخطب مغلسين ، فوالله ماجاءانا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله مانظر إلى واحد منهما . فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا فى نفسك منه ؟ قال : عداوته ـ والله ـ مابقيت » .

وفى رواية أخرى ذكرها موسى بن عقبة أن أبا ياسر لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : ياقوم ، أطيعونى ، فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب ـ وهو يومئذ سيد اليهود ـ وهما من بنى النضير ، فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ـ وكان فيهم مطاعا ـ فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا أبدا .

فقال له أخوه : يا بن أمى أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لاتهلك . قال : لا والله لا أطيعك أبدا ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه . قال : أما أبو ياسر فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية فشرب عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يزل ذلك رأيه ـ لعنه الله ـ حتى قتل صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل مقاتلة بنى قريظة » . [١]

وكان الكثيرون من رؤساء اليهود على ما كان عليه حيي بن أخطب من الحقد والعداوة ، ولم يسلم منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام وأضرابه الذين آثروا الحق على شهوات أنفسهم والآخرة على الدنيا الفانية .

مهادنة اليهود :

وكان بالمدينة من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالمدينة من أيام بختنصر حين دوخ بلاد المقدس وأخرجهم منها ، وكانوا قوة لايستهان بها . فرأى رسول الله بثاقب فكره وبعد نظره أن يأمن جانبهم ، فعقد معهم معاهدة مقتضاها ترك الحرب والأذى ، فلا يحاربهم ولا يحاربونه ، ولا يؤذيهم ولا يؤذونه ولا يعينون عليه أحدا ، وإن دهمه بالمدينة عدو ينصرونه ، وأقرهم على دينهم . ولقد كانت هـذه المعاهدة عملا بارعا وسياسة حكيمة رشيدة ، أمن بها المسلمون شر هؤلاء الذين كانوا يسا كنونهم بالمدينة ولو إلى حين ، وانصرفوا إلى نشر دينهم وتأمين دعوتهم وإرساء أساس دولتهم التى أخذت فى التكوين والنمو والظهور .

دسائس اليهود :

ولئن كانت هذه المعاهدة حالت بينهم وبين المجاهرة بالعداوة وحمل السلاح لمناوأة المسلمين ، إلا أنهـا ما كانت لتحررهم من فطرتهم الرديئة وأخلاقهم المرذولة وطبيعتهم الغادرة ، فسعوا بين المسلمين بالدس والوقيعة وإلقاء الأراجيف والأكاذيب والنيل منهم ومن الرسول حتى هموا بقتله وتأليب القبائل عليهم فى طى الخفاء ، وهكذا نرى أن حياة اليهود المجاورين للمسلمين بالمدينـــة كانت سلسلة من الكيد للاســلام وبث الفتنة ونقض العهود .

وقد آلمهم وأقض مضاجعهم أن رأوا الأوس والخزرج قد تآلفوا بعد العداوة ، واتحدوا

[١] البداية والنهاية جزء ٣ صفحة ٢١٢ .

بعد الفرقة ، وصاروا درع الإسلام وحصنه ، فحاولوا أن يؤلبوا بينهم العداوة ، وكادوا ينجحون لولا أن تدارك الرسول الأنصار بصائب حكمته و بليغ موعظته ، وأفسدعليهم خطتهم ورد كيدهم فى نحورهم .

وإليك ما ذكره ابن اسحق فى سيرته قال : « ومر شأس بن قيس ـ وكان شيخا قد عشى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ـ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيلة [١] بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار ، فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب : أوس بن قيظى من الأوس ، وجبار بن صخر من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعا وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ـ وهى الحرة ـ السلاح السلاح !

فخرجوا اليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يامعشر المسلمين ، الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟ »

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا ، وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، فأنزل الله فى شأن شأس ابن قيس وما صنع « قل يأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » (٢) وأنزل فى شأن الذين كادوا يسمعون إليهم « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون

---

[١] الأوس والخزرج .

[٢] سورة آل عمران الآية ٩٨، ٩٩ .

وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » [١]

ولا تزال قصة شأس بن قيس تتجدد كل يوم وتمثل فى العالم الإسلامى والعربى فى مظاهر شتى وأثواب براقة مزخرفة ، تستر وراءها الحقد الدفين والعداوة المتأصلة والنذالة المسفة ، ولئن كان فى مبدأ الإسلام شأس ونفر ممن هم على شاكلته يسعون فى الأرض بالدس والوقيعة والإفساد وتقطيع الأرحام ، ففى حاضرنا اليوم عشرات من أمثال شأس وجماعته ، دعاة فتنة وفرقة بين صفوف العرب والمسلمين ، برعوا فى الدس والاختلاق ، وتفننوا فيه أفانين شتى ، وتيسرت لهم من الإمكانيات للوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما لم يتيسر لشأس وأتباعه : ففى العالم اليوم الصهيونية العالمية بأموالها و إذاعاتها ودعاياتها وسيطرتها على الساسة الموجهين لدفة السياسة اليوم ، وفيه الدول الاستعمارية المشايعة لهذه الصهيونية والتى لولاها لم تقم لعصابات إسرائيل قائمة ، ولا كان لها وجود على ظهر الأرض ، وفيه الصحف الاستعمارية التى يسيطر عليها أصحاب الأموال من اليهود ، وكل هؤلاء ورثوا الحقد على الاسلام والمسلمين من قديم الزمان ، ولا ينفكون من الكيد للأسلام والعروبة ، ويأكل أكبادهم أن يروا العرب كتلة واحدة ويدا واحدة ، وأن يروا المسلمين على قلب رجل واحد متمسكين بقول الحق تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وقوله : «ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فهل لنا أيها المسلمون والعرب أن نفسد خطط هؤلاء الأعداء ، وأن نفوت عليهم ما يريدون بنا من الفرقة والانقسام ؟ وهل يكون لنا فى رسول الله والرعيل الأول من المسلمين قدوة حسنة ؟ فنقبر كل فتنة يثيرونها فى مهدها ، ولا نلقى لما يرجفون به بالا ؟ ذلك ما نرجو ، وما ذلك على إسلاميتنا وعروبتنا بعزيز .

الدكتور محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

(١) آل عمران الآية ١٠٠ - ١٠٣

من أعلام الفكر الاسلامى :

واصل بن عطاء

٨٠ — ١٣١ هـ ٦٩٩ — ٧٤٨ م

الباحث فى كتب التاريخ يجد أن هناك معتزلة ظهروا فى صدر الإسلام ، غير المعتزلة المعروفين فى علم الكلام . فقد حدثنا المؤرخون أن قوما اعتزلوا الحروب التى قامت بين على وأصحاب الجمل وبين على ومعاوية ، وآثروا البعد عن الفريقين تجنبا لإثارة الفتن وإشعالها بين المسلمين ، حرصا على توحيد كلمتهم ، ولم شملهم، ثم لما تنازل الحسن ابن على عن الخلافة لمعاوية اعتزلوا الناس ، ولزموا مساجدهم ومنازلهم ، وقالوا : « نشتغل بالعلم والعبادة » .

وعلى ذلك فتسمية هؤلاء معتزلة تسمية لغوية بحت ، فهى من العزلة والانكماش ولم يستجد لها معنى آخر .

أما المعتزلة الفرقة الكلامية ، فيكاد المؤرخون يجمعون على أن المكان الذى ظهر فيه هذا الاسم هو مسجد البصرة ؛ ولكنهم يختلفون فيمن أطلقه ؟ . يقال هو الحسن البصرى إثر سؤال عن مرتكب الكبيرة ، أهو مؤمن أم لا ؟ وجهه إليه أحد الناس ، أو واصل بن عطاء .

فتفكر الحسن فى ذلك ، وقبل أن يجيب كما يروى الشهرستانى ، أو بعد أن أجاب بقوله : إنه مؤمن وأمره فى كبيرته مفوض إلى ربه : إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، كما يروى غيره .

قال واصل : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام من مجلس الحسن أو طرده الحسن من مجلسه — على اختلاف الروايات — واعتزل إلى سارية من سوارى المسجد يقرر ما أجاب به .

فقال الحسن أو قال الناس الذين فى حلقته على اختلاف الروايات أيضا : اعتزلنا واصل : فسمى هو وأصحابه معتزلة ، لأنه اعتزل قول المسلمين فى مرتكب الكبيرة ، أو اعتزل مجلس الحسن البصرى . ويبدو لنا أن هذا ليس أول اختلاف لواصل مع أستاذه فان الإنسان لا يترك أستاذه ولا يطرد من المرة الأولى .

ويروى ابن خلكان : أن الذى أطلق هذا الاسم قتادة فى حياة الحسن البصرى . ويروى المرتضى فى أماليه (١) أن مبدأ الاعتزال كان بعد موت الحسن حيث جلس قتادة مجلسه ، وحدثت بينه وبين عمرو بن عبيد نفرة فانتحى عمرو جانبا من المسجد ، وجلس إلى سارية وتحلق الناس حوله فأطلق عليهم قتادة اسم « المعتزلة » .

ويرى بعض المستشرقين أنهم سموا معتزلة لأنهم كانوا أتقياء متقشفين زاهدين ضاربى الصفح عن ملذاتها ، وكلمة معتزلة تدل على ذلك لأن العزلة تكون عن زهد فى الدنيا .

والحق أن هذا الرأى ليس سليما ، لأن بين المعتزلة من لم يسلم من الاتهام بالمعاصى .

وبعد ــ فأى الروايات نرجح ؟ . يبدو لنا أن الحسن البصرى هو الذى سماهم بهذا الاسم ، وصارت كلمته علما على هذه الفرقة لما له من المكانة العظيمة ، ولأن أغلب كتاب الفرق ينسبون الحادثة إليه ، كما أن الإجماع يكاد ينعقد على أن رأس المعتزلة واصل ابن عطاء ، وما رواه ابن خلكان فى وفيات الأعيان والمرتضى فى أماليه مخالفا لذلك لا يعول عليه لأنهما ليسا متخصصين فى الفرق . فمن واصل بن عطاء مؤسس المعتزلة تلك الفرقة الكلامية العظيمة ؟

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثغ . ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة من أصل فارسى وكان مولى لبنى ضبة ، وقيل لبنى مخزوم ، وقيل لبنى هاشم ، والأخير هو الراجح .

ولد ونشأ على الرق ، ولم يذكر لنا المؤرخون أنه بقى على الرق أو صار حرا ، ولكن يظهر لنا من سيرته أنه قضى أكثر عمره حرا . كما أننا لا نعلم الزمن الذى مكثه بالمدينة على التعيين لنعرف ما ارتسم فى ذهنه من عادات أهلها ، وما كان يظلها من أفكار وآراء ، وقد انتقل إلى العراق ، ويظهر أنه قد قضى فيه سن التعلم ، فقد جاء فى الملل

---

[١] المجلة ـ والمرتضى نفسه معتزلى ومن أئمة الشيعة المقتدى بهم .

والنحل للشهرستانى : أنه كان تلميذا للحسن البصرى ، واستمر تلميذا للحسن إلى أن اعتزل مجلسه . و يظهر أنه كان يغشى مجالس غيره من العلماء . بل يظهر أنه كان ينتاب مجالس الشيعة حتى عد ممن تخرج عليهم وتربى ، وحتى إنه يقال أخذ واصل الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .

و إذا ساغ لنا أن نستنبط من آرائه نوع تربيته وأثر العلماء الذين تخرج عليهم ودارسهم ، فيجب أن نقرر أنه اتصل بالخوارج والشيعة وأهل الحديث وأر باب النحل المختلفة ، فان آراءه مزيج من كل هذه الأفكار .

ولكن المفكر لا يتخرج على الرجال فقط ، بل يستمد مما حوله وتؤثر فيه البيئة العامة التى تظله والآراء التى تضطرب وتتناحر فى عصره من سياسية وفكرية ، وخلاصة الكتب التى يقرؤها ، ولذا يجب أن نلمع إلى الأحوال السياسية والفكرية فى عصره ، لأن واصلا ثمرة جيل وغارس الأصول لجيل . فهو رئيس فرقة تكلمت فى أصول الاعتقاد وخالفت فى طرائق تفكيرها ، وفى بعض ما أنتجه فكرها المألوف لدى الفقهاء والمحدثين .

الأحوال السياسية : نشأ واصل فى العصر الأموى حيث كانت الخلافات السياسية على أشدها بين جميع الفرق والحكومة الأموية ، بل بين كل فرقة وغيرها . والقلاقل فى أرجاء المملكة الإسلامية يقوم بها الخوارج دائما والشيعة أحيانا ، وليس للأمويين إلا إخماد تلك الثورات ، ومحاولة القضاء عليها بالمال يغدقونه على أعدائهم و يملؤون به أفواه خصومهم ، و بالرجال والجيوش يجهزونها للقتال ، والخصم عنيد لا يلين ، وتاريخ الخوارج معروف و بسالتهم فى القتال لا تنسى .

هذه هى البيئة السياسية عامة . أما البيئة الخاصة التى قضى فيها واصل أكثر حياته وهى العراق فقد كانت أعظم البيئات خلافا وانشقاقا . فالعراق كان مسرح الفوضى والثورات فى عهد الأمويين ، وخطب زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف تصور لنا مدى ذلك عند أهل العراق . ولعل هذه المذاهب المختلفة والأجناس المتنافرة والديانات القديمة التى تعاقبت على هذا القطر قبل الفتح الإسلامى كان لها أثر دائم فى ظهور أهل العراق بهذا المظهر الغريب من التنافر والتناحر ، وأعان على ذلك تركيز الدعايات المذهبية فيه من خوارج وشيعة وغيرهما من ذوى الآراء ، وكلهم يبث آراءه وأفكاره فيمن حوله .

الأحوال الفكرية : المدينة كانت البيئة الأولى لواصل بن عطاء ، ولا شك أن الحركة العلمية فيها ناشطة ، فهى العاصمة الإسلامية الأولى ، تخلف فيها أكبر تراث إسلامى فكرى ، وأقام فيها الصحابة والتابعون بما حملوا عن الرسول عليه الصلاة والسلام من فقه وتشريع ونظر وتأويل ، فلذلك تأثر واصل بهذه البيئة فاعتمد كثيرا على القرآن ، واستند إلى نصوصه ومعانى آياته .

ثم انتقل إلى العراق وهو يموج بمختلف الآراء وشتى النزعات ، والجدل قائم بين أهله ، والمسائل السياسية والدينية مطروحة للبحث . فهؤلاء الخوارج يتناولون الكبيرة وحكم مرتكبها ، والشيعة يبحثون فى الإمامة وشروطها ، ويتعرضون لأصول العقائد فيقولون فيها برأيهم ، بل لقد تعرضوا للفروع فاجتهدوا ، وكونوا لهم مذاهب تنسب إلى أئمتهم .

وأولئك الموالى يقودون الحركة العلمية ، ويخوضون غمار الميادين الفكرية الحرة ، ويحملون لواء التجديد ، وينهمكون فى البحث والتنقيب ، لأنهم يريدون أن يجبروا نقصهم بالمعرفة ، ويرفعوا خسيستهم بالعلم ، وواصل بن عطاء بين هؤلاء جميعا يتأمل ويقارن ويثابر ويبحث ، وتختلط فى ذهنه أصواتهم ، وأحيانا تمتاز وتنفصل . يسمع من قوم ويجلس إلى آخرين بأذن صاغية ، وذاكرة واعية ، وتقوم قريحته الوقادة بتحديد موقفه من كل أولئك مع استقلال فى الرأى وعمق فى النظر .

أضف إلى ذلك أن بعض الآراء الفلسفية والعلوم القديمة كانت تجد من يتناقلها بين البصرة والكوفة ، ولا سيما آثار السريان ونتاج مدارسهم فى الرها ونصيبين ومجادلات النصارى فى بعض المسائل ونظريات أصحاب النحل الأخرى .

فتأثر واصل بهذه الحركات ، وأثر فى الفكر الإسلامى أعظم التأثير ، فقد حول مجراه وصبغه صبغة جديدة ، وجعل العقل عماد هذا التفكير ، وفتح باب النظر على مصراعيه ، ووضع أصل الاحتجاج بالعقل والإجماع زيادة على الاحتجاج بالكتاب والسنة . فكان من ذلك أن نشأ علم الكلام ، وقويت شوكة الدفاع عن العقيدة ، واستطاع المسلمون أن يعبروا عن أدلة دينهم بأسلوبهم وحججهم العقلية ، بعد أن كان اعتمادهم على الأدلة النقلية التى لا يذعن لها غير المسلمين ، فلا عجب أن يكون واصل رئيس هذه الفرقة العظيمة

لسنا غاية اللسانة جدلا لايشق له غبار ، خطيبا فى طليعة الخطباء ، أثنى عليه بشار بن برد ـ وكان صديقا له قبل معرفته بالإلحاد ـ

فقال :

أبا حـذيفة قد أوتيت معجزة   من خطبة بدهت من غير تقدير

وقال يصف تفوقه على أقرانه وحسن مجانبته للراء فى كلامه ـ لأنه كان ألثغ بالراء ـ

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا   وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقـام مرتجلا تغلى بداهته   كمرجل القين لمـا حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد   قبل التصفح والإغراق فى الطلب

وكان خبيرا بفنون الكلام وضروب البيان ، فاقرأ جدله مع عمرو بن عبيد فى مسألة مرتكب الكبيرة ، تجد الحجة البلجاء ، واللغة السليمة، واقرأ خطبته التى تجنب فيها الراء تجد ألفاظه القوية، ومعانيه الغراء ، حتى لقد اشتهر تجنبه الراء على ألسنة الشعراء فجعلوه مثلا ، قال أبو محمد الخازن فى قصيدة يمدح الصاحب بن عباد :

نعم تجنب ـ لا ـ يوم العطاء   كما تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وكان شاعرا رصين الشعر يميل فيه إلى الحكمة والاعتدال . قال :

تحـامق مع الحمـق إذا ما لقيتهم   ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقـل يشقى بعقـله   كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

وكان واصل لايخشى فى مذهبـه لومة لائم ، فقـد عادى أصدقاء كثيرين منهم بشار ابن برد وكان صديقا له أشد الصداقة ، فلما علم واصل بالحاده قاطعه وقال : أما لهذا الأعمى المكتنى بأبى معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ! ولم يقف واصل عند حرصـه على دينه ودفاعه عنه ، بل أرسل الدعاة ينشرونه فى كل الأقطار، ويعلمونهم طرق الدفاع عن هذا الدين، فبعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب فأجابه خـلق كثيرون ، وبعث إلى خراسان حفص بن سالم فـدخل ترمذ ولزم المسجد ، وناظر جهم بن صفوان ـ أحد مؤسسى مذهب الجبر فى الإسلام ـ فقطعه ورجع عنه ، فلمـا عاد حفص إلى البصرة رجع جهم إلى قول الباطـل وبعث الحسن ابن ذكوان إلى الـكوفة ، وبعث عثمان الطويل إلى أرمينية . وكان متتبعا لأخبار رسله ليتعرف أحوالهم فاذا لاحظ على أحدهم خروجا عن الجادة أرسل إليه يعظه

فنرى من هذا أن واصلا كون حوله رجالا كثيرين ، و بعث بهم إلى البلدان ، وكان ناجحا فى تأسيس جمعيته وتنظيم خططها ، وقد خلد أعمال الدعاة ووصفهم أدق وصف صفوان الأنصارى فقال .

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة — إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر[١]
رجال دعاة لا يفل عزيمهم — تهكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مروا فى الشتاء تطاوعوا — وإن كان صيفا لم يخف شهر ناجز[٢]
بهجرة أوطان و بذل وكلفة — وشدة أخطار وكد المسافر
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم — وأورى بفلج للمخاصم قاهر
وأوتاد أرض الله فى كل بلدة — وموضع فتياها وعلم التشاجر(٣)
وما كان سحبان يشق غبارهم — ولا الشدق من حى هلال بن عامر
تلقب بالغزال (٤) واحد عصره — فمن لليتامى والقبيل المكاثر
ومن لحرورى (٥) وآخر رافض — وآخر مرجى وآخر حائر
وأمر بمعروف وإنكار منكر — وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فضل القول فى كل منطق — كما طبقت فى العظم مدية جازر
تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم — على عمة معروفة فى المعاشر
وسيماهمو معروفة فى وجوههم — وفى المشى حجاجا وفوق الأباعر
وفى ركعة تأتى على الليل كله — وظاهر قول فى مثال الضمائر
وفى قص هداب وإعفاء شارب — وكور على شيب يضىء لناظر

* * *

لم يأخذ واصل أجرا على درس ألقاه ، ولا شغل منصبا رسميا فى الحكومة ، بل كان يحذر الناس من التعلق بالدنيا . وانظر إلى قوله لجعفر بن محمد الصادق : «وإنك يا جعفر وابن الأئمة شغلك حب الدنيا فأصبحت بها كلفا» . وقد كفاه الله مئونة البحث عن الرزق ، فيسر له ربيبه أبا عبد الله الغزال ، فكان يستثمر له مالا فى تجارة أو ثمار ضيعة كانت له ، فلم يشغل عقله العظيم بالبحث فى اقتناص درهم أو طلب دينار . وكان يقول : المؤمن إذا جاع صبر و إذا شبع شكر . وبذلك أخذ نفسه وسار على هذا النهج فهو صابر أو شاكر "

محمود محمد زيادة
المدرس بكلية اللغة العربية

(١) له : أى لزعيم المعتزلة : واصل بن عطاء . وخلف البرابر : أى ببلاد البربر (المغرب) .
(٢) شهر ناجز : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٣) يريد علم الجدل والكلام .
(٤) الغزال لقب واصل . (٥) الحرورى نسبة إلى حروراء ، وهم الخوارج

الاسلام والاسرة

عناية الإسلام بالأسرة حقيقة انفرد بها بين شرائع الله جميعا ، فهو دين الحياة لا ريب ، يعتبرها ويرعاها ويتسع لشئونها ويعالج مشكلاتها التي تتصل بالأحياء أنفسهم ، وبما حولهم مما خلقه الله من أجلهم .

واهتمام الإسلام ببناء الأسرة ، واختيار الزوجين – وهما لبنتاها التي لا تقوم بدونهما – وبيانه للحقوق والواجبات التي أحكم العليم الخبير بها رباط الزوجية ، وجعلها دستور العيش الرغيد بين الزوجين وأبنائهما وخدمهما ، وتفصيله للآداب التي لابد منها في الاختلاط والتزاور ومعاملة الجيران ، إلى آخر ما هنالك من شئون الأسرة الإسلامية ، هو هدفنا من أحاديث تتابع – إن شاء الله – ونود أن تجتمع عليها الآذان والقلوب جميعا ، بقدر الحاجة إليها في زمن اختلطت فيه مذاهب الحياة ، وولى أقوام وجوههم شطر الغرب يستوردون تقاليده وآراءه التي تخالف موروثاتنا العزيزة ، ولاتصلح عليها حياتنا ، لأنها لم تصلح حتى اليوم – ولن تصلح – حياة الذين عرفت بهم ، وعرفوا بها ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والزواج هو سبيل هذه الأسرة التي هي لبنة في صرح المجتمع الإسلامي المتكافل ، ولن يكون مرهوب الجانب يرجى ويحذر حتى نستهدى بهدى الله ، فقدكان شرعة الدنيا ومنهاجها والمشكاة التي يتراءى في ضيائها المؤمنون ! !

وقد سأل رسول الله صلوات الله عليه عكاف بن وداعة الهلالي : ألك زوجة ؟ ! قال لا ، قال : ولاجارية ! ؟ قال : لا ، قال : وأنت صحيح موسر ؟ ! ! قال : نعم والحمدلله ، قال فأنت من إخوان الشياطين ، إما أن تكون من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع ، فان من سنتنا النكاح ، شراركم عذابكم ، ويحك يا عكاف ، تزوج ! . وما كان الإسلام بدعا في الدعوة إلى الزواج ، فهو وصية كل نبي ودعوة كل رسول ، وهو طبيعة الحياة التي لا تنهض بجنس واحد حتى يقاسمه فيها الجنس الآخر ويعملا معا

على أن تسير الحياة مسيرتها التى يكون الأحياء فيها ـ ذكورا وإناثا ـ خلفاء عن الله فى عمارة هذا الكون العظيم ! !

.. وقديما أراد فرعون أن يبيد بنى إسرائيل ويستأصل شأفتهم فمضى يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ـ وكاد يفلح فيما ابتغى وأمل ، لولا أن اقتضت رحمة الرحيم نجاة موسى عليه السلام فكان ما أراد : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وحسبنا من قصة الزواج الأول ـ زواج آدم وحواء ـ أن نذكر قول الله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

فسنلحظ بالنظرة الأولى معنى الازدواج والانسجام الذى لا يكون بين شيئين كما ينبغى أن يكون بين الزوجين ! ومن أجل ذلك عد الله الزواج من أعلام عظمته وشواهد قدرته فقال سبحانه وتعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فلقد يكون الزوج من قطر ، وتكون الزوجة من قطر آخر ، فيصنع الزواج المعجزة ، وهو يختصر الأبعاد ويدنى المسافات ويسقط الفوارق ، فتكون الأسرتان اللتان تم بينهما الإصهار أسرة واحدة تتعاطف وتتواصل كجوارح الجسد الواحد ! ! وهكذا كانت آثار الزواج الذى لم يستهدف غير هذه الغايات الشريفة ، ومن أجل هذا أصهر رسول الله إلى أبى بكر وعمر ، وزوج بناته من على وعثمان رضى الله عنهم أجمعين !

وأى معنى للسكن فى الآية الكريمة إن لم يكن هو ذلك الرضا والارتياح وارتفاع الحرج بين الزوجين ، وحين تضيق بالرجل فسيحات البلاد ، ويتبرم به بعض الناس ، ويأوى الى بيته ، مضطرب الحواس ، مبهور الأنفاس ، تتلقاه هنالك نفس برّة راضية ، تمسح متاعبه وآلامه بالكلمة اللينة والوجه الذى يشرق بما بين جانحتى شريكة الحياة من حب ومودة وإخلاص ! ! ولقد كانت خديجة رضوان الله عليها رائعة حقا حين دخل عليها رسول الله بعد الوحى الأول ، ترتجف بوادره ، فقال : زملونى زملونى ، فلما قام من نومه وقص عليها قصته فى حراء وقال : لقد خشيت على نفسى . قالت : كلا ،

والله ما يخزيك الله أبدا . ثم واصلت حديثها حتى سكن جأشه وطابت نفسه وألم كما أشارت بورقة بن نوفل !

وأم سلمة كانت ناصحة بصيرة وطبة خبيرة ، وهى تشير على رسول الله فى خلاف أصحابه عن أمره فور صلح الحديبية ، فلم ينحروا ولم يحلقوا بعد أن أمرهم بذلك ثلاثا ، فسألته أم سلمة أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا من صحبك كلمة واحدة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ! وما كاد رسول الله يفعل حتى قاموا جميعا فنحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وندما ! !

إن الزواج شطر الدين ، به تحفظ الحرمات ، وتصان الكرامات ، وتستحكم بين الناس الصلات ، وبه يبتغى النسل ، وتوضع الدعائم القوية لتواصل الحياة سعيها فى سداد ونظام « ومن تزوج فقد أحرز نصف دينه ، فليتق الله فى النصف الآخر » كما قال الرسول الكريم .

والذين يفرقون من الزواج ويتحامونه مؤثرين سبيل الانطلاق وإرخاء العنان لشهواتهم ، فارين من مؤن الزوجية وتبعاتها ، إنما يقيمون دليلا لا يدفع على خفة دينهم ، وضعف رجولتهم ، وقد جاء شاب إلى أمير المؤمنين عمر يشكو فقره ، فقال له : تزوج ، ثم قرأ قول الله تعالى : « إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » ! .

وما ينبغى أن يرد ذو فضل عن الإصهار للأحرار بسبب قلة فى المال ، أو خفاء فى المجتمع ، فقد أعظم الرسول فى ذلك النذير فقال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . . وإن الزواج لشركة حقا ، ولكنه شركة روحية ، لا صفقة تجارية ، فاذا جاء المال فى ركب الفضائل التى لابد منها فى الزواج فمرحبا به ، وإلا فسحقا سحقا ، فلقد كانت أخلاق رسول الله هى المفاخر التى قدمه بها عمه أبو طالب فى حفل زواجه بخديجة . . قال يومئذ : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن اخى لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ونخرا ونبلا ، وإن كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعرض حائل وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى » ، وكانت أخلاقه صلوات الله عليه هى حجة خديجة حين قالت لرسول

الله : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، فقد أردفت تقول : « إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » ! .

والناس يزنون طالب الزواج بما يملك من مال ، لا بما يحسن من أعمال وتناط به من آمال ، وينظرون إلى العروس من زاوية رصيدها العاجل وما سيصير إليها غدا من تراث الآباء والأجداد ، أو من أجرها ومرتبها الذى تزاحم فيه الرجال بالمناكب فى غبار المجتمع على حساب البيوت الموحشة ، وقد نسى هؤلاء الميزان الذى وضعه المعصوم صلوات الله عليه « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لجمالها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوجها لم يرد إلا أن يغض بصره ويحفظ فرجه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ! !

ولقد كان الناس فى أعصار الخير والنور لا يرعون إلا الفضل والمروءة فيمن يختارون لكرائمهم ، ولا يتطاولون لغير ذات الدين التى تغالى بأخلاقها أكثر مما تغالى بجمالها ، فان هذه أصون للشرف وأحفظ لأمانات الزوج من أخواتها الموكلات بفضاء الأرض يذرعنه ، المكاثرات ببريق الثياب ومظاهر الزينة ، وقد قال رجل للحسن : يخطب ابنتى الكثيرون فمن أزوجها ؟ ! فقال : « زوجها ممن يتقى الله ، فانه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها » ! .

ولقد خطب ابنة سعيد بن المسيب ــ وهى حاملة علم أبيها ــ جماعة من خلفاء بنى أمية وأمرائهم ، ولكنه آثردونهم تلميذه أباوداعة فى قصة طريفة فيها إعزاز العلم وأهله ، وفيها تصون الكرام عن زخارف الحياة الدنيا ! وما ازدحم هؤلاء على باب سعيد لفرط مال أو لجمال بارع ضربت بابنته فيه الأمثال ؛ ولكنهم ابتغوا بذلك المنبت الكريم ، والبيئة التى لا يزكو فيها غير النبات الطيب ، فالجمال الذى يخطف الأبصار غير الجمال الحقيقى الذى تسجد فى محاريبه البصائر ، وقد قيل قديما : إن المرأة الجميلة تسر العين ولكن المرأة الفاضلة تسر القلب ! وأين الجمال الظاهرى من جمال الروح وصفاء القلب وإشراق النفس بآداب الإسلام .

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس

ويقول صلوات الله وسلامه على صفوته من خلقه : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الجميلة فى المنبت السوء » ! وقال « تخيروا لنطفكم فأن العرق دساس » وقال : « لا تتزوجوا الحمقاء ولا الورهاء فان اللبن يعدى » وقد امتن رجل على أولاده فقال :

وأول إحساني اليكم ، تخيري لما جدة الأعراق باد عفافها

* * *

وبعد ـ فقد حث الرسول على الزواج بقدر دعوته إلى عدم المغالاة فى المهور ، فليست بناتنا سلعا نغالى لها فى الثمن ، ولكنها جواهر كريمة نبتغى لها المنزل الآمن ، والمحل الأكرم ، فهل أتى فريقا من الناس انحرفوا فى ذلك عن الصراط السوى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيسرهن صداقا أكثرهن بركة » وقوله : « لاتغالوا فى مهور النساء فانما هى سقيا الله » . . « التمس ولو خاتما من حديد » . . « تزوجها على سورة كذا أو آية كذا من القرآن » ! .

فبأى كتاب يبرر الذين يجبنون عن الزواج إعراضهم عنه ! ! وهل نراهم بعد إلا غادين إلى ذات الدين فى هذه الأضواء الدينية والاجتماعية ابتغاء رضوان الله واقرارا لعين رسول الله الذى قال : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ؟ !

« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » م

معوض عوض ابراهيم
الواعظ العام

حرية الصحافة عندنا

كتب الأستاذ جمال العطيفى المحامى إلى الأهرام يقول :

« إن الطريقة التى مازالت تنشر بها الصحافة أخبار الحوادث والتحقيقات ، بل ومجرد البلاغات ، هى أقرب إلى التجسس وترصد خطوات الناس وتسقط هفواتهم والتشهير بهم والاعتداء على حرمة خصوصياتهم »

وإنها فى ممارستها حريتها تعتدى بذلك على حريات الناس .

إننا لا نريد حق النشر أن ينقلب فيصبح شهوة النشر .

حكم تلحين القرآن

كثر الكلام فى هـذه الأيام عن تلحين القرآن ، وهـل هو حلال مقبول أو حرام محظـور ؟

ونمهد لذلك بكلمة فنقول :

إن القرآن هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، هو اللفظ العربى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المنقول عنه نقلا متواترا ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سـورة منه . وقد استمر نقله واتصلت روايته لفظا وتلاوة بالتواتر القاطع من لدن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى وقتنا هذا .

وهى مزية — كما قال الحافظ ابن حزم فى الملل والنحل — خص الله بها المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ؛ ولذلك بقى القرآن غضا جديدا على مر الدهور .

وقد اعتنى المسلمون ـ وبخاصة القراء منهم ـ بالقرآن عناية لم يعنوا بها لشىء ما فى هذا الوجود ؛ فاستنبط أئمتهم « من التلاوة المروية أحكاما ضابطة لها » ووضعوا قواعد ومعايير لكيفية النطق المشروع الذى نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ من المد والهمس والإدغام والوقف والإمالة وما إلى ذلك من أحكام تجعـل قراءة القارئ مطابقة كل المطابقة لقـراءة النبى عليه الصلاة والسلام ، وليتلى القـرآن بالكيفية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم رواية متصلة اتصالا لا ريب فيه .

وبعد هذا التمهيد نقول :

إننا إذا أردنا تكوين رأى صحيح فى التلحين مبنى على أسس صحيحـة نرى أن نورد الأسئلة الآتية ، ونطلب إجابة واضحة محددة عنها ، فالإجابة عنها هكذا فيها القول الفصل والحكم العدل :

١ — ما المراد بالتلحين ؟ ٢ — وما الحاجة الداعية إليه ؟

٣ — وما مدى معرفة الذين يريدون التلحين بقواعد التلاوة و بعلوم القرآن ؟

فأن كا مراد المنادين بالتلحين هو تحسين الصوت بالقرآن تحسينا يبعث على تدبره وتفهمه وتكون به القراءة أشد تأثيرا فى النفس، وخشوعا فى القلب، واعتبارا فى العقل، فذلك جائز لامرية فيه، بل هو مطلوب مرغوب؛ قال جل شأنه: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب» وقال سبحانه تنديدا بالمعاندين: «أفلا يتدبرون القرآن» وقال عز من قائل: «ورتل القرآن ترتيلا».

والترتيل فى قراءة القرآن – كما قال القرطبى فى تفسيره، وكما قال البدر العينى فى شرحه للبخارى – هو التأنى فى أدائها وتبيين حروفها وحركاتها، لتكون أدعى إلى فهم معانيها.

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ علىّ. قال: قلت أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى. قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» قال لى: كف، أو: أمسك، فرأيت عينيه تذرفان».

فهذه الآيات والأحاديث وكثير مثلها تدل بجلاء على أن المطلوب بالقراءة إنما هى القراءة التى تذكر الإنسان بربه، وتبعثه على تدبر القرآن وتفهم معانيه، وتؤثر فى نفسه التأثير الذى يحرك قلبه ويجعله خاشعا حتى تذرف عيناه كما ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالله الذى نزله يقول فيه: «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد».

ويقول سبحانه: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله».

وروى الطبرانى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن فيه» [١].

وإن كان المراد تطريبه والتغنى به بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقى الذى يشغل السامع بلذة الصوت وحسن المقطع عن المعنى المراد والخشوع

---

[١] فضائل القرآن لابن كثير ص ١٩٢

المطلوب دون تقيد بقوانين القراءة ، وقواعد التلاوة ، فالقرآن ينزه عن هذا ؛ ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك ؛ فقد روى الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجئ قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » [١] .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا تهذوا بالقرآن هذّ الشعر [٢] ، ولا تنثروه نثر الدّقل [٣] ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب [٤] .

وروى البخارى بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبى صلى الله عليه وسلم أن يتغنى بالقرآن ؛ وقال صاحب له : يريد يجهر به » . وقال الكرمانى : يجهر به معناه بتحسين صوته وتحزينه وترقيقه ويستحب ذلك ما لم تخرجه الألحان عن حد القراءة ؛ فإن أفرط حتى زاد حرفا أو أخفى حرفا فهو حرام [٥] .

والخلاصة أن الذين ينادون بالتلحين إن كانوا يريدون المعنى الأول فنحن وهم على سواء .

وإن كانوا يريدون المعنى الآخر — ولعله الظاهر عرفا — فقد بان خطره ، ووضحت حرمته وعدم إباحته .

ولعلهم يزعمون أن تلحين القرآن وتطريبه من دواعى كثرة ترديده وحفظه ؛ وهو أمر مطلوب مرغوب شرعا ، وما دام الأمر كذلك فكيف لا يكون مباحا ؛ ألا ترى

---

[١] فضائل القرآن لابن كثير ص ١٢٦

[٢] الهذ بالذال المعجمة المشددة سرعة القطع والمرور فيه من غير تأمل للمعنى كما ينشد الشعر وتعد أبياته وقوافيه ـ العينى.

[٣] الدقل : أردأ التمر .

[٤] زاد المعادج ١ ص ١٢٦ ، وقريب منه فى البخارى باب الترتيل فى القراءة .

[٥] العينى على البخارى باب من لم يتغن بالقرآن .

أن كثيرا من قصائد المديح حفظها الناس حينما لحنها الملحنون ، وغناها المغنون ، ولولا ذلك ما حفظها إلا قل من الناس .

وهذا كلام ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ؛ فلو سلمنا أن تلحين القرآن على هذا النحو من دواعى حفظه فلا يصلح ذلك عذرا لنا أمام الله تعالى ؛ فتطريبه والنطق به على غير النحو الذى نزل به والذى تواترت القراءة به من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا تغيير لما أنزل الله ، ولما وعد به فى كتابه من حفظه كما نزله .

ونحن الآن نكتب القرآن طبق ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بكتابته ، وكما أجمع عليه أمر الصحابة فى زمن عثمان رضى الله عنه ، ولم تزل هذه الطريقة مثبتة مرعية إلى وقتنا هذا ، على الرغم من أنها لا تمشى فى بعض الأحايين مع قواعد الإملاء المعروفة لنا .

وإذا كنا نبالغ فى المحافظة على رسمه وكتابته إلى هذا الحد ، أفلا نبالغ فى المحافظة على نطقه وقراءته كما قرأه الرسول صلوات الله عليه ، وكما تلقاه عنه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

والسر فى هذا ظاهر غير خفى ؛ فالمسلمون يريدون أن يحافظوا على كتابهم كما نقل إليهم بالتواتر الذى لا ريب فيه ، وهذه ميزة للقرآن امتاز بها عن سائر الكتب السماوية ، فلا يستطيع إنسان فى هذا العالم أن يزعم أن شيئا مما فى التوراة والإنجيل هو نفس الألفاظ التى نطق بها موسى أو عيسى عليهما السلام .

أما نحن معاشر المسلمين فلنا أن نفاخر بأن كتابنا الذى نقرؤه ونكتبه نقرؤه كما قرأه نبينا على أسلافنا ، وكما كتبه وقرأه الصحابة الذين سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ؛ يقول الإمام الحافظ ابن حزم فى الملل والنحل : « وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل (يعنى المتواتر) شىء أصلا » .

إذن فقراءتنا للقرآن كما وصل إلينا ميزة لكتابنا — كما قلنا — لا يعدلها أى شىء مهما كان ، ولو كان ذلك الشىء من عوامل حفظه وكثرة ترديده .

إذا ثبت ذلك فما الحاجة التى تدعو للتلحين ؟

لا نريد أن نتهم مسلما بأنه يريد سوءا بالقرآن، فمعاذ الله أن يكون منا ذلك لمسلم كائنا من كان ، فقد نص فقهاؤنا رحمهم الله فى مثل ما نحن فيه على أنه يجب حمل حال المسلم على الصلاح إذا ما بدر منه ما يعتبر انحرافا عن الجادة وميلا عن الصراط المستقيم .

وأغلب الظن عندنا أن تلك الفكرة التى يتحمس لها البعض ما هى إلا دسيسة أدخلت بطريقة لامعة براقة على بعض السذج من المسلمين وزينت لهم حتى اعتنقوها وآمنوا بها بل سعوا إلى ترويجها لاعتقادهم أن فى ذلك الخير لكتاب الله تعالى .

على أننا نسأل هؤلاء الذين ينادون بالتلحين عن السر فى إثارة مثل هذه الموضوعات الآن ؟

ولمصلحة من إثارتها ؟ وما المفسدة التى يجب درؤها فى بقاء التلاوة على الكيفية نقرأ بها والتى وصلت إلينا متواترة من نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا أشك فى أنهم لا يحيرون جوابا ولا يستطيعون قولا .

ثم نسألهم مرة أخرى عن مدى معرفتهم بقواعد التلاوة المروية وبعلوم القرآن . إنهم بلا شك لا يعرفون من علومه إلا النزر القليل الذى لا يغنى عن الحق فتيلا ، فأولى بهم ثم أولى أن يدعوا ما لا يعرفون إلى ما يحسنون القول فيه . هدانا الله وإياهم سواء السبيل .

وصفوة القول أن التلحين الذى يخل بجلال القرآن وبتدبره وخشوع القلب لا يقره مسلم ولا يرضاه لكتاب الله الذى أنزل هدى ونورا ، وموعظة واعتبارا وتدبرا وإرشادا فتلحينه وتطريبه بالمعنى الذى يقصد إليه المنادون بالتلحين خروج بهذا الذكر الحكيم والنور المبين إلى غير ما أنزل من أجله وانحراف مهين إلى غير وجهه .

ويقيننا أن إخواننا الذين يدعون للتلحين لو عرفوا حقيقة الأمر لما دعوا إليه ، ولنأوا بجانبهم وأعرضوا عن هذه الوساوس التى يزينها الشياطين ويوسوسون بها .

وفقنا الله وإياهم للعمل بالقرآن وهدى القرآن ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء . والسلام على من اتبع الهدى .

أبو زيد شلبى
أستاذ بكلية أصول الدين

دعائم المجتمع الاسلامى :

مظاهر النظام فى الاسلام

النظام أساس هذا الكون الرحيب الواسع ؛ ولو فسد النظام فى الكون لفسد أمر السموات والأرض ومن فيهن . وقد أبدع البارئ ملكه على أدق نظام وأعمق إحسان ، وقال سبحانه : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » . وقد أوجد الله الإنسان والمكان والزمان ، وألهمنا أن لكل إنسان فى الحياة عملا يقوم به ، وينبغى له أن يحسنه ؛ وأن لكل مكان ما يناسبه ويلائمه ، وأن الزمان يجب أن يكون فرصة للعمل والسعى ، وإلا انقلب غصة ؛ ولا يمكن الانتفاع بهذا الزمان على وجهه إلا إذا عرف الإنسان له حدودا ، وأخضعه للنظام والترتيب ، ولاءم بين زمانه وأعماله ، وقد أشار تبارك وتعالى إلى مثل هذا الضبط والتنظيم بقوله : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » .

والمشاهد أن كثيرا من الناس لايحسنون السعى أو التصرف فى الحياة بسبب مخالفتهم مبادئ النظام وقواعد الترتيب ؛ فهم يخلطون عملا بعمل ، وقد يقبلون على العمل فى غير إبانه ، فلا يأتى على وجهه ، وقد يؤخرون العمل عن أوانه ، فيجور على وقت غيره من الأعمال ، وقد يسرفون فى العمل ، فيؤدى بهم هذا الإسراف بعد قليل إلى إسراف فى الركود والكسل ؛ إلى غير ذلك من مظاهر الفوضى والاضطراب .

والإسلام الحكيم القويم قد أعطى النظام حقه الموفور من العناية والاهتمام ، ليلفت الأبصار والبصائر إليه ، ويحمل أتباعه عليه ، فلا يقولون ولا يعملون ولا يسعون فى حياتهم إلا بنظام وإحكام ؛ وإذا نظرنا القواعد الأساسية التى بنى عليها الإسلام وجدناها تنهض بالنظام وعلى النظام ؛ فكلمة التوحيد نظام فى الاعتقاد ، إذ هى إقرار بالعبودية لإله واحد لا يشركه فى ملكه أو تدبيره سواه ؛ وإذا توافر الإخلاص فى ذلك

الاعتقاد استقام العبد على طريق واحد مستقيم ، ولم تتفرق به السبل عن وجه ربه . .
ولا شك أن توحيد الطريق المعروف الغاية والنهاية نظام أى نظام ...

* * *

وهذه الصلاة اليومية المتكررة خمس مرات كل يوم وليلة ، أقامها الله على النظام والتحديد ، ولم يدعها مبهمة غامضة متروكة لهوى المرء الذى قد يضل وقد ينسى ، فقال تبارك وتعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . أى فرضا ثابتا ثبوت الكتابة فى اللوح أو الطرس ؟ وموقوتا أى منجما فى أوقات معلومة محدودة ، لابد من أدائها فيها قدرا لإمكان ؛ والله يطالب بها حتى فى مواطن عدم الاستقرار ، فهو يقبل الصلاة مقصورة فى السفر ، ومقسومة فى حال الحرب ، وغير كاملة الهيئات والحركات فى المرض المانع من الإتيان بكل حركاتها ؛ فذلك الأداء المحدود فى الموعد المحدد خير من تأخيرها عن ميقاتها لتأديتها كاملة فيما بعد ؛ وهذا تنظيم بليغ ، وربط حكيم بين الوقت والعمل المخصص له .

عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . ثم كتب أن صلوا الظهر إذا كان الفىء (أى الظل) ذراعا ، إلى أن يكون ظل أحدكم مثله ؛ والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس ؛ والمغرب إذا غربت الشمس ؛ والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل ، فمن نام فلا نامت عينه ، فمن نامت فلا نامت عينه ؛ والصبح والنجوم بادية مشتبكة . . . وهذا تبيان عمرى ، يحكى ما نظمه الإسلام على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام من أمر الصلاة ومواقيت الصلاة .

* * *

وهذا هو الصيام . . . لم يكتب الله علينا مطلق صوم ، ولم يكلفنا بمدة صوم مجهولة أو متروكة لتقدير كل إنسان ؛ بل نظم ذلك وحدده ، فقال تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات »

أى محـدّدات معينات بالعدد ، وهى أيام رمضان الذى ذكره عقب ذلك بقوله عز من قائل : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان » .

وزاد الإسلام الصوم تنظيما وتحديدا ، بجعل لبدايته حدا معلوما هو الفجر ، ولنهايته حدا معلوما هو غروب الشمس .

وتعقب السنة القرآن المجيد فى توضيح أمر الصيام ، فيقول الحديث : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدد ثلاثين » .

* * *

والزكاة وهى نصيب الفقراء فى مال الأغنياء ، وهى الحق الواجب للسائل والمحروم ، لم يتركها الله سبحانه غامضة مبهمة ، ولم يكلها فى مقاديرها ومواعيدها إلى النفوس التى قد تشح وقد تبخس ، بل حـدّد الإسلام مواعيدها ومصارفها ، وأحصت السنة الأشياء التى تجب فيها ، وفصلت الكثير من أمورها ؛ وفى القرآن الـكريم : وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين » .

فزكاة الزرع تجب يوم القطـف والجنى عندما يطيب المزروع ، وزكاة المـال تجب عنـد ما يحول عليه الحول ويتم على حيازته العام ، والمقدار معلوم ، فهو إما العشر ، وإما نصف العشر ، والمستحقون للزكاة حددتهم آية التوبة ، والآية الـكريمة السابقة تنهى عن الإسراف وتذم أمره ، والإسراف إما إفراط أو تفـريط ، وليس بينهما إلا التوسط والاعتدال ، وذلك هو عين النظام .

* * *

ثم يأتى الحج ، ذلك الغرض الواجب فى العمر مرة واحدة . . . لم يدعـه الله للهوى والاختيار ، بل حدد وقته ، ونظم عمله ، ورتب شئونه ، ودعا الناس إليه فى وقت واحد ومكان واحد ، وحول بيت واحد ، ولهدف واحـد ، والقرآن الـكريم يقول : « الحج

أشهر معــلومات ، فمن فرض فيهن الحج فــلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب » .

فيحرم المسلم بالحج فى أشهره المعلومات المحدودة ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، والوقوف بعرفة يجب أن يــكون فى اليوم التاسع من ذى الحجــة ، وبقيــة المناسك فى أيام العيد . وبعد الآية السابقة بآيات يقول القرآن المجيد : « واذكروا الله فى أيام معدودات ، فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه تحشرون » .

والأيام المعدودات هى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة ، وهى الأيام المعينة المحددة لرمى الجمار ونحر الضحايا والهدى ؛ وقــد جمعت الآية بين التحديد وبين التوسعــة الخفيفة ، فمن فعل ذلك فى اليومين الأولين جاز ، ومن أخر إلى الثالث جاز ، ولكن لايخرج عن الثلاثة . . .

ولو استعرضنا أمور الزواج والطلاق والعدة والرضاع والبيوع والمعاملات فى الإسلام، لوجــدناها مقامة على التنظيم والتنسيق ، وهذا كله يوحى إلى المسلم أن يكون فى أمره على نظام ، لأن النظام يوفر المجهود ، ويضاعف الثمرة ، بينما تذهب الفوضى بالجهود ، وتقضى على الثمرات .

إن الله أقام كونه على النظام ، وجاء القرآن بالنظام ، وبنيت قواعد الإســلام على النظام، فيجب أن نكون أمة النظام . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

شفاعة المروءة

رفع رجل إلى أمير المؤمنين عمر فى جرم اقترفه ، فأراد معاقبته ، فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبوه من صاحبه » .

حظوظ الدنيا وحظوظ الآخرة

عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا ـ وسعد جالس فيهم ـ قال سعد : فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من لم يعطه ، وهو أعجبهم إلى . فقلت يارسول الله ، مالك عن فلان . فوالله إنى لأراه مؤمنا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . قال فسكت قليلا . ثم غلبنى ما أعلم منه ، فقلت : يارسول الله ، مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمنا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . قال : فسكت قليلا . ثم غلبنى ماعلمت منه ، فقلت : يارسول الله ، مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمنا ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . إنى لأعطى الرجل ـ وغيره أحب إلى منه ـ خشية أن يكب فى النار على وجهه .

رواه البخارى ومسلم فى الإيمان والزكاة . واللفظ لمسلم فى الزكاة .

تقديم : أعطى رهطا . أى مالا . والرهط العدد من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى الأربعين . والأول هو المشهور ، ومعنى أعجبهم إلى : أفضلهم وأصلحهم فى اعتقادى ، وفلان : كناية عن اسم أبهم بعد أن ذكر . لأنه لم يتعلق ببيانه غرض . والمراد به فى الحديث جعيل بن سراقة الضمرى المهاجرى رضى الله عنه ، وتقدير مالك عن فلان ؟ ! أى أى سبب لعدولك بالعطاء عنه . والاستفهام هنا للتعجب من ذلك . وقد يجوز أن يكون على حقيقته التى هى طلب العلم أى بالسبب ، ويروى : لأراه . بفتح الهمزة : أى لأعلمه ، وبضمها : أى لأظنه . وجزم بالثانى القرطبى وغيره ، ولم يجوزه النووى محتجا بقوله الآتى : ثم غلبنى ما أعلم منه . ونوقش بأن العلم قد يأتى بمعنى الظن الغالب كقوله تعالى « فان علمتموهن مؤمنات » ، و « أو » فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . بمعنى : بل . مثلها فى قوله تعالى « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » على أحد القولين فيها ، وفى العبارة حذف تقديره : قل : إنى لأراه مسلما ، والإيمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإسلام معناه الانقياد والدخول فى السلم . وهو إظهار الإيمان ، والإقرار بالشهادتين باللسان ، والعمل بالأركان .

قال تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا » ولما كان الإيمان من أفعال القلوب وعلمها عند الله أرشد النبي صلى الله عليه وسلم سعدا إلى أن يحكم بالظاهر . وهو الإسلام . لا بالباطن . وهو الإيمان . هـذا وقد يتساوى معنى الايمان والاسلام كما هو شأن المسلمين الصادقين . ولـكن ذلك علمه عند الله تعالى كقوله « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » وقوله « إن الدين عنـد الله الاسلام » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « خشية أن يكب فى النار على وجهه » . مبنى للمجهول من كبه إذا صرعه وألقاه على وجهه . واللازم منه أكب على عكس القاعدة والضمير فيه عائد على الرجل وهو المعطى . أى إنى لأعطى الرجل خشية أن يكب إذا لم أعطه فى النار على وجهه بكفره أو عصيانه لتعلقه بالدنيا ، وفتنته بها .

المعـنى :

قال النووى فى شرح مسلم : معنى هذا الحديث أن سعدا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى ناسا ، ويترك من هو أفضل منهم فى الدين ، وظن أن العطاء يكون بحسب الفضائل فى الدين ، وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم حال هذا الانسان المتروك فأعلمه به ، وحلف أنه يعلمه مؤمنا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . فلم يفهم منه النهى عن الشفاعة فيه مرة أخرى .

هذا كلام النووى . وأوضح منه أنه نهى عن الحكم على الرجل بما لايعلمه إلا الله ، وهو الإيمان . لأنه من صفات القلوب ، وإرشاد لما هو الأولى بالحكم به . وهو الاسلام . لأنه ظاهر لكل إنسان ، وقد نحا النووى نفسه هذا المنحى فى شرح هذا الحديث فى موضع آخر فقال : ليس فيه إنكار كونه مؤمنا ، بل معناه أن لفظ الاسلام أولى به . فان الاسلام معلوم بحكم الظاهر ، وأما الايمان فباطن لا يعلمه إلا الله . قال النووى . فسكت ثم رآه من هو دونه بكثير فغلبه ما يعلم من حسن حال ذلك الانسان فقال : يارسول الله ، مالك عن فلان ؟ ! تذكيرا . وجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم هم بعطائه من المرة الأولى ثم نسيه فأراد تذكيره . هـذا كلام النووى . ويحتمل سؤل سعد أو تعجبه أن يكون قد فهم من صرف العطاء عن هـذا الرجل أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يعده من المؤمنين . بل ينكر ذلك وينفيه . بدليل هذا التكرار فى السؤال مع ما صحبه من ضروب التأكيد .

ثم قال النووى : وهكذا المرة الثالثة إلى أن أعلمه النبى صلى الله عليه وسلم أن العطاء ليس هو على حسب الفضائل فى الدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله فى النار » .

معناه : إنى أعطى ناسا مؤلفة فى إيمانهم ضعف لو لم أعطهم كفروا فيكبهم الله فى النار ، وأترك أقواما أحب إلى من الذين أعطيتهم ، ولا أتركهم احتقارا لهم ، ولا لنقص فى دينهم ، ولا إهمالا لجانبهم . بل أكلهم إلى ماجعل الله فى قلوبهم من النور والإيمان التام ، وأثق بأنهم لايتزلزل إيمانهم لكماله ؛ وقد ثبت هذا المعنى فى صحيح البخارى . (أى فى حديث آخر فان هذا أيضا من رواية) عن عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو سبى فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا . فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله تعالى ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله إنى لأعطى الرجل وأدع الرجل ، والذى أدع أحب إلى من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما إلى ماجعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير .

هذا وينبغى أن نأخذ من مثل هذا الحديث عظة شافية لما فى صدورنا معشر المؤمنين فيما نلاقى من حلو العيش ومره ، وخير الزمان وشره . فان ما كان من ذلك على هوى النفس ورضاها ليس مقياسا لمنزلة الإنسان عند ربه ، ولا دليلا على مرتبته فى دينه ، كما أن ما يصيبه مما يكره ليس دليلا على سخط الله عليه ، ولا على تقصير فى عبادته . ولا منافاة بين ذلك وبين ارتباط البركات العامة فى المال والبنين باستقامة الأمم ، وصلاح الجماعات . كما يقول الله تعالى فى أهل الكتاب «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » وكما يقول جل شأنه « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا» وكما يقول حكاية عن نوح عليه السلام يعظ به قومه ويبشرهم « إستغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » . . فان ذلك هو الحكم العام الذى كتبه الله ـ والله أعلم ـ لعامة المؤمنين عونا لهم على الثبوت على الإيمان والأخذ بالدين ، وإعزازا للأمم المؤمنة بين العالمين ، وإعفاء لجمهرتهم مما لا يحتمله ولا يطيقه إلا القلة من خواص المؤمنين الذين جعل الله غناهم فى قلوبهم ، وسعادتهم فيما عند ربهم ، وفى هذا يقول سفيان الثورى وهو من أئمة الزاهدين ـ رحمه الله :

لو يعلم الملوك ما فى قلوبنا من الغنى لجالدونا عليه بالسيوف . وصدق . ففى الحديث « ليس الغنى عن كثرة العرض . ولكن الغنى غنى النفس » وقد أفصح بمثل هذا الفرق بين الأمم والأفراد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة « والله يرزق من يشاء بغير حساب » قال بعد بيان أن الأبرار والفجار يعنى أفرادهم فى الجملة أمام ذلك الحكم سواء إلا ما يؤثر به الله الأبرار من الأحوال والخصال التى تجعلهم أقوى على الصبر والاحتمال : وأما الأمم فأمرها على غير هذا . فان الأمة التى ترونها فقيرة ذليلة معدمة مهينة لا يمكن أن تكون متقية لأسباب نعم الله وسخطه . بالجرى على سننه الحكيمة وشريعته العادلة . ولم يكن من سنة الله تعالى أن يرزق الأمة العزة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تحتسب ولا تقدر ، ولا تعمل ولا تدبر . بل يعطيها بعملها ويسلبها بزللها (١) .

هذا وفى الحديث من دلائل النبوة علم النبى صلى الله عليه وسلم بأحوال القلوب . فهو يعطى القلوب الجزعة الهالعة ، ويكل الأخرى إلى ما جعل الله فيها من الغنى والخير ، وهذا مما يجعل العطاء على هذا الوجه من خواصه صلى الله عليه وسلم، وقد روى عن بعض هؤلاء المؤلفه قلوبهم أنهم كانوا يسلمون طمعا فى العطاء فلا تغرب شمس ذلك اليوم على أحدهم إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس . فقد جرى هذا العطاء إذن مجرى الدواء لبعض أمراض القلوب التى عافى الله منها كل ذى قلب سليم من خواص المؤمنين .

ولا منافاة بين هذا الحديث أيضا وبين الحض على العمل والكسب وابتغاء الخير كالذى سبق لنا فى بعض أعداد هذه المجلة [٢] فى حديث « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » فقد علمت من مقاصد العمل والكسب هنالك ما يجعله عبادة محضة . كسد حاجة النفس ، وحفظ ماء الوجه ، وصيانة العرض ، وصلة الرحم ، وإغناء الوارث ، وإغاثة الملهوف ، والعون على نوائب المعروف، وإعلاء كلمة الحق ، ونصرة الدين . وكل أولئك لا يجعل الدنيا مقصدا ولا غاية لهؤلاء العاملين المخلصين . كما لم تكن دليلا على حال الصالحين ، ولا مقياسا لمنزلة المتقين .

---

(١) تفسير المنار جـ ٢ ص ٢٧٤ و ص ٢٧٥

(٢) جزء ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ

أغراض الحديث وما يؤخذ منه :

فى الحديث كما قال النووى :

(١) الشفاعة إلى ولاة الأمور فيما ليس بمحرم .

(٢) وفيه مراجعة المسئول فى الأمر الواحد .

(٣) وفيه تنبيه المفضول الفاضل على ما يراه مصلحة .

(٤) وفيه أن الفاضل لا يقبل ما يشار عليه به مطلقا بل يتأمله فان لم تظهر مصلحة لم يعمل به .

(٥) وفيه كما قال هو وغيره أن الإمام يصرف المال فى مصالح المسلمين الأهم فالأهم

(٦) هذا وفيه غير ما ذكر هنا الإرشاد إلى ما هو الأولى من الحكم بالظاهر وترك الحكم بالباطن .

(٧) وفيه مثل من مجاهدة الأنبياء عليهم السلام لنفوسهم فى القيام بأمر الدين حتى إنهم ليمنعون على المحبة ويعطون على العداوة . كما يفعل الأطباء فى منع ما يضر وإعطاء ما ينفع من الدواء .

محمود فرج العقده
المدرس بكلية اللغة العربية

الاعتدال

من شاء أن يربى أبناءه على مبادئ الحرية فلينفث فيهم روح الاعتدال والبساطة ، ولا يخشى تأثير ذلك فى السعادة ، فان الاعتدال من أسباب الحصول عليها .

شارل وايز

من غرائب الاستشهاد فى تاريخ الإسلام :

موسى بن أبى الغسان

ليث الأندلس الشهيد [١]

أعندكم نبأ عن أهـل أندلس	فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم	أسرى وقتلى ، فما يهتز إنسان !

(الرندى)

نعجب بالبطل الكمى إذا قاد الجحافل الجرارة ، من نصر إلى نصر ، ورمى بأبطاله المغاوير من ميدان إلى ميدان ، فأحرز المفاخر الرائعة بجهادهم المستميت ، وتركوا لاسمه الخالد صدى يدوى ، وذكرا يتردد ، وهو من ورائهم يرسم الخطة ويدير المعركة حتى يقتعد غارب المجد ، معتمدا على جنوده الأشاوس ، وقواه الهائلة ، مع ما منحه الله من شجاعة حازمة وعقل مدبر حصيف .

ولكن العجب يتجاوز حده فيصل إلى الروعة والإدهاش حين نرى بطلا آخر لا يملك من الجنود كتائب متراحمة ، ولا يحرز من الذخيرة قوى متناسبة ، بل يركن إلى نفر قليل من ذوى العزم ، ويقف أمام عدد محتشد متكاثر يموج فى آلاته وأسلحته وقذائفه ، ومع ذلك كله نرى البطل المغامر يقذف بنفسه فى لجج الموت ، ويتصور أن كتيبته المحدودة قوة عاتية ، فيهجم بها كالإعصار ، وينقض أمامها كالصاعقة ، لا يعبأ بعاقبة ، ولا يهتم بموت ، بل إنه ليتأكد من الخاتمة الرهيبة ، ثم لا ينى فى اندفاعه ملبيا نداء البطولة ، ومرحبا بالاستشهاد فى سبيل المبدأ والعقيدة ، فاذا أبطأ عليه قليلا طار إليه موفور الكرامة

---

[١] انظر مسرحية [فارس غرناطة] فى الجزءين الثالث والرابع من سنتنا السادسة والعشرين

مرفوع الرأس ، ليرشد الأجيال القادمة إلى أن الموت فى نور الحرية يفضل الحياة فى ليل المذلة والاستعباد ، وهذا ما فعله البطل الأندلسى العظيم موسى بن أبى الغسان ! !

ونحن لا يمكننا أن نعقد موازنة مابين هـذا البطل العظيم ، وغيره ممن اعتمـدوا فى انتصاراتهم على الذخيرة الموفورة ، والعدد الكثير ، فبطلنا المغوار فدائى يطلب الشهادة غير مترقب جاها فى دولة أو منصبا فى مملكة ، والثانى رجل باسل تزدحم فى صدره الآمال ، ويترقب اليوم الذى يتألق فيه كوكبه على مسرح السياسة والسلطان ، وبهذا الأمل المشرق يندفع بجيشه الحافل ، وعدده المتكاثر ، ولئن جاز لنا أن نقدر فيه روائع البطولة ، وعظمة القيادة ، فان تقديرنا العظيم ليتزايد ويمتد إلى أقصى مدى يتاح لذلك الذى فقـد الأمل فى أحلك مواقفه ، فأثبت فى الكريهة قدميه ليموت مرفوع الجبين ، كريم الإباء .

كان موسى بن أبى الغسان فارس غرناطة من أشجع من عرفهم التاريخ من الأبطال ، وقد انتمى إلى أكرم اصـول العرب فى غرناطة ، فأورثه محتده العربى همة عاليـة وإباء عنيفا ، واتخذه الشباب الغرناطى مثلا نادرا فى الفروسية والبطولة ، وتطلعت العقائل من وراء الخدور ليشهدنه — ممتطيا جواده — فى درعه السابغ ، وسيفه اللامع ، وقد سارت أحاديث بطولته ، فأرهبت العدو الزاحف ، ولو تقدم به الزمن حينا ما لاستطاع أن ينقذ الإسلام بكفاءته وفدائيته ، ولكنه أتى فى الرمق الأخير ، وشاهد الاحتضار الفاجع ، فما استطاع أن يدفع بالحياة إلى ميت طريح ! !

كانت غرناطة فى أيامها الأخيرة مصابة بما أصيبت به الأندلس عامة من تنازع المطامع ، وتناحر الأهواء ، واشتـداد الفتن والثورات ، وتسلط الأجنبيات من بنـات النصـارى ، ذوات الضغائن والأحقاد ، على الصعاليك من الملوك والوزراء . ولئن كان ابن حزم قد قال فى أيامه « قضية لم يأت الدهر بمثلها ، أربعة رجال يسمى كل واحد منهم نفسه أمير المؤمنين : واحد باشبيلية ، والثانى بالجزيرة الخضراء ، والثالث بمالقة ، والرابع بسبتة » فان الشر بعد ابن حزم قد تفاقم وتطاير حتى كادت كل مدينـة أن تصبح بنفسها ذات ملك وإدارة وجيش ! ! بينما أخذ العـدو يتجمع ويتآزر وقد فتح عينيه على المـدن الإسلامية ، ينصب الأشراك ويقيم الثورات ، ويبعث الدسائس والأرصاد ، حتى أفلح فى تقويض الصرح الشاهق فأنهار متخاذل الدعائم ، مفتت اللبنات .

وكان من الحظ الأشأم أن تسلم غرناطة مقاليدها قبل مصرعها الأخير إلى أبى عبد الله ابن الأحمر ، وهو ملك لم يخلق للقيادة والكفاح ، بل انحصرت آماله وانكمشت آفاقه إلى مدى يحتقره ذو و الهمم والمطامح ! ! ثم هو فى الوقت نفسه يرضى بأن يكون آلة مسخرة فى يد « فردنناند الخامس » يضرب به ذوى قرابته من المسلمين فتقوم الثورات الداخلية وتتزايد الحرب الأهلية ثم يهيئ له ملك الفرنجة محاربة عمه « محمد بن سعيد الزغل » فتنقسم غرناطة الصغيرة إلى قسمين : قسم يحكمه أبو عبد الله وقسم يسيطر عليه عمـــه ، ويهتبل فرديناند فرصة التناحر الداخلى فينقض أولا على « الزغل » ويخلص منـه خلوصا يضمن له السيطرة على بلاده المحدودة ! وإذ ذاك يتابع خطته الماكرة فيزحف إلى غرناطة وهى يومئذ عزلاء شلاء ! ! فيهجم عليها هجوم الصاعقة ، وتحين الساعة الفاصلة لتصطرع القـلة المتخاذلة مع العدو الحاقد فى قوته العاتية وبأسه الشديد ! !

إن سياسة « فرق تسد » تلك التى يستغلها الاستعمار الغـربى فى عصرنا الراهن ، ليست وليدة هذا القرن ، ولـكن جذورها تمتد فى أعماق الأجيال إلى مدى شاسع يعرفه من يطالع صحف التاريخ ، ويلم بالبواعث الأصيلة لسقوط الحضارات وانهيار الأمجـاد ، ومع أن تاريخ الأندلس فى عهـد ملوك الطوائف حافل بشتى العظات البـالغة ، والعبر القاسية ، فأن هذا الملك الصغير قد أغمض عينيه عما يزدحم به الأفق من غواش دامسة ، وأوصد أذنه عمـا تقدم به الناصحون من رأب الصـدع ، وجمع الـكلمة ، ولن نعفى عمه من التثريب والملامة ، فقـد كان عليه أن يكون أشد حصافة ، وأوسع إدراكا ، فيجنح إلى المسالمة ، فى جو تحوم فيه النسور الجارحة فوق ضعاف العصافير ، ولـكنها الأنانية المفرطة التى تقدس الذات وتهوى بالمثل الرفيعة ، مهما رجفت الأهـوال وتطـايرت الخطوب ، وها هو ذا فرديناند يزحف بخيله ورجله ليمحو العروبة والإسلام من ربوعهما الزاهرة ! ! وليصفع هذين القزمين صفعة أليمة تهوى بهما إلى القاع ! ! ثم تدور الدائرة فلا تبقى لدى الرجلين غير ذكريات حزينة يلفها الأسى وتـكفنها الأشجان ! !

سارت جيوش العدو إلى غرناطة وقد حسبتها مائدة حلوة الازدراد ، ومنهلا عذب الورود ، ففرديناند أدرى الناس بتضعضع ابن الأحمر وتخـاذله ، ولـكنه لا يدرى أن الأقدار قـد اصطفت موسى بن أبى الغسان ليجرعه كؤوس العلقم والصاب ، فقـد بادر القائد العربى الباسل إلى تنظيم السرايا ، وتهيئة العدد ، وأخذ يقود الكتائب بنفسه ، وينقض على الجمع المتكاثر ، مع الصفوة المختـارة من جنوده ، فيثخن ويصرع ! !

ويظهر من خوارق البطولة ما يفوق الظنون ويعدو الأوهام ، حتى تحير فرديناند فى أمره وأصبح اسم موسى مثار القلق والفزع من نفسه ، فهو يعجب لقائد فى كتيبة صغيرة ، يفر أمامه الطوفان اللجب كقطيع متخاذل ، تفزعه طلقة رئبال جرىء ! !

وإذا لم تجد القوة الطاغية فى بأس البطل الكمى ، فقد عمد العدو إلى حصار غرناطة من كل ناحية ، فواجه موسى أزمة اقتصادية حادة كانت أشد عليه من طعن السيوف والرماح ، فقد نفدت المؤن ، وتلوت بطون الجياع من الأطفال والنساء والكهول ! ! ولكنه اعتمد على ذكائه اللماح ، فوضع بنفسه نظاما خاصا لتوزيع الطعام ، وقاد الفرق الفدائية من الشباب الباسل للتسلل بين الثغرات ، واختطاف المؤن من براثن الأعداء ! ! ونظر العدو الكتائب الصغيرة تنقض انقضاضا طائرا فتخطف المؤن وتسرع بها إلى البطون الساغبة والأحشاء المنخوبة فتطعم من جوع ، وتدفىء من برد ! ! ولم يجد الحصار شيئا فى تضعضع القوى ، وانخذال العزيمة كما كانوا يظنون ! ! وإذ ذاك صمم فرديناند على اقتحام أسوار المدينة ، وأصدر أمره السريع بالزحف ، ولكن عين موسى تمتد إلى خارج الأسوار ، فتدرك ما طرأ من التجمع والتحفز ، ويرى أن يتخذ للموقف عدته ، فيجهز كتائبه ، ويخرج إلى اللقاء دون اكتراث بالحشد الزاخر والعتاد الوفير ، ودارت معركة رهيبة بين قوتين غير متكافئتين ، وأبلى المسلمون بلاء حسنا ، فقتلوا من أعدائهم جموعا كثيرة ، ولكن الكثرة الكاثرة تتغلب وتتقدم ، فانسحب موسى إلى الوراء وهو يضطرم غيظا لما يشاهد ، فقد عدم السلاح والرجال ، إلا نفرا لم تغن شجاعتهم شيئا إزاء ما يواجهون من فيضان صليبى يكتسح السهول ويعشى الأنظار ، وقد بادر القائد الفدائى فأغلق أبواب غرناطة وتراجع ليبحث فى الأمر بعد أن تفاقم الشر واندلع اللهب ! !

اجتمع أبو عبد الله بن الأحمر مع رجاله وأعيان دولته ، يتشاورون فيما عسى أن يكون ، وقد سد عليهم اليأس كل سبيل ، فشبح الهزيمة يدنو ويقترب ، وقد نفدت المؤن وتراكمت الجثث ، وأخذ حاكم المدينة أبو القاسم بن عبد الملك يشرح الموقف على حقيقته ، وقد نكست الرءوس واندلعت الحسرة فى القلوب ، وأجمع الحاضرون على أن الشعب لم يعد يستطيع دفاعا فى حومة خاسرة مهلكة ، فالاستسلام وحده هو الحل الأصوب للمأزق الضائق ! ولئن أقنع هذا جميع الرؤساء ممن يتشاورون ، فان موسى وحده ينفرد بالمعارضة ويرى مواصلة الدفاع مفضلا أن تفنى قوات المدينة ، ويصرع أبطالها بعد أن يصرعوا

أضعاف عـددهم من أعدائهم ، و إذ ذاك يدفع العدو ثمن غرناطة باهظا فتتعاظمه النكبة وينقلب نصره إلى مأتم نواح ! .

رأى جرىء تدفعه غيرة الشباب ، ويمليه طموح القائد وفدائيته ، ولكنه مرهق عسير لا سبيل لتنفيذه بحال ، فقـد أقر المجتمعون الصلح ، ووفـد عليهم رسول فرديناند يحمل شروطه المغرية ، موشاة بوعوده المعسولة وخداعه البراق ، وشروط العدو مقبولة فى مثل هذا المأزق البهيم لو تمسك بها صاحبها فارتبط بمـا تعاقد عليه من مواثيق ، ولكنه يقدمها بيمينه ليمزقها بشماله بعد أن ينتهى التوقيع ، وتستسلم المدينة إلى عدوها المغير ! .

قرأ موسى شروط العدو ، فمـاذا رأى ؟ رأى سبعة وستين شرطا تتضمن إخلاص العدو ووفاءه ! فهو يود إطلاق سراح الأسرى من المسلمين والنصارى بلا فدية ! يطمئن العرب على دينهم وأعراضهم وحريتهم مع إجازة من يريد الهجرة إلى بلاد المغرب ، وسيقطع أبا عبد الله بن الأحمر ضياعا واسعة يعيش فيها بقية حياته ! وعلى المدينة أن تقدم خمسمائة شاب من أبطالها رهينة تضمن الوفاء والطاعة ، وأن يقسم الملك وكبار القادة يمين الولاء للملكى قشتالة وأرغون ! .

قرأ موسى الشروط وابتسم ! فهو يعلم أن هذا الغادر قـد نكث كثيرا بمـا سبق أن تعاهد عليه ، فبالأمس القريب عاهد صاحب « مالقـة » حتى إذا تمكن منه قذف به فى بئر مظـلم رهيب ، ثم ساق المسلمين أرقاء إلى إشبيلية ، فسلط عليهم الأسنة والحراب ، وأقام المشانق والأنطاع ، وأجبرهم على الانسـلاخ من دينهم العزيز ، وانتهك حرمات المساجد ، وعبث بقوانين الإسلام ، وصنع ما يصنع الحاقد الألد ، وقد تمكن من غريمه الواهن الضعيف ، فشرب من دمه ، ونثر أشلاءه على الثرى أكداسا فوق أكداس ! .

لقد قرأ المجتمعون الشروط ، وانفرد موسى بالمعارضة ، وذهب أبو عبد الله ليسـلم مفاتيح المدينة ، بينما انطلق موسى فلبس درعه السابغة ، وركب جواده الأصيل ، وأعد من شبابه الفدائيين كتيبة باسلة ، تقذف بأرواحها فى صفوف العدو ، وقد تعاقد الأبطال أن يقوموا بهجوم جنونى ماحق ، فهم قلة ضئيلة لا تلبث أن تجمع عليهم الكتائب فتعصف بهم فى أقرب مدى يتاح ، فعليهم — وقد صمموا على الاستشهاد — أن يدعوا منطق الروية والتدبير ، فيعملوا سيوفهم ذات اليمين وذات الشمال طائرين متوثبين ليأخذوا بالثأر الناقم قبل أن يتهاووا إلى مصارعهم مستشهدين ! .

وطارت النسور إلى ميدانها الرهيب فكأن إعصارا يهب فيكتسح الصفوف ! ! وفتح

الفرنجة أعينهم على كتيبة صغيرة تمحق ما تأتى عليه ! ! وقائدها الباسل يطير من صف إلى صف فينثر الأشلاء ، ويقط الرقاب ، ! ولقد تجمع الطوفان العرمرم بعد أن أذهلته روعة المفاجأة ، وأحاط بالفدائيين مناضلا مجالدا ، وبعد كفاح عاصف مرير صعدت أرواح الشهداء قريرة مغتبطة برضوان الله ، أما موسى العظيم فقد اعتورته السيوف وتقاذفته الرماح فما وجدت من دروعه السوابغ منفذا تصيب منه مقتلا يرديه ، إلا بعد أنّ ذبح كثيرا من أعدائه ، وحين تكاثر عليه الجمع قذف بنفسه إلى الموج فاحتضنه النهر دون أن يسلم جثته للباغين ! ! وكأنى به وقد قرعينا بما صنع ، فودع الحياة وقد أعذر نفسه أمام ضميره ؛ ذلك الضمير الثائر الطموح الذى ارتفع بصاحبه عن ضعف البشرية واستسلامها ، وطار به إلى أفق سامق لا تبلغه ذات جناح ! !

واحسرتاه ! ! لو كان هذا الموقف الخالد لبطل غربى لأقيمت له النصب ، ودونت فى شجاعته الأسفار ، ولأصبح إسمه مقطوعه رائعة من أناشيد البطولة تتردد على الشفاه وتصدح بها الأتاور، ولكننا لا نجد من مؤرخى المسلمين من يعكف عن دراسة سيرة هذا الفارس الأشم ! ! إلا كلمات متناثرة تتفرق وتتباعد ، فاذا لم يكن مصرعه النبيل الأبى مذكيا للعواطف وملهبا للأحاسيس فيخلده الشعراء فى ملاحمهم ، والقصاص فى رواياتهم ! ! فأى موقف بعده يتخذ مهبطا للالهام وافقا للشعاع ! ! وفى تاريخ الإسلام مئات من الأبطال قدموا أنفسهم للموت وهم يدركون نهايتهم الرهيبة ويرونها رأى العين دون أن يعقد بهم خور ، وأن ينكص بهم إحجام ! ! فأين ما كتبه مؤلفو العرب عن هؤلاء ! ! إن الذل الاستعمارى قد جرى فى العروق ودب فى العظام ، فأصبح الكاتب المسلم يفرد المجلدات الوسعة ليتحدث عن نابليون وغريبالدى والأسكندر ! ! ثم يضن ببحثه على بطل ممتاز كموسى بن أبى الغسان ! ! فلا يكاد يلتفت إليه شاعر محلق ، أو مؤرخ محقق ، أو قصصى أديب .

وقد كان ما توقع البطل الفدائى أن يكون ! فقد غدر فرديناند بما أخذه على نفسه ، فأخذ ينتحل الأسباب الظالمة لمحاكمة المسلمين ، وأوقد المحارق لإعدام البررة ممن ثبتوا على دينهم، واضطر كثيرون إلى التنصر لسانا لا قلبا ، وانتهكت أعراض، وذبحت رقاب !

وتسألنى أين كان المسلمون فى المشرق حينذاك وقد صرع الاسلام فى الأندلس فما وجد ظهيرا يلوذ به أو سندا يحميه ؟ ؟ لقد تطوع بعض الكتاب بالإجابة عن هذا السؤال ، فأبدى معاذير مختلفة لاتمنع المؤاخذة والملامة ، وهى بعد ، فروض واهية لاتثبت لتمحيص دقيق ، أو ميزان مستقيم . فما لاشك فيه أن العثمانيين وحدهم فى قوتهم الباسلة

وسلطانهم الموهوب كانوا أقدر المسلمين على إغاثة اللهيف ونجدة المكروب ، ولكن أفقهم المحدود جمد بالدم فى العروق فلم تعصف بنفوسهم حمية ، أو تدفع بمعونتهم نخوة ، ! !
أجل لقد وجد من الكتاب من يبرر تقصير المسلمين عامة عن النهوض بالأندلس من كبوتها الماحقة ، فيقول عن أهل المغرب فى العدوة إنهم كانوا فى ثورة مضطربة لحروب نشبت بين أنخاذ بنى مرين فما استطاعوا أن يقوموا بواجب الاسلام فى نصرة أخوانهم المسلمين ، بينما احتل الأسبان ثغور العدوة فحاصروا غرناطة جنوبا وشرقا بالأساطيل وشمالا وغربا بالجنود ! ! كما يقال فى معرض التبرير عن بنى الإسلام فى مصر وتركيا حديث كله عجب ! ! فقد زعم الزاعمون أن قايتباى رجل مصر ، قد تشاور مع بايزيد الثانى صاحب تركيا على إنقاذ غرناطة ، ولكن فرديناند قد أقنع سلطان مصر بوساطة سفيره الماكر « بطرس مارتير » بأن الأسبان يدافعون عن أنفسهم أناسا غصبوا ديارهم ونهبوا أموالهم ! فاقتنع الرجل بما سمع ، وآثر السلامة مع صاحبه بايزيد ، ! ولعمرى إن كلمة الحق ليجب أن تقال قاسية أليمة فى هؤلاء المتوا كلين عامة ، وفى الأتراك بنوع خاص ، فبنو مصر والمغرب قد يلتمس لهم بعض العذر فى قلة الحيلة وضعف الجهد ، أما بنو عثمان فما كانوا فى الواقع يحرصون على ازدهار الإسلام وانتعاشه حرصهم على الغنائم والأسلاب وما يتبعهما من السيطرة النافذه والظل المديد ، ولو نفذ هؤلاء تعاليم الإسلام فيما ملكوا من الدول وفتحوا من البلاد لأشرقت شمس الإسلام فى أماكن يلفها الظلام ، وتغمرها الدياجير ، ولكن مستعمراتهم الواهنة ما كادت تحس تخاذلهم المترنح حتى انتقضت تخلع عنها نير الذل والاستعباد ، ولو آنست هذه الشعوب رحمة الإسلام وعدالته فى أناس لا يحملون منه غير اسمه لقدّست فى إكبار دين الحرية والعدالة والمساواة ! ! وحسبك أن مصر ـ وهى المسلمة العريقة ـ قد لقيت من عنت بنى عثمان ما جعل أبناءها المسلمين ينقمون على إخوانهم فى الدين ما يلقون على أيديهم من الذلة والاغتصاب ! فما بالك بأمم لم تعرف شيئا عن منابع الإسلام ومبادئه الكريمة فى الرحمة والحرية والمساواة ! ! هؤلاء هم الأتراك العثمانيون ! !

أما ملوك الإسلام الآخرون فى شتى ممالكهم المتناثرة فقد حملوا معهم ـ فى تغافلهم الشائن وتكاسلهم المؤسف ـ أكبر تبعة توجه إلى إخوة جمع بينهم الدين ، ووحدتهم المشاعر والأحاسيس ! .

سلام على الاندلس الشهيدة ! وتحية عاطرة إلى روح شهيدها الفدائى موسى بن أبى الغسان فى فردوسه البهيج .

محمد رجب البيومى

عيـــــد الجلاء

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فهذا الشهر العظيم ، الذى يتوسط بين عيدين إسلاميين عظيمين ، قد أراد الله العلى القدير ، أن يجمع فيـه للمصريين جميعا — مسلمين وغير مسلمين — ، أعيادا وطنية رائعة ، ويجعل منه موسم أفراح ومهرجانات قومية زاخرة ، وأن يشهد فيه العالم كله ، آثار ما حبا الله به مصر ، ـ على أيدى رجال الثورة ، و بفضل جهودهم وكفاحهم ، وصدق عزائمهم ، وقوة إيمـانهم ـ ، من النعم العظمى ، والفضل الكبير .

فى هذا اليوم الأغر الميمون ، وفى غمرة الفرح والابتهاج ، بجلاء جيش الاحتلال البريطانى ، أنتهز هذه المنـاسبة السعيدة ، لأنشر فى الآفاق جميعها ، قريبها و بعيدها ، شرقيها وغربيها ، تحية الإكبار والتبجيل ، والوفاء وعرفان الجميل، لتلك النخبة من أبطال الجيش المصرى ، قادة الثورة الأحرار .

وأود هنا أن استمهل السامعين قليلا ، لندعو الله تعالى ونبتهل إليه ، ونستمطر سحائب جوده و إحسانه ، ـ ومثو بته ورضوانه ـ على تلـكم الأرواح الطـاهرة الزكية ، أرواح شهدائنا الأبرار ، ورجال ثوراتنا السابقين ، لقـاء ما قدموا لدينهم ووطنهم ، من أعمال صالحة ، وقربات عظيمة عند الله .

لقـد جاهد أسلافنا فى سبيل الوطن العزيز ، ما وسعهم الجهاد ، وضحوا فى ميدان الشرف ، بما قدر لهم من نصيب ، حملوا رأيه الجهاد ، تنشرها عزماتهم حينا ، وتطويها الأحداث أحيانا ، وصارعوا قوى الشر والطغيان ، يواتيهم النصر مرة ، و تخذلهم خيانة النفعيين وعمال الاستعمار مرات .

فلما أراد الله سبحانه وتعالى للبلاد ، أن تنطلق من ر بقة الذل و إغلال الاحتلال ، وأن تنجلى عنها غواشى الظلم والطغيان ، هيأ سبحانه وتعالى لذلك أسبابه ، و يسر وسائله ، وقامت الثورة الحـاضرة بزعامة الرجل العظيم القوى الأمين « جمـال عبد الناصر » . تقدم هذه الثورة يحمل لواءها ، فى شجـاعة وحزم ، لا تلين قناته لوعد أو وعيد ، ولا تفتر عزمته لترغيب أو ترهيب .

قامت هذه الثورة عاقلة حكيمة – وقلما تكون فى الأمم أو الشعوب ثورات لها عقل أو حكمة ، – فحقق بها قادتها لمصر – فى أقل من أربع سنوات – من أعمال الإصلاح والإنشاء والتعمير ، وإزالة الفساد وعوامل الفساد ، والقضاء على الاحتكار والاستغلال ، والاستبداد والاحتلال ، ما لا يستطيعه أضعاف أضعاف عددهم فى عشرات السنين .

قد أكرم الله مصر بهؤلاء الرجال قادة الثورة ، فتية أحرارا ، مؤمنين مخلصين ، لا يبالون – فى سبيل إعزازهم وطنهم ، وإسعاد أمتهم – بما يلاقون من تعب ونصب ، ولا يأبهون لما يعترضهم فى هذا السبيل من شدائد وعقبات .

ولا عجب ، فانهم هم الذين صمموا النية ، وعقدوا صادق العزم – منذ أول كفاحهم – على أن يقدموا أرواحهم فداء لوطنهم ليطهروه من فساد الحكم ، واستغلال النفوذ ، واستبداد طبقة المثرين المترفين ، وتسلطهم بالإرهاق والإعنات ، على سائر الطبقات . . وليخلصوا البلاد من الاحتلال البريطانى الذى جثم على صدرها كابوسا ثقيلا مدى أربعة وسبعين عاما حرمها من كل نشاط ، وحال بينها وبين كل تقدم ، وعمل بشديد قوته وحيلته على أن يقتل فيها كل حيوية تتمتع بها الأمم الحرة المستقلة .

إن الاحتلال البغيض – وهو فى جميع ألوانه وأحواله ومذاهبه بغيض مقيت – لا يعنيه من البلاد التى يحتلها ، ويطغى بالعتو والجبروت على أهلها ، إلا أن يستغل مواردها ، ويستولى على منابع ثروتها ، ويسخر جميع مرافقها وكل جهود أصحابها ، لمنافعه الخاصة ، هذه المنافع التى يستبيح للوصول إليها كل وسيلة ، ولو كانت عدوانا أشد العدوان على كرامة الآدمية والحقوق الإنسانية ، أو على حرية العقيدة الدينية . وسياسة الاحتلال والاستعمار ، جنوبى إفريقيا وشماليها ما تزال تحدث أقوى الحديث وأصدقه عن مبلغ الامتهان والإذلال والتنكيل والتقتيل الذى يصب على الإنسانية صبا بأيدى دعاة العدالة والمساواة والحرية ، ومدعى التبشير بحقوق الإنسان وكرامة الإنسان ! .

إن هذه الثورة الناهضة ، الرشيدة العاملة ، لها عنوانها الناطق ، وقلبها النابض ، ورأسها المفكر ، ورمزها الحى ، وقائدها القوى الأمين .

ذلكم هو الرئيس « جمال عبد الناصر » فلقد عرف كيف يحسن الوقفات ، ويسدد الضربات ، ويكسب الجولات ، وكيف يقاوم الزعازع والتيارات ، ومختلف التدبيرات : زعازع الحرب التى استمرت تشنها عليه دول الغرب ، هى حرب أعصاب أجادوا طرائقها

وأحكموا أساليبها ، وجهزوا لها جميع اسلحتها ، وزودوها بكل ما عندهم من تهديدات ومغريات ، ثم تيارات الإشاعات ، وتدبيرات الفتن والاضطرابات التى كان يحيكها ويحيك أطرافها ، أولئك الانتهازيون المتربصون ، الذين خسروا بالثورة ما كان لهم من ترف فاسد ومتاع وشهوات .

إن بطل الثورة ، وقائدها الحر الأمين ، قد دحر بقوة قلبه وخالص إيمانه، تلك القوى والتكتلات ، وقضى بحكمته وثباته وتفتح بصيرته ، على جميع تلك الأعاصير والتيارات ، وخرج من كل هذه المعارك فائزا منصورا بعناية الله القوى القدير .

أيها المصريون : الآن قد حق الحق و بطل الباطل ، وحمل الاحتلال عصاه على كتفه ورحل . فماذا أنتم فاعلون؟ لقد دخلتم فى مرحلة العمل، لاسعاد الوطن وحفظ كيانه، وعلى حدود البلاد عدو سافر ، متحفز متوثب ، ومن ورائه اعـداء مقنعون ، يعدونه بالسلاح والذخيرة والعتاد ، نخذوا حذركم ، وثقوا بجيشكم ، ووفروا له من القوة ، كل مايحتاج إليه فى حمايه الوطن ، والدفاع عن حوزته . لقد وضحت لكم معالم الطريق ، وفتحت أمامكم أبواب العمل الصالح المثمر ، وأصبحتم متـكافلين متضامنين ، فابذلوا كل جهودكم ، فى إسعاد أمتكم وإعزاز دينـكم وعروبتكم . والله ينصركم ، وهو خير الناصرين .

ألا وإنكم ستدعون عما قريب ، إلى الافتاء فى دستوركم الجديد ، الذى أرسى قواعد الشورى ، ومكن آساس العدل والتعاون ، لإقامة حكم نيابى سليم ، يكفل لجميع المواطنين الحرية والمساواة، كما أنكم ستدعون إلى انتخاب رئيس الجمهورية ، بجدوا جدكم ، وسابقوا فى خير وطنكم ،لا يفوتن احدا منكم ذلك الشرف العظيم .

أيها المصريون : إنى قدعزمت بمشيئة الله تعالى ـ وذلك من أعز مايسعدنى ويشرفنى ـ أن أتقدم فى المهرجان العام، مهرجان الجلاء ، أحمل بنفسى علما من أعلام النهضه، وراية عظيمة من رايات الكفاح فى مراحل الثورة المصرية كلها ، قـديمها وحديثها ، ذلـكم هو علم الأزهر الشريف .

أتقدم به بأسمى وباسم رجال الأزهر ـ إلى بطـل الثورة ، وباعث النهضة ، الرئيس العظيم « جمال عبد الناصر » عهـدا متينا على متابعـة العمل والكفاح والوفاء ، ومبايعة أكيدة على النصرة والإخلاص والولاء ، مبايعة يوثقها ويزكيها كتاب الله العـــزيز ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج

عيـــــــد الأضحى

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه وكل من والاه ، واهتدى بهداه .

أما بعد ، فانه يطيب لى فى هذا اليوم الكريم يوم العيد الأكبر ، أن أبعث إلى إخوانى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بتحية الإسلام طيبة مباركة ، وأن أتوجه اليهم فى هـذه المناسبة المجيدة ، بالتهنئة الخالصة زكية عطرة ... فسلام الله ورحمته وبركاته على كل من طابت أنفسهم بعقيدة الإسلام وتزكت سرائرهم بروح الإيمـان ، واستحضروا فى هـذا اليوم حادث الابتلاء العظيم ، الذى امتحن الله به ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما أفضل الصلاة والتسليم . واتخذوا منه عبرة ، وأسوة حسنة ، فى الصبر والجلد وقوة العزم والجهاد فى سبيل مرضاة الله ، فلقد ضرب سيدنا ابراهيم وابنه عليهما السلام ، فى الصبر والثبات ، والبذل والتضحية ، أعلى مثل يذكر فى العالمين ، ويكرمان به عند الله فى مقدمة عباده الصادقين المخلصين ، ولقد كرم الله فيهما هذا الصدق وهذا الإخلاص ، وجازاهما على الصبر والثبات خير الجزاء ، وأكرمهما على البـذل والتضحية بنعمة الفداء ، فدى به اسماعيل عند ما أسلم نفسه ذبيحا لأبيه ابراهيم ، طاعة لله وامتثالا لأمر الله العلى الكبير الرءوف الرحيم . ومن هنا كانت التضحية فى هذا اليوم ، سنة من سنن الإسلام ، وشعيرة كريمة من شعائره ، تخليدا لذكرى الفداء العظيم .

أيهـا المسلمون : إنى أهنئكم بهذا العيد الأكبر عيد الأضحى ، وعيد النعمة الكبرى ، نعمة فداء اسماعيل ، الأب الأعلى لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

وأهنئكم فى هـذه المناسبة ، بتلك النهضة الواعية ، التى سرت فى أقطار المسلمين ، وبتلك الروح القوية ، التى دبت فى قلوب المؤمنين روح التعاطف والتناصر والتعاون على جمع الكلمة ، والعمل على إصلاح شأن الأمة ، وإعداد العدة فى إخلاص وعزم وحكمة ، لتقوية الروابط بين الأمم والشعوب ، وللتعاون على إقرار السلام فى الأرض ، مع من يحبون فى الأرض السلام .

وأهنئ حجاج بيت الله الحرام ، بتوفيق الله إياهم لأداء هذه الشعيرة التى هى من أعظم الأركان التى بنى عليها الإسلام . إنهم جديرون بهـذه التهنئة ، سعداء بهـذا التوفيق ، فان أجمل ما يغبط المرء عليه ، وأجل ما يحمد من أجله ، وخير ما يتمنى المسلم لأخيه المسلم ويرجوه له التشبع به ، والتزود منه ، أن يرى جادا فى طاعة الله ، مشغولا قلبه ولسانه وفكره وسائر أركانه بمـا فيه مرضاة الله . وهذه أمور قد فسحت لهـا الشريعة المجال ، وهيأت فيها مختلف الفرص ، وأوسع هذه المجالات وأرحبها ما هيأته للمسلم بفرض شعيرة الحج ، وما أتاحت له بها فى كل عام ، من التمتع بفترة استجمام تهدأ فيهـا نفسه من اضطراب الحياة المـادية وصخبها ، ويستريح من عنائها ونصبها ، ويخلص بها إلى نوع عظيم من الرياضة الروحية ، يتفرغ فيها للاقبال على الله بالذكر والفكر ، وبجميل الحمد والشكر ، وبخالص التوبة وصدق الإنابة ، ويزود من ذلك كله لمستقبل أمره فى هذه الحياة ، ومستقبل أمره فى الحياة الآخرة الدائمة الباقية ، بزيادة إيمـان ، وثبات جنان وقوة عزم ، وبكل مافيه تزكية النفس ، وتطهير الضمير ، وكمال الحرص على التمسك والاعتصام بحبل الله المتين ، الذى يعصم من الشرور والفتن ، ويحمى من الوقوع فى حبائل الشيطان .

هذا هو الحج ، وهذه فضائله وآثاره ، وهذا هو ما يغبط الحجاج عليه ، ويرجى لهم كل الخـير من أجله . لكن هـذا فى الحقيقة ليس هو كل ما للحج من فضائل ومزايا ، فليست آثار الحج الطيبة مقصورة على إصلاح المستقبل ، والتزود له بمـا يثمر الخير والبر ، بل ان هذه الآثار لهـا نور قوى تشع به على ماقد يكون للانسان من عمل سيئ فى ماضى حياته ، فتبدد ظلماته وتمحو سيئاته ، وبذلك يعود المؤمن المخلص من حجه مطمئن النفس ، عظيم الرجاء ، قوى الأمل ، فى عون الله له فى المستقبل ، وعفوه عنه فيما مضى ، وهذا هو جماع سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

أيها الحجاج الى بيت الله الحرام ! أن الحج المـبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وإن «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » كما ورد فى الحديث النبوى الصحيح .

هذا الحـديث يدل على فضل الحج وما له من الأثر العظيم . فى تكفير الذنوب ، التى اقترفها الحـاج فى ماضيه ، فانه صريح فى أن الحج إذا كان خالصا لله تعالى ، لا يقصد به شىء من متع الدنيا ورغائبها ، ثم وقـع طاهرا صافيا لا يشوبه شىء من كدورات المعـاصى والآثام ، ولا من فحش القول وقبحه ولغوه ، فانه يكون حجـا مبرورا يعود به صاحبه مطهرا من دنس الخطايا التى يـكون قد اقترفها فى حياته ، فتصير صفحة سيئاته

بيضاء ، أشبه بمــا كانت عليه يوم ولدته أمه . والسر فى هذا أن شعائر الحج ومناسكه ومواقفه ــ ولاسيما الطواف بالــكعبة ، ووقوف الحجاج بالملتزم بين الباب والحجر الأسود ، ضارعين الى الله مستغفرين ، باكين خاشعين ، هى من أقوى الدوافع على الندم والتوبة ، وعلى الخشية والإنابة ، وعلى تذلل العبد لربه وضراعته اليه ، أن يغفر له ذنوبه ، ويتجاوز عن سيئاته ، ويكرمه بقبول دعائه ، فهى مواطن تسكب فيها العبرات وتستجاب الدعوات ، ويرجع منها الحاج مطهرا من الخطايا والآثام ، صغيرها وكبيرها ان شاء الله .

أن التوبة الخالصة ، التوبة النصوح الصادقة ، التى تبدد ظلمة المعاصى وتمحو السيئات هى التى يحــترق فيها قلب المؤمن بنار الألم والحسرة على ما فــرط فى جنب الله وعلى ما اقــترف من معصية الله ، يستعيد فيها صفحة ماضية ، ويذكر فيها كل ما يقلق نفسه من معاصيه . فينفطر لذلك قلبه ، وترتعد فرائصه ، وترتج سائر جوانحه وأركانه ، ثم تسيل عبراته سخينة ، من أثر تحرق القلب وانفعال النفس بالاسى والأسف . من غير أن يكون فى ذلك أثر لتكلف أو تصنع ولا تظاهر أو رياء ، وإنما هو الخضوع لله والخشية من سطوة الله وإنمــا هو صدق العبد فى اقراره بذنبه ، واعترافه به فيما بينه وبين ربه . هذه هى التوبة التى تــكفر ماضى الذنوب وتذيب السيئات ، وهى التى تبعث على الاستقامة والتقوى وعمل الصالحــات ، وهى التى يظللها وعــد الله الــكريم فى قوله تعالى : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » . هــذه التوبة لها مظان ومواطن كثيرة فى الحج ، ولها مجالات فسيحة فى مناسكه وشعائره ومواقفه ، فليكن هم الحاج أن يحسن اداء هذه الشعائر والمناسك ، وليجتهد فى أن يظفر من تلك المواقف ، بتوبة خالصة صادقــة ، يصفو بها قلبه ، ويتقبلها ربه ، وتستقيم بها فى الصالحات اعماله ، ويكون بها فى مستقبل امره ، احسن حالا وأشد استقامة مما كان عليه فى ماضيه .

أن من علامات الحج المبرور أن يكون الحاج فى حياته المستقبلة : فى سلوكه الخاص وفى معاملاته وعلاقاته بالناس ، احسن استقامة وأشد تمسكا بالدين وأحكام الشريعة منه قبل أداء الحــج ، فان الله يعين التائب المخلص ، ويتولاه بالهداية والتوفيق ، وينصره على دواعى الشر وعوامل الفتنة ، « ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز »

أسأل الله الــكريم أن يقبل توبة الصادقين ، وأن يجمع كلمة المسلمين ، وأن ينصرهم على أعدائهم الباغين ، وأن يعيد امثال هذا اليوم على العالم الإسلامى باليمن والخير والبركة والسلام .

عيـــد الثورة - ٢٣ يوليو

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فأننا فى أعياد متتابعة ، ومواسم أفراح متصلة ، يسلم بعضها لبعض ، ويأتى بعضها فى أعقاب بعض ، أعياد دينية إسلامية ، وأعياد وطنية قومية ، يتم لنا الابتهاج بها جميعها فى ثلاثة أشهر الحج ، من هذا العام السعيد الميمون .

احتفلنا بعيد الفطر المبارك ، الذى شرعه الله ، ليفرح فيه المسلمون فى جميع بقاع الأرض ، بما وفقهم الله من إتمام شعيرة الصوم ، التى هى من أركان الإسلام ، وإحدى قواعده الأربع بعد كلمة الإيمان .

واحتفلنا بالعيد الوطنى العظيم ، عيد الجلاء وانسحاب القوّات الأجنبية ، قوّات الإحتلال والاستعمار ، عن أرض الوطن العزيز ، هو الاستقلال الحق ، الذى استرد به الشعب حقه فى السيادة الكاملة ، والهيمنة القوية المطلقة ، على جميع شؤون البلاد ومرافقها ، بعد أن كانت فى يد الأجنبى الغاصب ردحا طويلا من الزمن يتحكم فيها بالظلم والعدوان .

ثم احتفلنا بالعيد الدينى الأكبر ، عيد الأضحى عيد الفداء ، الذى شرعه الله تعالى ، لنؤكد فيه روابطنا ، ونقوى به وحدتنا ، ونجدد فيه كل عام ذكريات طيبة مجيدة ، ونستعيد به صفحات تاريخية رائعة ، هى حقائق واقعية يقينية ، حدّث عنها القرآن فى آياته المحكمة . التى مجد فيها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وأشاد فيها بما أوحى الله به من الأمر ببناء الكعبة لتكون مطافا للمؤمنين ، وبما شرعه الله سبحانه من شعائر الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وبأنواع الهدى والأضحية ، التى يذكر بها دائما حادث ذلك الذبح العظيم ، الذى كان فداء لسيدنا إسماعيل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

واليوم نحتفل بثانى العيدين الوطنيين ، ولكنه فى الحقيقة أولها بحسب الترتيب الواقعى ، هو عيد الثورة ، التى انفجرت بها الوطنية المكبوتة والتى هب بها أحرار الشعب من رجال الجيش ، بقيادة البطل الماهر ، الزعيم الأمين جمال عبد الناصر ، فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ .

هذه الثورة هى أساس النهضة ، وهى الجهاد الحق ، الجهاد المؤمن المخلص ، الذى قضى على الفساد ، وأزاح الأجنبي عن البلاد، ونالت به مصر استقلالها الكامل الصريح .

هبت هذه الثورة شديدة قوية ، ولكن فى حزم وحكمة ، فقضت بحركة واحدة ، أو بحركتين متشابكتين ، على ألوان الطغيان والفساد ، وعلى الجور والاستبداد ، قضت على الفساد والطغيان الداخلى ، وعلى الجور والاستبداد والطغيان الخارجى .

كانت الأمة كلها ـ بعد استثناء جماعة الدخلاء على الوطنية المصرية ، من أولئك المترفين المفتونين ، الذين كانوا يرون أنفسهم السادة والأمراء ، ويرون بقية أفراد الشعب المصرى من الوطنيين الحقيقيين عبيدا وخدما أذلاء ـ كانت الأمة المصرية جميعها ـ بعد استثناء تلك الجماعة ـ ساخطة على فساد الأوضاع ، وعلى الأساليب التى كانت تحكم بها البلاد ، صارخة من الظلم والاضطهاد ، متبرمة أشد التبرم بتسلط الإنجليز واحتلال الإنجليز ، فقامت بثورة سنة ١٩١٩ التى ضربت أقوى الأمثلة فى البذل والتضحية ، فلقد كانت ثورة الجماهير وحدها ثورة شعب أعزل من كل سلاح خفيف أو ثقيل ؛ وكانت هتافات الشعب ونداءاته بالحرية والاستقلال وسقوط الاحتلال ، لا تقابل من جانب القوات المحتلة ، إلا برصاص البنادق والرشاشات ومن نجا من الموت ضمته السجون والمعتقلات . لم يشارك الجيش حينئذ فى تلك الثورة ثورة ١٩١٩ بكثير ولا قليل ، ولماذا ؟ ألم يكن هناك جيش يمكنه إلى حد ما أن يسند تلك المظاهرات الشعبية الإجماعية التى تطالب بحقها المهضوم ؟ . بلى ؛ قد كان هناك جيش اسمه الجيش المصرى : جنود وضباط من رتب مختلفة ترتقى إلى رتبة الأميرالاى واللواء وحتى رتبة الفريق ، ولكنه كان جيشا يفقد القيادة الوطنية السليمة ، كالا خاضعا لسلطان الدولة المحتلة مسيرا بأوامرها ، فلم يستطع أن يتحرك منه فرد أو جماعة ضد طغيانها أو يعمل على تخفيف ضغطها ، على الشعب الأعزل المسكين .

ثم كان لهذا الفساد وهذا البلاء أثره السيء فى حملة فلسطين ، فقد تعاونت فيها على مصر عوامل الشر والختل والخداع والخيانة ، وكانت الخاتمة الغاشمة الظالمة القاصمة تلك الهدنة التى قررت ولم يستطع أو لم يرد تنفيذها إلا على جانب واحد : أريد على أن يستقبل الضربات والطعنات وليس له أن يرد عليها أو يقابل سيئة بمثلها .

ورجع أبطال معركة فلسطين إلى مصر مغبونين مظلومين ، ولكنهم لم يكونوا فاشلين ولا مهزومين، بل كانوا فى التقدير العدل الحر والتحقيق البرىء المنصف فائزين منتصرين .

عادوا أبطالا بحق وعادوا منتصرين بحق وإن كان قد حيل بينهم وبين أن يقضوا بحقهم على الباطل ويسحقوه سحقا . عادوا وكان قد ظهر أمر الخيانة ، وأمر الجهل الفاحش ، الذى كانت تدار به معركة فلسطين والذى كانت تصدر به الأوامر العسكرية ـ لرجال المعركة ـ من حجرات الاستراحة فى قصر عابدين فى ظل نصائح الإنجليز وتوجيهات الإنجليز ومجاملتهم باصدار أوامر الانسحاب أو التقهقر أو التوقف على حساب الصالح الوطنى العزيز .

هذا كله ـ مضافا إلى سوء الحالة من قبله ، قد طفح به الكيل وفعل فعله فى جميع النفوس الساخطة المتذمرة : نفوس الشعب ونفوس أبناء الشعب الأحرار من رجال الجيش . فكانت الثورة الحاضرة التى أزالت الكرب وفرجت الشدة وأنقذت البلاد من الاحتلال والاختلال وحالات الفساد والاستهتار .

فثورة مصر فى سنة ١٩٥٢ كانت ثورة الشعب ؛ يتقدم لتنفيذها الجيش ؛ أو كانت ثورة الجيش ؛ يؤيده ويسنده فيها الشعب . كانت حركة هذه الثورة خاطفة ، لم تلبث إلا ساعات معدودات ، وكانت ثورة بيضاء لم تزهق فيه أرواح ، ولم تسفك دماء .

وهذه المفاجأة الحاسمة ، وهذه السرعة الخاطفة ، التى تمت بها الثوره ؛ فى حركتها الأولى ، هى من غير شك أسلوب قوى من أساليب الثورات ، فلكل ثورة أسلوب تقضى به ظروفها ، وطبيعة مركزها ، ويستقيم إلى الهدف الذى ترمى إليه ، فليس للثورات نظام خاص ، ولا طريق معين محدود ، فكل شعب ثائر له طريقته وأسلوبه فى ثورته .

هذه السرعة الخاطفة ، التى تمت بها الحركة الأولى للثورة ، لم تحتج إلى كبير معاونة من جماهير الشعب ، بل إنها لم تفسح المجال لهذه الجماهير ، كى تأخذ بنصيبها ، وتشفى غلتها ، وتعلن مقتها وسخطها ، على الفساد الداخلى ، وعلى الاحتلال الأجنبى ، بالطريقة التى أعلنت بها مقتها وسخطها وغضبها فى ثورة سنة ١٩١٩ .

على أنه لم يكن فى ثورة سنة ١٩٥٢ محل لحركات الجماهير ، التى كثيرا ما تخرج عن حدود النظام ، وكثيرا ما تلجأ إلى أعمال التخريب والتدمير ، وتحريق المحطات وتقطيع خطوط المواصلات ، على الطريقة التى أظهر بها الشعب سخطه فى ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كانت هذه الأعمال فى تلك الثورة مقصودا بها الإنجليز ، لشل حركتهم ، ومقاومة سطوتهم ؛ والرد على عدوانهم وتسلطهم .

أما فى سنة ١٩٥٢ فقـد كانت الحركة الأولى للثورة ؛ موجهة ضد الفساد الداخلى وأصحابه ؛ وضد الفجور وأهله ؛ وضد المترفين الفاسدين ؛ أهل الإقطاع المتجبرين .

قامت الثورة ضد هذا الشر والفساد ، بقوة عسكرية ، يؤيدها الشعب ويناصرها ، ويسندها بما ينبغى أن يكون من أنواع التأييد والنصرة ، وبالمحافظة على حدود النظام ، والوعى التام .

أما الحركة الثانية للثورة الحاضرة ، وهى التى كانت ضـد الاحتلال الأجنبى ، فلم تكن بقوة عسكرية ، ولا مقاومات تدميرية ، لم تكن بحرب وضرب ، وإنما سارت من طريق المفاوضات السياسية ، غير أنها مفاوضات كانت فى الجانب المصرى ، متشبعة بالروح العسكرية القوية ، التى لا تعرف المداورة والمواربة ، ولا تقبل أساليب الخداع والمداهنة ، ولذلك كانت تعمل على النفاذ إلى الغرض فى وعى وحزم ، وأن تتجه دائما إلى الهدف كالسهم ، فآتت ثمرتها ، وأدركت غايتها ، « وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

هذا ــ وإن من توفيق الله تعالى أن يكون احتفال البلاد فى هـذا العام بعيد الثورة ، بعـد أن خلصت من آخر أثر من آثار الاحتلال وبعـد أن استكملت مقومات مجـدها ، وأقامت أركان حياة حرة كريمة ؛ على أساس دستور عظيم رفع موازين العدل ، وصان حقوق الأفراد والجماعات ، وبث فى أرجاء الوطن روح النهضة ، وقوى الروابط بين مصر والشعوب المنتصرة للحق ، والعاملة على نشر السلام فى الأرض .

ألا إن ابتهاج الوطن بذكرى هذا اليوم المجيد، يضاعفه الفوز بما أفادته البلاد فى خلال هذا السنوات الأربع ، على يد قائدها العظيم ، من استقرار شامل ، ونهضة واعية ، وشعور بالقوة والعزة ، وبما أفاء الله عليها ، بفضل سـداد رأيه ، وسعة أفقه ، وقوة إيمـانه ، وحسن بلائه ، من نصر عظيم وفتح مبين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير ممـا يجمعون »

أسأل الله الكريم أن يحفظ على مصر مجدها وعزها وأن يديم على قائدها التأييد والتوفيق وأن يجمع كلمة الأمم العربية والإسلامية على الحق وينشر بين شعوب العالم روح الخـــير والبر والوئام وحب السلام .

الموت دفاعا عن الوطن شهادة

بيان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

إن قرار تأميم قناة السويس الذى اتخذته مصر وأعلنه زعيمها العظيم ورئيس جمهوريتها فى ٢٦ يوليـه سنه ١٩٥٦ هو قرار وطنى حكيم قوى فى غاية القوة وأسمى معانى الشرف والعزة والكرامة . وهو عمل مشروع لا ينقصه شىء من الاعتبارات الشرعية والقانونية ، ولا يؤثر على حق مصر فى القيام به ما تزعمه دولتان أو ثلاث دول من الدول الاستغلالية الاستعمارية . وكل الدول التى لا تسيطر على زعمائها روح الاستعمار البغيض والاستبداد الذميم أعلنت ولا تزال تعلن أن تأميم قناة السويس عمل شرعى وحق خالص لمصر .

نعم : هو حق خالص لمصر ، استطاعت أن تقرره وتعلنه وتنفذه ـ بعد ما زالت عن أرضها قوات الاحتلال التى كانت متحكمة بالعنف والجبروت فى شـؤنها حائلة بينها وبين كل نهوض أو تقدم ، والتى كانت عاملة جاهدة على إضعافها والقضاء على آمالها فى الحرية والاستقلال والتمتع بثمرات الحرية والاستقلال .

إن تأميم قنـاة السويس ـ ذلك الحق الشرعى ـ قد صار حقيقة واقعـة هتف لهـا جميع المصريين وغير المصريين من الذين ذاقوا مرارة الاستعمار والاستعباد واكتووا بنـار الاحتلال والاستبداد . هتفوا لهـا جميعا وهللوا وكبروا ، حتى الأفراد الذين كانت لهم فى العهـود المـاضية علاقات مودة خاصة ببعض رجال الاستعمار الذين كانوا يساعدونهم ويساندونهم فى تحقيق مآربهم الخاصة ومنافعهم قد فرحوا فى أعماق نفوسهم بذلك التأميم مؤمنين بأنه عمل موفق عظيم .

فالمصريون اليوم جمـاعة واحدة وقوة مؤمنة متكاتفة ، لا يسمحون لقناة السويس أن تمتد إليها ـ بعد تأميمها ـ أيد استغلالية استعمارية . ولا يمـكن أن يسلموا بالأشراف

عليها لأى هيئة دولية أو شركة أجنبية . وهم يستميتون - شيوخهم قبل شبابهم - فى الدفاع عن القناة وتأميمها وفى المرابطة لسلامتها وتأمينها .

فليعلم تجار الحروب من أهل الاستعمار والاستغلال المرذول - الذين يلحون باستخدام القوة لإعادة القناة مرة أخر إلى أحضان الاحتكار الأجنبى، وشركات الاستغلال الانجليزى والفرنسى - إن قناة السويس جزء من الوطن ، وإن الدفاع عن الوطن واجب مقدس . وفرض دينى عام يستوى فيه المسلم والقبطى ، وتعلن النضال فى ساحاته منارات المساجد ونواقيس الكنائس ، فان هذا الواجب المقدس ليس دفاعا عن صالح الإسلام وحده ، وإنما هو دفاع عن الصالح الوطنى العام .

نحن لا نريد أن نرّد على التهديد والتلويح باستخدام القوة للاستيلاء على القناة مرة أخرى بأن محاولة احتلال القناة بالقوة قد يجر إلى حرب عالمية طاحنة، قد تخسر فيها دول الاستعمار ما بقى لها من جاه وسلطان .

لا نريد أن نرد بهذا أو نلوح به ، وإنما الذى نملكه ونستطيع أن نقرره ونرّد به على ذلك التهديد هو أن الموت فى سبيل الوطنية، وفى الدفاع عن العزة القومية ، وعن الاستقلال والحرية ، أفضل من الحياة فى ظل الاحتلال والاستعباد .

ألا إن رجال الأزهر جميعا ، يعرفون حق المعرفة ، ويؤمنون أقوى الإيمان ، أن الجهاد فى سبيل الدفاع عن الوطن ، جهاد فى سبيل الله ، وهم يدركون أن واجبهم الأسمى أن يتأهبوا لهذا الكفاح ، وأن يعدوا العدة لشرف هذا الدفاع . فليعلم الطاغون الباغون أنه حين يجد الجد ، سيكون الأزهريون فى مقدمة صفوف المجاهدين معتزين بقول الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

ليعلم ذلك أولئك المستبدون المعتدون ، وليعلموا أن الموت فى هذا السبيل شهادة ، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

عبد الرحمن تاج

شيخ الجامع الأزهر

تعليقات

حكومة تبنى ، وكتاب يهدمون

فى غمرة من البهجة ، ولهفة من الأمل طلع علينا فتى مصر ورئيس ثورتها جمال بتلك التصريحات المفاجئة القوية الصادقة التى زفت إلينا مشروع تأميم شركة القناة . . . وقد عودنا جمال منذ بجر الثورة أن نستقبل من يوم إلى يوم أملا باسما ، ونطرح يأسا كان مخيما ، وأن نسترد كرامة مسلوبة ، ونستعيد حقوقا مغصوبة .

وعجيب أمر هـذا البطل نهضت فى قلبه الفتى أحاسيس أمته ، وجاشت فى وعيه الواعى خواطر شعبه ، وآمال قومه فكان شعلة متقدة ، وعزيمة صارمة وقوة نفاذة .

عجيب أمر هذا البطل الذى اختط لنفسه أن يفجأنا كل يوم بما كنا نحلم به ولا نطمع فيه : حتى غدونا نترسم خطاه فنراه فى صمته أسبق إلى الآمال من أقواله ، ونرى الأهداف الشامخة أخضع لإرادته ، وأطوع لعزيمته من خواطر المتمنى .

كم كنا نستبعد أن يكون لنا صوت نجهر به فى زحمة الصائحين زورا بالعدالة الاجتماعية ، أو تـكون لنا شخصية يرمقها من يدفعوننا ظلما عن مصاف الإنسانية . . . وكم كنا نستبعد أن يصغى إلينا ساسة الغرب لو جأرنا ، أو يتنبهوا لنا إذا تحركنا ! ! ؟

لقد كاد اليأس يمتزج بالنفوس امتزاج الدم بالجسم لطول ما بلونا من خدع الساسة والسياسيين ، ولكن بطل مصر استطاع بمعونة الله ـ كما يجرى دائما على لسانه ـ أن يجعل المستحيل فى نظرنا أمرا واقعا ، وأن يبدد اليأس ويغرس فى القلوب إيمانا أكيدا بأن الحياة الـكريمة لا تطيب إلا فى ظلال القوة . وأن الـكرامة الوطنيـة لا تنال إلا ببذل الدماء فى سبيلها ، وفى هذه السبيل اتجه جمـال بشعبه . وبهذا الإيحاء بعث فى أمته حيوية جديدة ، وبهذا هتف جمـال فـكان صـوته مدويا فى الآفاق حتى خرق أسمـاع الصم من ساسة الغرب ، وأبرز لهم شخصية مصر حتى لم يعودوا يتجاهلونها بسخريتهم وصلفهم . هكذا صنع جمال وعرف بذكائه أن يطيح بألاعيب الاستعمار كما تطيح الرياح بألاعيب الأطفال .

عرف جمـال أن يعتز بأيمانه ، وبالتضامن فى شعبه ، وبين شعبه وشعوب الشرق ، أن يهز راية العروبة خفاقة بين رايات كانت تغالبها وتتنكر لها .

وما يدرينا : لعل فى جعبة البطل المصرى سهاما أقوى من هـذا السهم فى صـدر الاستعمار ، ولعل فى ذاكرته آمالا أجسم من تأميم شركة القنال .

وما دام جمـال يستعين بالله كما عهدناه ، ويعتز بأيمانه الوطنى وبخلقه المشهود فان يتخلف عن غاياته ، ولن تقعد به الجهود الموفقة دون ما تصبو إليه مصر من أهداف ، وسيظل يبنى ويرفع البناء ، ويجدد لنا ذكريات الأسبقين من أبطال الإسلام .

. . . هـذا وقد كان بودنا أن تتجه الجهود منا جميعا إلى ما تنشده الأمة وينشده زعيمها من إصلاح فى مختلف السبل .

غير أنا نشهد إلى جانب هذا النشاط محاولات يقوم بها نفر من الكتاب يفتنون الأمة عن أخلاقها الكريمة ويبثون فيها التمرد على الآداب العامة ، ويصرفون الشباب عن دينه ، ويحببون اليهم النزعات المنحرفة والتحلل من كل تقليد كريم

كتاب يجدون متسعا فى كثير من الصحف فيتهافتون على التبجح ، ويحتالون فى انتزاع الحياء من الوجوه ، ويزينون للشباب رذائل التمرد على القيم الأخلاقية .

أولئك يستغـلون تسامح أولى الأمر معهم ، ويستخدمون الحرية فى أبغض الأمـور المناقضة للحرية

وعندى أن هؤلاء الكتاب ، وأن تلك الصحف التى تنشر دعوتهم ، عوامل هدم لمـا تبنيه الثورة ، وأنهم خصوم للوطنية الصادقة ، وأن تماديهم على هـذا الغى مناوأة سافرة للثورة فى أكرم غاية تتجه إليها .

وكل محاولة تقوم بهـا الثورة لبناء جيل جديد وإيجاد مجتمع صالح لايمكن أن تجدى تلك المحاولة جدواها المنشودة ما دام فى مصر كتاب وصحافة ينزعون إلى الانحراف ويدعون إليه ، والكثير من أولئك الكتاب وهـذه الصحافة معروفون من قبل بالخروج عن حدود اللياقة وبالزلفى إلى أرباب الفساد .

وعندى أنه يتحتم وقف هؤلاء الإباحيين عند حد من الأدب ، وأن تعرفهم الحكومة كيف يكون الأدب إن لم يستجيبوا ويعرفوه .

وإن ظلت هذه الأقلام سادرة فى باطلها نستبعد الغاية فى بنـاء جيل جديد وإيجاد مجتمع صالح ، ويستفحل الداء ، ولايجدى بعد ذلك دواء .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

لغويات

قل ... ولا تقل ...

نشرت مجلة الأزهر الجليلة فى جزء رمضان الماضى مقالا تحت عنوان « قل ولا تقل » للأستاذ الكبير محمد صالح الريدى ، تضمن بعض ما فى كتابه الذى أفرده لنقد بعض الأساليب التى تجرى على ألسنة الكتاب والمتأدبين ، والإبانة عن الأساليب الصحيحة التى تقابلها . وهو يدخل فى تنقية اللغة وتنزيهها عما شابها من الدخيل ، حفاظا عليها وذبا عن حوضها .

وهذا الأمر مما يختلف فيه النظر ويتسع الاجتهاد ، وقد أحسن الأستاذ ظنه بى أن أبدى ما يعن لى فى هذا المقال ، والأستاذ يلتزم الفصيح الراجح من الأساليب ، وسبيلى فى كتابتى أن أذكر ما أقف عليه فى المبحث من راجح ومرجوح توسيعا للثقافة اللغوية ، ولهذا إذا عقبت على بعض ما فى مقاله فانما هو أنه سلك طريقا وسلكت طريقا آخر ، ولا يغض بحثى من بحثه ، وله الفضل بالسبق والتقدم ، وسأذكر هنا بعض التعقيب ، مع شكرى له واعترافى بفضله .

استلف نقودا

أنكر الأستاذ هذه الصيغة ، والصواب عنده أن يقال : استسلف نقودا أو تسلف . والاعتماد فى هذا على أن « استلف » لم ترد فى المصباح والقاموس واللسان . وقد وردت فى الأساس للزمخشرى ، ففيه : « وأسلفته مالا وسلفته . واستلف فلان واستسلف وتسلف » وورد فى مستدرك التاج على مادة سلف : « واستسلفت منه دراهم فأسلفنى ، مثل تسلفت ، نقله الجوهرى ، ومنه أنه استلف من أعرابى بكرا أى استقرض » وهذا النص لو صح كان فيه موافقة للأساس ، ولكن بان أن فى الطبع تحريفا ، فان الذى فى النهاية لابن الأثير ــ وهو أصل ما فى التاج ــ : « أنه استسلف » . وحسبنا ما فى الأساس ، حجة ومستندا .

حوائج (جمع حاجة)

هـذا مما خطِّئ أيضا . والصواب حاجات وحاج . ويزاد عليهما حوَج . وإنكار حوائج فى جمع حاجة سبق به الأصمعى وزعم أنه مولد . وقد حمله على هـذا أنه جمع غير قياسى ؛ فأن حاجة على زنة فَعَلَة ، وفَعَلة لا تجمع الجمع الأقصى . ولذا لا يقال فى جمع حارة : حوائر ولا فى ساحة : سوائح . وقد تبع الحريرى فى درة الغوّاص الأصمعى بجعل الحوائج من لحن الخواص . وردّ اللغويون على الأصمعى أن الحوائج جاءت فى فصيح الكلام فوجب قبولها ، وكم من فصيح خالف القياس ولم يغض من فصاحته . وقـد أفاض ابن برّى فى الاستشهاد على سماع الحوائج من فصيح الـكلام . ومن ذلك قول الشماخ :

تقطع بيننا الحـاجات إلا حوائج يعتسفن مع الجرىّ

(والجرى : الرسول) . وكذا أكثر الشهاب الخفاجى فى شرح الدرّة فى إيراد بعض ماجاز عن العرب فيه الحوائج .

وقف باهتا

يرى الأستاذ أن الصواب أن يقال : وقف مبهوتا ، وأساس هـذا ما ورد فى عبارة الجوهرى ، وهى ــ على ما فى اللسان ــ : « بهت الرجـل ــ بالـكسر ــ وعرس وبطر إذا دهش وتحير ، وبهت ــ بالضم ــ مثله ، وأفصح منها بهت ؛ كما قال ــ عز وجل ــ : فبهت الذى كفر ، لأنه يقال : رجـل مبهوت ، ولا يقال : باهت وبهيت » وقد تبعه صاحب القاموس ، وزاد فى صيغ الفعل : بهت كنصر . وقضية هذا الـكلام أن يقال : بهت بالبناء للفاعل فهو مبهوت ، وهـــذا غريب حائد عن القياس ، وإنمـا مبهوت من بهت مبنيا للمفعول ، وقد أبان شارح القاموس أن الجوهرى أخذ هذا عن الـكسائى . وأن الـكسائى بنـاه على صيغـة فعـل بهت بالبنـاء للمفعول . ففيـه مع القاموس : « (وهو مبهوت) و(لا) يقال (باهت ولا بهيت) وهكذا قاله الصاغانى ، وأصله الـكسائى . وهو مبنى على الاقتصار فى الفعـــل على بهت كعنى . وأما من قال : بهت كنصر ومنع فلا مانع له فى القياس . وقد نقله اللبلى فى شرح الفصيح . قالوا : باهت وبهات وبهيت

يصلح لكونه بمعنى المفعول كمبهوت ، و بمعنى الفاعل كباهت . والأول أقيس وأظهر . قاله شيخنا » وعندى أن بهيتا جاء على بهت ككريم من كرم وشريف من شرف ، فهو بمعنى فاعل . وهذا أقيس من ورود فعيل فى معنى مفعول .

والقارئ يخرج من هذا البحث بأنه لا شيء فى أن يقول القائل : وقف باهتا .

اختصاصى فى الطب

وهذا أيضا مما أنكره الأستاذ . ويذكر أن الصواب : إخصائى فى كذا أو خصيص . والذى أنكره صحيح لا شيء فيه ، فهو منسوب إلى الاختصاص . فأما الإخصائى فهو منسوب إلى الإخصاء مصدر أخصى الرجل أى علم علما واحدا . والواقع أن المختص بالطب مثلا لا يقتصر علمه على الطب بل يعلم علوما أخرى من علوم الوسائل كالعربية واللغات الأجنبية ، و يقول القدماء : إن فلانا يختص بعلم كذا و يشارك فيه ، على أن هذا المعنى للاخصاء جاء به القاموس نقلا عن الصاغانى ، وجرت فيه مباحثة بين الأستاذين اللغو يين عبد القادر المغربى وعبد الله البستانى . وكان البستانى ينكر هذا النص على وجهه و يزعم أن أصل العبارة : أخصى الرجل : معل معلا واحدا أى خصى وقطعت خصيته مرة واحدة ، وذلك فى الخصيان المعروفين بالطواشية ، وهو يصر على أن عبارة القاموس تبعا للصاغانى دخلها التحريف ، وأن الإخصاء يرجع إلى الخصية ولا يمت إلى التخصص فى العلم بسبب . وكان المغربى يأخذ بالنص و يرى أنه لا تحريف فيه . و يبقى عليه بيان مأخذه وصلته بالتخصص . وعندى أن أصل أخصى : أخصّ أى اختص فأبدل من الصاد الأخيرة ياء فصار أخصى ، كما قالوا : أمل وأملى . وقد ورد فى اللسان : « فلان مخصّ بفلان أى خاصّ به » . وترى أن الإخصائى فيها مقال . فأما الاختصاصى فلا مقال فيه .

وأما خصيص فلم ترد بمعنى مخصوص وإن كان القياس لا يأباه ، وكان المظنون أن أبا الرقعمق قال :

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة وأتى رسولهم بذاك خصيصا
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

فلما رجع إلى الرواية إذا فيها : خصوصا . ويرد خصيص كثيرا فى عبارات أصحاب التراجم ، يقولون : فلان خصيص بفلان أى ملازم له مقرب أثير عنده. ومن هذا ماورد فى معجم الأدباء ٢ / ٢٠٤ من طبعه الحلبى إذ يقول عن أحمد بن ابراهيم النديم أستاذ ثعلب : « وكان خصيصا بأبى محمد الحسن بن على عليهما السلام وأبى الحسن قبله ، وله معه مسائل وأخبار » .

ومن أراد التوسع فى هذا المبحث فعليه بكتاب « مناظرة لغوية أدبية بين الأساتذة : عبد الله البستانى وعبد القادر المغربى وأنستاس الكرملى » وقد طبعه القدسى سنة ١٣٥٥هـ.

أناط فلان بى كذا

هذا لا مرية فى خطئه وأن الصواب : ناط . غير أنى أدون هنا رأيا للشيخ نصر الهورينى كتبه بخطه على نسخة المصباح المطبوعة المحفوظة بدار الكتب ، ونص ما كتبه على هامش مادة (نوط) : « ويقع كثيرا فى كلام الفقهاء أنهم قد أناطوا الحكم بكذا . فلعلهم اطلعوا على استعماله ثلاثيا مجردا ومزيدا أيضا ، نظير غاظه وأغاظه ، وسرى بكذا وأسرى به ، كما سبق فى ص ٧٣ من هذا الجزء » وهو يشير إلى قول المصباح فى مادة (الغيظ) : قال ابن الأعرابى ـ كما حكاه الأزهرى ـ غاظه يغيظه وأغاظه بالألف » . وترى أن الشيخ الهورينى حسن الظن بالفقهاء فتلمس لهم وجها للخروج من الخطأ ، وهم كثيرا ما يخطئون فى اللغة ويغلب عليهم ما يجرى على ألسنة الناس .

أخذت بناصر فلان

وهـذا أيضا مما عابه . وقد يخرج على أن الأصل : أخذت بيد ناصر فلان ، وهو كناية عن نصره وإسعاده . وفى شعر النابغة :

أتخذل ناصرى وتعز عبسا أيربوع بن غيظ للمعنّ

وقد أورد صاحب الخزانة ٢ / ٣١٤ هذا البيت فى شعر له ؛ وقال : « هذا خطاب لعيينة بن حصن ، وأراد بناصره بنى أسد وقوله : « أيربوع بن غيظ للمعن » هذا خطاب

آخر ليربوع بن غيظ . والمعنّ بـكسر الميم وفتح العين المهملة : المقبوض فى الأمور ، وعنى به عيينة بن حصن ، يقال : عن يعن ، وإنك لتعن فى هذا الأمر أى تعرض فيه » وقوله : المقبوض كذا ، وكأنه محرف عن المتعرض .

تلاشى الشىء

أنكره الأستاذ وذكر أن الصواب : عـدم الشىء . وقد أحببت أن أذكر مـا وقفت عليه فيه . فهو مطاوع لاشى الشىء أى محاه وألغاه . وهـو مصوغ من لاشىء . وفى مستدرك التاج بعـد مادة (لقش) : « وأما قولهم : لاش فانه مختصر عن لا شىء ، ويستعمل غالبا فى الازدواج ، كقولهم : الماش خير من اللاش ، كما سيأتى فى م و ش . واستعملوا منه أيضا التلاشى ، وكأنه مولد » وترى من هذ أن شارح القاموس لا يجزم بأنه مولد . وعلى أنه مولد فقد جرى به الاستعمال منذ دهر سبق . فقـد نقل القرطبى فى تفسيره لسورة الواقعة ٢١٨/١٧ عن المـاوردى : لأنه لمـا أنبت زرعهم بعـــد تلاشى بذره » . والماوردى هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الفقيه الشافعى . وكانت وفاته سنة ٤٥٠ هـ . وهو صاحب أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية .

رجل متعوس أو تعيس

الذى يرضاه الأستاذ أن يقال : تاعس أو تعس . وقد جاء فى الأساس : « تعسه الله وأتعسه ، وهـو منحوس متعوس » فترى كيف جاء متعوس . وإذا جاء متعوس سهل مجىء تعيس فى معنى متعوس .

وهذا ما بدا لى فى مقال الأستاذ الريدى . والله المسئول أن يوفقنا جميعا للصواب ؟

محمد على النجار

لا حيلة فى المرأة

قال سقراط « ثلاثة كانت من أكره الأشياء إلى : نحو اللغة اليونانية ، والفقر ، والمرأة . وقد تغلبت على الأول بـكثرة الدرس ، وعلى الثانى بالسعى والصبر ، ولـكنى لم أجد حيلة فى المرأة » .

الامام البخارى

استنباطه المعانى والأحكام المتعددة من الحديث الواحد

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز ، الصحيحان : البخارى ومسلم . وتلقتهما الأمة بالقبول .

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهى كونه أسهل متناولا . من حيث جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به ، جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ، ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم فى طرقه .

أما البخارى فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره فى غير بابه الذى يسبق إلى الفهم أنه أولى به، وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه، فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى فى طرق هذا الحديث .

وقد رأيت جماعة من الحفاظ المتأخرين غلطوا فى مثل هذا ، فنفوا رواية البخارى أحاديث هى موجودة فى صحيحه فى غير مظانها السابقة إلى الفهم . اه .

وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح :

. . . ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية ، فاستخرج فهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى منه بآيات الأحكام ، فانتزع منها الدلالات البديعة ، وسلك فى الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.

قال الشيخ محيي الدين ، نفع الله به : ليس مقصود البخارى الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها ، والاستدلال لأبواب أرادها .

ثم قال الحافظ : ولهذا اشتهر قول جمع من الفضلاء « فقه البخارى فى تراجمه » .

ثم قال : قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، فيما رويناه عنه فى جزء سماه (جواب المتعنت) : اعلم أن البخارى ، رحمه الله ، كان يذكر الحديث فى كتابه فى مواضع ، ويستدل به فى كل باب باسناد آخر ، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذى أخرج فيه ، وقلما يورد حديثا فى موضعين باسناد واحد ولفظ واحد ، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان . اهـ .

وقال صاحب (نبراس السارى فى أطراف البخارى) :

وكان المؤلف ، كما التزم فيه صحة الحديث ، التزم معه استنباط الفوائد الفقهية والنكت الحكمية . واستخرج بفهمه الثاقب معانى كثيرة فرقها فى أبوابه بحسب المناسبة . وقطع ـ لذلك ـ الأحاديث واختصرها بحسب الحاجة . وأعادها فى الأبواب المختلفة .

تراه يخرج حديثا فى باب ، وهمه من الحديث ما يتعلق به . ثم يعيده فى موضع آخر ، فيخرج منه معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه .

وينتزع فى هذا الموضع قطعة من الحديث ويقتصر عليها من غير أن يذكر الباقى . ثم فى موضع آخر يعمد إلى البعض الآخر ويذكر الأول .

فلذلك انتشرت طرق الحديث فى كتابه وأوردها فى الأبواب المتباعدة ، وتفرقت وجوه الحديث وذكرها فى المباحث المتفرقة ، ولم يتيسر له استيفاء المتون فى كل باب ولا استيعاب الطرق فى كل مبحث وكتاب . ثم لدقة نظره فى ربط الأحاديث بالأبواب كثيرا ما يذكر الحديث فى غير مظانه ، ويورده فى الباب الذى لم يسبق إليه الفهم ، فيصعب على الطالب جمع طرقه اهـ .

وقال الدهلوى (١) فى شرح تراجم صحيح البخارى : وأراد (البخارى) أيضا أن يفرغ جهده فى الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جدا ، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث فى الأبواب ، ويودع فى تراجم الأبواب سر الاستنباط . اهـ .

---

(١) المجلة ـــ أعلام المسلمين فى الهند يسمون عاصمة بلادهم (دهلى) لأن ذلك أقرب الى تلفظهم باسم هذا البلد ، والنسبة إليه (دهلوى) . أما (دلهى) كما تذكره صحفنا الآن فهو اللفظ الانجليزى ، كما يقول الانجليز للاسكندرية « الكسندريا » ، وللقاهرة « كايرو » . فهو تحريف ، والصواب (دهلى) والخطأ (دلهى) .

وقال العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فى مقدمة مجموعة الحديث النجدية :

على أن المراجعة فى صحيح البخارى فى مكان من الصعوبة لا يعرفه إلا من عالجه . فان الحديث الواحد قد يوجد فى عدة أبواب منه بألفاظ مختلفة . فمن وجد غلطا فى حديث منها كان عليه أن يراجع جميع رواياته فيها ليمكنه الجزم بالصواب .

ومن لم يدقق النظر فى اختلاف الروايات والرواة والألفاظ ، فربما جعل الصواب خطأ .

وضرب لذلك مثلا ثم قال :

فلمثل هذا الاختلاف فى الروايات لا يجزم المصحح بأن كل ما رآه خفى المعنى محرف ، فيراجعه . ولا بأن كل ما رآه جلى المعنى هو الصحيح من الروايتين أو الروايات . بل لابد من النقل واستقصاء الروايات عند المراجعة ، وذلك من العسر بمكان . فنحن نرى الحفاظ وكبار المحدثين وشراح دواوين السنة ينسون بعض الروايات أحيانا ، أو يغفلون ذكرها فى مواضعها . فهذا الحافظ ابن حجر - وناهيك بسعة حفظه - قد ذكر فى شرح حديث أبى قلابة . . إلى آخر ما قال . اهـ .

وقال الحافظ فى الفتح :

إن بعض الرواة يختصر الحديث ، وإن المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ، ثم يجمع ألفاظ المتون ، إذا صحت الطرق ، ويشرحها على أنه حديث واحد ، فان الحديث أدنى ما فسر بالحديث اهـ .

وأقول أنا : لقد عانيت كثيرا من المشقة المجهدة للقوى - لولا عونه سبحانه وتعالى - فجمعت طرق كل حديث من أحاديث البخارى ، وأفردت لكل صحابى جميع أحاديثه بطرقها ، ورتبت أسماء الصحابة ترتيبا ألف بائيا حسب أوائل حروفها ، مبتدئا بالرجال ومثنيا بالنساء رضى الله عنهم وعنهن ، وفقنا الله ببركاتهم وبركاتهن إنه سميع مجيب .

وسوف أسوقها حديثا حديثا . وطريقتى فى ذلك أن أسرد أطول طرق كل حديث ثم أتبعه بالأشارة إلى مواضع الطرق الباقية بذكر اسم الكتاب ورقمه وذكر عنوان الباب ورقمه ، وسأوثر بذلك قراء مجلة الأزهر بين حين وآخر إن شاء الله ، والله المستعان .

١ — أبو أسيد الساعدى :

(١) ٦٤ — كتاب المغازى ، ١٠ — باب . حدثنى محمد بن عبد الرحيم .

حدثنى محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبى أسيد والمنذر بن أبى أسيد ، عن أبى أسيد رضى الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر : « إذا أكثبوكم – يعنى كثروكم – فارموهم واستبقوا نبلكم » .

له طريقان غير هذا . الأول فى الباب نفسه . والثانى فى :

٥٦ — كتاب الجهاد ، ٧٨ — باب التحريض على الرمى .

(٢) ٦٣ — كتاب مناقب الأنصار ، ٧ — باب فضل دور الأنصار .

حدثنى محمد بن بشار ، حدثنى غندر ، حدثنا شعبة . قال : سمعت قتادة عن أنس ابن مالك عن أبى أسيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن خزرج ثم بنو ساعدة ، وفى كل دور الأنصار خير » .

فقال سعد : ما أرى النبى صلى الله عليه وسلم إلا قد فضل علينا . فقيل : قد فضلكم على كثير .

وقال عبد الصمد : حدثنا شعبة ، حدثنا قتادة ، سمعت أنسا قال : قال أبو أسيد عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا . وقال : سعد بن عبادة . له ثلاث طرق أخرى :

الأولى فى الباب نفسه .

والثانية فى : ٦٣ — كتاب مناقب الأنصار ، ١٥ — كتاب منقبة سعد بن عبادة .

والثالثة فى : ٧٨ — كتاب الأدب ، ٤٧ — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم « خير دور الأنصار » .

٢ — أبو أمامة :

ليس له شىء من الأحاديث المتعدده الطرق .

٣ — أبو أيوب الأنصارى :

(١) ٨ — كتاب الصلاة ، ٢٩ — باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام : حدثنا على ابن عبد الله . قال : حدثنا سفيان . قال : حدثنا الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى أيوب الأنصارى ؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرقوا أو غربوا » .

قال أبو أيوب : فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة ، فننحرف ونستغفر الله تعالى .

وعن الزهرى عن عطاء قال : سمعت أبا أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .
له طريق أخرى واحدة فى :

٤ — كتاب الوضوء ، ١١ — باب لا تستقبل القبلة بغائط .

(٢) ٧٨ — كتاب الأدب ، ١٠ — باب فضل صلة الرحم .

حدثنا أبو الوليد . حدثنا شعبة . قال أخبرنى ابن عثمان قال : سمعت موسى بن طلحة عن أبى أيوب قال : قيل : يا رسول الله ؟ أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة .

حدثنى عبد الرحمن . حدثنا بهز . حدثنا شعبة . حدثنا ابن عثمان بن عبد الله بن موهب وأبوه عثمان بن عبد الله أنهما سمعا موسى بن طلحة عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، فقال القوم : ماله ؟ ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرب ماله » .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم . ذرها » .

قال : كأنه كان على راحلته .

له طريق أخرى واحدة فى : ٢٤ — كتاب الزكاة ، ١ — باب وجوب الزكاة .
(٣) ٢٥ — كتاب الحج ، ٩٦ — باب من جمع بينهما ولم يتطوع .

حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : أخبرنى عدىّ بن ثابت قال : حدثنى عبد الله بن يزيد الخطمى قال : حدثنى أبو أيوب الأنصارى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فى حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة .

له طريق أخرى واحدة فى ، ٦٤ ــ كتاب المغازى ، ٧٧ ــ باب حجة الوداع

(٤) ٧٩ ــ كتاب الاستئذان ، ٩ ــ باب السلام للمعرفة وغير المعرفة .

حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب الأنصارى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا و يصد هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

وذكر سفيان أنه سمعه منه ثلاث مرات .

له طريق أخرى واحدة فى : ٧٨ ــ كتاب الأدب ، ٦٢ ــ باب الهجرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

(يتبع)

محمد فؤاد عبد الباقى

من وصايا السلف

إذا غامرت فى شرف مروم ... فلا تقنع بما تحت النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير ... كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

(أبو الطيب المتنبى)

فى العام الهجرى الجديد

آثاره وأسراره

لكل دورة من دورات الفلك ، وفى كل مطلع عام هجرى جديد ، تثار فى أنفسنا ذكريات جديدة ، وعبر جديدة ، تبقى على الدهر مثيرة لأحداث جسام ، وتظل عالقة بأذهاننا طوافة بذكرياتنا ، ليس فى العالم الإسلامى فحسب بل فى مجموعة العالم الإنسانى .

فقد كان الناس فيما غبر من أزمنة يبعث الله فيهم رسلا منهم مؤيدين بالمعجزات وخوارق العادات ، حتى إذا بلغ العلم فى نظرياته مداه شغف الناس بتعليل أحداث التاريخ البارزة تعليلا منطقيا ، منطبقا على قوانين الاجتماع ولغة الأحداث والعبر ، فان عجز هذا الإسلوب فى تعليل بعض الحوادث الظاهرة هونوا من شأنها واتهموا كبار العقول فى تقديرها ، كل ذلك فى سبيل إرغامها على الأخذ بمنطق العلم الذى يعرفونه لا بمنطق الأحداث الجسام ولا بمنطق قضايا العلماء الأعلام ، وتلك النزعة التى درجوا عليها ونهل علماؤهم منها كانت قائمة على أصل مقرر عندهم ، وذلك هو أن جميع أطوار الوجود تابعة لنواميس معينة لا تتحول ولا تنتقل ، وأن هذه النواميس حافلة بكل ما يقع فى أطوائها سواء أكانت ظواهر مادية أم قضايا اجتماعية . وكان الباحثون الإسلاميون بدورهم يسايرون هذه الطريقة العلمية ثقة منهم بأن القضايا الإسلامية لا يطرأ عليها جمود ولا ركود فهى أبدا فى جميع الأزمنة موائمة لكل دور من أدوار التاريخ وأن دلالاتها تبدو لألاءة على كل وجه من وجوهها .

غير أن العلم فى العهد الأخير وبالتالى فى الفترات المتوسطة السابقة على عهودنا الماثلة فى أذهاننا قد شك فى السلطان المطلق لتلك النواميس ، ورأى أن هذا السلطان يجب أن يقف إلى حد ما فقد قال الأستاذ وليم كروكس الإنجليزى فى خطبة له فى مجمع العلوم البريطانى وكان رئيسا له ما خلاصته : « مع الأسف البالغ نرى أن أكثر الذين يدرسون قضايا الطبيعة يستحيل أمرهم وشيكا أو غير وشيك إلى إهمالهم لجانب عظيم من رأس

مالهم العلمى ، لأنهم يرون أنه وهمى محض وأنه أوهام لا ترتكز على قضايا ذات مقدمات ونتائج ثابتة ، فاننا متى قلبنا حقائق الأمور ظهرا لبطن عن كثب اتضح لنا بجلاء إلى أى حد بلغت تلك النتائج وهذه النواميس محاطة بنواميس أخرى ليس لنا بها أدنى صلة ، إننا فى مكنة فائقة من الكشف عن جميع النواميس الطبيعية لحركة هذا الوجود وتفاعله وتشابك أطواره ، ولكنا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه إلى حل أهم مسألة وهى : أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات المادية مجبرا إياها على اتباع طريق رسمه لها من قبل ؟ وما هى العلة العاملة خلف هذه الظواهر ؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للمادة خارجا من نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها على تكوين هذا العالم الذى نعيش فيه ؟ . ثم قال : اسمحوا لى أن استنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التى يحتويها الوجود والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » . (راجع مجموعة خطب الأستاذ وليم كروكس) .

وقال الفيلسوف إدوارد لورى « العلم لم يتألف الا من تواضع العلماء على أصوله . وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره المعهود من الثبوت والاستقرار ، فالقواعد الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع ـ وهذه حالته ـ أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل » ـ أنظر كتاب (قيمة العمل) للرياضى الفذ هنرى بوانكارى ـ .

من هنا يرى القارئ أن العلم قد بدأ يتحول عن المنهاج المادى الذى اتبعه فى مدى قرون ثلاثة ، وأخذ يلمح وراء الحوادث قدرة عالية ترسم لكل كائن الحد الذى ينتهى إليه ، وتدفع العوامل لتحقيق مرادها منه : فالباحث فى الأديان عامة وفى الإسلام خاصة يستطيع أن يشير إلى النواحى الخارقة للعادة أى التى لا تكفى النواميس المعروفة أن تأتى بتعليل يثلج عليه الصدر عنها .

ولما كنا اليوم بسبيل الكلام عن الهجرة المحمدية لمناسبة حلول السنة الجديدة فلنا أن نطبق الموقف العلمى لنرى عناية الله التى حفت النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الهجرة .

الحق الذى لاشية فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث يدعو قريشا إلى الإسلام سرا وجهرا نحو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب له منهم إلا عدد قليل أرغموا على أن يهاجروا إلى

الحبشة لهول ما أصابهم من المشركين ، وقد اضطهد المشركون بقيتهم فى مكة حتى وألجأوهم إلى سكنى شعاب الجبل يقاسون فيه عنت الحصار والمقاطعة . فلما رأى المشركون أن الإعنات لم يجدهم نفعا ولم يحقق لهم مأربا عادوا إلى مشاكستهم بغير قليل من التحدى والمناجزة ، فلما يئس الرسول الأعظم من دعوتهم أخـذ يطلع على الناس كافة وعلى القبائل عامة ابتغاء أن يصيخوا إليه وأن يركنوا إلى دعوته ومرغبا إليها أن تأوى إلى ظل الدعوة وأن تتفيأه وتحتمى بحماه ، فكان منها من رده بالحسنى ، ومنهـا من ردّه بالمقارنة ، حتى أنه ذهب يدعو أهـل الطائف فحصبوه بالحصى والمدر والحجر . وقـد اتفق أن لقى بضعة رجال من أهل يثرب (المدينة) فبادههم بما باده به غيرهم ، فلقيت تلك الدعوة من قلوبهم موقع الرضا ، فمـا أسرع أن آمنوا به واستجابوا لدعوته ، ثم وعدوه بأن ينقلوا إلى قومهم دعوته وينشروا فيهم رسالته ، وقد ضربوا له موعدا فى الموسم المقبل حتى إذا حل ذلك الموسم وفوا بمـا وعدوا ، فأقبل من أهل يثرب إثنا عشر رجلا ، وهناك اجتمعوا بالرسول الأعظم وأسلموا بين يديه إلى الله طائعين مخلصين ، ومن بين هؤلاء عشرة من بنى الخزرج واثنان من بنى أوس ، وهما القبيلتان اللتان تؤلفان أهل يثرب . فلما رجع هذا الوفد شرع الاثنان اللذان من قبيلة الأوس ينشران الدعوة ويركزان أصولها وقواعدها فى قومهما ، عند ذلك قال سعد بن معاذ سيد الأوس لابن عمه أسيد بن خضير : ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما ؟ فقام لها أسيد وقال لهما : ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا عن قومكما إن كانت لـكما إلى هذه العزلة حاجة . فأجابه أحدهما واسمه مصعب بهذه القالة : أو تجلس إلينا فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته ، وإن أبغضته كففنا عنك ما تكره ؟ ثم قرأ عليه مصعب ماتيسر من الفرقان . منذ ذلك خشع قلبه وبان يقينه بمـا سمع ثم أسلم من فوره ، ورجع بعـد ذلك إلى سعد فقال له : ياسعـد والله ما رأيت بالرجلين بأسا ؛ وما أسرع أن ذهب سعد مغضبا اليهما ففعل مصعب معه مثل الذى فعله مع أسيد، وكان أن أسلم وحسن إسلامه ، ثم رجع بعد ذلك إلى رجال من بنى عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم : كيف تعتبروننى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا فقال : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا . فلم يبق بيت من بيوتهم إلا أجاب دعوته . ثم انتشر أمر الإسلام فى المدينة حتى عم رقعتها وفاح عبيره فى أرجائها .

فلما جاء العام الذى بعده وفد على مكة ثلاثة وسبعون رجلا ومعهم امرأتان ليقابلوا الرسول الأعظم ، فتواعدوا أن يتلاقوا فى بعض الشعاب بعد مضى الثلث الأول من الليل

لكى لاتشعر بهم قريش ، فلما جاء الموعد تسللوا وحدانا إلى مكان الاجتماع حتى إذا كمل عددهم افتتح العباس الكلام فقال لهم : إن محمدا فى منعة من عشيرته ، لم يمكنوا منه أحدا مع ما رأوه فى ذلك من الشدة ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من تبعات ، والا فدعوه بين عشيرته فانه منها لبمكان عظيم . فقال كبير هذا الوفد وهو البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى نفوسنا شئ غير ماتنطق به لأبديناه ، ولكننا نريد الوفاء بما وعدنا ، والصدق فيما عاهدنا .

ثم قال الوفد للرسول الأعظم من فوره : خذ لنفسك ولربك ما أحببت . فقال : أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم ؛ فسألوه : وماذا لنا على ذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : قبلنا ، وأخذوا يبايعونه حتى انتهوا . وتسمى هذه (بيعة العقبة الثانية) .

ثم تقدم الوفد إلى النبى الأعظم راجيا منه أن يهاجر اليهم ، فقبل دعوتهم داعيا لهم بخير . ثم تخير منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . فلما بلغ قريشا أن الإسلام انتشر فى يثرب ، وأن الرسول الأعظم عاهد أهلها على أن يحموا دعوته بما يملكون من وسائل وقوة ، وأنه أزمع أن يهاجر اليهم ، هال قريشا هذا الأمر ، فاجتمعوا فى دار ندوتهم وتبادلوا الرأى فيما بينهم ثم تآمروا على قتله اتقاء لهذا الخطر المنتظر بطريقة مبتكرة تلك هى أن ينتدبوا شابا واحدا من كل عشيرة من عشائرهم فيحاصروه فى داره ثم يقتحموها عليه ويضربه كل منهم ضربة بسيفه ليتفرق دمه فى جميع عشائر قريش وعند ذلك يتعذر العثور على قاتله فيستحيل الثأر من فرد معين أو عشيرة بعينها ، وعندئذ ترضى عشيرته بالدية ، وبذلك ينتهى أمره فلا تقوم للذين اتبعوه قائمة . قال علماء السيرة أوحى الله إلى رسوله ما بيته أولئك الماكرون الغادرون ، فأمر عليا أن ينام على فراشه ، واستصحب معه أبا بكر وخرجا من مكة سرا فى دبر الليل ، ثم جدا فى السير حتى بلغا غار ثور فأويا اليه . أما شبان قريش الذين كلفوا بقتله ليلا فقد اقتحموا داره لتنفيذ ما ندبوا له ، فلم يجدوا فيه إلا عليا ، فأوجعوه ضربا ، وعلمت قريش أنه خرج ليلا مع صاحبه فأرسلت خلفهما شرذمة لتتعقبهما ومعهم القافة ، فما زالوا يتتبعون أثرهما حتى انتهوا إلى غار ثور . هنالك قرر القافة أنهما أويا إلى الغار لانقطاع الأثر فيما بعده ، ولم يبق إلا اقتحامه عليهما لإخراجهما منه . فيقال إن المشركين استبعدوا أن يكونا لجآ اليه

لما كان عليه من الظلمة والوحشة وثواء الهوام فيه ، ولم يجسر أحد منهم أن يرتاده ليتحققوا من خلوه من غريمهم ، فتركوه وعادوا أدراجهم .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال ، وكان يبيت معهما فيه ولد لأبي بكر اسمه عبد الله يبكر فيحضر أندية قريش نهارا ثم يوافيهما ليلا فيخبرهما بما تقوله قريش ، وما تعتزمه ضدهما ، ويحمل إليهما ما يتبلغان به من الطعام والماء . فلما أمنا الطلب من قريش جاءهما الدليل الذى كانا قد أعداه من قبل لهذه الغاية ومعه راحلتان ، فامتطياهما وجدّا فى السير قاصدين المدينة ، وما زالا جادين حتى وصلا إليها سالمين . وهنالك أصبح للاسلام دولة ، وأضحى له جيش وصولة ، والقراء يعرفون ما جد بعد ذلك من أحداث .

هنا نرى أن لا بد من وقفة لنلمح آثار الآيات الإلهية من خلال هذه الحوادث . فانه إذا كان معنى الآيات أنها الحوادث التى تقع ولا يمكن تعليلها بالنواميس المعروفة ولا تنطبق على المنطق الذى تواضع عليه البشر ، فان هذا المعنى يصح على ما نحن بصدده الآن مما يتعلق بالهجرة النبوية .

ذلك أنه ليس ينطبق على أى ناموس معروف ، بل يشذ عن كل قاعدة منطقية ، ويخالف كل عرف من التقاليد العربية ، أن ترفض جميع القبائل الدخول فى الإسلام والاضطلاع بأعباء حماية الدعوة إليه ، وتقبله قبيلتان لم تكونا أنبه قبائل العرب ، ولا أكثرها عددا ، ولا أوفرها مالا ، على ما تقتضيه هذه الحماية من حرب وكفاح ، وخسائر فادحة فى الأموال والأرواح .

وما كان ليعقل قبولها لو كان النبي صلى الله عليه وسلم مناهما بالسيادة على بلاد العرب أو الإغارة على الأمم المجاورة والاستيلاء على ما لديها من أموال ونعم ، لأن تلك السيادة كانت مما لا يعقل فى بلاد العرب ، إذ لم تكن لها سابقة هنالك يقاس عليها ، ولانقسامها إلى قبائل رحالة دائمة الحركة ، إن أصابتها مخافة فى ناحية رحلت إلى ناحية أخرى ، غير آسية على زراعة تتركها أو مساكن تهجرها ، ألاترى أنه لما تهدم سد مأرب وأصاب اليمن سيل العرم ، هاجرت قبائلها إلى كل وجه حتى وصل بعضها إلى شمال بلاد العرب ، ومنها بنو غسان التى نزلت بحدود سوريا ووقعت تحت سلطان الرومانيين ونزل غيرهم فى بقاع أخرى .

أما التمنية بالإغارة على الأمم المجاورة لبلاد العرب فكان مما لا يعقل أيضا ، لأن القبائل العربية التى كانت أرفع مكانا وأعز نفرا قد وقعت تحت أسر الدول التى جاورتها شمالا وشرقا وجنوبا ، فكيف يطمع بنو الأوس والخزرج أن يتخطوا جميع هذه الحوائل القبيلية ويغزوا الفرس والرمانيين ؟

ولم هذه الافتراضات كلها وقد نص فى العهد الذى تم بين النبى الأعظم وبين الأوس والخزرج على أن لهم الجنة .

هنا لا بد من وقفة ثانية نتساءل : هل مما ينطبق على مجرى الحوادث العادية أن ترضى قبيلتان عربيتان لا عهد لهما بدين سماوى ولا كتاب بمثل هذا الجزاء الغيبى على تجردهما لنشر دين عودى صاحبه من قومه بسببه إلى حد أن أصبح لا يطيق البقاء بين ظهرانيهم ؟

لا أنكر أن الجنة جديرة أن تكن جزاءا لأعظم ضروب التضحية ، ولكن عند من ؟ عند الذين يكونون قد وصلوا من الإيمان إلى أقصى مداه ، لا عند قوم لم يقابلوا النبى الأعظم إلا ثلاث مرات ، ولم يقرأ عليهم من القرآن إلا آيات .

حقا إن هذه لآية ، ومن أكبر الآيات شأنا ، وإنها لتساوى فى نظر الفكر تفجير الماء من الصخور ، وإحياء الموتى من القبور .

لننظر الآن فى مسألة الغار :

لا مشاحة فى أن القرشيين كانوا حريصين على قتل الرسول الأعظم اتقاء لخطر يتهددوهم من اجتماع الجموع حوله خارج مكة ، ثم العود إليها بهم فاتحا أو معاكسا . فلما تبين لهم أنه خرج مهاجرا مع صاحبه تعقبوهما ومعهم القافة حتى انتهوا إلى غار ثور ، فتوافرت الأدلة على نزولها فيه ، فهل يعقل وقد انتهى أثرهما إليه أن يتركوه دون أن ينزلوا إليه ؟ قد يقال أنهم تهيبوا الدخول فيه . وكيف يعقل ذلك ولم يتهيبه الطفل عبد الله بن أبى بكر وكان يتردد عليه كل مساء ليبيت فيه .

هب أن قريشا على كثرة شجعانها لم يجرؤ واحد منهم على اقتحامه ، فهل يعقل وقد تحققت أن الأثر انتهى إليه أن لا تدع عنده جماعة لمحاصرته .

وهل كانت تعجز أن تركم على فوهته الأحجار ، أو تلق فيه قنا وحطبا وتلهب فيه النار لإجبار من فيه على التسليم إليهم .

وإن كان لاهذا ولا ذاك ، فهل كانت تعجز أن ترسل خلفهما فى طريق المدينة رجالا يصلون الليل بالنهار ليقطعا الطريق عليهما ؟ .

اللهم إن هذه آية ثانية لا تقل عن سابقتها شأنا .

فاذا كان الذى حصله العلم لأهله فى هذا العصر يسمح بأن ينظر الإنسان فى الحوادث على مدى أوسع مما كان ينظر فيه إليها ، فان النظر إلى هذين الأمرين خارجا عن المجال الضيق للنواميس المعروفة يؤدينا إلى تنور آيات من العناية الإلهية بخاتم رسله تزيد المؤمنين إيمانا ، وتنير بصائر الذين لا يزالون يرون فى النبوات أمورا عادية ، أو كما يقولون : ظواهر اجتماعية .

هذا ومن يعن بدراسة كل ما أحاط النبى صلى الله عليه وسلم من شئون ، وما تؤدى إليه من فاجع ، فى بيئة لم تنجب رجلا على هذا القسطاس من زنة الحوادث ، وبهذا الأسلوب من تقدير الأمور ، ير رأى العين أن الحق سبحانه وتعالى قد أيد خاتم رسله من الآيات الكبرى ليس بما لم ير له مثيل فى تاريخ البشر كله فحسب ، ولكن بما يجعل العلم نفسه أداة فى الكشف عن أسراره ، والتنويه بجلائل آثاره «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد » .

هذه عبر مستخلصة من الوقائع ألممنا بها إلماما على قدر ما تتسع له المجلة محيلين قراءها على أوضاع أخرى من تاريخ الهجرة ليس هذا البحث له محلا للشرح والبيان ٠

عباس طه

يا طيب للغار

يا طيب للغار آواه وصاحبه	وللحمام بما أسدت من الخدم
من يحمه الله سوى فى الوفاء له	بين الجهاد وبين الناس والبهم
لما نحى يثرب اهتز الحمى وبكت	ورق الربا لبكاء البيت والحرم
تأذن الله أن تغشى كتائبه	منازل الشرك فى نجد وفى تهم
وقام أهل المصلى والعقيق على	نصر النبى بعهد غير منفصم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا	فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

محمد عبد المطلب

هجرة .... فى سياستنا الخارجية

هجرنا السلبية .... وأصبحنا نرسم لأنفسنا سياسة استقلالية .

وهجرنا الإنطوائية .... وأصبحنا نسعى للتعاون النظيف والصداقة البريئة .

وهجرنا سياسة النعام ... وأصبحنا نقدر خطر إسرائيل ، ولا نخفى رءوسنا فى الرمال .

على هذه الأصول الثلاثة ، تدور سياستنا الخارجية .

* * *

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، عقد السيد نورى السعيد مؤتمرا صحفيا بالسفارة العراقية – فى وقت صلاة الجمعة فيما أذكر – وكشف عن مداولات اللجنة السياسية فى الجامعة العربية سنة ١٩٤٩ ، وما تجلى فيها من روح .... وأنا أنقل موجزا لتصريحاته عن مجلة الأزهر نفسها (م ٢٦ ص ١٨٧) :

فى سنة ١٩٤٩ اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، وجرى البحث فى السياسة الخارجية للدول الأعضاء . وألقيت حينئذ ثلاثة أسئلة :

الأول منها : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟ فكان الجواب بالإجماع : إن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العربية شيوعية بمعنى الكلمة ، وإلا فلا مجال للتعاون مع الكتلة الشرقية .

وكان السؤال الثانى : هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد ، فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب : إن الدول العربية ضعيفة لا تستطيع أن تحقق سياسة كهذه تحتاج إلى قوة كبيرة ، تجعل كل من يفكر فى الاعتداء عليها يخشى قوتها .

وكان السؤال الثالث : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟

وجاء الجواب بالإجماع : إن هذا التعاون مقبول ، على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وهكذا تقررت سياسة البلاد العربية ، وبدأت بتنفيذها ...

وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ، ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب ، وأعيد بحث السياسة الخارجية فى الجامعة العربية سنة ١٩٥٠ فوجدت اللجنة السياسية أن تلك القرارات سليمة فأيدتها » ...

* * *

وما كادت تصريحات الرئيس العراقى تنشر ، حتى ثارت الزوابع ...

فاستدعى الملك سعود صحفيا أمريكيا ، وأدلى له بحديث مطوّل عن قضية فلسطين ، وأن العرب لن يهادنوا إسرائيل ، وهم مستمسكون بقرارات الأمم المتحدة .

وأصدر السيد عبد الرحمن عزام ـ أمين الجامعة العربيـة السابق ـ بيانا يتناول الاجتماعات التى أشار إليها الرئيس العراقى ، محاولا التخفيف من صورتها التى عرضها التصريح . وليس المهم أن تتنصل الجامعة العربية من تبعة هذه القرارات أو لا تتنصل ، فالثابت قطعا أن هذه الآراء إن لم تكن مقررات للدول العربية مجتمعة فى جلسة رسمية ، فقد كانت آراء الكثير من ساسة العرب ، وليس عيبا أن نرى فى المـاضى تخلفا عن الحاضر ، فالوضع الطبيعى أننا نتطور ... لـكن المهم أن ندرك هذا التطور ، وأن نعرف مراكزنا الجديدة لنحافظ عليها ، ثم نواصل السير إلى الأمام .

فأنا هنا أسجل المـاضى ، لا لألوم نورى السعيد أو عزام أو الجامعة ، ولـكن لأبين سياستنا سنة ١٩٤٩ .. ثم سياستنا الآن :

لقد مرت علاقاتنا مع انجلترا خلال تلك الفترة بتجارب دبلوماسية وكفاحية مريرة ، ومر نظامنا الداخلى فى الحكم بتغير وتطور .. حتى وصلنا إلى ما نحن عليه ، فلنثبت ، ولنتقدم .

وأثبتت هـذه الحقبة من التاريخ خطأ السياسة التى ارتسمت خطوطها فى مداولات اللجنة السياسية ، أو ـ على الأقل ـ فى أدمغة كثير من ساسة العرب ، أو ـ على أقل القليل ـ فى دماغ نورى السعيد نفسه ! فقد أمكن الدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية ، دون أن تصير شيوعية بمعنى الكلمة ، أو بنصف معناها ...

استوردنا الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، واعترفنا بالصين الشعبية ، واجتمعنا فى أرض يوغوسلافيا . . . ولم نصر شيوعيين !

ووقفنا نناصر سياسة الحياد فى باندونج ، وفى بريونى . . . دون أن نجـد ما يلزمنا لأن نحرز القنبلة الذرية أو الهيدروجينية قبل أن نتكلم فى الحياد !

وأردنا نحن أن نحافظ على حسن صلاتنا مع الغرب . . . ولـكن الغرب أصر على أن تكون التبعية هى ثمن التعاون . . . لم يعطنا سلاحا ، ولم يشتر قطننا ، وانسحب من تمويل مشروعنا الحيوى السـد العالى ، فلما استعملنا حق السيادة فى تأميم مرفق مصرى ـ هو قناة السويس ـ هاج وماج ! ! ! وأظهر الغرب ـ بصـورة سافرة ـ أنه يريد أن يعقد قضية مصر لا أن يحلها ، وأنه مصر على بقاء إسرائيل وحذف فلسطين من الخريطة . إلى الأبد ! ! !

إنها هجرة . . . غيرنا بها معالم سياستنا الخارجية ، بل قلبناها رأسا على عقب . . .

هذا الارتباط المؤبد بالكتلة الغربية وحدها ، الذى شبهه أحد ساستنا مرة بأنه زواج كاثوليكى لاطلاق معه . هذا الخوف والوجل والإشفاق من كل مايمس الكتلة الشرقية ، خوفا من أن تصدّر إلينا الشيوعية . . . كل ذلك هجرناه . . . إلى غير رجعة ! ! !

وهجرنا الانطوائية . . .

كنا نحرص على أن نقف وحدنا ، نشك فى كل دولة ، وفى كل أمة ، وفى كل ارتباط ولو كان بين قوى متكافئة ! ! !

وانتشرت قالة السوء ، وتفاقمت أزمات الثقة بين الدول العربية . . .

لقد اتحدت كلمة الأمة العربية فى جهاد فلسطين المقدس ، وهال العدو مغبة هذه الوحدة . . . فدس بيننا جراثيمه ، ولعب بذيله ، فخرجنا يلعن بعضنا بعضا ، ويكفر بعضنا بالعروبة ، وبالوحدة ، وبفلسطين ! ! !

ورأينا أمريكا وانجلترا وفرنسا تسعى جاهدة لتكوين حلف الأطلنطى ، وحلف البحر المتوسط ، وحلف مانيلا للباسفيك والهندى . .

ورأينا روسيا توسع رقعة كتلتها الشرقية . .

أما نحن فقد كفانا ما كان . . وكأننا وحدنا الذين أخطأنا فى هذا العالم . .

إن سياسة أمريكا أخطأت . . وسياسة انجلترا أخطأت . . وسياسة فرنسا مليئة بالأخطاء !

ورأينا روسيا تصحح خطأها فى عبادة ستالين ، وبولندا تصحح خطأها الذى أدى لثورة بوزنان ، والصين الشعبية تؤكد حكومتها للبرلمان أنها ستعمل على التخلص من الأخطاء الماضية . . لكننا اليوم . . عرفنا قيمة التجمع والتكتل .

لقد هتف رئيس الجمهورية فى خطابه التاريخى الذى يرد به على أمريكا وإنجلترا ويعلن تأميم القناة . هتف فى هذه الظروف الدقيقة يرحب برغبة سوريا فى الاتحاد مع مصر ويرد على تحيتها بأحسن منها .

سوريا ومصر آخذان فى الاتحاد .

سوريا والأردن أزالتا حواجز السفر ، وتتفاوضان فى إزالة القيود الاقتصادية .

سوريا ولبنان وحدتهما من قديم ، وتزدادان إيمانا بالاتحاد، وتسعيان فى توثيق الاتحاد.
المملكة العربية السعودية واليمن تتعرضان معا للاستعمار البريطانى: الأولى فى البريمى ، والثانية فى الصراع على الحدود حول المحميات ... وتتقاربان حتى يسأل مسئول يمنى : هل فى النية عقد اتحاد فدرالى جديد من الدولتين ؟؟ ... فيقول : نحن فى اتحاد فعلا .
ثم هناك المواثيق العسكرية بين مصر والمملكة السعودية، واليمن، وسوريا، والأردن .
وأراد الاستعمار أن يقطع طريق الاتحاد ...

فرض المعاهدة الليبية ليمزق الأمة العربية فى شمال إفريقيا ... ويعزل المغرب العربى عن مصر وباقى الأمة العربية ، ويبقى له مركزا فى المنطقة ...

وأصر الاستعمار على بقاء الجزائر تحت السيطرة الأجنبية ، ولم يسمح لها بما سمح به لتونس ومراكش ، لتكون حاجزا يعرقل الوحدة ، ولتكون قاعدة يجثم عليها الاستعمار..

وكان الاستعمار قد أقام إسرائيل ... لتمزق مواصلات مصر والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتهدد المملكة العربية السعودية وقد أطلت من ميناء إيلات على خليج العقبة.

وفرض على الأردن المعاهدة وجلوب ، ليساعد على التمزيق . ولكن ...
ثارت الجزائر، وقاتلت قتال الأبطال، ونحن نحنى الرءوس إعجابا بهذه الأمه العربية.
وثارت الأردن ، وطردت جلوب ... والبقية ... إن شاء الله ... تأتى !!!.
والمهم أن سياستنا الخارجية اليوم سياسة صريحة ، وقد نص دستورنا على ذلك .
وتيقنا أن عروبتنا هى أساس قوة كما علمتنا التجارب ، وليست سبب ضعف كما أراد أن يلقننا الاستعمار.

وتأكد من هذا الكتاب الذى كانوا يدعون إلى (القوميات المحلية) المجردة ...
وتأكد من هذا الكتاب المتطرفون الذين كانوا ينفرون من الحديث عن الدين والعروبة ...
ومجد هؤلاء وأولئك (وحدة الأمة العربية) فى الكفاح.

وسرنا إلى أبعد مدى من الأمة العربية ... مددنا يدنا للشعوب المحبة للسلام ، فتدعمت علائق الكتلة الأسيوية الإفريقية فى مؤتمر باندونج ... ثم وجدنا مصالحنا لا تنفصل عن البحر المتوسط ، فأردنا أن نطل عليه ، فكان مؤتمر بريونى.
نحن أمة عربية ... ونحن أمة شرقية ... ونحن أمة حياد، تتعاون مع أنصار السلام.

ونحن ... طبعا ... أمة إسلامية ، فمصر مقر الأزهر ، والمؤتمر الإسلامى ، ودينها الرسمى هو الإسلام .

* * *

ولقد كنا نتجاهل إسرائيل ... كنا نعتبرها أمرا واقعا ، وكان السذج والبسطاء يعتبرون أن فلسطين بالنسبة لنا قد انقسمت قسمين : اسرائيل ونحن لا ننوى الاعتداء عليها ... وغزة ونحن لا ننوى الاحتفاظ بها ... وإذن فما شأننا بفلسطين ؟؟ .

ثم رأينا ارتباط إسرائيل بالاستعمار فى قيامها وفى بقائها ، ورأينا أن الاستعمار يريد أن يجعل من إسرائيل الكلب العقور الذى يسلطه على الدولة العربية التى لا تعجبه ، ولذلك يسلحها ويحرمنا السلاح ، ليحافظ على التوازن بين مليون يهودى وسبعين مليونا من العرب !

كنا نؤثر أن نتعاون مع الغرب ونحن نعلم عمق صلته باسرائيل ... كنا نفضل الصهيونية على الشيوعية ! ثم عرفنا أن مقاومة الشيوعية لا تكون بمهادنة الصهيونية ولا بالتحالف مع الاستعمار ، وإنما تكون بالإصلاح الزراعى وترقية الإنتاج وعدالة التوزيع .

ورفضنا التحالف مع الغرب ، حتى لانكون خط الدفاع الأمامى عن إسرائيل . . . ولو نظرت إلى الخريطة وعرفت الموقع الجغرافى لتركيا - إيران - باكستان - بالنسبة للخط الشيوعى من الشرق ، وإسرائيل من الغرب . . . لعرفت أن المسلمين سيكونون الوقود لحماية الصهيونية ! ! !

وأشار رئيس الجمهورية إلى استراتيجية إسرائيل فى وسط البلاد العربية فى حديث لمجلة أمريكية أجملته مجلة الأزهر فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ (م ٢٦ ص ١٢٦) قال فيه : « أعتقد أن بقاء إسرائيل سيؤثر دائما فى الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط - كما هو الحال الآن - لسبب بسيط وهو أن إسرائيل تشطر العالم العربى إلى جزءين » .

وأقدمنا على تكوين جيش فلسطين ... لنحول أهل فلسطين من لاجئين - كما تسميهم هيئة الأمم وهيئة الإغاثة - إلى مكافحين كما كانوا فى تاريخهم الطويل ... واستشهد منا أبطال فى ميدان القتال ... وفى ميدان الغدر والاغتيال ... فهل بعد هذا كله نترك فلسطين ؟ !

لقد هجرنا تلك الحماقة التى كانت تظن أن اليهود سيكتفون بفلسطين ... وأعرب رئيس الجمهورية عن إدراكه لمطامع إسرائيل ... إنها تريد ملك سليمان ، من الفرات إلى النيل !

وأصرت مصر على أن تحمى قناة السويس من مرور سفن إسرائيل أو من يساعد إسرائيل .
وتحيزت لإسرائيل فى شكواها من هذا الإجراء لجنة الهدنة ومجلس الأمن ...
ولكننا ـ وقد أدركنا الخطر المحدق ـ قلنا : لا ... بمل الفم ! ! !

إنها هجرة ... إلى سياسة تقدر الخطر الإسرائيلى قدره ، وتعيش على أنه لا استقرار فى الشرق الأسط ما بقيت إسرائيل ! ! !

لقـد بدأت اسرائيل عصابات وتحولت إلى دولة ... ثم مسخت إلى عصابات مرة أخرى ، ومردها إلى زوال ـ كما قال رئيس الجمهورية .
هذه معالم سياستنا الخارجية الجديدة التى هاجرنا إليها ...
سياسة استقلالية ... إيجابية . سياسة عربية ... شرقية و إسلامية .

فلنعرف طريقنا ... ونحن إلى الخير نسير

محمد فتحى محمد عثمان

القومية العربية

فى خطاب جمال التاريخى

فى الخطاب التاريخى العظيم الذى أعلن به جمـال عبـد الناصر تأميم القناة ، وردت الكلمة الذهبية التالية عن القومية العربية :

أيها المواطنون ، إن القومية العربيـة تتقدم . إن القومية العربية تنتصر . إن القومية العربيـة تسير إلى الأمام ، وهى تعرف طريقها . إن القومية العربية تشعر من هم أعـداؤها ، ومن هم أصدقاؤها . إن القومية العربية تعـلم أن وجودها فى اتحادها وإن قوتها فى قوميتها .

وأنا اليوم ـ أيها المواطنون ـ أتجـه إلى إخوان لـكم فى سوريا العزيزة ، سـوريا الشقيقة ، وقد قرروا وأعلنوا أن يتحدوا معكم أتحادا حرا كريما عزيزا سليما ، لندعم سويا مبادئ العزة ومبادئ الكرامة ، ولنرسى سويا (الوحدة العربية) .

إننى اليوم أقول لاخوان لكم فى سوريا باسمـكم : إننا نرحب بكم أيها الإخوة ، فقد قلتم فى دستوركم إنكم جزء من الأمة العربية ، وقلنا فى دستورنا إننا جزء من الأمة العربية . وسنسير معا أيها الإخوة متحدين يدا واحدة وقلبا واحد ورجلا واحدا ، لنرسى مبادئ العزة الحقيقية ولنقيم فى ربوع الأمة العربية استقلالا سياسيا حقيقيا واستقلالا اقتصاديا حقيقيا .

أنباء العالم الإسلامي

تأميم قناة السويس

فى فترة احتجاب المجلة السنوى توالت الأحداث العالمية المتصلة بيقظة مصر ونهضة العروبة والعالم الإسلامى ، فكان من أهمها تمام الجلاء البريطانى عن قاعدة القناة ، وتورط أمريكا وانجلترا فى إعلانهما – تحت ضغط الصهيونية العالمية – سحب العرض الذى سبق لهما التقدم به لتمويل السد العالى الذى سبق لنا وصف أهميته فى السنة الماضية (ص ٩٣٤) .

وأهم ما حدث بعد ذلك خطبة الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى الأكبر بالأسكندرية يوم ٢٦ يولية بأن مصر ستبنى السدالعالى بمالها الحلال ، معتمدة على سواعد أبنائها ، وقد أعلن حق مصر فى تأميم قناة السويس (التى كانت مدة امتيازها ٩٩ سنة تنتهى سنة ١٩٦٨ أى بعد ١٢ سنة) . وفى الدقيقة التى كان الرئيس يعلن فيها من الاسكندرية هذا الحق الشرعى لمصر ، كان المندوبون لتنفيذ ذلك يقومون بتنفيذه بكل دقة وحكمة ، فاستولت مصر على مكاتب الشركة المؤممة فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس ، وتحول اسم الشركة إلى (هيئة إدارة قناة السويس) وباشرت الهيئة استقبال السفن الداخلة فى القناة من شمالها إلى الجنوب أو من جنوبها إلى الشمال ، وتولت استيفاء رسوم المرور ، وقدتم ذلك كله كما كانت الحال من قبل ، واستمرت حركة الملاحة فى القنال فى حالها الطبيعية وبأكثر تسهيلا للسفن مما كان يجرى قبلا . بشهادة شركات الملاحة الأجنبية

وقد قامت قيامة الانجليز فى لندن والفرنسيين فى باريس لهذه المفاجأة التى لم يكونوا يتوقعونها ، وإن كانوا يعلمون أن ذلك من حق مصر الشرعى ، واجتمع ممثلو الدولتين فى لندن منضما إليهم ممثلو أمريكا التى كانت أكثر اعتدالا وقرروا دعوة الدول التى لها علاقة بالملاحة فى قناة السويس إلى مؤتمر يعقدفى لندن يوم ١٦ أغسطس تشترك فيه مصر وروسيا ، ومجموع الدول التى دعيت إلى هذا المؤتمر ٢٤ دولة . وسنأتى فى جزء صفر على ما تتطور به الأحداث .

الحرم المكى

ينتظر أن يتم توسيع الحرم المكى فى ثلاث سنوات ونصف بدلا من خمس سنوات

فينتهى منه فى عام ١٩٥٩ وتصبح مساحته مائة وعشرة آلاف متر بدلا من ٣٥ ألفا ، وبذلك يتسع لخمسمائة ألف مصل من حجاج بيت الله الحرام . وقد رصد لهذه التوسعة والتجديد مائة مليون جنيه مصرى . وسيكون من دورين ، وتفرش أرضه كلها بالرخام ، وسيتناول الإصلاح والتجديد ما حول الحرم فى الخارج بحيث يمكن لأربعة آلاف سيارة أن تنتظر خارجه دون أن تزدحم بها الطرق التى جعل عرضها ٢٥ مترا بدلا من ٨ أمتار . وسيكون توسيع الحرم نواة لإعادة تخطيط مكة بحيث تحتفظ بطابعها الإسلامى وستقام منازل جميلة فى الجبال القائمة على أرض مكة للسكان الذين كانوا يسكنون حول الحرم ونزعت ملكية منازلهم لتوسيعه وتقرر إدخال تكييف الهواء فى الحرم المكى والحرم المدنى لتلطيف الجو على المصلين . ووضع تصميم لمئذنة الحرم المكى بجعل ارتفاعها تسعين مترا ، وبذلك تكون أعلى مئذنة فى العالم الإسلامى ، وتليها مئذنة الحرم المدنى فان ارتفاعها بلغ ٦٧ مترا .

طريق جدة — المدينة

تم تعبيد طريق جدة ـ المدينة وطوله ٤٢٥ كيلومتر وقد كلف هذا الطريق أربعة ملايين جنيه مصرى ونفذ فى عامين .

كما تم توسيع مطار المدينة فصار يستوعب عددا كبيرا من الطائرات فى وقت واحد .

توحيد العطلة الأسبوعى

فى يوم الجمعة ٢٧ ذى الحجة (٣ أغسطس) نفذ فى القاهرة والاسكندرية وسائر المدن المصرية لأول مرة ما استقر عليه الرأى فى المؤسسات والمصارف المالية والهيئات من اعتبار يوم الجمعة هو يوم العطلة الاسبوعى بدلا من يوم الأحد، فأقفلت البنوك والشركات والبورصة أبوابها ، على أن تقوم بالعمل فى أيام الآحاد

القضايا العربية

يذيعها المؤتمر الإسلامى فى الحرمين

أذن عاهل المملكة السعودية لبعثة المؤتمر الإسلامى بعقد ندوات إسلامية ساهرة للشعوب الإسلامية أذيعت يوميا فى الحرمين المكى والمدنى ، من العشاء حتى الفجر . وذلك لشرح القضايا العربية .

وقد أشرف على هذه الندوات الصاغ علوى حافظ ، وحاضر فيها الدكتور مهدى علام والأساتذة محمود خليفة ومحمود الكولى وتوفيق الحلبى ، ومندوبون عن الصين الشعبية وأندونيسيا والباكستان ومراكش والعراق وشمال إفريقيا وسوريا .

وقد عادت بعثة المؤتمر الإسلامى حاملة رسالتين من جلالة الملك سعود إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر .

الأدب والعلوم

وسائل لتيسير التدريس

ينتظر أن تزود وزارة التربية والتعليم معاهد المعلمين والمعلمات بأجهزة سينمائية ومكبرات للصوت وأجهزة للتسجيل وللعرض وأخرى للتدريس على نطاق واسع لم تعهده هذه المعاهد من قبل .

وقد اختير ٢٣ معلما ومعلمة للتدرب على استعمال هذه الأجهزة فى معاهد المعلمين والمعلمات .

أحدث كلية للصيدلة

افتتح وزير التربية والتعليم المبنى الجديد لكلية الصيدلة بجوار كلية الطب فى جامعة الإسكندرية ، وقد بلغت نفقات هذا البناء ١٠٠ ألف جنيه ، وهو يجعل من مدرسة الصيدلة كلية فريدة فى أجهزتها بين الكليات المماثلة فى مصر والشرق العربى ، وستعزز إمكانيات جامعة الإسكندرية فى تخريج عدد أكبر من الصيادلة الذين تحتاج إليهم البلاد .

العربية فى جامعة جنيف

على أثر القرار الذى أصدرته منظمة الصحة العالمية باعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية للمنظمة ، قررت جامعة جنيف فى سويسرا إدخال اللغة العربية فى مناهج كلية الآداب فيها وإنشاء كرسى للآداب العربية .

وقد وقع اختيار جامعة جنيف على الدكتور محمد حسين القرطوسى الأستاذ بكلية الآداب فى بغداد ليكون أستاذا للعربية فى الجامعة السويسرية .

العربية فى ألمانيا الشرقية

فى نبأ من برلين أن عددا من جامعات ألمانيا الشرقية سينشئ فروعا لدراسات اللغة العربية وتاريخ الدول العربية وجغرافيتها

وألمانيا الشرقية ترتبط الآن بعلاقات اقتصادية بعدد من الدول العربية وخاصة مصر

فى مدارس مصر الابتدائية

سيكون فى مدارس مصر الابتدائية عند ابتداء موسم الدراسة فى هذا العام مليون تلميذ وثمانمائة ألف وواحد وستون ألفا

ونسبة المصريين منهم ٩,٩٩ فى المائة والأجانب واحد فقط من كل ألف تلميذ . ونسبة المسلمين منهم ٢,٩٣ فى المائة والمسيحيون ٦,٧ فى المائة ، والباقون من ديانات أخرى .



تفسير الطبرى — الجزء السادس

بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ـ ٦٤٠ ص ـ دار المعارف بمصر

صدر بحمد الله هـذا الجزء السادس من كتاب (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وهو يبدأ من آية البقرة (٢٧٥) : « الحمد لله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وتتم فيه سورة البقرة ، يتلوها ٩٢ آية من آل عمران وآخرها « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدوا به » . وهو كالأجزاء الخمسة السابقة فى حسن العرض وجودة الطبع ونفاسة الورق ، زيادة على ما امتازت به هـذه الطبعة من تصحيح مافرط فى طبعتى الكتاب السالفتين وفى المخطوطات التى أبقاها الدهر من هذا الكنز العظيم ، وما تفردت به من تحقيق وشرح وتنبيه على أسرار العربية ، وحكمة التشريع ، وبدائع الأدب . وفيه من الآثار مايزيد على ألف أثر (من رقم ٦٢٣٥ إلى ٧٣٩٨) محققة بعلم الأستاذ الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر وناهيك به . وهو كالأجزاء السابقة مختوم بالفهارس التى هى كالمفاتيح لما فى الجزء من خزائن وكنوز . يسر الله إتمـامه .

المختار من صحيح مسلم بن الحجاج

الجزءان الأول والثانى ـ ٢٢٤ ص ـ مطبعة الأزهر

يقوم فضيلة الأسـتاذ الشيخ محمد محمد أبو شهبة مدرس التفسير والحديث فى كلية أصول الدين باختيار المقرر للفرقة الثالثة بالكلية من صحيح الإمام مسلم مشفوعا بشرح نافع هو لطلاب علم السنة دراسة إمعان وتدبر يبتغى منها العلم والعمل وتطهير القلوب وشفاء النفوس وإصلاح المجتمع وإعادة الإسلام إلى جوهره الصافى لا ابتداع فيه ولا تشويه . وقد قدم له مقدمة تضمنت ترجمة الإمام مسلم وبيـانا عن صحيحه وموازنة بينه وبين صحيح البخارى وكلاما على شروح صحيح مسلم ومختصراته . ونرجو أن يكون اشتغال صديقنا

الدكتور أبو شهبة بتدريس المختار من صحيح مسلم وسيلة لكتابة شرح عليه غير مقيد بهذا المقرر ، فان الناس فى حاجة إلى شرح له بالأسلوب الذى انتهجه الأستاذ فى هذا المختار ، والله الموفق .

مصر فى القرن الثامن عشر — الجزء الثالث

لفضيلة الأستاذ محمود الشرقاوى ـ ١٩٠ ص ـ مطبعة الرسالة

سبق لنا التنويه بالجزء الثانى من هذا الكتاب الذى وقفه فضيلة الأستاذ المؤلف على دراسة تاريخ الجبرتى . وهذا الجزء فى فصلين استوعب فى أولها استيعابا كاملا مناهضة الشعب المصرى للظالمين من حكامه الأتراك فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة وثوراته عليهم ، كما لخص مقاومة الشعب للحملة الفرنسية وصده للغزو الانجليزى . وفى الفصل الثانى صورة صادقة لعصر محمد على كما حاول مؤرخ عصره الجبرتى أن يرسمها كشاهد عيان قيضه الله لتسجيل طرف من سيرة محمد على كما تؤرخها وقائع حياته وأفعاله ومظاهر سلوكه . والأستاذ الشرقاوى وإن كان اعتماده الأول على الجبرتى إلا أنه رجع فى كتابه إلى أوثق المراجع المعينة على ذلك ، وكان قد بدأ فى هذا القسم لما كان الحكم الملكى قائما فى مصر ، وانتهى منه عند انتهاء حكم فاروق ، لكن النظام الملكى كان مايزال قائما معترفا به ، فكان يحاول أن يلتزم أمانة المؤلف مع عدم الاصطدام بما فرضته قوانين هذا النظام . ثم استطاع أن يكتب كتابه وينشره فى ظل الحكم الجمهورى فخرج به إلى الإبانة الصريحة والافصاح . وكان بحمد الله موفقا فى هذا الجزء الثالث كما كان موفقا فى الذى قبله . فنرجو الله أن ينفع به .

(آيات التوحيد فى القرآن)

هو قبس وضياء من وحى السماء ، تعاون على تأليفه ثلاثة من دعاة الأزهر إلى حقائق الإسلام : الشيخ الحسينى المسلمى المفتش العام للوعظ ، والشيخ محمد أبو المكارم عيسى الواعظ العام ، والشيخ زكى رضوان محسن الواعظ العام ، وقد صدر منه الجزء الأول وفيه الإلمام بآيات التوحيد فى أم الكتاب وسور البقرة وآل عمران والنساء ، يذكرون النص القرآنى للآية أو الآيات التى تتعلق بصفة من صفات الله سبحانه ودلائل توحيده ، ثم يفسرون مفرداتها ، ثم يأتون على معانيها باعتبار أنها هداية وتوجيه بأسلوب سهل حتى يظن القارئ أن المعنى صادر عن فهمه . وهذا الجزء الأول فى ١٣٠ صفحة . فنرجو لهم التوفيق لإتمام تفسير آيات التوحيد إلى نهاية القرآن فى الأجزاء التالية .

تسعة كتب فى الدين والعبادة

أهـدى إلينا المسلم الغيور الحاج عباس كراره مجموعة مؤلفاته فى الدين والعبادة ، وهى تسعة كتب فى نسق واحد تزيد صفحاتها على ٢٣٠٠ صفحة . أولها كتاب (الدين والشهادة) ومداره على الشهادتين و أركان الدين الإسلامى ومقاصده وحاجة الناس إليه ، وعلى التوحيد الذى امتاز به الهـدى المحمدى على سائر الأديان المعروفة ، ثم على التعريف بالنبى صلى الله عليه وسلم ووجوب الإيمان برسالة الإنسانية كافة . وقد شارك فى تأليف هـذا الـكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد أحمد القط من علماء الأزهر . والـكتاب الثانى (الدين والصلاة) وهو مأخوذ من الـكتاب والسنة وكتب الفقه على المذاهب الأربعة كل مذهب على حدته ، وقد أشرف عليه الاستاذ السيد محمد أمين كتبى من علماء الحجاز والمدرس بالمسجد الحرام . والـكتاب الثالث (الدين والزكاة) على المذاهب الأربعة وهو كالـكتاب السابق واشرف عليه فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف عبد الرزاق من علماء الأزهر . والـكتاب الرابع (الدين والصوم) على المذاهب الأربعة كالـكتابين السابقين . والـكتاب الخامس (الدين والحج) فى مناسك الحج والعمرة على المذاهب الأربعة . وقد تكرر طبع هـذا القسم حتى بلغ اثنتى عشرة طبعة ، وقد سبق لهـذه المجلة تقريظه فى جزء ذى القعدة سنة ١٣٦٨ ويقول مؤلفه انه صحح باذن سماحة رئيس القضاة بالمملـكة العربية السعودية . والـكتاب السادس (الدين والأدب) من الآيات القـرآنية والأحاديث النبوية ، وقـد قسمه الى موضوعات دينية وموضوعات أدبيـــة وموضوعات الزجر عن الرذائل وبدأ كل موضـــوع منه بآية من آى الذكر الحـكيم وبحديث شريف ثم بـكلام الأدباء والأمثال والقصص . والـكتاب السابع (الدين والتاريخ) وهو خاص بحياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مولده الى بعثته وهجرته وغزواته ووفاته . والـكتاب الثامن (الدين والحرم) وفيه خلاصة تاريخ الـكعبة المعظمة والمسجد الحرام ومقام ابراهيم وبئر زمزم ، وقد أشرف عليه الشيخ أبو السمح عبد الظاهر محمد إمام الحرم المـكى رحمه الله . والـكتاب التاسع (الدين والمرأة)هو مجموعة مقالات لطائفة من الـكتاب مختلفى المشارب فاته ذكر اسمائهم فى مواضعها عند كل مقالة ثم استدرك ذلك فى الفهرس . وهـذه المجموعة بجملتها من الأعمال المشكورة فى نشر الثقافة الإسلامية بين جماهير المسلمين . فنشكر للمؤلف هديته .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثانى ـ القاهرة فى غرة صفر ١٣٧٦ ـ ٦ سبتمبر ١٩٥٦ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخلاق جديدة .. لحياة جديدة

لما غضب الشرق العربى كله لغضبة جمال عبد الناصر ، فى الساعة التى انعقد فيها مؤتمر لندن للتآمر على حق مصر فى تأميم شركة القنال ، جلست صحفية ألمانية مسنة فى فندق من فنادق بيروت تسأل صحفيا عربيا عن السر ـ أو السحر ـ فى هذه الحيوية العجيبة التى جعلت مائة مليون عربى يشعرون بشعور مصر ، ويرددون بصوت واحد كلمة جمال عبد الناصر فى قضية القنال . فتحوّل الوطن العربى الأكبر كله إلى معسكر للمجاهدين ، من خليج العرب فى الساحل الشرقى لجزيرتهم ، حتى ساحل طنجة والعرائش ورباط الفتح والدار البيضاء والصويرة على المحيط الأطلسى فى أقصى الغروب .

إن هذه الصحفية الألمانية المسنة تعجب لهذه الحيوية العربية ، وهذا التجاوب العام الشامل ، وتسأل : ما هو السر ـ أو السحر ـ فيما تراه رأى العين فى مختلف أوطان العروبة ، وكيف تم كل هذا ؟ !

وقد أجابها الصحفى العربى بأن الناطقين بالضاد وجدوا النسخة الواضحة السهلة من الرجل العربى بأحلامه وآماله وهمومه ، وجدوا الرجل الصريح الذى لا يخادع ،

والذى يعتز برجوليته واستقامته . . وجدوا الرجـل الذى يمثل الجرأة والشجاعة ، والذى يعرف معنى الشرف والأمانة ، والذى لا يصبر على الإهانة والذل . فتجاوبت طبـاعه مع طباعهم ، ونفسيته مع نفسيتهم . . إنهم رأوا فيه أنفسهم ، رأوا فيه كيانهم بألغـازه وأسراره ، فتجاوبوا لحـاضرهم ولمستقبلهم المنتظر .

وقبل نحو مائة وخمسين سنة جلس نابليون بونابرت يفكر فى أن كرسى القيادة فى الشرق العربى ما برح شاغرا ، فقال يومئذ : « الشرق كله فى انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لى أن أحالف المماليك لـكنت الآن سلطان المشرق » .

وقد أخطأ بونابرت فى اختيار حليفـه الذى كان يستتب له بمحالفته أن يكون سلطان المشرق ، ولو انتبه إلى أن سلطان المشرق إنمـا كان يستتب له بشىء واحد وهو صفات القائد التى ذكرها ذلك الصحفى العربى لزميلته الألمـانية فى بيروت يوم الاحتجاج العربى الأكبر على مؤتمر لندن ، لـكان ذلك مفتاح السر ، وطلسم السحر ، الذى كانت تتساءل عنه الصحفية الألمانية ، والذى كان نابليون يحلم به قبل ذلك بمائة وخمسين سنة .

بالأخلاق وحد الله كلمتنا ، وبالأخلاق اجتمعت على الحق قلوبنا ، وبالأخلاق تغيرت دنيا العروبة من حال إلى حال .

ولـكن . . على قدر أهـل العزم تأتى العزائم ، وعلى قـدر اتساع نطاق الأخلاق يتسع نطاق أثرها ويبقى وينتظم .

يجب أن تتجاوب الأخلاق بين القيادة والجماهير ، ويجب علينا جميعا أن نتسلح بالأخلاق ونحن نمد أيدينا إلى البنادق والمدافع والرشاشات لنتعلم صناعـة الموت فى سبيل الحيـاة .

إن الأخلاق فى لغتنا القومية وتقاليـدنا العربية هى قوام أرواحنا ، وبها كمال إنسانيتنا ، وهى معيار رجوليتنا فى الرجال ، وجمال أنوثتنا فى النساء .

تتألف القومية العربية من المرء والمرأة ، ولا يكون المرء امرءا فى سجل العروبة ، ولا المرأة امرأة ، إلا بالمروءة . ويقول الإمام العـدوى العمرى رضى الدين الحسن ابن محمد الصغانى (٥٧٧ — ٦٥٠) فى معجمه (العباب) : المـروءة الإنسانيـة وكمال

الرجولية . ومن قبل الصغانى بستة قرون كتب جـده أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب إلى أبى موسى الأشعرى عامله على البلاد المتاخمة لإيران : « خذ النـاس بالعربية ، فانه يزيد فى العقل ، ويثبت المروءة » . فعربيتنا وعروبتنا وكياننا القومى وكون الرجل منا امرءا والمرأة امرأة إنمـا هو بالمروءة ، والمروءة الأخلاق ، وهى الإنسانية ؛ فالرجوع إليها بالجلاء عن غيرها هو الجلاء ، والتحلى بها هو التجديد ، وتوطين النفوس على ذلك هو الذى يبعث فينا الأخلاق الجديدة الملائمة لمـا ننشده فى حياتنا الجديدة .

وأصـدق ما ذكرت به المروءة قول قائدنا الأول معلم النـاس الخير (صلوات الله وسلامه عليه) فى إحدى جوامع هدايته : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ، ويكره سفسافها » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من عامل النـاس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته » .

وسأل معاوية عبد الله بن عمر (رضى الله عنهم) : ما المروءة؟ فقال : « تقوى الله، وصلة الرحم » . ثم سأل المغيرة بن شعبة : ما المروءة ؟ فقال : « العفة عمـا حرم الله ، والحرفة فيما أحل الله » . ثم سأل ابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : « الصبر على البـلوى ، والشـكر على النعمى ، والعفو عند المقدرة » . فقال له أبوه : أنت منى حقا ، وما نـكب المغيرة عن القصد .

وسئل القائد الحـكيم الحليم الأحنف بن قيس : ما المروءة ! فقال : « مواساة الإخوان ، وصدق اللسان ، وذكر الله فى كل مكان » . ومعنى ذكر الله فى كل مكان أن يكون المرء دائبـا على ذكر ربه فى كل ما يتصرف فيـه من قول وعمل ، فيتصرف فى ذلك بمـا يعلم أنه يرضى الله ويوافق هدايته على لسان رسوله فى إقامة الحق ، وإشاعة الخير ، وإسعاد الإنسانية بالأسرة الصالحة والمجتمع السليم والدولة المثالية .

والمروءة فى المجتمع السليم لا تنحصر فى أهل الثقافة والحكمة والعلم ، بل تشمل عناصر المجتمع كله، ولا سيما أهل الثروة والسعة ممن يساهمون فى إقامة مرافق الأمة وترميم خللها . قال الأحنف :

فلو مدّ سروى بمـال كثير ... لجدت به وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطـ ... ـع إذا لم يكن مالها فاضـلا

وقال الهذلى :

وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل
أترجو أن تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيل

وسأل رجل محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء فى عشر ديات ، فقال محمد بن عمير : علىّ دية . وقال عتاب بن ورقاء : علىّ الباقى . فقال محمد بن عمير : « نعم العون اليسار على المروءة » .

وفى شرح الشفاء للخفاجى : المروءة تعاطى المرء مايستحسن ، وتجنب ما يسترذل .

وقيل : المروءة صيانة النفس عن الأدناس ، وما يشين عند الناس . ونعتوها بأنها السمت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب المجون .

وسئل أحد الأعلام عن المروءة فقال : أن لا تفعل فى السرّ أمرا وأنت تستحيي أن تفعله جهرا .

وفى المصباح : المروءة آداب نفسانية ، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . والمصباح كما أنه معجم لغة ، فهو لسان من ألسنة الفقه فى الإسلام ، ولا سيما فقه الإمام محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله .

وأجمل ما يتجمل به العربى من المروءة وهو فى مقتبل العمر ، وفى ذلك يقول الأحنف سيد بنى تميم : « السؤدد مع السواد » . وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

ولما كانت المرأة فى دنيا العروبة هى أنثى المرء فهى شريكته فى المروءة . بل رأيناهم إذا ذكروها بخلق ممتاز من أخلاق المروءة رفعوها إلى مرتبة المرء فسموها امرءا من غير تاء التأنيث ، حكى ابن الأعرابى أنه يقال للمرأة : إنها لامرؤ صدق . وقالت امرأة من العرب : أنا امرؤ لا أخبر السرّ . ففى هذين الموضعين تجردت المرأة من تاء التأنيث لما تحلت بمروءة الرجال من أمانة وصدق . وفى حديث علىّ لما تزوج فاطمة رضوان الله عليهما ، قال له يهودى أراد علىّ أن يبتاع منه ثيابا : لقد تزوجت امرأة . يريد امرأة كاملة ، كما يقال رجل ، أى كامل فى الرجال .

وكنت فى سبيل أن أمضى بالقلم فى حديثى مع القراء عن الأخلاق الجديدة لحياتنا الجديدة ، لو لا أنى تذكرت كلمة نفيسة فى الأخلاق لصديق القديم أديب العربية الأكبر

السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فرأيت من اللائق أن أختم بها هـذا الفصل ، وجدير بشبابنا أن يعيدوا تلاوتها المرة بعد المرة ، متدبرين ما ترمى إليه ، قال :

« الأخلاق فى رأيى هى الطريقة لتنظيم الشخصية الفردة على مقتضى الواجبات العامة ، فالإصلاح فيها إنمـا يكون من هـذه الواجبات ، أى من ناحية المجتمع والقائمين على حكمه .

وعندى أن للشعب ظاهرا و باطنا ، فباطنه الدين الذى يحكم الفرد ، وظاهره القانون الذى يحكم الجميع . ولن يصلح الباطن المتصل بالغيب إلا بذلك الحـكم الدينى المتصل بالغيب مثله .

ومن هنا تتبين مواضع الاختلال فى المدنيـة الغربية ، فهى فى ظاهر الشعب دون باطنه ، والفرد فاسد بهـا فى ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين ، ولكنه مع ذلك منتظم فى ظاهره الاجتماعى بالقوانين ، و بالآداب العامة التى تفرضها القوانين ، فلا يبرح هازئا ساخرا من الأخلاق لأنها غير ثابتة فيه ، بل هى ضارة مع المضرة ، نافعة مع المنفعة ! ولا ينفك يتحول لأنه مطلق فى باطنه ، غير مقيد إلا بأهوائه ونزغاته . وبهـذا وذاك لن تقوم القوانين فى الغرب إذا فنى المؤمنون فيه أو كاثرهم الملحدون . وهم اليوم يبصرون بأعينهم ما فعلت عقلية الحرب العظمى [١] فى طوائف منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها فتحولوا بها ، فاذا أعصابهم بعد الحرب ماتزال محاربة مقاتلة ترمى فى كل شىء بروح الدم ، والأشلاء ، والقبور ، والتعفن ، والبلى . . .

وقديمـا حارب المسلمون وفتحوا العالم ، ودوّخوا الأمم ، فأثبتوا فى كل مكان هدى دينهم ، وقوة أخلاقهم ، وكان من وراء أنفسهم فى الحروب ماهو من ورائها فى السلم ، لثبات باطنهم الذى لا يتحوّل : فلا تجىء حروبهم إلا فى حـدود . ولو كانوا هم أهل هذه الحروب الأخيرة ـ بكل ماقذفت به ـ لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية ، لأن كل مسلم فانمـا هو وعقليته فى سلطان باطنه الثابت القارّ على حدود بينة محصلة مقسومة ، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمـان التى أحكمها الإسلام أشد إحكام ، بفرضها مكررة مرات فى كل يوم ، ليمنع بها تغيرا ، ويحدث بها تغيرا آخر ، ويجعلها كالحارسة للارادة : ماتزال تمر بها وتتعهدها بين ساعة وساعة .

---

(١) يريد الحرب العالمية الأولى ، فكيف لو شاهد ـ رحمه الله ـ عواقب الحرب العالمية الثانية !

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل ، فاذا جن الموج فلن يضيره مابقى الساحل ركينا هادئا مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض . أما إذا ماج الساحل . . . فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير . ولا جرم أن لا يكون إلا خسف بالأرض والماء وما يتصل بهما » .

وبعد فبهذا التفسير الحكيم للتاريخ فى الشرق الإسلامى والغرب الافرنجى يستطيع دارس التاريخ أن يفسر موقف العرب من فتحهم الأندلس ، مقارنا بموقف خصومهم منهم يوم زال سلطانهم عنها . وبه يستطيع أن يفسر تاريخ دخول الصليبيين بيت المقدس مقارنا بتاريخ خروجهم منها بعد يوم حطين . وبه يستطيع أن يقارن بين موقف دولة الروم من المصريين عند الفتح الإسلامى وقبله وموقف المسلمين من ذلك ، وقد ألمعت اليه فى مواضع متعددة من كتابى (مع الرعيل الأول) . بل به يستطيع أن يقارن بين الموقف الحكيم الذى يقفه ولاة أمور الدول العربية الآن فى استرداد حقوق شعوبهم ، وموقف قادة الغرب فى تعصبهم وجشعهم وتنكرهم للحق وإيثارهم الطرق الملتوية على صراط الله المستقيم .

الأمم كلها تختلف ، وتتدافع ، وتصطدم . وهى فى اختلافها وتدافعها واصطدامها كالموج يجن جنونه ويهيج ويتصادم . غير أن الأمم التى لها فى باطنها قوة من هداية السماء تجعل ساحلها مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض ، لا يضيرها اضطراب الموج وهيجه واصطدام لجه بعضها ببعض ، ولذلك نراها فى تاريخها من الماضى الى الحاضر لا تكون إلا فى حدود ، وتبقى لقادتها عقليتهم المؤمنة فى سلطان باطنهم الثابت القار تحوطهم وتمسك بهم أعمال الإيمان التى أحكمها الإسلام وجعلها كالحارسة للارادة . فهم أبدا نبلاء فى ائتلافهم واختلافهم مع غيرهم ، كما شاهد التاريخ ذلك من سعد فى القادسية ومن أبى عبيدة وخالد فى الشام ومن عمرو فى مصر ومن صلاح الدين فى بيت المقدس ، وها نحن أولاء نشاهد ذلك مع الناس فى حادث الاختلاف بين الحق والباطل على قضية تأميم شركة القنال ، وفى حادث البريمى ، وفى محميات اليمن ، وفى الجزائر ، وفى كل مكان : نجدد نحن تاريخ المروءة والنبل الذى نتوارثه من أيام سعد وأبى عبيدة وخالد وعمرو وصلاح الدين ، بينما خصومنا فى الغرب يموج ساحلهم بهم اذا ماج اللج ، لأنهم ليس لهم فى باطنهم تلك القوة التى وصفها الرافعى ببيانه البليغ . لذلك تخاذلت تصرفات قادة الغرب فى هذه القضية وأمثالها من القضايا القائمة الآن بيننا وبين الاستعمار وهو يتداعى الى السقوط ، فرأى الناس منهم ومنا ما يتساءلون عن سره وعن سحره ، وسر ذلك وسحره أخلاق نتلقاها عن تراثنا فى التاريخ دبت حياتها فى نفر منا فانفجرت كالقنبلة الذرية فى دنيا الاستعمار ، وإذا آمنت العروبة كلها بهذه الأخلاق ، وعملت بها ، وسرى هذا الخير إلى العالم الإسلامى كله ، فسيكون له ما بعده إن شاء الله ، وليعلمن نبأه بعد حين .

محب الدين الخطيب



— ٤٢ —

العمل للدنيا عبادة

يتهددنا الله على تركها

> « ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا » .

١ — منطق هذه الآية واضح فى التهديد لمن يأبون الإيمان ، أو يخالفون دعوة الله إلى عبادته .

ولكن : هل التهديد قاصر على المتخلفين عن الجانب الروحى : من عقيدة وعبادة ؟ .

حينما نتلوها أو نتلو نحوها من إنذارات القرآن يسبق إلى الذهن أن هدف الإسلام هو التوجيه إلى مراسم العبادة : دون التفات إلى جانب الدنيا أو عناية بالترغيب فيها .

بل ينساق إلى بعض الأفهام أن الإسلام يحارب الدنيا ، ويذود الناس إطلاقا عن التطلع إليها .

وقديما نظر أناس إلى الدنيا هذه النظرة الزارية ، وملأوا علينا الآفاق وبطون الكتب تحقيرا لدنيانا ، وتزهيدا فيها ، حتى قدحوا فى خيال الناس أن مظاهر الفاقة واصطناع التقشف من صميم الدين وتمام العبادة .

ولعل عذر هؤلاء المتزهدين فى الدنيا أن القرآن ينتقصها فى كثير من آياته ، فهو يصف

الحياة فيها بأنها لهو ولعب ، وبأنها زينة وتفاخر ، وبأنها متاع الغرور . . وهكذا مما ينزل بشأنها ، ويبعدها عن منزلة الاعتبار .

وبسبب ذلك خاصموها ، وأفرطوا فى الطعن عليها فى غير هوادة ولا إشفاق .

٢ — والحق الذى يشهد به القرآن نفسه أن الدنيا عند الله أسمى مما زعموا ، وأعز شأنا مما قالوا ، وأن الله لا يرضى لعباده أن يحتقروها ، أو يتخلفوا عن النشاط فيها ، أو يتريثوا فى الابتكار والتجديد والكشف عما أودع الله فيها من أسرار وعجائب ، حتى يصلوا فى تعميرها إلى غاية الشوط الذى يستطيعونه .

٣ — فهذا كتاب الله يمتدحها فى كثير من آيات أخرى ، ويمتن علينا بما حشد فيها من خيرات ، وبما نسق فيها من جبال وبحار وأنهار ، وبما أبدع فيها من جنات ونخيل وأعناب ، وبما أودع فيها من نعم لا نحصيها إذا عددناها .

فهو يقول : « والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة ، والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان » وهو يذكر ما فى البحار والأنهار من لؤلؤ ومرجان ، ويذكر غير هذا فى كثير من سياقه ، ثم يمتن بهذا كله على الإنس والجن فيقول سبحانه : « فبأى آلاء ربكما تكذبان . . . ؟ » .

والقرآن يستنهضنا كثيرا إلى التمتع بما خلق الله لنا فيها ، وإلى شكر الله على ما أنعم علينا .

٤ — فهو بذلك يعتبر الدنيا ذات شأن ، وليست هينة فى حساب الدين .

غير أنه يحذرنا من فتنتها ، والانقطاع لها ، واتخاذها ملهاة عن حياة أخرى هى أكثر متاعا ، وأرقى شأنا ، وأبقى زمانا .

وواضح أن التحذير من خلابة الدنيا ينطوى على الإشادة بما فيها من متع الحياة ، وينطوى على أنها فاتنة تغرى المرء بمباهجها ، وتنسيه ما وراء الحياة من نعيم خالد .

٥ — وقد علمنا فى آياته أن كل ما فى الأرض بل ما فى الدنيا مخلوق لمنفعة الإنسان ومتاعه ، على أن ينتفع بمتعها ، ثم يؤدى لله واجب الشكر عليها بأقواله وبأعماله ، على نحو ما رسم لنا فى تشريعه .

٦ — فاذا كان مفهوما لنا من صدر الآية أن المستنكفين عن عبادته لزهادتهم فى الانتفاع بها ، والمستكبرين عنها شموخا بأنفسهم : ممن كفروا بالله أو بما جاء من عنده ، مهددون بعذابه الأليم بسبب استنكافهم واستكبارهم .

أو كان مفهوما لنا كذلك أن المتخلفين كسلا عما فرض الله من تكاليف ، وأن دعاة الفتنة المحاربين لما دعا الإسلام إليه من أخلاق ، والداعين إلى مهازل الحياة ، أو نحو هؤلاء جميعا ، مهددون بالعذاب الأليم فى اليوم الآخر .

فليكن مفهوما لنا حتما أن المنصرفين عن تقدير ما فى الدنيا من آلاء الله ، والمتخلفين عن العمل فى هذا الكون والإنتاج فى الحياة مع قدرتهم على ذلك ، يعتبرون تاركين لجانب من العبادة التى ينشدها القرآن ، ويتطلع إليها الإسلام ، وأنهم فى موقف التهديد أشبه بالمستنكفين والمستكبرين .

٧ — وليس صحيحا أن الدنيا كما فهمها من لم يلتفتوا إلى امتداح القرآن لها ، ولم يفطنوا إلى عناية الله بالجد فيها ، وغاب عنهم تشجيع النبى — صلوات الله عليه وسلم — على المثابرة فى تعميرها يوم اشترك مع قوم فى تأبير نخلهم ، وحين قال : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وحين حث على التجارة والزراعة ، وحين حرضهم على الاحتطاب فى رأس الجبل إذا لم تكن لهم تجارة أو زراعة أو نحوهما ، وحين شجع على اقتناء الثروة ليترك المرء ورثته أغنياء مخافة أن يتركهم عالة يتكففون الناس ، ونحو هذا مما هو بين دفتى المصحف أو فى كتب السنة .

٨ — وغير خاف أن الدنيا إذا توفرت لشخص واعتصم بالله فى تدبيرها ، وراقبه فى التمتع بها ، كان أقدر على الوفاء بحقوق دينه ، وبحقوق مجتمعه ، وكان أقدر كذلك على خدمات إنسانية فوق ما يناط به .

ومن هنا يتأكد لنا أن الدين كما يقوم على العقيدة ويتمثل فى العبادة ، يقوم كذلك على المال ، ويتمثل فى الإنتاج وفى العمل الصالح للجماعة .

إذ الإسلام بطبيعته وفى جوهره دين عزة ، ومنهج كرامة ، وشرعة للحياة الأبية . . ولا يتاح له أن يكون كذلك على أكمل الوجـوه إلا فى البيئة الخصبة ، والوسط الرحب ، والعيش الرخى ، وفى ظل السيادة والعدالة والنهوض المتوثب : لا مع الفاقة ، ومذلة الحاجة ، وتحكم المسغبة فى البطون الخاوية .

وما من شك فى أن تشريع الله للهجرة من مكة إلى المدينة لم يكن خاليا من التوجيه إلى ذلك .

فان المدينة كانت ولا تزال أرفه عيشا من مكة ، وأكثر خصبا ، وأروح بالا ، وكان لهذه المميزات أثرها فى استقرار الإسلام فى المدينة ، واستقراره بعد ذلك فيما سواها ، ولا يزال لهذه المميزات أثرها الحتمى فى مرونة الذهن ، وسماحة الطبع ، ورقة الخلق ، وهذا ما يلمسه كل من أتيح له ملاقاة أهل مكة وأهل المدينة حتى اليوم ، وكل من لابس الحياة الناعمة والحياة الجافة .

كما أن تشريع الإسلام للزكاة ، وحضه على الإحسان والعطاء ، لم يقف عند غرس المودة والتعاطف بين المعطى والآخذ ، بل قصد كذلك الترفيه عن الأنفس المكدودة ، وصيانة ما استقر فيها من روحانية الإيمان والتدين ، والحفاظ عليها من مساورة البؤس ، والانصراف إلى المادية البحتة ، وإلى الكد والتحصيل لما يقيم الأود تحت تأثير الضنك والعوز .

وأنت ترى من ذلك أن الإسلام لا يعاف الدنيا ، ولا يضعها فى المكان الهين ، بل يعتمدها مرقاة إلى أهدافه العالية .

٩ — فلو أن رجلا بنى مسجدا واعتبرنا عمله هذا عبادة محمودة : فكذلك الشأن فى رجل بنى قنطرة للعبور عليها ، أو أقام سوقا تتيح للناس أن يتبادلوا فيها منافعهم ، أو بنى مصنعا يتعلم فيه الناس مهنة يرتزقون منها ، أو نحو هذا مما نراه عملا دنيويا .

فكل ذلك انفاق فى سبيل الله ، وكل ذلك تيسير على الناس ، وكله من مقاصد الإسلام .

والمتخلفون عن هذه المؤسسات ـ مع قدرتهم ومع الحاجة إليها ـ متخلفون عن جانب من العبادة ، وهم فى عداد المستنكفين أو المستكبرين وإن تفاوت الإثم ومقدار الجزاء .

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

١٠ — ومما يرشد إلى هذا فى الآية : أن الله سبحانه وتعالى عمم فى التهديد وقال : « فسيحشرهم إليه جميعا » ثم فصل هذا التعميم ، فقال : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » .

فانظر : تجد ثواب الله لذوى الأعمال الصالحات فوق ما يستحقون ، فهو يزيدهم

من فضله ، والأعمال الصالحات ليست نوعا خاصا ، بل كل ما يدعو إليه الإسلام للدين والدنيا جميعا .

والمقابلة بين أهل الصالحات وبين المستنكفين عن عبادته يكشف لنا فى إيضاح ، ويدلنا فى قوة ، على أن حساب الله سيكون على كل ما نقوم به من عمل ، وأن الثواب منوط بكل ما يعتبر صالحا ولو كان فى حسابنا الدنيوى . كما أن العقاب سيكون على غير الصالح مما يجلب ضررا ولو دنيويا ، فالدنيا ليست عبثا ، والإنسان لم يترك فيها سدى ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

١١ — وقد يقال : إن الأنبياء لم يشغلوا أنفسهم بالدنيا ، فهل تخلفوا بذلك عن أمر كان واجبا ؟ .

والجواب : أن عمارة الدنيا كانت هدفا مقصودا فى دعوتهم ، فقد صرفوا الناس عن الإفساد فيها ودعوهم إلى العمل النافع . . وما من نبى إلا قام بنصيبه فى الحياة قبل رسالته وبعد رسالته . . غير أنهم لم يعيشوا لأنفسهم ، بل بعثوا للتبليغ ، وبث الدعوة ، وتربية شعوبهم ، فكان تعليمهم للناس كيف يتعبدون لله ، وكيف يتعايشون ، وكيف يتحابون ، يعتبر تنظيما للدنيا وتوجيها إلى العمل فيها من أوسع الجوانب .

وبخاصة نبى الإسلام ، فقد نظم لهم قوانين التعامل ، ورسم لهم مسالك الحياة الفردية والجماعية ، ولم يرض لأهله أن ينقطعوا للعبادة ، وسماها رهبنة ونهى عنها فى الإسلام . وحسبنا أن الله فرض خمس صلوات فقط ، وترك لنا اليوم كله للعمل الدنيوى ، وفرض الصوم شهرا واحدا ، وأفسح لنا مجال العمل مع الصوم وطول العام ، وفرض الحج مرة واحدة ولم يشغلنا به كل سنة .

وفى هذا ونحوه توجيه إلى إنفاق الزمن فى العمل : دينيا محضا ، ودنيويا نافعا ، وليس من حسن الإيمان ولا من تمام الإسلام أن يقف المرء عند جانب دون جانب ، والله يقول : « وقل اعملوا » ولم يقيد العمل بنوع دون نوع ، بل أطلقه ليشمل كل خير نبتغيه للأولى وللآخرة . ه

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



عيد الجلاء الأول

— ٢ —

من هؤلاء اليهود ؟ ـ إمعانهم فى الجدل ـ مجادلة بالحسنى فى إفحام وإلزام ـ معاملة أهل خيبر ـ من السياسة الحكيمة العليا ـ فليأخذ عنها ساسة الدنيا ـ الإنذار الأخير .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينا نحن فى المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : بلّغت يا أبا القاسم ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ؛ ثم قالها الثالثة ، فقال : اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله » .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى *

(*) فى كتاب الاعتصام ، وأما الرواية السابقة فى الجزء الأول ففى كتاب الجهاد ، كما سيأتى .

من هؤلاء اليهود الذين خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه ومنهم ـ رضوان الله عليهم ـ أبو هريرة راوى الحديث ؟

ختمنا الجزء السابق بهذا السؤال ، على أن نجيب عنه فى هذا الجزء ، مستعينين بالله عز وجل .

* * *

لم يرو هذا الحديث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبى هريرة :

رواه عنه البخارى فى ثلاثة مواضع :

فى باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، من كتاب الجهاد ، وقد آثرنا لفظه فى الجزء السابق . والمناسبة بينه وبين الباب والكتاب ظاهرة . . .

وفى باب بيع المكره ونحوه فى الحق وغيره ، من كتاب الإكراه ، مشيرا إلى أن إجلاء اليهود إنما هو على كره منهم واضطرار لا اختيار لهم فيه . . فبيع ما يبيعون من أموالهم إذاً ماض لا بأس به ، ولا شبهة فيه . .

وفى باب قوله تعالى : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » وقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » من كتاب الاعتصام . واخترنا روايته فى هذا الجزء . وقد أشار البخارى بهذه الترجمة إلى إمعان اليهود فى الجدل والهروب من الحجة التى دمغتهم ، كما أشار إلى مجادلته صلى الله عليه وسلم لهم بالتى هى أحسن ، فى إفحام وإلزام . . .

ولا نريد أن نطيل فى صنيع الإمام البخارى ودقته فى تراجمه ، واستنباط المعانى الدقيقة الجمة من الحديث الواحد ، إذ يكرره فى غير موضع ، فقد أطرفنا وسيطرفنا بالكثير الممتع فى هذا وغيره من فنون السنة ، أستاذ مؤلف فاضل ، يعرفه القائمون على السنة ويقدرونه * وإنما هى لمحة دعت إليها مناسبات يقتضيها شرح الحديث وبيانه .

* * *

ورواه مسلم عن أبى هريرة فى باب إجلاء اليهود من الحجاز ، من كتاب الجهاد والسير .

(*) . . . وانظر مقاله فى الجزء السابق ص ٨٧

وقـد روى الحـديث فى غير الصحيحين ، وأكبر علمنا أنه لم يروه أحد من الصحابة سوى أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

وإذا كنا نقرأ فى ترجمته وسـيرته رضى الله عنه أنه قـدم المدينة وبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام عام خيبر ـ أيقنا ولا مرية بأن أمر هؤلاء اليهود كان بعد الفراغ من أمر بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، ويهود خيبر جميعا . وإذا روينا عنه أنه شهد خيبر ، فذلك بعد الفراغ من قتال يهودها ، كما روى عنه أيضا ، ولا تعارض بين الروايتين ، بل إن الثانية تعضد الأولى وتكملها .

فهل أولاء بقايا كانوا قد تخلفوا بالمدينة أذلاء بعد الفراغ من شأن الطوائف الثلاثة ، فأجلاهم النبى صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة تطهيرا لهـا ؟ . . والمراد من الأرض إذا أرض المدينة (*) أوهم فريق من يهود خيبر كانت لهم فى المكر والغدر اليد السفلى . .

كان صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبرهم باجلاء اليهود جميعا . . . فقالوا : يا محمد دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم ، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحـابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا هم لا يفرغون للقيام عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم ، روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لمـا ظهر على خيبر سألته اليهود أن يقرهم بها على أن يكفوه عملها ولهم نصف الثمرة ، فقال لهم : نقركم بها على ذلك ما شئنا .

* * *

ليس فى هذا العقد تأبيد ولا التزام من قبله صلوات الله وسلامه عليه ، بل هو صريح فى إقرارهم وإجلائهم متى شاء . . وهذه من السياسة الحـكيمة العليا : صدق وصراحة ، وحزم وكياسة ، ونظر إلى مصلحة الأمة دون أدنى مساس بالخلق العظيم ، والمنهج القويم . وشتان ما بين هذا الهدى النبوى الحـكيم ، وتخبط إخوان الشياطين ، فيما يسمونه بالمعاهدات أو القوانين الدولية ! !

* * *

(*) فيما يظهر . ولا مانع من أن يكون المراد : أرض الحجـاز .

كانت خيبر واحة كبيرة تقع على نحو مائة ميل من المدينة إلى جهة الشام ، ولم يكن سكانها مجتمعين فى صعيد واحد ، بل كانوا متفرقين فى وديان متجاورة ، ومتحصنين بحصون منيعة ، وسط النخيل وحقول القمح .

وكانت مركزا لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها . . ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم ، ومن هنا أقرهم صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقرهم ، كما هو العهد الصريح معهم ، ثم أنذرهم بالجلاء . .

وإذا كانت له صلى الله عليه وسلم الخيرة التامة فى إقرارهم ، فلابد مع هذا أن يكون قد رأى منهم دسا وخبثا قبيل هـذا الإنذار . .

والمراد من الأرض إذا أرض الجزيرة العربية كلها .

* * *

وسواء أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل أم اكتفى بانذارهم هذا ، فقد عرفوا أن كيدهم لايخفى على الله ورسوله ، وأنهم مهددون فى كل ساعة بطردهم من الجزيرة شر طردة .

لا جرم أنهم كانوا يعملون الحيلة ، ويجددون الوسيلة ، لتخلصهم من النبي صلى الله عليه وسلم جاهلين أو متجاهلين ما أصاب إخوانهم من قبـل جزاء وفاقا « ولا يحـيق المـكر السيئ إلا بأهله » .

ولا جرم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتابع أخبارهم ، ويعلم حق العلم أنهم العدو الألد له ، والعقـبة الكؤود فى سبيل دعوته ، فلن يستطيع تبليغها كما أمره الله تعـالى ، إلا إذا اطمأن عليها ، وعلى الجزيرة العربية وسكانها . ولا سبيل إلى هذه الطمأنينة بعهود طالمـا نقضوها ، ومواثيق طالمـا حلوها . . . وإنمـا السبيل الذى لا سبيل غيره أن يستأصلوا من الجزيرة . . .

ولهذا الاستئصال كان يتحين صلى الله عليه وسلم أنسب الأوقات وأحراها .

* * *

وسنرى فى المقال الثالث والأخير إن شاء الله تعالى تفصيل ذلك ، وكيف أراح الله الجزيرة العربية من بلائهم باتمام جلائهم منها ، إنفاذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يودع هذه الدنيا ! ! ع

طه محمد الساكت

الهجرة الشريفة
بطولة وحسن سياسة

إن البطولة الحقة والشجاعة النادرة والكياسة المتدبرة والسياسة الحكيمة ، كل أولئك إنما يظهره فى الرجال خطوب الدهر وحدثانه ، ونوب الزمان وكوارثه ، فهى المحك الذى تظهر به أخلاق الرجال ، والمعيار الذى يعرف به قوتهم وصبرهم وشجاعتهم . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبته ربه نباتا حسنا ، أنبته على أكمل ما يكون من الصفات والأخلاق، كما قال هو عليه الصلاة والسلام : « لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا » وكما قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » . وفى رواية بعد هذا « فأنا خيار من خيار » .

فهو المصطفى والمهذب وهو المختار والمنتقى ، فلابد أن تتمثل فيه الكمالات كلها ، وتتزين نفسه بأطيب الصفات وأكرم الخلال . وقد نشأ عليه الصلاة والسلام من أول حياته مهاجرا متنقلا من رفعة إلى رفعة ومن مكرمة إلى مكرمة ، صادفا بفطرته عما لا يليق ، بعيدا عن كل شين ، ألم يقل هو عليه الصلاة والسلام : « والمهاجر من هجر السيئات أو من هجر ما نهى الله عنه » . ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه ارتكب طول حياته أمرا جاء الشرع الشريف بتحريمه أو كراهته ، بل كان فى صغره يفعل المكرمات ويأتى بالعظائم ، فقد ورد أن مرضعته حليمة السعدية رضى الله عنها كانت إذا أعطته ثديها الأيمن يقبل عليه يمصه حتى يروى ويشبع ، فاذا أعطته الآخر أباه وأعرض عنه ، ولم يكن ذلك إلا لأن الله سبحانه ألهمه أن له أخا فى الرضاع ينبغى أن يروى ويشبع ، وهل هذا إلا هجرة عن الظلم إلى العدل وعن الجور والحيف إلى المساواة والحق ، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها هجرات متتابعات ، حتى أذن الله سبحانه بالهجرة الكبرى من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، تلك الهجرة التى غيرت وجه الزمان وأخضعت التاريخ ليصبغ لها ، وفصلت بين الحق والباطل ، وظهرت بها بطولة الرسول الأعظم وحسن سياسته وكياسته .

ولم تكن تلك الهجرة الشريفة منه صلى الله عليه وسلم خوفا على نفسه أن يموت أو يلحقه ضر مدمر ، فقد لقى من أذى الكفار ما لا تحمله الجبال الراسيات ، ومع ذلك كان دائم الظهور بينهم ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وهو فريد ليس معه أحد .

وقد قال أصحابه رضى الله عنهم : إنه كان دائما فى الحروب أقربنا إلى العدو ، وكنا أحيانا نتقى به العدو .

وقد وقف صلوات الله عليه فى غزوة أحد لما تفرق عنه أصحابه ينادى بأعلى صوته ويقول : « إلىّ عباد الله ، أنا رسول الله » ولم يدع مكانه ولم يتحلحل عنه . فهل مثل هذا يخاف الموت أو يخشى الهلاك ؟ كلا . . . ولكن الذى كان يشغل باله إبلاغه رسالة ربه ، فقد كان يخشى ألا يبلغها وفيها الهدى والسعادة ، فهاجر ليبلغها ويهدى الناس إليها ، وماذا على ذى المبدأ الحق الواثق بمبدئه المقتنع بثوابه وثمرته ، إذا تحول عن أناس لم يقبلوه إلى آخرين وثق أن يقبلوه ويعتنقوه ؟ وهل من عيب على قائد متوثب يحارب فى ميدان فلم يذعن العدو له فتحرف لقتال وانتقل إلى ميدان آخر علم أنه سينتصر فيه ثم يعود إلى الميدان الأول فيستولى عليه جميعه .

أشهد انها السياسة الحازمة والبصيرة النافذة والتفكير الصائب الثاقب ، شأنه صلى الله عليه وسلم فى كل أحواله . أو لم تنظر كيف كانت سياسته فى دعوته عشيرته إلى الإسلام لما أنزل عليه ربه : (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقد صعد الصفا ونادى : يابنى فهر ، يابنى عدى . . لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا ــ وفيهم ابو لهب ــ فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ، ماجربنا عليك كذبا . وفى رواية : ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ، ألهذا دعوتنا ؟ فانظر كيف استل منهم اعترافهم بأنه المعروف بينهم بالصدق طول حياته ولم يجرب عليه كذب قط ، حتى إذا ردوا عليه بعد ذلك دعوته كانوا عند العقلاء أشبه شىء بالمجانين ، ولذلك قال قيصر عظيم الروم : « لم يكن (أى النبى صلى الله عليه وسلم) ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » .

انظر إلى حكمته صلى الله عليه وسلم وسداد رأيه لما أراد أن يهاجر إلى المدينة المنورة ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يهاجر إليها من غير سابقة معرفة ببعض أهلها ، فانهم كانوا كفارا ، ولو نزل عليهم ودعاهم إلى الله وترك دينهم فربما كان موقفهم معه كموقف

كفار مكة : ردوا استهزاء وعداوة وأذى مستطيرا ، فساس الأمور بحكمته وحسن تدبيره ، وعمل على أن يقابل بعض عظمائهم (الأوس والخزرج) فى موسم الحج فى كتمان وخفية من قومه ، ليقنعهم بما يريده منهم ، وهو أن يمنعوه من القتل حتى يبلغ رسالات ربه ، فاستجابوا له عليه الصلاة والسلام وعاهدوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم حتى يبلغ رسالات ربه . ثم انظر إلى شجاعته الفذة وبطولته العظيمة ليلة تنفيذ هجرته الشريفة ، فقد كان كفار قريش اجتمعوا فى دار ندوتهم يتشاورون فيما يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام ، ثم اتفقوا على مارآه أبو جهل ـ لعنه الله ـ حيث قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى جلدا نسيبا وسيطا ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فنعقله لهم (أى ندفع لهم ديته) فقالوا : لا رأى غير هذا ، وأسرعوا ينفذونه ، فاجتمع شبانهم بليل أمام بيته صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام ليثبوا عليه ، ولكنه صلوات الله عليه أمر عليا أن ينام مكانه وخرج عليهم وفى أيديهم السيوف الصارمة وفى قلوبهم نار العداوة المتقدة ، وهو أعزل إلا من ثقة بالله وقلب شجاع قوى بالإيمان ونفس مطمئنة راضية بما يلقاه فى سبيل تبليغ رسالة ربه ، فمر من بين صفوفهم ، وحثا التراب على رءوسهم ، وذهب إلى حيث يريد الله ، وقد كان يمكنه صلى الله عليه وسلم أن يبيت على فراشه لا يبالى بجمعهم (فكل جمع مؤنث) ولكن كيف كانت تظهر تلك البطولة التى فاقت كل بطولة ، وكيف كان يغيظ الكفار بوضع التراب على رءوسهم ؟! .

قصد هو وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور يستخفيان حتى يخف عنهما الطلب ، وهنا نذكر للصديق ـ رضى الله عنه ـ وفاءه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كان أثناء الطريق يمشى أمام النبى مرة ومرة خلفه وأخرى عن يمينه أو شماله ، فخاطبه فى ذلك فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك أو عن يمينك أو عن يسارك . ولما وصلا الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك ، فان كان فيه شىء نزل بى قبلك . وبينما هما فى الغار إذ القائف الذى يقص الأثر يدل الأعداء على الغار ، فوقفوا أمامه مشدوهين يفكرون : أين ذهب ؟ وما إن أحس بهم أبو بكر أمام الغار حتى هلع وجزع وارتعد واضطرب وحزن حزنا كبيرا إشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان يعتقد أنهم إن ظفروا به عليه الصلاة والسلام لابد قاتلوه فلا يبلغ رسالة ربه .

وإنه ليروعك فى هذا المقام شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدوء نفسه وطمأنينة قلبه إذ يقول لأبى بكر فى هدوء وتؤدة: « ماظنك باثنين الله ثالثهما » .

وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم إذ يقول : « ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

وما إن وصل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة حتى فرح به أهلها فرحا شديدا ، وخرجوا يتلقونه بظاهر المدينة حتى قال البراء بن عازب فيما يرويه البخارى : « ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم » وأشرقت المدينة بحلوله فيها ، وسرى السرور إلى القلوب ، وعمت الفرحة جميع الناس .

وبعد ــ فهل كانت هذه الهجرة الشريفة إلا سياسة حكيمة انتصر بها الإسلام نصرا مؤزرا ، وعز جانبه وقويت شوكته وانتشر فى الناس نوره ، حتى أمكن لأهليه أن يفتحوا ذلك البلد الذى أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم (مكة) بعد أعوام قليلة ، وعاد القوم بنعمة الله إخوانا ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون ، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

محمد محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

الحرية

هاج نسيم الريح لى أمرها ... بالله ياريح ابعثى ذكرها
تجهز الدهر لإقلاقها ... ماحمدت فى ليلة دهرها
لئن طوى استبداده ليلها ... فما طوى عن مقلتى فجرها
نجوت من ظلم ومن ظالم ... يادهر إن يسرت لى عسرها
إن تحرجوا الآساد فى غابها ... هيهات ماتكفيكم شرها

شفيق جبرى

مناقشة وتحقيق :

العرب
فى مقدمة ابن خلدون

دأب بعض المؤلفين على الاستشهاد برأى ابن خلدون فى العرب ! ! فهو يلح إلحاحا جاهدا فى ترداده بين من يذكر آراءهم من أساتذة الغرب وأعلامه . والعجيب أن ابن خلدون مرجعه فى هذه النقطة فقط ! ! فهو لا يكاد يذكر له رأيا آخر، مع وفرة ما للرجل من أفكار عالية فى شتى المناحى الاجتماعية والتاريخية ! ! فهل كان العلامة ابن خلدون ـ فى هذا الموضوع وحده ـ إماما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وهل ذهبت جميع آرائه أدراج الرياح حتى يبدئ الكاتب فى تنقصه للعرب ويعيد ! !

إن العلامة ابن خلدون ـ على ثقوب ذهنه وسعة اطلاعه ودقة معارفه ـ قد زل زلة خاطئة إذ تهجم على تاريخ العرب فى تحيف وانتقاص، والرجل ـ مهما جلت مكانته العلمية واعتزت الثقافة الإسلامية بمواهبه وآثاره ـ بشر يخطئ ويصيب ! !

وطبيعى أن يثير الرجل بما كتب عاصفة عاتية، فقد انقسم الباحثون ـ وما أكثرهم ـ إزاءه انقساما صاخبا، ففريق يؤيد عن غرض وحزازة ، وفريق يؤول عن محبة وإشفاق، وفريق يعارض عن إنصاف واستقراء ! ! . وسنناقش ما يقول جميع هؤلاء فى هدوء وإيجاز.

أما المغرضون من المؤيدين فقد أغمضوا أعينهم عن واقع التاريخ الإسلامى ، وأجازوا لأنفسهم أن ينكروا البدائه الملموسة فى تاريخ العرب إنكارا يدعو إلى الدهشة والظنون ! ! بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فاندفعوا يصفون ابن خلدون بسعة الأفق ورحابة الصدر واتساع النظر ، والبعد البعيد عن التعصب والانقياد ، وهكذا يكون كل متهجم على العرب من أبنائهم حرّ التفكير واسع الصدر فى منطق هؤلاء ! ! كما كان كل إباحى ملحد خارج على الإسلام حرّا مفكرا وصاحب رأى شجاع فى منطقهم أيضا ! ! .
وبعضهم لا يجرؤ على انتقاص العرب علانية فيتستر وراء آراء ابن خلدون ، ثم يناقشها مناقشة تميل بها إلى التقوية والتأييد، وهو بعد جبان رعديد لا يستطيع أن يعلن عن بغضه وكراهيته ، بل يحتمى بكاتب لامع أخطأ فى الحق فأصاب عند المغرضين ! !

وأما المؤولون المثقفون فقد عز عليهم أن يكبو الرجل كبوة ساقطة ، فلجئوا إلى التأويل والتشريح ! ! وجزموا بأن الكاتب يقصد بالعرب الأعراب ، وشتان بين أولئك وهؤلاء ؛ فهو إذن لا ينقص غير سكان البادية من الأعراب الرحل الذين لا ينضوون تحت لواء ! ولا يعتدون بشريعة وقانون ! !

قال الأستاذ طه الراوى ـ رحمه الله ـ فى أحد أعداد مجلة الأدب والفن : « وقد كان الناس فى العصر الثامن الهجرى وما بعده يطلقون اسم العرب ولا يريدون به إلا الأعراب خاصة ، فجرى ابن خلدون فى مقدمته على عرف أهل زمانه ، ولذلك اختلط على الناس فهم كلامه فاختلفوا فى مراده : فمنهم من قال إنه لا يريد بهذه الكلمة إلا المتنقلين من أهل البوادى خاصة ، ومنهم من قال إنها كلمة مطلقة فيجب إجراؤها على إطلاقها فهم يريدون بهم هذا الجيل من الناس بدوهم وحضرهم ، وقد أطنب الكتاب فى ذلك وأسهبوا مع أن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى إيضاح ، فان أسلوب ابن خلدون يدل على أنه جارى عرف زمانه فى إطلاق لفظ العرب على الأعراب خاصة ، ولا يزال هذا العرف شائعا عند العامة من عرب هذا العصر فى العراق والشام ومصر وغيرها » ! !

وشبيه بقول الأستاذ الراوى قول الأستاذ ساطع الحصرى فى كتابه «دراسات عن مقدمة ابن خلدون» ص ١٠٧ : « إن كلمة العرب فى مقدمة ابن خلدون من الكلمات التى ولدت أغرب الالتباسات وأنتجت أسوأ النتائج ، ذلك لأن ابن خلدون استعمل الكلمة المذكورة بمعنى البدو والأعراب خلافا للمعنى الذى نفهمه الآن كما يتبين من الدلائل والقرائن الكثيرة المبينة فى جميع أقسام المقدمة » ! !

والحقيقة أن تأويل العرب بالأعراب ظلم سافر ، وتمحل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال ، فالذين فتحوا الممالك هم العرب ، والذين اختطوا البصرة والكوفة والقيروان هم العرب أيضا ! !

كما أن الذين تولوا الجباية والخراج وعبروا إفريقيــة والمغرب من الذين عناهم ابن خلدون عرب تغلب كثرتهم الكاثرة على من اندمج فيهم من بعض الأعراب ، وإذا كان أولئك جميعا أعرابا فلا عرب لدينا البتة ! فكيف نتجاهل الواقع ونحمل كلام الرجل ما لا يطيق ؟ !

على أننا نذهب إلى أبعد من هذا ، فنقول : إن فى هذا التأويل المخطئ ظلما فادحا

للأعراب بنوع خاص ! ! فبعض الأعراب قد كانوا فى عهد النبوة على جانب أليم من شراسة الخلق وجفوة الطباع ، والذهاب مع الرعونة إلى أبعد مدى يستطاع ، وفيهم نزل قول الله عز وجل : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » وقوله : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » وقوله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » ! ! هؤلاء وأمثالهم قد وجد فيهم من يخشع للحق ويستميت فى الدعوة الإسلامية عن خاطر طيب ، وقلب سليم ! ! فقد قال الله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم » وقد نزلت هذه الآية الكريمة فى أعراب مزينة إذ نهضوا إلى رسول الله يحملون ما يقدرون عليه من الأموال فى سنة ناضبة ماحلة ! وهم قوم النعمان بن مقرن المزنى شهيد « نهاوند » وصاحب المواقف الخالدة مع إخوته الأشاوس فى الحروب الإسلامية ، والفتوحات الميمونة ! ومزينة معروفة بمن أنجبت فى البأس والقضاء والشعر والحكمة ! ! وهى وأمثالها من القبائل قد انتقلت من أطراف المدينة إلى الحدود النائية لتحمى حوزة الدين وتتقدم الفتوح الإسلامية المظفرة ! ! وكم للأعراب من وثبات ظافرة فى فداء الإسلام وتقدمه ! ! فمن الظلم البين أن نكيل إليهم الاتهام على إطلاقهم ، دون تفرقة بين من أذعن فأطاع ، ومن خالف فتنكب السبيل ! ولو حملنا منطق ابن خلدون ـ مع استحالته ـ على الأعراب وحدهم لكان جديرا بالمناقشة والتعقيب ، فعلينا ألا نخرج بالرجل من مأزق لنوقعه على مأزق آخر !

إن الأعراب فى منادح البادية ومشارف الصحراء ـ فضلا عن بلاء أكثرهم فى نشر الدعوة ـ قد خدموا اللغة العربية خدمات جزيلة ، فقد كانوا مرجع اللغويين والباحثين من علماء النحو والصرف والعروض حين قامت الأمصار واختلط العرب فى الحواضر بالأعاجم ، فسرت العجمة إلى لسانهم ، وأصبحوا غير قادرين على الاعتصام بالفصحى الأصيلة ! ! وهنا كان الأعراب فى بواديهم مصدر الباحثين ونجعة الوراد ، يسألون فيجيبون ، وبمشافهاتهم الطويلة ومحادثاتهم الكثيرة ضمت اللغة العربية كنوزا ثمينة ولآلئ غالية ، وفهم ما استعصى فهمه من غريب الشعر ونادر الحديث ! ! ولهم فى النخوة والكرم والبسالة ، والصبر على الشظف والخشونة ، وصدق الفراسة وقوة الانتباه ، أعاجيب خوارق ، فكيف نتناسى ذلك كله لنتكلف تصحيح أخطاء وقع فيها إنسان يخطئ ويصيب

بالغا ما بلغ من القدرة والرجحان . وفى سبيل هذا التأويل المتعسف اضطر الأستاذ ساطع الحصرى أن يزعم أن كلمة العرب قد تطورت تطورا متعاقبا فقد كان : « مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحـدهم ثم صار يشمل من يسكن المدن والأمصار دون أن يقطع صلاته بالبادية ، ثم صار يشمل سكنة الأمصار بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية أو رجوع نسبهم إليها » كما فى ص ١٠٨ من الدراسات للحصرى ! !

ونحن نسأل متى أطلق المدلول الأول للكلمة ؟ وإلى أى مدى انتهى المدلول الثانى ؟ ثم متى اشتهر المدلول الثالث ؟ نحن نسأل عن ذلك فلا نجد إجابة تقنع أو ردّا يفيد ! !

الحق أن التأويل مخطئ متعسف ، فلنتركه إلى الحديث عن الفريق الثالث الذين يعارضون ابن خلدون عن إنصاف واستقراء، وليسوا بحمد الله فى حاجة إلى تأويل زائف أو جهد مرهق فى إيضاح حقهم السافر ، فصحف التاريخ الإسلامى تشهد للعرب بالبسالة والإقدام، فقد فتحوا فى أقل من قرن ماعجزت الإمبراطورية الرومانية أن تفتحه فى ثمانية قرون ! ! واقتحموا الأهوال والصعاب فى الجبـــال الشاهقة ، والصحارى المجهدة ، والآكام الناهضة ! ! ولم يتغلبوا على البسائط السهلة وحدها كما زعم الكاتب ، بل عبروا مفاوز الأناضول ، وتقدموا فيما وراء النهر ، وانقلبوا إلى افريقية فالأندلس ، وتوغلوا فى حدود فرنسا توغلا لا يزال يرن صداه المزعج فى تواريخهم المتعاقبة من كتاب إلى كتاب ومن جيل إلى جيل ، وكان لهم من العمارة والتشييد والبناء ما نطقت به آثارهم الماثلة وتوارثته أجيالهم المتعاقبة ! ! أما ما أحدثوه من النظام والأمن والسياسة فقد صار معجزة الأبد وأحاديث الكتب ، مما لا يجترئ مستشرق غربى ـ فضلا عن كاتب إسلامى ـ على إنكاره ، أو الخوض فيه بظن مجحف أو إرجاف مريب ! ! فعلى الذين يقعون مع ابن خلدون فى زلته المنكرة أن يغيروا صحائف التاريخ ثم ليقولوا بعد ذلك مايشاءون . ونحن نستوضح سر الحملة الأليمة القاسية التى وجهها الكاتب الإسلامى العظيم إلى حملة دينه وذادة شريعته فلا نجد سببا يجيز التهجم والانتقاص ، فلا ريب أن المؤرخ الكبير قد درس تاريخ العرب دراسة وافيـة ، وهدته بصيرته النافذة إلى ما سجلوه فى صحائف الخلود ، من فتوح زاهرة وحضارات مجيـدة ! ! ولن نذهب مع الذين يتهمون الرجل بالتعصب للبربر والضغينة على العرب (فهو ينسب إلى العرب اليمانية فى حضرموت) ولكنه ـ كما يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه عن ابن خلدون ص ١٣ ـ « يشك فى صحة هذه السلسلة ويعتقد أن أسماء منهـا سقطت لأنه إذا كان خلدون هو جده الداخل إلى الأندلس

عنـد الفتح فان عشرة أجـداد لاتكفى لقطع ستة قرون ونصف وهى التى انقضت منـذ الفتح حتى مولده ، وفى رأيه أنه يجب لقطعها عشرون باعتبار ثلاثة أجداد لكل قرن » .

أقول : لن نذهب إلى اتهـام الرجل بالتعصب للبربر ! ! إذ لو جاز ذلك فى مذهبه لمـا جاز لنـا أن نكون متعصبين مثله ، لأننـا ننظر إلى غير العرب من المسلمين كالفرس والهنود والبربر والترك نظرتنا إلى العرب المسلمين سواء بسواء على قدر اخلاصهم للاسلام ، فالإسلام قد سوى بين أبنائه مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم ! !

فان كان لدى الكاتب المؤرخ بعض التعصب ـ كما يتوهم ـ فقد خالف به تعاليم دينه القويم ، وتنكب طريق المؤرخ العادل فى البحث الشامل والاستقراء المنصف والحكم النزيه ، ومهما يكن من شىء فالرجل ملوم على آرائه ، إذ جانب الحق مع وضوحه ! ! وخاض فى الباطل خوضا كريها ، ولكل صارم نبوة كما يقولون .

محمد رجب البيومى
المدرس بالمنصورة الثانوية

الجهاد والشهادة

أنا ما حييت فقد وقفت لأمتى   نفسى ومالى فى سـبيل بلادى
فاذا قتلت ـ وتلك أقصى غاية   لى ـ فالوصـية عندها أولادى :
بنت لتضميد الجراح ، ويافع   يعنى بتثقيف القنا الميـاد
حتى إذا بلغ الأشد رأت به   ذخرا ليوم كريهة وجـلاد

خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق

الاســـــتقامة

الدين هو العقيـدة التى يؤمن الإنسان بها ، ويسلم نفسـه إليها . وأول شرط لصحة هذه العقيدة ، وصدق تحققها فى نفس صاحبها وحياته ، هو الخضوع لها ، والعمل بها ، والحرص على تحقيقها . . . وحين نستعرض كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نراهما قـد عنيا عناية كبرى بالدعوة إلى الاعتقاد ، والعمل بمقتضى هذا الاعتقاد .

وإنما يكمل الإيمان عند الإنسان ، ويؤتى ثمراته ، إذا كان الخضوع لمبادئه عملا دائما موصولا ، وهذ الدوام فى العمل والصبر عليه مع الإتقان له ، هو ما يعرف بالاستقامة ، لأن استقامة الإنسان ـ كما يقول العرب ـ هى لزومه المنهج العادل ، والإقامة على الأمر الواضح مع الثبات فيـه ، وقوام الشىء هو عماده الذى لا يقوم إلا به ، وإقامـة الصلاة مداومة فعلها والمحافظة عليها ، ومن هنا لم يأمر الله بالصلاة فى القرآن إلا بلفظ « الإقامة » تنبيها على أن المقصود منهـا هو توفيـة شرائطها ، واستكمال حقوقها ، لا الإتيان بهيآتها الظاهرية . . .

* * *

والدارس للاسلام الحنيف يرى بوضوح أنه دين الاستقامة ، إذ هو دين الملة الغراء التى تدعو أبناءها إلى مبادئها السامية ، ثم تكلفهم النهوض بتبعات هذه المبادئ فى صور عملية واقعية موصولة ، لا تتوقف إلا لتعـذر أو تعسر ، والله يريد بعباده اليسر لا العسر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . .

يقول الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيـله ، ذلكم وصاكم به لعلـكم تتقون » . فهو سبحانه قـد رسم لعباده المنهاج

الواضح القويم ، الذى لاعوج فيه ولا انحراف ، وأقام الشواهد على صحته وصدقه ، ودعاهم إلى النظر فيه للايمان به عن يقين واقتناع ، فاذا آمنوا به وجب عليهم الخضوع له والعمل به ، وإلا حق عليهم العذاب ، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس امام تارك النور إلا الظلمات . .

ويدعو الله رسوله والذين آمنوا معه إلى هذه الاستقامة فيقول : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير » . أى الزم الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا اعتساف ... الزمة بالثبات عليه واتقاء الاختلاف فيه أو التقاعس عنه ، وليستقم معك كل من تاب من الشرك وآمن بالله وحده ، ولا تطغوا بتجاوز حدود الله ، ولو كان التجاوز بالغلو فى الدين ، لأن الإفراط فيه كالتفريط ، كل منهما زيغ عن الصراط المستقيم .

ولذلك جعل الله من دعاء عباده الذين يناجون به ربهم كل يوم عدة مرات قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » ... ومدح بهذه الاستقامة نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، مخاطبه قائلا : « إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » ... وكرر الدعوة إلى هذه الاستقامة والأمر بها فقال : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم » . وقال : « وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » . وقال : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » .

* * *

وقد وعد الله عباده على هذه الاستقامة الأمان والاطمئنان ، والثواب وحسن الجزاء : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم » .

كما توعد الله الذين يخرجون على هذه الاستقامة وهددهم بالعذاب والانتقام : « ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » . ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وعن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما ؛ ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله ؛ ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

فكأن صراط الإسلام هو الخط المستقيم ، والخط المستقيم هو أعدل الخطوط وأقربها فى التبليغ إلى الغاية ؛ وليس من شأن هذا المنهاج العادل أن يكلف صاحبه شططا أو إسرافا أو إرهاقا للنفس ، بل يدعوه إلى أداء واجبه فى توسط واستمرار ، ومن هنا جاء الحديث النبوى : « أحب الأعمال إلى الله أدومها و إن قل » . وقريب من معنى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلا على الناس » .

و يقول شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربى الأصفهانى فى كتابه « أطباق الذهب » هذه العبارة :

« أيها الراكب صهوة الرياضة ، ارفق بنفسك فى هذه المخاضة ، ولا تسرع إسراع الحمق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، فامش على هينتك ولا تخب خبا، ومص الماء ولا تعبه عبا، فلا خير فى تبريح الجمل الطليح [١]، ولا بر فى إيجاف الخيل العجاف [٢] ولا سبق فى فيافى القدر ، ولا رمل فى طواف الصدر [٣] ، وإذا كدتك العبادة فذرها ، وإذا أدتك إلى الملالة فاحذرها ، فلا مثوبة فى صلاة اللاغب [٤] ، ولا راحة فى صيام الساغب [٥] واعلم أن النوم خير للهاجد الجاهد إذا مل، وخير الأمور أدومها وإن قل، لا اضطجاع يورث الكسل ، ولا اجتهاد يعقب الملل ، فاعدل عن الإفراط والتفريط

---

(١) تبريح : إتعاب . والطليح : المهزول .

(٢) الإيجاف : السير السريع . والعجاف : المهازيل .

(٣) الرمل : المشى السريع . والصدر : الرجوع من الحج .

(٤) اللاغب : المتعب .

(٥) الساغب : الجائع .

إلى النهج الوسيط ، وصل بالقلب النشيط ، والجأش الربيط [١] ، فاذا تعبت فاقعد ، وإذا لغبت فارقد ، فما خلق الإنسان أجيرا ولا عسيفا [٢] « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » [٣] .

والمهم هو أن يدوم الإيمان ، وأن يستمر العمل بمقتضاه ، وأن يعتدل المرء على الصراط ، وأن لا يحيد عن المنهج ، حتى يلقى ربه وهو على ذلك . يقول عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وفى حديث حكيم بن حزام : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر إلا قائما ، أى لا أموت إلا ثابتا على الإسلام والتمسك به ... وكان من دعاء الرسول قوله : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

* * *

وكم من أناس نراهم فى بعض الأحيان يندفعون إلى العمل لمبدأ أو عقيدة ، حتى يخيل إلينا أنهم قد أصبحوا خير الجنود لهذه العقيدة ، ولكننا — بعد قليل — نرى جذوة الحماسة عندهم قد خمدت ، ودرجة العمل قد انخفضت أو انعدمت ، وذلك من الاسراف وانعدام روح الاستقامة ...

جاء سفيان بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله : يارسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك .. فأجابه الرسول : قل آمنت بالله ، ثم استقم ! .

وهذه العبارة النبوية الوجيزة البليغة هى شعار المسلم الكامل ، لأنها تستلزم تصحيحا للعقيده ، وتدعيما للايمان ، وتقويما للنفس ، وتمسكا بالحق ، واستقامة على الصراط ، وثباتا فى العمل ، بلا انحراف أو اعتساف ..

فيأيها المسلم .. قل آمنت بالله ، ثم استقم ! ..

احمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) الجأش الربيط : النفس القوية .

(٢) العسيف : العبد المستعان به .

(٨) انظر ص ٧٩ .

الشجاعة عماد الفضائل

ترتكز الحياة الطيبة السعيدة للفرد وللمجتمع وللشعوب على مجموعة من الفضائل تختلف آثارها ، وتتفاوت حاجة الناس إليها ، فتكون حاجتهم فى بعض البيئات وفى بعض الأزمنة إلى فضيلة أقوى من حاجتهم إلى أخرى ، غير أن الذى يكاد يكون أمرا عاما أن أولى هذه الفضائل بالاعتبار هى الشجاعة ، ولست أقصد الشجاعة فى الحرب فحسب ، بل إنما أقصد الشجاعة بمعناها الأعم ، وهى ما يعبر عنه بالصبر أو بقوة النفس ، وقديما قال الحكماء : أصل الخير كله فى ثبات القلب . وإذا علمنا أن أضر عاطفة على الفرد هى عاطفة الخوف ، أدركنا مدى حاجتنا إلى الشجاعة ، فان الفرد الخائف لا يستطيع أن يعمل عملا ذا بال . وكذلك المجتمع الخائف لا يمكن أن يحتل مكانا بين الشعوب ، ولن تتأتى مع الخوف حياة سعيدة .

الخوف من العدو ، والخوف من الدفاع عن الحق ، والخوف من الهزيمة فى المعركة ، كلها عوامل هدم فى كيان الشعوب ، فلا غرو أن يصبح كل شعب يريد حياة كريمة فى أشد الحاجة إلى ثبات القلوب وقوة النفوس ، حتى يجابه الحياة بقوة عارمة من أخلاق النفوس قبل أن يجابهها بعدة وعتاد من الآلات الصماء .

وعادة السيف أن يزهى بجوهره   وليس يعمل إلا فى يدى بطل

ويوم كانت حياة الشعوب أشبه بحياة الوحوش فى الغابات كانت الشجاعة فى قوة القلب وصلابة السواعد ، ثم تطورت الحيوات ، وأصبح لكل عصر منهجه فى مواجهة الأعداء ، ولكن الشيء الذى لم يتغير ـ ولن يتغير ـ هو قوة القلب ، وثبات النفس ، وصرامة الخلق . ومن قول الحكيم العربى ضمرة بن ضمرة المشهور بالمعيدى : إن الرجال لا يكالون بالصيعان ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، ويشبهه قول المتنبى :

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده   فلم يبق إلا الصورة اللحم والدم

وإن الرجل العادى ليأخـذه العجب حين يسمع أن الرجل من أصحـاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان كفاء عشرة من الأعداء، وفى ذلك يتحدث القرآن الـكريم فيقول الله عز وجل فى سورة الأنفال « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منـكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منـكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنـكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منـكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منـكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » . يعجب الرجل العادى لأنه يجهل السر، والسر أمامه وبين يديه لو تأمله، فأول ذلك الصبر، وقد حرصت الآيات الـكريمـة على ذكره فى كل موضع ، فذكر فى هاتين الآيتين ثلاث مرات، فالصبر ـ إذن ـ والصدق عند اللقاء ، وثبات القلب فى المعركة ، هو أول الأسرار فى أن يتغلب الواحد على العشرة . وثانى هذه الأسرار ، وهو بسبب متين من الأول ، أن الـكفار قوم لا يفقهون ، يقاتلون على غير احتساب وطلب للثواب ، فيقل ثباتهم ، ويستحقون بجهلهم بالله خذلانه ، وشتان بين رجـل يدافع عن حق ، ومناضل دون وطن أو دين ، ورجل لا يدرى لم سيق إلى القتال ، أو يعرف أنه يقاتل عن غير حق . ولقد قرأت منذ قريب أن جنود بعض الدول التى ركبت رأسها أخـيرا تألبوا وصاحوا كيف نقدم أنفسنا فداء لقوم يحرصون على الربح من أسهم القتال ؟!

وليس من شـك فى أن الذى يقاتل وهو مقتنع بصواب موقفه ، ومؤمن بأنه يدافع عن عرضه وعرض قومه ، أقوى شكيمة ، وأكثر ثباتا ، من الذى يقاتل لأن تجار الحرب فى أمته دفعوه إلى القتال .

وثالث هـذه الأسرار التى أشارت إليها الآيات ، وهو أيضـا مترتب على الأول ونتيجة له ، هـو تأييد الله ونصره ، ولـكن الله أثبت فى هـذه الآية أنه إنما يؤيد الصابرين الصادقين فى القتال .

فالعشرة من المؤمنين يغلبون المـائة من الكافرين بأذن الله ، لأن الله يلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، ولـكن ما هو السر فى أن الله ينصر هـؤلاء ؟ السر أنهم صابرون (والله مع الصابرين) .

ولن نأتى بجديد إذا تحدثنا عن شجـاعة العرب فى الجاهلية والإسلام ، وعن فرسانهم وأبطالهم ، فتلك أمور مشتهرة متعارفة ، ولـكن لعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن الشجاعة

وحدها ليست كافية ، وأنها تحتاج إلى سعة الحيلة فى القتال ، وحسن التصرف فى المواقف كلها ، والقاعدة الإسلامية (الحرب خدعة) من أقوى الأسس التى يقوم عليها النصر ، ويحدثنا عنترة بأسلوبه البدائى عن الطريق الذى كان يسلكه لينتصر ، فقد كان عنترة يجمع إلى نجدته وبأسه كثيرا من صفات الحزم والحكمة ، قيل له ذات يوم : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ، وما دخلت موضعا إلا قدرت لنفسى الخروج منه ، وكنت أعتمد الجبان الضعيف بالضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنثنى عليه فأقتله .

صفات أربع كشفها عنترة من نفسه فى الجاهلية ، وما زالت إلى يوم الناس هذا — وستبقى — أجل ما يدخره القائد للمعارك الفاصلة : الإقدام فى موضعه ، والإحجام فى موضعه ، والعمل بحذر ، والابتداء بالنقطة الضعيفة ليدخل الرعب فى الأقوياء .

ولكن ليس معنى ذلك أن يتوارى الجبناء وراء الحزم والعزم ، فلا يثبتون فى معترك ، ولا يقدمون على عظيمة ، فأن ذلك من خدع الطبع .

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

ولعل من الطريف الذى نستملح به هنا ، ذاكرين موقف فرنسا ، وقتالها فى سبيل قناة السويس إلى آخر جندى بريطانى — على ما روته بعض الملح — أن رجلا جاء إلى الشاعر ثابت بن جابر (تأبط شرا) وكان الرجل يكنى أبا وهب ، وكان تأبط شرا من شجعان العرب وفتاكهم ، فقال أبو وهب لثابت : بم تهزم الأقران ؟ قال : باسمى ، ماهو إلا أن أقول للرجل : أنا تأبط شرا حتى يفر من أمامى ، قال أبو وهب : بعنى اسمك بحلتى هذه . قال تأبط شرا : قد فعلت ، فلبس الحلة ثم أنشأ يقول :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها تأبط شرا واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمى وسميت باسمه فأين له صبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسى وشدتى وأين له فى كل حادثة قلبى . . ؟ !

فهبوا فرنسا تسمت (قلب الأسد) أو لبست (شوارب النمر) فأين لها فى كل حادثة صبر الأبطال المغاوير . . . ألا قاتل الله المتشبهين والأدعياء !

على العمارى

النثر والشعر

فى تقدير الاسلام

للنثر خصائصه ومميزاته فى تقدير الإسلام الذى صوّر به الحقائق ، وأناط به الدقائق ، وجعله فى مستوى منيع هو فى واقع أمره أمنع من مناط الجوزاء ، لأن النثر ملاك الصيارفة يصوغون به كل عظيم ، ويحكمون به كل أمر جسيم ، وحسب الإسلام أن يكون القرآن جاريا على نسق لا يطاول ولا يقاول ، تتقطع دونه الأعناق وينتهى إليه اللحاق . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » صدق الله ومن أصدق من الله قيلا ؟ فقد كانت العرب فى جاهلياتها ونزواتها تتسابق فى المنثور والمنظوم ، لـكن شوق العقول وحنين الأحاسيس كان يدور فى فلك النثر لأن به فصل المقال و إصلاح الحـال وخاتمة المـآل . ثم تطورت فضائل البشرية وخفت نزواتها رويدا رويدا فى صدر الإسلام ، فجاء الشعر فى عهد الإسلام مرتبا ومبوبا وصقيلا غير هزيل ، لأن شعر الجاهلية كان فى الحماسة وفى الغزل وفى أبواب الأخـذ بالثأر والترات والمقارعة بالسيوف فى مواقف الحتوف والمفاخرة بالأنساب والتسابق فى الأحساب ، أما الإسلام فقد عقد للشعر أبوابا لا تعـدو التنويه بالفضائل ومنابذة الرذائل والحض على مواكبة الصدق فى الملمات والإخاء فى النازلات والأخذ بيد المظلومين والمنكودين ، والتجمع فى سلك واحد إذا عدا عاد على عشيرة اعتبرته العشائر عدوانا عليها .

كانت العرب فى الإسلام تحس بأحاسيس واحدة ، وتنبض بقلب واحد ، وتنطق بلسان واحد ، وتستقبل قبلة واحدة ، وتستهدى بالله واحد ونبى واحد وقرآن واحد ، وهى إلى عهدنا الراهن جد حفيظة على هذا التراث الموروث إذا نابتها النوائب وحلت بساحتها الكوارث . فليس عجيبا أن نرى بين أظهرنا اليوم عرب البلاد العربية يتكتلون مع عرب مصر ويفتدونهم بدمائهم وأموالهم ، لأنهم يرون فى العرب جميعا كتلة واحـدة ونسقا واحدا متمثلين بقول القائل :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا

وإن كان الشعر فى واقع أمره ديوان العربية ، والثمرة اليانعة لأدبها وحكمتها ، لأن العربية لغة الدين وذروة المؤمنين ، ثم هى بعد ذلك من الجوامع الأدبية بين شعوبها ، ناهيك أن رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم اتخذ لنفسه شاعرا يذود عنه بمرهفات الشعر ما كان يوجهه إليه شعراء المشركين : من نفثات سحرهم لحل عقدة جماعته ، وهدم أصول دعوته ، وقد روى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكمة » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتكلم عن الشعر وينشد مايحضره منه ، حتى سأل مرة جلساءه عن أشعر الشعراء فى رأيهم ، فقال كل منهم مايعلمه ، فعارضهم وقال : بل أشعرهم هو الذى يقول :

فمن للسؤال ومن للنوال ... ومن للمقال ومن للخطب ؟ !

وهذا البيت لزهير بن أبى سلمى .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وكان عليه الصلاة والسلام ، وهو من هو ، يتمثل بالشعر ، حتى إنه كان إذا أراد المبارزة ينشد :

أى يومىّ من الموت أفر ... يوم لايقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لاينجو الحذر

وروى يزيد بن مسلم الخزاعى عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلق :

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم ... إن المنية تحمى كل إنسان
فاسلك طريقك تمشى غير مختشع ... حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقه ... وكل زاد وإن أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد بين يديه هذا البيت

بلغنا السماء مجدنا وجـدودنا ... وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسـلم مبتسما : وأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : الجنة يارسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجل ، إن شاء الله . حتى إذا بلغ إلى قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصـدرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم مبشرا : لا يفضض الله فاك . فعمر مائة وثلاثين سنة لم تفضض له ثنية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الشعر ويستنشده من يرويه . قال ابن أبى شيبة : إن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد فقال له : أتروى من شعر أمية بن أبى الصلت شيئا ؟ قال : نعم . قال : فأنشدنى ، فأنشده ، فجعل يقول بين كل قافيتين : هيه ، حتى أنشده مائة قافية ، فقال : هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : أخبرنى ما الشعر ياعبد الله ؟ قال : شيء يختلج فى صدرى فينطق به لسانى . قال : فأنشدنى ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن ... قفوت عيسى باذن الله والقـدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله !

وقال زياد بن طارق الجشمى : حدثنى أبو جرول الجشمى ، وكان رئيس قومه ، قال : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى حرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... يا أرجح النـاس حلما حين يختبر
إنا لنشكر للنعمى إذا كفرت ... وعندنا بعد هـذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم ، قالت الأنصار : وما كان لله ولرسوله . وردت ما كان بأيديها من الأموال والذرارى .

وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبى سلمى :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفـاذ أو جلاء

فجعل عمر يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها ، وإنما أراد بمقاطع الحقوق : اليمين أو الحكومة أو البينة .

قال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر الصديق شاعرا ، وعمر بن الخطاب شاعرا ، وعلىّ أشعر الثلاثة ، ومن قول علىّ عليه السلام بصفين حين كان يحارب معاوية :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حصين تقدما
فيـوردها فى الصف حتى يردها حياض المنايا تقطر السم والدما

ولما بعث عمر الفاروق رضى الله عنه بكتابه إلى علىّ رضى الله عنـه حين أبطأ علىّ فى مبايعة أبى بكر فى صدر خلافته ، وقد ورد فى هذا الكتاب الذى أرسله مع أبى عبيدة : قل له يا أبا عبيدة : الحق مفرقة والباطل مغرقة ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عنوف عسوف ، ولئن لم يندمل هذا الجرح بمثبار رأيك وحزمك ، ولم تستجب حيته لرقيتك ، أعضل البأس ، ووقع اليأس ، واحتيج بعد إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، ونحن من وراء ذلك نعانى أهوالا تذيب الرواسى ، ونقاسى أحوالا تشيب النواصى ، ذهب على من فوره إلى فاطمة الزهراء وأعلمها الأمر ، ثم قال يخاطب نفسه :

إحـــدى لياليك فهيسى هيسى لا تنعمى اللـــيلة بالتعريس

ثم قال : إذن فأنا مع هؤلاء كأخى بنى سليم :

فان تسأليني كيف أنت فاننى صبور على ريب الزمان صليب
يعز علىّ أن ترى بى كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

ودخل كعب بن زهير بن أبى سلمى على النبى صلى الله عليه وسلم مادحا إياه بقصيدته المشهورة التى استهلها بالغزل الرفيع حيث قال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول
ما إن تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل
ولا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل

ثم خرج من هذا إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكساه بردا ، فلما آلت الخلافة إلى معاوية رضى الله عنه اشترى هذا البرد بعشرين ألف درهم .

هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى تقدير الشعر والشعراء، وقد جرى التابعون على هذه الخطة ، فكان منهم الشعراء المجيدون كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، ومنهم عروة بن أذينة وكان من ثقات رواة الحديث . ومنهم الشعبي الإمام المشهور ، ويروى عنه أنه قال : « ما أنا لشيء من العلم أقل منى رواية للشعر ، وإن شئت أن أنشد شعرا شهرا لا أعيد بيتا فعلت » .

وكان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد الكبير شاعرا يحب الشعر الجيد . روى عنه أنه على زهده ونسكه وتقواه سمع سكرانا يتغنى بهذا البيت :

أذلنى الهوى فأنا الذليل وليس إلى الذى أهوى سبيل

فكتبه : فقال له أصحابه : أتكتب بيت شعر سمعته من سكران ؟ قال : اما سمعتم المثل : رب جوهرة فى مزبلة .

وكان أيوب السختيانى رضى الله عنه يقول :

الماء فى مقلتى والنار فى كبدى إن شئت فاغترفى أو شئت فاحترقى

هذه كانت مكانة الشعر عند المسلمين الأولين ، وما حداهم إلى الحنين إليه الا صحة شعورهم ولطف حسوسهم ، فان الشعر غناء الأرواح ، وترنام الخواطر ؛ فاذا صدف

عنه فانما يكون ذلك لفساد الشعور وغلظ الحسوس ، ولا جرم أن انحطاطه فى أمة يشعر بانحطاطها فى جميع مقومات الحياة الأدبية .

وإذن فلا محل للقول بجواز الطعن على الشعر إطلاقا من حيث كونه شعرا ، فالشعر المباح الذى يحمل بين برديه اجتناب المحظورات ، وممارسة المأمورات ، ومعانقة الفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ، وغرس الفضائل والكوامل فى نفوس المتعلمين ، واقتلاع بذور الرذائل والقضاء على المفاسد والمباذل فى عقول الناشئين ، مأمور به ومعنى فى تقدير الإسلام .
أما الشعر الذى يحض على مناجزة الأخلاق الخيرة والفضائل المستعذبة ، ويخرج على الآمنين فيسلبهم أمنهم وطمأنينتهم ، ويتحسس عن عيوبهم لينشرها بين أعدائهم وأصدقائهم ، ويزين للناس الشرور والآثام فى ثياب من زخرف القول وبهتانه فهو الذى عناه القرآن الحكيم بقوله :

«والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون»
ومن هذه الناحيه أشاد القرآن بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » . ه

عباس طه
المحامى

فى الصين لا غش ولا سرقة

يقول الأستاذ عبد المنعم العدوى المرافق لوفد علماء باكستان إلى بلاد الصين الشعبية : إن الخيانة والرشوة والغش والسرقة ، كل هذه المنكرات لا تعرفها الصين الشعبية ، فليس فيها من يرتشى أو يغش لبنا أو زبدة أو غيرها ، كما أنه لا يوجد فيها من يسرق ، لأن من يرتكب إحدى هذه المنكرات يعلم تماما أن رصاصة تفرغ فى رأسه وأنها هى الثمن لذلك .

ذكرى الهجرة النبوية

ألقيت فى احتفال الأزهر بعيد الهجرة النبوية

نحمدك اللهم مسبغ النعمة ، وواسع الرحمة .

ونصلى ونسلم على رسولك المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله أكرم من بعثت ، وأصفى من واليت ، تزود من لدنك علما ومعرفة ، وتذوقت أمته سعادة الأمن وحلاوة الإيمان.

أما بعد، فأن الأزهر الشريف حين يحتفل بذكرى هذا الحادث التاريخى العظيم، ذكرى الهجرة النبوية ، فأنه يتيح للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تعرف هذا المجد السالف فى الجهاد والجلاد ، ويجلى لهم مواضع العظمة الخالدة التى نشأ الإسلام عليها نفوس أبطاله الأباة الأكرمين ، وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأولين لاقوا من العنت والسفه والجهالة ما تضيق به رحاب الآفاق، ولكنهم كانوا أوسع صبرا ، وأطيب نفسا ، وأقوى ثقة بأن الغلبة للحق ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العسر يسرا .

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ... وفرج لوعة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا ... وتعقبه المسرة فى العشى
إذا ضاقت بك الأسباب يوما ... فثق بالواحد الأحد العلى

* * *

من المثل العليا فى الثقة بالله التى تفيض على النفس عزمة ورباطا وقوة ، ما كان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه من بيته بمكة إلى الغار ، وقد أحاط ببيته فتية أشداء ، وبأيديهم السيوف المصلتة يؤلفون عصبة لقتله ، وقد اختير من كل قبيلة شاب جلد قوى البأس، حتى إذا ما خرج ضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يثأروا له «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما بيت له أعداؤه فما وهن ، ولا نكص ، ولا استكان . . ولكن قويت ثقته بربه ، وتملكته عزمة الحق الذى يرفع رايته ، والإباء الذى يستصغر كل معوق ، فخرج صلى الله عليه وسلم بين هذه الأسياف المستشرفة ، والحدقات المحمرة ، والصدور المغضبة ، وهو يهمس بقول القوى العزيز : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ومرق منهم ولم يشعر به أحد وتركهم فى خزيهم مبلسين .

* * *

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ومكثا فيه ثلاث ليال كانت فيها قريش تدور حول نفسها فى دهشة وحيرة وغضب ، وفى تتبع الأثر الذى يقف بهم عند الغار فيقول قائلهم : ما أراهما تجاوزا هذا الغار ، ويسألون راعيا بالقرب من هذا الغار فيقول : قد يكونان فيه ، وإن كنت لم أر أحدا دخله . ثم يمعنون النظر فى باب الغار فيجدون خيوطا للعنكبوت على حالة تدل على القدم البعيد ، ويجدون عشا لحمامة ورقاء لم تمتد إليه يد تقوضه أو تزيله ، ويتشككون ويترددون ، وأبو بكر الصديق فى داخل الغار يشتد خوفه ، ويضطرب فؤاده ، ويقول للرسول : لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا ، فتتجلى ثقة الرسول بربه ويهمس فى أذن صاحبه : « لا تحزن إن الله معنا » ، « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . فتطمئن نفس أبى بكر ويهدأ روعه ، وينصرف المشركون مؤكدين أن الغار لم تطأه قدم إنسان .

ولقد ذكر القرآن الكريم أمر هذه المؤامرة والمطاردة ، وحفظ الله لرسوله ، وتطمين الرسول لصاحبه أبى بكر . ففى سورة الأنفال يقول الله عز وجل : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وفى سورة التوبة يقول جل جلاله : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وإلى قصة الغار يشير صاحب الهمزية بقوله :

أخرجوه منها وآواه غار ... وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ ... ه ومن شدة الظهور الخفاء

ومضت هذه الليالى الثلاث فى نظام رتيب أحكمه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان ابنه عبد الله يبيت عندهما يحدثهما بما كان من أمر قريش نهارا ، وكان مولاه عامر بن فهيرة يرعى غنما ويتبع عبد الله فى خروجه من الغار ليعفى على أثره ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما فى الغار بما تصلحه لهما من طعام . .

وخرجا بعد ذلك إلى طريق المدينة ومعهما راحلتان اشترى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما من أبى بكر ، وسار معهما عبد الله بن أريقط ببعيره ، وقد أعدت لهما أسماء زادالسفر ، فلما ارتحلا لم تجد ما تعلقه به فى رحالها ، فشقت نطاقها نصفين وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسميت « ذات النطاقين » رضى الله عنها .

وأخذ أبو بكر معه كل ما بقى له من مال وقد بلغ خمسة آلاف درهم ، وذكرت أسماء أن جدها أبا قحافة دخل البيت بعد رحيل أبى بكر وقال : ما أظن إلا أن أبا بكر قد فجعكم فى ماله كما فجعكم فى نفسه . قالت : كلا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها ووضعت فوقها ثوبا ، ثم أخذت بيده وكان قد كف بصره فوضعتها فى الكوة ، فقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا ، ففيه بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك أبى شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن قلب الشيخ . .
وسار الركب فى طريقه فى يقظة وحذر متخذا من السبل ما قل أن يطرقه المسافرون .

وكانت قريش قد جعلت مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا أو يدل عليه . وسمع سراقة ابن مالك بأمر الركب ، فخرج سرا مسرعا ممتطيا جواده متتبعا أثر الرسول وصاحبه ، حتى إذا أدركهما وسمع قراءة النبى ساخت قوائم فرسه ، فاستغاث بالرسول على أن يعود من حيث أتى ، فأشار الرسول إلى الفرس فنهضت من كبوتها ، وعاد سراقة إلى مكة من غير أن يلحق بهم أذى . . وفى هذا يحدث سراقة أبا جهل فيقول :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا بأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم ترتب بأن محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ؟ !

* * *

وتابع الرسول وصاحبه ودليلهما السير فى طريق المدينة فى جو ملتهب الحرارة شديد القيظ ، وفى حذر وترقب ، فكان فى قسوة الجو ، ولجاجة العدو ، واضطراب الخاطر ،

ما يفزع الآمن ويقلقل الساكن ، ويطوق النفس باطار من البلبلة والخوف والنصب ، إلا أن كل ذلك قد هان عند الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه بازاء شرف الغاية ونبل المقصد وإنفاذ أمر الله ..

وبلغا بعد مسير سبعة أيام قبيلة بنى سهم وأقبل شيخها بريدة يحييهما ويهش لهما فاطمأنا إلى أنهما أصبحا من المدينة قاب قوسين أو أدنى .

* * *

وكان أهل المدينة يرتقبون بشغف وشوق شديدين مجىء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يهل عليهم بطلعته الوضاءة المشرقة ، وأن يروا وجهه الصبيح الأيمن ، وأن يستمعوا إلى حديثه العذب الممتع ، وأن يأنسوا بجواره الطيب الكريم ..

فكانوا يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يستشرفون قدوم حبيبهم ورسولهم ، ويظلون حتى يلهبهم وهج الشمس ويحرقهم حرها ، وكانت الأيام من شهر يوليه قاسية شديدة ، فيرجعون إلى المدينة ليعودوا فى اليوم التالى وهكذا .

إلى أن كان مجيئه صلى الله عليه وسلم ، فرآه يهودى على مد البصر ، وكان يعلم ترقب أهل المدينة قدومه ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل المدينة ، هذا حظكم الذى تنتظرونه . فخرج أهل المدينة مهللين مكبرين ، واستقبله ما يزيد على خمسمائة من الأنصار فيهم الرجال والنساء ، وفيهم الشيوخ والشباب والأطفال ، وانتشر الفرح وعم السرور جميع أرجاء المدينة .

فعن البراء رضى الله عنه : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، وصعدت منها ذوات الخدور على الأجاجير - أى سطوح البيوت - يعلن بفرحهن وابتهاجهن .

وعن عائشة رضى الله عنها : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وهكذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول وهلة من أهل المدينة التقدير البالغ ، والولاء الكبير ، والحب الذى ملك عليهم قلوبهم ومشاعرهم ، فكانوا فى فرحهم وابتهاجهم أوفياء صادقين .

* * *

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم سياسته الحكيمة الحازمة فى جمع الكلمة ، وتقوية الجبهة ، وتوحيد الصف ، فأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف ، وجمعهم على محبة الله ورسوله ، وآخى بين المهاجرين والأنصار فى بر ومرحمة وإيثار ، وكان الأنصارى المثل الأعلى فى كرم الوفادة وحسن الاستقبال ، كما كان المهاجرى مثلا ساميا فى التعفف والإباء .

كان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين بمؤاخاة رسول الله ، ولم يكن عبد الرحمن يملك شيئا ، فعرض عليه سعد أن يشاطره ماله فأبى عبد الرحمن ، وقال : إن الدين الذى اعتنقناه لايعرف تواكلا ولا استكانة بل يعرف الكدح والعمل ، دلونى على السوق فأشترى وأبيع وآكل من كسب يدى .. وقد استطاع رضوان الله عليه أن يكون فى عداد التجار الأثرياء بعد زمن وجيز .

وعمد نفر من المهاجرين إلى الاشتغال مزارعة فى أراضى الأنصار ، وكانوا جميعا فى محبة ووئام .

* * *

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة طرفا من سماحة الإسلام وتعاليمه الواضحة المستبينة ، وأنه يقدس حرية الرأى ، وحرية العقيدة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، فكان هذا الفتح المبين عهدا جديدا كريما ، جديرا بدين يختم الله به الأديان كلها ، وجديرا برسول سمت نفسه ، وصدق ولاؤه ، وطهر قلبه ، وقوى عزمه .

ترك الأهل والوطن ، وجاهد فى الله حق جهاده ، لتنال الإنسانية حظها فى العدل

والبر والكرامة ، فى ظل توحيد الله وتمجيده والاعتراف له بالربوبية القادرة والعزة الغالبة والفضل الكبير .

* * *

صراع بعيد المدى بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال .

صراع امتدت فيه يد الظلم العاتية ، تساندها عصبية جاهلية حمقاء .

صراع ضيقت قريش فيه الحصار ثلاث عشرة سنة من بدء البعثة إلى الهجرة على رسول الله وأصحابه ، ولكن قوة الباطل مهما طغت فهى إلى انحلال ، وليل الضلال وإن طال فهو وشيك الزوال .

* * *

وحالنا اليوم — أيها السادة — فى هـذا الصراع بين المستعمرين الغربيين فى باطلهم ، وبين رجال العروبة والإسـلام فى حقهم ، يذكرنا بقوة الكفاح ، وجلادة العزم ، وجلالى المصابرة والمرابطة من رسول الإسلام وصحبه ، حتى أشرق النصر ، ورفرفت راية السلام .

هـذه ثورتنا المكافحة الفتية آمنت بحـق العروبة ولمست عنت المستعمر واستبداده الآثم ، فأجلته عن البلاد ، وأممت مصالح الوطن ، فى صادق عزم ، وجلال حزم ، لتحفظ لمصر كرامتها ، وتصون للعروبة عزتها . ولعل من يمن طالع هذا العام الجديد أن تفوز مصر بفوز قادتها على أطماع هؤلاء الوالغين فى الأموال والدماء ، المتحرقين أبدا للاستيلاء والاستعلاء . ولعل أن تنالنا نفحة من بركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين ، الذين أدركوا بصبرهم وجهادهم جمال النصر ، ولذة الظفر ، فننال مما نالوا ، ونظفر بما ظفروا .

وإنك يا سيدى يارسول الله هادى هذه الأمة ، وقائدها الأول ، ومجاهدها الأمين .

ونحن ننهل من شرعتك رحيقا .

ونتخذ من منهاجك طريقا .

* * *

يا خير من عطر الأرجاء هجرته ... وخير من شرف الإنسان محتده
وخير من أشرقت فى الـكون حجته ... وصال فى جبهة الدنيا مهنده
جاهدت فى الحق أعداء الهدى فسما ... بك الجهاد ، ونال المجد سيده
وكنت للناس فى بدو وفى حضر ... شمسا إذا شارفوا ليلا تبدده
بالرأى والحزم والأخلاق طالعهم ... فيض من الفضل لازلنا نردده
باليمن ذكراك يامختار نذكرها ... والعهد للدين ـ مسئولا ـ نجدده
فاشهد بأن بنى الإسلام ما نكصوا ... ونحن للحق نرعاه وننشده
ونحن فى مسمع الدنيا ويقظتها ... مجد يدوى وعين الدهر تشهده

* * *

هكذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جهادا ، وصبرا ، وفتحا ، وتبيانا ، وثقة بالله واعتصاما به : (والله غالب على أمره ولـكن أكثر النـاس لا يعلمون) .

فخذوا يا أبناء الإسلام عن رسول الإسلام هذه الدروس الغالية وافقهوها ، وأجمعوا أمركم ، ووحدوا صفـكم ، وكونوا على الأعداء قوة لا تضعف ، ونارا لا تخبو ، وقوة لا تلين ، والله معكم ، ولن يتركم أعمالـكم »

محمد عبد التواب
مفتش الوعظ العام بالأزهر

عين الـكمال

مدحة فى بهى سنا المصطفى صلى الله عليه وسلم

أعين الـكمال ، ونور الجمـال ... لأنت الحبيب الفريد المثـال
عظيم الثناء ، تميم الوفاء ... كميل الغناء ، أغر الخلال
رءوف رحيم ، سخى كريم ... صفى سليم ، بديع المقـال
كفى بامتداح الإله العزيز ... تعالى الحميد شديد المحـال
عليك الصلاة رسول الإله ... عليك السلام رفيع الشمال
عايك الصلاة كعد البرايا ... عليك الصلاة رضا ذى الجلال
عليك السلام كعطر الورود ... عليك السلام كريح الغوال

أبو بكر مخيون
بأبى حمص بحيرة

محكم ابن سيده

بين الطى والنشر

لفتنى الصديق الوفى ، العالم الجهبذ ، الأستاذ أحمد الشرباصى ، إلى كلمتكم النفيسة [١] التى عرضتم فيها بالنقد البناء ، لكتاب « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » الذى ألفه صديقنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ونشره المحسن الحجازى السيد حسن شربتلى ، والذى يعد العدة - كما وعد وقرر عبد الغفور - لنشر كتاب « تهذيب اللغة » للأزهرى .

وقد وقفت من كلمتكم الجامعة ، عند كلمتكم :

« ولا نستطيع أن نكتم هذا المحسن العربى ، أن أعلام الإسلام من الطبقة التى كانت قبلنا ؛ وعلى رأسها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، والعلامة الشنقيطى الكبير ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وأحمد تيمور باشا - كانوا يتمنون أن يطبع كتاب (المحكم) لنابغة الأندلس أبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده الضرير . . . » .

وقفت هنا وقفة المتأمل ، والمتألم .

ذلك بأن محاولات عدة ، بذلت لنشر هذا الكتاب ، ولكنها ذهبت مع الريح ، لأمرين جوهريين :

أولا : عدم وجود نسخة كاملة منه ، فى أى مكتبة من مكتبات العالم العامة . والقول بغير ذلك مجانب للصواب .

وقد تدسس هذا الوهم إلى المستشرق الألمانى شارل بروكلمان ، فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » المطبوع سنة ١٨٩٨ ، حيث قرر فى ص ٣٠٨ ج ١ : « أن فى دار الكتب المصرية نسخة كاملة منه » .

---

[١] فى باب الكتب من جزء شوال ١٣٧٥ .

ولم يقف عند هذا الحد ، بل زاد على ذلك أن فى المتحف البريطانى نسخة أخرى .

وقد تابعه على هذا الوهم الدكتور فيشر المستشرق الألمانى ، والذى كان عضوا بالمجمع اللغوى حتى وفاته . وقد كشفت له فى رسائل ثابتة ما يدحض هذه الدعوى .

ومما يؤسف عليه أن يتسرب هذا الرأى إلى الأستاذ محمود مصطفى فى كتابه « إعجام الأعلام » ، والعالم الهندى الأستاذ الندوى صاحب « فهرست المصنفات » .

ومن يمن الطالع ، أن أحد علماء تونس الأجلاء ، تنبه إلى هذه الحقيقة ، فنبه إليها ، فى مادة « ابن سيده » من « دائرة المعارف الإسلامية » حيث كان هو محرر تلك المادة ؛ وهو الأستاذ محمد بن شنب .

ومنذ أكثر من أربعين سنة حاول المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وقتئذ ، أن يطبع ذلك الكتاب ، فألف ــ لذلك ــ لجنة ، ولكنها لم تستطع عمل شىء ، بل من نحو ٦٠ سنة تألفت لجنة قوامها : الشيخ محمد عبده ، والشيخ الشنقيطى ، والشيخ عبد الغنى محمود ، وعبد الخالق ثروت باشا ، وحسن عاصم باشا ، ومحمد النجارى بك . ولكنها وقفت ــ حين تحقق لها عدم وجود نسخة كاملة ــ مكتفية بطبع كتاب « المخصص » وهو أعظم كتب ابن سيده ، بعد كتابه « المحكم » . ومن طريف ما يذكر أن كانت اللجنة تعتمد أحيانا فى تحقيق « المخصص » واستكمال نقصه ، وسد خرومه ، على حافظة الشيخ الشنقيطى ، يشهد بذلك قوله فى كتابه « الحماسة السنية فى الرحلة العلمية » :

سيبكى علىّ العلم والكتب بعد ما	صد عن بأمرى غير صم ولا بكم
(مخصصها) المطبوع يشهد مفصحا	بما حاز من ضبطى الصحيح ومن رمى
(فعبد الغنى) القارئ الفرع ، شاهد	بحفظى عند الحذف والبتر والخرم

ثانيا ــ ما ذكرتموه من « صعوبة المراجعة فيه » ، فقد وضعتم إصبعكم على الداء الدفين ، وقد شكا القدامى مما شكوتم منه ، وعلى رأس أولئك الإمام ابن منظور ، فى مقدمة اللسان ، حيث قال فى الخطبه (ج ١ : ص ١ ــ ٣) ما نصه :

« غير أن كلا منهما (أى تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده) مطلب عسر المهلك ،

وعر المسلك ، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه .

قد أخر وقدم، وقصد أن يعرب فأعجم ؛ فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ؛ فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ؛ وكادت البلاد ــ لعدم الإقبال عليهما ــ أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب » .

* * *

والآن أنتقل نقلة سريعة إلى عام ١٩٣٩ ، حيث وفقنى الله لجمع شتات الكتاب ، وشرحت ذلك فى مذكرة تفصيلية ، رفعتها إلى وزارة المعارف ، رجاء أن تعاوننى على طبعه بالاشتراك فى عدد من النسخ لمكتبات مدارسها .

وقد أحال الدكتور هيكل وزير المعارف سنتئذ المذكرة إلى لجنة فنية ، على رأسها العالمان الجليلان المرحومان : محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلى الجارم بك ، وانتهت اللجنة ــ بعد دراسة استمرت أربعة أشهر ــ إلى إقرارى على جميع ما ذكرت ، وتأييدها إياى فى كل ما اقترحت ، ومن ذلك المنهج الذى رسمته فى تبويب الكتاب وترتيبه ، وهو على النسق الذى اقترحتموه فى كلمتكم النافعة « على ترتيب المصباح والأساس » .

وقد سجلت اللجنة ــ مشكورة ــ صنيعى فى جمع الكتاب ، ولم شتاته ، واستكمال نقصه ، وسد خرومه ، والوقوف على جميع الأجزاء الموجودة فى المكتبات العامة بالعالم ؛ وأثنت ثناء جما .

وقد رأى الأستاذ العشماوى وكيل الوزارة وقتئذ ، وجوب إخراج الكتاب ، وتيسير طبعه ، ومعاونة المجمع اللغوى فى ذلك .

ثم قامت الحرب ، فاستقر المشروع فى أضابير المجمع ، يتأرجح بين الحياة والموت .

* * *

وأخيرا ، من عام وبعض عام ، زارنى فى منزلى الأديب الحجازى الأستاذ أحمد عبد الغفور ، لينهى إلى أنه تذاكر والسيد حسن شربتلى موضوع « المحكم » ، وأن

الرأى استقر على نشره ، وأنه تحـدث إلى المسئولين فى الجامعة العربية ، لتنفيذ ذلك من الاعتماد المالى الذى خصصه السيد الشربتلى ، ووضعه تحت تصرف الجامعـة لطبع أمهات الـكتب العربية .

وأقول فى وجازة : إن الأستاذ عبـد الغفور تسلم منى مذكرة المشروع ومفاتيحه ، ليعد العدة للتنفيذ .

وزاد على ذلك ـ إمعانا فى الثقة ـ أن عهد إلى بتحقيق ومراجعـة النسخة المطبوعة من كتاب « الصحاح » فى بولاق، والنسخة المخطوطة من كتاب « التكملة » للصاغانى.

وبعد أن قطعت فى مهمتى شوطا كبيرا ، فى التحقيق العلمى ، والمراجعـة الفنية ، بدأت أشرف على الطبع والتصحيح ، ثم وقفت ـ بعـد قليل ـ على ما أقنعنى به بعض المسئولين فى الجامعة العربية ، من وجوب الـكف عن العمل ، حتى أرى نتيجة عملية لأحد العملين : « المحكم » أو « الصحاح » .

ولا أزال حتى الساعة فى تنظر إحدى النتيجتين ، وأخشى ما أخشاه أن يكون هذا مآل البشرى التى ابتهجتم لهـا كثيرا ، وهى أن السيد الشربتلى يعـد العدة لنشر كتاب (تهذيب اللغة) للأزهرى .

وإنى لعلى يقين ، أن السيد الشربتلى ، حين يقف على هـذه الحقائق ، سيعمل على وضع الأمر فى نصابه ، والله ولى التوفيق م

عبد العزيز الاسلامبولى
منشئ « المعرفة »
وعضو نقابة الصحفيين

لغويات

سأوطّن نفسى على الصبر المرير

يستعمل الكتّاب فى عصرنا هـذا الوصف « المرير » فى معنى المرّ ضد الحلو . وقد لقى هذا الاستعمال إنكارا من بعض الناقدين وأوجب هؤلاء ألا يعدل عن « المرّ » . وحجتهم أن المرير يأتى بمعنى العزيمة أى الجزم بالأمر وعـدم التردد فيه . ومن هـذا قول الشاعر :

ولا أنثنى من طيرة عن مريرة إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصرا

الأخطب : طائر يتشاءم به . يقول : إنه إذا صمم على أمر لا يثنيه عنه التشاؤم بطير يصيح على الدوح أى الشجر العظيم ، كما يردّ بعض الناس ، بل يمضى لطيّتة . ويقرب المرير فى هذا المعنى من المِرّة ، يقال : رجل ذو مرّة أى قوّة وعزيمة . والأصل فى هذا مرّ الحبل ، وهو إحكام فتله ، فيكون ذلك قوّة له . وقيل منه : حبل مرير ، وهو ما طال واشتدّ فتله ، ويستعار لغير الحبل فيقال : رجل مرير أى قوى ، كأنما أحكم فتله وجدله ؛ كما قيل : رجل محصد فى هـذا المعنى ، وأصل الإحصاد لإحكام الفتل ، يقال : حبل محصَد : محكم مفتول ، ورجل محصد الرأى : محكمه سديده على التشبيه بذلك . وهذا على ما فى اللسان والقاموس والمصباح ، ولا يرى القارئ فيها المرير فى معنى المرّ . ومن هنا جاء الإنـكار . غير أن هـذه الصيغة جاءت فى الأساس فانتفت عنها الهجنة والذام . ففيه : « وشىء مرّ ومرير وممِرّ . قال :

إنى إذا حذَّرتنى حَـذور ... حُلْو ، على حـلاوتى مرير

ذو حده ، فى حدتى وقور

فتراه قابل الحلو بالمرير ، فكأنه قال : حلو ، مرّ على حلاوتى أى مع حلاوتى .

انتشلنى من هوّة الفاقة

هذا الاستعمال سائغ كثير . وقد جاء فى مجلة المنـار (المجلد ٢٢ ص ٢٠٣) فى تقرير مشروع التعليم الأولى عند الكلام على وجوه الإصلاح الإدارى والاجتماعى : «وجلىّ أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنمـا هـو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتشاله من هوّة الأمية » فـكتب صاحب المنار - عليه رحمة الله - فى ذيل الصفحة : المنـار : النشل والانتشال فى العربية : أخذ اللحم من القدر . وله آلة عقفاء تسمى المنشال . ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا . ويستعمله كتاب الجرائد وأمثالهم من المعاصرين بمعنى الإنقاذ من هلـكة حسية أو معنوية . ولهذا المعنى فى اللغة كلمة فصيحة ، وهى الانتياش قال ابن دريد :

إن ابن ميكال الأمير انتاشنى ... من بعد ما كنت كالشىء اللقى

هذا كلام صاحب المنـار ، وفى جواهر الألفاظ ٢٦٩ : « وانتشته من كبوته » . وترى صاحب المنار يذهب إلى تخصيص النشل والانتشال بمـا فى القدر ، وفى اللسان : « نشل الشىء ينشله نشلا : أسرع نزعه » وترى فى هذا الإطلاق وعدم التقييد بلحم القدر ، فانتشال الرجل من الشدّة : انتزاعه منها وإنقاذه ، على أنه إذا كان الانتشال خاصا بلحم القدر فانه يسوغ استعارته لإنقاذ الرجل من الهلـكة ، فان الرجل إذ تغشاه النـازلة يتقلى فيها ويصيبه شرها كما يتقلى اللحم فى القدر ، وإنجاء الرجل منها كاخراج اللحم من القدر ، ويرى القارئ من هـذا أن استعمال كتاب الجرائد ومن على شاكلتهم فى هذا الحرف غير بعيد عن منهج الصحة والسداد .

الطريان — أبيار

١ — الطريان أصله الطرآن ، فانما هو مصدر طرأ الشىء أى عرض ، وفى المصباح :

« وطرأ فلان علينا يطرأ مهموز بفتحتين طروءا : طلع ، فهو طارئ . وطرأ الشيء يطرأ أيضا طرآنا مهموز : حصل بغتة فهو طارئ » . ولا نرى هذا المصدر (الطرآن) فى اللسان والقاموس ، وإنمـا فيهما الطرء والطروء ، فالطريان مخفف الطرآن ، وهـذا التخفيف لم يرد عن العرب ولا يجرى على قياس كلامهم ، فهو خطأ ينبغى اجتنابه .

وهـذا الخطأ قديم ، فقد جاء فى أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجانى فى آخر « فصل فى الفرق بين الاستعارة والتمثيل ص ٢٢٢ » : « وكان الظـاهر أن يمثل بادراك الليل الذى إقباله منتظر، وطريانه على النهار متوقع » . وجاء فى الإحياء مثل هذا فى الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ، وهذا فى كتاب الحلال والحرام ، وهو الربع الأخير من العبادات . ففيه : « ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه ، وإن أمكن طريان محلل ولـكن لم يدل عليه سبب » . وقد تـكرر هـذا اللفظ فى الإحياء فى هذا الفصل .

٢ — وأبيار بلدة معروفة فى أعمال الغربية فى مصر ، وهى بفتح الهمزة والعـامة تـكسرها ، وفى معجم البلدان لياقوت : « أبيار بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ جمع البئر مخفف الهمزة : اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية » فأبيار أصلها أبآر ، خففت الهمزة بقلبها ياء ، وهـذا التخفيف أيضا كسابقه لا يجرى على القياس ولا هو ممـا جاء به السماع عن العرب ، ويقال أيضا فى جمع البئر بئار ، ومن هذا قول أبى دلامة :

إن النـاس غطونى تغطيت عنهم وإن بحثونى كان فيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعـلم قوم كيف تلك النبائث

وبئار هذا ينقاس تخفيف همزه ، فيقال : بيار ، كما يقال مية وفية فى مئة وفئة .

لا أدرى ما الفرق بين . . .

يذكر ابن خلدون أن هـذه العبارة من عبارات الفقهاء والعلماء وليست من عبارات الأدباء والعرب ، ذكر هـذا فى مقدّمته فى « فصل فى أن حصول هذه الملـكة بكثرة الحفظ ، وجودتها بجودة المحفوظ » وهو يريد ملـكة الشعر ، فقد جاء فى هذا الفصل : « أخبرنى صاحبنا الفاضل أبوالقـاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية ، قال : ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطـان أبى الحسن ، وكان المقدّم

فى البصر باللسان لعهده ، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوى ولم أنسبها له ، وهو هذا :

لم أدر حين وقفت بالأطلال   ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لى على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت له : ومن أين لك ذلك ؟ قال : من قوله : ما الفرق ؛ إذ هى من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب . فقلت له : لله أبوك ! إنه ابن النحوى » . وقد غاب عن ابن شعيب أن هذا الأسلوب جاء فى رجز رؤبة إذ يقول :

أزمان لا أدرى وإن سألت   ما فرق بين جمعة وسبت

وتراه استعمل « بين » غير ظرف ، وهو جار فى الاستعمال العربى . وقد قرئ « لقد تقطع بينكم » برفع بين ١٥

محمد على النجار

قطع الصلة بين المسلمين وكتبهم

إن صور الكلمات العربية نتيجة جهود عظيمة بذلت فى سبيلها . جهود بذلها الأجداد يسمعون الآن عقوق الأحفاد وزرايتهم .

إن لكل كلمة عربية صورة جميلة تميزها عن غيرها ، وقد ظلت الكتابة العربية قرابة قرن بلا نقط ، حتى خيف على القرآن من ألسنة الأجانب ، فنقط الحجاج المصحف ، وأعقبه الخليل بن أحمد فوضع علامات الإعراب . ولم يبق بعد ذلك فى الكتابة ما يوجب الشكوى ، إلى أن ظهر أصحاب الطوايا الخبيثة :

كان فلان باشا يصرح بوجوب استعمال الحروف اللاتينية لأن الحروف العربية قاصرة عن تصوير الكلمات على حقيقتها ، فتساءل عن كلمة (علم) ووقف أمامها حائرا يقلبها على عدة وجوه . كما تساءل بعده الدكتور علان عن كلمة (كتب) وقلبها أيضا على عدة وجوه . بقى شىء لا يليق بالعلماء أن يتجاهلوه ولكنهم تجاهلوه ، وهو أن الأولين والآخرين لم يوجد فيهم من كتب كلمة (علم) وحدها أو (كتب) وحدها ثم ترك الناس حيارى فى فهمها .

دع كل هذا . واعلم أن هدف القوم هو موالاة التخريب فى بناء الكتابة العربية لننتهى إلى استعمال اللاتينية كما فعل الأتراك . وعندئذ تنقطع الصلة بين المسلمين وكتبهم .

بيرم التونسى

بيع الدين ونقله

– ٣ –

الصورة الثانية : بيع الدين لمن عليه بثمن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيها مثلا فيتفقان على أن يأخذ الدائن فى نظيره خمسة أرادب من القمح بعد مدة معينة كشهر أو نحوه ، وتسمى هذه الصورة عند بعض الفقهاء « بفسخ الدين فى الدين » لأن ما فى ذمة المدين من الدين الأول قد فسخ وزال بالتزامه دينا آخر بدله .

وحجة الأئمة الأربعة فى منع هذه الصورة ما فيها من بيع الكالئ بالكالئ الذى ورد النهى عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووقع الإجماع على بطلانه [١] .

واحتج ابن القيم على الجواز بما يأتى :

١ — أن هذا التصرف فيه غرض صحيح ومنفعة مطلوبة للمتعاقدين ، إذ تبرأ ذمة المدين عن دينه الأول وتشغل بدين آخر قد يكون أسهل على المدين وأنفع للدائن ، وإذا كان الأمر كذلك فأنه يكون جائزا شرعا ، لأن التعامل إنما شرع لتحصيل منافع الناس وقضاء مصالحهم .

٢ — أن الشارع قد أجاز أن يشغل أحد المتعاقدين ذمته بدين وأن يحصل المتعاقد الآخر على الربح وذلك فى بيع العين بالدين ، فيجوز أن يفرغ المدين ذمته من دين ويشغلها بغيره وكأنه شغلها به ابتداء إما بقرض أو بمعاوضة .

٣ — أنه قد جازت الحوالة شرعا وهى تقتضى نقل الدين وتحويله من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه ، فقد حصل فيها معاوضة المدين للدائن عن دينه بدين آخر فى ذمة ثالث ، وإذا جازت معاوضة الدين بالدين فى ذمة غير المتعاقدين فأولى بالجواز ما لو كان الدين فى ذمة أحدهما [٢] .

---

(١) المغنى ج ٤ ص ١٧٢ ، ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٢

(٢) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠

وقد نوقش استدلال الجمهور بالحديث بأن هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به لاتفاق الأئمة على ضعفه حتى قال فيه الإمام أحمد: «إن فى إسناده موسى بن عبيدة الربذى ولا تحل الرواية عنه» ، وقال الإمام الشافعى : « أهل الحديث يوهنون هذا الحديث » [١] .

وأما الإجماع فقد أنكر حكايته ابن القيم وقال : إنه ليس هناك إجماع فى هذه الصورة (٢) .

وإذ قد انتفى المانع الشرعى من جواز البيع فى هذه الصورة ، وكان فى هذا التصرف مصلحة للعاقدين وتحصيل منفعة تعود عليهما ، فلا يسعنا إلا ترجيح القول بالجواز تمشيا مع روح الشريعة السمحة وجريا على قواعدها العامة .

الصورة الثالثة : بيع الدين لغير المدين بثمن حال :

احتج المجيزون بما يأتى :

(١) ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ابتاع دينا على رجل فصاحب الدين أولى إذا أدى مثل ما أدى صاحبه » [٣] ، فقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام البيع وجعل المدين أولى من المشترى إذا دفع مثل ما دفع المشترى ليستخلص نفسه ويبرئ ذمته ، ولو لم يكن البيع إلى غير المدين صحيحا لم يقره بل كان يأمر بفسخه وإعادة الحال إلى ما كانت عليه من قبل .

(٢) ما روى عن جابر بن عبد الله أنه سئل عن رجل له دين على آخر فاشترى به غلاما فقال: «لا بأس» فهذا صحابى قد حكم بصحة الشراء بالدين ولم يعلم له مخالف من الصحابة، فدل ذلك على أن جواز بيع الدين والشراء به كان معلوما بينهم [٤] .

واحتج المانعون بما يأتى :

(١) أن الدائن لا يقدر على تسليم المبيع للمشترى ، لأن الدين شىء يتعلق بذمة المدين، وهى غير مقدورة للدائن ، فقد يجحد المدين الدين أو يماطل فى الأداء أو يكون معسرا فيتعذر تخليص الدين منه ، وبهذا يكون الدين غير مقدور التسليم كالعبد الآبق والطير فى الهواء ، وبيعهما غير جائز لما فيه من المخاطرة فكذا بيع الدين .

---

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣ (٢) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣
(٣) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠ (٤) المحلى ج ٩ ص ٦

(٢) أن الدين مجهول العين حين العقد لا يدرى ما هو ؟ إذ الواجب على المدين أن يؤدى عند حلول الأجل أى شيء مما تنطبق عليه صفة الدين ، وقد يكون ما سيؤديه لم يخلق بعد ، فكان مجهول الوجود والذات معا ، و بيع المجهول منهى عنه لما يؤدى إليه من الخصومة والمنازعة [١] .

تلك أدلة الفريقين ، وقد نوقش ما استدل به المانعون فقيل لهم فى الدليل الأول : إنه لا يقوم حجة إلا فى وجه من لم يشترط ملاءة المدين وإمكان الحصول على الدين ، أما من يشترط ذلك كالمالكية فلا يقوم حجة عليهم ، لأن المدين إذا كان مليئا مقرا بما عليه من الدين كان الظاهر من حاله عدم المماطلة ، فيكون الدين الذى عليه مقدور التسليم مأمون الضياع فلا يكون فى بيعه مخاطرة ، فيفترق عن بيع الآبق والطير فى الهواء ، فلا يصح قياسه عليهما . وقيل لهم فى الدليل الثانى : إن الجهالة المانعة هى التى تفضى إلى الخصومة والمنازعة ، والجهالة بما سيؤديه المدين عند حلول الأجل ليست بهذه الصفة ، لأن الدين معلوم الصفة ، فأى شيء أداه المدين مما تنطبق عليه أوصاف ما فى ذمته يكون مجزئا له مبرئا لذمته ، وليس للدائن أن يطلب منه غير ذلك ، و بهذا تنحسم مادة المنازعة .

أما أدلة المجيزين فقد ناقشها المانعون بأن ما احتجوا به من الحديث لم يصح ، لأن فى إسناده راويا مجهولا ، فقد رواه معمر عن رجل من قريش لم يسمه عن عمر ابن عبد العزيز عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فهو مرسل [٢] ، و بأن أثر جابر وفتواه قد قال فيه ابن حزم : لا دلالة فيه على ما ذهبوا إليه ، لأنه لم يذكر فيه ما يفيد شروطهم التى اشترطوها فى جواز بيع الدين [٣] .

ونحن إذا أمعنا النظر فى كلا الرأيين تبين لنا أن مذهب المالكية أقربهما إلى الفهم وأولاهما بالقبول لموافقته أصول الشريعة التى ترمى إلى التيسير على المتعاملين ، وقد تأيد هذا بالحديث وهو ـ وإن يكن ضعيفا ـ منجبر بموافقته لأصول الشريعة ، كما تأيد أيضا بأثر جابر وفتواه وهو وإن لم يذكر فيه ما اشترطه المالكية إلا أنّ هذا مما يعلم من أدلة الشريعة وقواعدها العامة .

---

(١) المحلى جـ ٨ ص ٥٠٤ ، جـ ٩ ص ٦ (٢) المحلى جـ ٩ ص ٦ .
(٣) المصدر السابق نفسه .

الصورة الرابعة : بيع الدين من غير المدين بثمن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيها فيشترى به من ثالث أربعة قناطير من القطن يأخذها منه بعد شهر مثلا ، وقد ذهب الفقهاء إلى فساد البيع فى هذه الصورة محتجين على ذلك بأنه من باب بيع الكالئ بالكالئ الذى ورد النهى عنه ووقع الإجماع على منعه .

وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى جواز البيع مستندين إلى قياسه على الحوالة ، فأن فيها بيع دين بدين على شخص آخر وقد ورد الشرع بجوازها ووقع الاتفاق على مشروعيتها ، وبأن فى هذا التصرف مصلحة للعاقدين ، فقد يكون صاحب الدين فى حاجة إلى سلعة من السلع ولا يجد ما يشترى به سوى هذا الدين ، وربما لا تكون هذه السلعة موجودة عند المدين ، وليس هناك من ضرر يلحق بالمدين إذ هو مطالب بإيفاء الدين سواء كان ذلك للدائن الأصلى أو لمن يحل محله ، وليس هناك مانع شرعى يمنع من ذلك فيكون جائزا (١)

تلك أدلة الفريقين ، وللباحث أن يناقش الجمهور فى منعهم هذه الصورة بأن دليل المنع إن كان هو ما رووا من النهى عن بيع الكالئ بالكالئ فقد بينا فيما سلف عدم انتهاض هذا الحديث للحجية ، وإن كان الدليل هو ما حكوه من الإجماع فانا نرى فقهاء المالكية قد أجازوا أن يكون الثمن مؤجلا يوما أو يومين إذا كان غير معين والمبيع مضمون فى الذمة ، فان كان الثمن معينا بذاته كدار أو دابة معينة جاز تأخير قبضه أكثر من ذلك ، كما أجازوا استبدال الدين بمنافع شىء معين كأن يكترى به دارا أو دابة معينة ونحو ذلك (٢)

وهذا لا يخرج عن بيع الدين بالدين وإن لم يسمه المالكية بذلك ، إذ المنافع المضمونة فى الذمة دين ، والتأجيل باليوم واليومين كالتأجيل بالأكثر ، وفى هذا دليل على أن الإجماع هنا غير متحقق لوجود المخالفة من فقهاء المالكية ، وحينئذ فلا بأس من ترجيح القول بالجواز .

ابتداء الدين بالدين : يذكر الفقهاء عند الكلام على بيع الدين بالدين صورة تعرف عندهم « بابتداء الدين بالدين » وذلك بأن يبتدئ المتعاقدان التعامل بينهما بدين منهما ، كما لو باع أحدهما قنطارا من القطن موصوفا فى ذمته بثمن معلوم كذلك على أن يتأجل

(١) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) الخرشى ج ٥ ص ٢٠٢ ، تهذيب الفروق ج ٢ ص ١٥٣ .

كل من المبيع والثمن إلى أجل معلوم. وقد جرى علماء الشريعة على القول بمنع هذا البيع ، ونقل الإمام أحمد وابن المنذر الإجماع على ذلك حتى أن ابن القيم وشيخه وهما من عرفا بتسامحهما فى بيع الدين لم يسعهما إلا الانضواء تحت راية هذا الإجماع والقول بالمنع بين المانعين ، وقد حمل ابن القيم الإجماع المحكى عن العلماء فى بيع الدين بالدين على هذه الصورة فقط . وقد احتج العلماء على المنع من بيع الدين فى هذه الصورة بما يأتى :

١ — ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم «نهى عن بيع الكالئ بالكالئ» وهو الدين بالدين ، فأن الكالئ ماتأخر قبضه ، قالوا : وهذا الحديث وإن لم يكن قد صح إسنادا فاجماع العلماء على وفقه مما يدل على صحته فى الواقع ونفس الأمر ، وكفى باجماعهم مستندا يصلح دليلا للحجية .

٢ — أن فى هذا التصرف شغلا لذمتى البائع والمشترى دون أن يجنى أحدهما فائدة من وراء التعاقد بهذه الصفة ، فلا البائع قد أخذ الثمن حتى ينتفع به فى دفع حاجته ، ولا المشترى قد تسلم المبيع ليقضى به وطره ، وهذا مما يدل على أن كلا المتعاقدين كان فى غنية عن هذه المعاملة أو على أقل تقدير كان غير محتاج إليها حين التعاقد ، وإذا فليس من ضرورة توجب شغل ذمتيهما بشىء هما فى غنى عنه ، فضلا عن أن الأصل فى عقد البيع أن يكون البدلان مقبوضين فور التعاقد ، ففى تأجيلهما معا خروج عن مقتضى الأصل ومخالفة للقواعد العامة ، فاذا لم تكن هناك ضرورة توجب ذلك فلا وجه لهذا الخروج على مقتضى القواعد والعدول عن موافقة الأصول ، فان الضرورات هى التى توجب الاستثناءات أو تبيحها ، وحيث ارتفعت فالواجب السير على نمط القوانين العامة [١] .

هذا ما وجهوا به منع بيع الدين بالدين ، وللباحث أن يناقش ذلك بأن حديث الكالئ بالكالئ لاينتهض للحجية لضعفه ضعفا بينا ، وقد أسلفنا كلام الإمام أحمد وغيره فيمن روى هذا الحديث ، فيجب أن يخرج ذلك الحديث عن دائرة الاحتجاج ، وبأن دعوى عدم الفائدة من مثل ذلك التعامل غير مسلمة ، فان التجار والصناع كثيرا ما يتنافسون فى تصريف بضائعهم أو الحصول عليها ، فلو أراد صانع أن يضمن تصريف بضاعته فانه يتفق مع أحد التجار على أن يبيع له كمية معلومة ويتسلم الثمن منه عند تسليم

---

(١) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠ وما بعدها .

البضاعة إليه ، وقد يكون التاجر نفسه فى حاجة إلى نوع من البضاعة ينتجه مصنع معلوم وليس لديه المال الذى يدفعه ثمنا لهـذه البضاعة وهو يخشى إن انتظر حتى يتيسر له الثمن أن يسبقه غيره إلى شراء منتجات المصنع فيحتكرها على الناس ويغلى أسعارها عليهم ، فلهذا نرى التاجر المحتاج إلى البضاعة يسرع بالذهاب إلى صاحب المصنع فيشترى مايريد من البضائع على أن يتسلمها منه بعد أجل ويدفع الثمن إليه عنـد تسلمها ، فهذا التعاقد بين الصانع والتاجر قد حصل فيـه الاتفاق منهما على تأجيل المبيع والثمن مع استفادتهما جميعا منه ، إذ ضمن الصانع تصريف بضاعته وضمن التاجر الحصول عليها بثمن متهاود ولم يرهق بأدائه حين التعاقد ، فلم يبق بعد هذا محل للقول بأن هذا التعامل خلو من الفائدة .

وعلى هذا فانه لم يعد هناك من حجة يستند إليها المنع إلا ما حكى من الإجماع على ذلك ، ولو أريد التخلص من هذا الإجماع ههنا لما وجد أحسن مما قال به فقهاء المالكية ، من أن بيع السلم الذى يتأجل فيه المبيع إلى نصف شهر فأكثر يجوز أن يكون ثمنه مؤجلا أيضا ، غير أنه إن كان تأجيـله مشترطا لم يجز التأخير أكثر من ثلاثة أيام ، وإن كان تأجيله غير مشترط جاز التأخير أكثر منها [١] ، وعلى كلا الحالين فقد وقع التعامل بالدين من الطرفين وإن لم يسموه بيع دين بدين ، فان الواقع من حقيقـة أمره هو شغل ذمتى المتعاقدين ، والتسمية لاترفع من الواقع شيئا . وبهذا يتبين أن الإجماع الذى نقل فى بيع الكالئ بالكالئ لاينطبق على هذه المعاملة التى نحن بصددها ولا يتحقق فيها ، وإنما يراد به أمر آخر غـير ذلك ، وهو أن يكون البدلان من الأموال الربوية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغائب بالناجز منها وحرم بيع بعضها ببعض إلا يدا بيد ، فلا يصح فيها بيع غائب بغائب ، لأنه يكون بيع الدين بالدين الذى وقع الإجماع على منعه .

وعلى هذا فالذى نراه أن شغل الذمتين من الطرفين فيما عدا الأموال الربوية لابأس به ، وقد عهد فى الشريعة جوازه فى الإجارة والكراء والجعالة وغيرها ، إذ يجوز أن يستأجر الإنسان غيره على عمل خاص أو يكترى دابة ثم يسلم الأجرة عند نهاية العمل ، فقد اشتغلت ذمة المتعاقدين : أحدهما بالعمل الذى التزم القيام بأدائه والآخر بالمبلغ الذى يدفعه فى نظيره ، وهكذا فى الجعالة والمزارعة .

وإذا فلا نرى بأسا من جواز هذا النوع من التعامل ما لم يتضمن من المفاسد المحرمة كالربا والغرر والمخاطرة ، وعلى الجملة فانه يشترط أن يراعى فيه الشروط التى أسلفنا ذكرها فى بيع الدين [٢] .

---

(١) الخرشى جـ ٥ ص ٢٠٢ (٢) رسالة فى البيوع المنهى عنها للأستاذ عبد السميع إمام .

بيع الدين فى القانون : ـ

يجيز القانون المدنى بيع الديون بدون قيد ولا شرط ، ولما كان بيع الديون فى القانون يتمثل معظمه فى بيع « الكمبيالات » وبيع « السندات » فسنعرض لبيان كل نوع على حدة .

(ا) بيع الكمبيالات : ـ كثيرا ما يجرى التعامل بين التجار والمنتجين بثمن مؤجل فى أغلب الأحوال حتى يتمكن المشترى من الحصول على الثمن فى مدة الأجل ، وفى هذه الحالة يأخذ البائع وثيقة بحقه تسمى « كمبيالة » ، وكثيرا ما يحتاج الدائن إلى الحصول على المال ، وهنا قد يعمد إلى مصرف من المصارف لبيع هذه الكمبيالة ، وقد جرى العمل فى مثل هذه الحالة أن يدفع المصرف قيمة الكمبيالة قبل موعد استحقاقها مع خصم مبلغ منها يساوى فائدة القيمة من وقت البيع إلى ميعاد الاستحقاق على أساس نسبة مئوية خاصة ، فمثلا لو أن لدائن « كمبيالة » بمبلغ مائة جنيه على أحد الأشخاص وموعد سدادها بعد ستة أشهر وأراد بيعها للمصرف من حين تحرير الكمبيالة فان المصرف يعمد إلى فائدة المائة فى هذه المدة وهى جنيهان مثلا فيخصمها من المبلغ ثم يعطى البائع الباقى نقدا وهو ثمانية وتسعون جنيها ، وقد يلجأ المصرف إلى هذه العملية نفسها فيأخذ ما عنده من الصكوك التى اشتراها ويبيعها إلى مصرف آخر وهكذا .

وإذا أردنا الوقوف على حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية وجدنا أنه يقوم على أساس بيع الدين بثمن معجل مع التفاوت بينهما فى القدر، فأن كان الدين والثمن من الأموال الربوية كما هو واضح من هذا المثال فهو ممنوع فى نظر الشريعة لما فيه من الربا ، إذ أن المصرف يدفع قليلا ليقبض أكثر منه بعد مدة، وقد بينا فيما سلف أن من شروط بيع الدين ألا يؤدى إلى محظور شرعى ، ومن المحظورات الشرعية اشتمال عقد البيع على الربا بنوعيه : التفاضل أو النساء ، وهما متحققان فيما معنا من المثال المذكور .

وعلى هذا النمط يجرى الحكم فى بيع الكمبيالات العرفية بين الأفراد بعضهم لبعض ، وهو ما يعرف بينهم بتحويل الكمبيالة . ولو فرضنا أن المدفوع فى السند من غير جنسه كما لو كان الدين نقدا فبيع بثوب أو عقار أو نحوهما كان البيع جائزا على ما سبق ترجيحه .

(ب) بيع السندات ـ : قد تحتاج بعض الشركات والهيئات الحكومية والجمعيات العمومية إلى اقتراض مبلغ كبير من المال لترده بعد أجل طويل ولا تجد من يسلفها ما تحتاج إليه نظرا لضخامته وبعد أجله ، فتلجأ إلى اقتراض المبلغ من الجمهور عن طريق الاكتتاب فى القرض، فتجزؤه إلى أجزاء صغيرة تصدر بها سندات على نفسها وتجعل لها فائدة سنوية

ثابتة ، وعند نهاية الأجل ترد قيمتها إلى أصحابها ، وعلى هذا فالسند يمثل جزءا من قرض يدفعه أحد المكتتبين للشركة أو للحكومة أو للهيئة المصدرة ويأخذ به صكا مثبتا لدينه ، ويطلق لفظ السند أيضا على هذا الصك .

وقد جرى القانون على جواز تداول السندات والتصرف فيها وانتقال ملكيتها من يد إلى أخرى من غير قيد ولا شرط .

وإذا أردنا معرفة حكم الشريعة فى بيع السندات وتداولها فأننا نجد أن بيعها للافراد يتضمن (١) بيع الدين لغير من عليه الدين (٢) بيع الشىء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما وهو هنا الفائدة الربوية (٣) شراء دين مشروط فيه تأجيله إلى وقت معلوم (٤) بيع الأموال الربوية مع عدم التقابض (٥) بيع الدين بأقل أو أكثر منه .

أما بيع الدين لغير من عليه الدين فقد قدمنا ترجيح رأى القائلين بالجواز من الفقهاء .

وأما بيع الشىء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما ، فلا يؤثر على البيع بالفساد بل البيع صحيح ، وذلك لأن المعصية ليست فى نفس البيع ولا فى نفس المبيع وهو الدين ، وإنما المعصية فى أخذ الفائدة نفسها ، بناء على أنها ربا أو قرض جر نفعا ، وهذا أمر وراء البيع والمبيع ، وهذا تخريج على ما ذهب إليه الحنفية من أنه لا بأس ببيع العصير ممن يعلم أنه يتخذه خمرا .

أما انتقال الدين إلى المشترى محملا بشرط التأجيل إلى أجل معلوم فلا ضير فيه ، لأن اشتراط التأجيل فى الأصل جائز ولازم على رأى الإمامين : مالك بن أنس والليث بن سعد ، وإذا كان لازما فى الابتداء فيكون لازما فى البقاء لقبول المشترى ذلك ضمنا فى عقد الشراء .

أما بيع السند بالنقود من غير تقابض فمن الممكن أن يقال إن العرف يعتبر تسليم السند وقت البيع قبضا للدين المبيع فى المعنى أو يقال إنه نائب مناب قبض الدين فيتحقق التقابض بناء على ذلك .

أما بيع الدين بأقل منه أو أكثر فلا يمكن تخريج ذلك على وجه صحيح شرعا لتحقق الزيادة فى جانب أحد الطرفين من غير عوض ومقابل وذلك ربا ، أما إذا كان البيع بقيمة الدين نفسه فذلك جائز ، ولا تأثير لأخذ الفائدة على العقد ، وكل تأثيرها أنه يحرم أخذها والانتفاع بها . والله الهادى إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ه‍

عيسوى أحمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

سابق الحبشـــــة

معنيان جليـــلان

هذا رجل كريم من رجالات الإسلام الذين يعتز بهم ، رفعـه الإسلام كما رفع غيره من الموالى والأرقاء ، ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الأثر بأنه « سابق الحبشة » ، وكيف لا يكون سابقهم وقد سبق الناس إلى الإسلام ، وسبقهم إلى الاستماتة فيه ، وسـبقهم إلى التضحية بكل غال فى سبيله حتى النفس يبذلهـا فى سبيل الله وابتغاء مرضاته .

إنه رجل يتصــل به معنيان جليلان من معانى الإســلام ، وما أفخمها وأعظمها وأحراها أن تجعله الدين الخالد الشامل الذى لا يجحد به إلا كل ختار كفور .

المعنى الأول : المساواة بين النـاس على اختلاف صـنوفهم وأجناسهم : عربيهم وعجميهم ، غنيهم وفقيرهم ، حسيبهم وغير حسيبهم ، سيدهم ورقيقهم ، حتى تكون التقوى والخلق الفاضل والعمل الصالح هى التى تفاضل بينهم وترفع بعضهم فوق بعض درجات ، كما رسم ذلك القرآن الـكريم فى قوله عز اسمه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى المحـكم حتى آخر لحظـات حياته ، وفى أجمع توصياته ، فى حجة الوداع إذ يقول : « أيها النـاس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلـكم لآدم ، وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ويقول : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . يا فاطمة يا بنت محمد ، اعملى ، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا عباس يا عم محمد ، اعمل ، لا أغنى عنك من الله شيئا » .

ولقـد ولى النبي صلى الله عليه وسلم بلالا الحبشى المولى المدينة وفيها وجوه العرب والأشراف عنـــدهم وكبار الصحابة والتـابعين ، كما ولى أسامة قيادة الجيش وفيــه أبو بكر وعمر .

ولقد عير أبو ذر الصحابى الجليل قبل أن يعلم مبدأ الإسلام العظيم ـ وإنما العلم بالتعلم ـ عير بلالا كما كان يعيره أهل الجاهلية بأمه الأمة السوداء الحبشية « حمامة » وقال له : يابن السوداء ، كما كانوا يقولون . فقال له صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ثم أوضح للناس ذلك المعنى الخالد بما يشرح صدر كل مسلم ويزيده إيمانا بدينه فقال : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، وإن كلفتموهم فأعينوهم . فان الله ملككم إياهم ، ولو شاء لملكهم إياكم » . ولما قالها صلوات الله عليه وضع أبو ذر خده على الأرض وحلف ألا يرفعه حتى يطأه بلال .

لقد أدب الله سبحانه المسلمين ذلك الأدب فدانت لهم الرقاب ، وخضعت لهم العباد ، انقيادا لتلك المبادئ الفخمة التى لا تعرفها إلا السماء ، ثم المسلمون الرحماء .

وبهذا تأدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ قال فى سموه الإسلامى : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . يريد بلالا هذا الذى عنيناه بالحديث اليوم . ثم قال لسعد ابن أبى وقاص وقد شيعه إلى القادسية : ياسعد ، لايغرنك أن يقال : خال رسول الله ، أو صاحب رسول الله ، فان الناس فى دين الله سواء ، يتفاضلون عنده بالطاعة .

وياليت شعرى أيها القارئ الكريم ، لو لم يكن خلق المساواة من أخلاق الإسلام ماذا كان يصيب المسلمين من ضعف وانحلال كما أصابهم بعد أن غيروا وبدلوا .
ونحن الآن نتفاءل بالخير العظيم لمصر ، فقد تبدلت سياسة التفرقة بين الناس ، وأصبح الحاكم لايرى إلا الكفايات والأخلاق ، لا الشفاعات والأحساب ، مما يبشر بالبقاء ، والرفعة والسناء ، والحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات .

أما المعنى الثانى : الذى يتجلى فى بلال العظيم فهو خلق الإيمان والصبر ، وإيثار الله والدار الآخرة . ذلك أمر أنبته الله فيه ، ومعنى جبله القدر المحسن عليه وهو فى حداثته . وذلك المعنى رأس الإسلام ، وسر رضوان الله ورعايته ، والمرمى البعيد العسير على نفوس الدهماء ، والمرام المعتاص على غير نفوس الصديقين والأنبياء . فقد جبلت النفوس على حب الشهوات والاسترواح بالموافق ، والارتماء فى أحضان الدعة والاسترخاء ، فأما الجهاد واحتمال المكاره ، وأما الجلاد الشاق لإدراك العظائم ، وأما استقبال البلاء

المضنى، وركوب الكره على الكره ولو فى سبيل المجد، فشىء تأباه النفوس وتنفر منه الطباع. وهو الخير كل الخير والعز كل العز. وما نوهت الأديان ولا مجد الشعراء والحكماء شيئا تنويههم بذلك المعنى العظيم، لما يتبعه من النجح والظفر، والمجد والنصر، والسمو كل السمو (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ـ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ـ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات).

تريدين إدراك المعالى رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقد كان بلال فى هذا المعنى بالمحل الأول والموضع الذى لايجهل، كان مضرب الأمثال وعبرة الأجيال، كان إيمانا يمشى فى الأسواق، وجهادا فى سبيل المجد والسؤدد يتردد فى الآفاق، لقد جاء الإسلام فكان فى أول الداخلين، حتى قيل بدأ الإسلام برجل وامرأة وصبى وعبد، فكان الرجل أبا بكر والمرأة خديجة والصبى عليا والعبد بلالا. وكان من جهر بالإسلام وأظهره، فكان أولهم برغم أنه عبد لأمية بن خلف، والعبد لسيده لايتصرف إلا عن أمره وحكمه، ولم يكن أمية ككل السادة ولكنه كان جبارا فى الأرض ولم يكن من المصلحين.

وقد كان من المعذبين مع بلال بعض المستضعفين من المسلمين أول الأمر حتى شمل الإيذاء جميع المؤمنين بعد ذلك فأمروا بالهجرة، على أن بلالا كان صاحب النصيب الأوفى من البلاء، فما لجأ إلى التقية أبدا، ولا وقف إلا مواقف الصلابة والصراحة والعناد، فهو يقول كلما زاده أمية تعذيبا وأمره أن يذكر اللات ـ هذا الذكر الكريم يلهج به ويأبى أن يقول غيره: «أحد، أحد» وكان يمر به ورقة بن نوفل فيقول: نعم. أحد، أحد، والله يابلال. ثم يلتفت إلى الجبابرة فيقول لهم: والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا ـ يريد البركة به عند قبره كما يعرف أهل الكتاب.

لقد طال عذاب الشقى عدو الله أمية عبده بلالا بأقسى أنواع التعذيب، وتعهده بكل ما يستطيع من التنكيل، فهو يطرحه على بطنه فى حر الرمضاء تارة وعلى ظهره أخرى، ويذهب به يمنة ويسرة وقبولا ودبورا. وهو يحمى له الدرع الحديدية فى تلك الرمضاء ويلبسه إياها، وهكذا يمارسه مرة ويأمر به مرة حتى يمل. فاذا هدأ عاود الكرة. ولقد أدال الله له وأظفره به فى غزوة بدر بعد أن كاد ينجو فى كنف عبد الرحمن بن عوف،

ولكن بلالا الرجل الكريم الرفيع لحق به وحرض عليه وهو يقول : هـذا عدو الله أمية ابن خلف ، لانجوت إن نجا . فلحقوه ومزقوه ؛ وكان يسهم معهم . وقالوا : إن أبا بكر هنأه بذلك فقال له :

هنيئا زادك الرحمن خـيرا لقد أدركت ثأرك يابلال

على أن الله سبحانه كان قد كتب لبلال رحمة من أمية ، فاشتراه أبو بـكر بعد إشادة السيد الرسول صـلوات الله عليه بذلك على ما بين فى كتب السير ، ثم أعتقه أبو بكر نخفف عنه بعض ما يلقى من التعذيب ، ورحمة الله قريب .

هذا ما كان من بلال ، على أن غيره من خيرة المسلمين كان ربما أجرى كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان كعمار بن ياسر ، ولمـا قيل : يا رسول الله ، إن عمارا كفر قال : كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإسلام بلحمه ودمه ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول : مالك ؟ إن عادوا لك فعد لهم بمثل ما قلت . وأما أبو قيس بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهما فقد ارتدوا إيثارا للدعة والراحة فـكانوا من الأسفلين . ولقد ألف بلال هذا المعنى الذى نبت فى نفسه واستعذبه ، حتى لم يتخلف عن غزوة إلا واحدة استخلفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ، وحتى ترك شئون الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب إلى الشام مجاهدا حتى توفاه الله .

* * *

هذا هو الإسلام فى بعض رجاله الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لم يصرفه عن الحق شىء مهما كانت منزلته . وهـذه هى الرجال فى الإسلام الأول الصحيح الذى دخل إلى تلك القلوب فملأها بالعلم والهدى فى قوم رسمـوا لمن بعدهم كيف يسيرون على الجـادة ، « ولـكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

ثم هـذا هو بلال العبد الحبشى الذى خفضته الجاهلية فعيرته بأمه الأمة السوداء ، فرفعه الإسلام حتى تسنم العلياء ، وجعل منه صحابيا جليلا من أصحاب محمد أثيرا عنده يقدمه على وجوه العرب وأعيانها ويرشحه لمعالى الشئون وعظائمها .

ولادة بلال ونشأته :

ولد بمكة من أبويه الحبشيين : رباح أبيه وحمامة أمه ، ومكة تتصل بالحبشة فى شئون تؤدى إلى الرحلة من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا .

وكانت ولادته قبل الهجرة بثلاث وأربعين سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثين سنة ، وقضت ظروفه أن يكون عبدا لأمية بن خلف وفى خدمته وهو من أئمة الكفر ومن شر المقاومين لدعوة الإسلام الكريم . وقد رأيت أن بلالا كان فى أوائل المسلمين برغم ذلك كله ، وأن عدو الله أمية ما زال يعذبه وينكل به حتى أعتقه الله منه على يد أبى بكر ، ولم تكن هذه أولى أيادى أبى بكر ، فقد أعتق كثيرا غيره بعد أن اشتراه ، على أنه مازال يعذب كما يعذب غيره من المسلمين حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إلى المدينة ، فهاجر إليها مع الطبقة الثانية التى خرج فيها هو وعمار وسعد بن أبى وقاص وعبدالله ابن مسعود . على أن صفاء فطرته وسلامة نفسه كانت تدعوه إلى الحنين إلى مكة كما كان يحن إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والخيرة ، وكانت تأخذه وعكة الحمى بالمدينة فيقول كما صح عنه يذكر أماكن كان يعهدها :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفخ وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لزمه بلال خادما أمينا لا يفارقه فى سفر ولا حضر ، يضرب له القباب والخيام ، ويظلله من الشمس ، ويتولى طعام الجيش ، ويقسم الغنائم ، ويوزع الجوائز ، لا يغفل طرفة عين عن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم وتولى أمره ، وضم له رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك مجادة كريمة ، فجعله مؤذنه على الصلوات لجهارة صوته ، ونداوة جرسه ، فكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . وكان لا يقيم الصلاة حتى يحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأذا تأخر آذنه بها : يارسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح . الصلاة يارسول الله ، حتى يحضر . وكان للنبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة غيره يؤذنون كما بسط ذلك فى كتب السير والأحاديث .

وبعد ـ فان ذكر بلال لا يزال يتردد فى كتب الأخبار والسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى رحلاته وأسفاره وغزواته مؤذنا يغيظ به الكفار ، ويقر به أعين الأصحاب والأنصار ، ومتوليا للجيش فى طعامه وشرابه وغنائمه ، وموزعا للجوائز فى وفوده ، فأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عزف عن الدنيا وما فيها وترك كل شىء حتى الأذان الذى كان كلما أراده فقال : وأشهد أن محمدا رسول الله خنقته العبرة وأخذه الإجهاش . واستأذن أبا بكر أن يسافر إلى الشام غازيا ومجاهدا فى سبيل الله فأراد أن يستبقيه لنفسه فقال : يا أبا بكر إن كنت أعتقتنى لنفسك فاستبقنى ، وإن كنت أعتقتنى لله فدعنى لله . وهكذا قوة الإيمان وصراحته . ثم سافر وهو فى حدود الستين ، يجاهد فى فتوح الشام مع المجاهدين ، حتى كانت وفاته وهو فى حدود السبعين من عمره الشريف ، ولما كان فى سكرات الموت كانت زوجه تقول : واكرباه ، فيقول لها : بل واطرباه ، غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه .

العبرة :

هذه نفس كريمة رفعها الإسلام حتى قال فيها عمر : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، على أن الجاهلية كانت تزدريها وتضطهدها . هذه نفس تمثل فيها معنى السؤدد الإسلامى ، وتجلى فيها عمق الإيمان وسموه مع الفقر والخلو من كل حسب إلا التقوى والخلق الفاضل وإيثار الحق . وهذا إنسان قدمه الناس لدينه إماما لهم واتخذوا منه قدوتهم ، فهل آن لنا أن نحسن مقاييس الأشياء ومعايير الناس؟ . لقد جعلت جمهوريتنا الكريمة أول معاييرها أن تقيس الناس بأعمالهم وأن تجعل درجاتهم ومنازلهم على مقدار الإخلاص للواجب والحق والانتاج الصالح للوطن ، والتقدم بالأعمال تنفع الناس وتعلى شأن الوطن ، فالفلاح للعاملين المخلصين والسبق للأفاضل المنتجين ، مما جعل أهل الحق يتفاءلون جميعا بالمجد المطرد ، ويرقبون أن تكون مصر على القمة قبل كل أحد . وهذه مظاهر الرفعة والسؤدد تتجدد كل يوم على يد زعيم مصر والشرق . فهل نحن محافظون على ذلك ؟ . وهل نحن متعاونون على تحقيقه . ؟ عند الله التوفيق سبحانه ؟

محمود النواوى

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٤ —

أركان القياس وشروطه :

وللقياس عند القائلين به أركان لايتحقق بدونها، وشروط لايكون صحيحا إلا بتوافرها، أما أركانه فأربعة وهى :

١ — الأصل وهو : ما ثبت فيه الحكم بالنص أو الإجماع ، ويسمى المقيس عليه والمشبه به .

٢ — الفرع وهو : مالم يرد بحكمه نص ولا إجماع ، ويسمى المقيس أو المشبه .

٣ — حكم الأصل وهو : الحكم الشرعى الثابت للأصل ، ويراد تعديته إلى الفرع بطريق القياس .

٤ — العلة وهى : المعنى الذى لأجله شرع الحكم فى الأصل .

أما الحكم الذى يثبت فى الفرع فهو ثمرة القياس ونتيجته ، وليس ركنا من أركانه ولا شرطا من شروطه .

وأما شروط القياس فهى كثيرة ومتنوعة ، بعضها يرجع إلى حكم الأصل ، وبعضها يرجع إلى الفرع ، وبعضها يرجع إلى العلة .

ولما كانت العلة أهم أركان القياس ، ومبحثها من أعظم مباحث الأصول وأصعبها ، وكان للأصوليين فيها كلام طويل وبحوث ضافية ، وفى بعضها مخالفة لما جاء فى الكتاب والسنة ، وما جرى عليه أئمة المذاهب الفقهية المعروفة ، مع أنهم يذكرون فى كتبهم الأصول التى سار عليها أولئك الأئمة فى الاجتهاد وتفريع المسائل الفقهية .

لهذا كله رأيت أن أتكلم عليها بشىء من التفصيل من غير تعرض لغيرها من الأركان والشروط اكتفاء بما كتبه فيها المؤلفون فى علم الأصول ، وسأجعل الكلام فيها مقصورا على الأمور الآتية :

تعريفها ، الفرق بينها وبين الحكمة ، رأى الأصوليين فيما يصح التعليل به لأجل

القياس وما لا يصح ، بيان ما فى هذا الرأى من موافقة أو مخالفة لمسلك الأئمة فى ذلك ، الشروط المعتبرة فى العلة ، مسالك العلة .

تعريف العلة :

العلة فى اللغة : اسم لما يتغير حال الشىء بحصوله فيه ، ومن هذا سمى المرض علة لأن الجسم يتغير حاله بحصوله فيه . يقول الغزالى فى شفاء الغليل : العلة فى الأصل ما يتأثر المحل بوجوده ولذلك سمى المرض علة (١) .

وفى لسان أهل الاصطلاح تطلق على أمور ثلاثة :

الأمر الأول : الثمرة والمصلحة التى تترتب على تشريع الحكم ، كحفظ الأنساب من الاختلاط المترتب على تحريم الزنا ووجوب الحد به ، وحفظ العقول المترتب على تحريم الخمر ووجوب الحد بشربه ، وحفظ الأرواح المترتب على تحريم القتل العدوان ووجوب القصاص به ، وحفظ الأموال المترتب على تحريم السرقة ووجوب قطع يد السارق والسارقة - وحصول المنفعة لكل من المتبايعين المترتب على إباحة البيع وإجازته ، ودفع الحرج والمشقة المترتب على إباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض .

الأمر الثانى : المعنى المناسب لتشريع الحكم ، وهو ما يترتب على الفعل أو ما يكون فيه من نفع أو ضرر أو مشقة ، فيناسب الأمر به أو المنع منه أو إجازته والترخيص فيه ، وذلك كاختلاط الأنساب المترتب على الزنا المناسب لتحريمه ووجوب الحد فيه ، وذهاب العقول المترتب على شرب الخمر المناسب لتحريمه ووجوب الحد على من يتناوله ، وإهدار الدماء وضياع الأرواح المترتب على القتل العدوان المناسب لتحريمه ووجوب القصاص على القاتل المعتدى ، ومنفعة المتبايعين المترتبة على البيع المناسبة لإباحته وإجازته ، والمشقة الموجودة فى السفر والمرض المناسبة لجواز الفطر وقصر الصلاة الرباعية فى السفر وأداء الصلاة على الوجه المستطاع فى المرض .

الأمر الثالث : الوصف الظاهر المنضبط الذى يشتمل على المعنى المناسب ، على معنى أن وجوده مظنة لوجوده ، وعدمه مظنة لعدمه ، وذلك كالزنا فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب وهو اختلاط الأنساب وضياع النسل ، وكالسرقة فانها أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو ضياع الأموال ، وكالبيع

(١) انظر نبراس العقول فى القياس ص ٢١٦ .

فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو نفع كل من المتبادلين، وكالسفر فانه وصف ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو المشقة.

هذا هو ما يطلق عليه اسم العلة فى اصطلاح العلماء على ما يؤخذ من عباراتهم وكلماتهم المنقولة عنهم فى مواضع مختلفة ، فهم يقولون : إن علة تحريم الزنا هى حفظ الأعراض من الانتهاك والأنساب من الاختلاط ، أو هى انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب ، أو هى نفس الزنا ، ويقولون : علة إباحة الفطر فى رمضان للمسافر هى دفع المشقة والحرج ، أو هى المشقة التى فى السفر ، أو هى نفس السفر ، كما يقولون : علة جواز البيع هى قضاء حاجة النـاس ودفع الحرج عنهم لو لم يتبادلوا ، أو هى حاجة النـاس إلى تبادل الأملاك ونفعهم من هذا التبادل ، أو هى نفس البيع .

ويطلقون على كل من المعنى المناسب والمصلحة المترتبة على تشريع الحكم اسم الحكمة أيضا ، ولـكن علماء الأصول ـ فيما بعد ـ خصوا الوصف الظاهر المنضبط باسم العلة ، وسموا المصلحة التى تترتب على تشريع الحكم بالحـكمة أو مقصد الشارع من التشريع وهو ما يعرف عند المتكلمين بالعـلة الغائية ، وسموا المعنى المناسب لتشريع الحـكم بالحـكمة فقط ، فاذا أطلقت كلمة العلة فالمراد بها عندهم الوصف الظاهر المنضبط المشتمل على المعنى المناسب وهو ما يترتب على تشريع الحكم عنده تحقيق مصلحة مقصودة تعود على العباد بجلب نفع لهم أو دفع ضرر عنهم ، وإن قالوا عنه إنه علة مجـازا لأنه ضابط للعلة الحقيقية التى هى المعنى المناسب أو المصلحة التى تترتب على تشريع الحكم .

وإذا أطلقت كلمة الحـكمة فالمراد بها عندهم أحد أمرين :

الأمر الأول : المعنى المناسب لتشريع الحكم كاختلاط الأنساب فى الزنا ، والمشقة فى السفر ، وحاجة الناس إلى التبادل فى البيع .

والأمر الثانى : المصلحة المترتبة على تشريع الحكم كحفظ الأنساب المترتب على تحريم الزنا ، ودفع المشقة المترتب على إباحـة الفطر فى رمضان للمسافر ، ودفع الحرج والضيق المترتب على جواز البيع [١] .

---

(١) راجع التوضيح وحاشية سعد الدين التفتازانى عليه ﺣ ٣ ص ٦٢ ، ٦٣ ، التحرير مع شرح التيسير ﺣ ٣ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وتقرير المحقق المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربينى المطبوع بهامش شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع ﺣ ٢ ص ٣٥٣ وسلم الوصول للمرحوم الشيخ محمد بخيت ﺣ ٤ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ وتعليل الأحكام للأستاذ محمد مصطفى شلبى ص ١٣

هذا هو ما استقر عليه اصطلاح الأصوليين كما يؤخذ من كتبهم المختلفة ، ولم يخالف فى ذلك إلا الإمام الشاطبى فقد وجدناه فى كتابه « الموافقات » يقول : أما السبب فالمراد به ما وضع شرعا لحكم لحكمة يقتضيها ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سببا فى وجوب الزكاة ، والزوال سببا فى وجوب الصلاة ، والسرقة سببا فى وجوب القطع ، والعقود أسبابا فى إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك وما أشبه ذلك .

وأما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التى تعلقت بها الأوامر أو الإباحة والمفاسد التى تعلقت بها النواهى . فالمشقة علة فى إباحة القصر والفطر فى السفر ، والسفر هو السبب الموضوع سببا للاباحة ، فعلى الجملة العلة هى المصلحة نفسها أو المفسدة لا مظنتها كانت ظاهرة أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وكذلك تقول فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقضى القاضى ، وهو غضبان » فالغضب سبب ، وتشويش الخاطر عن استيفاء الحجج هو العلة ، على أنه قد يطلق هنا لفظ السبب على نفس العلة لارتباط ما بينهما ، ولا مشاحة فى الاصطلاح [١] .

فهذا الكلام صريح فى أن الإمام الشاطبى له اصطلاح فى العلة يخالف اصطلاح الأصوليين حيث سمى ما جعلوه علة سببا ، وسمى ما جعلوه حكمة علة ، ثم يقول : إن المسألة اصطلاح ولا مشاحة فى الاصطلاح .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نتكلم على رأى الأصوليين فيما يجوز تعليل الحكم به لأجل القياس وما لا يجوز وهو ما نبينه فيما يلى :

رأى الأصوليين فيما يجوز التعليل به لأجل القياس :

من يتتبع كلام الأصوليين فى بحوث العلة يجدهم يتفقون على جواز التعليل بالوصف الظاهر المنضبط المشتمل على الحكمة ، وهو ما يكون مظنة لها وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، يقول الآمدى فى الإحكام : « إن الإجماع منعقد على صحة تعليل الأحكام بالأوصاف الظاهرة المنضبطة المشتملة على احتمال الحكم كتعليل وجوب القصاص بالقتل العمد العدوان لحكمة الزجر أو الجبر ، وتعليل صحة البيع بالتصرف الصادر من الأهل فى المحل لحكمة الانتفاع ، وتعليل تحريم شرب الخمر وإيجاب الحد به لحكمة دفع المفسدة الناشئة منه ونحوه [٢] ويقول الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول » : واتفقوا على جواز التعليل بالوصف المشتمل على الحكمة أى مظنتها بدلا عنها » [٣] .

(١) الموافقات حـ ١ ص ٣٦٥ طبع المكتبة التجارية .
(٢) الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٢ ، ١٣ . (٣) إرشاد الفحول ص ١٨٢ .

ويختلفون فى التعليل بالحكمة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : منع التعليل بها مطلقا ظاهرة كانت أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وهذا القول منسوب لأكثر الأصوليين ، كما فى الإحكام للآمدى .

القول الثانى : جواز التعليل بها مطلقا ، وهو الظاهر من كلام الإمام الرازى والبيضاوى .

القول الثالث : جواز التعليل بها إن كانت ظاهرة منضبطة ، ومنع التعليل بها إن كانت خفية أو مضطربة ، وهذا القول هو المختار للآمدى [١]

ولكل منهم أدلة على ما ذهب إليه مبسوطة فى موضعها من كتب الأصول . والناظر فى هذه الأدلة وما ورد عليها من مناقشات وإجابات عنها يجد أن الخلاف بينهم إنما هو فى جواز التعليل بالحكمة فقط ، أما التعليل بها بالفعل فانهم متفقون على أنه لم يقع فى الشرع [٢] وعلى هذا يكون التعليل الواقعى عندهم مقصورا على الأوصاف الظاهرة دون الحكم .

ووجهتهم فى ذلك : أن المقصود من العلة معرفة الحكم الشرعى ، وإذا لا بد أن تكون أمرا ظاهرا لا يلتبس على الناس ، منضبطا لا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال . والحكمة لا يتحقق فيها ذلك لأنها - بحسب الاستقراء والتتبع - فى بعض الأحكام تكون أمرا خفيا لا يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده كالحاجة بالنسبة لشرعية البيع فانها أمر خفى ، إذ لا يدرى فى كل عقد أنه حصل لحاجة أو لغير حاجة ، وفى بعضها تكون أمرا مضطربا غير منضبط كالمشقة بالنسبة لإباحة الفطر فى السفر ، فانها تختلف باختلاف الأشخاص والأماكن والأحوال ، فالملوك المترفون لا ينالهم من المشقة ما ينال غيرهم من الأفراد ، والمشقة فى زمن الصيف غيرها فى زمن الشتاء ، وهى

---

(١) راجع الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٣ ونهاية السول شرح منهاج الأصول المطبوع بهامش التقرير والتحبير حـ ٣ ص ٨٩ - ٩١ ، وجمع الجوامع مع شرح الجلال المحلى حـ ٢ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وإرشاد الفحول ص ١٨٢ .

(٢) الإحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٣ .

فى السهول والوديان أقل منها فى الجبال ، وهى فى ركوب السيارة أو « القطار » أوالطائرة أقل منها فى ركوب الجمال أو الدواب .

وإذا كانت الحكمة خفية فى بعض الأحكام وغير منضبطة فى بعضها فلا يجوز تعليل الحكم بها وبناؤه عليها وجودا وعدما ، بل لا بد من البحث عن أمر آخر يكون ظاهرا منضبطا فى نفسه ، ويكون مشتملا على الحكمة بمعنى أنه مظنة لها ، وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، ويجعل هذا الأمر علة الحكم ، ويربط وجوده بوجوده وعدمه بعدمه ، وبذلك يمكن معرفة الأحكام وعللها والقياس عليها ، ومن هنا قرر الأصوليون أن الأحكام الشرعية تدور وجودا وعدما مع عللها لامع حكمها ، على معنى أن الحكم يوجد حيث توجد علته ولو تخلفت حكمته ، وينتفى حيث تنتفى علته ولو وجدت حكمته ، وبنوا على ذلك الأمور الآتية :

١ — أن من كان مسافرا فى رمضان سفرا شرعيا جاز له الفطر وقصر الصلاة الرباعية لوجود علة الجواز ، وهى السفر ، وإن انتفت الحكمة وهى المشقة بأن كان لايجد فى السفر مشقة كالملك المترف .

٢ — وأن من لم يكن مسافرا فى رمضان أو مريضا ومن فى حكمهما لا يباح له الفطر وإن كان يجد من الصوم أقصى مشقة كالخباز والوقاد ونحوهما ، لانتفاء علة الجواز ، وهى السفر أو المرض ، وإن وجدت الحكمة وهى المشقة .

٣ — وأن من كان شريكا فى العقار المبيع أو جارا استحق أخذه بالشفعة لوجود علة هذا الاستحقاق ، وهى الشركة أو الجوار ، ولو لم يحصل للشريك أو الجار ضرر من ذلك البيع وهو الحكمة من تشريع الشفعة .

٤ — وأن من لم يكن شريكا فى العقار المبيع ولا جارا لا يستحق أخذه بالشفعة ، وإن كان يناله من البيع ضرر لسبب من الأسباب وذلك لانتفاء علة الأخذ بالشفعة ، وهى الشركة أو الجوار ، وإن وجدت الحكمة ، وهى الضرر .

« يتبع »

زكى الدين شعبان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

الألفاظ الأوربية

فى اللغة العربية

> الكلمات كالناس ، فهى تولد وتموت ، وقد تولد أحيانا من أصل عريق وأحيانا أخرى لا يعرف أصلها . ويعيش بعضها فى عصر ذهبى، كما يضيع البعض الآخر فى زوايا النسيان، وقد يرتفع لفظ من أحط درك إلى أعلى ذروة ، أو ينحدر من أفواه الخاصة ليستعمله ــ فقط ــ الحمق والغوغاء .

فى مدى أربعة عشر قرنا ــ منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزول القرآن الكريم حتى يومنا هذا ــ أخذت اللغة العربية تتشكل وتتطور ، ويتغير معنى بعض ألفاظها ، ويزداد عدد هذه الألفاظ نتيجة أخذها واستعارتها كلمات جديدة من كل لغات العالم ، وهى كلمات تأتينا عاما بعد عام لتدخل فى لغة الحديث اليومى .

ودراسة تاريخ الأمة العربية يوضح لنا ذلك ، فاتصال العرب بفارس وروما والهند والصين أدى إلى تبادل استعارة الكلمات بين العرب وبين لغات هذه البلاد . وبعد ذلك اتصل العرب بأوربا عند فتح الأندلس ، وزاد الاتصال بنشوب الحروب الصليبية ثم بفتح القسطنطينية .

وحين كان العرب فى أوج قوتهم وذروة مدنيتهم ، كانت لغتهم هى السائدة ، فقد كانوا هم سادة العلم وأساتذة المعرفة ، ومن ثم تسربت الألفاظ العربية إلى اللغات الأوربية وكانت معظمها أسماء علوم ، حين كان علماء العرب هم أساتذة العالم ، يأتى إليهم الأوربيون من كل فج ليتلقوا عنهم العلم ويقبسوا من نوره لينشروه فى بلادهم . وكانت الإسكندرية وحلب بعض هذه المراكز ، حيث درس الأوربيون على العرب الفلك والطب والرياضيات والفلسفة . وما زال حرف التعريف العربى « ال » مستعملا فى كثير من الكلمات الأوربية مثل :

. AL manac ــ الجبر AL gebra ــ الكحل AL cohol وعشرات غيرها

كما أخذ الأوربيون ألفاظا كثيرة من اللغـــة العربية مثل : قطن Coton ، سكر Sugar ـ صفة (مقعد) Sofa ـ قهوة Coffe . والقواميس الأوربية مليئة بالمئات من الـكلمات المأخوذة عن لغة الضاد .

ولم يقتصر الأوربيون على استعارة بعض الألفاظ ، ولـكنهم اخـذوا عن العرب أيضا طريقة كتابة الأعداد --- 0 1 2 3 واستعملوها بدلا من الأعـــداد الرومانية المعقدة ، وقد ساعدهم الأخذ بهذه الطريقة العربية على التقدم الـكبير فى العلوم الرياضية .

ولـكن مجدنا العلمى لم يلبث حتى خبا ضياؤه وذبل عوده حين حل الضعف السياسى بالشعوب العربية ، فتركت مكانها السامق لتحتله أوربا ، وتخلت عن مركزها الرفيع ليأخذه الغرب ، وهـكذا انقلب الوضع ، وتسلم الأوربيون مشعل الحضارة وساروا فى المقدمة ينيرون الطريق للعالم ، وكان بدء ذلك مايسمى باسم عصر النهضة ، ويبنى الأوربيون عصر نهضتهم على فهم خاطئ ، وهـو فيما أعتقد خطأ مقصود . فمن المعروف أن العرب ترجموا عن الاغريق وأخذوا عنهم علمهم وفلسفتهم فحفظوها وشرحوها وزادوا عليها ، وكانت لهم بجانب ذلك علوم أصيلة لم يسبقهم إليها الاغريق ، وكما قلت قبلا كانوا سادة العلم وأساتذة المعرفة ، ولـكنهم كانوا مسلمين ، وكان التعصب الدينى اذ ذاك ـ ولا يزال ـ حجابا يمنع الأوربيين عن الحقائق ، وكـبر على الأوربيين المسيحيين أن يعترفوا بالفضل لأهـله وأن يرجعوا نهضتهم إلى العلوم التى أخذوها عن العرب المسلمين ، كبر عليهم ذلك وفضلوا أن يردوا علومهم إلى الاغريق ، وجعلوهم هم أصحاب الفضل وتناسوا عامدين ما كان للعرب من أياد على العلم وعلى المدنية .

وسار الأوربيون قدما فى نهضتهم حتى بلغوا ما هم عليه اليوم ، وسرنا نحن القهقرى حتى كاد يضيع منا كل ما بناه أسلافنا وأجدادنا ، وسيطرت أوربا على البلاد العربية ، ونشرت فيها الفرقة والجهل والعنصرية واستغلتها أسوأ استغلال ، وظل العرب مستكينين للذل ، راضين بالعار حتى الأمس القريب حـين هب العملاق العربى من غفوته وقام يحارب الاستعمار واستطاع أن يتغلب عليه إلى حد كبير ، وها نحن قد بدأنا المسير فى طريق القـوة من جديد ، ولن يمر وقت طويل ـ باذن الله ـ حتى يعود للعرب ما كان لهم من عز وسؤدد ومجد .

* * *

لا شك أن اللغة كائن حى يتطور ، ومن ثم كان طبيعيا أن تتطور اللغة العربية ، ولولا

القــرآن الذى حفظ اللغة وأبقاها ، وحافظ على معانيها ، لــكانت اللغة العربية اليوم قد زالت ، ولعدا الزمان عليها كما عدا على غيرها من اللغات .

وقد تطورت اللغــة العربية تطورا كبيرا نتيجة لاتصال العرب بالشعوب الأخرى كما ألمحنا آنفا ، ونتيجة لأخذ العرب لبعض علوم الغرب وفلسفته ، كما أن للسياسة وصناعة السينما والاختراعات والاستــكشافات الجغرافية دخلا كبيرا فى استعارة اللغــة العربية لآلاف من الــكلمات الجديدة .

وعندما تستعار الــكلمات الأجنبية يصبح لها معنى واستعمال خاص ، وبالتالى تتخذ معنى مختلفا قليلا ، وهذا أمر له أهميته ، فان الشعب حينما يتطور ويجتاز مرحلة البداوة إلى المدنية يجد أمامه أشياء وأشياء لم يكن يعرفها وتحتاج إلى وصف جديد، كما يجد أفكارا جديدة ليعبر عنها أيضا،ومن ثم يحتاج إلى ألفاظ مفصلة ومحدودة لم يكن يعرفها من قبل .

ومعروف أن الفرد العادى يفضل دائما الــكلمات القصيرة السهلة النطق،وهذا ما نلاحظه فى اللغة العامية سواء فى أخــذها عن لغات أخرى أو فى تحوير الألفاظ العربية نفسها ، وهكذا نجد كلمات جديده تشق طريقها إلى لغة الحديث ولغة الأدب على الرغم من جهود علماء اللغة ومجمع اللغة العربية فى إبعادها .

والمعروف أن اللغات الأوربية ترجع إلى ما يسمى باللغات الهندية الجرمانية أو الهندية الأوربية .

وأول كلمات أخذناها عن الغرب كانت تتعلق بالعلم والفلسفة فى عصر الترجمة فى أوائل العهد العباسى، ومن أمثلة ذلك كلمة فلسفة نفسها، ومعناها كما هو مشهور حب الحكمة، ورأينا العرب فى ذلك الوقت يستعملون لفظ بوليطيقا بدلا من سياسة ، وفيزيقا بدلا من طبيعة ، وغير ذلك من الكلمات التى يعرفها دارسو العلوم الفلسفية .

ونلاحظ أن الكلمات الإغريقية كانت تؤدى تمــاما معناها العلمى بسبب وضوحها ودقتها ، ولعل هــذا هو السبب الذى جعل العرب يستعيرونها ، ثم جعلها تشق طريقها إلى كل لغات العالم وتصبح ألفاظا عالمية فى مئات من الاصطلاحات العلميــة والمعانى المجردة ، ومن الأمثلة على ذلك ـ بجانب ماذكرنا ـ كلمــة جغرافيا فهى مشتقة من لفظين إغريقيين هما Geo : الأرض ، Graph : يكتب أى الكتابة المتعلقة بالأرض.

وليس ثمة ريب فى أن كلمات اللغة الأصيلة هى الكلمات المليئة بالحياة والحركة ،

هى التى تحلق فى دورنا وتطوف بمساكننا ، فى طرقاتنا واجتماعاتنا ، هى التى تعبر فى قوة بالغة عن أصدق مشاعرنا وأدق أفكارنا وأعمق إحساساتنا .

وتزداد ثروة اللغة اللفظية لأن الاتصال بالشعوب المختلفة إنما يؤدى إلى الأخذ من لغاتهم ، وإن كان عدد الكلمات المستعارة يختلف تبعا للظروف ، فعندما يغزو شعب شعبا آخر يأخذ الثانى من الأول قدرا كبيرا من الألفاظ ، ولكنه لا يقضى على لغته إلا فى القليل النادر [١] .

وهذا يفسر كثرة الألفاظ الفرنسية ـ مثلا ـ فى اللغة العربية بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم استعانة محمد على بالفرنسيين فى إدارة شئون البلاد ، وتلا ذلك تغلغل الفرنسيين فى العالم العربى ، وتلقى كثير من أبناء العرب دراساتهم فى فرنسا ، كل ذلك جعل لهذه اللغة أثرا كبيرا ، وإذا أضفنا إلى ذلك أهمية هذه اللغة فى العالم كله استطعنا أن نعلل كثرة الألفاظ الفرنسية فى اللغة العربية ، ومن أمثلة هذه الألفاظ كلمة برلمان Parliament وبرنس Prince وسبور Sport وآرش Arch ، كما نجد كلمات خاصة بالأطعمة ـ والفرنسيون أشهر الطهاة ـ وكلنا يعرف كلمة Roaet وأومليت Omelette ، أو الكلمات الخاصة بالعطور وأدوات تجميل السيدات . وكلمات روج Rouge ، وبارفان Parfum وبودرة Poudre ومودة Mode أشهر من أن نشير إليها .

وعادة استعمال الألفاظ الفرنسية عادة شائعة فى العالم كله ، ولعل من يفعل ذلك يكون مدفوعا بأحد عاملين : الأول نوع من الكسل والتكاسل عن اختيار لفظ ملائم من لغته ، والثانى رغبة فى الإعلان عن معرفته لهذه اللغة الأجنبية ، وليس هناك ما يدعو إلى استعمال لفظ أجنبى إذا ما وجد فى لغتنا ما يحل محله ، أما إن تعذر ذلك فلا مندوحة من استعمال اللفظ الأجنبى .

وقد تستعمل الألفاظ الفرنسية للدلالة على إتقان الصنعة كالحلاق الذى يصر على تسمية نفسه كوافير Coifeur ، أو صاحب الفندق الذى لا يرضى عن لفظ أوتيل Hôtel بديلا ، أو صانع الحلوى الذى يفخر بأن يكتب على بابه كلمة Pâtisserie بحروف كبيرة ، أو صانع الأثاث الذى يسميه موبيليا Meubles .

وقد يكون الأمر نوعا من التعالى خاصة عند محدثى النعمة ، كذلك الذى يسمى سائق سيارته شوفير Chauffeur ويستعمل كلمة جاتو Gatteaux وكادو Cadeau كل منهما بمعنى الأخرى .

---

(١) ومن أروع الأمثلة على ذلك تلاشى اللغة القبطية فى مصر بعد الفتح العربى .

وبجانب ذلك نرى ألفاظا لا مندوحة من استعمالها كلفظ جاراچ Garage أو كوبون Coupon ، أو الألفاظ الاصطلاحية التي يستعملها فريق من النـاس لأنها تتعلق بفنهم ، كما يستعمل العسكريون في العـالم كله ألفاظ سابوتاج Sabotage (تخريب) وكاموفلاج (تمويه) Camouflage أو ألفاظ يستعملها الناس جميعا لأنها سهلة مستساغة مثل تليفون ، وتلغراف ، وترمومتر وتلسكوب وأوتوماتيكى وماكينة وراديو وغيرها كثير .

والكلمات الدالة على التحية جرت كذلك على السنتنا في الحديث كما جرت على أقـلام الـكتاب وكلنا يسمع ويقرأ بونجور Bonjour وبونسوار Bonsoir وأوريفوار Aurevoir ومرسى Merci .

وحين دخل الإنجـليز مصر سنة ١٨٨٢ زاد عدد الكلمات الأوربية التي دخلت إلى لغتنا ، ولاشك أن مركز مصر كزعيمة للبلاد العربية يؤثر كثيرا في استعارة اللغة العربية للألفاظ الأجنبية . وعمل الإنجليز على صبغ الحياة المصرية بصبغة انجليزية ، وكانت معرفة هذه اللغة وسيلة للتزلف إلى الحكام والترقي في الوظائف ، بل وكانت هي اللغة التي تدرس بها العـلوم في المدارس ، حتى جاء سعد زغـلول وزيرا للمعارف وعمل على استبدالها باللغة العربية .

وبتقدم الحياة في مصر ودخول الـكثير من الاختراعات وقراءة الـكثير من الـكتب الأجنبية وتأثير الاستعمار في حياتنا وجدنا كلمات جديدة تدخل وتتغلغل في لغتنا ، والفرد العـادى يجد صعوبة في نطق الألفاظ الأجنبية في مبدأ الأمر ؛ ويحاول أن ينطقها كما ينطقها أبناؤها ، ولـكن الـكلمة لا تلبث مع الزمن أن تأخذ طابعا محليا ، بل لا نلبث نحن حتى ننسى أصل الـكلمة ونعدها من ألفاظنا ، ومن هنا نستطيع أن نميز بين الـكلمات الحديثة الاستعارة وبين الـكلمات القديمة الاستعارة ، فكلما كان نطقها قريبا من نطقها الأصلى كانت أحدث .

ومن أمثلة ذلك كلمة Coupon فانها تنطق « كابون» و Machine التي تنطق « مكنة » و Automobile التي تنطق بعدة طرق أشهرها « اتمبيل» و Cinema التي تنطق « سيما » وهكذا في كثير من الـكلمات .

(يتبع)

عمر طلعت زهران
أستاذ في الآداب

إلى أين ؟ ؟

لا يصلح أمر هذه الأمة
إلا بما صلح به أولها

لا بد لأية جماعة من الجماعات ، ولكل شعب من الشعوب ينشد التقدم والرقى ، ويطمح نحو العزة والمجد ، من نظم وقوانين يلتزم أفراده التمسك بها ، والسير على نهجها ، كى تضمن الجماعة اتحاد القصد ، وتوفير الجهد ، فتخطو خطواتها ثابتة قوية مطردة ، فى اتحاد وتصميم وعزم ، نحو الغاية المنشودة ، والهدف المرموق .

ومهمة الإصلاح بعد الفساد من أصعب الأمور ، وأخطر التبعات ، أيسر منها بكثير توجيه الجماعة الأولى ، وتنشئتها على ما يريده المصلحون والموجهون .

وفرق بين من يوجه الأمى ويرشده ويعلمه ، وبين من ابتلى بتوجيه نصف المتعلم وإرشاده ، فهذا يزعم لنفسه أنه عالم وأن رأيه أولى بالاتباع والقبول ، فهو على حد ما قال الأول : جاهل مركب ، جاهل حتى بجهله ، فاذا حاولت معه تبين الحقيقة فيما يزعمه ويجادلك به ، اشتد فى الجدل وعنف فى الخصومة ، فاذا لمح من حديثك ميلا إلى الفضيلة ، أو تحبيذا للتمسك بتعاليم الدين ، أو اتباعا للتقاليد القومية الكريمة ، قذفك بألفاظ ليست من أدب البحث فى شىء ، لا تؤيد حجة ، ولا تفند رأيا . فأنت ــ فى نظره آنذاك حسب ألفاظه ــ الرجل الرجعى الجامد المتأخر الذى يعيش بعقلية القرون الماضية .

ومما يؤسف له أن الحالة فى البيئة المصرية على هذا النحو من التحلل والجدل وادعاء المعرفة فى كل فن وعلم ، مما نجد مظاهره فى الحياة الخاصة والعامة جميعا : فى دور التعليم ، وفى الصحف ، وفى المجلات ، وفى دور السينما والمقاهى والنوادى وغيرها من المجتمعات .

ومرد ذلك أن الحياة المصرية قد تمرست بأنواع من العادات والأخلاق ، وشتات من التقاليد التى لا تمت بصلة إلى البيئة المصرية ، أخذهم بهرجها فافتتنوا بها . وإن من العجب أنهم يهتمون بهذه الوافدات الغربية ، ويتعلقون أشد التعلق بأحاديث وأقوال

الرجال منهم ، ويجهدون أنفسهم فى تحليلها ، والجرى فيما ترسم من سبل للحياة ، وإن خالفت كل الآداب والتقاليد والتعاليم ، وقد أخضعوا سلوكهم فى الحياة لهـذه المذاهب والآراء ، لأنها وافقت الميول والشهوات ، وتجاوبت مع النوازع والملذات .

فترى بعض الشباب ، بل الشيوخ ، وقد تمكنت من نفوسهم الأهواء والأغراض ، وتحكمت فيهم الجهالة ، وران على ضمائرهم ما اكتسبوا من الإثم والفجور ، وصوحت أزاهير البر والخير فى ساحة الوجدان ، وأصبح الناس عبيد الدنيا بمتعها وزخارفها ، وعشاق مدنية غربية مسرفـة منحرفة ، وارتفعت الأصوات ـ وهى كثيرا ما ترتفع بين الفينة والأخرى ـ نادبة مولولة : لماذا انفلت العيار ؟

وترسلها احدى الصحف صرخة مدوية ، ويواليها الكتاب وأصحاب الأقلام بآرائهم وأفكارهم ، وتتولى صحف أخرى استهجان هذا المسلك فى معالجة مثل هذا الموضوع على هـذا النحو المكشوف المفضوح ، وبخاصة وقـد نشرت تلك الصحيفة ـ المعروفة بتهجمها على الآداب والتقاليد الكريمة ـ علاجا لأحد كتابها يرى فيه فتح بيوت الدعارة ، وإباحة الاختلاط بين الشباب من الجنسين ، ليروى ظمأه ، فلا تكثر الحوادث ، ولا يتدخل القانون .

وإن هـذه الصيحات التى تصدر اليوم ليست بنت ساعتها ، ولـكنها وليدة حياة مضت ، استطاعت إبانهـا الآراء الفاسدة ، والمظاهر الـكاذبة الخـداعة ، وخضوع المجتمع المصرى لها ، أن تتربى فى أحضانه ، وأن تنمـو فى بيئة تناسبها . فبعد أن كانت أفكارا وخواطر ، أصبحت مبادئ وتعاليم . ثم تحولت إلى الظهور فى السلوك الشخصى ، ثم برزت فى السلوك الجماعى . والآن نصطلى بنارها ، ونستصرخ لعلاجها .

أعلم أن فى مصر قانونا للعقوبات ، واحدى مواده تقرر عقوبة على من يجترئ على سب الدين ، وانتهاك حرماته .

وأعلم أن فى مصر قانونا لحفظ الآداب العامة ، وأعـلم أن فى مصر بوليسا للآداب ائما بعمله فى محاربة الرذيلة .

ولـكننى أقول ـ والأسف يملأ جوانحى ـ لو طبقنا القانون تطبيقا حازما ، وأخذنا الناس جميعا به ، لوقعت الأغلبية تحت طائلة هـذا القانون . وما تسطره الصحف والمجلات وهو شيء كثير ، إنمـا هو ما وقـع تحت عين البوليس ، وما وصل منه آذان دور النشر ، أما ما خفى فأكثر وأبشع ، هذه حالنا . فما هو سبيل الإصلاح والعلاج ؟؟

إن المصلح إن أراد أن يعدل بهذه البيئة ـ وحالهـا كما تعلمون ـ إلى طريق الطهر والعفة والـكرامـة والعزة ، فلا يمـكن أن يكون ذلك عن طريق سن القوانين ، فهذا سبيل محفوف بالمخاطر ، بعيد عن الصواب ، فأن ضحايا القانون والمتمردين عليه آنذاك ستكون الأغلبية العظمى من هذا الشعب المريض المخدوع . كما لا يمكن أن يكون ذلك بنشر الفوضى الخلقية ، وترك الحبل على الغارب .

لقد أفسد الاستعمار نفوسنا ، وغير مفاهيم الأشياء عندنا ، ولـكننا والحمد لله أمة لها دينها ، ولها تقاليدها التى ما زال الـكثير منها نسمع عنه من شيوخنا ـ آبائنا وأجدادنا ـ وفى هذا الدين وفى هـذه التقاليد الـكريمة ما نستطيع أن نأخذ منه العلاج للأمة جميعها شبابها وشيوخها ، رجالها ونسائها .

إننا كمسلمين لنا ديننا ، ولنا تقاليدنا ، التى خلقت من التفرق وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الجبن إقداما ، ومن الميوعة والتحلل عفة وطهرا ، وحزما وكمالا ، ومن البطالة والتسكع جـدا وعملا . وإن هذا الشرق ما كان فاقدا للقوة ، ولا متجردا عن أسبابها ، وغاية الأمر أنه قـــد طرأ صدأ على معدنه الأصيل ، فحال بينه وبين التأثير فى الوسط الذى يحيط به .

والآن وقد انجاب عنه الصدأ ، وزال عنه المـانع ، وأطلق له عنان الحرية ، فعليه أن يشق طريقه فى الحيـاة ، كما فعل أجداده من قبل ، أولئك الذى فتحوا الأمصار ، ونشروا الفنون والعلوم والمعارف فى جميع أقطار الأرض شرقا وغربا .

أقول : إن طريق الإصلاح والعلاج هو أن نسلك بالأمة شبابا وشيوخا ذلك المسلك الذى أصلح السلف الكريم ، ذا المجد التليد ، فلن يصلح أمر هـــذه الأمة إلا بمـا صلح به أولهـا .

لا تعجب أخى إذا سمعت هذا القول ، فالحق أن الدين ضرورى للحياة الإنسانية ، ضرورى فى تنظيم سلوكها ، ضرورى فى توجيهها ، ضرورى فى تربية الضمير الإنسانى فى الفرد والجماعة ، ليراقب الله فى الخلوة والجلوة ، فلا ينبغى للانسان أن ينصرف عنه متلهيا بالحياة المادية ، ولا ينبغى للعقل أن يحط من شأنه ، ويغمطه قدره وأثره . فمن الجهالة ومن الحماقة معا أن يعيش الإنسان فى هذه الحياة عيشة الأنعام ، فيصير ماشية فى صورة إنسان ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .

إن خير الطرق لإصلاح الشباب حتى لا يفلت الزمام ، ولكى نعود به إلى حظيرة الطهر والعفاف ، هى غرس الروح الدينية فى قلبه ، وإذكاء عاطفة البر والخير فى نفسه ، ووضع المشاعل النيرة فى طريقه حتى لا يسير فى الظلام . أنيروا له الطريق بتلكم المثل العليا فى العفة والطهر ، والشجاعة والإقدام ، والجد والمثابرة فى العمل المفيد . بينوا لهم عمليا ما تحققه الفضيلة من فوز ونجاح ، وسعادة عند الله والناس ، ولا تتركوهم فى حيرتهم وفراغهم .

فان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

إننا إن فعلنا ونفذنا دستورنا فى الإصلاح ، حقق الله لنا الآمال ، وتبوأ هذا الشعب مكانه اللائق به فى حاضره الرشيد ، ليكون أهلا لمجده التليد ، وإلا فالى أين ؟؟ !

محمد أبو المكارم
الواعظ العام

تركة سيد الخلق

قال عمرو بن الحارث (أخو جويرية أم المؤمنين) :

ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة .

ثورة الاســـــــلام
على الفقر واحتكار الاموال

هذا قبس من نور الشريعــة الإسلامية الغراء ، يحدد موقف الإسلام إزاء مشكلة من أهم المشاكل الاجتماعية التى تشغل الرأى العام العالمى فى هذا الوقت ، وهى مشكلة الفقر واختلال الوضع الاقتصادى فى المحيط الدولى ومختلف الشعوب ، قبسته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسـلم وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم ، وجعلته موضوع الحديث فى هذه الصحيفة الرشيدة .

والذى دعانى للحديث فى هــذا الموضوع ما تنادى به حالة العـالم اليوم من وجوب الإسراع فى حل هذه المشكلة المعقدة التى تتفرع عنها أمهات المشاكل، وتهدد العالم بالفناء من وقت لآخر : فقد أطلت على العالم فى أواسط القرن المـاضى تحمل فى إحدى يديها حالة من النزاع بين الطبقات فى مختلف الشعوب، قضت على معالم المحبة وقوضت دعائم الأمن والسكينة ، وفى اليــد الأخرى حالة من الصراع بين الدول تمخضت عن حربين عالميتين فى أقل من ربع قرن من الزمان ، وإلى هــذا وذاك سارت تجر فى أذيالها دعوة خطرة تقوم على هــدم النظم والتعاليم السائدة فى بلاد العـالم وإقامة نظم أخرى على أنقاضها ، وهى الدعوة المعروفة باسم « الشيوعية » .

وهذه الدعوة أخذ شأنهـا يقوى فى ظل هذه المشــكلة حتى تزعمتها الدولة الروسية ، فعز جانبها وازداد نشاطها ، وصارت تتوغل فى ربوع العالم وتنتقل من بلد إلى بلد، الأمر الذى أزعج الدول الرأسمـالية وجعلها تحزم أمرها وتنظم صفوفها للقضاء على هــذه الحركة الواسعة التى تهدد مصالحها أولا وبالذات .

وبذلك انقسم العالم إلى معسكرين خطيرين يتنازعان السيادة على دول العالم ، وظل النزاع بينهما يتطور حتى وصــل إلى ما هو عليه الآن من تسابق الفريقين فى اخــتراع الأسلحة المدمرة ، واستخدام المواد النـاسفة فى وسائل القتال ، استعدادا لحرب مقبلة يكون لها الفصل فى هذا النزاع الجسيم الذى لم تجد فيه الوسائل السلمية .

وهكذا يقف العالم مرة أخرى أمام كارثة عظمى من جراء هذه المشكلة، مع أنه لم يمر على نهاية الحرب العالمية الثانية سوى أعوام قلائل ، بل إن العالم لم يواجه فى حياته أخطر من الكارثة التى يواجهها الآن .

ولا عجب أن تكون هذه المشكلة بهذه الخطورة، فانها تبدو فى صورة مالية منفرة لا أثر فيها للتناسق والانسجام بين أجزائها ـ لا فى وضعها القومى ولا فى شكلها الدولى ـ حيث يتجلى فيها انعدام التقارب بين الطبقات ، واختلال التوازن المالى بين الدول : فبينما يحلق بعض الأفراد من مختلف الشعوب فى أعلى طبقات الغنى حتى يكاد يخترق السحاب، إذا بالسواد الأعظم فى هذه الشعوب يغوص فى أعماق الفقر حتى يكاد يلتهم التراب، كما كان الحال فى مصر قبل الثورة المباركة ، حيث كان نظام الملكية الزراعية على الخصوص يشبه ما كان عليه الأمر فى عهد الإقطاع ، وبينما تسيطر بعض الدول على ربوع العالم حتى لا تكاد الشمس تغرب عن أملاكها على حد تعبير الجغرافيين، إذا بأكثر الدول يضيق عليها الخناق حتى تكاد تلفظ أنفاسها ، ولا شك أن مثل هذا الوضع سواء من الناحية الدولية أو من الناحية القومية لا يقره دين ولا وجدان، ولا يعيش فى ظله نظام ولا سلام: فالإنسان قد يرضى بكل بلاء إلا إذا ابتلى بالجوع أو منى بالفقر، فانه لا يملك الصبر لاسيما إذا كان بجانبه شاهق الثراء يستأثر به بعض الأغنياء ، والفقر ألد أعداء الإنسانية من قديم الزمن ، وفى محيطه تقع أفظع الجرائم ، لأنه يحارب الإنسان فى قوته ويهاجمه فى قوام معيشته وعماد حياته ، وقد قال فيه النبى صلوات الله عليه وسلامه : « كاد الفقر أن يكون كفرا » وكان يدفع الناس فى الجاهلية على اختلاف طبقاتهم إلى قتل أولادهم ، أما الأغنياء فخوفا من الوقوع فيه ، وأما الفقراء فروما للتخلص منه ومن مآسيه ، قال الله تعالى فى التحذير من ذلك : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقال فى آية أخرى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا » وفى تاريخ الأفراد والأمم ما يشهد أن كثيرا من الحوادث التاريخية والمآسى الشخصية والاجتماعية كان للفقر دور كبير فى وقوعها إن لم يكن هو كل شىء فيها ؛ ونظرة عابرة فى حالة العالم اليوم تثبت أن جميع المشاكل التى يعانيها تدور هذه المشكلة وتجرى فى فلكها العتيد ، ومن هنا تحتل مكان الصدارة من بين المشاكل التى تشغل أذهان العالم ، وقد حار فى حلها المفكرون من جميع الشعوب ، فلم يستطيعوا على الرغم من الجهود المتواصلة التى يبذلونها فى هذا الصدد أن يقفوا لها على حل سليم يكفل السلام بين الدول ، والوئام بين الطبقات ، ولا تزال تهدد حضارة العالم وسعادة الشعوب .

والحقيقة أنه لا علاج لها ولا لغيرها من مشاكل البشر إلا فى الدين الإسلامى الحنيف ، وكل محاولة فى هذا الصدد سوى الرجوع إليه مصيرها إلى الفشل ، ولا غرو فالإسلام دين الإنسانية وشريعة الخلود ، وقد أودع الله تعالى فيه ـ وهو العليم بمصالح العباد ـ جميع ما يحتاج إليه الناس من أمور المعاش والمعاد ، بحيث لا تواجههم مشكلة إلا كان فى هذا الدين ما يعينهم على حلها ، ولا يمكن حلها إلا على ضوئه : قال الله تعالى « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » والمراد بالرد إلى الله الرجوع إلى كتابه ، وبالرد إلى الرسول الرجوع إليه صلى الله عليه وسلم فى حال حياته وإلى سنته بعد مماته ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » .

وبالنظر فى تعاليم الإسلام يتبين أن فيها ما لا يمكن أن تحل هذه المشكلة إلا على ضوئه : ذلك أن الحل السليم لهذه المشكلة هو الذى تتحقق به أهداف المعسكرين المتطاحنين ، وتلتقى عنده وجهتا النظر الرأسمالية والشيوعية ، وتجتمع فيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وهذا الحل لا وجود له إلا فى الإسلام ، وبيان ذلك : ـ

أن النظام الرأسمالى : تغلب عليه النزعة الفردية إذ يقوم على إقرار الملكية الفردية وإطلاق حرية التجارة والمعاملة بين الناس من غير قيد ولا شرط ، على أساس أن حاجة الناس بعضهم إلى بعض كافية فى تنظيم علاقاتهم فيما بينهم على الوجه الذى يكفل مصلحة الجميع ، وأن المصلحة الشخصية هى الدافع الطبيعى إلى العمل ، وأن الإنسان حين يعمل لمصلحته الشخصية يعمل لمصلحة المجموع .

والنظام الشيوعى : تسيطر عليه فكرة الصالح العام ، فيقوم على إلغاء الملكية الفردية ، ووضع مقاليد الثروة والعمل فى يد الدولة تتولى شئونهما ، وتقوم بتوزيع الأجور على أفراد الشعب كل على قدر حاجته أو على حسب عمله ، بدعوى أن فى ذلك حماية المجموع من استغلال بعض الأفراد .

فهما نظامان متناقضان بينهما تمام التناقض ، وكل منهما لا يصلح أساسا للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ولابد من نظام وسط يجمع أهدافهما ويتجافى عن عيوبهما ، وهذا النظام لا وجود له إلا فى الإسلام .

وتتجلى عيوب النظام الرأسمالى : فى عدم الحد من حرية الأفراد والجماعات فيما يختص بالمعاملات ، لأن ذلك يثير فى النفوس عوامل الجشع والأنانية ويهيئ للبعض استغلال

البعض ، وقد كان من نتيجة هـذا النظام أن تهيأت الفرصة أمام ذوى المطامع ، ونمـا فى نفوسهم حب المـال ، فصاروا يتفننون فى طرق الكسب ، فانتشر الربا حتى تغلغل فى كل مرافق الحيـاة الاقتصادية ، وفشت الرشوة ، وشاع الغش فى التجارة والتطفيف فى الكيل والوزن ، وقامت السوق السوداء ، ولجأ الناس إلى احتكار الأقوات وغـيرها من الضروريات ، وتحكم أصحاب الأعمال فى الطبقات العاملة لاسيما بعـد ظهور النهضة الصناعية والاستغناء بالآلات البخارية والكهربائيـة عن الأيدى العاملة ، إلى غير ذلك من مظاهر الجشع التى كان لها أسوأ الأثر فى فساد المجتمع ، حيث تركزت الثروة فى الدول التى ظهر فيها هذا النظام فى أيد قلائل ، وانتشرت البطالة وخيم الفقر على رؤوس الجماهير ، وترتب على ذلك عجز القوة الشرائية ، وزيادة الإنتـاج عن الاستهلاك ، وتعرض الآلات الصناعية للتوقف لعدم توفر الخامات والمواد الأولية اللازمة للصناعة فى الأسواق المحلية ، وبذلك وقعت الحكومات الرأسمالية فى مأزق حرج ، فالجماهير يطالبونها بتدبير موارد للرزق وميادين للعمل ، وأصحاب الأعمال يطالبونها بفتح أسواق جـديدة لتوزيع بضائعهم ، وتدبير المواد الأولية اللازمة لنشاط الصناعات ، وإزاء هـذا الضغط المزدوج وجهت أطماعها إلى الدول الضعيفة تستغل وتستعمر ، وبذلك انتشر النظام الرأسمالى فى مختلف الدول بمـاله وما عليـه ، وكان لابد من وقوع التنافس بين الدول الرأسمالية على الأسواق الخارجية ، فاضطربت العلاقات بين الدول وكان ما كان ممـا سبق ذكره .

أما النظام الشيوعى : فانه لا يتمشى مع طبيعة الإنسان ونظام العمران ، ولا يتفق مع نواميس الحياة : فقد أودع الله فى الإنسان غريزة التملك لتدفعه إلى تحصيل ما ينفعه ، والإنسان إذا لم يشعر أن ما يحصل عليه من المـال بمجهوده يكون ملكا له ينتفع به حال حياته ويؤول إلى ورثته وهم أقرب الناس إليه بعد ممـاته ، ضعفت همته وخارت عزيمته وقعد عن طلب الرزق ، فتتعطل دواليب الأعمال ويختل نظام الحياة ، وقد خلق الله الناس متفاوتين فى المواهب والقوى والاستعدادات والمشارب ، فلا بد مع هـذا من التفاوت فى الأرزاق ليتم احتياج بعضهم إلى بعض وتسخير بعضهم لبعض ، وقد يعترض على ذلك بقيام هـذا النظام فى روسيا ، والجواب أن ذلك يرجع لفساد النظام القيصرى الذى كان يسود روسيا قبل النظام الشيوعى ، هذا إلى أنه إنمـا يعيش فيها تحت سلطان القوة لا تحت سلطان الرغبة والميل الطبيعى . أما الإسلام فانه يجمع النظم كلها ، وسنأتى على بيان ذلك فى المقال التالى إن شاء الله

محمد السيد نرا
المدرس بكلية الشريعة

نجوى الى رجال الغد . .

الشباب هو زهرة العمر ، وربيع الحياة ، وفرصته التى يغدو فيها الفتى ويروح فى أكناف السلامة والعافية .

إليه يطول تلفت النفوس وتمنيها ، ويتصل شوقها وحنينها . نجد ذلك من أنفسنا ، ونراه فى استبشار هؤلاء الذين يجرى فى عروقهم دم الشباب حارا دفاقا ، وآباؤهم يبدون لنا صورا من تلهف العريان بن الهيثم حين سأله أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى وقد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين .

وتسمع عبر الأجيال صداه فى شعر الشعراء وحكمة الحكماء من مثل قول أحدهم :

إن الشباب الذى مجدٌ عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب

وقول الآخر :

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

والشباب هم أمل الأمم ومقصد رجاء الشعوب ، تعدهم للغد القريب ، وتدخرهم لساعات الشدة ومواقف الخطر ، ليجددوا بحيويتهم ما وهى من قوتها ، ويبلغوها بمواهبهم ما هى أحق به وأهله من سيادة ورفعة وكمال .

ولقد كرّم الله الشباب فى أقدس كتاب ، وامتدح استجابتهم للحق وسبقهم للايمان وضيقهم بالذل الذى راض آباء كثيرون عليه أنفسهم ورضوا به ، فقال تعالى : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ، وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين » . وقال ابن عباس : « ما آتى الله عز وجل عبده علما إلا شابا ، والخير كله فى الشباب » . ثم قرأ قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » وقوله على لسان قوم إبراهيم : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » وقوله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا » .

وصلوات الله على خاتم رسله ، فقد وضع الشاب الذى نشأ فى عبادة ربه بين الإمام العادل والرجل تعلق قلبه بالمساجد فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاظله .

وما أولى الشباب بهذا التكريم ومثله معه حين يتخذون فى فورة شبابهم رقيبا عليهم من ضمائرهم، يهيمن على غرائزهم ويوجه نشاطهم الى ما يرفع ذكرهم بين أقرانهم ويعلى قدرهم ما امتد بهم العمر ، فلا يفلتون لحظة من أعمارهم النفيسة دون أن يؤدوا فيها عملا كريما يقربهم من الأهداف العالية وصنيعا رفيعا يدنيهم من الآمال الغالية ، منتفعين فى أوقات فراغهم بما يبهج أنفسهم من الرياضة المحببة والملح المشرقة واللهو البرىء ، فلقد صارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركانة ، وسابق عائشة ، وقال للتى سألته : هل أدخل الجنة ؟ « لن تدخل الجنة عجوز » وسأل أخرى « زوجك الذى فى عينيه بياض» فى قصتين مشهورتين . ومن الآثار الكريمة « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فأنها إذا كلت عميت » ، « إن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فالتمسوا لها طرائف الحكم » ، ففى رائق النكات وبارع الكلمات وإرسال النفوس إلى ما تهوى — فى غير إثم — مع إخوة هم على سجيتها من علو النفس ورقة الحس وتقوى الله ، تجديد لما فتر من قواها وحفز إلى مضاعفة نشاطها فيما تستقبل من أعمال وتواجه من تصرفات .

إن المستقبل البسام لهؤلاء الذين يعرفون قيمة الشباب ، وإنهم إن كانوا اليوم أطفالا فسيكونون فى غد رجالا تصير إليهم أمجاد البلاد ومقدساتها ، والغد لهم إن أدوا زكاة الشباب ، وهو عليهم إن دعاهم الوطن للتهيؤ والاستعداد بالعلم والعمل فنكصوا على الأعقاب . . وما أتعس أمة تجرى شبيبتها وراء التافه من الشئون وتتعلق بالعمل الدون ، وتنسى رجولتها فيما تبدو وراءه من لين الأنوثة وتكسر الغانيات ، ولله القائل :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

وأين هؤلاء الكسالى الذين ترتعش أوصالهم دون عزائم الخير من الشباب الحر الأبى الذى يقتحم المخاطر ويواجه الخطوب مع العاملين ، لتكون أمتهم خير الأمم ، وهم يهتفون مع القائل :

لا صحبت الحياة إن صحبتنى فى الملمات مهجة تستضام

لقد عرف تاريخ الإسلام شباب على وأسامة ومصعب بن عمير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب وعمير بن أبى وقاص ، ووراء هؤلاء فى مكان الأسوة الحسنة شباب

وددنا لو راجع الأحفاد صحائف حياتهم ، ليمضوا فى طريق الإباء أعزة كراما تسمع لهم الدنيا من جديد وتطيع ، فما امتاز هؤلاء ببسطة فى الجسم ولا بوفرة فى المال ، ولكنهم سبقوا بالإيمان والعلم الذى يميز الخبيث من الطيب والخير من الشر والهدى من الضلال ، فلا يراهم الله عز وجل إلا على الطيب من القول ، والخير من العمل ، والحق الذى قامت به السموات والأرض ، ثم لا يكون الضلال والشر إلا غرضا لعزائمهم التى لا تنى عنه حتى تزهقه أو تهلك دونه . . .

فهل لشباب العروبة والإسلام أن يأخذوا درسا من رافع بن خديج ، وقد وقف على أطراف قدميه حتى يبدو كبيرا مخافة أن يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد فى غزوة أحد وسأله : ماذا يحسن من فنون القتال ؟ فقال : الرمى ، فقبله صلوات الله عليه ، ودرسا آخر يجلوه لهم سمرة بن جندب ، فلقد رده الرسول عن جهاد أحد ، فبكى وقال : يا رسول الله ، كيف تقبل رافعا وتردنى ، ولو صارعنى لصرعته ؟ فلما أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى مصارعته صرعه ومضى بعمله — لا بجاه الأقربين وشفاعة الشافعين — إلى صفوف أحد .

على أى شىء تدافعا بالمناكب ؟ إنه الجهاد فى سبيل الله ابتغاء نصرة الحق ، والظفر بالشهادة فى سبيله . ولن نستعيد مجدنا التليد إلا بمثل هذه الأرواح الكبيرة ، وعلى أيدى شباب مؤمن يتخرج فى مدرسة هؤلاء الخالدين الذين تعلموا وعملوا ، فكان العلم والعمل جوازهم إلى الخلود ، وذيوع الشأن بين الآباء والأقران ، وفى كل زمان ومكان .

كان علم ابن عباس — لا حسبه ولا نسبه — هو طريقه إلى تقدير أمير المؤمنين عمر ، وتقديمه له على مشيخة المهاجرين والأنصار . وما زالت الأجيال تردد بإكبار وإجلال مقالة ذلك الفتى الذى كان على رأس وفد الحجاز فى تهنئة عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فلما هم بالكلام قال له الخليفة : ليتحدث من هو أسن منك . فقال الفتى : يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أولى بالخلافة منك ، ولكن الله إذا رزق عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، واستوجب التوقير والاحترام ، فاسترضاه الخليفة وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

إنى لأرثى لكثير من الشباب المرجى المؤمل . . فلقد فتنه عن دينه وتقاليده واردات الغرب ، وبلبلت فكره وخلبت لبه دعايات إباحية مسمومة ، يذيعها فيهم بكرة وعشيا

مفتونون كبار ، وصحافة معروفة فى الشرق العربى بأغراضها الهادمة للفضائل والآداب ، يلتقون جميعا عند طمس العقائد الدينية ، ليصير الأحياء قطعانا لا يردها عن غيها رادع من عقل ، ولا وازع من دين . ولن نسكت عن التذكير والنذير ، ولن نحطم الأقلام ونريق المداد يأسا من إنقاذ هؤلاء الأعزاء مما خدرهم وسيطر على عقولهم ، ولكننا سنظل ندعوهم إلى الدين والعلم الصحيح الذى قدسه الإسلام وحض عليه وأعلى من قدر أهله فقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال الرسول الكريم : « إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء يوم القيامة » فبالدين والعلم يأمن الجيل من فتن أعداء الشرق وخصوم الإسلام . وقد غبر الشرق ردحا من الزمن استاذ الدنيا كلها تأخذ عنه وتفيد منه ، فلما رنقت الغفله أجفانه أفلت من يده الزمام إلى أيدى الغرب الآخذ بمخانق الحياة الزاعم أنه أبو الحضارة وحامى الحرية ونصير الضعفاء . . وهيهات . ! !

يا شباب العروبة والإسلام ، هذه بشائر يقظة الشرق تشيع الثقة فى غد مشرق للاسلام والمسلمين ، فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر على تحصيل ما ينفع من العلم ، ويصل بكم إلى آمالكم من شريف الوسائل ، وأضيئوا أقباس الهدى ما استطعتم ، وتعرفوا دينكم مرة أخرى ، ولا تدعوه كلما اتجهتم فى الحياة يمينا أو شمالا .

فالدين سلوى النفس من آلامها   وطبيبها من أدمع وجراح

وإياكم وهذه الأفكار المسعورة ، وهذه الأقلام المأجورة التى تسمى الأشياء بغير اسمها ، فما أكثر ما سمت المروق من الدين تجديدا ، وسمت التدين رجعية وجمودا ، وحذرت من القرآن والسنة زاعمة أنها من القديم الذى لا يوائم التطور وروح العصر ، حاسبة أنها تستطيع أن تخفت صوت الله الذى تكفل بحفظه فى قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وكونوا مصداق قول الصادق صلوات الله عليه : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

أعزكم الله بالإسلام ياشباب ، وأعز بكم الحق وأهله ، وبصركم طرائق الخير ، لتعلوا كلمته ، وترفعوا رايته . . إن شاء الله ما

معوض عوض ابراهيم

واعظ بور سعيد

الأزهر للدين أولا

هدأت وشيع نعشها ليـل فشيـ ـعنا به الأشجان والأوصابا
ومشت بها الآباد تستبق الخطا فدفنت آمالا هناك عـذابا
ورجعت أندب فى الدجى أطلالها فوجـدت دنيا الحالمين يبابا

* * *

فجع الزمان ، وسجرت عبراته فطوى مع الليل الجريح كتابا ..
إن المصيبة فى « الوليـد » عظيمة حسب « الوليد » من « العميد » مصابا
أيموت فى الميدان نابغـة القرو ن ، فلا يرى الأحباب والأصحابا ؟ !

* * *

قل للامام طوى الزمان صحائفا فاطو بها الأيام والأحقابا ..
واهزز بيمناك الدهور ، وأيقظ النو ام ، والحنفاء ، والكتابا
أصغى إليـك الدهر فى سلطانه فاهدم بمعوله العتيـد هضابا
« فالصرح » للدنيا و (للدين) معا فأعد فيـه النشء والطلابا
واغز السحاب ، وحقق الآمال واجـ ـعل منهم السفراء والأقطابا

* * *

فى مصر أخلاق ، وفيها أمة فابعث بها الأخـلاق والآدابا
وابن الحيـاة على الفضيلة والتق وارع الشـباب ، وهيئ الأسبابا
وأقم على الشورى الحياة ، وحطم الأ صنام ، والأزلام ، والأنصابا
وأعـد إلى « البيت العتيق » شبابه واكشف عن الفن الرفيع نقابا ..

واهتك حجاب الدهر، واهزز فى الدنا والمشرقين مآذنا . . وقبابا
واجعل « محاريب الهداية » قبلة .. للعالمين . . وكعبة ومثابا

* * *

تلك « الحصون الشامخات » منائر تهدى القرون ، وتعجز الألبابا
فازجر إذا الأخلاق هد بناؤها فى مصر ، والشرق البعيد شبابا
واذكر إذا نمى الزمان عقائلا واجعل لهن من (الكتاب) نصابا
واحم الفضيلة ، واقتحم ، إن ثارت الد نيا ، وضاق بها الوجود . . عبابا
فاذا قضى فى أمة . . أعلامها كانت حياة العالمين . . خرابا

* * *

فى « الصرح » أعلام ، وفيه عزائم تدع الخطوب وإن عصفن سرابا
فاجمع أمور المسلمين ، إذا التوى أمر ، وذلل فى الحياة صعابا
واجعل لكل قضية ، إن ثارت الآ راء حولك حجة . . . وجوابا
واحذر رعاك الله .. فى الدنيا ، وفى تلك الشعاب الداجيات ذئابا
واصفح عن الزمن الأثيم ، فربما رجع الزمان إلى الصواب . . وتابا

صابر على رمضان الجوشنى

يوم غـــد

يا بنت يعرب كم من موجع دنف لم تذكريه فسلم يجحدك نسيانا
يذود عنك خفى الختل منغمسا فى الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
كم خاض معركة خرساء دامية شبت وأمعن فيه السيف إثخانا
فلم يجشمك عبء المن منتفخا بالعجب واحتمل الآلام كتمانا
مهلا فصحبك والتاريخ يوم غد سيرفعان غشاء يسدل الآنا

فؤاد الخطيب

تعليقات

تجاوب الشرق

طالما ساورتنا الخشية على أمجاد الشرق أن تذهب ضحية الاستعمار ، وطالما قرأنا وسمعنا ما يبديه أصحاب الغيرة القومية من المخاوف على روابط الشرق أن تتفكك ، وأن تتغلغل فينا دسائس الاستعمار ، وهمزات الحانقين على الشرق ، منذ كانت له الصدارة عليهم فى سالف عهوده المشرقة .

حتى كاد يبلغ الخوف من نفوسنا جميعا مبلغ اليأس ، وعشنا طويلا نتباكى على الماضى ، ونتلمس فى ذكرياته عزاءنا عن الآمال المفقودة .

وكم كانت لواعج الأسى تزداد اضطراما كلما وجدنا أصابع الاستعمار تفرق صفوفنا ، وروحه الخبيثة تأخذ مأخذها فى مجتمعنا ، وفى سياستنا وتعليمنا ، وتتجه بنا فى كل ناحية تخرج بنا عن طابعنا الشرقى ، وتسلخنا من تقاليدنا الروحية ، حتى غمرتنا الشكوك فى حقيقة أنفسنا ، وفيما ورثنا من المناقب والأمجاد التى يعرفها الغرب عنا ، والتى أوغرت صدره علينا ، فاستفزته الأنانية إلى زحزحتنا عنها ، ثم أخذ يفاخرنا بها فى غير احتشام ولا مواربة .

ذلك كان . ولكن الشرق ــ والحمد لله ــ قدهزته الأريحية العريقة إلى تدارك شأنه ، وتجديد أواصره على صادق المودة ، وأكيد الولاء والإخاء .

تنبه الشرق كله إلى ما يحاك له ، وانزعج الشرق كله مما أصابه ، وأحس الشرق كله بمأساة التخاذل والاستهتار التى كادت تنقض أركانه ، وتطمس معالمه ، فجاشت فى صدور أبنائه غيرة كامنة ، وانفعلت نفوس رجاله بعد هدأة لم تكن من خصاله ، وتجاوب الشرق كله على صيحة من بعض جوانبه ، فأذهلت الغرب على اتساعه ، وأشاعت فيهم من جديد أن الشرق هو الشرق الذى كنتم تحسدونه ، وتخشونه ، وليس هو الشرق الذى توهمتموه زاهدا فى تركته المغصوبة .

هذه ظاهرة الحيـاة الفتية فى الشرق كله ، وليست بدعا فى نظر العارفين بالشعوب والمتصلين بالاجتماع .

إذ الشرق هو الوطن الذى تصاعدت فيـه دعوات المرسلين ، وشاعت فى جنباته روح الإخاء فى الله وفى الوطن ، وكانت فيـه صولة الجيوش قديمـا فى مناصرة الحقائق الدينية والنظم الاجتماعية ، وانبعثت منه إشراقة الدنيا بالمعرفة وبالأخـلاق الإنسانية .

والشرق إزاء هذه المناقب العلوية لم يكن يجدر به غير السيادة والهيمنة . وحينما كانت سيادته قائمة . . وهيمنته مبسوطة . . كانت سياسته مثلا كريما فى العدالة والإخاء والتراحم ، وكانت قوميته عزيزة فى غير تعصب ولا أنانية .

ولكن عثرات عوقت سيره فى سبيله ، فأفسحت للمتخلفين عنه أن يغالبوه على أمره ، ولعلها كانت فى حساب القدر بلاء له حتى يعرف من شأن نفسه مقدار ما نزل به من جراء استهانته ، وفتوره فى صيانة قوميته وأمجاده والاحتفاظ بشخصيته ، ولعلهـا كانت فى حساب القـدر تربية قاسية له ، حتى يفيق من غفلته ، ويستعيد ما فاته ، ويعتصم بجده ، فينهض بحاضره ليصل ماضيه بمستقبله ــ وقد فعل اليوم .

وإنا لنعيذ الشرق بمعونة الله أن ينكص بعد وثبته ، ونعيذه بتوفيق الله أن يكون سلطانه فى غير بيوت أبنائه ، وأن يكون للدخلاء فرجة بين صفوفه أو مقام فى دياره .

وإذا كان للأحـداث فضل فى توجيه الشعوب ، فلعل شعوب الشرق تبنى نهضتها من جـديد على الصلة بالله ، والتمجيد للدين ، واستمدادها من تعاليم السماء .

حتى تظفر بمـا ظفر به الشرق أولا : من مجادة وسيادة ، ولا تبتلى بمـا ابتلى به الشرق أخيرا من تخاذل وضآلة واحتلال .

ولعل كتابنا الذين لاننساهم ، ولا نفتأ نرى مخازيهم ، يكفون أقلامهم عن الدعايات المرذولة ، ويخلصون فى مؤازرة الحكام ، ويبصرون الشعوب بمـا ينبغى الجد فيـه من تصحيح للوطنية ، وتطهير للخلق ، وسمو بالأنفس وبالكرامات ، ولعلهم لا ينفرون من دعوتنا لهم إلى حوزة الدين ، فانها دعوة إلى الخير كله ، أما دعوتهم التى يدأبون عليها فى التحلل والإباحية فانها دعوة إلى الشر كله ، وإن استراحوا إليها ونشطوا فيها ١٠

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

حول الأنباء :

الاستعمار يتآمر ...

والقومية العربية تعمل

ارتبطت قناة السويس فى إنشائها بأمرين : البيت الحاكم فى مصر . . . والاستعمار الأجنبي . وكان طبيعيا بعد أن تخلصت مصر من البيت المالك ، والنظام الملكى كله .. وبعد أن خرجت القوات البريطانية المحتلة ، أن تفكر فى تصفية التركة المتخلفة عن الماضى البغيض ...

وجاءت مفاوضات السد العالى .. وألقت بريطانيا وأمريكا القفاز .. والتقطته مصر .. وأممت شركة قناة السويس !

وأرادت دول الغرب أن تقابل التحدى .. وكان أمامها أنواع من الإجراءات :

إجراءات دبلوماسية ، وقانونية ، وسياسية : تتلخص فى المفاوضات المباشرة ، أو الوساطات والمساعى الحميدة ، أو التحكيم ، أو الشكوى لمجلس الأمن أو هيئة الأمم أو محكمة العدل .

إجراءات اقتصادية : وقد كان التوقف عن تمويل السد العالى ـ بلا شك ـ فاتحة حرب اقتصادية سواء أحدث تأميم شركة القناة أم لم يحدث . . . هذا رأينا الذى لا نحيد عنه .

إجراءات عسكرية : وهنا ستخدم إحدى الدول الغربية القوة المباشرة ، أو تستخدمها الدول الغربية متعاونة ، أو ستصدر قرارا من أحد الأحلاف العسكرية

بذلك ، أو تستغل مجلس الأمن وهيئة الأمم فى هـذا السبيل . وهناك إسرائيل مستعدة للوثوب من الباب الخلفى كالعصابة المرتزقة المـأجورة ـ إذا قبضت الثمن !

واختارت دول الغرب من كل برية شوكة . . .

اختارت أن تعقد مؤتمرا من أربع وعشرين دولة ، رفضت منهما اثنتان الحضور .

واختـارت فى الوقت نفسه أن تقيم القيود على المعاملات الاقتصادية ، بجمدت أرصدة مصر فى البنوك الخـاضعة للدول الغربية ، حتى تهددت مرتبات رجال السلك السياسى نفسها ، وأخيرا أعفيت هذه من الحظر . . . بعد لأى .

كما اختارت دول الغرب أن ترسـل قوات عسكرية بحرية وبرية وجوية إلى قواعد البحر المتوسط ، وبعد أن أرسلتها راحت تتلطف فى شرح مهمتها .

بقى نوع رابع من الإجراءات ـــ لا يدخل تحت وصف . . . لأنها إجراءات التآمر والدس والخيانة والفتنة . . . مثل المحاولات المختلفة التى تجرى لتعطيل الملاحة فى القناة . تارة يعقد قنصل فرنسا فى بورسعيد اجتماعات للموظفين الأجانب ويقيم الاتصالات لتأليبهم على هيئة الإدارة الجديدة ، وتارة تقـدم الشركة الملغاة إغراء شهيا بدفع مرتب ثلاث سنوات لمن يمتنع عن العمل . . . وتتصل بالمرشدين فى الإجازة حتى لا يعودوا ، وقد قيل إن عدد المرشدين كلهم ٢٠٧ ، منهم ٦١ انجليزيا ، ٥٤ فرنسيا ، ٤٠ مصريا ، والباقى من جنسيات أخرى . . . ثم هناك الإشارة المريضة فى خطـاب سلوين لويد لحوادث ٢٦ ينـاير سنة ١٩٥٢ ، والإشاعة التى أطلقها الاستعمار بحرق أجنحة الغرب فى معرض دمشق . . . كلها محاولات لا تدخـل تحت اسم ولا وصف ممـا اصطلح عليه العرف والقانون ، وأهم هذه الإجراءات ما يمس النواحى الاقتصادية والعسكرية .

أما الإجراءات الاقتصادية : فهى تحصيل حاصل ـ كما قلت . . . إن هذه الدول منذ توقفت عن تمويل السدّ العـالى وشهرت بمكانة الاقتصاد المصرى فى العالم ، قـد بدأت سلسلة أعمال مدروسة متتابعة لإحراج الحكومة المصرية . . . وكان لا مندوحة من مواجهة هذه الأعمـال ، مهما كان الموقف . وأيسرها طبعا التلـكؤ فى الإفراج عن نصيب مصر من الأرصدة الاسترلينية المقرر وفقا للاتفاقيات . . .

وأما الإجراءات العسكرية : فأن إسرائيل ـ الكلب العقور ـ أمره ليس جديدا ولا غريبا . . . وإسرائيل تصرخ فى دول الغـرب تريد السلاح ، والغرب يريد تحطيم القومية العربية فى وثبتها الجديدة، وتحطيم الأسلحة المستوردة من روسيا وتشكوسلوفاكيا، فمن مصلحة الفريقين أن يتفقا .

أما الإجراءات العسكرية المباشرة عن طـريق الدول الغربية نفسها فعليها أن تواجه خطرين :

الخطر الأول : استعجال حرب عالمية نتيجة لتدخل روسيا . . . حقيقـة ان الدول كلها تسعى لتأجيل الحرب العالمية ـ بما فيها روسيا ، وحقيقة ان الدول الغربية تسيطر على استراتيجية الشرق الأوسط وتستطيع أن تقفله فى وجه روسيا إلى حدّ كبير . . . ولكن ليس معنى هذا أن روسيا لا تجـد سبيلا إلى التدخل ـ إذا أرادت : تستطيع أن تتدخل عن طريق المتطوعين ـ مثلما تدخلت فى حرب كوريا ، فلا تصبح الحرب عالمية ، وقد لوّح بهذا شبيلوف بعد نهاية مؤتمر لندن، وتستطيع أن تتدخل فى منطقة أخرى غير الشرق الأوسط من المناطق المشحونة بالتوتر . . . أمامها ألمانيا بشطريها ، وكوريا بشطريها، والصين وفرموزة ، والهنـد الصينية بشطريها . . . كلها مناطق صالحـة للاشتعال ، بأن يتحرك الشطر الموالى للكتلة الشرقية ضـد الآخر ، فيؤثر هذا حتما على الاستراتيجية والتكتيك فى معركة قناة السويس . وقـد أشارت جريدة « جورنالى دتياليا » إلى شىء من هـذا حين قالت : « ليس من الضرورى أن يكون الإنسان استراتيجيا ليدرك خطة العمل السوفييتى التى تنحصر فى اجتذاب القوات الغربية من أوربا للهجوم ، فى الوقت الذى تراه موسكو ملائما ، فتكتسح خطى براغ ـ مانيس ـ باريس ، وبودابست ـ زغرب جوريزيا » .

والخطر الثانى الذى يواجه الغرب : انطلاق ميدان المعركة حتى يعم الدول العربية كلها . . . وفرنسا ما زالت تترنح تحت ضربات المغرب العربى ـ وخاصة الجزائر . وليبيا هددت حكومتها بالخطر على القاعدة الأمريكية الضخمة ، وسوريا ولبنـان والمملكة السعودية والعراق تمتلك إما منابع البترول وإما أنابيبه . . . فأذا ساعدتنا الشعـوب الحرة الأخرى بقدر ما تستطيع ، كالهند وموقفها معروف، والصين الشعبية وفيها مسلمون

وهى ليست عضوا فى الأمم المتحدة ومن ثم لا تلتزم بقراراتها ، وأندونيسيا وهى شريكة الهند فى « باندونج » وفى أرضها صـدرت قراراته ، كان على الاستعمار أن يواجه جبهة متسعة شاسعة .

ماذا يقولون ؟ :

ولا شك أن الغرب قـد اعترف بهذين الخطرين وحاول التهوين من شأنهما . فقد علقت وكالة الأسوشيتدبرس على موقف شبيلوف ـ وزير الخارجيـة الروسى فى مؤتمر لندن ـ بقولهـا : « ... ولـكن الدبلوماسيين الغربيين قـد لاحظوا أن شبيلوف قد كشف عن إدراك حى للأخطار التى قد تنجم عن إدارة مصرية مطلقة للقناة ، ودعا إلى عقد معاهدة جديدة لضمان حرية القنـاة وحقوق مصر ، وإيجـاد تعاون دولى مع مصر لضمان استقرار رسوم السفن، والاتفاق على ألا تكون القناة مبعثا للتهديد بعمليات حربية، أى لا تـكون منطقة قاعدة حربية كالقاعدة التى كانت تستخدمها بريطانيا . ويقول بعض الدبلوماسيين الغربيين : إن هذا قد يكون إشـارة إلى رغبة روسيا للاشتراك مع الدول الأخرى فى إدارة القناة إذا وافقت مصر » . وذهبت « الديلى سكتش » البريطانية هذا المذهب ، وقالت إن دبلوماسية إيدن قد طوت شبيلوف » .

كذلك يعلق الغرب أمـلا كبيرا على الضغط الاقتصادى : فالأسوشيتدبرس تقول : « وهناك أمر واحد مؤكد: أن دول الغرب فى وضع يمكنها من تشديد ضغطها الاقتصادى على المصريين بوسائل يمكن أن تجعل الحياة عسيرة جدا » وقد علقت صحيفة الاستاتيست البريطانية على الإنذار الذى وجهته الحكومة البريطانية إلى الشركات التجارية الإنجليزية بألا ترسل سلعا إلى مصر إلا إذا كان ثمنهـا مدفوعا بمقتضى اتفاقات سابقة لتاريخ تأميم القناة أو كان الدفع من موارد أخرى غـير أرصدة مصر الاسترلينية وقالت : « إن هـذه الحركة ستشدد من المصاعب التى تواجه مصر ، ولمـا كانت السلطات البريطانية قد طلبت إلى حكومات الدول الغربية الأخرى ألا تشجع البنوك المحلية على سد الثغرة فى تدابير مصر الخاصة بالتمويل الناشئة عن سحب تسهيلات الدفع بالاسترلينى ـ وهو الجزء الأكبر فى التمويل عادة ـ فان مصر قد تستخدم ما بقى لديها من الذهب والعملة الأجنبية فى تمويل تجارتهـا وفى سد الثغرة فى مدفوعاتها الخارجية .. والاحتياطى عندها لا يزيد على ٩٠ مليون جنيه» وقد فات هذه الصحيفة أن الدول الغربية ليست هى كل شىء فى العالم ، وأن الدول العربية

ودول الكتلة الشرقيــة تستطيع أن تعاون مصر بإجراءات مصرفية واقتصادية ، لا يتسنى للغرب مواجهتها إلا بأن يعمم الحظر المـالى الذى فرضه على كل هذه الدول .

لقد ذكرتنا انجلترا بحصارها الاقتصادى السابق على نابليون .

المؤتمـر :

أما الإجراءات الدبلوماسية فقــد دعا الغرب إلى مؤتمر لندن . وأعادنا إلى عهــد المؤتمرات فى القرن التاسع عشر ، وسياسة مترنيخ ، وقد برر هذا المؤتمر بأنه نوع من التحكيم عرضت له مواد ميثاق هيئة الأمم ، وبرر عدم اللجوء للهيئة التى يستشهد بميثاقها بأن إجراءاتها طويلة جدا .

وقد تمخض المؤتمر عن هذه الاقتراحات بشأن تدويل القناة .

١ — إدارة دولية مبـاشرة : وهذا ما دعت إليه فرنسا أولا .

٢ — إشراف دولى : بتشكيل مجلس إدارة دولى يكون مسئولا عن إدارة أعمال القناة وتشترك مصر فيه ، ويرتبط بالأمم المتحدة ، على أن تدير مصر القناة تحت إشرافه ، وتشكل هيئة دولية للتحكيم وتحدد عقوبات لمن يخرج على القواعــد الدولية . وهــذا ما دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية ، واعتبر هذا اقتراح الدول الغربية الثلاث .

٣ — تعاون دولى : وهو ما اقترحته باكستان ... وما لبثت أن انضمت للمشروع الغربى بعد تعديلات خفيفة تهدف إلى عــدم فرض إرادة المؤتمر على مصر ، واشتركت فى التعديلات تركيا وإيران ، وقبلتها الدول الغربية .

٤ — إدارة مصرية ويشترك فى المجلس دول محايدة غـير الدول الـكبرى : وهذا هو الاقتراح الأسبانى الذى أعلنه أرتاخو ، وندد بالإشراف الدولى واعتبره انتقاصا للسيادة . ثم ما لبث أن عاد إلى إسبانيا على نحو مريب ، وخلف نائبه ليعلن الانضمام إلى المشروع الغربى مع بعض التحفظات !

٥ — لجنــة استشارية : تمثل مصالح المنتفعين بالقناة على أساس التمثيل الجغرافى والمصالح ، وتتولى الهيئة الإشارة والاتصال ، وتبلغ الحـكومة المصرية تقريرها إلى هيئة الأمم المتحدة ، وهذا هو اقتراح الهند الذى أعلنت مصر أنها يمكن أن تتخذه أساسا

٦ — معاهدة جديدة : وهذا هو الاقتراح الروسى ، وكانت مصر قد أعلنت فى بيانها أنها مستعدة لعقد معاهدة جديدة لتأكيد معاهدة القسطنطينية ، تودع فى سكرتارية هيئة الأمم ، فتكون مسئولة دوليا إذا أخلت فى إدارتها بما التزمته من ضمانات . واتصل وزير الخارجية المصرية بسفراء الدول التى تهمها الملاحة بالقنال ليبلغهم أنه مستعد لتلقى شكاويهم بشأن الملاحة ، على أن يكون مؤكدا أن مصر لا تقبل الإشراف الدولى على القناة .

وقد ردت مصر . . وأعربت عن وجهة نظرها فى يوم انعقاد المؤتمر ذاته ، وتتابعت التصريحات الرسمية بعد ذلك ، وهى تقرر أن ما تقبله مصر هو :

معاهده جديدة .

مؤتمر أوسع نطاقا مقره القاهرة ، وتدعو له مصر دول اتفاقية القسطنطينية والدول التى تستخدم القناة .

لجنة استشارية فنية ، ليس لها أى طابع سياسى .

القوميـة العربية :

إن القومية العربية هى التى تعمل الآن . . . لم يعد هناك قضية مصرية ، بل عربية . .

هكذا تتابعت التصريحات الرسمية من مصر . . . وتأيدت عمليا فى حركات يوم ١٦ أغسطس ، من إضرابات ومظاهرات ومؤتمرات وخطب وبرقيات . وقدمت سوريا « بعثة طوافة » على رأسها رئيس حكومتها زارت العراق والأردن والمملكة السعودية لتنسيق التعاون على تأييد مصر .

ولقد أنعش القلب موقف الدول العربية التى أعلن استقلالها الرسمى قريبا . . .

إن عمرها السياسى والوطنى يفوق عمرها الزمنى . . . إنها تنمو بسرعة ، وتستفيد من تجارب الذين سبقوها ولا تتعثر فى أخطائهم .

فكيف نعبر عن تقديرنا لموقف السودان الحبيب . . . حكومة وشعبا . . . أحزاب الحكم والمعارضة ؟ ؟ إننا نحيى هذا الوعى الشعبى ، وهذه البداية الظيفة للسياسة السودانية .

وليبيا . . . المثقلة بالاتفاقات المالية والسياسية والعسكرية . . . إن وزير الخارجية بالنيابة يقول للسفير الأمريكى : إن الحكومة لا تستطيع أن تحمى أكبر قاعدة أمريكية

فى الشرق الأوسط موجودة فى أرضها ، إذا هددت مصر ... ويدهش السفير ويسأل الوزير : هل هذا الـكلام رسمى ؟؟ ... ويؤكد الوزير كلامه ... ويؤكد رئيس الوزراء الذى كان بمصر لحضور اجتماعات الجامعة العربية موقف الوزير .

وتونس ... ومراكش ... كلاهما يؤيدان مصر .

والبحرين ... التى لم تنل بعد استقلالها ... إن الاتحـاد الوطنى هناك أعلن تضامنه مع البلاد العربية .

وانتفضت الشقيقات الكبيرات ... لقد كان تصرف الدول الشابة مثيرا ومشجعا ... اقبلت العراق تشارك الدول العربية ... وأقبلت المملـكة السعودية تهدد بالبترول ، وأذيع نبأ ذلك من السفارة المصرية بفرنسا .

أين كان هذا ... وقت قضية فلسطين عام ١٩٤٨ ؟؟

إن ثمـانى سنوات ... قد فعلت فينا الـكثير !!!

والآن :

لقد انتهى مؤتمر لندن ، فماذا كان الهدف من وراء انعقاده ؟ ؟

كان الهدف إكساب الدول الغربية سندا أدبيا . . . وإعطاءها ستارا يكون بمثابة « كاموفلاج » للاستعدادات العسكرية . . . وإلقاء بعض المـاء على نار الحماسة العربى! وتعريض البلاد لفـترة يتخللها ضغط اقتصادى ومناورات عسكرية وألاعيب فى القناة ، ثم قرارات المؤتمر ! ! !

وكان هذا ظاهرا فى طريقة اختيار الأعضاء ... ومناورات السياسة والحرب .. وإدارة الجلسات .

ولقد نجح المؤتمر من وجهة النظر الاستعمارية فى الوصول إلى تأييد الدول الغربية ، وإحداث (تغيير فى المنظر) تواصل القوات العسكرية وراءه استعداداتها . . . ولم يكن معقولا ولا منتظرا أن تستدعى بريطانيا هذه الدول ، لتستصدر منها (دكريتو) باستخدام القوة !

فالذين طبلوا لنغمات السلام داخل المؤتمر ... ثم فاجأتهم النهاية ، والذين ظنوا أن مجرد اتفاق المؤتمر على استبعاد القوة كسب ... قد جانبتهم أطراف من القضية .

إن جيتسيكل زعيم العمال الانجليزى الذى يعارض استخدام القوة يؤيد التدويل ، والصحف الانجليزية التى تعارض إيدن تؤيد التدويل ... والدول التى أكدت سيادة

مصر أيدت التدويل داخل المؤتمر ... وأراد جتيسيكل أن يفتح القناة لإسرائيل ، ليغدق على جيوب المصريين مزيدا من الرخاء !!!

ودالاس ... الذى لا يحب الحرب ولا يستلطف استخدام القوة ... لم يحبذ أن يقرر المؤتمر قرارا اجماعيا ... لكى يترك الباب مفتوحا أمام كل دولة لتعلن عن القرار الذى ارتضته داخل المؤتمر عن طريق حكومتها ... وبذلك تعلن التدويل ، ثم تعلن ما تشاء من إجراءات لم يناقشها المؤتمر ، ولم تخطر له على بال ! ! !

أرأيت هذا الكلام المسموم ؟ ؟

ثم اتفق المؤتمر على أن يوفد مندوبى الولايات المتحدة واستراليا والسويد والحبشة وإيران لعرض الاقتراح الغربى على مصر .

ووافقت مصر على أن تستقبل اللجنة ... بعد أن أكدت أنها لا تحمل إلا محاضر المؤتمر ، وأن الالتقاء بها والتحادث معها لا يقيد أحد الطرفين .

وقد لاحظنا بعد نهاية المؤتمر :

١ — استمرار المظاهرات العسكرية :

٢ — السير فى محاولات الاتصال بمرشدى القناة لعرقلة الملاحة . وقد صرح الانجليز بأنهم لا يتدخلون فى حرية رعاياهم الشخصية إلا أنهم رجعوا فأذاعوا أنهم ناشدوا موظفى القناة الأجانب الاستمرار فى العمل إلى حين ، وأذيع مثل هذا عن اللجنة الخماسية ، ومعنى هذا أن الانجليز يتابعون إصدار الأوامر إلى رعاياهم الذين يعملون بالقناة ، بل قد حاول الغرب الاتصال بالراغبين فى الالتحاق بالعمل فى الإدارة الجديدة من البلاد المختلفة لحملهم على العدول .

٣ — رحلة الملك حسين إلى الرئيس شكرى القوتلى ، والمحادثات المشتركة بينهما بشأن الموقف العربى ، ورحلة الأمير زيد بن الحسين سفير العراق بلندن إلى الملك سعود .

٤ — استمرار الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية والأردنية ، وتجدد الحديث عن تحويل مجرى الأردن .

٥ — ومن جانب مصر ، تواصل البلاد التدريب ، والاستعداد على ساق وقدم ، وتدور المباحثات لمواجهة الموقف من الناحية الاقتصادية مع مديرى البنوك ووفود الدول كسوريا والصين الشعبية وألمانيا الشرقية . والله المستعان ٥٦

محمد فتحى محمد عثمان

أنباء العالم الإسلامي

تنسيق جهود العرب

لسلامة الوطن العربي الأكبر

تقرر عقد مؤتمر عام لمختلف الأحزاب والهيئات فى جميع الأوطان العربية لتنسيق جهود العرب فى سبيل نصرة القضايا العربية والدفاع كتلة واحدة من أجل سلامة الوطن العربى الأكبر ، وينتظر أن يكون انعقاد هذا المؤتمر إما فى دمشق أو فى بيروت .

ذكرى السنوسى الكبير

تقيم البلاد الليبية (طرابلس وبرقة) فى يوم الجمعة ٩ صفر حفلات كبرى لذكرى مرور مائة عام على وفاة الإمام محمد بن على السنوسى الكبير مؤسس الزوايا السنوسية فى جغبوب وفروعها فى ليبيا وأنحاء شمالى إفريقية . ويمثل مصر فى هذه الذكرى مفتى الديار المصرية ووزير الأوقاف والامين العام للجامعة العربية والسكرتير العام للأزهر والمعاهد الدينية ، والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وتستمر مهرجانات الذكرى مدة أسبوع ، ويزور كبار المدعوين المعالم السنوسية فى بنى غازى والبيضاء والجبل الأخضر وغيرها

حالة ليبيا

كما يصفها رئيس وزارتها

مر السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا ببيروت ، وتحدث إلى مراسل دار الأخبار فيها ؛ ومما قاله له : إن معاهدتنا مع انجلترا لم تمنعنا أن نتبادل التمثيل الدبلوماسى مع روسيا ، ولا أن نؤيد مصر فى تأميم القناة ولا أن نمنع بريطانيا من استغلال مطاراتها فى بلادنا لتهديد مصر وسلامتها . . إننا أحرار . . أحرار ، نأخذ من بريطانيا خمسة ملايين جنيه استرلينى فى العام وليس فى جيشنا أى ضابط بريطانى ، ونأخذ من أمريكا اثنى عشر مليونا من الدولارات ولا نتركها تتدخل قيد شعرة فى سياستنا . إننا نعرف أنفسنا ونتبع حكمة معاوية «إذا لم يجد فيك الناس رهبة أو رغبة استهانوا بك» .

ثم قال : « هل تريد الصراحة ؟ نحن لا نستطيع أن نقف على أرجلنا قبل مضى خمس عشرة سنة . إننا دولة جديدة تحتاج إلى كل قرش يأتيها من الخارج ، وعند ما تنتهى فترة البناء لن تجد فى ليبيا من يرضى بهذه المعاهدة أو يسكت عنها ، إن معاهدتنا

أصلح من معاهدة الأردن : إننا رفضنا أن نفاوض الانجليز على أساس معاهدتهم مع الأردن .

نحن نأخذ منهم المال بأيدينا ، ونصرفه بأيدينا . نحن نأخذ منهم السلاح مجانا ، نحن لا نرضى بوجود بريطانى واحد فى جيشنا ، نحن لا ندعهم يتدخلون فى سياستنا الخارجية . نحن جمدنا لهم جميع مالهم عند ما دعانا واجب الأخوة نحو مصر » .

غابة فى شمال القاهرة

تقرر إنشاء غابة مساحتها ٨٠٠ فدان فى شمال القاهرة عند الجبل الأصفر ، واعتمد لذلك أربعون ألف جنيه ، وتم بالفعل زراعة ١٧٦٠٠ شجرة فى مساحة قدرها ١٨٥ فدانا ، منها ٨٤٠٠ شجرة حور من الأصناف الممتازة التى تدخل أخشابها فى صناعة الأبلاكاج والأثاث وأعواد الكبريت .

وينتظر استغلال هذه الغابة فى ابريل القادم .

يقظة الضمير

فى جامعة كمبريج بانجلترا

لأول مرة فى جامعة كمبريج ، بل فى الحياة العلمية ببريطانيا ، يستيقظ الضمير الإنسانى فتتوحد كلمة خمس عشرة جمعية جامعية تمثل أكثر من ألفى طالب فى الانتصار لقضية إنسانية وتأييدها ضد الاستعمار ، فقد اشتركت هذه الجمعيات فى بحث قضية الجزائر والمجزرة الهمجية التى تقوم بها فرنسا فى الشعب الجزائرى على مشهد من حضارة القرن العشرين ، واعتبروا ذلك تدهورا معيبا للانسانية ، وأعلنوا فى قرارهم أنهم يعتقدون اعتقادا ثابتا أن أى حل لمشكلة الجزائر يجب أن يقوم على أساس حق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره بنفسه .

كتيبة علماء الأزهر

احتفل بتخريج الكتيبة العسكرية الأولى من علماء الأزهر وموظفيه فى جيش التحرير للجهاد فى سبيل الله ، وكان فى طليعة كتيبة الجهاد الأزهرية التى أتم أفرادها تدريباتهم على استعمال الأسلحة والذخيرة الحية فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأصحاب الفضيلة سكرتير الأزهر العام ومدير التفتيش والمدير العام للوعظ والإرشاد .

وقد تمت تدريباتهم خلال أسبوعين فى معسكر خاص بساحة كلية الشريعة وأشرف على تدريبهم البكباشى صلاح المراسى قائد معسكر الجامعات فى جيش التحرير والصاغ محمد الطيبى رئيس المعسكر ، وقد سجل كبار علماء الأزهر — برغم تقدمهم فى السن — إصابات وأهدافا عسكرية ممتازة .

الأدب والعلوم

انفجار فى الشمس

حدث فى الأسبوع الماضى انفجار جسيم فى الشمس يقول علماء الطبيعة فى معهد سويسرا الفيدرالى إن قوته تزيد عن قوة انفجار مليار قنبلة ذرية . وقد شمل الانفجار مساحة فى الشمس تقدر بخمسة أضعاف مساحة الكرة الأرضية . قالوا ولم يكن له خطر على الإنسان فى الأرض لأن الجزيئات الذرية المنبعثة من الانفجار لاتصل إلى الأرض ، وغاية ما كان له من الأثر اضطراب فى الموجات اللاسلكية القصيرة ورداءة الطقس فى بعض الأنحاء .

حضارة العرب والاسلام

فى جزيرة صقلية

فى المؤتمر الدولى الأول الذى انعقد فى بالرمو بجزيرة صقلية للاخصائيين فى تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط فى الأسبوعين الماضيين قدم الدكتور أحمد فكرى بحثا قيما عما تدين به حضارة صقلية للحضارتين العربية والإسلامية اللتين أنار مشعلهما هذه الأرجاء أمدا طويلا ، وكانتا الينبوع الذى استمدت منه العلم والمدنية وأساليب الحياة .

وقد وافق المؤتمر على عدة مقترحات تقدم بها الدكتور فكرى مندوب مصر ، وفى مقدمتها تخصيص قاعة لعرض صور تمثل الآثار والمبانى فى صقلية ومايقابلها من آثار ومبانى البلاد الأخرى ، ليظهر على نحو جلى مدى ما انطبعت به حضارة صقلية من حضارات البلاد الأخرى . كما قرر المؤتمر تخصيص قاعة أخرى لعرض الخرائط الجغرافية التى تصور الاتصالات بين صقلية وبلاد البحر الأبيض المتوسط فى مختلف العصور .

ومن المعلوم أن الشريف الإدريسى كان قد استدعى إلى صقلية ليكون حامل مشعل العلم فيها ، وعليه تتلمذ ملك صقلية وكبارها ، وفى صقلية ألف كتابه العظيم فى الجغرافيا ، ورسم الخرائط الجغرافية التى لاتزال محفوظة ومعروفة إلى الآن .

توحيد مستوى الشهادات

فى البلاد العربية

أوصى مؤتمر التعليم الثانوى للبلاد العربية ـ الذى عقد أخيرا فى بيروت ـ بتوحيد مستوى الشهادات العامة بالبلاد العربية ، لإمكان التبادل الثقافى بين مختلف الدول العربية .

الأزهر

فى أندونيسيا وباكستان

قررت مشيخة الأزهر إنشاء مركزين ثقافيين جديدين أحدهما فى أندونيسيا والآخر فى الباكستان ، وتتكون نواة هذين المركزين من نحو عشرة من العلماء الممتازين الذين يعرفون لغة أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية . وسيتولى الخمسة الأزهريون فى كل من هذين المركزين إنشاء المركز الجديد فى الجهة التى بعثوا اليها ، وسيعدون لكل مركز الدار الضخمة التى تليق به ، ويختارون من علماء أندونيسيا والباكستان العدد الذى يحتاجون اليه للمعونة والتوجيه . وقد أدرجت مشيخة الأزهر المبالغ المالية اللازمة لهذين المركزين فى ميزانيتها .

الكلية الجامعية للبنات

إن فوضى اختلاط الجنسين فى التعليم الجامعى قد زكمت أنف الجو بريحها الكريه فى السنوات الأخيرة ، حتى لم تستطع أن تكابر فى ذلك أكثر الصحف فجورا . زد على ذلك أن الثورة فى آمالها نحو تكوين الأسر الصالحة صارت تشعر بالحاجة إلى عنصر نسائى مهذب يساعدها على بناء نظام الأسرة القوية فى مستقبل مصر ، لذلك قامت بتأسيس كلية جامعية للبنات فى جامعة عين شمس ، وهى ستكون فى البداية مؤلفة من أربعة أقسام أو كليات : للآداب ، والتربية ، والعلوم ، والاقتصاد المنزلى . وإن الاقتصاد المنزلى نفسه مبتكر لأول مرة فى تعليمنا الجامعى ، وستمنح خريجاته درجة بكالوريوس أسوة بالأقسام الأخرى . وقد تم الآن تعيين هيئة التدريس لقسم التربية ، وسينتهى قريبا من تعيين الأساتذة للأقسام الأخرى . وقد كان إقبال البيوت العفيفة الشريفة على تقديم بناتهن لهذه الكلية عظيما جدا ، فان الكلية قررت أن تأخذ فى هذا العام مائة وخمسين طالبة ، فتقدم لها ثمانمائة طالبة . وهذا مما يدل على أن مصر لا تزال بخير ، وأن دعاة الفجور والاختلاط كاذبون فى دعاويهم . وقد اختير لهذه الكلية الجامعية للبنات قصر السلطانة السابقة ملك فى مصر الجديدة ، وتفتح الكلية أبوابها فى الأسبوع الآتى .

معهد الفتيات الدينى

تقرر افتتاح معهد الفتيات الدينى فى مدينتى القاهرة والإسكندرية فى العام الدراسى الحالى ، وستشرف على هذين القسمين إحدى مديرات معاهد البنات ، وقد حرصت مشيخة الأزهر على أن تكون برامج الدراسة كفيلة باعداد ربات البيوت على النظام الذى يجمع بين سعادة الدنيا والدين ، وأرسلت مشيخة الأزهر هذه البرامج إلى وزارة التربية والتعليم للموافقة عليها .

الازهريون الجدد

يتلق طلبة الأزهر زملاءهم الجدد لهـذا العـام ، وفى يوم السبت ٣ صفر الامتحان التحريرى للقبول بالسـنة الأولى الابتدائية فى المعاهد الدينية بالقـاهرة والاسكندرية والأقاليم، وقد حدد الأزهر عدد الأزهريين المستجدين هذا العام بثلاثة آلاف طالب، نرجو الله أن يكونوا من أهل الدعوة للخير .

الدراسة فى الازهر

يبدأ الموسم السنوى للدراسـة فى كليات الأزهر والمعاهد الدينية ومعهد البعوث فى يوم السبت ١٠ صفر (١٥ سبتمبر) .

رعاية الاحداث وتعليمهم

تقرر إنشاء مؤسستين للأحداث فى القاهرة إحـداهما فى العباسية ، والأخرى فى مصر القـديمة (الفسطاط) تتسع كل منهما لنحو ألف وخمسمائة طفل ، وهى الخطوة الأولى فى سبيل تنفيذ مشروع كامل يرمى إلى رعاية جميع الأحداث وتعليمهم فى خلال السنوات الخمس القادمة، وهؤلاء الاحداث من الذين لا عائل لهم ، وقـد أهمل المجتمع أمرهم فيما مضى فكانوا يعيشون بـلا رعاية ولا إرشاد منزلى أو قومى .

التعليم الثانوى فى الجزائر

يزيد عـدد المسلمين فى الجزائر على ستة ملايين ، وقد حرم أبناؤهم من التعليم فليس لهم فى المدارس الثانوية غـير ٧٠٠ تلميذ ! بينما أبناء الفرنسيين المتوطنين فى الجزائر يتعلم منهم فى المدارس الثـانوية ٢٥٠٠ تلميذ ، أى نحو أربعة أضعاف أمثالهم من أبناء الشعب الجزائرى كله .

حلقات دراسية

تنشئها الجامعة العربية

تقوم جامعة الدول العربيـة بالاستعداد لعقد مؤتمرات وحلقات دراسية خلال العام القـادم بينها المؤتمر العربى الثالث للثقـافة لبحث تدريس التاريخ والجغرافيا للمدارس المختلفة .

وستعقد أربع حلقات دراسية : الأولى لوضع خطة طويلة الأمد فى ترجمة الكتب العالمية إلى اللغة العربية ، والثانية لتربيـة المكفوفين ، والثالثة لدراسة تعليم اللغات الأجنبية وآدابها فى المعاهد العربية، وستنظم مؤتمرا لأساتذة الجامعات والمعـاهد العليا فى البلاد العربية .



الأدب المفرد — للبخارى

بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ـ ٣٥١ ص ـ المطبعة السلفية بالقاهرة

الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦) أول من وضع فى الإسلام كتابا محض فيه صحيح السنن ومحصها ، بالشروط الدقيقة التى اشترطها ، فقطع الطريق بذلك على أهل البدع الذين نجمت قرونهم فى عصره ، ففشلوا فيما رسموه من الخطط لإفساد السنة المحمدية ، وحرمان الإنسانية من هذا الينبوع الصافى للتشريع والتهذيب وحسن التوجيه إلى الحق والخير . وإذا كان عام ٢٢٠ ـ كما يقول الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ـ هو الحد الفاصل بين آخر البطون الثلاثة الأولى التى وصفها النبى صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، وبين زمن البدع والمذاهب الزائغة والدعوة إلى تشويه الإسلام ، فيكون الإمام البخارى هو الرجل الذى أعده الله لإدراك نهاية القرون الثلاثة بالشطر الأول من حياته ، فتسلم منها أمانات الإسلام ، كما أعده بالشطر الثانى من حياته ليستقبل زمن الفتنة بجهاده وجهوده ويقيم له ولأهله هذه القلعة الحصينة من سنة رسول الله فيقضى بها على كل محاولة سافرة أو مدسوسة لاتلاف الإسلام وتحويل مجراه .

ولما كان الأدب والخلق والتوجيه الاجتماعى من أهم عناصر رسالة الإسلام ، فاننا نجد له فى صحيح الإمام البخارى مكانا متسعا ألمّ بأمهات ما توارثه أئمة الإسلام من الحديث النبوى ، ثم رأى البخارى أن هذا الموضوع يستحق زيادة العناية به ، والأمة الإسلامية فى حاجة إلى استقصاء سائر ما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، (فأفرد) لذلك هذا الكتاب الجليل الذى سماه (الأدب المفرد) ووضعه فى أيدى الناس ليستنوا بسنته فى أنفسهم وبيوتهم وتأديب بنيهم ، والتعامل مع أفراد المجتمع فى أنديتهم وأسواقهم ودواوين حكمهم .

وكان (الأدب المفرد) للبخارى قد طبع فى سنة ١٣٠٦ ببلدة آرة فى الهند ، ثم فى القسطنطينية سنة ١٣٠٩ ، وفى القاهرة سنة ١٣٤٩ ، وكان ينبغى أن تكون الطبعة المتأخرة أصح وأحظى بالعناية من الطبعة المتقدمة ، إلا أن الأمر جاء بالعكس فبقيت طبعة الهند خيرا من الطبعتين التاليتين لها ، ولذلك رأى الوجيه الحجازى الكبير الشيخ يوسف زينل أن يعاد طبع هذا الكتاب فى المطبعة السلفية بالقاهرة ، وقد تفضل علامة الحجاز الشيخ محمد نصيف فاستعار على مسئوليته من مكتبة الحرم المكى الشريف نسخة مخطوطة من الأدب المفرد ونسخة من الطبعة الهندية وأرسلهما إلى صديقه رئيس تحرير هذه المجلة ، وتولى الفاضل المحقق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى معارضة نصوص هذا الكتاب بما ورد منها فى الكتب الستة ، ونبه على موضع كل حديث اتفق وروده فيها . كما قام بترقيم الأبواب بأرقام متسلسلة فبلغت ٦٤٤ بابا ، وبترقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة كذلك فبلغت ١٣٢٢ حديثا .

وكتب رئيس تحرير هذه المجلة مقدمة الكتاب ، واستعرض فيها حياة الإمام البخارى من نشأته الأولى إلى أن بلغ القمة فى كيان الإسلام العلمى ، وذكر مما امتاز به هذا الإمام العظيم أنه كان من زمن طفولته يعنى باستيفاء تراجم الرواة حتى كأنه يعيش معهم ، فكان يعلم الراوى وبيئته وعمن كان يروى ومن هم الذين رووا عنه ، فاذا حدث أحد فأخطأ فى سند الرواة أدركه البخارى ، لأنه يعلم الراوى وشيوخه وتلاميذه وأزمانهم وأوطانهم .

وقد ألحق بآخر هذه الطبعة من الأدب المفرد فهرس تفصيلى لأبوابه بأرقامها وأرقام الأحاديث التى فيها .

ومع أن هذه الطبعة من الأدب المفرد قد امتازت بكل ما ذكرنا ، فان المجال لايزال متسعا لخدمة هذا الكتاب خدمة أخرى أوسع وأدق ، وقد اتخذت الأهبة لتحقيق ذلك بعد نفاد هذه الطبعة إن شاء الله .

يسر الاسلام

وبيان أشياء من مناسك حج بيت الله الحرام

هذه رسالة لطيفة فى مناسك الحج وتحوى ما صح منها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ألفها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود الشريف قاضى حكومة

قطر فى الخليج العربى ، وقد أورد فيها تحقيقات تقتضى التوسيع على الناس فيما ضيقوا به على أنفسهم فى مثل رمى الجمرات من الزوال إلى الغروب فى أيام التشريق ، مع أن رمى النبى صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة يوم العيد من أول النهار يقتضى جواز الرمى فى الأيام الأخرى قبل الزوال فيزول الحرج فى هذا الزمن الذى ازداد به عدد الحجيج وازداد الازدحام بسبب ذلك .

والرسالة مطبوعة فى مطابع دار المؤيد فى البحرين ، وهذا مما ابتهجنا له أن تقوم حركة الطباعة فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى بلغت الرياض فى أعماق نجد ، والطباعة رائد الحضارة والعلم ، يتسعان باتساعها ويستنيران بأنوارها . والله الموفق .

التحرير والتنوير فى تفسير القرآن الـكريم

لإمام تونس وشيخ جامعها الأعظم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

من منشورات دار الـكتب الشرقية بتونس

هو جزء فى قريب من ٤٠٠ صفحة ، انطوى على مقدمات التفسير وعلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم . وقف فيه مؤلفه مواقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، وأبدى فى تفسير القرآن نـكتا لم يرمن سبقه إليها ، واهتم فيه ببيان وجوه الإعجاز ونـكت البلاغـة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتم أيضا ببيان تناسب الآى بعضها ببعض .

ومقدمات الـكتاب وحـدها كتاب ، وهى عشر مقدمات : الأولى فى التفسير والتأويل وكون التفسير علما . الثانية فى استمداد علم التفسير . الثالثة فى التفسير بغير المأثور والتفسير بالرأى وشروط صحة التفسير . الرابعـة فى غرض المفسر . الخامسة فى أسباب النزول . السادسة فى القراءات وماله منها علاقة بالتفسير . السابعـة فى قصص القرآن . الثامنة فى آى القرآن وترتيبه وأسمـاء سوره . التاسعة فى المعانى التى تصلح جمـل القرآن للحمل عليها . العاشرة فى إعجـاز القرآن ومنه الإعجـاز العلمى والحـكمة وإخبـار القرآن بالمغيبات .

وهذه المقدمات فى مائة صفحة من حجم صفحات هـذه المجلة ، ثم يأتى تفسير سورة الفاتحة فسورة النبأ إلى آخر كتاب الله .

إن العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم بتونس وهو إمام تونس بل علامة شمال إفريقية وأديبها ، وقد ملأ الأرض علما بتحقيقاته ومؤلفاته ، وآخرها هذا التفسير النفيس . مد الله فى حياته .

الوجودية فى الميزان

للأستاذ محمد أبو المكارم عيسى – ٧٢ ص – المطبعة المنيرية

هذه رسالة ثانية فى الوجودية لفضيلة الأستاذ المؤلف ، وأصل هذه الرسالة الثانية محاضرة ألقاها فى نادى مأمورى الضرائب بين فيها مبادئ الوجودية وأغراضها ، ثم أضاف إليها زيادات لم يكن ليسمح بها الوقت المحدد لإلقاء المحاضرات ، فكان فيها بيان وربط بين أصول الذاتية قديما وحديثا ، فهى تتبع لمبادئ المذهب الوجودى ، ومقارنة بينها وبين تلك المذاهب القديمة . ويقول المؤلف إن الذين تكلموا على الوجودية لبس بعضهم منظار النائب العام اتهاما لها ، وارتدى بعضهم روب المحاماة دفاعا عنها . قال : ولكنى لم أرد أن أكون واحدا من أولئك ، كما أننى لا أتشح بوشاح القاضى ، وإنما سأكون الخبير الذى ندب لقضية غمضت ظروفها وخفيت قرائنها وعميت أدلتها ، فمهمته بسط الحقائق ، وإظهار القرائن ، ليستنير الطريق أمام العدالة .

ووعد باصدار رسالة ثالثة أوسع من هذه وأصرح .

الشكليات وروحها فى الاديان

للاستاذ واصف البارودى – ٤٠ ص – من منشورات عباد الرحمن

عباد الرحمن جماعة من شباب مسلمى لبنان ، اتخذوا لأنفسهم شعارا من قول الله عز وجل « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقد سمعنا عنهم كلمات الثناء من أنحاء مختلفة آخرها للاستاذ السيد أبو الحسن

الندوى فى مجلة البعث الهندية ، وهذه الرسالة (الشكليات وروحها فى الأديان) كتبها فاضل منهم وهو الأستاذ واصف البارودى من كبار رجال التعليم ، وقدم لها رائد الجماعة الأستاذ السيد محمد عمر الداعوق ومدارها على توخى روح الشعائر عند القيام بها وإلا كانت رياء يعود على صاحبه بالإثم ، لأن الأعمال بالنيات لا بظواهر شكلياتها ، والإسلام باعتماده على الحس الداخلى المستنير حيث تبيت النية إنما أراد من الشعائر روحها وحقيقتها وأثرها فى النفس المسلمة ، لأن الإسلام دين صدق وتعقل وتفكير يؤدى إلى تذوق مرهف لحقائق الوجود ، وهذه المعانى العظيمة إذا تدبرها الشباب الإسلامى وعمل بها يوشك أن يكون منه جيل يستحق أن يكافئه الله بمثل ما كافأ به أسلافه من أهل الصدر الأول ، والله المعين .

رباعيات الخيام الحقيقية

للاستاذ عبد الغفار الهاشمى — ١١٤ ص — مطبعة الشرق

الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانستانى يجيد اللغة الفارسية وقد مارس تدريسها ، ثم قام أخيرا بترجمة رباعيات الخيام عن أصلها الفارسى ، وقد أورد النص الفارسى لكل رباعية وأعقبه بترجمته ثم أوضحه بما يزيده بيانا ، وقدم للكتاب مقدمة طويلة عن الخيام ورباعياته وترجماتها بالعربية وبمختلف اللغات الأخرى ، فلفت إليها الأنظار .

تصويب

وقع فى باب وصف الكتب من الجزء الماضى خطأ فى تعيين بداية الجزء السادس من تفسير الطبرى ونهايته . والصواب أنه يبتدئ من آية « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وينتهى بآية « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو (افتدى) به » . فنرجو من الله الغفران ومن القراء التصحيح .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الثالث ـ القاهرة فى غرة ربيع الأول ١٣٧٦ ـ ٦ أكتوبر ١٩٥٦ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــــذا هو الغرب ...

هذا هو الغرب ، وهذه مواقفه من الحق ، ومن السلام ، ومن التعايش الإنسانى ...

كلهم أنطونى إيدن ، وكلهم جى موليه ...

كلهم روبرت منزيس ، وكلهم جنرال بيرنز !

إن وعد بلفور لليهود باحلالهم فى مزارع العرب ومرافقهم ، وبانزالهم فى بيوتهم ومعابدهم ودور حكمهم ، والقذف بأصحاب البلاد إلى خارج الحدود يبيتون فى العراء شيوخا ونساء وأطفالا ... إن وعد بلفور هـذا ليس وعدا صادرا عن شخص بلفور ، فان بلفور أصغر وأهون شأنا من أن يستطيع ارتكاب هذه الفضيحة بنفسه ... ولا هو وعد من الدولة البريطانية وحدها ، فان شعوب الغرب ـ فى أوربا وأمريكا واستراليا ـ لو كان للحق حرمة فى مقاييسها ، أو للانسانية كرامة فى موازينها ، لارتفع لها صوت ـ ولو من الجامعات والمجامع والأندية والمحافل ـ باستنكار هذه الجريمة المخجلة ، وبالدعوة إلى وضع حد لهـذه اللصوصية والهمجية التى لا يقع مثلها إلا من أمثال الذين وقعت منهم . بل إن هذا الوعد الذى أيدته ورضيت به عصبة الأمم فى جنيف ، وسجلت فيه الصكوك الكافرة ، وسهرت على تطوير أحكام هـذه الصكوك حتى تحولت إلى خيام

تحيط بحدود فلسطين ليعتقل فيها سراة فلسطين وكرامها وسادتها الشرعيون ، لم تكن عصبة الأمم فى جنيف هى المسئولة عنه ، بل إن أمم الغرب كلها ، وحضارة القرن العشرين وثقافته ـ اللتين كانت عصبة الأمم تمثل دورها الهزلى باسمهما وعلى مسرحهما ـ هى المسئولة عن ذلك بكل من يختبئ وراءها من علماء وفلاسفة وجامعيين ومستشرقين ومخترعين ومنافقين ومتبجحين بما يزعمون أنهم مؤمنون به من حضارة زائفة وثقافة فاجرة وتقدم فى الرياء المسلح والنفاق المهذب والظلم المنظم .

وهذه الحماقة التى بالغ أنطونى إيدن فى الاصرار عليها ، وأسرف فى الاندفاع فيها ، لتأميمنا شركة مصرية كانت تعمل فى أرضنا التى اعترف البريطانيون أنفسهم فى معاهدة الجلاء بأنها أرضنا نحن من دون الناس جميعا ، فهى أرض حرة مستقلة ، لأمة حرة مستقلة ، تعرف كيف تدافع عنها دفاع الأحرار المستقلين . . .

وهذه السفن والطائرات التى رأيناها تغدو وتروح بين الجزر البريطانيـة والموانئ الفرنسية ، وبين جزيرتى قبرص ومالطة وصخرة طارق بن زياد ومطارات الحبانية والبصرة والثغور الليبية ، حاملة أسلحة حلف الأطلنطى والعون الأمريكى ، وجنودا بائسين يتمرد من يتمرد منهم ويحتج من يحتج من أمهاتهم وآبائهم . . .

هؤلاء الجنود ، وهذه الأسلحة ، وسائر مايهدد به أنطونى إيدن سلام الإنسانية .

هـذا السيف الذى يلوح به إيدن يمينا وشمالا لأمة استعملت حقها فى التأميم كما يستعملون هم حقهم فى مثله ، يلوحون به لأمة أخذت تسير فى طريق الإصلاح الاجتماعى والعمرانى والثقافى فى أرجاء بلادها وفى أعماق ريفها ، فساء ذلك أدعياء الحضارة الاستعمارية الآيلة إلى الانهيار ، وزعماء الاستغلال الجشع الذى انفضح أمره وانتهى عصره ، فأرادوا أن يقطعوا الطريق على مصر فى انتفاضتها الاجتماعيـة وتجددها العمرانى وتوسعها الثقافى ونشاطها الصناعى وتقدمها العسكرى وإصلاحها الزراعى ، ولهذا أرغى أنطونى إيدن وأزبد ، ولو كان مؤمنا بالحضارة حقا لكان حقا عليه أن يشجع مصر على ما هى فى سبيله من تقدم ، وكان حقا عليه أن يفسح لها الطريق ، لا أن يقف لها فيه معترضا كما يقف قطاع الطرق !

ونعود فنقول فى إيدن كما قلنا فى بلفور ، إنه أقل شأنا من أن يكون هو قاطع الطريق

فى وجه مصر إلى الحضارة والنهضة والإصلاح ، ولكنه يفعل ذلك باسم الدول التى استجابت لدعائه إلى مؤتمر لندن الأول ، وأيدته فى مؤتمر لندن الثانى ، وارتضت بأن تكون ذيولا له فى مؤتمر لندن الثالث .

إنها ليست حماقة رجل أو عشرة رجال أو ثمانية عشر ، وإنما هى إحنة من إحن الغل الذى يضطغنه ناس على ناس ، هى نزغة من نزغات الحقد الذى يضمره فريق لفريق ، هى زفرة من زفرات شاعر الإمبراطورية البريطانية رديارد كپلنج يوم قال : « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ، ومن قبله عبر عن هذا الحقد اللورد بيرون وهو فى طريقه إلى اليونان ، وفيما بينهما كان فكتور هيجو ينظم ديوانه « الشرقيات » .

إن هذا بعضه من بعض .

كل هذا متسلسل بعضه فى إثر بعض .

المسألة أكبر من أن تكون مسألة تأميم من مصر لشركة مصرية ، وأوسع نطاقا من أن تكون مسألة انتظام الملاحة فى قناة السويس ، ولا سيما بعد أن عملوا هم على الإخلال بانتظام الملاحة بما قاموا به من تحريض المرشدين وإغرائهم بالمال وغير المال لينسحبوا من ميدان العمل لانتظام الملاحة ، وبعد أن فشلوا فى ذلك كله استمرت الكلاب تعوى ، وقوافل السفن تمخر فى القناة بأمان وانتظام زاد فى رقمه القياسى على ما كانت عليه الحال قبل التأميم .

المسألة أكبر من هذا وذاك ، إنها مسألة الشرق والغرب .

إنه الحقد المتأصل على الشرق من الغرب . وصدق الله العظيم : « قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر » .

إن موقف الغرب من تأميم مصر لقناتها حلقة فى سلسلة المسألة التى يسمونها « المسألة الشرقية » ، وحرصهم قبل نحو أربعين عاما على دق الاسفين اليهودى فى قلب الوطن العربى كان حلقة أخرى من تلك السلسلة ، والحلقتان مرتبطة إحداهما بالأخرى ، وقد أعلن ذلك أنطونى إيدن فى مجلس العموم أخيرا حين قال :

« ما هى الخطوة القادمة التى سيخطوها جمال عبد الناصر إذا تركناه ينجح فى العمل الذى أقدم عليه ؟ إننى لا أشك ، ولا أظن أن المجلس يشك ، فى أنها ستكون : إسرائيل ! » .

فأنطونى إيدن لا يهمه تأميم قناة السويس أو تدويلها ، ولا يهمه انتظام الملاحة فى قناة السويس أو اختلالها ، بل هو فى حالة انتظام الملاحة بين البحرين الأحمر والأبيض يحاول إفسادها والاخلال بها ، ويفكر فى الطواف حول إفريقية من طريق رأس الرجاء الصالح لو جاراه فى ذلك القائمون على شركات الملاحة . وإنما الذى هو خائف عليه ، والذى يسير سفنه وطائراته بالجنود والعتاد بين البلاد استعدادا للانتحار فى سبيله هو أن يبقى اليهود إسفينا فى الكيان العربى ليكونوا مصدر شر وفساد فى الأرض ، وليشغلوا العروبة عن رسالتها الحضارية والانسانية .

إنه يفعل ذلك لإسرائيل كما لو كان من سبط يهوذا أو من أفرايم ، أليس أستاذه ونستون تشرشل كان يتملق اليهود فيقول لهم إنه صهيونى ؟ وما كان تشرشل إلا رمزا للغرب فى موقفه التاريخى من الشرق ، ومن العروبة ويقظتها بوجه خاص .

انهم يخافون أن يستيقظ العملاق ، فيعرف طريقه الى نفسه بعد أن نسيها ، وبعد أن كفر بها دهرا طويلا .

من ثلاثمائة سنة والغرب يدعو العروبة إلى أن تكفر بنفسها وتؤمن به ، يدعوها إلى أن تنسلخ عن سجاياها وتمسخ فى شكله وعاداته وأهوائه ، فلا تكون هو ولا تبقى هى !

كان يزهدها فى العلوم وتطبيقها فى الصناعات ، ويشغلها بالفنون النظرية وفلسفة التشكيك ومذاهب اللهو ومدارج الضعف والتخنث ، وعلى هذه الأسس قامت وزارات المعارف فى البلاد التى تسلط عليها الاستعمار ، ولهذه الأغراض وجدت الصحافة والصحف فى ظل الاستعمار ، وقد استطاع الاستعمار فى الزمن الطويل الذى اتصل فيه الشرق بالغرب أن يوجد لدعوته عملاء مؤمنين بها ، ويزعمون فى كل جيل للجيل الذى بعده أن هذا هو العلم وهو الحضارة وهو التمدن وهو الترقى ، وإنما انحدرنا فى الهاوية التى كنا فيها قبل الثورة بدلالة عملاء الغرب فى الشرق من صحفيين ومدرسين وفنانين ، وقد ثارت الثورة فى مصر على كل شىء إلا على هؤلاء فانها لم تتفرغ لهم بعد ، ولن نستطيع أن نكوّن الجيل الذى سيحمل رسالة الثورة ، رسالة العروبة ، رسالة البناء اللائق بالعملاق فى يقظته ، إلا إذا حرمنا الغرب من عملائه الثقافيين والفكريين فى الشرق ، ووضعنا أمانة الجيل فى الأيدى الأمينة التى تنقل العلم إلى الشرق العربى مطبقا على ثمراته فى الصناعة فى أوسع مقياس ، وتثقف النشء العربى فى كل مكان بالثقافة العربية الأصيلة مالئة قلوب رجال المستقبل بمحبة أسلافهم ، وتنمية سجاياهم ، واستئناف السير فى طريقهم إلى القوة ، وإلى العلى ، وإلى المجد ، والله أكبر ولله الحمد ه

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٤٣ —

تلطف القرآن

فى مناجاة العقول ، ودعوتها بالدليل

« يأيها النـاس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنـا إليـكم نورا مبينـا » .

١ — هذه آية من آيات الدعوة إلى الخـير فى أسلوبها الرحيم ، فيها — أولا — نداء للناس عامة دون تفريق بين سابق ولاحق ، ولا ملك وسوقة ، ولا رجـل وامرأة . وفيهـا — ثانيـا — إخبار أكيد لهم بأن برهانا جاءهم من ربهم على صدق ما دعاهم إليه . وفيها — ثالثا — إخبار بأن الله أنزل إليهم نورا مبينا .

فهذه توجيهات ثلاثة : يشف كل واحـــد منها عن منهج فسيح مـن مناهج التربية الإنسانية .

الأول : — يأيهـا الناس — فهذه مناجاة للناس عامة تـكشف عن تسوية بينهم فى خطاب القرآن ، وتنبئ عن تـكريمهم بالخطاب دون غيرهم من الخـلائق ، وذلك التـكريم رعاية لآدميتهم ، وتقـــدير لعقولهم ، واعتماد على تمييزهم بين الحق والباطل ، والشر والخير . . . وهـــذه الاعتبارات مفروضة فى الإنسان ، ولو كان نابيـا عن التفاهم وغاويا للشقاق .

وعلى هـذه الاعتبارات وجه إليهم الأخبار بأن برهانا جاءهم من عند ربهم ، فهم

جديرون أن يتفهموا البرهان بعقولهم ، ويستجيبوا له من قلوبهم ، ويؤثروا لأنفسهم الأخذ به دون تخلف عنه .

إذ الدليل لاينهض بالدعوة حقا ، ولا يربأ بها عن الشكوك والتشكيك ، إلا إذا كان هو فى ذاته بالغا مبلغه من الصدق ، وحينئذ فقط يسمى برهانا . ودون ذلك يسمى عند العلماء دليلا لا برهانا ، وكثيرا ما تساق الأدلة والنقاش حول القضايا العلمية ، ولكن الدليل قد لا ينهض بالدعوة كما ينهض بها البرهان ، فما بالك إذا جاء البرهان من عند الله ؟ ؟

لاشك : أنه يكون فى أوج اليقين ، وتكون مخالفته مكابرة وإهمالا للعقل ، وتنصلا من الفهم ، وتماديا فى الجهالة .

وليس هناك سبيل إلى العلم الصحيح وطريق إلى الحق الصراح أوثق من البرهان ، سواء أكان برهانا نظريا يتألف من المقدمات . . أم حسيا من طريق المشاهدة . . . فمن لم يخضع للبرهان فقد عزل نفسه عن خصائص الإنسانية التى أشاد الله بها فى خطابه للناس أول الآية .

٢ — أضف إلى هذا أن أمرا ثالثا يقضى على الناس بالمطاوعة فى غير تريث . . وهو إخبار الله تعالى بأنه أنزل إليهم نورا مبينا .

والنور يكون حسيا فيهدى به الأنظار ، ويكون معنويا روحانيا فيهدى البصائر .

وإذا كان نورا مبينا فهو تمام ما يكشف للمرء عما خفى ، وليس بعد النور المبين معذرة لمن يتعامى عن المشاهدة بنظره ، أو عن الهداية ببصيرته وقلبه .

فإذا كان نورا . . ومبينا . . ومن عند الله . . فمنذا الذى يتعلل بعجزه عن الإدراك إلا من عميت بصيرته ، ورانت على قلبه الضلالات ، فلم يعد لنور الهداية منفذ إلى دخيلته . وذلك هو العمى الذى يستحبه الغواة ، ويستريح إليه المبطلون ، وذلك هو العمى الذى يعاب عليه الإنسان : إذ لا يحاول استماع الدعوة ، ولا تفهم البرهان « فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

٣ — ونعود فنقول : وما المقصود بالبرهان الذى جاءهم من ربهم . . ثم بالنور الذى أنزله الله إلينا ؟ ؟

أما البرهان فهو ـ على ما يهدى إليه السياق ورجحه المفسرون ـ محمد بن عبد الله ـ صلوات الله عليه ـ وأما النور فهو القرآن الكريم .

وكيف كان محمد برهانا ؟ ؟

نشأ محمد يتيما . . وأميا . . وفقيرا ، فلم يظفر بتعليم فى كفالة معلم ، ولا برعاية فى كنف أب ، ولا فى بحبوحة يسار . . ومع هذه العوامل القاسية كان مسلكه : صبيا ، وشابا ، ورجلا ، غاية الكمال المشهود بين قومه .

وحرمانه من معارف العرب التى كانوا يتوارثونها عن آبائهم ومجالسهم : كالشعر والتاريخ والأنساب غير قاض عليه بالخمول أو التبلد ، وغير مانع له أن يسمو بمواهبه ويمتاز بمحامده على كل من حوله .

فالموازنة بين ما شب عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما شب عليه غيره من لداته وأقرانه ، والإنصاف فى تقدير كماله ، مع البعد عن نقائص بيئته ، تفصح عن مباينته لهم ، وطهر نفسيته ، واعتباره معدنا يرجح معادنهم جميعا ، وإن توفرت لهم مكارم يتمدحون بها ، أو أمجاد يفاخرون بذكرها . .

وقصارى ذلك : أن محمدا فيما بلغ من سؤدد شخصى يعتبر برهانا على جدراته بالرسالة ، وأن رعاية الله كفلته منذ نشأته لهذه الغاية التى ادخرت له ، واختير لها ، وأنه صادق فى كل ما دعاهم إليه من توحيد الله ، وبطلان ما عداه ، ونبذ ما تعارفوه من تقاليد لا يرتضيها لهم دينهم الجديد .

. . . نظرة منهم وممن يعوزه الدليل إلى ما لقى محمد صلى الله عليه وسلم من خصومة ، ومثابرته على المشادة معهم فى لين من جانبه ، حتى قاوم جهالة شائعة ، واجتاح كفرا متغلغلا ، ونظم صفوفا متفرقة ، وبث هداية كانت مجهولة ، ونشر دينا جديدا ، وعلمهم كيف يسوسون أنفسهم ويسوسون من يدين لهم ، وكيف يسلكون مسالكهم فى ضوء جديد من المعرفة ، وكيف ينهضون إلى مشارق المجد على دعائم العروبة المصقولة .

أقول : نظرة إلى هذه الجوانب تكفى للاقتناع بأن محمدا برهان حق على أن دعوته كلها حق . .

وأما القرآن فهو نور مبين : لما فيه من تعاليم أحاطت بكل ما تكمل به مقومات الإنسانية .

إذ ليس فى حياة الناس خلق ، ولا مالى ، ولا نظامى فردى أو اجتماعى ، إلا له فى القرآن توجيه تفصيلى ، أو اجمالى متروك للسنة بيانه .

فالقرآن ـ بما اشتمل عليه من تبيان للناس ـ كفيل بتمام الحياة فى أكمل أوضاعها ، وعلى أصلح وجوهها : مدنية ، وصناعية ، وحكما ، وسياسة ، ومنافسة فى كل جانب من جوانب الدنيا ، مع حسن الصلة بالله ، والاستمداد من توجيهه وتوفيقه .

وهذه الآية ـ بما اشتملت عليه من ذكر البرهان والنور المبين ـ لم تذكر لمجرد الإخبار ، وإنما هى تذكير بقيام الحجة علينا ، حتى لا يغفل عنها الغافلون منا .

فهى متضمنة للوعد بالإحسان لمن أخذ بها ، وللوعيد بالشر لمن صدف عنها .

وإنما وردت فى أسلوب الخبر رفقا بالناس فى الدعوة ، وترغيبا لهم فى الاستماع ، وتيسيرا عليهم أن يفطنوا ، ويحسنوا الاختيار لأنفسهم بترجيح عقولهم ، وإيثار الخير لأنفسهم .

وقد جاء الوعد صريحا عقبها فى قوله سبحانه : « فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » .

نعم : من اقتنع بالبرهان الذى جاءه من ربه : وهو رسوله محمد ـ صلوات الله عليه ـ وبما كان ذلك البرهان قائما عليه من الحق ، ثم اعتصم بكتاب الله وأخذ بتوجيهاته فى شئونه مع الناس وفى خاصة نفسه ، فهو لا شك فى كنف الله ، يتولاه برعايته ويحوطه من فتن الدنيا بحفظه ، ويخفف وقع الخطوب على نفسه ، حتى يكون راضيا بما يلقاه إن تجهمت له الحياة ، قرير العين بما يحسه من الصلة بربه ، وحتى يكون دائما جانحا إلى الله فيما يأمله ويعتزمه ، مستشعرا فضل الله فيما يصادفه من حظ ونجاح . وهذا مظهر الرحمة والفضل اللذين يدخله الله فيهما .. ثم فوق ذلك يهديه الله صراطه المستقيم طوال حياته ، حتى يخرج من دنياه إلى رضوان مولاه .

هذا ما تنطوى عليه الآية من وعد الله تعالى : فى إيجاز من القول .

أما الوعيد بالشر لمن صدف عن الأخذ بالآية فلم يرد فى هذا السياق صريحا كما ورد الوعد بالخير ، وفى إغفاله نمط من التربية الإسلامية : لأن الوعيد غير محبب إلى النفوس ، فالله يتركه فى هذا المقام ملاطفة للعقول ، وملاينة للقلوب ، ويتركه كذلك ليشعرنا

بكراهية الشيء البغيض، والاكتفاء بالأمر المستحسن، تاركا للعقول أن تدرك الوعيد بنفسها من المقابلة بين ما ذكر وما لم يذكر صريحا ، ويترك ذكر الوعيد ليعلمنا كيف ندعو الناس إلى الخير، ونهون عليهم قبوله ، والارتياح إلى الدعوة ، ولا شك أن الترفق فى الحديث ، ورطوبة الأسلوب ، وذكر الأمور المرغوبة ، من وسائل الدعوة الناجحة فى أكثر المواقف والمناسبات ، ومصداق ذلك فى قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ادفع بالتى هى أحسن .. »

وهكذا يخاطبنا الله بأسلوبه الذى يطلب الينا أن نأخذ به ، وفى حديثنا على هذا النمط لفتة إلى جانب الوعظ ، وما قصدنا ذلك وحده .

وإنما قصدنا تجلية السبيل التى شرعها الله لسيادة المسلمين ، ومنها يسبقون غيرهم إلى ما لم يعرفوا مثله من جهة أخرى : فانها معارف جمة حملها إلينا الإسلام ، فعشنا فى ضوئها حقبة كنا سادة غير مزاحمين ، ثم تخلينا عنها فابتدرها سوانا ، وتنحينا نحن إلى هامش الحياة. ولكن يقظة جديدة هزت مشاعر الشرق، فبعثت فى ربوعه أملا فتيا ، وحياة مشبوبة ، ولعلها خطوات موصولة ومقرونة دائما بالتوفيق م؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الأخــــلاق المحمدية

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا	منها ، وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لكانت وحدها	دينا تضيء بنوره الآناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل	يغرى بهن ويولع الكرماء
فاذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فانما هى غضبة	فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما	جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته	فجميع عهدك ذمة ووفاء

شوقى



عيد الجلاء الأول

– ٣ –

المثل الأعلى فى العدل – البلاغ الأخير – آخر الوصايا النبوية – من دلائل النبوة – اليهود فى مشارق الأرض ومغاربها – المثل الأسفل فى الكفر .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : بينا نحن فى المسجد إذ خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئناهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : يامعشر يهود ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ؛ فقال لهم الثالثة ، فقال : اعلموا أنما الأرض لله ورسوله وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه ، و إلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » .

رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم *

* * *

لن تقوم لدعوة إصلاحية قائمة ، ما لم تحمها قوة عادلة من كيد الكائدين وعدوان المعتدين . .

(*) فى باب إجلاء اليهود من الحجاز ، من كتاب الجهاد والسير . وقد نبهنا على ذلك فى الجزء السابق ، وعلى أهم مواضعه فى صحيح الإمام البخارى . . .

وما شهد التاريخ ـ ولن يشهد ـ أصدق من الإسـلام فى دعوته ، ولا أرحم منه فى معاملته ، ولا أعدل منه فى قوته ، مع أشـد الناس عداوة له وصدا عن سبيله . .
وهل ظفر التاريخ قبل الإسلام ، بمثل هذا العدل الخالد العام « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » ؟ ومن أراد على ذلك دليلا عمليا ، فهذا شاهد واحد من آلاف الشواهد العملية على مانقول :

لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجلاء يهود خيبر سألوه أن يقرهم بها على أن يكفوا عملها ولهم شطر مايخرج منها من الثمر والزرع ، فأقرهم على ذلك ماشاء ، دون أن يتقيد بأجل معلوم ، فكان يرسل إليهم رسوله عبـد الله بن رواحة رضى الله عنه ، لتقدير الثمر وتحديد الشطر ، وكان منصفا حكيما عادلا ، وكان يقسم ويخيرهم فى القسم ، لكنهم ضاقوا بانصاف عبد الله ذرعا فأرادوا أن يرشوه ، فجمعوا له حليا من حلى نسائهم فقالوا : هذا لك ، وخفف عنا وتجاوز لنا فى القسم . . فقال لهم : يا أعداء الله ، تعطوننى السحت ! والله لقد جئتكم من عنـد أحب الناس إلىّ ، ولأنتم أبغض إلىّ من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على ألا أعدل . . فقالوا بهذا قامت السموات والأرض ! ! !

* * *

فلو أن اليهود أنصفوا أنفسهم ، وأوفوا بعقودهم مع الله ورسوله ، لوفى لهم الله ورسوله ، فعاشوا فى ظل الإسـلام آمنين مطمئنين فى هذه الدنيا على أنفسهم ودينهم وأموالهم وأولادهم ، لن ينالهم أبدا فيها أذى . . فأما لو اتبعوا الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عنـدهم فى التوراة والإنجيل ، لآتاهم الله أجرهم مرتين ، ولأحياهم حياة طيبة ، ولأتم عليهم نعمته فى الدنيا والآخرة . . .

ولكن ماذا يؤمل الإسلام ورسول السلام ، فيمن أكلوا السحت ، وعبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، وقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ؟ ! ! !

مع هذا كله عاملهم صلوات الله وسلامه عليه أحسن معاملة ، وجاملهم أعظم مجاملة ، حتى إذا لم يزدهم العفو والإحسان إلا طغيانا وكفرا ، ولم يزدهم الحلم والاجمال إلا لؤما وغدرا ـ أنذرهم بهذا البلاغ الأخير : أسلموا تسلموا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . . وإلا فلا عيش لكم فى هذه الأرض التى آوتكم وأظلتكم ، فجحدتم فضلها ، وخنتم أهلها ، وحاربتم الله ورسوله فيها . . .

أنذرهم هـذا الإنذار الجامع الحاسم ثلاثا ، وفى كل مرة يجيبون فى لؤم وخبث : قد بلغت يا أبا القاسم ، خبا وهربا من الأمر الذى لامناص منه ، وهو الطرد من هـذه الأرض ، إن لم يسلموا لله رب السموات ورب الأرض رب العالمين . . .

لقد أرادوا أن يخدعوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه الإجابة، فما على الرسول إلا البلاغ ، وقد بلغ غير مرة ، فليدعهم بعد أن أدى أمانته ، وبلغ رسالته، . . ولكنهم جهلوا — أو تجاهلوا — أنه قد أجمع أمره فى هذه المرة على واحد من اثنين لا ثالث لهما : فاما إسلامهم ليسلموا هم، وإما إجلاؤهم لتسلم البلاد منهم . . وإذا كان من شرعة الإسلام أن لا إكراه فى الدين ، فان من شرعته إبعاد المفسدين .

علم أعداء الله وعباده بل أعداء أنفسهم ، أن الأمر جد ، وأنهم عاملون فى خيبر وما حولها ، على شطر ما يخرج منها إلى أجل مسمى عند الله تعالى ، فاذا جاء أجلهم أخرجهم من ديارهم كما أخرج إخوانهم لأول الحشر . . . ومن أجل ذلك أقرهم صلوات الله وسلامه عليه فى خيبر ما شاء الله أن يقرهم ، لئلا يتقيد بموعد محدد كما قلنا من قبل . . . ومن أجل ذلك أوصى أصحابه — فيما أوصى — وهو يودع هذه الدنيا : ألا يبقى دينان فى جزيرة العرب، اهتماما باقرار السلام وحماية الإسلام ، فى مهده الأول ومقره الأصيل .

* * *

والمراد من جزيرة العرب فى الوصية النبوية الحجاز خاصة : مكة والمدينـة واليمامة وما إليها ، لاتفاق الخلفاء سيما الراشدين منهم على إقرار اليهود والنصارى باليمن مع أنه من جزيرة العرب . وإنما أجلى عمر رضى الله عنه نصارى نجران من بلاد اليمن، لنقضهم العهد بأكلهم الربا ، وكان مشترطا عليهم فى كتاب صلحهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ألا يأكلوه، وعقد الذمة ينتقض بأكل الربا إذا كان مشروطا على الذميين ألا يقربوه . . .

لا جرم أن الخلفاء الراشدين — ولا سيما الصديق والفاروق — رضوان الله عليهم، كانوا جد حريصين على إنفاذ وصيته صلى الله عليه وسلم بعد أن لحق بالرفيق الأعلى . . . بيـد أن الصديق شغـل عن إجلائهم بقتال المرتدين وما نعى الزكاة على الرغم من قصر خـلافته ! فأنفذها الفاروق فى نزوة من نزوات عدوانهم ، وحلقة من سلسة غدرهم . .

ولقد كانت لهم فى هـذه الوصاة أناة ، وفى هذا الطرد سعـة ، ولكن ليس غريبا على الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، أن يستعجلوا العذاب بظلم عظيم !

ذلك بأن اغتيال من ظفروا به من المسلمين جبلة فيهم، ولهم فى ذلك صحائف سود ! !
فبينا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يشرف على ماله بخيبر ذات ليلة ، ألقوه من فوق بيت وهو نائم ، ففدعوا يديه و رجليه ! والفدع : اعوجاج الرسغ من اليد والرجل حتى تنقلب الكف أو القدم . . ولا ريب أنهم أرادوا قتله ، كما قتلوا فى العهد النبوى عبد الله بن سهل، ثم أنكروا وحلفوا اليمين الفاجرة . . فلم يشأ النبى صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه ، بل أدى ديته من عنده . . . .

ولما بلغ اعتداؤهم أمير المؤمنين رضى الله عنه قام فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ما له هناك فعدى عليه من الليل ، ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم .
فلما أجمع عمر على ذلك أتاه رأس اليهود : أحد بنى أبى الحقيق فقال : يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد على الأموال وشرط ذلك لنا ؟ فقال عمر : أظننت أنى نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة ؟ فقال عليه لعنة الله : كانت هذه هزيلة من أبى القاسم ! فقال عمر : كذبت ياعدو الله . (والقلوص : الناقة الصبور الفتيـة) .

فأجلاهم رضى الله عنـه إلى نواحى الشــام ، وأعطاهم قيمـة ما كان لهم من الثمـر مالا وإبلا وعروضا . . . ولم يقتص منهم لابنه وقـد أحدثوا به عاهة ، لأنه لم يعرف من الذى دفعه ! !

* * *

ألا إنه لو لم يوص النبى صلى الله عليه وسلم بطرد اليهود من الحجاز لكان طردهم منه حقا محتوما على خلفاء المسلمين وأمرائهم ، فكيف وقد أخبر بذلك ؟؟ فكان إخباره هذا آية صدق من آيات نبوته ، وبشارة حق بين يدى وصيته .

أما ما كان من طردهم بعد هذا الجلاء وتشريدهم ، واضطهادهم فى مشارق الأرض ومغاربها ـ فقد ألفت فيه أسفار شتى ، يرى فيها الرائى لأول نظرة أن إحسان الإسلام إليهم فاق كل إحسان ، فكان جزاؤه منهم كفرانا فوق كل كفران ! !

ذلك ديدن من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل .

طه محمد الساكت

المؤمن الحـــــق

من حقك عليّ أيها القارئ وقد حدثتك بعض الحديث عن شيء من آراء الوجوديين وما انزلقوا إليه من إنكار الإله سبحانه وتعالى، واطراح القيم الأخلاقية والآداب النفسية.

من حقك عليّ أن أحدثك أحسن الحديث عن المؤمن الحق، ولا يفوتني قبل أن أبدأ فى حديثى هذا أن أذكر أن بعض الزملاء أرسل إلى هذه المجلة مجلة الأزهر التى كانت تنشر حديثى أنه يرى أن أبحث أصل هذا المذهب وأتبين مراميه وأغراضه، ثم أرد عليـه، ولـكن كيف أضيع وقتى فى بحث مذهب أول خطواته جحود الإله جل وعلا، والتصريح فى غير أدب ولا حياء بأنه غير موجود، ألا تسمع كيركجورد مبتدع هذا المذهب يقول: لا يصح أن نقـول: الله موجود. وإلى وارثه الأول جان بول سارتر الباريسى يقول: الوجودى يرفض فـكرة وجود الله (سبحانه) والوجودى يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة. وإذن فكيف أبحث مذهبا منهارا من أساسه! ؟، ولكنى أردت ـ بمـا كتبت تعليقا على بعض فقرات من هذا المذهب نشرت فى بعض الجرائد ـ تنبيه القارئين، وبخاصة التلاميذ إلى بطلان هذا المذهب، وأنه يدعو إلى الإباحية ونبذ القيم الأخلاقية ليحذروه ويصونوا أنفسهم من الانزلاق فى مزالقه والوقوع فى حمأته.

ومن عجب أنه ظهر فى الناس الآن باحث أو فيلسوف أو متفلسف يزعم ـ فى جرأة وقحة وينشر ذلك فى بعض المجلات المنحلة ـ أن الله (سبحانه) فـكرة ... أنه فكرة فى تطور مستمر... الله فى العقل الحديث معناه الطاقة الخام التى فى داخلنا ... الله هو الحركة التى كشفها العلم فى الذرة وفى البروتوبلازم (هو أحد الأمور المـكونة للخلية فى أى كائن حى) وفى الأفلاك ... هو الحيوية الخالقـة فى كل شيء، أو الفعل الخالص الذى ظل يتحول فى الميكروب حتى صار إنسانا وما زال يتحول إلى ما لا نهاية له ... الخ ما هذى به ذلك الباحث أو الفيلسوف (العجز).

وإنه لمن العجب العاجب أن باحثى هذا الزمان وفلاسفته إذا أرادوا أن يظهروا على الناس فلسفتهم فليس أمامهم إلا الله يبتدئون بجحده وإنكاره (سبحانه وتعالى عما يقولون

علوا كبيرا) ويزعمون أنه غير موجود أو أنه فكرة أو أنه الطاقة الخام فى داخلنا أو الحركة التى كشفها العلم الخ ، أو يعمدون إلى كرائم الأخلاق فيدعون إلى التحلل منها ، و إلى الأعراض فيهونون شأنها ، و إلى الغرائز الجنسية فيهيجونها ، وهكذا كل يوم يكشفون عن سوأة يزعمونها فلسفة .

إن الفلاسفة الأول مثل أفلاطون وأرسطو هدتهم فلسفتهم فى عصور الظلمات الحوالك إلى وجود الله سبحانه و بعده عن كل نقص ووصفه بكل كمال ، و إلى الأخلاق الفاضلة فدعوا اليها ، وفلاسفة اليوم فى عصر النور والعلم والعرفان تهديهم فلسفتهم (الفجة) إلى انكار وجود الله سبحانه وهو تهدى اليه الفطرة الكاملة ، ويرشد اليه العقل السليم ، هلا جاءوا بما يفيد الأمة فى اقتصادياتها أو اجتماعياتها أو أخلاقها وآدابها أو تجارتها وصناعاتها . وفى الحق أن هؤلاء ليسوا فلاسفة ولا علماء ولا باحثين ولا مفكرين ولا شيئا أبدا مما يقدره الناس ويعرفونه ، ولكنهم كتاب استطاعوا أن يلووا ألسنتهم وأقلامهم بما يكتبون فيصوروا الكفر فى عبارات ملتوية غامضة ويزعموا ذلك فلسفة ، فالفلسفة عندهم لفظ ملتو غريب ومعنى كله إلحاد وزندقة ، ولست أيها القارئ فى حاجة أن أبين لك ما فى العبارات السابقة التى نقلتها لك عن ذلك الفيلسوف (العجر) وتركت كثيرا غيرها من سخف وتفاهة ، فهى واضحة العوار ظاهرة البطلان ، فالله فى نظر هذا الجاهل فكرة ، وهو الطاقة الخام وهو الحركة وهو الحيوية وهو الفعل الخالص وهو الإنسان وهو الذى يتحول إلى ما لا نهاية له ، وإذا كان الله سبحانه كما ذكر هذا الجاهل فماذا عساه يكون هذا الأحمق ؟ وهل لكلامه معنى أكثر من أنه هذيان وسخف ، ألا يستحيى ذلك المخلوق أن ينشر على الناس هذا الهراء ، ألا تستحيى المجلة التى تنشر له هذا الإلحاد أن تظهر للقراء وهى تحمل أسوأ المعانى وأبشعها وأظهرها بطلانا وفسادا وأدلها على حقارة فكر قائلها وضعف عقله ، ألا تأخذ حكومتنا الرشيدة على يد مثل هذا الكاتب ومثل هذه المجلة ، وهى التى جعلت من أول أهدافها تهذيب الأخلاق والمحافظة عليها وصون عقائد الناس من الإفساد ، ونادت بأن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، والإسلام من مثل هذا الهذيان براء .

كنت كتبت مقالا بعنوان (الله) نشر فى مجلة نور الإسلام التى يصدرها علماء الوعظ رأيت لهذه المناسبة أن أذكر شيئا منه هنا عسى أن تكون فيه فائدة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ــ قلت :

الله كلمة إذا ذكرت وجلت منها القلوب، وخشعت النفوس، وانشرحت لها الصدور، واهتزت لها الأرواح، واطمأنت الأفئدة، شعورا منها بعظمة صاحب هذا الاسم وجلاله وكبريائه وحاجة هذا الكون اليه، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو قيوم السموات والأرض يمسكهما أن تزولا.

سبحانك ربى دل كل شىء فى الوجود عليك، وأرشدت كل ذرة منه إليك، خلقت سبع سموات طباقا وجعلت القمر فيهن نورا وزينتها بنجوم ثابتات وكواكب سيارات ـ وكل فى فلك يسبحون ـ ونظمتها أشكالا مختلفات، فدوائر ومربعات ومثلثات وزوايا قائمات ومنفرجات، تهدى بها خلقك فى ليلهم وترشدهم فى سفرهم ـ وبالنجم هم يهتدون ـ وخلقت الأرض وجعلتها كفاتا أحياء وأمواتا وجعلت فيها رواسى شامخات وفجرت فيها الأنهار وأجريت فيها العذب الفرات وأنبت فيها زرعا مختلفا ألوانه متشابها أكله، صببت الماء صبا ثم شققت الأرض شقا، فأنبت فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وجعلت ذلك متاعا لنا ولأنعامنا، وخلقت الإنسان من ماء مهين فجعلته فى قرار مكين إلى قدر معلوم، خلقته فى بطن أمه خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث؛ بدأت خلقه نطفة ثم جعلته علقة ثم مضغة ثم جعلت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم أنشأته بعد ذلك خلقا آخر فنفخت فيه الروح وأحييته فى بطن أمه ثم تلطفت به فأخرجته من مكان ضيق لا يعلم شيئا فجعلت له السمع والبصر والفؤاد ليسمع ويبصر ويتدبر ويتفكر، ثم أسبغت عليه نعمك ظاهرة وباطنة لا يحصى عددها ولا ينقطع مددها، ومع ذلك عاداك كثير من خلقك فجحدوك وكفروا بك وأنكروك، ظنوك جسما فطلبوك فى سواء الأجسام فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، طلبوك وسط الجواهر فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، طلبوك فى كل شىء وفى كل مكان وزمان فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، فكفروا بك وأنكروك، غشيتهم المادة ووقفت أبصارهم وعقولهم عند حدودها ومعالمها فطلبوك بينها فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، فجحدوك وأنكروك، بحثوا عنك حيث شاءت أهواؤهم فلم يعثروا عليك فجهلوك، وظنوك عدما من الأعدام فأنكروا أن لهم الها خلقهم ورزقهم يحييهم ويميتهم.

ولست أدرى كيف يجحده الجاحد.

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وإلى اللقاء إن شاء الله م

محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

يقظة العروبة

العالم العربى اليوم فى يقظة ، لايشك فى ذلك إلا مكابر أو جاهل ، والأمة العربية اليوم فى بعث ، ونحن نرى دلائل هذا البعث عن يمين وشمال ، وتتبدى لنا مظاهره هنا وهناك وهنالك ، ويقظات الشعوب ليست كيقظات الأفراد تتم فى لحظة وتذهب فى أخرى ، بل يقظة الأمم تكون نتيجة لجهاد طويل وكفاح مرير ؛ والبعث المعتاد لشعب من الشعوب يحتاج إلى زمن مديد ، فكيف إذا كان هذا البعث بعد غفوة استمرت عدة أجيال ؟ .. لاشك أن زمن البعث فى هذه الحالة يكون أبعد وأطول ...

والأمة العربية قد قطعت نحو يقظتها وبعثها طريقا مليئا بالأشواك والمصاعب ، بعد أن كانت عوامل التحطيم والتفريق قد تجمعت عليها فنالت منها واستبدت بها ، وبعد أن صارت شخصيتها المعنوية وقوميتها الحقيقية ووطنيتها المتميزة فى حكم المعدوم ؛ ولو استنبأنا التاريخ فى صبر واستقصاء لأنبأنا عن كثير من هذه العوامل ؛ ولكننا نختصر استعراض التاريخ ، فنجد الحكم العثمانى بارزا بين هذه العوامل ؛ فقد سيطر العثمانيون على العروبة بلا جهاد عنيف أو صراع طويل ؛ لأن العثمانيين حينئذ كانوا يمثلون الخلافة الإسلامية ـ وإن أنكر البحث التاريخى عليهم انتقال هذه الخلافة إليهم ـ والعرب أكثرهم مسلمون ، فدخلوا فى طاعة السلطنة العثمانية عن رضى واختيار ؛ إذ كان الشائع يومئذ أن آل عثمان يدافعون عن بيضة الإسلام ، ويمثلون خلافة المسلمين ، اللهم إلا إذا استثنينا « اليمن » التى كانت ترى نفسها أحق بالخلافة من سواها ...

وكان دخول البلاد العربية فى السلطنة العثمانية سببا فى أن تذوب شخصية العروبة فى هذا الملك المنبسط العريض ؛ ولا غبار على المسلمين إذا طمحوا إلى خلافة تسوسهم وتقودهم ، ولا عيب فيهم إذا أحب كل منهم أخاه ، فالمؤمنون كما يقول القرآن إخوة ؛ ولكن العثمانيين استغلوا هذه العاطفة الدينية استغلالا سيئا منحرفا ، فكانوا يبالغون فى الحملة الجائرة على القومية الوطنية ، بدعوى أنها تنافى عالمية الإسلام وأخوته ؛ ولو أنهم فى مقابل هذا أشاعوا المساواة والعدالة بين الجميع لهان الأمر وخف وقعه ، ولكنهم فرقوا وميزوا وكالوا بمختلف المكاييل ، فالعروبة عندهم بقرة حلوب ، تدر لهم مايشاءون

عندما يشاءون ؛ وأخذوا يميزون بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى ، مما كان يوجد فى الوطن الواحد طائفتين منفصلتين أو أكثر . . .

* * *

وليت الأمر وقف عند هـذا الحد ، بل شاخت الدولة بعد شباب ، وضعفت بعد قوة ، وانطوت تلك الوقفات الدينية الرائعة بانتصاراتها وذكرياتها ولمعاتها ، وكثرت كتائب الأعداء من أمام ومن وراء ، وانحرف المتأخرون من السلاطين ، فتحكموا واستبدوا وتعسفوا ، وجعلوا يمتصون دماء العرب بحجة الخدمة للدولة العلية دولة الخلافة ، وبحجة الدفاع عن الإسـلام والإعزاز لشأن المسلمين ، والله يعلم أين كانت تنفق هذه الأموال ! . . .

وقد تكون هناك عوامل قاسية أخرى تكالبت على السلطنة حتى وقفتها ذلك الموقف البئيس ، ولكن الذى لاشك فيه أن الحثالة من سلاطينها أسرفوا فى استبدادهم إسرافا أدى إلى انفجار البركان ؛ ورب ضارة نافعة ، إذ كان هذا الاستبداد ، وذاك الامتصاص ، وذلك الضعف ، من طلائع العوامل للبعث فى العالم العربى .

إذ نبه العيون الغافيـة ، وأيقظ القلوب النائمة ، وحرك الجنوب المثخنة بالجراح ، وأطلق الألسنة الساكنة ، وبحر براكين الغيظ والتمرد على الاستعباد والهوان ، ودفع بطلائع المجاهدين العرب إلى الجهر بكلمة الحرية ، والدعوة إلى الحصول على الحقوق المسلوبة ، والـكرامة المنهوبة ، فأخذت ديار العرب تسمع من يحرؤ فيحرضها على الثورة من أجل الحرية والاستقلال .

وصار أفق العروبة المتأهب للثورة يسمع مثل قول الشاعر اليازجى :

تنبهـــوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى السيل حتى غاصت الركب !
فيم التعلل بالآمال تخـــدعـكم ... وأنتم بين راحات القنا سلب ؟ !
كم تظلمون ، ولستم تشتكون ، كم ... تستغضبون فلا يبدو لكم غضب !

. . . .

ألستم من سطوا فى الأرض واقتحموا ... شرقا وغربا ، وعزوا أينما ذهبوا ؟
فما لكم ويحكم أصبحتم هملا ... ووجه عزكم بالهون منتقب ؟ !

ويسمع مثل قول الزهاوى فى الدولة العثمانية المستبدة :

وما هى إلا دولة مستبدة	تسوس بما يقضى هواها وتعمل
فترفع بالإعزاز من كان جاهلا	وتخفض بالإذلال من كان يعقل
... ...	... ...
وقد عبثت بالشعب أطماع ظالم	يحمله من جوره ما يحمل !!
فتعسا لقوم فوضوا أمر نفسهم	إلى ملك عن فعله ليس يسأل
فيا ملكا فى ظلمه ظل مسرفا	فلا الأمن موفور ، ولا هو يعدل
تمهل قليلا ، لا تعظ أمة إذا	تحرك فيها الغيظ لا تتمهل
وأيديك إن طالت فلا تغترر بها	فان يد الأيام منهن أطول !!

ويسمع مثل قول الرصافى ، وهو يندد بما كان لأصهار السلاطين العثمانيين من رواتب ونعيم :

نعموا فى غضارة الملك عيشا	وحملنا من دونهم أثقاله !!
فاذا ما صال العدو خرجنا	دونهم للوغى نرد صياله
وإذا هم جروا الجرائر يوما	فعلينا تكون فيها الحمالة !
وإذا ما استهل فيهم وليد	فعلينا رضاعه والكفالة
فكفينا أصهارهم مؤنة العيـ	ـش ، فكانوا ضغثا على إبالة
تلك والله حالة يقشعر الحق	منها ، وتشمئز العدالة
ليس هذا فى مذهب الاشترا	كية إلا من الأمور المحالة
وهو فى الملة الحنيفية البيضا	ء كفر بربنا ذى الجلالة !!

* * *

ولقد حاول بعض الجهلة من المنتسبين إلى الإسلام أن يجردوا الأمة العربية من كل فضيلة لها ، ظنا منهم أنه كلما ظهرت الأمة العربية مجردة من هذه الفضائل كان أثر الإسلام فيها أوضح وأظهر ، وإذا صح أن للجاهلية مساوئها وعيوبها ، فكيف يجوز أن نجور فى الحكم على الأمة العربية بهذه الصورة ، وهى التى اختارها الله لتكون طليعة جنوده فى الأرض ، وقائدة عباده المؤمنين بين الناس ، وهى التى حملت الدين الحنيف إلى العالمين ، وأسست

المدنية العربية الإسـلامية الزاهرة فى المشرق والمغرب ، وهى التى نفض الإسلام المجيد تربتها ، فتبدت منها عناصر الخير والبر والجهاد ، وهى التى يقول فيها إمام دعوة الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » ويقول : « بغض العرب نفاق » ويقول : « أحب العرب من قلبك » ويفاخر بعرو بته فيقول : « أنا سابق العرب » ويقول : « أنا أعربكم ، أنا من قريش » ويقول : « أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى » ! ! .

* * *

ومما ساعد على البعث العربى الحاضر ، وكان من أسباب قوته واندفاعه ، تخلص المواطنين المسيحيين العرب من سلطان أوربا الذى كان يتخفى وراء سلطات الكنائس الأوربية الروحية ، ولقد استغلت أوربا هذه السلطة الروحية مرات كثيرة ، وخرجت بها من ساحة العقيدة والآخرة ، إلى معترك السياسة والمطامع الدنيوية ، ولكن المسيحيين العرب تنبهوا لما يحاك لهم ويراد بهم ، ولما يضيع عليهم بسبب هذه السيطرة الغربية من حقوق وحرية ومكانة ، فبدأوا يتخلصون من هذه السيطرة شيئا فشيئا ، فترجموا الإنجيل إلى العربية ، وخرجوا طوائف من رجال الدين المسيحى من العرب المسيحيين ، وصاروا يرتلون تراتيلهم وصلواتهم وغيرها بالعربية ، وبذلك وأمثاله استطاعت الكنائس العربية أن تتخلص من سلطـة الكنيسة اليونانية ، وأن تتخلص كذلك من سلطـة فرنسا السياسية المستترة خلف إرسالياتها التبشيرية وتظاهرها بالغيرة على المسيحية ، لأن فرنسا كانت تحاول دائما أن تظهر بمظهر الحامية للمسيحية فى الشرق العربى ، ولها فى ذلك مآرب أخرى ! .

* * *

ومن عوامل البعث العربى الحاضر تلك الحركات الفكرية والروحية الثائرة التى انبعثت فى أرجاء العالم العربى ، فهزته هزات عنيفة ، جعلته يتبصر ما أمامه وما خلفه ، وجعلته يتلفت حواليه ليعرف أين هو من ركب الدنيا وموكب الأحياء ، فثورة المجـدد الإسلامى محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمال الدين الأفغانى وتلميذيه : محمد عبده ورشيد رضا ، وكتاب « أم القرى » لعبد الرحمن الـكواكبى ، وكتاب يقظة العرب لنجيب عازورى ، وغيرهما من الـكتب الثائرة المضطرمة بنار الغيرة على ماضى العروبة وحاضرها ومستقبلها . . .

هـذه الدفعات وأمثالها هنا وهناك كانت عوامل قوية لتحقيق ذلك البعث القوى الذى نشهد دلائله الآن . . .

* * *

ولو أردنا استعراض العوامل عاملا عاملا لامتد سبب الحديث ، فحسبنا أن نشير إلى طائفة من هذه العوامل ، كالعناية بنشر اللغة وتدريسها ، وبعث التاريخ العربى الصحيح ، وتفهم القومية العربية على وجهها السليم ، وإنشاء المدارس العربية لصد طغيان المدارس « الإرسالية والتبشيرية والأجنبية » ، وعقد المؤتمر العربية لبحث أمور العرب ، وفى طليعة تلك المؤتمرات المؤتمر العربى بباريس سنـة ١٩١٣ ، وأمره مشهور غير مجهول ، وطغيان القائد جمال باشا السفاح ، وحوادث الشنق التى أودت بطائفة من زعماء العرب ، واشتعال الثورة العربيـة سنـة ١٩١٦ ، وحسن التفاهم والتعاون بين العرب المسـلمين والعرب المسيحيين ، وخنقهم العصبية الدينية ، ثم خيانة انجلترا وفرنسا الفاحشة وغدرهما بحقوق العرب وعهودهما للعرب عقب الحرب العالميـة الأولى ، ثم حركات الثورة والتحرير التى قامت هنا وهناك وهنا لك فى مختلف أجزاء الوطن العربى ؛ كل هذه كانت عوامل قوية فى انفساح الطريق أمام البعث العربى الحاضر . . .

* * *

ولا ننسى العوامل المساعدة أيضا مثل توسع وسائل الانتقال والمواصلات ، وتنظيم الرحلات والتزاور بين أبناء العروبة ، وتأثير الصحافة والإذاعة والأدب والمسرح والسينما ، ثم البحوث والمحاضرات والقصائد الدائرة حول القومية العربية ومكانة العرب ، ثم الجمعيات العربية المختلفة ، ثم جهود الحـكومات العربية المختلفة ، ثم جامعة الدول العربيـة وما بذلته من جهود ثقافية وسياسية ... كل هذه العوامل ساعدت البعث العربى على الاندفاع إلى الأمام ...

واليوم ـ والعرب يتطلعون إلى غـد أسعد وأفضل ـ يجب عليهم أن يتعرفوا معالم طريقهم جيدا ، وأن يحددوا أهدافهم بدقة وبصيرة ، وأن يتلاقوا فى صدق وإخلاص على تلك الأهداف ، وعلى الله تحقيق المطالب ! . . .

احمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

الاسلام والغرب

وجها لوجه

أثناء الحرب العالمية الأولى كان الجنرال « اللنبى » القائد الإنجليزى يقود الجيش الذى يحارب به الأتراك فى الشام ، وحين استطاع أن يهزم الجيش التركى ويدخل مدينة « القدس » قال تصريحه المشهور : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

لقد تذكر القائد الإنجليزى أن أجداده الغربيين حاولوا الاستيلاء على هذه المدينة المقدسة والاستقرار فيها ، ولكنهم عجزوا وطردوا من الشرق الإسلامى شر طردة ولم يستطيعوا أن يحققوا أحلامهم ، فرجعوا إلى أوربا خائبين ، وظلت مرارة الخيبة فى نفوسهم ، ونار الحقد على المسلمين المنتصرين تأكل قلوبهم يتوارثها جيل بعد جيل ، حتى انتصر جيشهم فى الأرض التى طردوا منها ، واستولى على القدس بعد قرون ، فقال القائد الإنجليزى هذه القولة التى نمت عن الحقد الدفين ، وهلل الغرب وهنأ القائد المنتصر على الجيش التركى ، وعدوا ذلك انتقاما لما حل بهم من هزيمة منذ قرون . . .

وحين انتهت الحرب بانتصار الغرب على ألمانيا وحليفتها تركيا ، وقسمت الدول المنتصرة الغنائم ، كانت سوريا من نصيب فرنسا ، فذهب إليها الجيش الفرنسى ليحتلها ، ولكن السوريين قاوموه وكبدوه خسائر فادحة وإن يكن قد انتصر إلى حين . ولما دخل الجيش الفرنسى « دمشق » تذكر قائده كما تذكر زميله الإنجليزى « اللنبى » أن أجداده المتعصبين جاءوا إلى هذه الأرض الإسلامية ليستقروا فيها ، ولكن صلاح الدين الأيوبى طهرها منهم وطردهم ، وكان الحقد يأكل قلبه هو الآخر فلم يتمالك نفسه من الذهاب إلى قبر البطل الراقد « صلاح الدين الأيوبى » لا ليحييه كما يحيى بطل بطلا وكما هى عادة الأبطال الشرفاء ، بل ليتشفى ويرضى ما فى نفسه من حقد ، فقال يخاطبه وكأنه حى أمامه : « لقد عدنا يا صلاح الدين » قال هذا وهو يعرف تماما أنه يخاطب بطلا قد مات منذ قرون بعد ما طرد الفرنسيين وغيرهم من أرض الشرق وكان نبيلا فى معاملتهم .

وما كان هذا القائد الفرنسى التافه ليستطيع أن يقف أمام صلاح الدين ويقول له هذا القول

لو كان صلاح الدين حيا، بل كان يفر كأجداده الذين فروا من قبل . . وليست هناك نفس سليمة شريفة تستسيغ ما فعله هذا القائد الفرنسى الذى يتحدى عظما فى قبره ، وإن يكن التحدى للذين ورثوا الأرض بعد صلاح الدين. ولكن هذا القائد أعطى هؤلاء الورثة الغافلين الدليل الحى على أن الغربيين لا يزالون يعيشون ويتصرفون مع الشرق بنفسية الحاقد المنتقم من المسلمين الذين هزمهم أجدادهم على يد صلاح الدين وغيره من حكام المسلمين فى مصر . . وكان كزميله القائد الإنجليزى صورة من صور هـذا الغرب المتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، وكانا قائدين من أمتين زعمتا ولا تزالان تزعمان أنهما بعيدتان عن التعصب ضد الشرق والإسلام وأنهما صديقتان للمسلمين ، ولكنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون .

إن علينا أن نفهم تماما أن الغرب يسيطر عليه فى تصرفاته مع الشرق عاملان ـ أولهما ـ روح التعصب والحقد على الإسلام ـ وثانيهما ـ الخوف على مصالحهم من نهضة الإسلام .

إنهم يعرفون جيدا أن المسلمين كان لهم ماض مجيد ، وقد حكموا العالم قرونا متطاولة ، وأن دينهم لا يرضى لهم الذل والهوان ، ولا يحب لهم غير العـزة والسيادة ، وأن دعاتهم الآن يحاولون أن يبعثوا فيهم هـذه الروح ليستعيدوا مجدهم الغائب ، ولو وصـلوا إلى ما يريدون من مجد وقوة فسوف لا يكون للغرب سيطرة على الشرق ، وسوف يحرم الغرب من خيرات الشرق التى يعيش عليها الآن وينعم بها ، ويعود البريطانيون مثلا إلى جزيرتهم يصطادون السمك ، ويأكلون الشعير الذى تنتجه جزيرتهم ، ويصبحون ـ كما قال وزير الملك الهندى المسلم « جهانكير » ـ شعبا بائسا يسكن جزيرة صغيرة يحكمها ملك صغير[١].

يعرف الغرب هذه الحقيقة ، ولهذا يقف للشرق بالمرصاد ، ويعمل على الحيلولة بينه وبين النهوض بشتى الوسائل ، ويضغطون على الصمام حتى لا يخرج العمـلاق من القمقم ويعود إلى السيطرة من جـديد ، وهم يتبعون فى تحطيم قوى الشرق كل الطرق ... فهم

---

(١) قال الوزير الأول هـذا القول لممثل الانجليز فى الهند حين طلب منه أن يكتب الملك المسلم « جهانكير » رسالة يحملها لسيده ملك انجلترا فقال : لا يليق بملك عظيم مثل جهانكير أن يكتب لملك صغـير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون . كما جاء فى « حضارة الهند لجوستاف لوبون »

يسلطون معاول المبشرين والمستشرقين لهـدم المعانى والروح الدينية فى نفوس المسلمين ، وإبعادهم عن فهم دينهم فهما صحيحا حتى يظلوا بعيدين عن تأثيره السحرى فى نفوسهم .

وهم يستعملون نفوذهم فى البلاد الإسلامية التى يحكمونها ، لكى يجعلوا برامج التعليم بعيدة عن روح الدين ، ليشب المثقفون المسلمون جاهلين بدينهم فيسيئوا الظن به ، ويتقبلوا كل طعن عليه ، وربما صاروا بعد ذلك حربا عليه ، مؤيدين بسلطة الاستعمار التى تؤيد كل خارج على دينه ، وتغدق عليه الخيرات ، وتشجعه على المضى فى طريقه الضال ، حتى يشكك المسلمين فى دينهم .

وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم من تكوين جيل مسلم مثقف ثقافة مدنية خالصة يعرف كثيرا عن الغرب ونهضته ورجاله ، ولا يعرف شيئا عن الإسلام وتاريخه وأمجاده ، وإذا عرف فمعلومات مشوهة تدعوه إلى السخرية بالإسلام والتبرؤ من المسلمين .

وليست هذه المدارس والمؤسسات الصحية الغربية التى يتنافس الغربيون فى إقامتها فى كل مكان فى الشرق إلا أساليب قوية ووسائل عملية لتوصلهم إلى الهدف الذى يريدون ، وقد عرف الناس أن المبشرين دائما هم طلائع الاستعمار ورواده فى كل مكان .

وفى المجال السياسى يحرص الغرب على استعباد المسلمين خاصة والشرقيين عامة ، ويحول بينهم وبين وسائل النهوض والاستقلال باللين والدهاء ، أو بالقوة والعنف ، بينما نجد دولا فى الغرب متمتعة باستقلالها وهى أقل شأنا من الأمم الشرقية التى يحرص الغرب على استعمارها ، ونظرة إلى ما يجرى فى البلاد الإسلامية التى يستعمرها الانجليز والفرنسيون أو غيرهما تعطيك الدليل فى جلاء ووضوح .

فالجزائر تلك الدولة الإسلامية العربية التى كانت قوتها ترهب الغرب فى البحر الأبيض المتوسط انتهز الفرنسيون تحطيم أسطولها مع الأسطول المصرى والتركى أمام أسطول الدول الغربية مجتمعة فى البحر الأبيض أيام محمد على وتصنعوا الأسباب لاحتلالها عام ١٨٣٠ م ، ولكن كانت هناك الدوافع النفسية المتعصبة ضد الإسلام كما ينطق بذلك تقرير وزير حربية فرنسا الذى رفعه للمليك شارل العاشر يبرر به مبادرة حكومته لاحتلال الجزائر « أخذا بثأر الإهانة التى لحقت ممثل فرنسا ، وإرضاء للمسيحيين ، وذلك بإبادة المسلمين أشد أعدائهم طغيانا » . ويلاحظ أن سلطان الجزائر كان قد أقرض فرنسا قبل ذلك أموالا

أنقذتها من ورطتها المالية . . فتصوروا رد الجميل ، ويقول فى تقريره أيضا : « مولاى إنها المشيئة الإلهية التى قضت بأن ينادى سليل القديس لويس ليأخذ بالثأر » . والقديس لويس فى نظرهم هو لويس التاسع الذى أسره المسلمون فى المنصورة ثم أطلقوا سراحه بعد دفع فدية من المال . وفى طريقه إلى فرنسا أراد أن يظهر بمظهر البطل فعرج على المسلمين فى الجزائر ، ولكنهم قتلوه بعد أن هزموه ، فصار فى نظرهم « القديس لويس » الذى يريدون أن يغسلوا عار الإهانة التى لحقت به ، وينتقموا من المسلمين الذين هزموه وهم يدافعون عن بلادهم ، ثم يستطرد التقرير فيقول : « وليغسل عار الإهانة التى لحقت به هو بالذات ، وليقتص للدين وللانسانية . . . » ويقول قائد الحملة التى احتلت الجزائر موجها كلامه لرجال الدين المرافقين للجيش : « لقد جئتم لتعيدوا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية إلى أفريقيا (١) » . .

وهكذا يحرك التعصب ضد الإسلام هذه الجيوش لكى تحتل بلدا مسلما وتعمل على إبادة أهله من المسلمين . . ولئن كان هذا قد نطقت به تقاريرهم وألسنتهم منذ أكثر من قرن ، فأن فيما تحدثوا به ودونوه فى صحفهم فى هذه الأيام ماينطق تماما بأن القوم هم هم ، لم تتغير نفسيتهم ، ولم تهذبهم حضارتهم . فأن « جورج بيدو » وزير خارجية فرنسا فى سنة ١٩٥٣ يقول غداة خلع سلطان مراكش حين صارحه بعض الصحفيين باستنكار هذا التصرف فى بلد مسلم فى اليوم الذى يحتفل فيه المسلمون بعيدهم الأكبر ـ يقول ردا على هذا الاستنكار :

« يعز علىّ أن أرى الغلبة للهلال على الصليب ، فدعونى ـ أيها السادة ـ أحلم ببيت المقدس » وهكذا تطفح الأحقاد الموروثة على لسان وزير خارجية لدولة علمانية دون مبالاة . . فيلقى بهذا التصريح على ملأ من الصحفيين الذين ينشرون كل ما يسمعون ! !

بهذه الروح احتلت فرنسا الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ، أى منذ مائة وثلاثين عاما تقريبا ، وهى دائبة على محو عروبتها وإسلاميتها ، وأهلها دائبون كذلك على الجهاد والتضحية ليبقى لهم إسلامهم وتبقى لهم عروبتهم . . ولا تقف لهم فرنسا وحدها ، بل يقف معها حلف شمال الأطلنطى الذى أعد ليقف أمام روسيا ! ! فلماذا يتجمع الغرب كله ضد الشعب المسلم المكون من أحد عشر مليونا والذى يدافع عن أرضه وتراثه وحقه فى الحياة ؟ ! لا نعرف سببا لذلك إلا الرغبة فى التحكم واستغلال هذا الشعب وإذلاله . . لقد كتب بعض

---

(١) كتاب شمال أفريقيا .

كتاب فرنسا الأحرار بعد أن اشمأزت نفوسهم من أساليب دولتهم الغاشمة وقالوا : هل كان يرضى زعماء العالم الغربى عما يجرى فى الجزائر من تقتيل المسلمين وتدمير بيوتهم لو كان شعبها شعبا مسيحيا لا مسلما ؟؟!!!

ولقد ذكرنا هـذا القول بموقف الغرب مع اليونان ليساعدها على التحرر من حكم الأتراك، فقد تجمع الغرب كله على تركيا فى صف اليونان وقام شاعر الإنجليز يستحث الغربيين بقصائده ويثير فيهم العصبية ضد تركيا . وفعلا تحررت اليونان وأصبحت دولة مستقلة .. ولا يقل أى شعب مسلم من الشعوب المضطهدة الآن عن اليونان ، ولكن الفرق أن هذا مسلم ، وذاك مسيحى .. هـذا يجب استعباده واستغلاله وكتم أنفاسه حتى لا يستيقظ للصوص ، وذاك شعب أوربى يجب أن تعطى له حريته ، ولو كانت هـذه الحرية فى استعباد الشرقيين ! !

وقد نشرت مجلة « لايف » الأمريكية تحقيقا صحفيا عن الجزائر وكتبت تقول : إن الفرنسيين يقولون .. كان يجب أن نصنع مع المسلمين ماصنعت أمريكا بالهنود الحمر نقتلهم .. ! ! (١)

وهذا وزير فرنسى يقف فى برلمانهم يقول بأعلى صوته : إننا لا نسمح لرجل من الشرق مثل جمال عبد الناصر أن يقف فى وجه أوربا ويحطم نفوذها ! !

المسألة إذن مسألة نفوذ أوربا على الشرق والخوف من ضياعه ! !

والذى جرى لفلسطين هو مثل آخر من أمثلة محاولة الغرب إذلال المسلمين وكسر شوكتهم . فلقد تآمر الغرب كما هو معروف على شعب عربى مسلم وأخرجه من بلاده وأملاكه ، وتركه مشردا ينظر من بعيد إلى بيته وحقله يتمتع عدوه بهما وهو محروم حتى من القرب منهما ..

والإسلام والمسيحية قريبان .. والمسلمون لايحقرون عيسى ولا يتهمون أمه بالزنا كما فعل اليهود ، ولقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام ولكن الله أنجاه من كيدهم ورفعه اليه .. والقرآن الكريم يمجد عيسى وأمه ويدافع عنهما ويبرئ ساحتهما من اتهامات اليهود .. فكان من منطق النفوس السليمة المبرأة من الهوى أن يتقارب المسلم والمسيحى وأن يكونا فى وجه اليهود المعتدين .

---

(١) نقلته وعلقت عليه مجلة التحرير بقلم الأستاذ محمد صبيح .

ولكن هذا المنطق السليم انعكس واختفى تماما أمام منطق المصالح الذاتية للغرب، وأمام خوفه على لقمة الزبد التى عرف طريقها منذ أن عرف طريقه لاستغلال الشرق. انعكس هذا المنطق السليم لأن الغرب يخشى أن تقوى الدول الإسلامية، وهى تملك ذخائر البترول والمواد الخام للغرب فتحرمه منها، فكان لا بد له إزاء هذا الخوف أن يضع هؤلاء الأفاكين اليهود فى قلب العالم العربى الإسلامى ليشغله بهم، ويجعلهم شوكة وحربة يطعنه بها متى أراد..

وتلك وصمة العالم الذى سمى نفسه زورا وتبجحا بالعالم الحر.. وليس له من معنى الحرية السامية نصيب، اللهم إلا إن كانت حرية فى سلب أموال الناس وحرياتهم!!

والآن يتجمع هذا الغرب أيضا ـ وفرنسا وانجلترا فى مقدمته ـ يتجمع بأساطيله وقواته البرية والجوية والبحرية أمام مصر، ويسلط صحفه وإذاعاته على قائد مصر وفخر الشرق الرئيس جمال عبد الناصر لماذا؟؟ لأنهم أحسوا أن الرئيس جمال يتبع سياسة مستقلة، ويريد النهوض بشعبه والشعوب العربية والإسلامية لتنفض عنها غبار الماضى، وتحطم قيود الذل التى يضعها الغرب فى عنقها، لأنهم رأوا جمال يعمل على تقوية مصر وجيشها وعلى توفير الخيرات لشعبها، ويسلك فى هذا سبلا لا يرضونها، ليجعل من مصر وشقيقاتها العربية المسلمة قوة لها شأنها فى ميزان القوى فى هذا العالم.. وفى هذا خطر محقق على الغربيين؛ لأن معناه القضاء عليهم وعلى سيطرتهم وسلبهم ونهبهم من الشرق.. فيجب إذن أن تجند كل القوى الغربية لتحطيم هذا المارد الذى خرج لهم من مصر.. قال الإنجليز عنه: إنه عدوهم الأول.. فى العالم.. وقال الفرنسيون: إنه الذى يقود حركة التحرير فى المغرب ضد فرنسا.. وقال الإنجليز: إنه الذى يحرك شعوب المستعمرات ضدنا.. وماذا فى هذا عند أصحاب الشرف والحق؟!

إن هذا شرف يفتخر به جمال وتفتخر به مصر والشرق.. ولكن متى عرف الغرب الشرف أو صادق الشرفاء الأحرار! إنه لا يعرف إلا الخونة ولا يصادق إلا الأشرار.. الذين يشاركونه فى لصوصيته وجرائمه ضد الشعوب البريئة!!

لقد قالت صحف الغرب وصحف ربيبته إسرائيل: إن جمال عبد الناصر يريد أن يعيد فى الشرق تاريخ صلاح الدين الأيوبى.. وهم يعرفون جيدا ما فعل بهم صلاح الدين، وهم لهذا يحاولون التخلص من صلاح الدين القرن العشرين. أما نحن فنعرف أيضا

صلاح الدين . ولهـذا نضع أرواحنا فى كف جمال ، صلاح الدين القرن العشرين . . ليعيد لنـا مجدنا الغائب . .

إن الموقف الآن هو بين الشرق والغرب ، لا بين مصر و بريطانيا ، هو موقف فاصل بين عهدين : عهد النفوذ المطلق للغرب فى الشرق، وعهد اليقظة فى الشرق ليرسم بنفسه الطريق الذى يؤمن سيره وحياته . . ولو لم يرض الغرب . . ومن أجل هـذا يغضب الغرب، ومن أجل هذا أيضا يقف الشرق صفا واحدا مع مصر . . يرقب الفجر الجديد الذى بدأ يطل عليـه بنوره الوضاح . . لتشرق بعـده شمس جديدة على الشرق القوى العزيز . .

إن الشمس التى تشرق من الشرق كل يوم لاتزال تلح علينا أن نشرق معها كذلك على العالم . . ولن يكون ذلك إلا إذا فهمنا رسالتنا ، وفهمنا وضعنا فى العالم ، وعرفنا أساليب القوة فى الحياة ، لنتغلب على قوى الشر ، ونحرس رسالتنا فى الحياة : رسالة النور والخير والسلام . .

إن المجد الذى غاب عنا قرونا قد بدأ يطل علينا من جديد . . فلنبذل فى سبيله القرابين من أموالنا ودمائنا وكل عزيز لدينا . . لنعيش فى شرقنا أعزاء وتعيش معنا كل الشعوب سعداء كرماء .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقل عسى أن يكون قريبا ؟

ديوبند ، (سهارانبور)

عبد المنعم النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهنـــد

صفحات من البطولة
فى الاسلام

العرب قوم جبلوا على الشجاعة والمروءة والإقدام ، وقد حفظ لنا التاريخ من قصصهم وأخبارهم فى هـذا الباب العجب العجاب . ولأمر ما اختار الله خاتم رسله من العرب، لما كانوا عليه من الفضائل والخلال التى تؤهلهم للدفاع عن الإسلام وتبليغ رسالته إلى الناس عامة عربهم وعجمهم. ولما جاء الإسلام نمى فيهم فضيلة الشجاعة والإقدام، ونحى بهم فيها منحى الدفاع عن الحق والخير والعدل. ونشر لواء الأمان والمثل الإنسانية الرفيعة، فبعد أن كان العربى يقاتل حميـــة وعصبية أو طمعا فى مغنم أو جاه أو سلطان أو ليرى الناس أنه شجاع مغوار ، أصبح يقاتل دفاعا عن عقيدة صحيحـة ودين قويم امتزجا بلحمه ودمه ، وطمعا فى مرضاة الله ورسوله ، ومسارعة إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وقد استفاضت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بهذه المعانى الكريمة قال تعـالى: « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » [١] . وقال عز شأنه : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيـاة الدنيـا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » [٢] وقال : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » [٣] .

ولم يرد الأمر بالقتـال فى القرآن الكريم إلا مقرونا بكونه فى سبيل الله ، وما سبيل الله إلا طريق الإسلام ، وهى طريق الحق والعدل والخير .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى أن رجـــلا سأل رسول الله صلوات الله

(١) سورة الحج الآية ٣٩ ـ ٤٠ (٢) سورة النساء الآية ٧٤ (٣) التوبة الآية ١١١ .

وسلامه عليه عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليرى مكانه، أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال المشرع الحكيم: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله». فلا عجب – وقد رفع الإسلام من شأن الجهاد فى سبيل الله – أن كان للبطولة فى تاريخ المسلمين قصة واقعية مشرفة، تنم عن عظمة النفس وسموها وما كان عليه هؤلاء القوم من التضحية بالنفس والمال فى سبيل الدفاع عن العقيدة ودفع الظلم والعمل على تثبيت دعائم الحق والعدل ونشر السلام، فلا يفتن أحد فى دينه، ولا يطغى قوى، ولا يتجبر غشوم، ولا يذل ضعيف، ولا يسام الخسف والهوان رقيق.

وليست البطولة قاصرة على مواطن الحرب والطعان، ولا على أصحاب الأجسام الفارعة والقوة الخارقة، ولكنها تكون فى الرأى والاعتزاز به، والمجاهرة بالحق والانتصار له والثبات عليه مهما تآزرت قوى الشر والباطل، وقد تكون من ضعيف فى بدنه قوى فى نفسه، ولا تكون من قوى فى جسمه خائر فى عزيمته، وإذا اجتمعت القوة البدنية والقوة الروحية والنفسية لشخص فقد استحوذ على البطولة من جميع جوانبها.

أما أول سطر كتب فى سجل البطولة الإسلامية فهو ما سجله التاريخ على صفحاته الغر بمداد من الفخار والإعظام لصاحب الرسالة العظمى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يوم تألبت قريش عليه وعلى صحبه القلائل، وجاءوا إلى عمه وناصره أبى طالب يحملون الضغن وقطيعة الرحم والمناجزة بالحرب فقالوا: يا أبا طالب، إن لك فينا منزلة وشرفا، وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على هذا. فأما أن تكفه أو ننازله وإياك، وعز على أبى طالب فراق قومه وهو على دينهم كما عز عليه أن يسلم إليهم ابن أخيه، فأرسل إلى رسول الله وأخبره بمقالتهم وقال له: فابق على وعلى نفسك ولا تكلفنى من الأمر ما لا أطيق. وفى هذه البرهة التى توقف عليها مصير الإنسانية، ووجد الرسول فيها عمه كأنه خاذله وحوله أتباع لا يكادون يدفعون الأذى عن أنفسهم سواء فى ذلك أشرافهم وغير أشرافهم، قال بطل الأبطال قولته الخالدة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خنقته العبرة مصمما على تبليغ رسالة ربه، فما كان من شيخ قريش أبى طالب ألا أن وقف مشدوها أمام هذه العظمة النفسية والبطولة الحقة والإرادة القوية التى لا تقهر، فنادى على ابن أخيه وقد بهره ما رأى وما سمع، وقال له: «قل يا بن أخى ما أحببت فلن أسلمك إليهم أبدا».

فهل علمت - أيها القارئ الكريم - فى باب البطولة أروع من هذا المثل وأسمى ؟ ؟

ولم تقف بطولة الرسول صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد من عظمة النفس وقوة الروح والشجاعة فى الرأى، بل كانت له مواقف ومواقف فى مواطن الحرب والنزال أشاد بها الشجعان الكواسر والأبطال المغاوير، فهذا فتى الفتيان وسيد الشجعان على كرم الله وجهه يقول : « إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو » ويقول ابن عمر رضى الله عنهما : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويقول أنس رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه الصلاة والسلام راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » . وهل ينسى التاريخ موقفه صلى الله عليه وسلم فى أحد وقد فر بعض الكماة والشجعان وثبت هو مع ثلة قليلة من صحبه يقاوم جحافل الشرك ويصد أنصار الباطل ويحمى حمى العقيدة ؟

بل هل ينسى التاريخ موقفه المشرف يوم حنين ، إذ أعجبت المسلمين كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ولوا مدبرين . لقد وقف فى هذا اليوم على بغلته البيضاء وجموع المنهزمين قد ضاقت بهم السبل وهو ينادى : « إلىّ عباد الله ، إلى عباد الله » فما لبثت فلول المنهزمين أن ثابت إلى رشدها، وتجمعوا حول النبى صلى الله عليه وسلم، وشرعوا يقاتلون الأعداء ، حتى حصلوا على النصر بعد الهزيمة، ومن يدرى ؟ فلولا ثباته صلى الله عليه وسلم فى أحد وحنين لكانت الهزيمة منكرة ، ولربما تغير مجرى الحوادث وأتت الرياح بما لا يشتهى السفن .

لقد كانت هذه الصفحات المشرقة فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مدرسة تأدب بتعاليمها المسلمون، وتخرج فى رحابها أصحابه الأجلاء ، وقد عرف التاريخ الصادق للكثيرين منهم البطولة الفذة والذكر الخالد والأثر العظيم فى كسر أغلال الشرك وإزاله رق العقول ونشر رسالة الإسلام وإشاعة الحرية والأمان بين الناس ، ولا يتسع مقالى اليوم للتحدث عن تلاميذ هذه المدرسة المحمدية الفاضلة ، فإلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

ثورة الاسـلام

على الفقر واحتـكار الاموال

- ٢ -

إن الإسلام يجمع محاسن النظم كلها ويتجافى عن عيوبها ، ويشتمل على كل ماتمس إليه حاجة الناس فى أى مكان وأى زمان ، فهو يقرر الملـكية الفردية ونظام الدرجات وحق الميراث ، ليتم التعاون بين الناس ويقوم كل منهم بواجبه فى الحياة على أتم الوجوه ، قال الله تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) . ولكنه مع ذلك نظم موارد الملـكية وحدد أبواب الـكسب بما يتفق ومصلحـة المجموع ، فحصر أبواب الملـكية فى ثلاثة أشياء ، وهى الزراعة والتجارة والصناعة ، ووضع لكل منها قواعد إذا روعيت كان فيها صلاح الفرد وصلاح المجتمع ،ودفع الناس إلى طلب الرزق من هذه الموارد المحدودة بكلتا يديه ، ونظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على وجه لايوجد فى أرقى النظم والقوانين ، قال الله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

وروى الطبرانى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يحب المؤمن المحترف) وروى الطبرانى فى المعجم الكبير عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الكسب أفضل ؟ قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » . ومما يشير إلى واجب العامل قوله تعالى : (إن خير من استأجرت القوى الأمين) ومما يشير إلى حق العامل ما رواه ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وروى البخارى فى حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم) كما كلف الإسلام الدولة بفتح ميادين العمل للقادرين عليه ، يدل

على ذلك صنيع النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض السائلين حيث جاءه بقدوم وشدّ فيه بيده الشريفة عودا من خشب، وأمره أن يجمع الحطب من الخلاء و يبيعه للناس، ونهاه عن السؤال والتكفف على ما رواه الترمذى وغيره عن أنس رضى الله عنه، وكما حث الإسلام على كسب المال من هذه الموارد المشروعة حذر من طلبه من غير هذه الموارد حماية للمجتمع، وشرع من الوسائل ما هو كفيل بتحقيق هذا الغرض، فنهى عن الطمع ورغب فى الزهد قال الله تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبق) ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل جملة وتفصيلا، قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ونهى عن الربا والغش فى التجارة والتطفيف فى الكيل والوزن والتلاعب بالأسعار واحتكار الأقوات لبيعها فى السوق السوداء، ونهى عن الرشوة وغير ذلك من أنواع أكل أموال الناس بالباطل أى أخذها بغير طريق شرعى.

ومما جاء فى تحريم الربا قول الله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) فهذه الآية صريحة فى تحريم الربا بجميع أنواعه، فما يقال فى تبرير ربا الانتاج من أن الحاجة إليه ماسة فى هذا العصر لقيام المشروعات ونهوض الصناعات وأنه لا يترتب عليه عليه ضرر للآخذ، يجاب عنه بأنه يمكن الاستعاضة عن الربا بتكوين الشركات والمساهمة فى المشروعات، وأن ضرره لا يقتصر على الآخذ ولكن بطريق غير مباشر، وفى اختلال التوازن المالى خير شاهد، ومما جاء فى تحريم الرشوة ما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما) وبلغ من مطاردة الإسلام للرشوة أنه شرع مصادرة الأموال التى تظهر فى يد صاحبها بجأة ولم يعرف لها سبب مشروع، ويغلب على الظن أنه استغلها بحكم منصبه أو بأى وجه من وجوه الحرام، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم مع ابن اللتبية عند ما ولاه على صدقات بنى سليم، وكما فعل عمر مع أبى هريرة حين ولاه على إمارة البحرين، وبهذا سبق الإسلام جميع النظم إلى وضع قانون الكسب غير المشروع.

ومما جاء فى تحريم الاحتكار ما رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون). وأمر التطفيف والسرقة وغيرهما من أنواع أكل أموال الناس بالباطل أظهر من أن يخفى، وكما حدد الإسلام موارد الكسب نظم طريق الصرف وإنفاق الأموال، فأمر بالاقتصاد، ونهى عن الإسراف والتقتير قال الله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) كما شرع الله الحجر على السفهاء يؤخذ به من لم يؤثر فيه الإرشاد.

وإلى جانب هـذا حبب الإسـلام فى الغنى ونفـر من الفقر ومـدح المـال وذم السؤال، كل ذلك ليحمى المجتمع من حبس المـال وإنفاقه فيما لا يفيد، ولم يهمل الإسلام أمر العجزة والضعفاء الذين لا يقدرون على الكسب، فهم جزء من الأمة يجب عليها رعايتهم

وقد بدأ الإسـلام عنايته بهم بحثهم على الصبر والرضى بما قسم الله لهم ريثما يأخذ بيدهم بالوسائل المـادية ، ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) ثم من كان له قريب موسر من الأصول أو الفروع حمله إياه فيما يعرف فى الفقه الإسـلامى بالنفقات ، ومن ليس له قريب موسر حمله للهيئة الاجتماعية ، وفتح لذلك عدة موارد أهمها الزكاة جعلها الله أحد أركان الإسـلام فليست بفرع ولا نافلة ، وجعل ما يعطاه الفقير منها حقا لا منحة ولا تفضلا حتى يحفظ للفقير كرامته، ونظم قواعدها على وجه يكفل مصلحة الفقير والغنى على السواء ، وجعـل للدولة الإشراف على تنفيذ نظامها ولو بالقوة ، وإلى جانب الزكاة فتح الإسلام جمـلة موارد منها الوقف والوصية وإكرام الضيف وصدقة التطوع وزكاة الفطر والأضاحى والكفارات والنذور ونحو ذلك مما يتصل بمصلحة الفقراء ، وإلى جانب هذا كله قرر تخصيص جزء من بيت المـال للانفاق منه على بعض الطوائف كالزمنى والعجزة والشيوخ، كما فعل عمر مع الذمى الذى رآه يتكفف النـاس حيث قرر له معونة شهرية من بيت المـال وقال له : (ما أنصفناك أيها الذمى ؛ أخذنا منك الجزية فى حال قوتك ثم أضعناك فى حال شيخوختك) وبهذا سبق الإسلام جميع النظم إلى وضع مبادئ الضمان الاجتماعى الذى نادى به السير وليم بيفردج .

والقاعدة العـامة التى تدور عليها سياسة الإسلام المـالية نشر العدالة بين أفراد المجتمع والتقريب بين الطبقات ، ومكافحـة تركيز الثروة حسبما يشير الله تعالى إليه فى آية الفىء إذ يقول : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ، ومما يتصل بذلك قانون الميراث الإسـلامى ومنع تفضيل بعض الأولاد على بعض فى الهبة ، حيث يتضمن ذلك توزيع الثروة بين أكبر عـدد ممكن من الورثة وعدم تركيزها فى يد بعض الأفراد ، وذلك لأنه وإن كانت المساواة المـادية لا تصلح أساسا للحياة الاقتصادية فأن التفاوت الكبير بين أفراد المجتمع لا يصلح كذلك ، كأصابع اليد لا تؤدى وظيفتها إلا بما هى عليه من التفاوت المحدود، أما إذا تساوت أو زادت نسبة التفاوت بينها عن الحـد المعقول كأن يكون بعضها مترا وبعضها بضعة سنتيمترات فأنها لا يمكن أن تؤدى وظيفتها .

ومن هنا يتضح أن موقف الإسلام من الفقر موقف العداء ، وأنه أعلن عليه غارة شعواء ، وهذه الحملة تهدف إلى حصره فى أضيق الحدود لا إلى القضاء عليه كل القضاء ، لأن وجوده على وجه معقول من لوازم الحياة .

وتتمثل ثورة الإسلام على الفقر فى ناحيتين : ناحية دفاعية وناحية هجومية ، وتتمثل خطة الدفاع فى ناحيتين ، الدفاع ضد الفقر الذى ينشأ من أسباب شخصية ، والدفاع ضد الفقر الذى ينشأ من أسباب اجتماعية ، وخطة الهجوم موجهة إلى الفقر الناشئ من أسباب طبيعية ، ذلك أن أسباب الفقر مهما تعددت وتنوعت تنحصر فى ثلاثة أنواع : أسباب شخصية ترجع إلى سلوك الشخص نفسه كالإسراف والكسل ، وأسباب اجتماعية ترجع إلى المجتمع ويذهب ضحيتها بعض الأفراد ، وأسباب طبيعية لا دخل فيها للفرد ولا للمجتمع كالمرض والشيخوخة والجوائح العامة ، وبالتأمل فى تعاليم الإسلام يتبين أنه تتبع أسباب الفقر وأعد لكل منها ما يناسبه

فأعد للفقر الناشئ من أسباب شخصية الحث على العمل والنهى عن الإسراف والتبذير والتحبيب فى الغنى والتنفير من الفقر .

وأعد للفقر الناشئ من أسباب اجتماعية تحريم أكل أموال الناس بالباطل جملة وتفصيلا : كتحريم الربا والرشوة والغش فى التجارة إلى غير ذلك من الوسائل التى شرعها للوقاية من الفقر الناشئ من أسباب اجتماعية .

وأعد للفقر الناشئ من أسباب طبيعية مواساة الفقراء وإيجاب نفقة القريب على القريب وفرض الزكاة ، إلى غير ذلك مما شرعه الإسلام لعلاج الفقر الناشئ من أسباب طبيعية .

وهذه هى المبادئ التى وضعها الإسلام للسير عليها فى الأحوال العادية ، أما حالات الطوارئ التى لا تكفى فيها النسب المقررة فى الزكاة : كحالات الزلازل والبراكين والفيضان وانتشار الآفات الزراعية ونحو ذلك مما ينشأ عن اختلال الوضع الاقتصادى وتفشى الفقر فى صفوف الأمة ، فقد وكل الإسلام إلى الحاكم أن يفعل مايراه مصلحة فى مثل هذه الظروف الاستثنائية : كأن يزيد فى سهام الزكاة عن الحد المقرر ، حتى إذا استقرت الأوضاع وعادت الأمور إلى حالتها الطبيعية عاد بالأمة إلى المحافظة على هذا النظام وعدم الخروج عليه ، وهذا ماتمليه روح الإسلام ، فقد كانت الزكاة مطلقة فى أول الأمر ثم حددت مقاديرها

بعد ذلك ، فاذا عرض للمسلمين حالة تشبه حالتهم فى أول الإسلام فلهم أن يأخذوا من الزكاة بالقدر الذى يسع الفقراء إلى أن تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية ، وقد عطل عمر حد السرقة فى عام المجاعة ، وعن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الأشعريين إذا رملوا فى الغزو أو قل طعامهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم) وفى باب المصالح المرسلة عند مالك مجال واسع ، ومن ذلك يتضح أن قانون الإصلاح الزراعى الذى قامت به حكومة الثورة يعتمد من الإسلام على أصل صحيح .

و بعد ــ فهذه نبذة قصيرة عن نظام الإسلام يتجلى منها أنه منتصف الطريق بين موسكو ولندن ، ويمكن لجميع الدول أن تأخذ به على أنه نظام اقتصادى إن لم تقبله على أنه دين ، وقد سار عليه العالم ردحا من الزمن ففاض فيه الخير ورفرف السلام ، ولا نجاة للعالم اليوم إلا بالأخذ بهذا النظام ، وأين من ذلك أفكار البشر ؟

وهل يستوى وحى من الله منزل وقافلة فى العالمين شرود

وهذا ما أمكن إجماله فى هذا الموضوع الشتيت ، والله ولى التوفيق ؟

محمد السيد ندا
من هيئة التدريس بكلية الشريعة

الرحمة فى قلب أرحم مولود

جىء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم من الأيام بتمر بعل وبتمر سقى ، فجعل يأكل من البعل ، فقالوا له :

ــ يا رسول الله ، إن هذا أصفى وأطيب .

فأجابهم : وهذا لم تجع فيه كبد ، ولم يعر فيه جسد .

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٥ —

مناقشة الأصوليين فيما يجوز التعليل به لأجل القياس :

إننا إذا رجعنا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واستقرأنا ما فيهما من الآيات والأحاديث الخاصة بالتشريع، وجدنا الكثير من الأحكام الواردة فيها معللا بما يترتب على الأفعال من منافع أو مضار، وهو ما سماه الأصوليون حكمة، ومنعوا التعليل به .

من ذلك قول الله تعالى: « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » فانه سبحانه علل الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معه بما يترتب عليها من المفاسد الدينية والاجتماعية، ولا شك أن هذا من الحكم التى قال الأصوليون إن التعليل بها لم يقع فى الشريعة .

وقوله جل ثناؤه فى شأن زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » [١] . فالله جل شأنه أمر رسوله الأمين بزواج زينب بنت جحش التى كانت زوجا لزيد بن حارثة الذى كان متبنى للنبى صلى الله عليه وسلم ، وعلل هذا بما يترتب على الزواج بها من دفع الحرج والضيق عن المؤمنين، بسبب ما اعتادوه وجروا عليه من تنزيل الأدعياء منزلة الأبناء فى الأحكام والحقوق .

---

(١) آية : ٣٧ من سورة الأحزاب .

ومن ذلك أيضا ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وقال : « إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » (١) وهو تعليل بما يترتب على الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من المفسدة وهى قطيعة الرحم ، لما ينشأ بين الضرائر من التشاحن والتخاصم ، وهو تعليل بالحكمة .

وما روى أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها فأنه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) أى أجدر أن تجتمعا على وفاق وخير ، يقال : أدم الله بينكم أى وفق ، فالأدمة هى الاتفاق والامتزاج والاختلاط والمعاشرة .

فأنه عليه الصلاة والسلام بين السبب فى إباحة النظر إلى المخطوبة ، وهو ما يترتب على النظر إليها من المحبة ودوام الوفاق والألفة بين الزوجين ، فأن الخاطب إذا رأى من يرغب فى زواجها ، وعلم فيها من المحاسن ما يرغبه فيها ، كان ذلك وسيلة إلى طول المعاشرة ودوام الصحبة ، وهذا من الحكمة التى ادعى الأصوليون عدم وقوع التعليل بها فى الشريعة .

وكذلك لو رجعنا إلى ما نقل عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم من الفتاوى والأحكام لوجدنا فيها الكثير من التعليل بالحكمة . فمن ذلك أنهم عللوا النهى عن قطع الأيدى فى الغزو الوارد فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقطع الأيدى فى الغزو » بما يترتب على القطع إذ ذاك من الضرر ، وهو الخوف من ارتداد المقطوع ولحاقه بالكفار إذا كان من الرجال العاديين فى الجيش ، أو الخوف من طمع العدو فيهم وإظهار ضعفهم أمامه إذا كان المقطوع أميرا للجيش ، ثم عدوا هذا الحكم إلى غير القطع من الحدود كحد الزنا وشرب الخمر ، وقالوا : لا تقام الحدود فى دار الحرب (٣) .

وهذا - كما ترى - تعليل بالحكمة وتعدية للحكم من المنصوص عليه وهو القطع إلى غير المنصوص بناء عليها ، وفيه رد على الأصوليين الذين منعوا جواز التعليل بالحكمة والذين أجازوه وادعوا عدم وقوعه فى الشريعة .

وإذا رجعنا إلى ما قاله الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، وأنعمنا النظر فيما نقل عنهم من الأحكام والعلل التى عللوها بها وجدنا فيها الكثير من هذا النوع .

---

(١) نيل الأوطار حـ ٦ ص ١٢٦ (٢) منتقى الأخبار مع شرح « نيل الأوطار » حـ ٦ ص ٩٤

(٣) انظر أعلام الموقعين حـ ٣ ص ٢٩ ، ٣٠

فهذا أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول: إذا كان السبي رجالا ونساء وأخرجوا من أرض العدو إلى دار الإسلام فانى أكره أن يباعوا من أهل الحرب فيتقووا (١)، فانه علل كراهة بيع السبي لأهل الحرب بما يترتب على البيع من المفسدة وهى تقوية أهل الحرب التى تعود على المسلمين بالضرر.

وهذا أبو يوسف يقول: للرجل سهم واحد وللفرس سهمان من الغنيمة، ويعلل ذلك بقوله: ليرغب الناس فى ارتباط الخيل فى سبيل الله، وهو تعليل بما يترتب على هذا الحكم من مصلحة، وهى ترغيب الناس فى الإكثار من الخيل وإعداد العدة المقوية للسلمين ضد أهل الحرب.

وفى هذا يقول أبو يوسف فى كتاب الخراج ما يأتى: يضرب للفارس من الغانمين ثلاثة أسهم: سهمان لفرسه، وسهم له، وللراجل سهم، على ما جاء فى الأحاديث والآثار، وكان الفقيه المقدم أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول: للرجل سهم، وللفرس سهم، وقال: لا أفضل بهيمة على رجل مسلم، وساق له ما استدل به من الآثار ثم قال: وليس هذا على وجه التفضيل، ولو كان على وجه التفضيل ما كان ينبغى أن يكون للفرس سهم وللرجل سهم، لأنه قد سوى بهيمة برجل مسلم، إنما هذا على أن يكون عدة الرجل أكثر من عدة الآخر، وليرغب الناس فى ارتباط الخيل فى سبيل الله، ألا ترى أن سهم الفرس إنما يرد على صاحب الفرس فلا يكون للفرس دونه [٢].

وهذا محمد بن الحسن يقول: من له على آخر مائة فحلف لا يقبض منها درهما دون درهم، ثم وزن له خمسين فدفعها إليه، ثم وزن له خمسين أخرى فدفعها إليه، لم يحنث استحسانا، وعلل ذلك بأنه قد لا يتيسر له وزنها دفعة واحدة، ولو اعتبر هذا القدر لوقع الناس فى الضيق والحرج، وهو أيضا تعليل بالحكمة.

وهذا الإمام مالك بن أنس يفتى بتضمين الصناع ما يكون فى أيديهم من أمتعة الناس، ويعلل هذا الحكم بقوله: «وذلك لمصلحة الناس إذ لا غنى للناس عنهم» [٣].

---

(١) الرد على سير الأوزاعى ص ٦١

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ٢٢ طبع المطبعة السلفية

(٣) المنتقى شرح الموطأ جـ ٦ صـ ٧١

ويجيز الجهاد مع أمراء الجور، ويقول : لو ترك ذلك لكان ضررا على المسلمين[١] وهذا – كما ترى – تعليل بالحكمة .

وقد روى عن الإمام أحمد القول بتضمين الأجير المشترك ، وإن لم يتعد ، مستندا فى ذلك إلى قول على رضى الله تعالى عنه : «لا يصلح الناس إلا هذا» يعنى الحكم بالضمان [٢]

وكذلك لو رجعنا إلى كتب الفقه المختلفة لوجدنا فيها أحكاما كثيرة معللة بالمصلحة والحاجة والضيق والحرج والمشقة ، وهى من الحكمة التى قال علماء الأصول إن التعليل بها لم يقع فى الشريعة .

فمن ذلك أن المتأخرين من علماء الحنفية أجازوا أخذ الأجرة على تعليم القرآن والإمامة والأذان وسائر الطاعات ، وعللوا ذلك بالحاجة والمصلحة بناء على تغير الزمن واشتغال الناس بشئون المعيشة ، فلا يستطيع القائمون بهذه الأمور أن يتفرغوا لها من غير أجر .

ومن ذلك ما قاله علماء الحنفية فى خيار الشرط ، فقد حكموا بجوازه مستندين فى ذلك إلى ما جاء فى حديث حبان بن منقذ من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « إذا بايعت فقل لا خلابة ، ولى الخيار ثلاثة أيام » وعللوا جوازه بالحاجة إلى التروى والاستشارة ، ثم عدوا هذا الجواز إلى خيار النقد ، وهو أن يشرط البائع على المشترى أنه إن لم يدفع الثمن فى مدة معينة فلا بيع بينهما ، وذلك لحاجة الناس إليه كما فى خيار الشرط .

ومن ذلك أيضا ما قرروه فى عقد المضاربة ، فانهم قالوا بجوازه ومشروعيته من غير خلاف بين أئمة المذهب فى ذلك ، وعللوا هذا الجواز بحاجة الناس إلى هذا النوع من التعامل لأن صاحب المال قد لا تكون له خبرة بالتجارة ، ومن يكون له خبرة بالتجارة قد لا يملك المال اللازم لها ، فيحتاج كل منهما إلى الآخر ، ولما اختلف الإمام وصاحباه فى مشروعية عقد المزارعة فقال الإمام بعدم مشروعيته ، وقال الصاحبان بمشروعيته ، استدل بعض أصحاب الكتب الفقهية للصاحبين بأدلة كثيرة ، ومن بين هذه الأدلة قياس المزارعة على المضاربة بجامع الحاجة (٣) ، وذلك كله تعليل بالحكمة .

---

(١) الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ١٥

(٢) المغنى لابن قدامة ج ٦ ص ١٠٧

(٣) الهداية شرح البداية للمرغينانى ج ٤ ص ٤٢

ومنها أن فقهاء الشافعية قالوا : المساقاة مشروعة « وهى أن يتفق صاحب النخل أو الشجر مع عامل على أن يتعهده بالسق والتربية نظير جزء من الثمر كالربع أوالثلث » ، وعللوا مشروعيتها بأن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها أولا يتفرغ له ، ومن يحسن التعهد ويتفرغ له قد لا يملك الأشجار ، فيحتاج ذلك إلى الاستعمال ، ويحتاج هذا إلى العمل ، فدعت الحاجة إلى تجويزها ، ثم قالوا : القراض (١) جائز قياسا على المساقاة بجامع الحاجة (٢) .

كما قالوا بجواز بيع الرطب على النخل بمثله من التمر ، وعللوا ذلك بالحاجة ، ثم قاسوا عليه بيع العنب على شجره بمثله من الزبيب لاشتراكهما فى الحاجة

وغير ذلك كثير يظهر للمتتبع للمسائل الفقهية فى كتب الفروع المختلفة ، وفيما ذكرناه الكفاية للرد على الأصوليين فى قصرهم التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم ، ودعواهم أن التعليل بالحكمة لم يقع .

ومع ورود التعليل بالحكمة فى النصوص الشرعية والأحكام المنقولة عن الصحابة والأئمة وكتب الفقه المختلفة لا نكون فى حاجة إلى الرد على ما قاله علماء الأصول تبريرا لقصرهم التعليل الواقعى على الأوصاف الظاهرة، من أن الحكم بعضها خفى لا يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده، وبعضها مضطرب غير منضبط ، والتعليل لا يصح إلا بالظاهر المنضبط ، لأن هذا الوقوع يدل دلالة واضحة على أن من الحكم ما يكون ظاهرا لا يلتبس على الناس ، منضبطا لا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

أما المسائل التى أوردوها وجعلوها دليلا على رأيهم فى بناء الأحكام على الأوصاف الظاهرة دون الحكم بجواز الفطر للمسافر والمريض ولو انتفت المشقة ، وثبوت الشفعة للشريك والجار ولو لم يحصل لأحدهما ضرر من البيع للأجنبى ، فانها لا تصلح سندا لهم فى قصر التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم، لأنها من المسائل التى ربط الشارع

---

(١) القراض ويسمى المضاربة أيضا : هو العقد الذى يتفق فيه صاحب المال مع غيره على أن يدفع له مبلغا من المال ليتاجر فيه على أن يكون الربح بينهما مناصفة أوأثلاثا

(٢) النهاية شرح الغاية والتقريب ج ٢ ص ٧٦ ، ٧٩

الحكم فيها بأسباب معينة : كالسفر والمرض والشركة أو الجوار، يوجد الحكم بوجودها، وينتفى بانتفائها ، وإن كان هذا الحكم مشروعا لحكمة يستطيع العقل إدراكها كالمشقة ودفع الضرر ، ومثل هذه المسائل لا يتأتى القياس فيها ،وذلك لأن العلة التى ربط الشارع الحكم بها من العلل القاصرة على الأصل والتى لا توجد فى غيره من المحال ، إذ السفر لا يوجد إلا فى مسافر ، والمرض لا يتحقق إلا فى مريض ، ومن الشروط المعتبرة فى علة القياس ألا تكون العلة قاصرة على الأصل بل توجد فيه وفى غيره من المحال (١) على ما سنبينه فى الكلام على شروط العلة .

بقى أن يقال : إذا كان التعليل بالحكمة قد وقع فى المسائل المنقولة عن الأئمة فضلا عن وقوعه فى الكتاب والسنة وفتاوى الصحابة كما بينا ، فلم قصر علماء الأصول التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم ؟ وأكثر هؤلاء العلماء إنما دونوا هذه الأصول أخذا مما نقل عن الأئمة من الفروع ، كما هو معلوم من تاريخ هذا العلم .

وجوابنا عن هذا ـ كما يستفاد من كلام بعض المحققين ـ أن الأصوليين إنما سلكوا هذا المسلك ليصلوا من ورائه إلى أمرين :

الأول : ضبط الفروع المنقولة عن الأئمة بأقيسة عامة شاملة ، وعلل ظاهرة غير مضطربة ،ليسيروا عليها فى تخريج المسائل التى لم ينقل عن إمام المذهب تصريح بحكمها .

والثانى : المحافظة على المذهب وما نقل عن أئمتهم من فروع حتى لا يعترض عليهم بفروع منها .

يقول الكمال بن الهمام فى فتح القدير عند الكلام على علة تحريم الربا فى الأصناف الستة الواردة فى الحديث ، وهل هى الكيل أو الوزن كما قال الحنفية ، أو الطعم فى المطعومات والثمنية فى الأثمان كما قال الشافعية ، أو الاقتيات والادخار كما قال المالكية ، ما يأتى مع شيء من التصرف : الوجه أن تجعل العلة فى تحريم الربا عند الحنفية قصد صيانة أموال الناس وحفظها عليهم ، ولكن يلزم على التعليل بالصيانة ألا يجوز بيع عبد بعبدين وبعير ببعيرين ، وجوازه مجمع عليه إذا كان حالا ، فأن قيل : الصيانة حكمة فتناط بالمعرف لها

---

(١) ولزميلى وصديق الأستاذ محمد مصطفى شلبى فى رسالته : تعليل الأحكام مناقشة ومحاورة طريفة مع علماء الأصول فى منعهم التعليل بالحكمة ص ١٤١ — ١٤٩

وهو الكيل والوزن ، قلنا : إنما يجب ذلك عند خفاء الحكمة وعدم انضباطها ، وصون المال ظاهر منضبط ، فأن المماثلة وعدمها محسوس ، وبذلك تعلم الصيانة وعدمها ، غير أن المذهب ضبط هذه الحكمة بالكيل والوزن تفاديا عن نقضه بالعبد والعبدين ، وثوب هروى بهرويين [١] .

ومن تأمل هذا الكلام وجده واضحا فيما قلناه، حيث أنه يصرح بأن العلة - التى علل بها علماء الحنفية تحريم الربا فى الأصناف الستة التى ورد النص بها - وصف ظاهر مشتمل على الحكمة وهى قصد صيانة الأموال وحفظها ، وأن هذه الحكمة ظاهرة منضبطة يصح التعليل بها من غير احتياج إلى الوصف الضابط لها ، ولكن علماء المذهب عدلوا عن التعليل بها إلى التعليل بالكيل والوزن ، للفرار عن الاعتراض على المذهب ببيع العبد بالعبدين والثوب بالثوبين لو أنهم عللوا بالحكمة وهى قصد صيانة الأموال وحفظها ، فان التعليل بالصيانة يقتضى منع هذا البيع وعدم جوازه، وهو يخالف المقرر فى المذهب، وهو بهذا التقرير يعطينا صورة واضحة لمبلغ محاولة العلماء ضبط الفروع بأوصاف ظاهرة توافق الفروع الثابتة فى المذهب حتى لا يعترض عليه بفرع من الفروع المنقولة عن الأئمة م؟

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

زكى الدين شعبان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

البر والاثم

قال النواس بن سمعان : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال :

« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

الألفاظ الأوروبية

فى اللغة العربية

— ٢ —

ومن الكلمات التى أخذناها وشاعت كلمة ميل وهى كلمة لاتينية بمعنى ألف خطوة ، وكلمة بور Port بمعنى ميناء ، وتنطق فى شمال الدلتا « بلط » وكلمة Sister سستر وتدل على الممرضات .

وهنالك كلمات تدل على أسماء نباتات لم تكن معروفة للعرب وجاءتنا بأسمائها من الغرب مثل بطاطس Potatoes وقد جاءنا اللفظ من الدنيا الجديدة بعد استكشافها ، أخذته معظم اللغات الأوروبية كما هو فيما عدا فرنسا التى أطلقت عليه اسما جديدا Pommes de terre وكذلك كلمة طباق Tobacco ، وطماطم Tomatoes ، وشكولاته Chocalates ، وكاكاو Cocoa .

ولم يقتصر أخذنا عن الغرب على انجلترا وفرنسا ، ولكننا أخذنا عن جميع اللغات حسب اتصالنا بها ، فايطاليا مثلا كانت مركز التجارة الأوروبية فى العصور الوسطى ، وكانت تجارتها مع الشرق تمر بمصر والبلاد العربية ، ومن ثم أخذت لغتنا عن الإيطالية كلمات عديدة تتعلق بما كانت تتفوق فيه إيطاليا من علوم وفنون ، ومعروف أن إيطاليا بزت غيرها فى الموسيقى والنحت والتصوير ، ولذلك جاءتنا منها ألفاظ بيانو Piano ، وسوبرانو Soprano وسولو Solo ، وبروفيل Profile . وشهرة إيطاليا فى البناء ذائعة فلم يكن غريبا أن نستعير منها ألفاظ بلكونة Balcone ، وكوريدور Corridore . وشهرة إيطاليا بصناعة أنواع معينة من الطعام أعطانا لفظ مكرونة Macaroni ، ورواج تجارتها أعطانا وأعطى لغات العالم كلمة بنك Bank ، وموسلين Muslin النسيج المعروف الذى أخذه الإيطاليون تقليدا من بلدة الموصل . ومن الألفاظ الإيطالية التى نستعملها كثيرا وبخاصة فى الشتاء لفظ انفلونزا .

والصلة بين العرب والاسبان قديمة تركت فى اسبانيا مئات ومئات من الكلمات العربية ، وتركت لنا بعض كلمات خاصة بعد أن قفزت اسبانيا إلى مقدمة الصفوف وتزعمت حركة الاستكشاف الجغرافى ، فمنها أخذنا سيجار Cigar وسيجارة Cigarette .

ونتيجة لاستكشافات البرتغاليين فى أفريقيا جاءتنا ألفاظ بنانا Banana ونجرو Negro ومرملاد Marmalade مربى البرتقال وتانك Tank بمعنى إناء .

والكلمات التى تعبر عن الألعاب الرياضية جاءتنا من الغرب ، أخذنا بعضها فى استسلام لم نحاول تعريبها مثل بولو Polo وبلياردو Pilliard وغيرهما ، والبعض الآخر بذلنا محاولات فاشلة لتعريبها ، ولكن تغلب اللفظ الأجنبى وسرى استعماله ، كما حدث لكلمات فوت بول Foot ball وباسكتبول Basket ball وبينج بونج Bing Bong وغيرها .

والكلمات التى نستعملها للمواصلات والنقل أيضا أوروبية مثل تراموای Tramway وأوتوبيس وتاكسى ولورى Lorry .

وهناك ألفاظ يستحيل علينا ترجمتها إلى العربية لأنها أسماء أفراد أطلقت على اختراعات لهم مثل Watt و Volt و Ampère .

وأخذنا بالتقويم الميلادى جعلنا نأخذ بكلمات استمدت من أسماء ملوك رومانيين أو من آلهة الإغريق ، فشهر أغسطس أخذ اسمه من الإمبراطور صاحب هذا الاسم ، ويوليوس قيصر أعطانا شهر يوليو ، وكلمة قيصر بمعنى ملك ، وأكتوبر معناه الشهر الثامن وإن كان حاليا هو الشهر العاشر ، ونوفمبر معناه الشهر التاسع وإن أصبح فى أيامنا هذه الشهر الحادى عشر .

أما كلمة جنيه Guinea فهى عملة سكت من ذهب مستورد من إقليم غينيا على ساحل أفريقيا الغربى ، وأطلس Atlas بمعنى مصور جغرافى أخذ من اسم أحد آلهة الإغريق كانوا يعتقدون أنه يحمل العالم على كتفيه ، وكلمة بركان من إسم الدالنار الإغريق Vulcan ، أما كلمة ساندوتش فلها قصة ترجع إلى القرن الثامن عشر ، فقد كان اللورد ساندوتش الإنجليزى مولعا بالقمار يقضى أيامه ولياليه أمام المائدة الخضراء ، ولم يكن يجد وقتا يتناول فيه طعامه ، فابتكر طريقة جديدة هى أن يلتهم قطعة من اللحم موضوعة بين شريحتين من الخبز ، وأطلق اسمه على ابتكاره الذى ذاع .

وتوجد أسماء فيها أخطاء شائعة مثل دندى Dinde أو الدجاجة الرومية كما نسميها ، والدجاجة التركية Turkey كما يسميها الانجليز ، والدجاجة الهندية كما يسميها الفرنسيون ، ولا ينتمى هذا الطائر إلى أى من هذه البلاد ، فهو طائر أمريكى .

وأمريكا نفسها سميت باسم Americo Vespucci أمريكو فسبوتشى بينما كان المفروض أن تسمى باسم مكتشفها كرستوف كولومب .

ونحن نستعمل ـ نقلا عن الفرنسية والانجليزية ـ كلمات كثيرة مركبة من مقطعين أحدهما اغريق والآخر لاتينى : مثل كلمة بسكلته فهى مأخوذة من Bi بمعنى اثنين ، Kuklos بمعنى عجلة . والمقطع Auto بمعنى ذاتى ونجده فى كلمات كثيرة مثل أوتوجراف وأوتوموبيل والمقطع Dia بمعنى «بين» تشكلت منه كلمات كثيرة مثل ديالوج Dialogue حديث بين شخصين أو أكثر ، والمقطع ist ويدل على شخص ويأتى فى أواخر الكلمات مثل أرتست Artist وبيانست Pianist وغيرها .

* * *

هذه أمثلة قليلة من كلمات كثيرة أخذتها اللغة العربية ، ورأيناها تجرى على ألسنة الناس فى حديثهم وعلى أقلام الكتاب فى كتاباتهم ، ونجد بجانبها كلمات أخرى أخذتها لغات العالم جميعا ، ولم تأخذها اللغة العربية مثل رأس المال Capital وتجارة Commerce واستغلال Investment وتأمين Insurantce وخصم Discount .

ولم تأخذها اللغة العربية لأنها أولا ألفاظ صعبة النطق ، وثانيا لأن مثيلاتها فى لغتنا تغنى عنها بدقتها ووضوحها ، ومن ثم لم نكن فى حاجة لاستعارتها .

ومن الكلمات الشديدة الذيوع بيننا والتى قد يظن البعض أنها غربية كلمة بيجاما وهى فارسية ، وكلمة شامبو وهى هندية ، وكلمة كاكى أو خاكى وهى هندية أيضا . أما لفظ موكاسان Moccâsin الذى ذاع أخيرا وأطلق على نوع معين من الأحذية ، فقد كان فعلا من جلد الغزال يرتديه هنود أمريكا الشمالية .

ومن طريف ما يحدث من تغيير فى المعنى عند استعارة لفظ ما حدث لكلمة مخزن العربية ، فقد أخذها الأوربيون فأصبحت Magazin الفرنسية بنفس المعنى أو بمعنى

دكان ، وكانت Magazine الانجليزية بنفس المعنى حتى القرن الثامن عشر حين صدرت مجلة باسم Gentleman's Magazine وفسر الناشر الاسم بأن المجلة تحوى كنوزا من الأدب كالكنوز التى قد توجد فى المخازن ؛ ولكن اللفظ استعمل بعد ذلك بمعنى مجلة .

* * *

هذه الظاهرة التى تحدثت عنها تحدث فى كل لغة، والكلمات التى أخذناها سيبقى بعضها ويدخل فى لغتنا ، والبعض الآخر سيمحى ، وسنقلع عن استعماله متى توفرت الظروف المناسبة . فحين نؤمن بقوميتنا إيمانا صادرا من القلب ، وحين تنبلج فى أفئدتنا أنوار الحرية الحقة ، وحين تذهب عنا عقدة الصغار التى نشعر بها أمام الأجانب وكل ما هو أجنبى، حين يتم ذلك كله ـ وهو قريب إن شاء الله ـ سنقلع عن استخدام الكثير من هذه الألفاظ التى أخذناها بلا مبرر ، والتى جرت على ألسنتنا للمباهاة أو المحاكاة أو عن جهل .

ومثل هذا البحث يحتاج إلى مجلد ، ليس أقدر على كتابته من بعض علمائنا اللغويين، ولعل بعض هؤلاء يعنى بمثل هذه البحوث المقارنة .

وليس من المعتاد أن يهدى كاتب بحثه إلى إنسان ما ، ولكنى أخالف المتبع وأهدى بحثى هذا إلى الصديق الأستاذ الشيخ محمد على النجار العالم اللغوى الثقة .

عمر طلعت زهران

الله والعلم الحديث

النظر فى ملكوت السماوات والأرض من أعظم وسائل الإيمان بالله ، والاستدلال بعظمة الكون على عظمة الذى أوجده وكونه . ومن الناس من يزيده العلم بملكوت الله إيمانا بالله ، ومنهم الذين اختاروا طريق الشقاوة فهم يزدادون بذلك كفرا .

وقد ألف الأستاذ عبد الرازق نوفل العالم الزراعى كتابا عنوانه « الله والعلم الحديث » أثنى عليه الدكتور حسين عارف وكيل جامعة القاهرة بأنه « جمع بين دقة العلم وعمق الإيمان، وأظهر روعة الإسلام ، وربط الجديد من النظريات العلمية بالآيات القرآنية ، فجاء بذلك فريدا فى نوعه ، وموجبا لأن تعم قراءته » .

المقاطعة الأدبيـــــة

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلق الرجل ، فيقول : ياهذا . اتق الله، ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ـ وهو على حاله ـ فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ـ إلى قوله ـ فاسقون » . ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم » . رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، واللفظ لأبى داود .

تقـديم :

تقدير : إن أول مادخل النقص : أى النقصان ، على بنى إسرائيل : أى فى دينهم ، أنه كان الرجل : أى منهم ، يلق الرجل : أى الآخر ، فيراه على معصية ، فيقول : يا هذا اتق الله ودع : اى اترك ، ثم يلقاه من الغد : أى فيه أو لقيا مبتدأ من الغد ، فلا يمنعه ذلك : أى بقاؤه على حاله من المعصية مع نهيه له بالأمس القريب، أن يكون : أى من أن يكون ، أكيله وشريبه وقعيده : أى مصاحبا له فى الأكل والشرب والقعود . فثلاثتها فعيل بمعنى مفاعل كمؤاكل ومشارب ونظيره قول حاتم :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له ... أكيلا فانى لست آكله وحدى

فلما فعلوا ذلك : أى تركوا ما بدءوا به من النهى عن المنكر إلى مصاحبة العصاة على الوجوه المذكورة ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض : أظهر الوجوه فيها : أنها من قولهم : ضربت الشىء بالشىء وضرّبته : إذا خلطته، والمراد لازم ذلك الخلط، وهو الاشتباه والالتباس، وجاء من هذا الضرب بمعنى الشبه والمثل، والضريب : الشبيه والمثيل. تقول :

هم ضروب وضرباء : أى أشباه وأمثال ، وأما الثانية فى الحديث ، وهى : ليضربن بقلوب بعضكم على بعض ، فالباء فيها لتأكيد التعدية وتسمى زائدة . مثلها فى قوله تعالى : «بل نقذف بالحق على الباطل» أى نقذفه ، فالمعنى ليضربن قلوب بعضكم على بعض، أى ليجعلنها على وفاق بعض أى مثاله ، والأخذ على يد الظالم : كناية عن منعه ، وأصله الإمساك باليد ، ومعنى لتأطرنه على الحق : لتردنه ولتصرفنه إليه ، وأصل الأطر الثنى والعطف ـ الحسى ـ فهو إذن فى مثل الحديث مجاز ، ومعنى لتقصرنه على الحق : لتحبسنه عليه حتى لايجاوزه إلى الباطل، وليس فى عطف هذه الجمل الثلاث بعضها على بعض تكرار كما يظن بادئ الرأى . فالأولى للمنع عن الباطل والظلم ، والثانية للرد إلى الحق والحمل عليه ، والثالثة للالزام به والحبس عليه ، و بين الإزالة عن الوصف والتحلى بضده ثم لزومه والثبوت عليه من التفاوت مالايخفى ،واللعن فى الحديث على أصل معناه ، وهو الإبعاد والطرد ، أى من رحمة الله ، وهو من الخلق فى لازم ذاك ، وهو السب والشتم والدعاء .

المعنى :

المقاطعة الأدبية : وهى أولى المظاهر العملية الصادقة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، سلاح من أسلحة الحق الحاسمة الماضية ، وقوة من قواه الغالبة الظافرة، يتوقف عليها فى كثير من المواطن حسم أدواء الظالمين المهلكة المفنية ؛ وكف بوائقهم المتلفة المبلية ، وصدّ شرورهم العاصفة المدمرة ، و بمقدار ما تعرف الأمم والجماعات من قيمة هذا السلاح وقدره ، ومن عظيم خطره وأثره ، يكتب لها الله ما شاء من السلامة والبقاء ، ثم يتفضل عليها بما هى له أهل من العزة والكرامة والشرف والسناء ، و بمقدار ما تستهين الأمم والجماعات بهذا السلاح الروحى، وتنكر من خطره، وتجهل من قدره وأثره، تضطرب عليها أمورها ، وتسوء أحوالها ، وتفسد شئونها ، وتتزلزل فى العالمين أركانها ، بل تدرس وتنطمس معالمها وآثارها ، كما هو شأن كثير من الأمم التى انتهت إلى المداهنة فى الدين ، والركون إلى الظالمين ، والسكوت على انتهاك محارم الله رب العالمين . فجعلها الله كما قيل :

ليصبحن أحاديثا ملعنة لهو المقيم ولهو المدلج السارى

وجعلها سلفا ومثلا للآخرين ، كهذا الذى يحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتلوه من كتاب الله فى شأن بنى إسرائيل .

وكما وردت هـذه المقاطعة الضمنية مقدمة فى الحديث على مابعدها من الأخذ على يد الظالم ، وأطره على الحق وقصره عليه ، فكذلك هى مرتبتها فى كل تأديب حكيم ، وتهذيب قويم .

أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت كتائبه

وحمل الظالمين الآثمين على الحق أمر حتم أوجبه الله على جميع المؤمنين ، ففى الحديث : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيـده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمـان » ويظن كثير من الناس أن هـذا الإنكار القلبى على ظاهره بأن يحتبس الإنسان سخطه فى نفسه ، ويختزن ما يجد من ذلك فى دخيلة صـدره ، وهو فهم لايكاد يستقيم ، إذ كيف يكون هذا الإنكار القلبى الذى يكون به صاحبه على مرتبة من مراتب الاستجابة لهذا الواجب العظيم شيئا آخر غير هذه المقاطعة الأدبية التى هى ـ وإن كانت عملا من أعمال الجوارح ـ هى المرآة الناطقة والصورة الصادقة لمـا فى القلوب . فهى إذن المرادة من هـذا التغيير للمنـكر بالقلب لـكن على نوع من التوسع والمجـاز . ولم لا ؟ ! وفى سمات الوجوه وقسماتها ، وفى لمحات العيون ونظراتها ، لاسيما عنـد من لايحسنون المداهنة ولا الرياء ، ولا يعرفون الغش ولا الخداع ، دلائل صادقات ، وعلائم واضحات ، على ما وراءها ممـا يعتلج فى الأفئـدة من نيران الغيرة على الحق والحمية له ، وما يعتمل فى الصدور من النقمة على الظالم والسخط عليه . ومن كلام أسلافنا : ما أسر امرؤ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفى فلتات لسانه ، وإن كانوا يسوقون هذا القول فى مقام غير الذى نحن فيه ، وهذا الفهم ينبغى أن يتعين بعد ذلك لأمور :

أولهـا : ما علمت من أن شأن المؤمنين بحق أن يكونوا صادقى المشاعر ، متحدى البواطن والظواهر ، بعد أن حملوا أنفسهم على ماتستطيع من كف اليد واللسان ما لم يدع الأمر إلى شىء من التلطف والمداراة اللذين هما من شيم الهداة وشمائل الدعاة ، ليطبوا بذلك لمـا استعصى من الداء ، ويستلوا به السخيمة والشحناء ، وليستأصلوا ما رسخ من جـذور الإثم فى القلوب ، وما استقر من أصول الشر فى النفوس .

وثانيهـا : أن قطع حبائل هؤلاء الظالمين هو المأمور به فى كتاب الله فى كثير من الآيات التى سيأتى بعضها من قريب ، وهو أقل مراتب المأمور به كما علمت فيما نشرحه من الحديث ، فلا ينبغى أن نتصور مرتبـة من مراتب تغيير المنكر هى دون ذلك بكثير ، ولا يكاد أن يكون لها أى أثر اجتماعى فى هذا الأمر الاجتماعى الخطير ، إذ أى فائدة تعود على المجتمع

من أن يجتر المنكرون مشاعرهم ، وهم يوادون ويقاعدون ويؤاكلون ويشاربون إلى ما يلابس ذلك من المباسطة والمسامرة واطراح الكلفة فى مجالس الطعام والشراب ، لو سلم أن ذلك يمكن أن يكون . ولقد فطن سلفنا إلى ذاك فكانوا إذا غلبوا على أمرهم يعتزلون ويقولون : « الوحدة خير من جليس السوء » .

وثالثها : أن لفظ التغيير بالقلب كما هى عبارة الحديث لا يكون له معنى حتى يتعدى إلى المنكر بشىء ظاهر ملموس وإلا فكيف يكون هذا التغيير ؟ !

ورابعها : أن تغيير المنكر بالقلب بعد عجز اليد واللسان إذا لم يكن المراد منه فى الحديث هو ما ذكرناه ، من علائم هذا الإنكار ودلائله ، والتصرف على مقتضاه بل على ما تأبى الطباع السليمة سواه ، يكون الحديث قد ترك بعد إنكار اللسان أقرب المراتب إليه ، وأوصلها به ، وأجداها على الأمة بعده ، إلى ما لا أثر له ، ولا يمتنع معه الوقوع تحت الوعيد الشديد الذى توعد الله به هؤلاء الذين ينكرون ثم يؤاكلون ويشاربون ويقاعدون .

وقد عنى الإسلام بهذه المقاطعة عنايته بأصل من أصول الدين ، واختص الله أهلها بأنهم هم حزبه المفلحون وجنده المؤيدون إذ يقول : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » إلى غير ذلك من آيات هذا الباب ، ذلكم بأن الإسلام إنما يعنى بما يدوم ويبقى لا بما يزول ويفنى ، وقد قال الله تعالى فى شأن الأخلاء يوم القيامة : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » ووصفهم بأنهم : « لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » أنه قد جعل هذه المقاطعة بين الفريقين سلامة للسليم من السقيم ، وحفظا له من أن ينطمس نوره بمداخلة الظالمين ، حتى يصير الفريقان بعد أن يضرب الله قلوب بعضهم ببعض أشباها وأمثالا ونظراء وأشكالا ، كما تضمن هذا الحديث وكما ورد فى حديث آخر من قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » كما جعلها حجة بالغة لمن لا يجدى معه القول من الظالمين ، وشاهد صدق لما يدعو إليه من الحق واليقين .

وإن الإنسان لا يكاد يجد دينا سخر الله الحياة لتصديق أحكامه وأوامره بالواقع المشاهد والظاهر الملموس، وأقام من الأحداث شهود عدل لتأييد آياته وتزكية شرائعه، كهذا الدين الحنيف ، الذى أتم الله به الأديان ، وأسعد بالتوفيق إليه هذه الكثرة من بنى الإنسان . فمن ذلك ما رواه أصحاب السير من قصة رجل واحد توعد قومه بهذه المقاطعة إن لم يسلموا ، فأسلموا إلى أن كانوا هم جنود الإسلام ، وأنصار الرحمن ؛ وكان وعيده ذاك هو الموعظة الشافية ، والدعوة الهادية ، والحجة البالغة ، والمنطق السليم ، والدليل المستبين ، ذلكم هو سعد بن معاذ رضى الله عنه .

فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة ـ مصعب بن عمير رضى الله عنه مع من أسلم فى العقبة الأولى من الأنصار ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم فى الدين ، فكان ممن أسلم على يديه سعد بن معاذ رضى الله عنه بعد أن كان ذاهبا إليه ليكفه أو يقتله ، فأذا به يرجع إلى قومه بنى عبد الأشهل بوجه سمح متسهل مشرق بنور الإسلام غير الذى ذهب به الى أن قالوا : « نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم » ثم لم يرعهم منه إلا قوله : يابنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ فيقولون : سيدنا ، وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة . فيقول : فأن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله و برسوله ، فما يمشى فى بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة ، ثم لا تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا أطوافا تأخر بها الإسلام إلى أن هاجر إليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد شهر الإسلام هذا السيف البتار فى وجوه بعض المتوانين عن الأخذ بالحزم والعزم من المؤمنين ممن تخلفوا فى غزوة العسرة (تبوك) عن الجهاد ، ثم لم يجدوا لهم عذرا لاصادقا ولا كاذبا من عدم الانتظام فى سلك المجاهدين ، وهم كعب بن مالك وصاحباه رضى الله عنهم ، فما كان من هذا السيف إلا أن ضعضع هممهم ، وزلزل أقدامهم ، وأسال أماقيهم ، وخلع قلوبهم ، كما سيأتيك من قصصهم الذى ستجد فيه من روعة المقاطعة ورهبتها ، ومن صدق المؤمنين فى القيام بحقوقها ، وأدائها على أبلغ وجوهها ، وأبعد مقاصدها ، ما يريك أن الله ورسوله كان أحق عندهم أن يرضوه ؛ وأنه لا يقام بجانب رضاه وزن لأقوى الروابط ، وأوثق الأواصر ، وأشد الصلات ، فلا لزوجية ، ولا لقرابة ، ولا لجيرة ، ولا لعشرة ، أن تساوى أو تدانى الامتثال لأمر الله ورسوله . ثم ترى من قصص التوبة ووقعها فى نفوسهم ، وصورة تبشيرهم بها ، وتسابقهم فى إعلانها ،

وخشية النبي صلى الله عليه وسلم من إعلانها إذ نزل بها الوحى فى بقية من الليل من تدافع الناس وتزاحمهم، ما يصوره لك ما رواه كعب قال : أنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الآخر من الليل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة، وكانت محسنة فى شأنى ، معتنية بأمرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة، تيب على كعب بن مالك، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال : إذن يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل . وهكذا كان شأن الإسلام عند السالفين هو الدين والدنيا، وهو الممات والمحيا ، وهو الشأن كل الشأن ، والجدّ كل الجدّ ، لا كما يجده هؤلاء الذين يتحلون بأسماء المسلمين على غير بصيرة، ولا بينة ، ولا صدق ، ولا يقين ، ولا حمية للحق ، ولا غيرة على للدين ؛ ثم ترى كيف كان فرح المسلم بتوبة الله عليه ، وابتهاجه بعودة ما انقطع من عوائد الودّ إليه ، لا كما يفرح به هؤلاء الذين يتخلفون عن كل صالحة ، ويتسابقون إلى كل طالحة، إيثارا للذات العاجلة، واتباعا للشهوات الفانية، وضنا بأنفسهم وأموالهم على الباقيات الصالحات ، مما يريك معى أن الناس غير الناس ، وأن الهمم غير الهمم ، وأن القلوب غير القلوب ؛ وأنا لا نخلو من الإسراف فى الدعوى ، والتمادى فى الغرور .

فمما رواه كعب بن مالك رضى الله عنه فى شأنه وشأن صاحبيه مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية، قوله : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة، فاجتنبنا الناس أو قال : تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم . . . إلى أن ذكر أنه تسوّر جدار حائط [١] أبى قتادة، وهو ابن عمه ، وأحب الناس إليه ، قال : فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت ، فعدت فناشدته فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار . فلما مضت من الخمسين ليلة أربعون إذا برسول من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى إليه فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، ويرسل إلى صاحبيه بمثل ذاك ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عنا ،

---

(١) بستان .

قد ضاقت علىّ نفسى ، وضاقت علىّ الأرض بما رحبت (ولقد يبلغ به هـذا الضيق أن يخشى أن تنتظم هـذه المقاطعة مع حياته موته ، فهو يخشى - كما يقص عن نفسه - أن يموت فلا يصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يموت صلى الله عليه وسلم ، فيكون بتلك المنزلة من الناس ، فلا يكلمه أحـد منهم ، ولا يصلى عليه ، ولا يسلم عليه) إذا به يدركه من الله الفرج ، فيسمع صوت صارخ أوفى [١] على سلع [٢] يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أنه قد جاء فرج ، قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل [٣] صاحبىّ مبشرون ، وركض رجل فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلى ، وأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . . . إلى أن ذكر من إقبال الناس عليه بعد إعراضهم عنه ، ما يريك كيف يكون الحب فى الله ، وكيف يكون البغض فى الله ، لا لشىء آخر مما يتحاب عليه أو يتباغض أو يتواصل أو يتقاطع أهل هذه الحياة . فلقد كان هؤلاء المعرضون عنـه بالأمس كلّ الإعراض يتلقونه وهو فى طريقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا أفواجا ، حتى إذا ما مثل بين يديه قال له صلى الله عليه وسـلم - وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكانوا يعرفون ذلك منه - : أبشر بخير يوم مرّ عليك منـذ ولدتك أمك ، فكان من مقالته : يا رسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله و إلى رسوله ، لولا أن قال له صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

أمّا بعد - فانه إمّا القيام بهـذا الواجب العظيم ، وهو تغيير المنـكر بحسب المستطاع من مراتبه ، لتكون السلامة والنجاة للجميع ، أو للناهين عن السوء دون الظالمين كما يقول الله تعـالى فى شأن بنى إسرائيل « فلمـا نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بمـا كانوا يفسقون » ، وذلك كان طورا من أطوارهم قبل أن ينتهوا إلى المؤاكلة والمشاربة والمقاعـدة إلى أن لعنوا جميعا كالمذكور فيما سلف من الحديث ، وإمّا ضرب القلوب بعضها ببعض ، وما فيـه من الطمس على البصائر ، والختم على القلوب والأسماع ، ثم الطرد من رحمة الله ، وما وراء ذلك من عموم العذاب ، وشمول العقاب . كما قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » وكما ورد فى الحديث « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك

---

(١) أشرف . (٢) جبل بالمدينة . (٣) جهتهما .

أن يعمهم الله بعقاب منه » وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها . فقال : يا رب ، إنّ فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين . قال : اقلبها عليه وعليهم ، فان وجهه لم يتمعر(١) فى(٢) ساعة قط ، وورد أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام : إنى مهلك من قومك (٣) أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يارب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟! فقال : إنهم لم يغضبوا لغضبى ، وواكلوهم ، وشاربوهم .

فاللهم اكتب لنا السلامة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأخذ على أيدى الظالمين ، وحملهم على الحق حملا ، وقصرهم عليه قصرا ، ولا تجعل بيننا وبينهم حتى يطيعوك مواصلة ولا ودّا ، واجعلنا على ما وصفت به أسلافنا رضى الله عنهم من قولك « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » م

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

كيف يتخلص الشرق من الغرب ؟

قال مستر بلانت فى مذكراته (ج ٢ فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩) : كتب إلى برناردشو يقول : « أخشى أننا سنلاقى أوقاتا عصيبة فى الهند ، ولكن على الهنود ـ وعلى المصريين أيضا ـ أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فليس فى وسعنا أن نطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ، ما لم يتخلصوا هم من أيدينا عنوة ، وما لم تجابهنا الهزيمة ويتداعى صرح الإمبراطورية فى جهات أخرى ، فيضطرنا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانيا » .

---

(١) يتغير وهى رواية ثانية . (٢) أى من أجلى . (٣) أى بنى إسرائيل .

عبـــــد الرحمن بن عوف

كلما ذكرنا واحدا من هؤلاء الأصحاب الخيرة الكرام فإنمـا نحاول بدراسته أن نجدد للمسلمين عهدا بعـد فكاد يدرس ، ومعانى من الإيمـان والعظمة والسمو ، ومن النبل والتقوى ومكارم الأخلاق كادت معالمها تمحى ، وهى عز الإسلام ومجد المسلمين ، والمزايا التى إن تجردوا منها فلا خير لهم ــ علم الله ــ فى الحياة ، وإذا لكان بطن الأرض لهم خيرا من ظهرها . فهى بصائرهم فى هذه الحياة ، وهى النصر والفتح لهم من الله ، وهى البركات من السماء والأرض ، وهى التى أقالت عثار العرب وكانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ، وكانوا على شفا حفرة من النـار فأنقذهم منها ، وكانوا قليـلا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس فآواهم وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون .

أيهـا القارئ الـكريم ــ لاتدع هذه الفرصة تمر بك دون أن تعظ نفسك ، فتجدد بالإسلام عهدك ، وتعيش فى كنف أولئك الصالحين من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، فلا ترضى لنفسك إلا أن تكون على نهجهم ، وتتخذ الأسوة الصالحة فى سيرتهم . فقد دانت لهم الرقاب وخضعت لهم العباد ، وصاروا سادة فى الدنيـا بعـد أن كانوا عبيدا ، وزكت نفوسهم وعلمت الكتاب والحكمة بعد أن كانوا أميين لا يعرفون إلا الشهوات البهيمية والنهب والسلب والغارات تلو الغارات .

لقد شاء الله سبحانه أن تكون هـذه الطائفة الـكريمة هى التى تأخذ دين الله بقوة ، ولقد اختارها الله سبحانه لتسهم بأكبر نصيب فى نشر دعوة الحق فى كل أفق ورضيها لذلك ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكيف يختار حزبه ، فهم المعيار على الفضائل ، والمقياس لكل من ينشد المكارم ، أو يلتمس المجد الباذخ ، فلعل قليلا من التأمل فى سيرهم يعود بنـا إلى المجد الذى اقتعدوه ثم خلفوه ، لو أننـا حفظناه باقتفاء آثارهم ، والتزام أحوالهم وأعمالهم ، وقد جاء الخبر عن سيد البشر « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النـار إلا واحدة » قيل : من هى يارسول الله ؟ قال : « التى على ما أنا عليه وأصحـابى » .

وقد كان عبد الرحمن بن عوف الذى نحاول اليوم عرض صورة منه على القارئ الكريم من خاصة أعضاء هــذه الجماعة المحمدية التى جاهدت بكل ماتملك فى نصرة هــذا الدين ، ونشر دعوته بين العالمين .

ورضى الله عنه ورسوله فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالجنــة فى الخبر المشهور الذى بشر فيه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح .

ثم رضى الله عنه ورسوله فقدمه المسلمون ليصلى بهم إماما فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك يوم أسفر الناس بصلاة الصبح وخافوا الشمس ، والنبى صلى الله عليه وسلم فى وضوئه لم يأت بعد ، ثم أدركهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فصلى ركعة خلف عبد الرحمن ، وكان الصحابة قد سبحوا لمــا أدركهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأراد عبد الرحمن أن ينكص ليتقدم رسول الله ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أشار إليه أن اثبت ، وقضى النبى صلى الله عليه وسلم الركعة الأولى ثم أقبل على أصحابه فأيد صنيعهم فى تقديم عبد الرحمن وقال : « أحسنتم ، إنه لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته » . و يالها من شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم بعد شهادة أصحابه العملية بتقديمه دون خلاف عليه ولا رجوع إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمــا يعلمون من منزلة عبد الرحمن عنده .

وقد رضى الله عنه ورسوله كل الرضا فنصره على خالد بن الوليد وقال له : لو كان أحد ذهبا تنفقه فى سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبــد الرحمن ابن عوف . روى أصحاب الأثر والسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالدا إلى بنى جذيمة بن عامر يدعوهم إلى الإسلام فى جماعة من أصحابه فقالوا : نحن مسلمون ، فأسرهم وأمر كل واحد من أصحابه أن يقتل من معه ، فى حديث يطول ، فلما قدم خالد على رسول الله صلى الله عليه وســلم عاب عبد الرحمن على خالد ونصره عمر بن الخطاب ، وتلاحى عبد الرحمن وخالد و بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : ياخالد ، ذروا أصحابى ، متى ينكأ أنف المرء يجع ، لو كان أحد ذهبا . . الحديث .

وهكذا كانت كل أخباره وأحواله تدل على ماله من مكانة فى الإسلام ومنزلة عند الرسول صلى الله عليه وســلم وخيرة أصحابه ، لمــا وهبه الله سبحانه من إخلاص عجيب وتضحيات فى سبيل نصرة الإســلام ، وما كان يسع به رسول الله صلى الله عليه وســلم من نفسه وماله ، و يفدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحرج المواقف فى سبيل الله

منذ عرف الإسلام فدخل فيه مع السابقين الأولين، لايخالف على صاحب الرسالة ولا يرد له دعوة ، فلا يراه فى كل أمر إلا حيث يحب الله ورسوله .

نشأته وحياته

كانت ولادة السيد الزهرى عبد الرحمن بن عوف بعد ولادة النبى صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات ، وكان والده عوف بن الحرث بن زهرة بن كلاب ، ولهـذا يلقب أحيانا بخـال النبى صلى الله عليه وسلم .

ونشأ رحمه الله بمكة صادق الحس سليم الفطرة، لايعبأ بمـا كانت تعج به مكة من عبادة الأوثان ، والإيغال فى الاثم والبهتان ، وهـذا عجيب من أمر رجـل نشأ فى وسط يجد الآباء ويحفل بمـا يحفلون به ، ويقولون حتى بعد سطوع نور الحق : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

فاذا كان عبد الرحمن لا يبالى ما يصنع هؤلاء ولا يلتفت إليه ، فان جديرا به أن يكون من حملة هذا الدين والآخذين به خير مأخذ ، وقد نقلت الأخبار أكثر من هـذا : أنه لم يكن من المسرفين فى الخمر، وغلا بعض الناس فقال: إنه حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وهو لا يتفق مع ما رواه أبو داود والترمذى وصححه عن على بن أبى طالب(١) قال : صنع لنا ابن عوف رضى الله عنه طعاما فدعانا فأكلنا وسقانا خمرا قبل أن تحرم، فأخذت منى وحضرت الصلاة فقدمونى فقرأت : قل يأيها الـكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون ، فخلطت فنزلت : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فان من المتعسر التوفيق بين الخبرين لأنه بعيد جدا أن يكون عبد الرحمن ممن لا يشربون الخمر ولا يحبونها ثم يقدمها على مائدة طعامه .

ومهما يكن فقـد عرف عن عبد الرحمن ما عرف عن غيره من أئمة الصحابة أمثـال أبى بكر وعلى من التنزه عن كثير من أمر الجاهلية فى الجاهلية ، وذلك من صفاء النفس ، وصدق الحسن ، لهذا كان عبدالرحمن من أوائل من لبوا دعوة الإسلام وسبقوا إلى الحسنى مع أبى بكر وعثمان وطلحة وعلى ، على أنه كان بزازا يتجر فى الحرير ، وكان فى إسلامه بعض

---

(١) راجع تيسير الوصول ١١٥ ج ١

التضحية بماله لقلة الرغبة فى التعامل معه ، على أنه يشركه فى ذلك المعنى أبو بكر وعثمان وطلحة ، كانوا يتجرون فى الحرير وسبقوا إلى الإسلام .

وكان مما عهد به القدير الحكيم لانقياد عبد الرحمن لدعوة الإسلام مايذكره أرباب السير فى أخبار الكهان [١] .

روى أصحاب السير عن ابن عساكر عن عبد الرحمن ما خلاصته أن عبد الرحمن سافر إلى اليمن قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فنزل على عسكلان الحميرى وكان شيخا كبيرا وكان ينزل عليه إذا جاء إلى اليمن .

فسأله مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال : هل ظهر فيكم أحد خالف دينكم ؟ فقلت : لا ، ثم ذكر أنه قدم عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم فقال الكاهن بعد حديث جرى بينهما : ألا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة ؟ إن الله قد بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا ، وارتضاه صفيا ، وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ، ينهى عن الأصنام ، ويدعو إلى الإسلام ، ويأمر بالحق ويفعله ، وينهى عن الباطل ويبطله ، يا عبد الرحمن : أخف هذه الوقعة ، وعجل الرجعة ، واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى وخالق الليل والصباح

انك ذو السر من قريش يا بن الفدى من الذباح

أرسلت تدعو إلى يقين يرشد للحق والفلاح

... ...

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله فأته . فلما أتيت بيت خديجة رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال : أرى وجها خليقا أن أرجو له خيرا ، فما وراءك ؟ فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى ، أولئك إخوانى حقا .

وكذلك هدى الله قلب عبد الرحمن للاسلام بلا محاولة ولا مطاولة كما كان من غيره .

---

(١) راجع أخبار الكهان فى التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم فى سيرة ابن دحلان وغيره ، وإنما نذكر هذا لأنه يزيد المؤمن إيمانا بدينه ، وليس فيه شىء مما يخالف قواعد الإسلام والمنطق ، على أننا لانقطع بصحته .

ثم جرى على عبد الرحمن ما جرى على غيره ، ممن دخلوا فى دين الله أول ما أنزله من اضطهاد وتعذيب و إنكار وقطيعة حتى من أقرب الناس إليه ، وقد فعلت أمه معه مثل ما فعلت أم سعد بن أبى وقاص معه فقالت : والله لا يظلنى سقف من الحر أو البرد ، و إن الطعام والشراب حرام علىّ حتى تكفر بما جاء به محمد ، فما بالى شيئا . وكذلك الإسلام حين تخالط بشاشته القلوب .

ثم كان عبد الرحمن فيمن كتب لهم الهجرة إلى الحبشه منذ أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بها وقال كلمته الشريفة المأثورة : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرجت الكثرة من خيرة المسلمين إذ ذاك وكان منهم عثمان و زوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم والزبير وعمر ابن سعيد بن العاص وأخوه خالد وجعفر بن أبى طالب وغيرهم من خيرة السابقين الأولين ، وقد بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا وسبع عشرة امرأة .

وكان عبد الرحمن أثرى من عرفته مكة إذ ذاك ، فكانت تضحية على تضحية ، وكان فى سبيل الله ما يلقى عبد الرحمن ، كما كان فى سبيل الله ما يلقى عثمان بن عفان .

وكانت هذه الهجرة صقلا لمن كتبت له ، تزيده بصرا بالحياة وعرفانا ببعض الأمم ، كما كانت إيمانا و بصيرة وهجرة ، وعاد عبد الرحمن إلى مكة فيمن عاد .

ثم أذن الله للنبي أن يهاجر بأصحابه إلى المدينة ، فكان عبد الرحمن من أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله و رضوانا ، و ينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون .

بعد الهجرة

كان عبد الرحمن ممن امتازوا فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تهن قواهم ، ولم تلن قناتهم . وقد كان الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار إخاء كإخاء النسب ، فكان الأخ الأنصارى يقاسم أخاه المهاجر ماله وينزل له عن إحدى زوجتيه إن كان له زوجتان فيطلقها و يزوجها أخاه إذا انقضت عدتها .

وكان أخو عبد الرحمن سعد بن الربيع فقال سعد : يا عبد الرحمن : إنى من أكثر

الأنصار مالا فأنا مقاسمك، وعندى امرأتان فأنا مطلق إحداهما، فاذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبدالرحمن ــ فى إباء الإسلام وكرامة بنى عبد مناف وأدب النبوة المحمدية ــ : بارك الله لك فى أهلك ومالك، ولكن دلنى على السوق، ثم خرج واتجر، فكان من أثرى المسلمين بالمدينة كما كان أثراهم بمكة، وقد نفع الله الإسلام بما لعبد الرحمن وتضحياته فى كثير من المناسبات الكريمة والغزوات، يخرج منه مرارا فى سبيل الله فيبدله الله خيرا منه، وكان ذلك من المعانى التى زادته حبا فى الله ورسوله والمؤمنين .

وما زال عبدالرحمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، وما أعظم بركة الجهاد والتضحية على صاحبه وأعودها بالخير وجميل الذكرى والشرف والسؤدد، هى التجارة التى لن تبور، والسعادة الحقة والمجد الصحيح لمن كتبت له، وقالوا : إن عبد الرحمن لم يتخلف عن غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما أثر عنه فى يوم بدر أنه رأى الملائكة تقاتل من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الذى أثر عنه فى أحد فشىء إنما يدل على تفانيه فى الله ورسوله، لقد ظل ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفع عنه الأذى ويقيه بنفسه فى خمسة عشر من أصحابه فقط، يدين لهم الإسلام بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللأسباب قيمتها فى تحقيق المسببات، وكان فيهم أبو بكر وطلحة وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم أجمعين، وقد جاء فى الآثار والسير أنه أحصى ما به من الجراحات فكانت واحدا وعشرين جرحا مع إصابة فى رجله .

كما أثر عنه فى تبوك أنه أسهم بمائتى أوقية من الفضة فى تجهيز جيش العسرة، وهذه هى الغزوة التى اقتدى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن ركعة ثم قال : إنه لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته، وكلها أوسمة شرف ومجد لعبدالرحمن جعله موضع التقدير فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسجل له فى التاريخ ذكرا رفيعا وأسوة كريمة.

ويأثر التاريخ لعبد الرحمن سريته إلى دومة الجندل فى شعبان سنة ست من الهجرة ليدعو كلبا إلى الإسلام وكانوا من النصارى، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أقعده بين يديه وعممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها، ثم قال : اغد باسم الله فقاتل من كفر بالله، وأوصاه هو وأصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فدعاهم ثلاثة أيام ثم أسلم أميرهم، وكتب إليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج تماضر ابنة الأمير واسمه الأصبغ بن عمرو، ثم فرض الجزية

على من أقام على دينه ، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أكثر مايعرف التاريخ لعبد الرحمن من جهاد وتضحية .

بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

ظل عبد الرحمن محافظا على عهد الإسلام وفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآله الكرام ، وتجلى ذلك فى بره لزوجاته وصلتهن بالعطايا التى تبلغ من القارئ العجب .

ومن ذلك ما روى الترمذى بسنده وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم لنسائه : إن أمركن لمما يهمنى من بعدى وليس يصبر عليكن إلا الصابرون الصديقون . ثم قالت لأبى سلمة بن عبد الرحمن : سقى الله أباك من سلسبيل الجنة . وكان ابن عوف قد تصدق على أمهات المؤمنين بأرض بيعت بأربعين ألفا .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : أوصى عبد الرحمن بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف .

وهكذا يتجلى الإيمان الصحيح ويبدو القلب السليم ، وهذه أيضا منقبة لا نعلم أحدا زاحم فيها عبد الرحمن . أما صلة عبد الرحمن بالخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلة الطاعة والانقياد والحب المتبادل لا يختلف على واحد منهم إلا أن يرى منكرا فما يبالى ـ وهو حبيب الله ورسوله وموضع التقدير الخطير ـ ألا يقر منكرا من أحد ، كما قيل إنه خاصم عثمان لما استعمل أقاربه ، وكان هو الذى اختاره بعد تحسس الرأى العام ، على أن ذلك شىء قد لا يثبت على البحث ولكنه شىء يذكره الناس فى أخبار عثمان رضى الله عنه ، فأن صح فما أوسع مجال الاجتهاد ، وهم يقولون : إن عبدالرحمن لما خاطبه فى ذلك قال : كان عمر رضى الله عنه يقطع رحمه فى الله وأنا أصل رحمى فى الله ، ولا نرى كثيرا من أحوال عبد الرحمن مع أبى بكر فى التاريخ ، ولكن المفهوم بوجه عام أنه كان موضع تقديره ، وقد رجع إليه قبل أن يستخلف عمر ، وهذه من أمهات مسائل الدين والاجتماع ، وكانت كما يقول أبو بكر فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر ، ومما يؤثر فى ذلك الصدد ما يرويه المبرد فى الكامل وغيره من المؤرخين عن عبد الرحمن أنه قال : دخلت يوما على أبى بكر الصديق فى علته التى مات فيها فقلت له : أراك بارئا ياخليفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إنى على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد علىَّ من وجعى، إنى وليت أموركم خيركم فى نفسى، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، وهى كلمة رائعة من كلام أبى بكر[١] يقول عبد الرحمن فقلت : خفض عليك ياخليفة رسول الله، فأن هذا يهيضك إلى ما بك، وإنما الناس فى أمرك رجلان : رجل رأى رأيك فهو معك، ورجل خالفك فهو مشير عليك، وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت إلا خيرا.
والذى يعنينا من الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه جعله موضع شكاته ومتنفسه مما يجد ويشكو ، فأما عمر رضى الله عنه فأنه كان يتخذه صديقا وصاحبا فى الأسفار ومستشارا ومرجعا حتى فى مسائل العلم، فقد رجع إليه فى مسألة حد الشرب فجعله ثمانين جلدة، وكان موضع اجتهاد الصحابة ، ورجع إليه فيما يستقر عليه الرأى فى الوباء إذا وقع بأرض ، وقد سافر معه إلى الشام فى حديث يطول ، وأخبار قد لا يتسع لها المجال اليوم ، وقد كان عمر صيرفيا فى الرجال واعيا حريصا على الممتازين الخيرة من الرجال .

وهو الذى جعله فى السبعة أصحاب الشورى ، وقال ليس لعبد الله بن عمر فيها شيء ، وقال : إذا تساوت الأصوات فكونوا مع عبد الرحمن بن عوف .

وقد قص التاريخ الطويل الكثير من أمر عبد الرحمن وأنه بطل المفاوضات والمداولات حتى أتم الأمر لعثمان بما أراه الله ، وبعد طول بحث فى حدود المدة التى حددها عمر ، وهى مسائل مشهورة فى التاريخ لا نطيل اليوم بعرضها على القارئ الكريم .

ثم زعموا أنه كره من عثمان بعض الأمر وأنه أعرض عنه حين دخل يعوده فى مرضه .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه كانت وفاة عبد الرحمن رضى الله عنه فى سنة إحدى وثلاثين من الهجرة النبوية الكريمة ، رحم الله الجميع وأحسن أسوتنا بهم آمين .

بعض صفات عبد الرحمن

لعلك الآن رأيت أهم ما امتاز به عبد الرحمن من الجهاد والتضحية والشخصية الكريمة، وقد كان عبد الرحمن رضى الله عنه من أثرياء المسلمين واسع التجارة كثير المادة، يقولون : إنه كان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وقد قدر ربع ثمن ماله بعد وفاته فبلغ أربعة وثمانين ألفا، على أنه كان من أندى المسلمين يدا، وأكثرهم

(١) راجع رغبة الآمل من كتاب الكامل ص ٥٥ ج ١

سخاء وأشدهم برا بالفقراء والمعوزين وأبناء السبيل، وقد ضرب فى ذلك أروع الأمثلة، وكان مضرب المثل بمثل سماحة الإسلام وسخائه، طالما شطر ماله على عهد الرسول وتصدق به.

تصدق مرة بأربعين ألف دينار، وحمل مرة على خمسمائة فرس فى سبيل الله وخمسمائة راحلة.

وكثيرا ما أعتق فى سبيل الله حتى قالوا: إنه أعتق فى يوم واحد ثلاثين عبدا. وتحدثوا أن جملة ما أعتقه بلغ ثلاثين ألف نسمة، على أنه كان يخشى المال ويكرهه، ويخاف مغبته.

روى أنه بكى مرة بكاء شديدا فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إن مصعب بن عمير كان خيرا منى. توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفن فيه. وإن حمزة بن عبدالمطلب كان خيرا منى، لم نجد له كفنا، وإنى أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته فى حياته الدنيا، وأخشى أن أحتبس عن أصحابى بكثرة مالى.

وتحدث نوفل بن إياس قال:

كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسا ونعم الجليس، وإنه انقلب بنا ذات يوم حتى دخلنا منزله ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا فأتينا بقصعة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن ثم قال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا! وهناك صور وأخبار تدل على زهده وتقشفه وكثرة إحسانه إلى الفقراء والمعوزين.

على أنه كان فقيها فى دينه بصيرا بالكتاب السنة، يفتى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من فقهه وبصره أن عمر بن الخطاب أسند إليه إمرة الحج، وكان من أمانته أنه ائتمنه على بعض أزواج رسول صلى الله عليه وسلم فحج بهن، كما كان عمر رضى الله يقدمه ويستشيره ويرجع إلى قوله فى العلم والسياسة.

هكذا كان الخيرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يحملون هذا الدين فيزكى نفوسهم، ويضعها فى مصاف الملائكة، ويسمو بأرواحهم فيسجل لهم ذكر الخالدين.
والحمد لله رب العالمين ؟

محمود الشواوى
المفتش بالأزهر

العمدة فى أسباب الخلاف

بين حملة الأديان

مما لا مرية فيه أن الأديان السابقة على الدين الإسلامى لم يجد المنتسبون لها مناصا من التقييد بقيود لاتمت إلى الأديان ذاتها بصلة ، بدليل أنهم كانوا يناجزون أنبياءهم ورسلهم بالمنديات ، ولا يخضعون لنواميسهم إلا بقدر ما تتفاعل به نفوسهم من الخوارق والآيات ، ولذلك جعل الله آيات الأنبياء الأولين من خوارق العادة ، ومما تقام به الحجة فى بيئة كل نبى : فموسى بن عمران أخرس مناجزيه بآية العصا حين أعملها فى محاكاة الحية وتلقف ما يأفكون ، وحين ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وإبراهيم ألقى فى النار بفعل مناجزيه فقال الله لها : « يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم » . ونوح صاحب السفينة أنجى الله له قومه من الغرق والشرق ، على حين أن طوفانه شمل أكثر هذه الرقعة السوداء ، وعيسى أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ونبأ الناس بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم من طعام وشراب وكساء ، ومن إليهم ممن ناجزهم المعاندون ووقف فى طريق رسالتهم المخالفون .

على أن الذين آمنوا بتلك الخوارق من المعاندين والمشاكسين واستسلموا لها وأخذوا بها لم يعدوا أنبياءهم ورسلهم مجرد حملة رسالات أو نبوات ، بل ضربوا فى بيداء الخيال حتى ارتفعوا بهم إلى منازل العبادة ، فأكبر أسباب الخلاف بين الأمم تعصبها لأنبيائها ، وارتفاعها بهم عن مرتبة الرسالة والنبوة إلى ما لا يتفق مع الدين والعقل ، ولا يستقيم على دليل .

كانت الأمم فى العهود السابقة لاتدين للمقررات العلمية ، ولا تخضع للأحكام العقلية ، هائمة بين الحس والخيال فى واد لايحده حد ولا يسوده نظام من الأنظمة . فقد كان الحس يفزع الأمم بأنواع من التفاعل الوجودى : من حر وبرد ، وجوع وظمأ ، ومرض وموت . فكانت تنفعل طبيعتها بهذه الفواعل أيما انفعال ، فتتطلب المخلص بالجد

والكدح ، فان أخفقت فى ارتياد المخلص من عالم يعلو متناول حسها ، نظرت إلى السماء مناجية العلى الأعلى قيوم السموات والأرض ، وهى نزعة ليس أكمل ولا أحق منها لو وقفت عند هذا الحد . ولكن الخيال يطمس جلالها وجمالها بما يحمل اليها من صنوف الأوهام والتصورات الباطلة ، ويحمل الأمم على تجسيد هـذا الشعور العالى ، فتدين الأمم لأنصاب وأصنام تتخيل فيها الوساطة أو الحلول ، أو غير ذلك من الأحلام .

فكل رسول أرسل اليهم ارتفعت به إلى أعلى من مستوى البشرية ، وأكثرها دعاه ابن الله ، وكان أكبر أسباب هذا الغلو اعتماد أولئك الرسل على المعجزات فى تأييد دعواهم كما أسلفنا ، فكانت هذه الخوارق من أكبر أسباب رفع الأنبياء إلى درجة البنوة لله تعالى والغلو فى تمجيدهم ولا سيما بعد موتهم إلى حد جهلوا معه الخالق ذاته ، فجعلت العبادة لهم دون من خلقهم وأرسلهم أو فى مستوى عبادته ، حتى نعى الله عليهم ذلك النهج الرخيص فقال عز من قائل : « يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون » .

فلما جاء دور الإسلام كانت الأمم ــ ولا سيما العرب ــ قد دخلت من حياتها الأدبية فى دور التعقل والفهم ، وعرفت لأحكام العقل ونواميس الكون قيمتها ، حتى أن العرب لما أرادوا أن يبطلوا دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، اقترحوا عليه أن يأتيهم بالمعجزات ، ويؤخـذ من سياق طلباتهم أنهم كانوا لا يأبهون بها ، فقالوا تحديا لدعوته كما حكى الله عنهم : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف (من ذهب) أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا » .

ظاهر من السياق أن هؤلاء تحدوا الرسول الأعظم فيما طلبوه مع اعتقادهم أنه لن يحقق لهم ما تحدوه به ، لأنه ليس فى طوق البشر ، وحتى لو كان فى طوق البشر وحققه لهم كله أو بعضه لقالوا إنه السحر ولا شىء غير السحر « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » سـكرت أبصارنا أى سدت عن الإبصار بالسحر .

إلى هذا الحد يتضح الفرق بين من عاصروا الرسول الأعظم وبين من عاصروا الرسل والأنبياء السابقين ، فالمعاصرون للرسول كانوا لايقبلون دعوته إلا بالحجة والبرهان ، ومنزلة هذه الدعوة من الدليل القاطع فى صحتها . أما أولئك السابقون فقد كانوا يسلمون بالدعوة من قبل رسلهم وأنبيائهم لمجرد أن يأتوهم بالخوارق والآيات الناجمة عن تحديهم لهم ، لأن المعجزة فى عرف العقل أن تقوم مقام « صدق عبدى فى كل ما يبلغه عنى » . لكن وقد بلغت العقول شأوا بعيدا من الإدراك وفهم الحقائق على أوضاعها فى عهد الرسول الأعظم لم يكن الإيمان برسالته إلا منبعثا من البرهان الدامغ والحجة البالغة فى باب الأقيسة العقلية والدلائل البرهانية .

فلا غرو أن أصبح المسلمون بعد عدد محصور من السنين أرقى الأمم علما وعملا ، وأبعدهم بالوجود وحوادثه خبرا ، فكانوا يدرسون الطبيعات والرياضيات وينقبون فى الأرض عن خفايا المعادن ذات القيمة العظيمة فى الصنائع والفنون باسم الدين والقرآن وخلافة الله فى الأرض ، بينما كان من تقدمهم يقتل بعضهم بعضا تأليها للرجال، واختلافا فى الأباطيل التى أحاطوا بها عقائدهم ، فلا عجب أن بلغ المسلمون من المدنية الفاضلة فى أقل من قرن مالم تستطع أكبر الأمم شأنا أن تبلغه فى قرون عديدة .

إن من المدهشات بل من المعجزات التى تشهد لهذا الدين بأنه وحى إلهى صادق أنه حشر إلى حظيرته فى قرن من الزمان نحو مائة مليون من الأتباع بمحض وجوده لابسيف ولا إغراء ، لأن المسلمين كانوا إذا أرادوا إخضاع أمة جريا على ناموس التغالب خيروها بين ثلاث : الإسلام أو الجزية أو الحرب ، وكانت الجزية التى يضربونها على الأمم لا تبلغ بعض ما كان يجبيه ولاتهم منهم بضرب وجودهم ، فكان يسهل على كل أمة تغلب لهم أن تدفع الجزية، فما الذى اضطر هذه الملايين إلى الدخول فى الإسلام غير سماحة هذا الدين وانطباقه على أحكام العقل ، وظهور أهله بمظهر الكمال والفضل ؟

بل إن أكثر الولاة كانوا لايرتاحون إلى رغبة غير المسلمين فى الإسلام طمعا منهم فى زيادة أموال الدولة بما يجىء من الجزية ، فان الرجل كان بمجرد دخوله فى الإسلام يعفى من الجزية ، فيكون فى ذلك عجز لإيراد الحكومة ، لهذا كان بعض الولاة يكرهون أن أن تدخل الأمم المفتتحة فى الإسلام تفاديا من نقص الإيرادات .

ولكن الشعوب كانت ترى الفرق واضحا بين تعاليم دينها وتعاليم الإسلام ، فكانت تترامى إلى أحضانه طائعة مختارة، حتى بلغ عدد من دخل منهم فى أقل من قرن فى الإسلام نحو مائة مليون كما أسلفنا ، وهذا عدد لم يسمع بمثله فى تاريخ دين من الأديان .

ولا يزال الإسلام سائرا فى طريقه من الانتشار العظيم رغم تقصير أهله فى الدعوة إليه ، وتنظيم الإرساليات والدعاة، ولو كان المسلمون اليوم على ما كان عليه آباؤهم من الفضائل التى يهديهم إليها دينهم، ويعلنون عنها بسيرتهم ، لانتشر دينهم بلا دعوة انتشارا لا يدع لغير الإسلام من الأديان مجالا لمنازعته .

وقد بذل الإسلام مجهودا عظيما ليزعزع فى الأمم عقيدة تأليه النبيين حتى لا تقف هذه العقيدة حجر عثرة أمام ترقيهم فقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم» وزاد على ذلك بيانا فذكر شيئا من تفصيل حالات أولئك المرسلين حتى يزيل كل احتمال لارتفاعهم عن مستوى الإنسانية فقال تعالى : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ، وكان ربك بصيرا » كأنه قال : إن من يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق لايصح أن يكونوا آلهة ، فهم أفراد من خيار هذا النوع ، لا فرق بينهم وبين سائر أفراده إلا أنهم اختيروا لأن يكونوا رسلا لله إلى عباده .

كان لهذه الآيات تأثير كبير فى كسر غلواء الوثنية والشرك، وصد تيار التأليه عن صالحى البشر ، ولم يزل هذا التأثير يرقى وينتشر حتى صرنا فى قرن لا يجسر واحد فيه أن يعلن هذه العقيدة فى بلاد لم تأخذ حظها من العلم والنظر .

وأخذ نوابغ القرون الأخيرة يبثون فى الناس مبدأ تنزه الخالق عن الولد والشريك ، وأن المرسلين ليسوا إلا رجالا اقتبسوا النور عن الخالق وعكسوه على الناس ، فقال فيلسوف الشعراء (فكتور هوجو) كما نقلته المجلة الروحية عنه : « إن الشعور الفطرى المودع فى صميم الإنسان بوجود الله تعالى أتى إليه من تلك الشمس مباشرة (يعنى بالشمس الله عز وجل) أما الديانة اليهودية، والصابئية، والبوذية، والمسيحية، والمحمدية، فهى من نور القمر ، لأن موسى وبوذا وعيسى ومحمدا هم أنواع من الكواكب دائرة حول تلك الشمس يستشرقون نورها ويعكسونه على من دونهم من العالمين ، فالديانات التى هى أقمار الشمس الإلهية مهمتها إفاضة النور على الإنسان فى غياهب حياته وظلمات بقائه » .

هــذا كلام فيه جهات من الضعف إلى جانب جهات من القوة بارزة فيه ، ولــكن مما يستشهد به على أية حال للدلالة على تحول العقلية البشرية عن تأليه الأنبياء ، وعلى اتجاه نظرها إلى الديانة الإسلامية بعد أن كان التعصب يحول بينها و بينه .

فالحوائل التى كانت تفرق بين الأمم ، وأشدها الغلو فى تقــديس أنبيائهم والصالحين من رجالهم و رفعهم إلى درجات الألوهية ، كادت تــكون فى عــداد الآثار التاريخية . فأذا وصل الإنسان إلى الخلاص منها توحدت الأديان على أسلوب القرآن ، وكان الفوز لأصوله على مر الزمان »

عباس طه
المحــامى

أمل الشرق العربى

أرى الأمل الذى نحيا عليــه ... أضاء من الصباح له عمــود
خذوا بنفوسكم طرق المعــالى ... فــدهركم عصامى عنيــد
وجرح العرب يضمده بنوه ... وهل يتلاءم الجرح الفصيد
نيام أغرقوا فى النوم حتى ... أشيع بأنهم شعب بليد !
أرى الحرية اختضبت دماء ... وقــد خفقت لطالبهــا بنود
رخيص كل ما بذلوه فيهــا ... ولا تغلو النفوس ولا النقود
إذا جعلت لهــا الأرواح مهرا ... فان لمجدها كتب الخلود

محمد الهــاشمى

محمـــــــــد المثل الأعلى

أول من خط طريق الكفاح للحق

كان الدهر يمضى سادرا فى غلوائه ، تتغشى مظالمه شعوب الأرض ، وتعبث مفاهيمه فى مسائل الأخلاق والعقيدة ، بشرف الإنسانية وسلامها .

ولكن رجلا تنشق عنه الصحراء فى واد غير ذى زرع ، وغير ذى قوة حاسمة ، يعترض طريقه ليقول له : قف أيها الدهر ، فان لى معك حسابا عن مصاير الإنسانية ومقدّراتها .

ويبتسم العجوز الماكر الذى طوى القرون ، وابتلع الأحداث والرجال جميعا ، يحاول أن يقول شيئا ، ولكن السماء ترتج بأفلاكها وكواكبها لتناديه من فوقه : أطعه فانه النبي الموعود « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

فى هذه اللحظة كان النبي — صلى الله عليه وسلم — قد مزق حجاب السرية عن وجه دعوته الجديدة ، وصعد على الصفا ينادى بصوت جهير : يا بنى فهر ، يا بنى عدى — لبطون قريش — فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر ، فجاء أبو لهب يتقدم قريشا فقال عليه الصلاة والسلام :

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أفكنتم مصدقىّ ؟

قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا .

قال . فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

فقال أبو لهب — طاغية القوم — : تبا لك ، ألهذا جمعتنا . فكانت أول كلمات الغرور يلقى بها رجل تائه فى وجه القوة الزاحفة .

ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم ينادى مرة أخرى — والدهر واقف يسمع — عشيرته الأقربين :

« ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو ، انى لرسول الله اليكم خاصة و إلى الناس عامة » .

فقام أبو لهب ـ مرة أخرى يقول ـ خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فان أسلمتموه ذللتم وان منعتموه قتلتم .

فكانت أول بوادر الجزع المرتعد ، يقول بها أمس منهزم ، أمام غد غالب .

وبدأت الحرب ، وبدأ الكفاح بين الحق والباطل ، بين النور والظلام ، بين القوى الانهزامية المتقهقرة التى تجر الإنسانية إلى الوراء ، فى مسارب الظلم والجهالة والجمود ، وقوى التقدم الاستطلاعية الوثابة التى تقود الإنسانية إلى معارج رقيها ، وسبيل هديها ، ومستقر أحلامها وانغامها ، وكان كفاحا رائعا ؛ لم تشهد مثله الدنيا ، وكانت روعته وفذاذته فى التأليف المثالى بين العدل والقوة ، وحرمان الذات من أجل البذل للعالم ، واسقاط العواطف والميول والعصبيات ، لتكون كلمة الحق هى العليا .

عظمة أى كفاح لاتكون إلا بما تحمل صدور أصحابه من القوة والعناصر النفسية التى يتركب منها كل كفاح مظفر : الصبر ، والصدق ، والمخاطرة . ولعل هذه المعانى لم تبلغ مثلها الأعلى فى كفاح عرفه الناس ـ كما تجلت فى الكفاح المحمدى . وأول ما خوطب النبى بالإنذار خوطب معه بالصبر قال تعالى : « يأيها المدثر قم فأنذر » ثم قال فى سياق الآيات : « ولربك فاصبر » ولقد صبر ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ على انذار قومه وإبلاغ دعوته صبرا عظيما ، كان منبع القوة التى استنفدت شر أعدائه ، كما كانت منبع القوة التى خلقت ممن كان حوله من المستضعفين والأرقاء عمالقة مرهوبين . أقبل خباب بن الأرت ـ وكان عبدا يعذب بالنار ـ إلى رسول الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ، فقال : يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا ، فقال : إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ، ما يصرفه ذلك عن دينه .

ولقد عانى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كفاحه الأعظم ما نسميه اليوم بالحصر الاقتصادى ـ هو وقومه ومن فيهم من المسلمين ، لايمكنون من بيع ولا شراء ولامعاملة ،

وظلوا كذلك ثلاث سنين ، حتى أكلوا ورق الشجر ، فما زادهم ذلك إلا إيمانا وتثبيتا ومضيا فى كفاحهم إلى الأمد الأقصى .

والصدق أول طريق الكفاح إلى الحق، وليس هو الصدق فى الحديث إلى الناس فقط، ولكنه صدق صاحب الفكرة مع نفسه ، فلا يسترعنها من مكاره الواقع وتبعاته شيئا ، وصدقه مع دعوته فاذا هو بالغ من العلم بها والركون إليها منقطع الغايات فى الجزم واليقين، فهذا الصدق العميق هو القوة الكفاحية التى تتعالى بصاحبها عن متناول الخوف والغرض والتجهيل .

خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لصد هجوم هوازن وثقيف ، وكان فى جيش كثيف من المحاربين أعجبتهم كثرتهم ، فكشفهم العدو عن مواقعهم أول المعركة ، وفروا إلا قليلا .

وظل النبي فى الميدان العراء ينادى بصوت جهير نفس الصوت الذى كان ينادى به من فوق الصفا : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب، حتى ثاب إليه المنهزمون ، وأعاد الصدق إلى نفوسهم الشجاعة والحمية ، فكروا على عدوهم كرّة أنزلت بهم الهزيمة الحاسمة، وأقبل عليه عتبة بن ربيعة العبشمى ـ مندوب قريش ـ يساومه، وكان ذلك قبل الهجرة، يقول له : « يا بن أخى ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عنك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فلم يزد صلى الله عليه وسلم فى جوابه ، على أن قرأ عليه القرآن من أول سورة فصلت ، فقرع القرآن نفسه قرعا شديدا ، وقام من مجلسه عائدا إلى قومه ، مرضوض النفس، واهن الثقة برأيه، من سطوة القرآن ، وسطوة الصدق فى نفس الداعى الذى يبشر به .

وإذا اجتمع الصبر، والصدق ، فى كفاح ، أصبحت المخاطرة نتيجة حتمية لازمة لها ، ولذلك كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم — من أول يوم الرسالة — سلسلة من المخاطرات المتصلة ؛ فلم يكن الموت أمام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا يؤبه له ، وبدل أن ندخل فى تفاصيل معروفة، نعدو إلى جوهر الفلسفة الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يدير من حوله معانى المخاطرة والكفاح ، فأذا هو يتركز فى تمجيد الموت فى سبيل العقيدة،

وازدراء الحياة التي يقف الحرص عليها دون بلوغ الكفاح غايته ، وفى ذلك يقول : صلى الله عليه وسلم ، منذرا ومحذرا :

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقالوا : أعن قلة نكون حينئذ يا رسول الله ؟ فقال : لا بل أنتم حينئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، تكرهون الموت وتحبون الحياة » .

فلعل العالم الإسلامى — وهو يناضل اليوم فى سبيل حريته واستقلاله ، قوى الشر والظلام — يجد فى حياة المكافح الأعظم قدوة تصعد به إلى غاياته ، وتحقيق أهدافه ؟

محمد سعاد جلال
دكتور فى الشريعة الإسلامية

من وحى القتال

تعال إلىّ يا شعرى تعال	وحىّ زعيم نهضتنا جمالا
وحى صحابة سهروا الليالى	صحائف فعلهم نور تلالا
وأنى للنهى ببيان شكر	لمن لبلادنا فعلوا المحالا
فلو نظمت من الدر القوافى	لما بلغت تحيتنا الكمالا
جمال أعاد للوادى المفدى	مفاخره وسربله جلالا
فشكرا يا جمال طردت عنا	أعادينا ، وأممت القنالا
وقد خلصتها من غاصبيها	وقد نعموا بها حقبا طوالا
ولم تأبه بوعد أو وعيد	ولا بنباحهم لما تعالى
فقد عجموك صلب العود مرا	وما طاقوا لغضبتك احتمالا
وشعب النيل حر ألمعى	لدحض الظلم قد عشق القتالا
ولن يثنيه عن سبل المعالى	صراخ أجوف منهم توالى

عبد الله محمد أبو عيد
بكلية الشريعة

بدء الشهر القمرى الشرعى

ممـا ورد إلى قسم البحوث بمشيخة الأزهر نتيجة بحث لأحد الفلـكيين السوريين يقول فى خطابه :

إن الذى حمله على هـذا البحث ما نشر فى الصحف بشأن توحيد الصيام والفطر والأعيـاد ، وما وقع فى هـذا العـام وفى بعض الأعـوام المـاضية من خلاف فى بدء الشهر القمرى . . .

كما يقول : إنه قد اكتشف فى بحثه هذا أن سبب هـذه الفوضى « الـكسر » الذى يتبقى فى قاعدة الحساب المستعملة فى التقويم الهجرى، إذ أنها تجعل الدور (٣٠ سنة) منها (١١ سنة) كبيسة و (١٩ سنة) بسيطة، مقدار الجميع بالأيام الـكاملة (١٠٦٣١ يوما) ويتبقى الـكسر (٤ر١٤ دقيقـة) وهو وإن بدا ضئيلا إلا أنه يبلغ يوما كاملا فى كل ثلاثة آلاف سنة ، وقد بلغ ما اجتمع منه من أول التاريخ الهجرى إلى الآن (١١ ساعة) ومنه نشأ هذا الخلاف ، ثم قال :

وبعـد التدقيق وضعت قاعدة مبنية على الدورة القمرية الطبيعية يعرف بها أوائل السنين والشهور القمرية من أيام الأسبوع ، وكذا السنة الكبيسة والبسيطة ، إلى أن قال : إنه عرض هذه الطريقة على الحـكام والمفتين فى سوريا والأردن ووافقوا عليها . . .

وأقول : إن كل ما تقدم مما ذكره أخى الفلـكى السورى لم يكن بجديد، بل كله يدور حول طريقة بدائية تقريبية يعرفها الفلكيون العرب وغيرهم من قبل الإسلام ومن بعده ، ولم يعتمدها الشرعيون منهم فى معرفة بدء الشهر القمرى الشرعى ، ولم تدخـل فى أعمالهم الحسابية إلا للتقريب ، ولا زالت تقريبية مهما أدخـل عليها من تصحيح أو تعديل ، وقـد سموها من قديم « طريقة جبر الـكسر » إذ أنهم بعد أن عرفوا أن متوسط مقـدار الدورة القمرية (٢٩ر٥٣ يوما تقريبا) وأن مجموع الدورتين (٥٩ر٠٦ يوما) اصطلحوا من قبل الإسلام على جعل الشهر الأول من كل شهرين (٣٠ يوما) وجعل الثانى (٢٩ يوما) تاركين للـكسر مدة السنة الأولى . . .

ولما كانت السنة (١٢ شهرا) بمقدار (١٢ دورة قمرية) أعنى ١٢ × ٥٣ ر ٢٩ = ٣٦٧ ر ٣٥٤ يوما تقريبا ، والكسر هنا فيما يبدو أقل من نصف يوم فلم يجبر إلا فى السنة الثانيــة حيث يصير ٣٦٧ر٠ × ٢ = ٧٣٤ر٠ من اليوم بجبر يوما كاملا صارت به السنة (٣٥٥ يوما) وسموها كبيسة .

ومعلوم أن المقدار (٢٩ر٥٣) للشهر إنمــا هو متوسط الدورة فى (١٩ سنة) تقريبا ، وأما حقيقتها فتــارة تكون أقل وتارة أكثر ، ولا يخفى أن فى حالة الأقل يكون المضاف للجبر أكثر من نصف يوم ، وهو كفيل بأن ينقل أول الشهر عن الوضع الهلالى الشرعى إلى ما قبله أو ما بعده بيوم أو يومين ، هذا هو سبب التقريب فى هذه الطريقة ، ولم يمكن تفاديه من أول ما وضعت إلى الآن . . .

وأما قول الأستاذ ابن خليل : إنه وضع قواعد لمعرفة الكبيسة والبسيطة ، وأول السنة والشهر القمريين من أيام الأسبوع ، فمن باب التفنن فى الاقتباس من قواعــد المتقدمين المعروفة لديهم من قديم .

مع العلم بأن بعض هؤلاء المتقدمين قد سلكوا غــيرها من الطرق الدقيقة الانتاج من عهد النهضة العلمية الإسلامية البادئة بعد الـ ٢٠٠ هجرية تقريبا ، وقد بقيت هــذه الطرق فى بطون كتبهم التى لم يطلع عليها أخى الفلكى السورى ابن خليل على ما يظهر .

على أن الفلكيين الغــربيين بعد أن تعلموها من فلكيي الإســلام حافظوا عليهــا إلى الآن ، وقــد ترجمها عنهم بعض من تعلموا الفلك فى أوربا من أسلافنا ، وكتب الجميع بين أيدينا .

وهى قواعد فلكية تنتج الوضع الاجتماعى ، وكذا الوضع الهلالى المسمى بحساب الرؤية ، مبنية على قوانين جبرية وهندسية وحساب مثلثات مستوية وكروية .

على أن كل ما تقــدم يسهل أمره ، إنمــا الذى يلفت النظر ويدهش العقل فى كلام وأعمال الفلكى ابن خليل قوله فى خطابه أيضا :

« وبهذه المناسبة وضعت قاعدة لتطبيق التقويمين على بعضهما ويسيران جنبا لجنب فيقع شهر المحرم بين « آذار ونيسان » ويقع شهر رمضان بين «تشرين الثانى وكانون الأول» سنويا بصفة دائمة » .

وأقول : إن الأستاذ ابن خليل وإن لم يوضح هذه القاعدة التى وضعها، إلا أن المتأمل فى جدول (الثلاثين سنة) الموافق لخطابه ، وقال إنه استخرجه لامتحان هذه القاعدة ، يجد أنه قد ضل الطريق المستقيم ، إذ أنه يحذف من التقويم القمرى الهجرى (سبعة أشهر) من كل (١٩ سنة) لتستمر شهور التاريخ الهجرى متمشية مع شهور التاريخ الميلادى فى فصولها الشمسية بصفة دائمة .

ثم ينقل اسم الشهر المحذوف إلى أيام الشهر الذى بعده ، كأن أيام الشهر المحذوف لم توجد فى التاريخ الهجرى أصلا ، وبذلك تتأخر أسماء الشهور إلى ما بعدها حتى يأتى الحذف الثانى وهكذا .

ولم يدر ابن خليل أن هذا هو النسىء الذى استعمله عرب الجاهلية ، فأفسدوا التواريخ العربية بأبهام معالم المواسم الدينية التى ورثوها عن أبيهم إبراهيم عليه السلام ، فكانت دينا آخر غير دين الله ، إذ نقلوها من أمكنتها وأيامها التى كانت معينة لها بحكم الله تعالى إلى أيام أخر عينوها بحكمهم هم ، وهو حكم لم يأذن به الله .

ولما جاء الإسلام أبطله بقوله تعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » الآية، فانه اشتمل على إنقاص أحد مسميات الأشهر مع تأخير وإنساء اسمه إلى ما بعده زيادة على ما تضمنه من كبس شهر أى زيادته فى هذه السنة إذ تكون فى الواقع (١٣ شهرا) .

على أن الأستاذ ابن خليل قد تضارب أيضا فى كلامه ، إذ ذكر مثالا لاستخراج أول العام الهجرى الماضى سنة ١٣٧٥ من أيام الأسبوع، مع أنه على طريقة جدوله يكون كما يأتى ١٩٥٦ — ٦٢٢ = ١٣٣٤ هجرى قمرى شمسى (ش ه) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

يا أولياء الأمور — تداركوا هذه الأمة بانشاء مدرسة فلكية شرعية ، أو قسم تخصص فلكى شرعى، يخرج فلكيين شرعيين يرجع إليهم فى مثل هذه المسألة الفلكية الشرعية ، وإلا فمن عليه الذنب يا ترى ؟ ، وهو عظيم جدا إذ فيه إحداث لدين لم يأذن به الله .

اللهم فاشهد ، فانى قد بلغت ؟

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بالأزهر

لغويات

المواضيع والمشاكل

ينكر نقاد العربيـة هذين الجمعين للموضوع والمشكلة . وإنمـا يقال : الموضوعات والمشكلات، ولا يجمعان جمع التكسير . فكما لا يقال فى جمع مضروب مضاريب، ولا فى جمع مكرمة مكارم ، لا يقال فى جمع موضوع مواضيع ولا فى جمع مشكلة مشاكل . ومأتى هذا أن باب جمع الوصف هو جمع التصحيح أى جمع المذكر السالم إذا كان للمذكر العاقل ، وجمع المؤنث السالم إذا كان لغيره .

ولابن هشام كلام حسن فى هذا البحث أحببت أن أسوقه إليك ، وهذا فى شرحه لقصيدة « بانت سعاد » عند قول كعب ــ رضى الله عنه ــ :

أمست سعاد بأرض مايبلغها   إلا العتاق النجيبات المراسيل

فهو يقول : « وإنمـا تمتنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير فى مسألتين : إحداهما أن تكون على وزن مفعول ؛ كمضروب ، وشذّ نحو ملاعين ومشائيم . والثانية أن تكون الميم مضمومة ؛ كمكرم ومنطلق . ويستثنى من هـذه مفعل ومفعل المختصان بالمؤنث ؛ كمرضع ومكعب ، فيجوز تكسيرهما ؛ قال الله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » . وقال أبو ذؤيب :

وإن حديثا منـك لو تبذلينه   جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها   تشاب بمـاء مثل ماء المفاصل

والقارئ لهذا يرى أن مفعلا ومفعلا اللذين يكونان للمؤنث ولا يلحقهما التـاء يجمعان جمع التكسير قياسا ، وذلك كمرضع ، ومكعب ، فيقال : مراضع ومكاعب ، والمكعب : التى نهد ثديها . وهذا الذى ذكره ابن هشام مأخوذ من قول سيبويه فى الكتاب ٢ / ٢١٠ : « وأما مفعل الذى يكون للمؤنث ولا تدخله التـاء فانه يكسر ، وذلك مطفل ومطافل

ومشدن ومشادن » والمطفل : الأم معها طفل . والمشدن : الظبية التى قد شدن ولدها أى قوى واستغنى عن أمه . وابن يعيش فى شرح المفصل ٥ / ٦٧ يسلك المراضع والمشادن مسلك الشذوذ كملاعين ومشائيم ، وهو نظر غير سديد .

وهنا يعن للباحث أن يسأل : مابال الوصف الذى لاتلحقه التاء كمرضع يكسر ولا يكسر غيره . والجواب أن الذى حرم الوصف التكسير أنه لاحق بالفعل تربطه به آصرة قوية ورحم قريب ؛ إذ هو جار عليه وفرع عنه ، ولما كان الفعل لايكسر تبعه الوصف فى هذا الحكم ، وكان سبيله جمع التصحيح فيقال فى مكرم : مكرمون ، كما يقال فى جمع الفعل : يكرمون ، ولما كان نحو مرضع لايدخله التاء للتأنيث بعد عن الفعل وجفا عنه ، فان من شأن الفعل أن يؤنث لتأنيث فاعله ، فالتحق نحو مرضع بالأسماء الجامدة فكسر كما تكسر .

ونستطيع أن نجد من هذا التعليل مخرجا لما نحن فيه .

فالموضوع والمشكلة التحقا بالأسماء وصارا لايلتفت إلى أنهما مصوغان من وضع وأشكل ، وإنما الموضوع : الأمر يعرض للمرء ، والمشكلة : الأمر الذى يحتوى غموضا ويستدعى حلا . وآية ذلك أنه لايلاحظ جريانهما على موصوف . فاذا قيل : موضوع فان المتكلم لايراعى أن الأصل : أمر موضوع ، وكذا إذا قيل : مشكلة لايراعى المتكلم أن الأصل : حادثة مشكلة ، وهذا شأن الأسماء الجامدة ، وبذلك يكون تكسيرهما صحيحا ، فالمواضيع والمشاكل جمعان صحيحان . ومن باب المواضيع المشاريع فى جمع المشروع ، والمحاصيل فى جمع المحصول . ومما يختص به بحث المشاكل أن صاحب التاج ذكر فى مستدركه : وهو يفك المشاكل : الأمور الملتبسة ، والظن به أنه نقله عن نص لغوى يوثق به .

على أن العرب جمعت الوصف المبدوء بميم مضمومة مما ليس مختصا بالمؤنث فى ألفاظ وردت عنهم .

فقد جاء فى اللسان (نقا) : « ناقة منقية وإبل مَناق » . والمنقية : ذات النق وهو الشحم ، فالناقة المنقية هى السمينة . ويقول قيس بن الخطيم فى قصيدته المدونة فى جمهرة أشعار العرب :

رجال متى يدعوا إلى الحرب يرقلوا إليها كارقال الجمال المصاعب

يرقلوا أى يسرعوا ، والإرقال : ضرب من العـدو ، والمصاعب جمع مصعَب ، وهو الجمل الذى لايركب ولا يعمل و يترك للضراب والفحلة . وجاء فى جمع منتن : مناتين وأصله مناتن فزيدت الياء ، ومن هذا ماجاء فى معانى ابن قتيبة ٧٧٧ :

مناتين أبرام كأنّ أكفهم أكف ضباب أنشقت فى الحبائل

يهجو قوما بالنتن والبخل ، والأبرام جمع البَرَم وهو الذى لا يدخل الميسر بخلا ، وأنشقت : أنشبت وأعلقت . وجاء فى البيان والتبيين ١ / ١١٥ البيت الآتى :

مهـــاذبة مناجبة قرانـــ منـــادبة كأنهم الأسود

ويبدو أن المهاذبة جمع المهذب ، والمناجبة جمع المنجب ، وهو الذى يلد نجباء ، والمنادبة جمع المندب ، وهو البطل الذى قارع الأبطال ونازل الأعداء حتى صار فى جسده آثار الجلاد ، وأصله من قولهم : أندب بظهره وفى ظهره إذا غادر فيه ندوبا . وقوله : قران أبان المراد به الجاحظ فقال : « يريد بقوله : قران التشابه والموافقة » وكأنه جمع قرين كـكريم وكرام .

أفعل هذا الأمر دائمـا ، فعلت هـذا الأمر أخيرا

لم أر الاستعمال الأول فى قديم الـكلام ، والجارى على ألسنة القدماء أن يقال : أفعل هذا الأمر أبدا أو طول الدهر أو نحو ذلك ، وقد كنا نحفظ ممـا يتلى عقب إيراد بعض أبيات بردة المديح :

مولاى صل وسلم دائمـا أبدا على حبيبك خـــير الخلق كلهم

وليس هـذا البيت فى البردة ، ولا أدرى فى أى عصر قيل ، و يقول الشاطبى المتوفى سنة ٥٩٠ ﻫ فى قصيدته فى القراءات المسماة حرز الأمانى والمشهورة بالشاطبية فى خطبتها :

وثلثت أنـــ الحمد لله دائمـا وماليس مبدوءا به أجـذم العلا

وترى أن « دائمـا » فى معنى الظرف ، وإن جعله الشارح الشيخ أبو شامة حالا ، ويبدو أن هذا الاستعمال بدأ به المناطقة فى القضية الدائمة إحدى الموجهات ، نحـو كل إنسان حيوان دائمـا ، وسرى منهم إلى المؤلفين والعلماء وجرى على ألسنة الناس .

وأما الاستعمال الثانى فهو قديم ، وفى الأساس : «وجئت أخيرا و بأخرة » ، و يقول كعب بن زهير من مقطوعة فى ديوانه :

إن عرسى قد آذنتنى أخـيرا لم تعرج ولم تؤامر أمـيرا

فلان يعافر

يقول العامة : فلان بيعافر أى يحـاول أن يصل إلى بعض أمره بعلاج وتعمل ، وليس فى المعاجم هذا المعنى ، وفى تاريخ أبى الفدا ج ١ ص ٧٠ فى الـكلام على أنساب اليمن أن النعمان بن يعفر لقب المعافر لقوله :

إذا أنت عافرت الأمـور بقدرة بلغت معالى الأقدمين المقاول

وقال أبو الفدا عقب إنشاد البيت : « والمقاول لفظة جمع ، وهم الذين يلون الجهات الـكبار من اليمن » ، وجاء البيت فى مواسم الأدب ج ٢ ص ٣٠٢ هكذا :

إذا أنت عافرت الأمور بقوة بلغت معـالى الأقدمين الأكارم

ومقتضى هذا أن المعافر بضم الميم ، وهذا غير معافر بلد باليمن فانه بفتح الميم ، و يقال : رجل معافرى ـ بفتح الميم ـ للذى يمشى مع الرفق فينال فضلهم ، وكأن هـذا لأن بعض أهل معافر البلد شهر بهذا فلزم الاسم من كان على شاكلته ، أو هو من المعافرة لأنه يعالج عيشه بهذا الطريق .

دبس الثوب بدبوس : خله بخلال

يستعمل الدبوس فى لسان العامة فيما يشبك به الثوب ونحوه ، ولا يعرف له هذا المعنى فى اللغة ، إنما الدبوس عمود من خشب أو حديد فى رأسه كرة من حديد يقمع به و يضرب ، و يقول صاحب القاموس فى مادة (دبس) : « وكتنور : واحد الدبابيس للمقامع ، كأنه معرب» و واحد المقامع مقمعة ، وقد صاغ الناس من الدبوس فعلا فقالوا : دبّس الثوب . و يقابل الدبوس فى العربية الخـلال وجمعه الأخلة ، و يقال فيـه : خل الثوب ونحوه بخلال ، وفى اللسان : « خل الكساء وغيره ، يخله خلا : جمع أطرافه بخلال ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : كان له كساء فدكى ، فاذا ركب خلّه عليـه أى جمع بين طرفيه بخلال من عود أو حديد » .

محمد على النجار

كلمـــــة الأزهر

فى المؤتمر الشعبى القبطى

الذى انعقد مساء الأربعـاء ٣ / ١٠ / ١٩٥٦

ألقـاها فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ محمد الطنيخى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد

بالنيابة عن فضيلة الأستـاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين .

يا أبنـاء النيل : أحييكم باسم الأزهر الشريف ، وأشكر لإخواننا الذين هيأوا لنا فرصة هذا المؤتمر العظيم ، الذى أوحت به الوطنية الصادقة والإخلاص الـكبير لبلادنا العزيزة . هذا المؤتمر الذى نرى فيه شيخنا بجانب قسيسنا ، وعالمنا بجانب راهبنا ، وشبابنا المسيحى بجوار شبابنا المسلم ، جميعهم يشرب من ماء النيل ويستظل بسماء مصر ويتمتع بخيراتها ، فـكل عند صاحبه مكين ، تفيض قلوبهم بحب مصر ، وتهفو نفوسهم إلى عزتها وكرامتها ، ويعملون جميعا كالبنيان المرصوص ، لخير مصر وسعادتها وتقدمها ، فى وقت ظن فيه أعداء بلادنا ــ وبعض الظن اثم ــ أن فينا من يتوانى عن أخيه فى خدمة مصر ، فمصر أم الجميع ، وهم بنوها المخلصون لهـا ، المجاهدون فى تحقيق نصرها وعزها .

أيهـا السادة :

إن الانجليز لا يرتاحون ولا يهـدأ بالهم إلا إذا اعتصروا الدول الضعيفة ، أو التى يظنونها ضعيفة ، وامتصوا دماءها . وقد ظلوا فى بلادنا أكثر من سبعين عاما يأكلون خيراتها ويتمتعون بأطيب ثمراتهـا ويبطشون بأهلهـا ويستعبدون ضعفاء الإرادة منهم ، يسخرونهم ضد بلادهم بل ضد أنفسهم ، كأن بلادهم لا حق لها فى أعناقهم ، ولا واجب لهـا عليهم . بلى إن لهـا حقا وواجبا ، ولـكن النفوس الضعيفة الخوارة لا تعرف حقـا ولا واجبا . وما فتئ الانجليز يغدون ويروحون فى جنبات الوادى فرحين مرحين ، حتى قيض الله لوادينا ذلك الفتى المؤمن بربه ، المخلص لوطنه ، البار بأمته ، القوى بحقها ، الذائد عن

حياضها : رئيسنا المحبوب « جمال عبد الناصر » فصاح فيهم صيحة هزت قلوبهم ، وارتعدت منها فرائصهم : أن اخرجوا من بلادنا ، لا حق لكم فيها ، وعاطونا حقنا .

فان لم تعاطوا الحق فالسيف بيننا ... وبينكم والسيف أجور جائر
متى تجمع القلب الذكى وصارما ... وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فذلوا واستكانوا وجمعوا أمتعتهم وخرجوا بليل ، ولله الحمد .

حسبوا أن رئيسنا المحبوب قنع بهذا لبلاده، واكتفى بهذا الكسب الذى أعجز من قبله، وخارت دونه عزائمهم وقواهم ، ولكن أبى للنفس الأبية والروح القوية أن ترضى بدون الكمال .

رأى أن بلاده قد استقلت، ولابد للاستقلال من قوة تحميه وتدفع عنه كيد الأعداء، فطلب إليهم مجاملة لهم أن يبيعوا له السلاح الذى يطلبه لحماية بلاده ؛ فكانوا كالحرباء يلفون ويدورون وبكل لون يتلونون ؛ وظنوا أنهم كما كانوا من قبل إذا قالوا : « لا » قالت الدنيا معهم : « لا » ؛ ولكن رئيسنا المحبوب ـ بما آتاه الله من حزم وعزم وبصيرة نافذة وقوة إرادة وحكمة وسداد ـ استطاع أن يسلح جيشنا المظفر تسليحا عظيما أثار إعجاب الشرق والغرب ، ووقف الإنجليز منه مشدوهين مذهولين ، حتى كانوا يقولون : كيف يسلح « جمال عبد الناصر » جيشه بسلاح شيوعى ؟ كأن الحديد فيه شيوعى وغير شيوعى ، ولكن من يفاجأ بما يذهله ، يقول ما لا يعقله .

رأوها لطمة قاسية شديدة ، ولكن لاخلاص لهم منها، فظنوها آخر اللطمات ، فصبروا وما هم بصابرين . وإذا بابن مصر البار يقول على حين غفلة من الدنيا جميعا : تؤمم قناة السويس وتسلم ، فأممت القناة وسلمت .

رأى رئيسنا جمال أن قناة السويس جزء من بلادنا لا يتجزأ ، وأن إدارتها عمل من صميم السيادة المصرية، كما تشهد بذلك القوانين وتدل عليه كل المعاهدات التى عقدت بشأن القناة ، ومع ذلك فدخلها الكثير لغيرنا ، وإدارتها فى يد سوانا ، وكأنها دولة فى داخل الدولة ، فما سكن له جفن ولا استقر به مقام حتى أممها ورجعها إلى أصحابها ، فثارت الانجليز وجرت وراءها فرنسا وأمريكا ودولا كثيرة خاضعة لسلطانها ومستكينة لنفوذها ، وأخذوا يأتمرون ثم يأتمرون ، وفى كل مؤتمر يفشلون ، وسيفشلون فى مؤتمرهم الثالث لأنهم على الضلال مقيمون .

لوحوا بالقوة وأمروا السفن الحربية بالإبحار إلى البحر الأبيض المتوسط ، وأنزلوا الجيوش بمالطة وقبرص فقال لهم الرئيس : إذا دخلوا بلادنا خرجوا منها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم

* * *

إنى أبىّ أبىّ ذو محافظة وابن أبىّ أبىّ من أبيين
لا يخرج القسر منى غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغى لينى

فهدأوا وولوا وجههم نحوا آخر، نحو الإشاعات يشيعونها عن الرئيس المحبوب، قالوا : إنه دكتاتور كما كان هتلر دكتاتورا ، وقد كذبوا فى ذلك أقبح الكذب ، فهاهو ذا الرئيس يجتمع بزملائه رجال الثورة المخلصين يشاورهم ويشاورونه ويسمع رأيهم ويسمعون ، وهو مع ذلك يقابل - بهشاشة وبشاشة - الصغير والكبير من بنى وطنه، هم جميعا عنده كأسنان المشط ، فهل هذه دكتاتورية ؟ أم هى السماحة واللين والخلق الطيب والذوق السليم ؟ .

فكروا وقدروا ثم فكروا وقدروا ، يبحثون عن ثغرة يدخلون منها إلى قلب أمتنا العزيزة لتأليبها على رئيسها المحبوب ، حتى ظنوا أنهم عثروا عليها فقالوا : إن جمالا لا يرضى عنه ولا عن أعماله - وبخاصة تأميم قناة السويس - إلا المسلمون ، أما غيرهم فليس راضيا عن ذلك . ولست أرى كذبا أشنع ولا أقبح من هذا الكذب ، فهاهم أولاء المسلمون والمسيحيون يجتمعون بقلوب خالصة ونفوس صافية ، فى معبد من معابد المسيحيين، يتغنون بأعمال جمال ، ويمجدون أعمال جمال ، ويشكرون جمالا على ما قدم لبلاده من خير ونعمة . لقد أحرز جمال لأمته فخرا ونصرا وعزا لا يبليه مر الليالى والأيام، ولا كر السنين والأعوام . فمن ذا تطوعه نفسه من أمته ألا يكون راضيا عنه وعن أعماله ؟ إن المسلمين والمسيحيين يد واحدة وصف واحد وراء جمال، يشدون أزره ويقوون ساعده. وهل ننسى أن بعض الانجليز أراد أن يدس بين المسلمين والمسيحيين ، فقال للسيد واصف غالى : كيف تتفق مع قاتل أبيك ؟ فقال قولته المشهورة : « أتفق أنا وقاتل أبى على قاتل بلادى » .

فهل بعد ذلك يتسنى لمخلوق أن يقول: إن المسيحيين غير راضين ، إلا أن يكون منافقا أو كذابا . وها نحن أولاء نرى عنصرى الأمة على عهدهم من الاتحاد والألفة ،

وقد جمعتهم كلمة سواء، هى التواصى بالوفاء للوطن، والدفاع عن عزته وكرامته، والوقوف صفا واحدا أمام الاستعمار الغاصب ، ذلك الاستعمار الذى هو حرب على الإنسانية جمعاء ، لايفرق بين أمة وأمة ، وطائفة وطائفة ، ولا بين أهـل دين وأهل دين . فهو لا يعرف لقوم حرمة ، ولا يرعى لأحد إلا ولا ذمة، فى سبيل الوصول الى مآربه وأطماعه . وأوضح شاهد على ذلك موقف الاستعمار فى فلسطين الشقيقة حين مكن للمعتدين الغرباء من البغى فى الأرض المقدسة ، وإجلاء العرب من مسيحيين ومسلمين، وانتهاك حرماتهم، والتنكيل بهم ، واغتصاب أرضهم وديارهم وأموالهم ، وتشريدهم فى الصحارى عراة جائعين .

وهذا مثل آخر يضرب به الاستعمار اليوم فى قبرص الأبية المجاهدة ، التى طالبت بحريتها وحقها فى الحياة ، فبطشت بها القوة الغاشمة ، واعتدت على الآمنين من أهلها ، وانتهكت حرمة المعابد ، واعتقلت زعماء الكنيسة وشردتهم ، وعطلت إقامة الشعائر الدينية فيها . والمستعمرون مع ذلك لا يتورعون عن الادعاء بانتسابهم للمسيحية ، والمسيحية منهم براء ، فالمسيحية تدعو إلى المحبة والسلام ، ونشر الأمن والعدالة فى الأرض .

أى دين أو أى مبدأ إنسانى يقر هـؤلاء الباغين على ما يقومون به فى الأمم الضعيفة من بغى وعدوان ؟ إن المسيحية لتلعنهم ، والإسلام يلعنهم ، ويلعنهم كل مافى الناس من مبادئ سامية ومشاعر كريمة .

إن على كل أمم الأرض، على اختلاف أديانها وأجناسها وطوائفها ، وعلى جميع القوى الإنسانية، أن تقدر خطر الاستعمار، وتتكتل لدرء كيده وعدوانه، لتستقر السكينة فى الأرض، وتخفق على ربوعها ألوية الأمن والمحبة والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

ربيع النصر
فى مصر

أقبل الربيع فى عام الفيل ، فأنار الدنيا ، وأثار الحكمة ، وزرع أصول المحبة ، وبخع الظلمة ، وصفع الشرك ، وصدع بالأمر ، بجمع الناس على التوحيد ودعم السلام .

أقبل الربيع فى عام الفيل ، وفى ركابه أمل ، وفى طياته بسمة ، وفى ثناياه نهضة ، وفى حناياه حياة .

وقد انطلق الناس مؤملين الخير فى موكب النور وإشراقة الكون مرجين النصر ، فقد فوح الزهر وأرسل تحياته العطرة ، وخمدت النار نار فارس ، ليعلو صوت الحق ، وتصدح بلابل الهداية بالمحبة والسلام .

ويقبل الربيع فى العام السادس والسبعين بعد ثلاثمائة وألف من هجرة الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وقد لاحت البشرى ، وسادت مصر الكبرى .

يقبل الربيع وقد عادت القناة لأصحابها ، وردت الحقوق إلى أربابها الذين شقت القناة فى أرضهم بسواعد آبائهم وأجدادهم ، ومات فى حفرها الكثير من شهدائهم .

يقبل الربيع وقد تمصرت إدارة القناة ، وثاب دخلها إلى أبناء الكنانة الكادحين الذين سخروا فى الحفر ليحظى الدخيل بالثمر والدخل .

يقبل الربيع ونحن أعز نفرا وأحسن أثرا وأبعد منالا وأقوى رجالا وأمضى سلاحا وأشد كفاحا ، لا يرهبنا التهديد والوعيد ، ولا يثنينا عن عزيمتنا نار أو حديد .

فليحشدوا أساطيلهم ، وليجمعوا خيلهم ورجالهم ، فأننا مستعدون لنسعد بساعة الجهاد : ساعة الجلاد والاستشهاد ، فنعيد ماضينا المجيد ومجدنا التليد .

يقبل الربيع على شعب مصر شعب العزة والنصر ، وقد وعى وفهم ، وعلم من أمر المستعمرين ما علم .

يقبل الربيع على شعب لا يقعقع له بالشنان ، ولا يتوعد بالسنان ، فلتكن الحرب إذا أرادوا ، ولن يفلت منهم أحد إن شاء الله بفضل وحدتنا وتكتلنا .

يقبل الربيع على شعب يمضى وراء قائده ، وقد وثق فيه كل الثقة، وادخره ليدفع البغى ويمنع الضيم ويقض مضاجع الأعداء ،وله منا الحب والولاء، والتضحية والوفاء .

فلنمت معا أعزة فى سبيل مصر أمنا الحانية، ليجنى أبناؤها ثمارها الدانية .

يقبل الربيع على شيب وشباب ، رجال ونساء ، طلاب وموظفين ، عمال وزارعين، تجار وصانعين .

يقبل الربيع على هؤلاء جميعا وقد انتظموا فى صفوف المحاربين الأقوياء ، لا تلين لهم قناة، ولا ينثنى لهم عود، ولهم من ماضيهم الحبيب وأمسهم الرهيب ويومهم القريب مدد لا ينفد ، وصلابة لا تلين ، وعزمة لا تستكين .

يقبل الربيع على أمة العرب وقد انصهرت فى بوتقة القناة ، فتحول معدنها الطيب إلى أصله الذهب بعد أن كادت تمزقها الأهواء

اتحاد بعد خلاف، واجتماع بعد فرقة، وتكتل بعد شتات، وقرب بعد بعد، ووصل بعد صد .

تعبئة تعلنها أمة العرب للذود عن حياضها والدفاع عن حماها والحفاظ على رباها والإبقاء على جناها .

تعبئة تعلنها الحكومات والشعوب ، وزحف يستمد قدسيته من الضمائر والقلوب ، وتماسك يستند الى حق ، ووحدة تدفعها قوة وتمنعها لغة ، ويؤلف عقدها دين .

نصر فى مصر ،وفرح فى دمشق، وبشرى فى الرياض، وأمل فى بغداد، ووثبة فى عمان، وانتفاضة فى بيروت ، فلتسجل الدنيا وليسطر التاريخ .

ليت مصر قد أممت القناة منذ أمد بعيد ، ليشهد العالم مطلع الفجر السعيد فى هذا البعث الجديد .

ألا فليعلم الغرب أن الأمة العربية قد نفضت عنها غبار الذل الى غير رجعة ،وأن بأسها اليوم شديد ،فليهدئ من ثائرته وليثب الى رشده ،فان الناس فى مصر ـ وفى خارج مصر ـ يستعدون لساعة الصفر ، ففيها النصر ،وبعدها ينبثق الفجر بالأمل والفخر .

توفيق عاشور
مدرس بمعهد دسوق

ذكريات

بين الصفا والمروة

علوت درج الصفا ، ووليت وجهى نحو الكعبة المطهرة ، ثم أغمضت طرفى وعشت مع الماضى لحة ،لم ينتزعنى منها غير انتفاضة سرى تيارها فى كل قطرة من دمى ، فهز مشاعرى هزا عنيفا ، وسمعتنى أصيح فى ثورة عارمة : الله أكبر ، الله أكبر .

إنها هزة الرهبة التى مست الروح، فأزالت عنها المعانى الأرضية التى كانت تعيش فيها واجتذبتها إلى الملكوت السامى، فعاشت فى جلاله لحة تضاءلت لديها معانى الجلال الأرضى، وخداع السلطان الزائف .

وغرقت عيناى فى عبرات أثارتها الذكرى النائية ، ذكرى محمد بن عبد الله عليه صلوات الله، وهو فى وقفته هذه يهتف : الله أكبر ، الله أكبر ، فتجاوب أصداء مكة هذا الهتاف الذى يعلن ــ فى إيمان ــ أن النصر للحق، وأن الصبر سبيل الظفر ، وأن الله لن يغلبه غالب ، وأن عباده المؤمنين به المكافحين فى سبيل دعوته ان يزعزعهم وعيد ، ولن يكبلهم عن أهدافهم تهديد، ولو عبأت قوى الشر للكفاح كل سلاح .

وعبرت هــذه الذكرى بين العبرات إلى عالمنا هــذا ، فرأيت أننا أحوج ما نكون إلى صبر لا يستسلم ليأس ، وإلى إيمــان بالمجتمع الإســلامى ينسينا دنيا الفردية ، وينأى بنا عن طغيان الذاتية ، ثم بعد هذا وذاك نحن أحوج ما نكون إلى كفاح عنيف نخوض أهواله متماسكين جميعا، لاندع ثغرة بين صفوفنا تتخذ منها عدو الله سبيلا إلى تمزيق وحدتنا وتقويض كياننا .

ثم نزلت درج الصفا منحدرا إلى المسعى ، فذكرت أم إسماعيل فى خطاها الوئيدة ، ترفع بصرها إلى السماء : تدعو ربها أن يجعل لها من الضيق الذى يلم بها مخرجا، ومن ظلمات هذا الجدب شعاعا من أمل ينير لها ولوليدها الضجيع ــ فى كنف بيت الله ــ سبيل الحياة .

ثم ذكرتها وهى تنطلق مهرولة الخطا ساعية إلى جبل المروة لعلها ترقب من فوقه بريقا من رحمة الله ، ثم تعود فتتئد وتمضى وقد شوى الظمأ حلقها ، ولكنها غير يائسة من ربها ، وتصعد المروة فتتلمس فى الأفق البعيد شؤبوبا من شآبيب الرحمة ، أو طيرا فى سماء هذا الجو يخفق فتحمل أجنحته إليها بشير الطمأنينة ، وتسكب الدموع ، ثم تأخذ سبيلها إلى الصفا حائرة ، ولكن حيرتها لم تفقدها الأمل ! .

ذكرتها وذكرت عندئذ كفاح المرأة فى الحياة ، وذكرت صبرها على المكاره التى قد ينوء بعبئها غلاظ الأكباد من الرجال . وأى صبر أروع من صبر امرأة تعيش مع طفلها فحسب ، فى هذا المنعزل الموحش المقفر من كل شىء إلا من الحشرات والهوام ، وفى سلاسل الجبال الصخرية وفى حلوكتها ما يشيع الفزع والرهبة فى النفوس نهارا ، فكيف بها فى ظلمات الليل بين فحيح الأفاعى أو عويل الرياح أو عواء الذئاب ؟ ! .

إنه الصبر الذى يسكبه الله فى قلب من أراد من عباده ، ليجعل فيه راحة تستروح فيها النفوس معانى الطمأنينة والأمن .

ومضيت فى المسعى بين أطياف من الذكريات ، ذكريات بفجر الإسلام وقد غمرته القلوب المؤمنة ، وكأن كل قلب شعلة من النور والنار : النور الذى يهدى إلى سبيل السلام ، ويخرج من ظلمات التخبط إلى اليقين الضاحى ، والنار التى تنطلق فتدمر من أطغاهم العناد وأغراهم الصلف ، لتطهر الوجود من الخطايا التى تجسمت فكانت شياطين بشرية .

وذكرت بين هذه القلوب قلبا رق حتى أبكته كلمة ، وصال حتى عنت له تيجان .

إنه قلب الفاتح العظيم عمر ، ذكرته وذكرت أن المسلمين يعوزهم اليوم أن يكون فى كل إقليم عمر ، له درة كدرته ، وعدل كعدله ، وسهر على الشئون كسهره ، ثم له بعد هذا عزيمة لا تعرف الخور كعزيمته ، وثقة لا يلم بها شك كثقته .

ذكرت عمر وألويته الظافرة تخفق من طرابلس غربا إلى بلاد فارس شرقا ، وليس فى هذا الملك الواسع غير قلوب تجمعت وتماسكت ، حتى عز على الفتنة أن تجد بين هذا الملك سبيلا للحياة ، لأن الإيمان جند قواه لمطاردة كل نوازع الشر .

ذكرت كل ذلك ، وذكرت حاجة المسلمين إلى تجمع وتماسك ، ثم إلى يقظة للفتن

المخاتلة التى لم تنم رياحها ، والتى لم تزل تحاول بث الشقاق بين الصفوف لتقوض ما شيد المخلصون من وحدة .

بين هـذه الذكريات والآمال والعبرات والعبر عشت ساعة أطوى الزمن ، وتنطوى بين عينى الأمجاد الإسلامية ، وأقطع المسعى ، وتتقطع فيه نفسى حسرات .

فهل آن لهذه الأمجاد أن تنشر ليعود المسلمون إلى مكانهم الذى خلفوه تحت الشمس ، وليرجع إليهم سلطانهم الذى سلبه منهم تشتتهم شيعا وتفرقهم فرقا .

إن صيحة البعث قـد انطلقت تدعو إلى لم الشتات وضم الصفوف ، وإن القـافلة ستسـير ـ وإن كره المرجفون ـ وعلى رأسها أولئك الذين وهبوا أنفسهم ودنياهم لخـير العروبة والإسـلام والسلام ، ولن تعوقها صيحات الوعيد ، ولا حشود النـار والحديد ، لأن اليأس والاستسلام لم يعد لهما فى النفوس مكان ، وان الإيمـان بالله هو سلاح القافلة فى الحياة، وستمضى على بركة الله »

محمد محمد خليفة

مبعوث الأزهر فى الرياض الثانوية

زهد محمود شكرى الألوسى

روى الأب انستاس الـكرملى أنه لقى العلامة محمود شكرى الألوسى فى بغـداد عقب الاحتلال البريطانى ، فرآه يلبس حـذاء من أحذية جند الانجليز وكانت تباع رخيصة ، وكانت بغداد فى حالة فقر وفاقة فى آخر مدة الأتراك ، واتصل خبر ذلك بالسر برسى كوكس المعتمد البريطـانى فأعطى الأب انستاس الـكرملى ثلاثمائة جنيه ذهبا وكلفه بأن يقدمها هدية للآلوسى . قال الأب انستاس : فلما أتيته بها رفض قبولها وقال :

ـــ خير لى أن أموت جوعا من أن آخذ مالا لم أتعب فى كسبه .

قال : فألححت عليه إلحاحا مملا مزعجا ، فأبى وقال :

ـــ لا تكثر من إلحاحك ، لئلا أطردك من بيتى طردا لا عودة بعده .

قال الأب انستاس : وسعيت لتعيينه قاضيا للقضاة الشرعيين فى العراق، فاعتذر بأن هذا مقام يحتاج إلى علوم وصفات لا أرانى متصفا بها ، ورفض المنصب أيضا .

تعليقات

حول التوسع فى تعليم الفتيات
[وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم]

قرأنا للأستاذ الصاوى ـ قريبا ـ كلمة تحت عنوانه ـ ما قل ودل ـ لفت الأنظار فيها إلى مابدا من تهافت الفتيات على التعليم الجامعى، ومزاحمتهن للشباب فى ميدان العمل.

ونبه الأستاذ الصاوى إلى أن هذا التزاحم سيفضى إلى فشو البطالة بين الشباب، ودعا إلى وجوب النظر فى درء هذا الخطر قبل استفحاله . . الخ .

ونحن لا نرى الأستاذ الصاوى مسرفا فيما يساوره من حذر البطالة على الفتيان، ولا فيما دعا إليه من تدارك هذه المزاحمة قبل أن يتخلف عنها ضرر يتعذر الخلاص منه. وليس معنى هذا أن نضن على الفتاة بنصيبها من العلم أو تتخذ من تعلمها وسيلة إلى المادة، ولكن بقدر ما تدفعها الحاجة : لا بمعنى أن يكون إنهاض الفتاة تعويقا للفتى، وإحلالا لها فى مكانه، إذ حينما يصبح تعليم الفتاة موصدا للباب فى وجه الفتى، يكون العلم فى ذاته خيرا جلب شرا أكثر منه، ويكون الضرر عائدا على الفتاة نفسها، فانه لا يمكن أن ينعكس الاتجاه، ويشغل الفتى مكانها الذى تحت عنه، ولا يمكن أن تعول الفتاة الموظفة زوجا عاطلا بعد أن تحتل هى مكانته فى العمل.

ولا ينتظر أن تظفر كل فتاة موظفة بزوج موظف أو ذى يسار، ولا يرجى أن تستريح الموظفة إلى حياة الوحدة، عاكفة على وظيفتها دون زوج تستريح إلى عشرته، وتستظل به، وتسكن إليه، وتلقى عليه عبئها فى شئون دنياها، كما تفرض ذلك طبيعة الحياة الجنسية والاجتماعية. وقديما صاح أناس بهذه الدعوة الناصحة التى يرددها الأستاذ الصاوى فى وقتنا هذا، وكثيرا ما رجم هؤلاء الناصحون بألفاظ الرجعية، واستعباد المرأة، وتعطيل الجنس اللطيف عن حظه وحقه، وحرمان الأمة من مواهب نصف مجموعها، وهكذا.

وحينما سبق إلى تحرير المرأة فى مصر دعاة غيورون، لم يكن فى حسابهم أن ندفع بالمرأة إلى هذا التيار الجارف، أما وقد توسعنا نحن فى توجيه الإناث، وتكشفت الأيام عن خطر التوسع فى تعليم الفتيات، كما عرض لذلك الأستاذ الصاوى، فالأمر بحاجة إلى علاج تتحقق به الرغبات الثقافية للفتيات دون إيصاد للباب فى وجوه الفتيان.

ويبدو أن الذين ألحوا ويلحون فى دفع الفتاة إلى مزاحم الرجال ، ويزينون لهـا أن تـكون قسيمة للفتى فى كل شأن من شئونه، حتى فيما هو من خصائصه ، لن يقدروا هذه العاقبة ، أو هم يقدرونها ، ولـكنهم يستخفون بها فى سبيل غايات خبيثة .

وكم قلنا وقال من هم أجهر منا صوتا : إن للفتاة جانبا فسيحا ينتظرها ، وإن لهـا أن تتعلم ، وان تسلك سبيل الحياة بمـا لا ينزل بأنوثتها ، ولا يعرضها لمـا لا تستطيعه غالبا من تزاحم الرجال فى مواكب العاملين خارج البيت .

غير أن أصواتنا هذه كانت فى اعتبارهم صدى لدعوة الدين ، وترديدا لنداء القرآن .

وهم مشغوفون بالتنصل من حوزة الدين ومن دعوته، وإن كانت هى الحق الذى يجب أن يتبع .

ونأمل اليوم بعد أن تكشف الصواب ، ووضح الصبح لكل ذى عينين ، وبعد أن هتف بذلك الصواب من لا يتهم بالرجعية ، ولا بالـكراهية لتثقيف الفتاة (كالأستاذ الصاوى) ألا يقف المغرضون أو المستهترون بالعواقب فى وجه الحقائق الملموسة .

وواضح أن التعليم الذى غمروا به الفتاة هو التعليم المدنى الذى لا يزال على اختـلاف أنواعه فى معرض الإصـلاح والتحسين ، ولا تزال عيوبه شاغلة لأولى الأمر ومستأثرة بتفكيرهم وجهودهم .

فالفتاة سائرة مع الركب فى هـــذا التعليم على علاته ونقائصه ، ولم تأخذ بنصيبها من الثقافة التى تنضجها على النحو المنشود للفتاة كأنثى يتعلق بهـا الأمل فى تكوين الأسرة وتنشئة البنين والبنات .

وليس أحب إلى الفتاة من أن تكون موضع الرغبة الزوجية، وأن تكون سكنا لزوجها، وأن يكون الزوج سكنا لها ، كما توحى بذلك فطرة الأنوثة .

فمن الخير للفتاة حقا أن يتجه العاطفون عليها وجهة جديدة. وإذا كانت أزمات العيش مبررا لدفع الفتاة إلى مزاحم الرجال ، فهناك جانب أرفق بهـا ، وهو جانب الزوجية وتذليل عقباتها ، ومحاربة العزوبة التى يتشبث بها كثير من الغواة بلا مبرر صحيح .

ولو أن أولى الأمر والعاطفين على الفتيات صرفوا شطرا من جهودهم إلى تنظيم الزوجية ، والإجبار عليها ، ووضعوا لها تشريعا تراعى فيه الاعتبارات الكفيلة بمستقبل الفتاة فى المحيط العائلى، وحماية الأسرة من التحلل، لكان هذا خير إصلاح فى قوام المجتمع ، وكان أصدق مجهود فى خدمة الأفراد والأمة . فهل من مستجيب ؟ ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

حول الأنباء :

قضيتنا . . . بين عواصم العالم

ظلت الكرة تتنقل بين عواصم العالم . . . اجتماعات مختلفة فى بلدان مختلفة :

١ — القاهرة : لجنة منزيس :

أنهيت مقالى فى العدد الماضى قبل أن تنهى لجنة منزيس مهمتها . . . وأرسلت المقال لتحرير المجلة دون أن أنتظر ، تقديرا للوقت الذى تستغرقه فى الطبع من جهة ، وثقة منى بأن هذه اللجنة لن تأتى بجديد . . . إنها تضيع الوقت وتحاول كسب الثقة الدولية ، كما تحاول الضغط الدبلوماسى على مصر فى ظل التهديد العسكرى ، ورجع منزيس من رحلاته ، بين القاهرة ولندن ، وافتتح أعماله فى استراليا بخطاب ضد مصر ! !

وكانت بريطانيا تحاول أن تسدّ (الفراغ) ببعض الخطوات المصطنعة ، حتى تفرغ من تنسيق سياستها فى (داخل) بريطانيا و (خارجها) ، وتنتهى من استعداداتها العسكرية ، وتزيد من حدّة التوتر السياسى والضغط الاقتصادى بالنسبة لمصر ، وتشغل الدول العربية بعضها عن بعض بطائفة من المشاكل والمصالح والمشاغل ـ مثلما هددت به السودان من ضغوط ـ وتثير الارتباكات فى القنال بقدر ما تستطيع ، وتحبك من المؤامرات ما تستطيع .

وكل ذلك يستدعى وقتا .

وهذا الوقت يقتضى شغلا .

فليكن مؤتمر لندن ، ثم وفد منزيس ، ولا بأس بشىء فى الأمم المتحدة . . وبريطانيا فى هذا كله تجتهد أن تظهر بمظهر (صانع السلام) ، ثم لها بعد ذلك ـ فى تمضية الوقت ـ مآرب أخرى . . . ! !

٢ — واشنجتن : المؤتمرات الصحفية :

واحتلت مؤتمرات أيزنهاور ودلاس مكانا بارزا . . . إنها حلقة من برنامج الدعاية الحزبية الضخمة للانتخابات الأمريكية ، وهي في الوقت ذاته إبراز لأمريكا لتحتل وضعا دائما في الشئون الدولية عامة ، وفي شئون هـذا الجزء الحساس المسمى بالشرق الأوسط بصفة خاصة ، وتستهدف التصريحات الأمريكية دواما الضغط على معنيين : التدويل والسلام . . . لأن هذا ما يعني الرأسمالي الأمريكي والناخب الأمريكي ! ! !

وقد يبدو أن أمريكا تخذل بريطانيا وفرنسا بضغطها على (السلام) . . . وتتجافى عن الأمر الواقع في أن التـدويل يصطدم مع إرادة مصر والشعوب الحرة التي صممت على الاحتفاظ بالسيادة المصرية كاملة ... مفردة ... بلا شريك ، ونتيجة هذا الاصطدام شيء لا يمكن أن يكون هو السلام ! ! !

وهذا صحيح ، ولـكن أمريكا يهمها السلام الأمريكي . . . إن المواطن في الولايات المتحدة لن يدفع الثمن . . . ربما دفعته جنود بريطانيا وفرنسا ، ويكفي أمريكا أنها تؤيدهما (سياسيا) ، وأنها مستعدة للتصفيق لهما إذا نجحتا ، ومستعدة أن تبدأ هي (خط الرجعة) إذا فشلتا حتى لا يفلت الزمام إلى دولة (غير صديقة) مثل روسيا ... هذا هو تحالف أمريكا مع بريطانيا وفرنسا ! ! !

يهدد إيدن ومولييه ، ولويد وبينو ، بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وينعقـد مؤتمر دالاس بلندن ، فيتقدم (دالاس) بالاقتراح وقـد ركب جناحي ملاك السلام ! ! !

وتأتي لجنـة منزيس فتتعثر ، فيدلي أيزنهاور بتصريح التدويل ، ثم تفسير تصريح التدويل ، بالطريقة التي تهدئ الجميع ، وقـد لا تقنع الجميع ، ولـكنها ترضي الناخب الأمريكي ! ! !

وتجتمع بريطانيا وفرنسا ، وتقرران تشـكيل (منظمة دولية) للاستيلاء على القنال وإدارته ، فتوافق أمريكا على الاشتراك معهما (ثمنا للسلام) . . . حتى تحجزهما عن الحرب ! ! !

وقـد يبدو أن رأس المـال أحيانا يتطلب الحرب . . . لتصريف منتجاته وحل أزماته ، فكيف يوافق الرأسمالي الأمريكي الناخب الأمريكي على السلام ؟ ؟

أعتقد أن الاقتصاد الأمريكى لم يبلغ النقطة التى يحتاج معها للحرب . . . إنه ما زال لديه أسواق ومجالات تصريف للانتاج المتزايد . . . إن أخطبوطا من العلاقات السياسية والنقدية والفنية يربطه بكثير من أجزاء العالم . كما أن لدى الأمريكيين حقول إنتاج فى الخارج بجانب أسواق التصريف ، حتى قيل إن الرأسماليين الأمريكيين الذين يستغلون البترول فى الولايات المتحدة يحسدون أولئك الذين يستغلون بترول الشرق الأوسط ، حيث اليد العاملة وتكاليف الإنتاج أقل . . . . وكل هـذا لا يحمس رأس المال الأمريكى للاجماع وللاصرار على الحرب كحل اقتصادى . وبذا يتفق الرأسماليون مع رجل الشارع . ولكنهم قد يرون أن تشتعل الحرب عند غيرهم ، ويستفيدون هم اقتصاديا دون أن يحاربوا . . . وعلى أية حال . . . .

أمريكا تمثل دور الغنى الذى يشعر بحاجة الغير لأمواله ، فهى تعرف أنها قد تتهمها بريطانيا وفرنسا بالأنانية ، وقد تمر سياستها (بمطبات) وتناقضات . . . . ولكن أخطاءها كلها يمسحها الدولار الأمريكى الساحر ! ! !

لقد عقد دلاس مؤتمره الصحفى بعد أن أعلنت بريطانيا وفرنسا رسميا تكوين (جمعية المنتفعين بالقناة) ، فأعلن انضمام أمريكا إليهما فى هـذه الخطوة ـ رغم مقابلة سفيرنا له وإبلاغه رأينا فى الجمعية المقترحة ـ ويقول دلاس : « إن للدول التى تستخدم القناة حقوقا نصت عليها معاهدة سنة ١٨٨٨ ، لا يمكن إلغاؤها من جانب مصر وحدها ، ومن الطبيعى أن تعمل الدول التى تستخدم القناة متضامنة عند ما تتعرض حقوقها للخطر ، ولهذا فاننا نرى من الحكمة أن يستمر التعاون الإدارى بين الدول التى تستخدم القناة ، وإننا لا نعتقد بأن حقوق تلك الدول يمكن حمايتها الحماية الكافية إذا دافعت عنها كل دولة بمفردها ، بل إننا نعتقد فى الظروف الراهنة أن التعاون الفعال مع مصر لا يمكن أن يكون مجديا إلا إذا كانت الدول التى تستخدم القناة منظمة بحيث تستطيع أن تتباحث مع مصر جماعة وتتباحث معها مصر جماعة » بل وبدت الدلائل أن الولايات المتحدة هى صاحبة المشروع نفسه ، لا مجرد مؤيد له . وقد قام دلاس بعرض تفصيلاته فى مؤتمر لنـدن ، والولايات المتحدة مع هـذا الانضمام ، حريصة على السلام . . . . وإن كانت تلوح أحيانا بوجوب مراعاة العدالة الدولية أيضا ، لا السلام فحسب ! ! !

فدلاس يقول : « إننا لنرجو أن يتم الوصول إلى إجراءات عملية فى القنـاة موضع

النزاع للتعاون دون مساس بحقوق أحد ... وإن الولايات المتحدة لا تنوى شق طريقها بالقوة عبر قناة السويس » ... ولكنه مع هذا يقول : « إذا أوقفت مصر أية سفينة فان الموقعين على اتفاقية سنة ١٨٨٨ سيكونون أحرارا فى اتخاذ الخطوات اللازمة إما عن طريق الأمم المتحدة أو بعمل آخر مناسب وفقا لما تمليه الظروف » - وقال : « إن للدول الكبرى قوة ساحقة ومصالح حيوية فى القناة ، ومع ذلك فقد تمالكت شعورها تمشيا مع التزاماتها وفقا لميثاق الأمم المتحدة - إن التاريخ سوف يحكم بأن ضبط الأعصاب الذى أبدته هذه الدول قد زاد من قوتها الأدبية عما نالته مصر - إن الحكومة المصرية اليوم تواجه ظروفا اقتصادية أسوأ مما كانت عليه عند التأميم » -

وأظن أنه قد وضح أن السلام الذى يريده دلاس هو سلام الناخب الأمريكى ، ومصالح رأس المال الأمريكى فى (تجارة) السلاح للخارج أثناء الحرب ، ثم (تجارة) تعمير الخراب بعد الحرب -

ولقد سئل عن مدى تأييد أمريكا لبريطانيا إذا حاربت ، فالتوى بالسائل والسؤال ، وأحال على تصريح أيزنهاور بأن الولايات المتحدة لن تشترك فى أى عمل عسكرى يتعلق بالقناة ، قائلا : إذا كان الصحفى يقصد ما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تشترك فى الحرب فالجواب على ذلك ما ذكره الرئيس أيزنهاور هذا الأسبوع ! ! !

إن أمريكا لن تحارب .... ولكنها تسكت عن إجراءات الحرب ، وقد تؤيد المحاربين ، إن دورها دبلوماسى اقتصادى وليس عسكريا ، لأن قطرة الدم الأمريكى غالية الثمن ! ! !

وفى مؤتمر صحفى آخر عاد دلاس ليلوح بتنظيم المقاطعة لقناة السويس ، وقالت صحيفة (بارى برس) الفرنسية : إن دلاس ذاهب إلى لندن وفى جيبه شيك بخمسمائة مليون دولار للدعوة لمقاطعة القناة ! ! !

إنها فرصة لرأس المال الأمريكى ، وفرصة للزيت الأمريكى ، فان « الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة على تمويل زيادة صادرات الزيت الأمريكى إلى الدول الغربية عن طريق بنك الاستيراد والتصدير الأمريكى » ! ! !

وهكذا تريد أمريكا استغلال أزمة القناة لتكسب نفوذا سياسيا وربما اقتصاديا ...

هل عرفت الآن سبب التغنى بالسلام وميثاق الأمم المتحدة والاكتفاء بالإجراءات الاقتصادية ـ ولو إلى حين ؟ ؟ ومع ذلك فان المجلس القومى للتجارة الأمريكية لايستبعد القوة لمواجهة انتهاك حرمة القانون الدولى ! !

وعاد دالاس ـ بعد أن قررت بريطانيا وفرنسا عرض الأمر على مجلس الأمن ـ يشير إلى الضغط الاقتصادى ، وإلى أن أمريكا ستجعل رسوم سفنها من حساب مصر المجمد لديها ـ وبذلك يقترب موقفها من موقف حليفتها ! ! ! بينما لوح أيزنهاور (بحل وسط) لايجمد عند مقررات مؤتمر لندن ، وبأن المفاوضات السلمية هى أحسن حل ! ! !

٣ — لندن : هيئة المنتفعين بالقناة :

وفاجأ إيدن العالم بخطابه فى مجلس العموم البريطانى عن تكوين هيئة المنتفعين بالقناة التى تحصل الرسوم وتعين المرشدين ، وسيركب هؤلاء المرشدون فوق السفن ويخترقون القناة ويؤدون عملهم إذا سمحت لهم مصر ولا يستعينون بمرشديها ، فاذا لم تسمح عادوا واعتبرت مصر خارقة لاتفاق القسطنطينية ! ! !

والسفن البريطانية والفرنسية ، وما تستطيع أن تؤثر عليه بريطانيا وفرنسا من السفن الأخرى التى تمر بالقناة ، مازالت تدفع الرسوم إلى الشركة المنحلة فى مقرها بلندن أو باريس ، وبمقتضى الاقتراح الجديد ، ستدفع الرسوم للهيئة الجديدة .

وقد دعت الحكومات البريطانية والفرنسية والأمريكية الثمانى عشرة دولة التى وافقت على مشروع دلاس للادارة الدولية للقناة حين عرض على مؤتمر لندن من قبل ، ليتناقش الجميع فى تقرير منزيس ومذكرة مصر ، ومشروع الدول الثلاث لتكوين الهيئة المذكورة آنفا ! ! !

وفى خلال هذه الاجتماعات السياسية ، وقبلها وبعدها توالت الإجراءات العسكرية . . . حشود انجليزية فرنسية فى قبرص ، ومناورات فى مالطة ، وتحركات على حدود السودان ، فضلا عن تحرشات إسرائيل . . .

وترفع شركات التأمين البريطانية أسعارها على السفن التى تسير فى القناة . وينسحب

المرشدون الأجانب من القناة . . وتقاطع بعض الشركات القناة وترفع الأخرى الأجور ! !
ويزور كريشنامنون مصر فيصرح بأن احتمال الحرب مازال قائما ...

أية مؤتمرات فى مثل هذا الجو المتوتر ؟؟

وعقد المؤتمر ... وأصرت وفود على أن الباب مازال مفتوحا لمفاوضة مصر مثل أسبانيا ، وأصرت وفود على وجوب اللجوء للأمم المتحدة مثل السويد والدنمرك ، واشتدت الحملة على (القوة) داخل بريطانيا ، وتبرمت فرنسا بالمرونة التى صيغت بها القرارات ... فان البيان الذى لخص أعمال المؤتمر والبيان الذى أسس القواعد التى ستقوم عليها هيئة المنتفعين بالقناة ، لم يلزما الدول الأعضاء بعدم دفع الرسوم لمصر ، وعدم الاستعانة بمرشديها ... وإن وردت الإشارة إلى استخدام الهيئة لحصيلة الرسوم ، كما وردت الإشارة إلى التعاون مع السلطات المصرية . وفى الوقت ذاته تقرر أن الهيئة ستقدم التسهيلات العملية الفعالة والاقتصادية للدول الأعضاء بشأن ملاحة سفنها فى القنال ، كذلك ورد النص على اللجوء للامم المتحدة عند الاقتضاء ! وتتابعت موافقات الدول ... (بالقطاعى) ! ! !

تحفظت الدنمرك ... والسويد ، قالتا : إنهما تنتظران موافقة البرلمان .

ثم وافق برلمان الدنمرك ... وبرلمان السويد ، وقبلت باكستان واليابان حضور المؤتمر بدون التزامات ، وتأخرت إجابة الحبشة وإيران ، ثم وافقتا ... وأصبح المؤتمر (**كامل العدد**) ! وانتظر الناس موقفا حاسما للباكستان بعد استقالة وزارة محمد على . وأتت وزارة السيد سهروردى ووجدت فرصة مؤاتية للبروز فى المجال الدولى والعربى بتأييد مصر — لغياب منافستها الهند عن المؤتمر — واعترض وزير الخارجية السيد مالك فيروز على هيئة المنتفعين ولكن هذا لا يعنى تحولا كاملا فى سياسة الباكستان الخارجيه ، إذ مالبثت أن وردت البرقيات بتمسك الباكستان بحلف بغداد وحلف جنوب شرقى آسيا ! ! !

ثم انعقد مؤتمر لندن الثالث من السفراء وتألفت جمعية المنتفعين من ١٥ منتفعا وتخلفت باكستان والحبشة واليابان ، وشكلت لجان تنظيمية وفنية ومالية ، وتتابعت الاجتماعات .

ديمقراطية ... فى الغرب :

وفى أثناء هذه المؤامرات الاستعمارية ، لم تجد الديمقراطية الغربية تناقضا بين (الاستعمار) فى الخارج و (الديمقراطية) فى الداخل ....

ففى بريطانيا عقد اجتماع اتحاد النقابات السنوى ، ومؤتمر حزب العمال ، ومؤتمر حزب المحافظين ، وتناثرت الهجمات على رأس إيدن ...

وعقدت دورة استثنائية للبرلمان ، هوجمت فيها الحكومة ثم نالت الثقة .. تماما كما يحدث فى فرنسا بالنسبة لقضية الجزائر.

وأذاعت الصحف البريطانية ووكالات الأنباء البريطانية والإذاعة البريطانية نفسها هجمات البريطانيين على إيدن ... ولم تحتفظ بها سرا مكتوما ! !

وفى الوقت نفسه تمسكت الدنمرك والسويد والنرويج بالرجوع للبرلمان ... إنها الديمقراطية ... تنفذ بدقة تدعو للاعجاب داخل الحدود، وخارجها تبدو أنياب الاستعمار ! ! وروسيا بدورها شهدت مقابلة تيتو وخروشتشيف حيث دارت مناقشة فيما بين الحزبين الشيوعيين بروسيا ويوغسلافيا من خلاف ، وربما تعرض الحديث لموقف تيتو وسياسة ستالين والشرق الأوسط.

وفى بولندا تدور محاكمة المتهمين فى حوادث بوزنان علنية وتذيعها وكالات الأنباء .

٤ — المؤتمرات العربية :

أشرنا فى المقال الماضى إلى سفر الأمير زيد بن الحسين إلى الرياض ... وأعقب ذلك انتقال بعثة عسكرية برياسة القائد الأردنى أبى نوار إلى هناك حيث عقد اجتماع عسكرى من قادة الجيوش العربية اتفق فيه على تدعيم الحرس الوطنى الأردنى عسكريا وماليا . ونشط رئيس الديوان الأردنى فى رحلاته بين سوريا ولبنان والعراق، وعاد وزير الخارجية الأردنية من العراق تصاحبه علامات الاستفهام عن مدى نجاحه فى مهمته بشأن معونة العراق العسكرية للأردن ضد إسرائيل ، وأشيع بأن هناك اشتراطات عراقية تمس سيادة الأردن سياسيا وعسكريا ، ونفى وزير الخارجية ذلك ، ولكن سرعان ما تلق التكليف الملكى بالسفر إلى سوريا ولبنان ومصر والسعودية، فزادت علامات الاستفهام، واستدعى نورى السعيد أقطابه السياسيين ليطلعهم على ما دار بين العراق والأردن .

وتخلل هذه الاجتماعات اجتماع (على مستوى عال) بين الملكين فيصل وحسين فى الحبانية على أثر الاعتداء الاسرائيلى فى (الرهوة) و (الغرندل) وأعقبه اجتماع بين الملكين فيصل وسعود فى الدمّام بجوار الخليج العربى . واجتمع الملك سعود برئيسى جمهوريتى

مصر وسوريا ، ثم استقبل رئيس وزراء الهند ، وكان اجتماع الملكين الهاشمى والسعودى خاصة بين هذه الاجتماعات ملفتا للنظر ، فهو اجتماع (مملكتين بتروليتين) بعد طول فرقة، ونحن نرحب طبعا باجتماع العرب على الخير .

والملك حسين قد أبدى نشاطا فى الفترة الأخيرة يسترعى النظر ... فتجاوبه مع الشعب بشأن إعفاء حكومة هزاع المجالى ورفض الأحلاف الغربية ، ثم طرد جلوب ، والمضى فى إجراءات البرلمان الجديد مع قطع الوعود من جانب المسئولين بحياد الانتخابات ، وخروج وزارة الرفاعى مع القول بأنها لم تؤد واجبها لقضية الجزائر ، والوساطة بين القوتلى وشمعون ، والاتصال بفيصل مرة من أجل مصر بناء على رسالة من القوتلى ، ومرة ضد إسرائيل ، وأخيرا دعوة سعود للزيارة ... إنها قائمة أعمال كبيرة !!! .

وحدثت اتصالات بترولية بين السعودية وسوريا ولبنان بشأن عوائد البترول الذى يمر فى أنابيب عبر هذه البلاد ، كما أن هناك محاولة توحيد السياسة البترولية بين البلاد التى يستخرج منها البترول ، وهى : السعودية والعراق والكويت وإيران . وتحدثت أنباء عن بترول جديد فى سوريا والأردن ، وأنابيب جديدة عبر إسرائيل وتركيا ، هذا وقد رأت شركة النفط العراقية أن تلغى خط أنابيبها إلى طرابلس بلبنان ، ووفرت ١٢٠ من موظفيها هناك ، وأعلنت أنها ستمده إلى بانياس بسوريا ، ذلك أن الشركة واقعة فى خلاف بشأن الإتاوة مع حكومة لبنان ، ولجأت لبنان إلى إخضاع الشركة لقانون الضرائب اللبنانى ، وهناك خلاف آخر مع شركة البترول العربية (أرامكو) قام بالتحكيم فيه الدكتور حلمى بهجت بدوى قبيل إسناد مهمة رئاسة مجلس القناة إليه . أما نزاع العراق مع شركة البترول فقد أحيل للحاكم البريطانية ، وقبلت الحكومة ذلك وأوفدت وزير الاقتصاد بنفسه لرعاية القضية هناك !! وتتجلى أهمية البترول فى اقتصاديات بعض الدول العربية الآن مما أذيع عن إيرادات سوريا من البترول المار فى أراضيها والمصدر من بانياس بلغت ٦٥ مليون ليرة سورية - أى حوالى ٦٫٥ مليون جنيه - فى المدة من أول يناير حتى آخر أغسطس من هذا العام . وهذا مبلغ لا شك ضخم بالنسبة للميزانية السورية ، وتحاول لبنان أن تعمل فى تعاون مع سوريا لمواجهة شركات البترول وقد رسى إنشاء معمل تكرير حمص على شركة تشيكية ، والعراق يرصد إيرادات الأرباح لمشروعات (مجلس الإعمار) .

هذا وتجرى استعدادات لإيصال خطوط حديدية بين إيران وباكستان . . . قيل إنها لنقل الفحم لا من أجل (استراتيجيات) حلف بغداد الذى عقد مؤتمرا للمواصلات

فى كراتشى توصل الشرق بالغرب بالسكة الحديد ! ! كذلك تمت مناقصة الأردن لتجهيز ميناء العقبة .

وعاد للظهور مشروع سكة حديد الحجاز التى دمرت منذ الحرب العالمية الأولى والحركة العربية ، ونحن نرجو أن تيسر المواصلات العربية السبل لتواصل الأمة العربية الواحدة

وكان آخر الاجتماعات العربية انعقاد مجلس الجامعة العربية لتأييد مصر فى قضية القناة .

٥ — مقر الأمم المتحدة بنيويورك : مجلس الأمن .

أمام الدورة الحالية لمجلس الأمن ثم هيئة الأمم فى الدورة الحالية قضايا عربية ثلاث : الاعتداءات الإسرائيلية التى احتجت بشأنها الدول المجاورة لخطوط الهدنة ، وقضية الجزائر ، علاوة طبعا على قضية مصر .

وكان الاستهلال لهذا النشاط الدولى تصريح من دالاس بشأن خلاف الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا بشأن الاستعمار ، ووقوف أمريكا موقفا وسطا بين دول الاستعمار وطلاب الحرية فورا . . . ثم تراجع الدبلوماسى الأمريكى بعد ساعتين فقال : إن الخلاف كان فى الماضى . . . وتراجعه سقطة أكبر من تصريحه ! !

وقام بينو الوزير الفرنسى بجولة دعاية لقضيته فى أمريكا اللاتينية ، كما صرح سلوين لويد بأن بلاده حريصة على السلام ، ولكنها حريصة على احترام الاتفاقات الدولية أكثر . . . وقيل إن الدول الغربية تنتظر (الفيتو) الروسى لمشروع قراراتها بفارغ صبر ، ليكون هذا استمالة للرأى العام الأمريكى الذى يعارض كل ما هو روسى ! ! !

وقد بدأت الدول الغربية تقوى دعائم الاتحاد الأوربى ، وبدأت اتصالات انجليزية فرنسية ، واتصالات ألمانية بلچيكية فرنسية ، وانعقد مجلس الاتحاد . . . إنه لابد من تماسك بعد موقف أمريكا الانفرادى الأنانى ! ! ! كما حاول الغرب الإفادة من حلف الأطلنطى فى القضية .

وتتابعت الاعتداءات الإسرائيلية فى الرهوة والغرندل وحوسان . . . ولما أدانت لجنة الهدنة إسرائيل أعلنت مقاطعتها للجنة للمرة الثانية ، وهدد همرشولد بطرح الأمر على

مجلس الأمن إذا لم تتوقف حوادث خرق الهدنة ، ومع ذلك تواصل كندا وفرنسا تسليح إسرائيل بالنفاثات ! ! !

وفى الوقت نفسه تواصل «هيئة المنتفعين بالقناة» اجتماعاتها واجتماعات لجانها الثلاث. ولا تنس خطاب منزيس فى البرلمان الأسترالى وتهديده باستعمال القوة . . . ومناورات البريطانيين فى العقبة ! ! !

وأرادت الدول العربية أن تشترك فى مناقشات مجلس الأمن لأن القضية المعروضة عليه حيوية لبلادهم ... فأقحمت إسرائيل لتشترك فى المناقشات أيضا استنادا للقرار الصادر لصالحها بشأن استعمال قناة السويس من مجلس الأمن ! ! !

وأعادت شركات ملاحية تسيير سفنها فى القناة بعد فشل مؤامرة سحب المرشدين ، ولكن بدأت فى الوقت نفسه محاولات مصطنعة لتعطيل السفن داخل مجرى القناة ... ثم ارتفع الصراخ بأن قيود النقد المصرية تعرقل شركات الملاحة عن دفع رسوم الموانئ وثمن الوقود ! ! !

وهكذا ... مناورات دبلوماسية وسياسية خارج مصر ، ومؤامرات ملاحية واقتصادية فى مصر ، واعتداءات إسرائيلية ... ومن الجانب الآخر صرح شبيلوف بأنه فى الإمكان الوصول إلى حل يجمع بين سيادة مصر ومصالح الدول التى تستعمل القناة ، وطار كرشنا منون وزير الدولة الهندية مرة بين مصر وبريطانيا ، وفى المرة الثانية زار فيها مصر وقيل إنه سيزور لندن ونيو يورك .

هكذا كانت مقدمات جلسات مجلس الأمن ...

وقدم سلوين لويد الاقتراح الانجليزى الفرنسى : تأكيد حرية الملاحة ، تسيير منظمة دولية للقناة ، اعتماد مقررات الدول الثمانى عشرة ، توصية مصر بالتفاوض على أساس هذه المقررات ، توصية مصر بالتعاون مع هيئة المنتفعين بالقناة . وتبعه بينو فحاول تبرير الإجراءات العسكرية . ثم وقف دلاس فى (تقل) يطلب تأجيل خطابه ويكتفى بتأييد قرار مؤتمر الثمانى عشرة ، ومشروع القرار البريطانى الفرنسى ، وطلب بريطانيا جعل الجلسة سرية . واسترعى هذا الطلب دهشة المراقبين ، وعلله مندوب الإذاعة البريطانية بأنه يعطى فرصة التراجع للجميع مع حفظ ماء الوجه ! ! !

وخطب محمود فوزى وقال كل شيء ... قال : ما فى صدر كل مواطن ... ما فى صدرى وما فى صدرك ، قد لا يكون لنا منطقه فى العرض وفقهه للقانون وغوصه فى التاريخ وبلاغته فى البيان ، قد لا يكون لنا هدوء أعصابه وأصالة دبلوماسيته ، ولكننا وهو سواء فيما نحس ونشعر وننفعل تجاه قضية بلادنا ! ! !

تكلم محمود فوزى عن وضع القناة التاريخى والقانونى ... ثم عرض للتأميم وحجة مصر فى مشروعيته ... وأبان عن موقف الدول الغربية : تهديد عسكرى واقتصادى ، ومحاولة عرقلة الملاحة فى القناة ، وضغط سياسى عن طريق مؤتمر لندن ، ثم محاولة اصطناع مجلس الأمن لتحقيق أغراضها ... ثم أعرب عن استعداد مصر لتعويض حملة الأسهم على أساس متوسط السنوات الخمس السابقة للتأميم ولقبول التحكيم فى ذلك ، وأعلن رفض مصر للتكرار السخيف للمشروع الغربى ، واقترح أن يشكل المجلس هيئة مفاوضة (معقولة) للتفاوض مع مصر لضمان حرية الملاحة للجميع . وكرر الاقتراح المصرى لعقد مؤتمر دولى واسع لتجديد اتفاقية سنة ١٨٨٨ ، وتحدث شبيلوف وزير خارجية روسيا فهاجم المشروع الغربى وأبرز خطورته الدولية ، وامتهانه لكرامة مجلس الأمن بتسخيره فى إقرار مآرب بريطانيا وفرنسا ... ووافق على اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة ، واقترح لها انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا والهند ومصر ... وأضاف أعضاء لا تمسك بهم كيوغسلافيا وإيران ، أو أندونسيا والسويد . ومن المعروف قانونا أن الاقتراح لا يملك صلاحية العرض على المجلس إلا إن تبنته إحدى الدول الأعضاء . وها هى ذى روسيا قد تبنته ، وزادته تفصيلا ، واتهم شبيلوف احتكارات البترول فى أمريكا بالتفكير فى تولى إدارة القناة تحت ستار تمويل عمليات التحسين الفنية .

وتكلم مندوبو بيرو وإيران واستراليا وكوبا والصين وبلجيكا ... كلهم يؤيدون التدويل على اختلاف فى درجة الحرارة بين المتكلمين ، وكانت حرارة مندوبى استراليا وبلجيكا تنذر بالحمى ! ! !

ورأس بينو وزير خارجية فرنسا الجلسة . . . ومنع مصر من التعقيب فى الجلسة التى تتكلم فيها أمريكا ويوغسلافيا ، وتفاءلنا خيرا ، إن قانون الإجراءات الجنائية يجعل المتهم آخر من يتكلم ، ومعنى قرار بينو أنه لا يضع مصر فى قفص الاتهام ! ! ! هذا ومحور المفاوضات التى اقترحتها مصر يدور على أربعة مبادئ : حرية الملاحة ، والتعاون

بين الإدارة المصرية للقناة والدول على أساس سيادة مصر ، ونظام عادل للرسوم ، ونسبة معقولة من الدخل لأعمال التحسين .

وكشف شبيلوف عن الاستعدادات العسكرية البريطانية الغربية ـ التى هى مجرد إجراءات وقائية ـ ١٨ سربا جويا (أكثر من ١٠٠٠ طائرة) ، ١٨٥ بارجة ، فرقة مدرعة ، ٤ لواءات و ١٣ آلايا ، مجموعتان من المدفعية الثقيلة ، ووحدات أخرى ...

إن هذا العتاد الحربى ... لمداعبة مصر فقط ! ! ! !

وتكلم وزير خارجية يوغسلافيا فرفض المشروع البريطانى الفرنسى ، وأيد اقتراح شبيلوف وأخيرا ... أراد دالاس أن يكون آخر من يتكلم ! ! !

وتكلم دالاس مستعرضا تاريخ القناة ، وتاريخ مؤتمر لندن .... وكان فى خطابه (قفشات) دبلوماسية .... فاستشهد بفقرات من أقوال منـدوب مصر فى جلسة مجلس الأمن سنة ١٩٥٤ عنـد مناقشة قضية السفينة الإسرائيلية (باث جاليم) عن القناة ... وفقرات من أقوال ممثـل مصر فى اجتماع ميثاق سان فرنسسكو ، وإصراره على أن يقرر الميثاق احترام السلام على أساس من العـدالة والقانون الدولى ، لامجرد احترام السلام فحسب كما فعل ميثاق دومبارتن أوكس من قبل .... وحاول أن يغرس سهمه بين الاقتراح الروسى والمصرى ، فاعتبر الاقتراح الروسى الذى حـدد الدول الأعضاء اقتراحا بتشكيل مؤتمر كمؤتمر لندن لكنه مؤتمر لايتفق أبدا بحكم تشكيله ، فى حين اعتبر اقتراح مصر بالتفاوض ـ وهو اقتراح مرن لم يحدد الدول التى تمثل المجلس فى المفاوضة ـ أكثر إنشائية ! ! على أن يكون أساس المفاوضات هو إبعاد القناة من أن تصبح سلاحا سياسيا لدولة واحدة ، وكرر تأييده للمشروع البريطانى الفرنسى . ونقلت وكالات الأنباء أن شبيلوف رفض الاقتراح قائلا : إن تدويل القناة ستتدخل فيه التأثيرات السياسية ولن يكون عزل السياسة عن القناة إلا عملية مصطنعة .

وبدأت الجلسات السرية .... كما بدأت الاتصالات بين وزراء خارجية مصر وبريطانيا وفرنسا بصحبة همرشلد أمين الأمم المتحدة . ونقلت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن كرشنا منون سيطلب حضور جلسات مجلس الأمن السرية لعرض مباحثاته . وفى الوقت ذاته أذاع رويتر بيانا لمجلس الوزراء البريطانى بابقاء الاحتياطى على ماهو عليه .

وتميل تكهنات كثير من المراقبين إلى أن المجلس سيقرر تشكيل هيئـة مفاوضات ، وهذا ماستكشف عنه الأيام .

محمد فتحى محمد عثمان

أنباء العالم الإسلامي

قرار مجلس الأمن

فى مسألة قناة السويس

قرر مجلس الأمن بالإجماع أن تكون المفاوضات المقبلة فيما بين مصر من جهة وانجلترا وفرنسا من جهة أخرى فى مسألة قناة السويس قائمة على المبادئ الستة الآتية :

١ — أن يكون المرور بقناة السويس حرا ومفتوحا لجميع الدول .

٢ — احترام سيادة مصر على القناة .

٣ — عزل إدارة القناة عن سياسة أية دولة .

٤ — الاتفاق بين مصر والدول التى تستخدم القناة على طريقة تحديد الرسوم .

٥ — تخصيص نصيب عادل من الرسوم لتحسين القناة .

٦ — المشاكل التى لايمكن حلها بين شركة القناة المؤممة والحكومة المصرية تسوى بالتحكيم بشروط معقولة وبطرق مناسبة لدفع الأموال التى يثبت استحقاقها

وهذه المبادئ هى التى تم الاتفاق عليها بين مصر والجانب الانجليزى الفرنسى فى اجتماعات سرية اشترك فيها داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة وعرضت على مجلس الأمن فوافق عليها بالاجماع . لكن الجانب الانجليزى الفرنسى ـ لتغطية الهزيمة التى منى بها ـ تقدم بمشروع قرار زعم أنه هو الطريقة لتنفيذ هذه المبادئ وهو يتضمن معانى التدويل التى تآمر الاستعماريون عليها فى مؤتمر لندن ، فرفضها الجانب المصرى ، واستعمل وزير خارجية روسيا حقه فى الفيتو رافضا قبول هذا الشطر الثانى ، وبذلك تعين أن تقتصر المفاوضات المقبلة على المبادئ الستة دون الشطر الثانى المرفوض ، والمنتظر أن تجرى المفاوضات بين وزراء الخارجية للدول الثلاث فى الشهر الآتى .

الوقاية من انحراف النشر

وضعت لجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل مشروعا يهدف إلى إنشاء مكتب باسم :

« مكتب الوقاية من انحراف النشر »

وقد حفز اللجنة إلى وضع هذا المشروع ما طالما نوهنا به وأشرنا إليه وتفاقمت شكوى الأمة من أضراره وسوء عاقبته ، وهو

انحـراف بعض الصحف والمجـــلات والمطبوعات إلى نشر ألوان هـدامة من الأفكار والصور التى اعتبرتها الأمة عاملا من عـوامل إفساد الأخلاق وإضعـاف المجتمع وإشاعة الانحلال فيه والتفكك، بينما هـذه الثورة قامت لإصـلاح كيان الأمة وتـكوين شخصية قـوية متكاملة للمجتمع المصرى والقومية العربية .

ولخصت اللجنـة (انحراف النشر) فى خمسة اتجاهات رئيسية هى :

١ — التشكيك فى العقائد .

٢ — اثارة الغرائز الجنسية .

٣ — نشر الجريمة دون هدف .

٤ — القضاء على القيم الأخلاقية .

٥ — الاعتداء على كرامات الفئـات والهيئات .

وأرفقت اللجنة بملاحظاتها هذه نمـاذج لأخبار ومقالات وقصص وصور نشرتهـا بعض الصحف والمجلات فى الأيام الأخيرة كما أشارت إلى أسماء الكتاب الذين يقدمون هذه الألوان الهدامة من الأفكار والصور الخليعة .

مؤتمر مائدة مستديرة

بين مصر والسودان والحبشة

ينتظر أن يعقد فى القاهرة فى الشهر الآتى مؤتمر مائدة مستديرة يحضره الرئيس جمـال عبد الناصر ، وإمبراطور اثيوبيا ، ورئيس وزراء السـودان ، والسيد الصديق المهدى رئيس حزب الأمة ، لوضع الخطوط الرئيسية لقيام الـكتلة الإفريقية بين مصر والسودان وإثيوبيا ، والاتفاق على المسائل المشـتركة وفى مقدمتها السد العالى وخزان تانا وخزان الروصيرص . وينتظر أن تـكون الـكتلة الإفريقية أكبر كتلة استراتيجية عسـكرية بالشرق الأوسط .

الامبراطورية العربية الـكبرى

فى خطاب لرئيس الوزارة الفرنسية

ألقى جى موليـه رئيس الوزارة الفرنسية خطبة سياسية بمناسبة افتتاح مستعمرة سكنية جديدة فى مدينة (روبيه) فى فرنسا ، ومما قاله فى هذه الخطبة :

« إن تأميم قناة السويس يهـدد تهديدا خطرا الروابط التجارية بين أوربا وآسيا ! وهو جزء من خطة الرئيس جمال عبدالناصر لإقامة صرح امبراطورية عربية كبرى » .

وثائق محاكمة العرابيين

كانت وثائق محاكمة العرابيين مودعة لدى مستر برودلى بصفته محاميا عنهم، ثم علمت وزارة التربية والتعليم المصرية أخيرا أن هـذه الوثائق موجودة تحت يد الأستاذ قرياقص ميخائيل الذى كان مديرا لمكتب جريدة المقطم بلندن ، فرأت ـ حرصا منها على صيانتها من الضياع ـ أن تسعى للحصول عليها ، وبالفعل تمكنت من شرائها بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه واحتفظت بها خدمة للتاريخ .

وعلم ورثة عرابى بذلك فرفعوا قضية على وزارة التربية والتعليم أمام مجلس الدولة قالوا فيها إن هـذه الوثائق ملك لهم آلت إليهم من مورثهم الذى كان قد أودعها لدى محاميه برودلى، وإنهم أحق بثمنها إذا أرادت الوزارة الاحتفاظ بها خدمة للتاريخ، فقضى مجلس الدولة بعـدم اختصاصه بنظر هـذه الدعوى ، لأن النزاع فيها مدنى بحت يدور حول ملكية هذه الوثائق ، فالمحاكم المدنية هى المختصة بالحكم فيه .

ومحاكمة العرابيين كانت قد نشرت بتوسع فى كتاب (مصر للمصريين) عنـد ما كانت المحاكمة قائمة، وقد صدر منه مجلدات عديدة تكاد تكون محتوياتها قريبة من الواقع .

كهربة خزان أسوان

تم حفر الأنفاق الأربعة فى مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان ، ومجموع أطوالها ٣٥٠ مترا ، كما تم بناء جناحى السد الجنوبى والشمالى ومداخل ومخارج الأبواب والتربينات وتركيب بعض أجزاء المحطة، وقد بلغ مجموع ما أنفق على ذلك حتى الآن ١٩ مليون جنيه من مجموع التكاليف التى قدرت بنحو ٢٧ مليونا و ٥٠٠ ألف جنيه .

وينتظر أن يدار النصف الأول من محطة توليد الكهرباء فى خزان أسوان فى مثل هذا الشهر من سنة ١٩٥٩، أى بعد ثلاث سنوات، ثم يدار النصف الآخر منها بعد ذلك بسنة ، أى فى سنة ١٩٦٠

تصويب

حدث تحريف فى الآية الواردة بصفحة ٢٩٠ سطر ١٢ إذ جاء فيها « فآمنوا بالله ورسوله » وصحتها « فآمنوا بالله ورسله » .

الأدب والعلوم

أدب القوة

في مؤتمر أدباء العرب

انعقد المؤتمر الثانى لأدباء العرب فى ضاحية بلودان من ضواحى دمشق فى هذا الشهر ، ومثلت فيه البلاد العربية . وفى الحفل الختامى للمؤتمر خطب رئيس الجمهورية السورية السيد شكرى القوتلى فقال :

« إن البلاد العربية فى ظروفها التى تجتازها وإزاء المكايد التى تحيط بها ، هى فى أشد الحاجة إلى أقلامكم وأفكاركم ، لتجتمع على سواعد أبناء هذه الأمة وأسلحتها ، فتكون جبهة الدفاع واحدة فى صف واحد ، من أجل بلوغ أهدافنا المثلى . فقد عزمنا - يا صفوة رجال الفكر - على أن (تتحرر) البلاد العربية و (تتوحد) ، وأن يخرج الاستعمار منها خروجا لا رجعة له ، وليس إلا باجتماع السيوف والأقلام فى جهاد قومى موحد نستطيع أن نبلغ هذه الأمانى القومية فى ظل (وحدة قومية كبرى) وتحت (راية العروبة) وحدها » .

عيوب التعليم الجامعى

هاجم وزير مالية الهند خريجى الجامعات فى الهند الذين يعملون فى السياسة والتجارة والوظائف فقال : إن السياسيين منهم عشاق سلطة وسيطرة ، والتجار منهم جشعون وطماعون ، أما الموظفون فمرتشون . وقارن وزير المالية بين خريج الجامعات ، والرجل العادى فقال : إن الأخير متواضع أمين .

وأكد فى نهاية حديثه أن العبرة بالأخلاق لا بكثرة العلوم التى يتلقاها الإنسان .

وعلقت جريدة (جوان تريبيون) على حديث وزير المالية فقالت : إن جامعاتنا تخرج علماء ، وأطباء ، ولكنها لا تعنى بالأخلاق ، وهذا نقص كبير فى التعليم .

مصر

أقدم مدرسة انجليزية بمصر

كان للانجليز مدرسة فى الاسكندرية أسستها الإرسالية الاسكتلندية فى سنة ١٨٥٦ أى قبل الاحتلال البريطانى ، وقد تم لها فى هذا العام مائة سنة كاملة ، وفى هذه المدة الطويلة كان العلم البريطانى يرفرف عليها فى كل المناسبات .

وأخيرا رأى الذين كانوا يمدون هذه المدرسة بمساعداتهم أن يكفوا أيديهم عن مساعدتها ، فعولت على إغلاق أبوابها ، ولكن وزارة التربية والتعليم رأت أن تضمها إلى مدارسها ، واحتفل في هذا الشهر برفع العلم المصرى عليها وكان الاحتفال بذلك في ساحة المدرسة بهيجا ومؤثرا .

تأنيث هيئة التدريس

في مدارس البنات

رغبة في تأنيث كل هيئة التدريس في مدارس البنات ، وتوفيرا للعدد الكافى لذلك من المدرسات ، تسير وزارة التربية والتعليم في سياسة التشجيع على زيادة عدد الطالبات في القسم الخاص بهن في كلية دار العلوم ، وقد بلغ عددهن ١٥٠ طالبة ، وسيخرج الفوج الأول منهن في هذا العام وعدده ١٨ طالبة هن الآن في الليسانس ، وسيدخلن في هيئة التدريس في الموسم الدراسى القادم .

الطلبة المغاربة في مصر

قررت وزارة التربية والتعليم أن يكون تعليم الطلبة المراكشيين والجزائريين والتونسيين مجانا في المدارس الخاصة . ويسرى هذا القرار على المقيدين بالمدارس قبل بدء العام الدراسى .

متحف الفن الاسلامى

في مصر

هو الذى كان يسمى (دار الآثار العربية) ويقوم خلف دار الكتب المصرية وكلاهما في بناء واحد . وقد انتقل المتحف إلى هذا المكان سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) ، وكانت التحف الإسلامية تجمع وتدخر قبل ذلك ببضع سنوات في جامع الحاكم ، وكان عددها نيفا وسبعة آلاف تحفة ثم أخذت تزداد مما استخرج من أطلال الفسطاط ومدينة العسكر والقطائع ، وأضيفت إليها هبات وهدايا ومشتريات كمجموعة الدكتور على إبراهيم وهرارى وهدايا مصلحة الآثار العراقية . وتبلغ تحف المتحف الإسلامى الآن ستين ألف تحفة أهمها مجموعة المصابيح الزجاجية المموهة بالميناء ، ومنها أعظم مجموعة في العالم للسجاجيد الشرقية .

في جامعة القرويين

في جامعة القرويين (أزهر مراكش) ألفان من طلبة العلوم الإسلامية ، منهم مائة وخمسون طالبة ، وقد نالت ثلاث منهن شهادة العالمية بامتياز في هذا العام ، واخترن للتدريس على الطالبات في جامعة القرويين .

وجامعة القرويين من حسنات المرأة المسلمة ، فقد أنشأتها في سنة ٢٤٠ للهجرة السيدة فاطمة النهرية فهى أقدم من الأزهر بأكثر من مائة سنة .



تفسير الطبرى — الجزء السابع

تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦٤٠ ص — دار المعارف بمصر

صدر هذا الجزء مبتدئا من الآية ٩٣ من سورة آل عمران وهى قول الله عز وجل : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل » وآخره الآية السابعة من سورة النساء وهى قوله سبحانه : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

ويمتاز هـذا الجزء بكل ما تحلت به الأجزاء الستة الماضية من عناية وتحقيق وفهارس .. وفيه من الآثار من رقم ٧٣٩٩ إلى رقم ٨٦٥٧ وإن الذين اقتنـوا الاجزاء الماضية يترقبون صدور الأجزاء التالية ، باغتباط واهتمام ، فنرجو الله التوفيق لإ كماله .

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

للدكتور محمد محمد حسين ـ الجزء الثانى ـ ٤٢٤ ص ـ مكتبة الآداب بالقاهرة

جامعة الأسكندرية أمثل جامعاتنا فى نظرتها السليمة إلى واجبها العلمى نحـو وطنها المصرى وقوميتها العربية والبحوث الإسلامية ، والدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية قد حاول محاولة موفقة أداء زكاة كرسى الأدب الذى يشغله فى جامعة الاسكندرية بتأليف هذا الكتاب . ونحن لم نطلع على جزئه الأول ، ولـكن جزءه الثانى الذى أهدى إلينا فى هـذا الشهر ملىء بجهود حميد فيما تصدى له من دراسة الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام الجامعة العربية .

وهذا الجـزء ينطوى على خمسة فصول : أولها : (١ ـ ٨٧) عن الخلافة الإسلامية وقد استعرض المؤلف فيه الأحداث التى وقعت فى هـذه الحقبة من هذه الناحية ، ومنها

إلغاء الكماليين الخلافة المموهة التى كان يدعيها سلاطين آل عثمان ، كما استعرض الآثار الأدبية لمعركة الخلافة فى كتب أربعة : (١) الخلافة أو الإمامة العظمى للسيد رشيد رضا . و (٢) الخلافة وسلطة الأمة لرجل كان موظفا تركيا ومن دأبه التلون بلون الدولة التركية فكتب كتابه هذا — أو كتبه له الكماليون — دفاعا عن وجهة نظرهم عندما جعلوا الخليفة أيقونة على كرسى تثبت وجودها ولا تتحرك . و (٣) النكير على منكرى النعمة لمصطفى صبرى أفندى آخر مشايخ الإسلام فى الدولة العثمانية ، وهو يدور على فساد دين الكماليين وعصبيتهم للجيش التركى ومحاربتهم العصبية الإسلامية . و (٤) الإسلام وأصول الحكم الذى تجاهل مؤلفه الحقائق الأولية فى كيان الإسلام وأهداف رسالته ، وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد بخيت المطيعى ، وكبير علماء تونس ، بل أنكرت هيئة كبار العلماء ما فيه من مكابرة وتجاهل ، وأصدرت حكمها فيه .

وعقد الفصل الثانى (ص ٨٨ — ١٧٦) للجامعة العربية ونشأة الفكرة وتطورها ، واتخاذ مصر مركزا للدعوة العربية بعد الحرب ، وصراع الجامعة العربية مع الدعوات القومية ، والعودة إلى الجامعة الإسلامية ، وتآزر الشعور الإسلامى مع العروبة . وقد لاحظنا فى تحرير الحقائق عن الحركة العربية نقصا لقلة المراجع التى فى الأيدى ، ولأن الذين يحق لهم عرض هذه الحقائق قصروا فى إصدار كتب عنها حتى الآن ، فالمؤلف معذور فيما اقتصر عليه فى هذا الباب .

وفى الفصل الثالث (١٧٧ — ٢٦٨) الكلام على القديم والجديد ، وعلى التجديد ما هو ، وكيف بدأ ؟ واهتمام باحثى الأوربيين ومستشرقيهم بالاتجاهات الإسلامية ومدى تأثير الإسلام فى توجيه الحياة ومدى سيطرته عليها بعد هجوم الآراء الغربية الجديدة ، ثم الكلام على أن طه حسين وسلامه موسى هما أكثر دعاة الجديد تطرفا ، وأن أبرز المحافظين هو مصطفى صادق الرافعى ، وأن المعركة بين الجديد والقديم تشمل كل نواحى الحياة : المرأة ، القبعة ، الأزهر ، الأدب .

وتكلم المؤلف فى الفصل الرابع (ص ٢٦٩ — ٣٦١) على الدعوات الهدامة : هدم الدين وهدم قواعد الإسلام ، هدم الأخلاق ، هدم اللغة العربية .

وفى الفصل الخامس : (ص ٣٦٢ — ٤٠١) الكلام على توازن القوى السياسية والوطنية فى مصر فى الحقبة التى خصص لها الكتاب ، وفيه موضوعات مهمة جديرة بالتأمل .

ولم يتسع لنا الوقت لابداء الرأى فى كثير من الدراسات التى نشكر المؤلف عليها ، ونعترف بأنه صرف فيها من الوقت والعناية ما هى جديرة به . وهو من الكتب الجدية التى لا غنى لمفكر عن اقتنائها والافادة منها .

المخصص لابن سيده — دراسة ، دليل

للأستاذ محمد الطالبى — ٢٠٠ ص — المكتبة الشرقية بتونس

الأستاذ المؤلف مدرس بمعهد الدراسات العليا بتونس ، وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام : الأول دراسة عن كتاب المخصص وغرض ابن سيده من تصنيفه وطرائقه فيه ، والحديث عن مدرسى البصرة والكوفة ، وقيمة المخصص وأهميته وآراء المعاصرين فيه . والقسم الثانى موجز لمحتويات المخصص وأنها تدور حول الإنسان والحيوان والطبيعة والنبات ، وعن الإنسان فى المجتمع ؛ والتنبيه على ما تخلل الكتاب من مسائل صرفية . والقسم الثالث دليل أبجدى لمواد المخصص يبتدئ من الإبل وتفصيل مافى المخصص من المعانى الخاصة بها ، ثم كلمة ابن ، فكلمة أب ، والإباء ، والإتيان ، والآثار ، إلى حرف الياء ، ومن كلماته اليأس واليبس واليد واليسر الخ . ولم يستقص الدليل جميع ألفاظ المخصص ، لأن ذلك يحتاج إلى عشرات أضعاف الكتاب ، وإنما أورد المعانى الجامعة التى تتفرع عنها تلك الألفاظ . وهو عمل جيد يشكر المؤلف عليه .

الوجيز فى الميراث على المذاهب الأربعة

للأستاذ منشاوى عبود الخولى — ٩٠ ص — الطبعة الثالثة بمطابع دار الكتاب العربى

هو كما يدل عليه عنوانه مختصر جامع فى الميراث على المذاهب الأربعة ألفه فضيلة الأستاذ الخولى وفق المنهج الجديد للشهادة الابتدائية والثانوية مع الإشارة إلى مايجرى عليه العمل فى المحاكم ، وذيله ببحث فى الوصية الواجبة . وقد جعل الأحكام المتفق عليها فى صلب الكتاب ، والمختلف فيها بالهامش ، كما وضع فى الهامش أيضا الأحكام التى يجرى عليها العمل فى المحاكم ، ونبه الى مايخص منهج الشهادة الثانوية ، وزاد على الطبعتين السابقتين جدول أصحاب الفروض وجدول الحجب مع الإكثار من النماذج والتمارين . فنرجو الله أن ينفع به الطلاب .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الرابع ـ القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٦ ـ ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

العمـــــلاق

بين أمسه ويومه

لقد عرف قراؤنا من هو العملاق ، إنني تحدثت عنه وعن هجعته ويقظته في صدر جزء رمضان من هذه المجلة لعامها الماضي .

وقد توالت الأحداث بعد ذلك منبئة بيقظته . إن المخدرات والسموم التي دسها شانئو العروبة والإسلام في أنوف العرب والمسلمين من مائتي سنة إلى الآن ، بل من ألف سنة إلى الآن ، لم تؤثر في حيوية العملاق ، إن حيويته القوية نامية معه من الأزل ، ليخفق بها فؤاده إلى الأبد . إن أسلاك البرق وموجات الأثير تحمل الآن بين عواصم الأرض وأرجائها في البر والبحر أنباء هذه اليقظة فيما بين المغرب والمشرق . والذين سهروا وسهر آباؤهم وأجدادهم من قبلهم على تخديرنا وتضليلنا ، يبكون الآن دما على فشلهم في كل مابذلوه من جهود ليوهنوا في قلوبنا وعقولنا رابطتنا بعروبتنا وإسلامنا ، فهم يتلقون الآن أنباء هذه اليقظة آسفين متحسرين على ما أخفق من آمالهم ، وما ضاع من جهودهم ...

لقد رضي المستعمرون بتقلص ظل استعمارهم العسكري بعد الذي أصابهم من الوهن

فى الحربين العالميتين ، لكنهم كانوا يتعللون بأنهم نجحوا فى تخديرنا وتضليلنا ، وأنهم خدعونا عن أنفسنا ، وأننا آمنا بهم كما آمن بهم أتاتورك والسائرون من ورائه . فلما بدأ العملاق يستيقظ تبين لهم أن العرب غير الترك ، وأن المسلمين مازالوا بخير ، وأن ما بذروه فى وزارات معارفنا ، وما كيفوه من أدوات التثقيف فى ربوعنا ، وما أنفقوه على مرافق التبشير والدعاية الأجنبية فى أوطاننا ، قد انهار كله بين ليلة وليلة ، وأيقنوا أن العملاق سيعود لامحالة فيتبوأ مقعده اللائق به بين أمم الأرض .

طالما وددت لو أن جامعاتنا آمنت بعروبتها وإسلامها ، كما آمنت شعوبنا بعروبتها وإسلامها . إنها لو فعلت لاتخذت عدتها ـ منذ قامت الثورة ـ لتوسيع دراساتها العربية والإسلامية ، ولأحسنت توجيه شبابنا الجامعى نحو التنقيب عن معدن العروبة وكنوز الإسلام ، حتى يرجع بهما الجيل المثقف إلى حقيقته ، وحتى يصل غده بأمسه ، فيلد العملاق الأزلى ، العملاق الأبدى ، وتستقبل الإنسانية قادة الحق والخير ، حاملين الأمانة التى ادخرها لهم أسلاف العروبة والإسلام يوم حملوا لأمم الأرض لواء الحق والرحمة والخير .

كل الأمم كان لها فى أدوار حياتها ، وقبل تمدنها وحضارتها ، دور بداوة . وكل الأمم كانت فى دور بداوتها ذات لغة بدائية قليلة المفردات ، لاتكاد تبلغ كلماتها ألف كلمة إن لم تكن أقل من ذلك . وكانت مداركها العقلية ضئيلة كضئولة لغاتها ، لأن لغة كل أمة ترجمان مداركها العقلية ، ودليل اتجاهاتها الخلقية وأهدافها الإنسانية . فالعربية ـ من دون لغات البشر جميعا بلا استثناء ـ كانت فى بداوة أهلها أوسع لغات أمم الأرض قاطبة فى بداوتهن ، وكانت مع امتيازها بهذه السعة غنية بمعانيها الإنسانية ، بينما بعض اللغات لايكاد يوجد فيها ما تعبر به عن أبسط الأخلاق الفطرية . خذ لذلك مثلا معنى « الوفاء » ، فان اللغة التركية لا يوجد فيها لفظ واحد يدل عليه ، بينما هذه المادة وما يشتق منها وما تدور عليه من المعانى قد شغل من لسان العرب الصفحات ٢٧٨ ، و ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من جزئه العشرين ؛ ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يصف العربية : إنها « تثبت العقل ، وتزيد فى المروءة » ، وإنما كانت تزيد فى المروءة لأنها لغة أمة استغنت بالأخلاق فى بداوتها عن القوانين والأنظمة المكتوبة وعن الحكومات والأحكام ، بل إن مكة أم القرى وبلد قريش لم يكن لها ملك ولا شرطة ولا محاكم ،

وإنما كانت لهم دار الندوة يتشاور فيها ذوو الحجى والتقدم إذا حزبهم أمر ، وقلما يبغى فيها أحد على أحد ، وقد وقع فيها مرة مطل من مدين قرشى على دائن يمنى فعقد شباب قريش مجلسا فى دار عبد الله بن جدعان التيمى حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر شبابه وحكموا على الماطل بأن يؤدى ما عليه لدائنه ، وقال فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الاجتماع بعشرات السنين : لو دعيت إلى مثله الآن لأجبت.

فهم أمة كانت تتعامل بالمروءة، ولذلك كانت لغتها تزيد فى المروءة كما قال عمر بن الخطاب.

وإنما كانت العربية تثبت العقل أيضا لأنها لغة تترجم عن مدارك أهلها وعقولهم ، وفى ذلك يقول الفرزدق يصف الأمة التى هو منها :

أحلامنا تزن الجبال رزانة   وتخالنا جنا إذا ما نجهل

هذا الامتياز الذى امتازت به لغة العروبة فى بداوتها ماذا صنعت جامعاتنا فى دراسته ، وتنبيه الشباب الجامعى اليه ، وتوجيه جهودهم العلمية لتحليله ، والتأليف فيه ، وبناء النتائج عليه ؟

عندنا كلية اللغة العربية فى الأزهر ، وكلية دار العلوم ، وكليات الآداب فى الجامعات الثلاث . وعندنا فى بغداد جامعة وجامعيون ، وفى دمشق جامعة وجامعيون . وفى تونس جامع الزيتونة ، وفى المغرب جامع القرويين . هذه المعاهد لايمتد نظرها فى العربية وآدابها لأبعد من زمن المعلقات وأصحابها ، أى إلى قرن واحد قبل الإسلام . ومنهم من يذكر لتلاميذه قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكى الديار كما بكى ابن حذام

فيذكرهم بأن ابن حذام كان شاعرا من شعراء العرب الأقدمين يوم كان امرؤ القيس فى عصره من الشعراء المحدثين .

ويمتد نظر بعضهم لأبعد من عصر المعلقات فيقرر أن عدى بن ربيعة التغلبى ــ وهو المهلهل ــ أول من قصد القصائد فى قتل أخيه كليب بن وائل . ويعلو بعضهم إلى زمن العنبر بن عمرو بن تميم ، وابنى عمه سعد بن زيد مناة بن تميم ، ومالك بن زيد مناة ابن تميم فيروون لهم قطعا من الشعر صحت عنهم ، وزمنهم أقدم من زمن المعلقات بمئات من السنين . وأعرق من ذلك فى القدم قول أعصر ــ واسمه منبه ــ بن سعد بن قيس عيلان يخاطب بنته عميرة :

أعمير إن أباك شيب رأسه   كر الليالى واختلاف الأعصر

وأقدم منه دويد بن زيد بن نهد القائل يوم حضرته الوفاة :

اليوم يبنى لدويد بيتــه   لو كان للدهر بلى أبليته

وقول زهير بن جناب الـكلبى :

فما إبلى بمقتـــدر عليها   ولا حلمى الأصيل بمستعار
ستمنعها الفـوارس من بلىّ   وتمنعهـا فوارس من صحـار
ويمنعها بنو القين بن جسر   إذا أوقــدت للحـدثان نارى
ويمنعهـا بنو نهـد وجرم   إذا طال التجاول فى الغوار
بكل مناجـــد جلد قواه   وأهيب عاكفون على الدوار

وقوله عند موته يوصى بنيه :

أبَنِىَّ إن أهلك فأنى   قـد بنيت لـكم بنيه
وجعلتــكم أبنـاء سـا   دات زنادكم وريه
ولقد رأيت النـار للسـ   ـلاف توقد فى طميه
ونطقت خطبة ماجـــد   غير الضعيف ولا العييه
والموت خـــير للفتى   فليهلكـن وبه بقيـه
من أن يرى الشيخ البجال   وقـد يهـادى بالعشـيه

وهــذه القطع المـأثورة مضى عليها نحو خمسة وعشرين قرنا ، لأن زهير بن جناب ودويد بن زيد بن نهد كانا بعد افتراق بنى معدّ من الحجـاز ، ومعدّ كان معاصرا لبختنصر الـكبير وسبيه اليهود وإجلائهم عن فلسطين . وفى مثل عراقتها فى القدم من نثر العرب وصـية نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحـاف بن قضاعة ، فقد جمع بنيه لمـا شعر بدنو أجله فقال لهم :

« أى بنى ، أوصيكم بالعدو شرا : ضربا أزا ، وطعنا وخزا . كلموهم نزرا ، وانظروهم شزرا ، واطعنوهم دسرا .

اقطروا الأعنة ، وطرّروا الأسنة ، وارعوا الغيث حيث كان » .

فقال له رجل من ولده — يغلب أنه حزيمة — :

— وإن كان على الصفا ؟

فأجابه نهد : و إن كان على حافة الصفا . . .

فكان بنو نهد يحفظون وصية جدهم على مر القرون .

قال هبيرة بن عمرو بن جرثومة النهدى يذكر هذه الوصية و يذكر قومه بها :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته ... وكل امرئ موص أبوه وذاهب
فأوصى بألا تستباح دياركم ... وحاموا كما كنا عليها نضارب
إذا أوقدت نار العدو فلا يزل ... شهاب لكم ترمى به الحرب ثاقب
يفرج عن أبنائنا ونسائنا ... جلاد وطعن يردع الخيل صائب
وما ذاد عنا الناس إلا سيوفنا ... وخطية مما يثقف زاعب

وزاعب هذا رجل من اليمن كان صاحب مصنع أسلحة .

و بقيت هذه الوصية يتوارثها الخلف عن السلف أكثر من ألف سنة ، إلى أن كان زمن أمير المؤمنين علىّ ، فقال رجل من أبناء عصره وهو عمرو بن مرة بن مالك النهدى أحد بنى زوىّ بن مالك يثنى على بنى كلب بن و برة من قضاعة لأنه استنجدهم فأنجدوه ـ كموقف العرو بة والإسلام الآن من قضيتى الجزائر وفلسطين ـ ولم يثنهم عن نجدته وساوس الناهين ، فقال فيهم :

رحلت إلى الكلب بجز بلادهم ... فلم يسمعوا فى حاجتى قول قائل
وكانوا كظنى إذ رحلت إليهم ... وما عالم بالمكرمات كجاهل
رهنت يمينى فى قضاعة كلها ... فأبت حميدا فيهم غير خامل
بذلك أوصانا زوىّ بن مالك ... ونهد بن زيد فى الخطوب الأوائل
فأوصى بألا تستباح دياركم ... وحاموا عليها تنطقوا فى المحافل
وغالوا بأخذ المكرمات فإنها ... تفوز غداة السبق عند التفاضل

نحن من أمة ذات تراث إنسانى يجب دراسته من مختلف النواحى ، وأهم ما ينبغى دراسته و إطالة النظر فيه عراقة العرو بة فى القدم حتى مضى عليها من مئات القرون الوقت الكافى لنمو لغتها هذا النماء العجيب وتشعب كلماتها بالاشتقاق الأصغر والأعظم ، مع تشعب المدارك العقلية والمعانى الإنسانية فى الأمة العربية ، حتى بلغت فى زمن المعلقات وعصر ظهور الإسلام هذا المبلغ من الدقة والجمال والسعة والبلاغة ، فاستحقت أن يوحى بها كتاب الله ، واستحق أهلها أن يختارهم الله لحمل رسالة خاتم أنبيائه .

إن هذه الدراسة أهم بكثير من دراسة الجيولوجيين لطبقات الأرض ، فالبشر أعظم قيمة من الأرض التى يمشون عليها ، والبشر حيوان لولا المنطق الذى امتاز به وهو اللغة، فاللغة هى الجوهر الذى كان به الإنسان إنسانا ، وكلما كان هذا الجوهر أكرم وأغلى كان أهـل العلم أجدر بالعناية به ومعرفة ما به كان أكرم وأغلى . وهـل ننتظر من الفرنسيين أو الانجليز أو الأمريكيين أن يقـوموا عنا بدراسة تراثنا الذى نمتـاز به عليهم امتيازا قضى الله به ومضى به التاريخ فأصبح من قضاياه المقطوع بها مبدئيا ، ولم يبق لاستـكمال هـذا الحـكم التاريخى إلا استيفاء (حيثياته) وهى هى الدراسة التى ندعو إليها ، ونريد من جامعاتنا أن تستعدّ لها .

كلما درسنا هذه القضية ، ووقفنا على شىء من أسرارها ، وآمنا بصحة هذا الامتياز القومى الذى اختصنا الله به من دون البشر ، كان ذلك مفخرة لنا ، وتقريرا لعلوّ منزلتنا فى الأسرة الإنسانية ، وكان مصدر قوة لنا ، وحافزا لهممنا على كتابة تاريخنا من جديد .

العربية أعرق لغـات الأرض فى القـدم ، وإن سعتها ، وكثرة مشتقاتها ، ودقتها فى التعبير ، وإحاطتها بمعـانى الفطرة ، والمشاعر الإنسانية ، ورشاقة مادتها ، وبلاغتها فى أداء المعنى الكثير باللفظ القليل ، ومنطقها السليم فى إعرابها ، كل ذلك وغيره لا ريب أنه مما لم يتوفر بجملته للغة أخرى من لغات البشر فى بداوتها كما توفر للغة العربية فى بداوتها، وقـد دل على أن العربية كانت موجودة فى أطوارها الأولى قبل أدهار وأدهار من بدء وجود أى لغة أخرى من اللغات المعروفة . وإن أعداء هـذه اللغة وأعداء أهلها يقفون أمام هـذه الحقائق حيارى واجمين ، كوقفة ارنست رينان فى كتابه (تاريخ اللغـات السامية) حيث قال عن لغة العرب : « من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الـكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغـة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظـام مبانيها . ولقـد كانت هذه اللغة مجهولة من الأمم ، ولـكنها من يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الـكمال ، إلى درجة أنهـا لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نـكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى . ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

وإنمـا كانت العربية لا يعرف لهـا أرنست رينان وغيره زمن طفولة لعراقة طفولتها

فى القدم ، قبل أن توجد لغات الأمم الأخرى التى يعرف لهـا الناس زمن طفولة . فاللغة العبرية التى كتب بها سفر تثنية الاشتراع فى زمن موسى المعاصر لزمن الفراعنة يعرف عنها علماء اللغات السامية أنها وليدة الكنعانية واللهجات الفينيقية ولهجات قبائل شرق الأردن وقرى غربى الأردن ، فالفينيقية أعرق منهـا فى القدم ، مع أن الفينيقية نفسها وليـدة اللهجات العربية فى نجد وسواحل الخليج العربى فى عصر هجرة الفينيقيين عن جزيرة العرب قبل نحو ستة وعشرين قرنا من ميلاد المسيح فى تقدير المؤرخ باتون الأمريكى . فالفينيقية سليلة لهجات عربية ، كما أن الفينيقيين أنفسهم من مهاجرة العرب إلى سواحل الشـام ، وقد نقلت أدلة ذلك فى رسالة « اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب » بل إن العربية ووطنها الأول هما الأم للغة الكلدانية والأشورية ولسكان العراق بعد السومريين ، وذلك قبل خمسة وخمسين قرنا ، أى فى نحو سنة ٣٦٠٠ قبل المسيح .

وقـد تحدثنا فى جزء رجب من هـذه المجلة فى عامها المـاضى عن معنى قول الدستور المصرى إن مصر جزء من الأمة العربية ، وضربنـا بعض الأمثال على توافق العربيـة والمصرية القديمة .

والذى يقارن اللغات السامية ـ كالكلدانية والأشورية والفينيقية والعبرية ـ باللغـة العربية يجد البون شاسعا بين كمال العربية ووضوحها ، وفقر اللغات الأخرى وغموضها ، كما اعترف بذلك أرنست رينان وغيره ، وسبب ذلك عراقة العربية وقدم تطورها حتى بلغت مرتبة الكمال والنضج عنـد ما كانت اللغـات السامية الأخرى فى أوائل مراحل التطور . وهذه العراقة فى الكمال ، وهـذا الدور المبكر للنضج ، هو الذى ارتقى بالعروبة فى درجات إنسانيتها ، وارتقى بالعربيـة فى مستوى بلاغتها ودلالتها على سعة المدارك ، ومماشاة المروءة فى طريقها إلى أهدافها ، كما لاحظه أمير المؤمنين عمر فى قوله عن العربية إنها : « تثبت العقل ، وتزيد فى المروءة » .

لهـذا كله ولغيره ممـا لا تتسع له إلا الدراسات الجامعية المتواصلة ، لهـذا وذاك ، اختار الله العروبة لحمل أكمل رسالاته ، وظهر الإسلام فى بيئة هى اعظم بيئات الإنسانية ملاءمة لظهوره فيها ، وقد حاولت أن أشرح هذه القضية فى مقال « بيئة الإسلام الأولى التى اختارها الله لمولد خاتم رسله وظهور أكمل رسالاته » وذلك فى جزء ربيع الأول من هذه المجلة لسنتها المـاضية ، وهذا الموضوع أيضا كان ممـا يجب على جامعاتنا أن تتناوله بالدرس المستفيض ، وأن توجه الشباب الجامعى إلى بحثه من مقدماته إلى نتائجه ، فان مقدماته أمرها عظيم ، ونتائجه قد غيرت مجرى التاريخ بالفعل .

بذلك بلغت العروبة ذروة عظمتها ، وبذلك سجل التاريخ للعملاق أنه الإنسان الأعلى والمخلوق الأكمل ، والذين امتعضوا من ذلك وحاولوا الوقوف فى طريق التاريخ ليحولوه فى غير مجرى الإسلام، اكتسحهم الإسلام بتيار الحق الجارف فاندحروا، ودخل خلفاؤهم فى الإسلام كذبا ورياء ليكونوا طابورا خامسا بين جدران قلعته فيخونوه ، ويشوهوا جماله ، ويغيروا حقيقته ، فابتدعوا المذاهب المنحرفة ، وأعادوا البدع التى جاء الإسلام لإزالتها ،وسوّأوا ـ فى ظنهم ـ سمعة الصحابة الأولين الذين أدّوا إلينا أمانة القرآن وحفظوا لنا سنة رسول الله ، ونشروا دعوة الإسلام فى الأرض ، فاستجابت الأمم لدعوتهم وباركت جهادهم ، وكان تكوين هذا العالم الإسلامى بجهادهم وجهودهم. فالذين صنعوا هذا كله ، وحمد الله لهم إخلاصهم وعلمهم بنص كتابه ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، محب لهم ، حامد لطريقتهم الحسنة ، هذا الجيل المثالى الذى وصفته فى إحدى مقالات هذه المجلة (جمادى الآخرة ١٣٧٣) مازال الطابور الخامس عاملا على ذمه، والافتراء عليه، وتجاهل أياديه فى حفظ الإسلام، وفى تكوين هذا العالم الإسلامى.

وقد تدنست الكرة الأرضية بمئات الكتب القذرة التى تريد أن تقول للناس : إن خير أمة أخرجها الله للناس هى شر أمة وجدت فى الأرض ! فالدور الذى مثله هؤلاء فى المذاهب المنحرفة التى حاولوا بها تغيير دين الإسلام والنكاية للنبى صلى الله عليه وسلم بافساد الرسالة التى جاء بها ، وتسمية الصديقين من أصحابه والابرار من أنصاره بضد ما سماهم به الله ورسوله، هم بعملهم هذا كانوا شرا على الإسلام وأهله من المستعمرين ، وهم منذ ألف سنة يخدّرون العملاق بما يفسد عليه عروبته وإسلامه ، وإن العروبة والإسلام ويقظة العملاق بهما فى حاجة ملحة إلى الدراسات الجامعية لتحقيق رسالة الإسلام ماهى؟ وما هى أهدافها؟ وما الذى دسه الطابور الخامس لإفساد أغراضها؟ وكيف تخدّر العملاق بذلك ففقد حيويته الأولى فى عصور الضعف التى مهدت الطريق للاستعمار؟

إن هذا كله فى حاجة إلى دراسات جامعية تنصرف إليها مواهب أساتذتنا وشبابنا الجامعى ، ويتحرون لها المصادر السليمة اللائقة بالبحث العلمى والتمحيص المخلص ، ويتبرعون لها بالوقت الكافى لها بلا انقطاع ، إلى أن يعرف هذا العملاق حقيقة نفسه ، ومصادر قوته ، والغذاء المتواصل لحيويته ، ويومئذ تبعث هذه الأمة بعثا جديدا يكون فيه المجد لها والسعادة للانسانية إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

– ٤٤ –

الوفاء فى نظر الاسلام

عماد النظام الاجتماعى

(يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)

تمهيـــد :

١ — تجرى بين بعض الناس و بعضهم مبادلات مالية فى التعامل وعقود متنوعة مشروطة أو غير مشروطة فى البيع ، والإجارة ، والشركات ، والزواج ونحوها من شئون الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كما تجرى بينهم كذلك معاهدات دولية فى التجارة والسياسة والحروب والجوار : مما تمليه الحاجـة ، ويتطلب الأمر فيه مؤازرة وتناصرا لتيسير الصعوبات ، و إدراك المقاصد .

٢ — وهناك عهود بين الله وعباده تعتبر عقودا منوطة بذمة الإنسان .

(ا) بعضها تشريعات من جانب الله سبحانه ، بين الله فيها حلاله وحرامه ، وحدد فيها حدوده التى أمر الناس بالوقوف عندها ، ونهاهم عن تجاوزها ، بل نهاهم أحيانا عن القرب منها : مبالغة فى صيانتها وعدم انتهاكها ، وخلق فيهم عقولا تفطن، وتميز الخبيث من الطيب ، وألزمهم أن يفقهوا بها ، وأن يتخيروا لأنفسهم ، و يطيعوه فيما دعاهم إليه .

فكانت هـــذه التشريعات ـ وما يقترن بها من دعوة العقول إلى تلقيها بالقبول ، وما تهيأت له العقول من إدراك وتمييز وقبول ـ بمثابة العهد أو العقد بين الله والناس .

(ب) و بعض هذه العهود (بين الله والناس) من ناحية الإنسان نفسه : كأن يتعهد المرء بعمل طاعة من الطاعات فيما يسمى نذرا ، أو يعاهد غيره على المشاركة فى عمل مبرور :

كبناء مسجد ، أو مقاتلة عدو لله ولدينه ، أو نحو ذلك مما يعد طاعة دينية . . وهذه أيضا عهود ، أو عقود منوطة بذمة الإنسان كما ألزم نفسه . . فحديثنا الآن ذو جانبين : أحدهما عقود دنيوية تكون بين بعض الناس والبعض . . وثانيهما عهود دينية وهو ما بين الله وعباده : سواء أكان من ناحية التشريع الدينى ، أم كان من ناحية إلزام المرء نفسه بعمل دينى .

٣ — وما دام الدين لمصلحة الناس . . وما دام التعاقد المشروع لدنياهم مستمدا من جانب الدين وتشريعاته : فلا حرج أن نعتبر الحديث عن العقود والعهود — مهما تنوعت — سياقا واحدا ليس فيه جانب وجانب ، إذ الدين لإصلاح الدنيا ، والدنيا لتمام الدين ، والقيام بالتزاماته .

وعلى أى نحو كان توجيه الحديث : فالله تعالى يلقى علينا أمره بالوفاء بالعقود فى قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

وهذا أمر شامل لكل ما بيننا من عقود مشروعة ، ولكل ما نلتزمه لله من عمل مبرور ، ولا تخرج منه التشريعات المدنية الوضعية التى لا تحل حراما ولا تحرم مباحا ؛ فالدين يقرها .

٤ — ومعروف أن التعاقد أو التعهد لم يقصد منه غير تحقيق مصلحة مستساغة ، وأن التخلف عن الوفاء بهذا الالتزام يهدم ثقة الناس ببعضهم ، ويهون عليهم التلاعب فى تعاملهم ، ويعرض مشروعاتهم الحيوية للفشل ، ويشيع الفوضى بينهم . .

وتجارب الناس فيما وقع بينهم ، وما طرأ على تعاملهم من آثار طيبة للوفاء ، وآثار كريهة للخديعة والغدر : كل ذلك يساعد على إدراك حكمة الله فى أمره هذا ، وعنايته سبحانه بجلب المصالح لهم ، ودفع الأضرار عنهم « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » .

وفى الحق : ان اضطراب المعاملات ، وتشعب الخصومات ، وزعزعة الأمن ، وأكثر ما ينتاب الأسر من تصدع ، وما ينقض النظام الفردى والجماعى ، وماتزدحم به دور القضاء ، وما تسفك بسببه الدماء ، وما تنشب من أجله الحروب : كل ذلك فى واقع الحال أو فى أغلب الأحوال ناجم عن التنصل من الوفاء ، والتلاعب بالعقود ، والخيس

بالعهود ، طواعية للأنانية ، أو غرورا ، أو استخفافا بالعاقبـة ، أو تحللا من النظام ، وجنوحا إلى الفوضى ، وتهافتا على المظالم والتهام الحقوق .

٥ — ولم يستقم شأن الناس فيما جرت به الحياة يوما على الغدر وعدم الوفاء ، وإن التـاريخ ليحدثنا عن آثار ذلك فيما وقع بين أفـراد ودول ، وفى كتب الأدب قصص واسع ، وأمثلة كثر ، لمـا أحدثه إهدار النـاس للوفاء بعقودهم ومعاهداتهم ، وفى حياتنا الحاضرة أوضح الشواهد لمـا نقوله عن الغدر بالعقود .

ولمـا كان النـاس لا يتنبهون دائمـا إلى تجاربهم ، ولا يتعظون بمـا جرى على غيرهم ، كان للقرآن توجيهات أكيدة ، وأوامر شديدة : بالحث على الوفاء حتى مع الخصوم والأعداء المحاربين ، ذلك : لأن الوفاء ــ فى ذاته ، وفضلا عن منافعه ــ خلق كريم ، وشعار للمروءة والنبل ، إذ هو صدى للضمير الحى ، ومرآة للنفس الأبية ، وتلك شمائل يوحى بها الإيمـان ، ولا تستقر إلا حيث يستقر الإيمان فى قلب خلص من شوائب النفاق ، وبرئ من خدع الضلالة ، وألاعيب الضالين . . وإن تكن هناك أمثلة للوفاء من غير مؤمن فهى كثوب الرياء لا تلبث أن تشف عما تحتها ، أو هى كالثلج تحت وهج الشمس لا يعيش طويلا .

٦ — ومن أجل ذلك ترى خطـاب الله لعباده فى مقام الدعوة إلى الوفاء بقوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وفى هـذا إشعار فى قوة المنطاق الصريح بأن الوفاء من مظاهر الإيمـان ، وأن أهل الوفاء هم المؤمنون ، وأن المؤمنين حقا جدير بهم ألا يفوتهم الوفاء بمـا تعاقدوا عليه ، إذ المفروض أن المؤمن بربه مؤمن بتعاليمه ، ومؤمن بشخصيته ، وأنه مستجيب لكل ما هو من مقتضيات الإيمان . . فجاء الخطاب مطابقا لتلك الصفات . . وأما خطاب غير المؤمن والتعميم فى دعوته إلى الوفاء فغير ذى جدوى .

٧ — وطبيعى أن الوفاء المطـلوب لا يتعدى العقود المستساغة التى أذن بها الشرع نصا ، والتى تتمشى مع ما يحدث من مصالح النـاس دون مناهضة للدين ، ولا امتزاج بالأباطيل . . وعلى ذلك يكون التعاقد على محرم ، أو التعهد بمحظور ، أو التعرض لمـا يتنافى مع المصلحة التى توائم توجيهات الإسلام ، خارجا عن السياق الذى نحن بصدده ، وليس الوفاء به من مقاصد الأمر الذى نحن بسبيله ، بل هو من المنهيات ، وفى حيزها ، والحظر أولى به .

لذلك نرى القرآن الكريم يردد الأمر بالوفاء فى صيغ عدة ، مكتفيا بالإجمـال ،

ومعتمدا على أن الوفاء بالأمور الحلال هو المقصود ، وأن تخصيصه بذلك أمر مفروغ منه ، إذ لا حاجة إلى استثناء المحظورات ، فأنها بمعزل عن الطلب ، وعن الترغيب فيها ، وذلك بدهى ، فانظر مثلا إلى الآية التى معنا : والأمر فيها : « أوفوا بالعقود » وأى عقودهذه ؟؟ هى العقود التى تتعلق بها مصالح الناس ، وليس فيها منافاة لمقصد الشريعة .

ثم يفصل بعضها فى ذكر ما أباح وما حرم : من بهيمة الأنعام ، وصيد الحرم للمحرم وغير المحرم ، وتحريم المنخنقة ونحوها .

وفى آية أخرى يقول سبحانه : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » وأى عهد هذا ؟ ؟ هو ما يكون بين الناس من عقود ، وما يكون بينهم وبين الله من عهود ، فأن كلها منوط بالذمة .

ويقول : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

ويمتدح المؤمنين فيذكرهم بقوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ويقول : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » .

وهكذا ترى الكتاب العزيز حاثا فى مواطن كثيرة على الوفاء ، وزاجرا : صراحة أو ضمنا عن الخديعة ، والمكر ، والغدر .

فالوفاء جميل ، والله يحب كل خلق جميل ، وهو من الكمال ، والله يحب الكمال ، وقد وصف نفسه تعالى بأنه لا يخلف الميعاد ، وأنه لا يخلف وعده ، وليس أحب إلى النفس المؤمنة من التخلق بأخلاق الله ، وقد حفلت الكتب بذكر الموفين بعهدهم ولو كان فيها حتفهم ، فكانت ذكرياتهم خالدة .

والخلف نقيصة خلقية فى ذاته وفى نظر الإسلام بداهة ، وربما جرت هذه النقيصة إلى سوء الظن بالإسلام نفسه عند من يقيسون الإسلام بمقياس أعمالنا ، ويعتبرون أعمال المسلم وخلقه صورة لدينه ، وتفسيرا لتعاليمه .

فضلا عما يجر إليه الغدر ، والنكوص عن الوفاء : من ضعف الثقة بين الناس ، وشيوع التهمة فى المتعاقدين ، وعدم الاطمئنان إلى التعاقد بينهم ، وهذه ظاهرة تهدد نظام التعامل ، وتزعزع حياة المجتمع ، وتقوض أركان الاقتصاد .

ومن كان كذلك أو سببا فى شىء من ذلك فهو كما أسلفت حجة على الدين ، وهو مطعن على المسلمين .

ومن أجل هذا تنصل النبي صلى الله عليه وسلم ممن يكون فى هذا الموقف وعلى تلك الشاكلة ، فقال : من أعطى الدنية من نفسه فليس منا » يعنى من ظهر بمظهر الخسة ، وكشف عن حطة فى خلقه ، فهو فى غير عداد المسلمين .

وهذا ينطبق على كل متحلل من خلق الإسلام ، ونابذ لمحامده : وفيها ما فيها من مياسم المجد ، وكمالات الإنسانية ، وأمارات النبل التى تغتبط بها النفس الزاكية ، وتعتز بها الجباه العالية ، والإسلام دائما يطلب إلى أهله أن يكونوا مثلا كريمة . .

فليكن الوفاء من مبادئنا ولو كان مع من لا نحب ، فأن الحق حق وإن أشاح عنه أناس وهو شريعة الله . . وإن الباطل باطل وإن انضوى إليه كثيرون ، وهو فتنة الشيطان ، ومفسدة الحياة ، ومهزلة التاريخ .

نقول هذا والعالم كله يشهد انتقاض الدول الاستعمارية على مصر لاحتفاظها بحقوق مشهود بها فى عقود قائمة ، ولحرصها على الوفاء بتلك العقود مع استعدادها لكل اتفاق يطمئنهم على وفائها دائما ، كما عاشت وفية حتى مع هضم حقوقها زمنا طويلا .

ولكن الغرب يستمرئ ظلمها ، ويخيس بالمعاهدات . والله معنا ، والعصمة من الله ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

أصدق ما وصفت به المرأة

فى مسند الامام أحمد (٢ : ٤٤٩) من حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة ، إنما هى كالضلع : إن تقمها تكسرها، وإن تتركها تستمتع بها وفيها عوج » .

السنة

الاقتصاد فى الموعظة

أشبه النـاس بخاتم النبيين ـ إمام مدرسة نبوية ـ الوعظ والتذكير والقصص ـ من القصص محمود ومذموم ـ آفة الدعاة والدعوة ـ خـير المذكرين والواعظين ـ حى على الجهاد ـ حى على العمل .

عن أبى وائل قال : كان عبد الله يذكر النـاس فى كل خميس ، فقـال له رجل : يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا. رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أبو وائل : كنية شقيق بن سلمة الأسدى الكوفى ، أحـد سادة التابعين وكبارهم ، أدرك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروى عن خلفائه الأربعة وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما عبد الله بن مسعود، فقد أكثر من الرواية عنه ، حتى قال عمرو بن مرة قلت لأبى عبيدة بن ابن مسعود: من أعلم أهل الكوفة بحديث أبيك ؟ قال شقيق : وروى عنه الجم الغفير من التابعين ، واتفقوا على ثقته وجلالته .

* * *

أما عبد الله : فهو ابن مسعود بن غافل الهذلى، وكنيته أبو عبد الرحمن، وأمه أم عبد من هذيل أيضا أسلمت وهاجرت فهو صحابى ابن صحابية . . أسلم عبد الله قديما حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وقال لقد رأيتنى سادس ستة ما على

الأرض مسلم غيرنا .. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها .. ومن أخباره بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهد فتوح الشام ، وسيره عمر إلى الكوفة وكتب إلى أهلها بعثت إليكم عمارا أميرا ، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل بدر، فاقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

لازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان حارسه وصاحب وسادته وسواكه ونعله، قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثرة دخولهم عليه ولزومهم له ، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أشبه الناس بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فى هديه وسمته .. ثم لا عجب أن يكون إمام مدرسة من مدارس النبوة التى أخرجت أئمة علم وهدى ، ملئوا الدنيا هداية ونورا ، ممن أعز الله بهم الإسلام ، وهدى بهم إلى دار السلام .

«ومن عجيب الحكمة أنه كان سادس ستة فى الإسلام أولا ، وكان واحدا من ستة فى العلم ثانيا ، وكان أستاذ أئمة ستة فى الكوفة آخرا ... أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة فى العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبى حنيفة تلميذ حماد ، تلميذ النخعى ، تلميذ علقمة ، تلميذ عبد الله بن مسعود » (*) .

* * *

هذه العجالة العاجلة ، من ترجمة زاخرة حافلة ، تدلنا فيما تدل على أن ابن مسعود رضوان الله عليه ، كان أمة هاديا ، ونورا ساريا ، وبحرا فياضا ، لا يحبس علمه ونوره على يوم الخميس من أيام الأسبوع فحسب ، وأكبر العلم أنه لو أراد ذلك لغلبه هديه ، ولتفجرت ينابيع علمه فى كل يوم على الرغم منه .. وإنما هو يوم اختاره للوعظ والتذكير ، تزكية للنفوس ، وتطهيرا للقلوب ، إلى بقية أيام الأسبوع الست التى كان يوالى فيها مدرسته بالتعليم والفتوى ، وبيان الأحكام واستمدادها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(*) قبسة من « تراجم إسلامية جليلة لكبار الصحابة والتابعين » بقلم زميلنا العالم الكاتب الأستاذ النواوى ، جعلناها مسك الختام لهذه العجالة .

والوعظ والتذكير شعبتان عظيمتان من شعب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل ، وهما من وظائف الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

* * *

والوعظ والتذكير والقصص ، ثلاثتهن متجاورات فى الذكر والمعنى ، ولم نر من كشف اللثام عنهن إلا الإمام الخطابى فى معالم السنن عند رواية أبى داود لحديث عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال » نقل هنالك أن المتكلمين على الناس ثلاثة أصناف : مذكر وواعظ وقاص :

فالمذكر الذى يذكر الناس آلاء الله ونعماءه ويبعثهم بذلك على الشكر له .

والواعظ يخوفهم بالله وينذرهم عقوبته فيردعهم بذلك عن المعاصى .

والقاص هو الذى يروى لهم أخبار الماضين ويسرد عليهم القصص ، فلا يأمن أن يزيد فيها أو ينقص ، والمذكر والواعظ مأمون عليهما هذا المعنى .

* * *

ولا يتسع المجال هنا لبيان مساوى القصاص ، وما أدخلوه فى قصصهم من أكاذيب وغرائب ، يغزون بها قلوب الدهماء ويستهوون بها أفئدتهم ! ! وحسبنا أن القصص المحمود ماحمده الله ورسوله ، وأن القصص المذموم ما ذمه الله ورسوله . . ولا ريب أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتابعيهم باحسان لم يصدروا ــ ولن يصدروا ــ فيما يقصون ويعظون إلا عن بينة من الله ورسوله .

أما أولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويكذبون على الله وعباده وهم يعلمون أو لا يعلمون ، فهم من المختالين الذين عناهم الحديث المروى عن أبى داود آنفا ، وأولئك هم آفة الدعوة إلى الله ، وشر عليها فى كل زمان ومكان ! !

* * *

وإذا كان عبد الله رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ، فلابد من حكمة لإيثاره يوم الخميس بالوعظ والتذكير ، فأما رأى النبى صلى الله عليه وسلم

يؤثره ، وإما لأنه تمهيد ليوم الجمعة ، خير يوم طلعت عليه الشمس ، ادخره الله لنا وهدانا إليه . .

كان أهل هذا المجلس : مجلس الوعظ والتذكير ، ينتظرونه أحيانا ليستزيدوا من وعظه وتذكيره ، حتى قال قائل منهم ـ وهو يزيد بن معاوية النخعي الكوفي التابعي العابد الثقة ـ : يا أبا عبد الرحمن ، إنا نحب حديثك ونشتهيه ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم ، فقال إني أخبر بمكانكم ، وما يمنعني أن أحدثكم كل يوم كما تشتهون إلا كراهة أن أملكم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا .

والتخول بالموعظة والتحول والتخون بها ـ وبكل من الثلاثة روى الحديث ـ هو التعهد ، وطلب أحوال النشاط فيها والارتياح إليها ، وذلك أدعى للانتفاع بها ، والتأثر بآثارها .

* * *

نعم كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم ديمة ، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، وكان يكره أن يمل العبد نفسه في العبادة أو يضجرها ، فأذا أمل غيره أو أضجره فانه ـ ولا ريب ـ أشد لذلك كراهية . .

غير أن الدوام في كل شيء بحسبه ، يختلف باختلاف مكانه من الدين وطلبه ، قولا كان أو فعلا ، فرضا كان أو نفلا ، وللنفوس وأحوالها ، وللأوقات وتقلبها ، وللهمم واختلافها ، لكل أولئك آثار لا تنسى . . .

وخير المذكرين والواعظين من يعرف طبائع النفوس ، وأنها مجبولة على السآمة والملال ، وحب الانتقال من حال إلى حال ، فيرشدها ويدعوها ما توسم فيها نشاطا وإقبالا ، ويخفف عنها ويوجز ما تفرس فيها فتورا وكلالا ، ولأن يقوم عن أهل مجلسه وهم مشتاقون ، خير من أن يدعوهم وهم سائمون .

على هذا المنهج السمح الكريم ، سار في دعوته وهديه إمام الهادين والمرشدين ، من بعث بالحنيفية السمحة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا .

أما بعد ، فهل كانت دعوتنا إلى القصد في القول إلهاما من العليم الخبير عز وجل ؟ !

ذلك بأنه على أثرها أغار على الكنانة عدو الله والوطن ، فأجبنا مناديه ينادى : حي على الجهاد ، حي على العمل "

طه محمد الساكت

المؤمن الحق

ذهب جمهور المحققين من العلماء إلى أن الإيمـان هو التصديق بمـا علم مجىء النبى صلى الله عليه وسلم به ضرورة : تفصيلا فيما علم تفصيلا ، وإجمـالا فيما علم إجمالا ، فهو عندهم من المنقولات الشرعية عن المعنى اللغوى لـكن بحسب المتعلق فقط دون المعنى ، ولذلك لمـا سئل النبى صلى الله عليـه وسلم عن الإيمـان قال : « الإيمـان أن تؤمن بالله وملائكته » الحديث ، فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن جاء بالمتعلق وهوقوله بالله الخ، وعبر بقوله أن تؤمن للاشارة إلى أن الإيمان الذى جاء به هو الإيمان الذى يعرفون معناه فى لغتهم وهو التصديق وزيد عليه هذا المتعلق أو هذا القيد .

والمراد بالتصديق قبول النفس للحكم والرضى به لا مجرد الإذعان به الذى هو التصديق المنطقى فأن هذا حاصل للـكفار . ألا تسمع إلى قوله تعالى فى شأنهم : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وإلى قوله : « وجحـدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » . ولذلك عرف بعضهم الإيمـان بأنه حديث النفس التـابع للمعرفة ، أى قول النفس : رضيت وآمنت ، بعد معرفة ما رضيت به . ولعلك عرفت ما بيناه لك أن لغـة العرب تعنى من الإيمـان مطلق التصديق ، أما الإسلام فتعنى به التسليم والاستسلام .

وللتصديق الذى هو الإيمـان محل خاص وهو القلب بدليل قوله تعـالى : « وقلبه مطمئن بالإيمـان » وقوله : « أولئـك كتب فى قلوبهم الإيمـان » . وأما التسليم فهو عام فى القلب واللسان والجوارح ، فيـكون الإسـلام من حيث محله أعم من الإيمـان ، والإيمـان من حيث محله أشرف أنواع التسليم .

وقد ورد الشرع الشريف باستعمال الإيمـان والإسلام مترادفين وباستعمالها متخالفين وباستعمالها متداخلين ، ويشهد للترادف قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فمـا وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وقد أجمع العلماء على أن البيت فى هذه القصة واحد غير متعدد ، ويشهد له قول النبى صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» مع قوله لوفد عبد القيس كما أخرجه البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « تدرون ما الإيمـان؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة ، وتصوموا رمضان ، وتحجوا البيت الحرام » قال الغزالى رضى الله عنه : « وعند الترادف يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا أى اللسان والجوارح

فان كل ذلك تسليم ، ومعنى هـذا أنه يبقى على حاله من العموم ويتصرف فى الإيمـان بمـا يجعله عاما مثله حتى يكون مرادفا له ، فيتصرف فيه بادخال الظاهر فى معناه لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة التصديق الباطن ونتيجته فكأنه منه كما يطلق اسم الشجر مثلا ويراد منه الشجر مع ثمره على سبيل التسامح، ويشهد للتخالف قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنـا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمـا يدخل الإيمـان فى قلوبكم » ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل لمـا سأله عن الإيمـان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره » مع قوله عليه الصلاة والسلام له لمـا سأله عن الإسلام «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» إلى آخر الخصال الخمس ، وورد فى الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد : يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : «أو مسلم ؟» فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل هذا يشهد للاختلاف . قال الغزالى : فيجعل الإيمـان عند التخالف عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا أى باللسان والجوارح فقط ، واللغة لا تأبى ذلك فان التسليم ببعض محـال التسليم يطلق عليـه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان لمس غيره فى بعض بدنه يسمى لامسا ويسمى ذلك ملموسا وان لم يستغرق اللمس جميع بدنه .

ويشهد للتداخل ما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإسلام » فقيل له : أى الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإيمـان » فقد جعل صلى الله عليه وسلم الإيمـان جزءا من الإسلام .

وعلى هذا فيجعل الإسلام تسليما بالقلب وباللسان والجوارح ، والإيمـان التصديق بالقلب فقط ، وكل هذه الاستعمالات ممـا تستسيغه اللغة ولا تأباه .

قد علمت أن الإيمـان عنـد جمهور المحققين هو التصديق بمـا جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم ، لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

وإلى اللقاء إن شاء الله .

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومديرعام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

مذاهب ومذاهب

من خصائص العقل البشرى أنه لا يفتأ يفكر ويبدع ، ومحال أن يسكن عن التفكير أو يكف عن الإبداع ، وهذه الحركة الفكرية الدائمة أساس العلوم التى تفرعت وتشعبت وملأت الدنيا حضارة وعمرانا ، وأفاضت على البشرية رفاهيـة ورخاء . وتاريخ العـالم سلسلة متصلة الحلقات من القواعـد والنظريات العلمية التى تتدرج فى الإتقان والتجويد ويقوم بعضها على بعض، ويكمل بعضها بعضا ، ويكون السابق منها مقدمة للتالى، ثم تأتى النتائج الباهرة ، فتنعم الإنسانية بمـا فيها من خير ومتاع .

ومن يقس حال العالم اليوم بمـا كان عليه فى فجر التاريخ يستبن له فضل العقل البشرى ومقدار ما قطعه من أشواط وما أنفقه من مجهودات حتى وصل إلى ما هو عليه من مدنية وحضارة ، وإذا صح القياس كان مثل حال العالم اليوم وحاله قديما مثل طفل يحاول النهوض فيتعثر وينكب ثم لا يلبث أن تشتد قدماه فيعدو فى طريق الكمال بقوة ونشاط .

وفى تاريخ الفكر البشرى نظريات وقواعد علمية ومذاهب مختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية ما زال كثـير منها يفيض قوة وحيوية ، ويستطيل على التاريخ بقـاء وخلودا ، وما زالت يتداولها الناس ويتوارثها الخلف عن السلف تراثا كريما يحرص عليه ويباهى به ويستغله ويثمره ويضيف إليه ما عساه أن يستنبطه ويكشف عنه ، ويرى من واجبه أن يذكر بالتبجيل والتقدير أولئك الذين أورثوه علوما قامت عليها حضارة يجنى العالم ثمـارها وينعم بآثارها .

وفى تاريخ الفكر كذلك قليل من المـذاهب الفاسدة التى ما استهلت حتى ماتت ، وما استقامت على التمحيص وما ثبتت فائدتها على التجربة ، وأورثت أصحابها اللعنة الدائمة والمقت الشديد ، وصارت هى وأصحابها مثلات على الضلال الفكرى والطيش العقلى ، ذلك أنهـا مذاهب لم تساير الفطر ولم تستلهم الأديان ولم تساوق التقاليد الفاضلة ولا الأعراف الطيبة ، وإنمـا استمدت من الغرائز الحيوانية ، وقامت على البواعث الشهوية ، فنشأت على أساس غير كريم ، فلم يقر لها قرار ، ودارت عليهـا وعلى أصحابها دائرة البوار ، وكانت باللوثات

العقلية أشبه منها بالمذاهب والنظريات العلمية ، وكان أصحابها بالملتاثين والمخلطين أشبه منهم بأصحاب المذاهب ، واحتفظ التاريخ بها احتفاظه بالنادر البغيض والشاذ المقيت .

أما المـذاهب الصحيحة فى سائر نواحى الحياة سـواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، فهى المذاهب التى تلائم الفطر السليمة وتسكن إليها النفوس الكريمة وتقرها قواعد السلوك القويمة ، وهى جديرة بالدراسة الدائمة والتفهم الرشـيد ، وأن يستوعب الناشئون والمتعلمون أكثر ما يمكن منها ، وحق على المجتمع أن يتذاكر بالفخر والثناء أصحابها ويشيد بمآثرهم ومناقبهم كفاء ما أسدوه إلى المجتمع البشرى من خير ورخاء .

ليست كل فكرة تستحق أن تسمى مذهبا يشتغل الناس بدراسته ، ويستحق أن يسمى صاحبها مفكرا أو فيلسوفا أو صاحب رأى ، ولو صح ذلك لذهب بهذا الفخر أكثر المجانين فى المستشفيات العقلية ، بـل لصح أن يسمى من يخلع ثيابه ويعدو فى الطريق على هيئته القبيحة صاحب مذهب أو مبدأ ، وذلك أحط درجات الوحشية .

إنما الذى يصح أن يسمى مذهبا أو طريقا ويسمى صاحبه صاحب مذهب أو رأى ، هو المذهب الذى يعود على المجتمع بالخـير ولا يجافى الفضائل المتفق عليها ولا ينافى العقائد المسلم بصحتها . هذه هى المذاهب الجديرة بالاعتبار ، وبقدر ما يفيد المجتمع منها تكون حياتها ومنزلتها ويكون العمل بها والحرص عليها .

والآراء التى ينعق بها أصحـابها الآن كالوجودية والإلحادية وما إليها ويحـاولون عبثا نشرها بين الشباب وفى بعض معاهد العلم ، ويستعينون ببعض الصحف وبعض الأشخاص على ترويجها ، ليست مذاهب أو مبادئ ، ومن الظلم للحق وللعلم أن نسميها كذلك ، وخطأ كل الخطأ أن نصف أصحابها بأنهم أصحاب مذاهب ، لأن ذلك شرف كبير وفضل وفير غيرهم أحق به منهم ، ومن الخطأ كذلك أن ننظمهم فى سلك المخترعين المبتدعين وأرباب المذاهب الخالدة ، فنغمط هؤلاء حقوقهم وننحل أولئك ما ليس لهم ، والوصف الصحيح لهم واللائق بهم أن نسـميهم مخرقين أو ملتاثين أو حيـوانيين أو ما إلى ذلك مما يعبر عن جوهر دعاواهم ، فدعاواهم فى الحقيقة دعوة إلى الحيوانية فى أبشع صورها ، فمـا بين الإنسان والحيوان فى العرف العام إلا العقيدة الدينية الصحيحة والعمل بمقتضيات الفطرة والمروءة فى التصون والحفاظ على الأعراض والأخلاق .

هذا هو الفاصل بين الفريقين ، فاذا بدا لهؤلاء أن ينفصلوا عن إنسانيتهم بهذه المذاهب الفاجرة فلهم ما أرادوا، ولكن على أن يكون ذلك لهم وحدهم، وليس لهم أن ينشروا تلك المخازى وهذه العورات بين الشباب فى المعاهد والجامعات وعلى منابر الصحف والمجلات ، لأن ذلك اعتداء على الآداب العامة ودعوة إلى التحلل الخلقى يفضى إلى انهيار الأمة بانهيار شبابها ، وقد انهارت أمم قديمة وحديثة بمثل هذه المذاهب .

إن هذه المذاهب دعوة سافرة ـ مهما زيفت العبارة عنها ـ إلى الفساد والإباحية ، وإن القائمين بها خارجون على الأديان والأخلاق والتقاليد والقوانين ، وهم مستحقون للمؤاخذة والمعاقبة ، تؤاخذهم الأديان السماوية ، والقوانين الوضعية ، مؤاخذة المجرمين الفوضويين ، وإن إرخاء العنان لهم مدعاة إلى التشكك فى القيم الخلقية التى استقر بناء المجتمع عليها ، وتحد لشعور المصريين جميعا مسلمين وغير مسلمين ، فالمصريون متدينون ، يجرح شعورهم ويؤلمهم أشد الألم ما يمس مكان العقيدة من نفوسهم ، وفى الدولة حكومة متدينة رشيدة تحرص على احترام الشعور الدينى للمواطنين كما تحرص على احترام القوانين وصيانة الآداب والأخلاق ، ولن تسمح لأصحاب هذه الدعوات أن يعبثوا بمقدساتنا الدينية ومقوماتنا الأخلاقية ، وإليها يلجأ المصريون لتضرب على أيدى هؤلاء وتقى الشباب من آثار هذه الدعوات قبل أن يستفحل خطرها ويتفاقم شرها .

وإنها لمستجيبة إن شاء الله ؟

أبو الوفا المراغى

ياعصبة الايمان

ياعصبة الإيمان كبر فيكم	صوت البشير تحية استقلاله
هل جاءكم أن الحياة عزيزة	قصوى كغرته وبعد مناله
ما ان تنالوها وإن قرب المدى	بسوى الجهاد الحق تحت ظلاله
هذا الحمى ماباله فى عصركم	وثبت ثعالبه على رئباله
إن الشباب حماته فى يومه	ومؤمنوه غدا على آماله

محمد الهيهاوى

صفحات من البطولة

فى الاسلام

— ٢ —

فى مقال سبق تكلمت عن البطولة فى الإسلام، وقلت: إن البطولة المحمدية الفذة كانت مدرسة تخرج فيها الكثيرون من أبطال الحرب والرأى والسياسة . واليوم أتكلم عن هؤلاء الأبطال وهم صحابة الرسول الذين سطروا لأنفسهم صحائف المجد والخلود ، وضربوا فى باب البطولة الإسلامية مثلا عليا خالدة .

وأجل ما يصادفنا من البطولة الإسلامية موقف الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، ذلك أنه لما توفى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ارتد ناس من العرب ومنع بعضهم الزكاة ، فعزم على قتالهم جميعا ، فقال له عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل من منع الزكاة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقه وحسابه على الله » فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى . قال عمر : « فوالله ماهو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » . ثم كان من الصديق أن تقلد سيفه وخرج مجاهدا فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره . وهذا غاية الشجاعة والإقدام .

وكان مما قاله الفاروق عمر رضى الله عنه « تألف الناس وارفق بهم فأنهم بمنزلة الوحش» فقال له أبو بكر رضى الله عنه : « رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، أجبار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام ؟ قد انقطع الوحى وتم الدين ، أينقص وأنا حى ؟ والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى » .

ولقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم للصديق هذا الموقف الخالد ، فكان يقول عمر رضى الله عنه : « والله لقد رجح إيمان أبى بكر بايمان هذه الأمة فى قتال أهل الردة » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : « لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبى بكر ، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض

وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه أبو بكر رضى الله عنهم جميعا » . وهكذا نجد أن الصديق أبا بكر - وهو الضعيف فى جسمه القوى فى دينه العظيم فى نفسه - وقف موقفا لم يقفه أحد من أصحاب الأجسام القوية والشجاعة المشهورة .

ولقد كانت غزوة بدر الكبرى من المشاهد المشهورة التى ضرب فيها الصحابة أروع مثل التضحية والشجاعة ، لقد كان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يقاتل اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » من إذكاء الروح المعنوية وإلهاب الحماسة ما يفوق كل دعاية ، فلا عجب أن قال عمير بن الحمام رضى الله عنه وبيده تمرات يأكلها : « بخ بخ ، ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء » ثم قال : « لئن بقيت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة » وقذف بالتمرات من يده ، وما زال يقاتل حتى استشهد وأرضى الله ورسوله وأرضى نفسه وعقيدته . وإن قوما يستطيل أحدهم مدة يأكل فيها تمرات تبعده عن شرف الشهادة لقوم جديرون بالنصر والظفر ، وإن قوما يحرصون على الموت فى سبيل الله أشد من حرصهم على الحياة لابد أن تكتب لهم العزة والسلطان مهما قل عددهم وكثر عدد عدوهم .

وهذا ما كان فى هذه الغزوة فقد التقى فيها ثلثمائة وبضعة عشر رجلا - مع عوز فى السلاح والظهر - بثلاثة أضعافهم من المشركين المزودين بالعتاد والدروع المسردة والخيول المطهمة ، فاذا الغزوة تنجلى عن انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة ، وغلبة الحق على الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

وهل ينسى التاريخ بطولة السادة الأمجاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فتى الفتيان وحمزة أسد الله وسيد الشهداء والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم وغيرهم ممن لا يحصيهم العد والذين حضروا المشاهد مع رسول الله وجعلوا أنفسهم فداء له .

إن التاريخ ليذكر لهؤلاء مواقفهم الخالدة ، ويذكر أبا دجانة صاحب عصابة الموت الذى صال وجال فى أحد ، ولما انكشف المسلمون تترس على رسول الله فصار النبل يقع فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه ، ولم تشغله نفسه وجراحه عن حماية رسول الله والذود عنه .

ويذكر أبا طلحة الأنصارى الذى دافع عن رسول الله فى هذه الموقعة دفاع الأبطال ، وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كلما نظر إلى القوم ماذا يفعلون يقول له : « يا نبى الله بأبى أنت وأمى لاتنظر يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك » .

ويذكر أنس بن النضر رضى الله عنه الذى اندفع يقاتل بشجاعة فائقة حتى استشهد ، وقد وجدوا بجسده بضعا وسبعين مابين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، حتى تغيرت معالم شخصه ولم تعرفه إلا أخته ببنانه .

ويذكر جعفر بن أبى طالب وما صنع فى غزوة مؤته ، لقد كان يحمل اللواء بيمينه فقطعت يمينه فتناوله بيساره فقطعت أيضا ، فاحتضنه بعضديه ، ولم يزل هكذا حتى عاجلته ضربة قاتلة فاستشهد بعد أن أرضى ربه ودينه ، وكان جزاؤه من الله الرضوان الأكبر ، وأن عوضه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة أنى شاء .

ويذكر حبيب بن زيد الأنصارى وابن السيدة نسيبه بنت كعب الأنصارية ، وكان مسيلمة قد ظفر به وهو مقبل من عمان إلى المدينة وأخذه أسيرا فقال له مسيلمة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فيقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقطع منه عضوا . وكان كلما كرر عليه السؤال وأجاب بما أجاب قطع منه عضوا آخر حتى قطعه اربا اربا ومات شهيد عقيدته ، وأبت عليه بطولته أن يداهنه فى موقف تجيز له التقية أن يداهن فيه ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان .

إن التاريخ ليذكر هؤلاء ويذكر أضرابهم الذين أبلوا بلاء حسنا فى حروب الردة والفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس والروم والشام والعراق وإفريقية من أمثال بطل الأبطال سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأمين هذه الأمة أبى عبيدة بن الجراح والمثنى ابن حارثة وعكرمة بن أبى جهل ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص وشرحبيل بن حسنة والقعقاع بن عمرو الذين جمعوا ــ إلى البطولة والشجاعة ــ الحنكة والدهاء والعبقرية الحربية فى تسيير الجيوش وتنظيمها والوصول إلى النصر من أقرب سبله مع الحرص على الرحمة والوفاء بالعهود وعدم الإسراف فى إراقة الدماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ويرحم الله الصديق حيث قال فى بطل الأبطال خالد : « عقمت النساء أن يلدن مثل خالد » .

إن الحديث عن مواطن البطولة الإسلامية فى العصور الإسلامية المتتالية أمر يطول ، ولن يفى بذلك إلا أسفار ضخمة . وبحسبى أن أستعرض بعض هذه المواطن تمجيدا

للذكرى وتلمسا للعبرة واستحثاثا للهمم والعزائم على الائتساء، ففى موقعة اليمامة كان جيش المسلمين أربعة آلاف وكان جيش مسيلمة أربعين ألفا من ذوى الشكيمة والبأس الشديد ، وقد أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا ولا سيما القائد المظفر خالد ، فقد انكسرت فى يده فى هذا اليوم بضعة سيوف ، وكان الحرب سجالا ، حتى أنزل الله نصره على المسلمين فألجأوا بنى حنيفة إلى حديقة لمسيلمة تجمعوا فيها وتحصنوا خلف أسوارها وأغلقوا أبوابها، ومعهم رئيسهم الكذاب ، فماذا صنع المسلمون ؟ لقد رغب أحدهم وهو البراء بن مالك ـ أحد شجعان الأنصار والذى لم يعرف الفرار والإحجام ـ إلى إخوانه أن يرفعوه فوق السور ، فرفعوه فى درقة فوق أسنة الرماح، وما أن علا حصن الحديقة حتى رمى بنفسه على الجموع الغفيرة، وما زال يقاتل على الباب حتى فتحه ، فدخل المسلمون وأعملوا السيوف فيهم وقتل مسيلمة الكذاب ، وبذلك تم النصر والظفر للمسلمين ، وإن الإنسان ليعجب مما صنع البراء ، ولئن كان البراء بطلا فقد كان فى بنى حنيفة أبطال ، وكفى شاهدا على ما كانوا يمتازون به قولة خالد رضى الله عنه : « لقد شهدت عشرين زحفا فلم أرقو ما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة » ولكن الإيمان يتغلغل فى القلب فيجعل من صاحبه قوة جبارة تسخر بما فى الحروب من أهوال وشدائد فى سبيل المثل العليا .

وفى موقعة اليرموك كان تعداد المسلمين أربعين ألفا وكان تعداد الروم مائتين وأربعين ألفا ، وقد تجلت عبقرية سيف الله المسلول خالد فى هذا اليوم المشهود وتجلت بطولة المسلمين ودارت رحى الحرب الضروس بين جيشين غير متكافئين عددا وعدة، ولكن البطولة وقوة الإيمان صنعا صنيعهما ، فقد حملت الروم على المسلمين حملة شديدة زحزحتهم عن أماكنهم فقال عكرمة بن أبى جهل : قاتلت النبى ثم أفر اليوم [1] ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم على الموت ، وقاتلوا حتى أثخنتهم الجراح ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من برأ من جراحه . وكذلك صنع غير هؤلاء صنيعهم ، فلا عجب أن انجلت هذه الملحمة الكبرى عن نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة ماحقة للروم .

وفى العصور الوسطى تألبت أوربة كلها على المسلمين لتشفى حقدا دفينا فى النفوس ، وأذكى نار الحقد والضغينة القساوسة ورئيسهم بطرس الحاقد ، ولكن قيض الله للاسلام البطل الخالد صلاح الدين الأيوبى وأمثاله من القادة المخلصين، فقادوا المسلمين وما زالوا يجاهدون حتى رد الله كيد الصليبيين فى نحورهم وهزمهم شر هزيمة ، وحفظ أرض الإسلام من شرورهم وأرجاسهم .

---

(١) يريد ما حدث قبل إسلامه رضى الله عنه فقد أسلم بعد الفتح .

و بعد ـ فيأيها المسلمون والعرب ، و يا سلالة أولئكم الأبطال ، أحيوا ما درس من البطولة الإسلامية ، ولقنوا العالم اليوم دروسا فى العزة والكرامة و إباء الضيم والدفاع عن الأوطان وحماية الذمار ، ولا تلقوا بالا لإرجاف المرجفين وتخذيل المخذلين ، وضعوا نصب أعينكم قول الصديق : « احرص على الموت توهب لك الحيـاة » . أما الجبناء الرعاديد فلا ينبغى أن يكون لهم مكان فى صفوف المسلمين والعرب المجاهدين ، و بحسب هؤلاء قولة البطل الهمام الذى لم يهزم فى جاهلية ولا إسلام : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى موضع إلا وفيـه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبنـاء . وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله ، وأنا مترس بها » فاعتبروا يا أولى الأبصار ما

الدكتور
محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حفيد خليفة ـ يعظ خليفة

كان عبد الله بن عبد العزيز العمرى (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة فى موسم الحج ، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ممن شهد الموسم ذاك العام ، فأقبل الرشيد بموكبه يسعى ، فالتقى سليل الأمويين بعظيم العباسيين . فلما رقى هارون درجات الصفا ، هتف به ابن عمه حفيد عمر بن عبد العزيز :

ـ يا أمير المؤمنين ، انظر بطرفك إلى البيت .

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التى أقيمت فيما بعد . فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكى وأجاب مخاطبه قائلا : ـ قد فعلت .

فسأله العمرى : كم من الناس ترى ؟

قال الرشيد : ومن يحصيهم إلا الله !

قال العمرى : ـ اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحـد من هؤلاء يسأل فى القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك مسئول عن الجميع ، فانظر كيف تكون . . .

فبكى هارون بكاء لم يبك مثله فى حياته .

موجة الانحلال

والصحف الدائبة على تغذيتها

لاحظ الرأى العام الإسلامى فى مصر والأقطار الإسلامية خلال الفترة الأخيرة أن موجة من الانحلال بدأت تجتاح الأخلاق العامة ممثلة فى كثير من الصحف والمجلات المصرية .

فقد دأبت بعض الصحف على نشر صور خليعة ، ومناظر فاضحة ، وقصص مثيرة للغرائز المنحطة ، وموضوعات تدفع إلى الإلحاد والتحلل الخلق والانحلال النفسى ، مما كان له أسوأ الأثر فى نفس كل غيور على العقائد والأخلاق .

فهذه مجلة تدعو إلى فتح بيوت الدعارة . وأخرى تدعو المرأة إلى الخطيئة بدافع الحرية ، لأن الحرية فى نظر الكاتب هى حرية الخطيئة . وثالثة تدعو إلى إنكار وجود الله والسخرية من الأديان والمتدينين . ورابعة تهزأ بمشايخ المسلمين فى شكل ريبورتاج عن الوعظ فى مسجد السيدة زينب . وخامسة تدعو إلى الهزء بمشايخ الدين الإسلامى متخذة موضوعا بعينه (الشيخ متلوف) كهدف لحملتها . وسادسة تنشر القصص الجنسية الإباحية التى تدمر أخلاق القراء فضلا عن الناشئة الصغار .

وقد ضج الناس بالشكوى لهذا الاتجاه الساقط المشين ، فى الوقت الذى يحتاج فيه الوطن إلى التفرغ لقضاياه الكبرى وتعبئة الشعور العام وتكتيل القوى المختلفة لمجاهدة أعداء البلاد والنهوض بمستواها الاجتماعى والأخلاقى .

ومثل هذه التيارات المحرضة على التحلل والرذيلة من أخطر عوامل الهدم والتعويق فى نهضات البلاد والشعوب ، وهى كفيلة بالقضاء على روح هذه الثورة العظمى فى يسر وسهولة ، إذ كيف ينتفع بشباب فى بناء وطنهم وهم يلقنون الفسق والانحلال والإلحاد والكفر بالمبادئ السامية عيانا بيانا على صفحات الصحف والمجلات فى كل يوم .

ونحن نؤمن بأن مقاومة هذه التيارات الخبيثة هو وحده الكفيل برفعة شأن هذه الأمة ، والمحافظة على ثورتها نصا و روحا ، فضلا عن تهيئة المواطنين للسير فى طريق أفضل .

وإن نظرة واحدة تلقى على النماذج التى التقطناها من بعض الصحف والمجلات كأمثلة لما ينشر — ليبين بجلاء الخطر الداهم الذى يهدد مجتمعنا وثورتنا ومستقبلنا من جراء انتشار هذا الاتجاه وعدم القضاء عليه .

إن نشر هذه الأشياء فوق معارضته للروح القومية ومنافاته للآداب العامة مخالف أيضا لروح القانون ونصه .

وقد ذيلنا هذا البيان ببعض الأمثلة المتعلقة بهذا الموضوع .

ولنا وطيد الأمل فى أن نجد من الشهامة والغيرة على الأعراض والأخلاق ومستقبل الأبناء والروح القوية العامة ما يعين على تحقيق هذا الأمل الذى يتطلع إليه الرأى العام الإسلامى .

وقد قرر مجلس إدارة المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى ٥ أكتوبر الحالى إرسال هذا الخطاب إلى الصحف والمجلات والجهات صاحبة الشأن .

بعض ما نشر فى الصحف والمجلات

ما نشر بمجلة صباح الخير :

١ — العدد الرابع فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٦ .

صورة الغلاف وهى صورة امرأة عارية الفخذين وما بينهما مثيرة للغريزة مفسدة للنشء .

٢ — العدد الخامس .

صورة فتاة بهلوانة تلعب على الحبل — بدون لباس — والجمهور يتطلع لها من أسفل مشغولا بالنظر إلى عورتها ، وزميلها يقف على الأرض حاملا لها اللباس ، ويطلب إليها أن تنزل لكى ترتديه .

ما نشر بمجلة روزاليوسف :

١ — العدد ١٤٦٥ ص ١٩ — صورة للشيخ متلوف بعنوان فوائد العمامة ، وقد مثلت الشيخ وقد جعل من شال عمامته حبلا طويلا ينتهى بحلقة ، وقد نشره ليصيد به حسناء تسير على الرصيف الآخر من الشارع .

٢ — العــدد ١٤٦٥ بتاريخ ١٩٥٦/٧/٩ — مقال بعنوان « الله » ينـكر وجود الله ويصف المؤمنين بالغفلة والبله وعدم العقل ، ويحمل فيه كاتبه على الأديان السماوية .

٣ — العــدد ١٤٣٤ بتاريخ ١٩٤٦/٢/٥ ـ مقال بعنوان « القرآن لا يحرم الزواج المدنى ولا يحرم زواج المسلمة من المسيحى » يحاول فيه الكاتب أن يمسخ الشريعة السمحة ويقلبها رأسا على عقب .

ما نشر بمجلة آخر ساعة :

١ — العدد الصادر فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ـ صورة رجل «يفاخذ» امرأة بكل وقاحة تحت عنوان رقصة جديدة .

٢ — نفس العدد ـ ريبور تاج يهزأ فيه كاتبه بمشايخ الدين الإسلامى وبالدروس الدينية وبالنبى الكريم وبناته الكرام .

ما نشر بأخبار اليوم :

١ — العدد الصادر فى ٧/٧/ ١٩٥٦ ـ وبه مقال وقح بعنوان « افتحوا بيوت الدعارة » .

٢ — العدد الصادر بتاريخ ٦ / ١٠ / ١٩٥٦ ـ صورة فى الصفحة الأخيرة تمثل رجلين وامرأة أحدهما يقول للآخر مشيرا إلى المرأة : إذا كنت تعرفها صحيح قل لى السرير بتاعها كم لوح .

٣ — نفس العدد ـ رجل وزوجته متهيآن للنوم فى السرير يقول لها : على فكرة اسمه ايه ده بطل القفز العالى ما فاتشى على النهارده .

ويبدو فى الصورة رجل وقد اختبأ فوق النجفة التى بحجرة النوم مما يدل على أنه كان معها فى المخدع وقت وصول الزوج ثم اضطر إلى القفز لكى يختبئ فوق النجفة .

٤ — نفس العــدد ـ صورة امرأة عارية الفخذين والصدر جالسة فى وضع مثير للغريزة الجنسية وهى ممثلة وبجوارها المخرج جالسا فى حالة ارتباك وكسوف ـ تقول له (لو كنت عارفة انك بتنكسف كده كنت قلت لك تجيب معاك مساعد المخرج) .

٥ — نفس العدد ـ صورة زوجة غانية ومعها زوجها فى حجرة النوم ، يفتح زوجها

الدولاب فيفاجأ برجل أجنبي داخل الدولاب فيقول الزوج له : «أنت هنا . أنا كان بقول الدولاب منور ليه » .

٦ — نفس العدد — امرأة جميلة تقول لخادمتها (محمود بك يمكن ييجى يزورنى النهارده اكنسى تحت السرير كويس) .

ما نشر فى جريدة الأخبار :

العدد المؤرخ ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ الصفحة الأخيرة بعنوان « يوميات الأخبار » يقول فيها الكاتب بالنص « مطلوب فتاة تحب أباها وتشتهيه ، فتاة تعيش حياتها بلا ندم ولا خجل وتحب كل شيء جديد ، مهما كان هذا الشيء ، ولا تحبه أن ينتهى ، فهى تكره النهايات » .

وفى نفس المقال يقول الكاتب على لسان المؤلفة التى يترجم لها « لف ذراعيه حولى وانتزعنى من الزورق بقسوة وغضب وشدنى إلى صدره بقسوة فأسندت رأسى إلى كتفه، وفى تلك اللحظة أحسست بأنى أحبه وعند ما بحثت شفتاه عن شفتى أخذنا نرتجف من اللذة وكانت قبلة طويلة بلا خجل ولا ندم » .

ويقول الكاتب فى نفس اليوميات فى معرض الحديث عن ملكة جمال لبنان : « وكيف ينظر المجتمع فى بيروت إلى المرأة التى أخطأت ، أقصد أن المجتمع المتحضر هو الذى يرى أن من حق المرأة أن تخطئ لأن الحرية هى حرية الخطأ » .

عبد القادر مختار
السكرتير العام لجمعيات الشبان المسلمين

التضحية بالنفس والمال

فى المسند للامام أحمد (٢ : ٢٥٦) من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم . ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » .

من وحى المولد النبوى الشريف

قم فى فم الدنيا وشـد بالمولد ... وبذكر طـه غنّ فيه وأنشـد
وانظم له درر الثنـاء ، قلائدا ... زين بهـا جيد المنى والسؤدد
طـاول بذكراه الزمان ، وأهله ... واصعد بها ما فوق هام الفرقد
طوّف بهـا الآفاق ، يعبق طيبها ... بالمبدإ الأسمى ، ونبل المقصد
هل فى البرية مثل أحمد ماجد ؟ ... كلا ، وإن يرق السماء بمصعد
ملك طهور ، فى الجزيرة مرسل ... هو سيد ، من سيد ، من سيد !

* * *

ميلاد أحمد ، كان أول قطرة ... من غيث ربى للموات الفدفد
مولاى قدما قد وعدت به الملا ... ولأنت أصدق من يفى بالموعد
أنزلته ماء الحيـاة فحـوّل الـ ... ـصخر الأصم إلى النضير الجيد
وبعثت فيه من الجمال طرائفا ... وجعلت فيه من الـكريم المتلد
وافى الورى بالمعجزات ومثلها ... حلف الزمان بأنه لم يشهد
هيا سـلوا التاريخ أية أمـة ... دانت لها الدنيا ، كأمة أحمد؟ ! !

* * *

فى أفق مكة ، قد تألق لامعا ... نجم صغير ، فى المدارة مبتدى
والليل ساج ، والظـلام مخيم ... والـكون ثاو فى فراش المرقـد
والنجم يكبر ، عاليا متلألئا ... فيبدد الظلمـات شر مبدّد
حتى غدا ، والصبح أقبل مشرقا ... شمسا ، تضىء طريقه للمهتدى
عمت حرارتهـا النفوس فأيقظت ... فيها الطموح إلى المقام الأمجـد

فمضت تشق إلى المجادة سبلها ... فى غير ما وهن وغير تردد
صمدوا لها ـ والحادثات كثيرة ـ ... والعاديات أمامهم لم تصمد
مرد الزمان ، فقوموه بصارم ... والدهر لا يصغى لغير مهند
والعرب للدنيا أتوا بحضارة ... وردت بها والله أصفى مورد
من نبعها نهل الأنام بأسره ... وعمارة الدنيا بها لم تجحد
ومواقف فى الخافقين جليلة ... شهدت بها الأيام أروع مشهد
هذا التراث أمانة محفوظة ... من مسها بالسوء مقطوع اليد
من رام منا أن ينال نذيقه ... ريب المنون بيومه قبل الغد
والحق أقوى من أساطيل الورى ... والويل للباغى الأثيم المعتدى ! !

* * *

زفت بميلاد النبى بشارة ... كبرى لمكة ، فى صباح أسعد
خير البرية من سلالة هاشم ... زين الرجال ، ونخر كل موحد
الله أدّبه وأرشده ، ألا ... أنعم بتأديب الإله المرشد
فعليه من نور المهيمن هالة ... بيضا يواكبها الجلال السرمدى
سجدت قريش للحجارة قربة ... والمصطفى أبدا لها لم يسجد
ملء العيون مهابة ورصانة ... وحديثه فصل الخطاب الأسدد
إن زار عينيه الكرى فى ليلة ... فالقلب بين ضلوعه لم يرقد
رقت جوانبه ، فأنة بائس ... تمضى كسهم للفؤاد مسدد
بالخير ينبض قلبه ، وبخشية ... وبرأفة ، وبرحمة ، وتودد
واسى المصاب ، مخففا من بؤسه ... وتعهد الفقراء ، خير تعهد
كم سائلا أعطى ، ونفس كربة ... وأغاث ملهوفا ، وأغدق من يد
كف تفيض ندى ، وتقطر بلسما ... يأسو الجراح ، ورافد المسترفد
هذى روائعه ، وذلك هديه ... ومناره للسالك المسترشد
ذكرى تجدد للنفوس يقينها ... وتبدد الأوهام كل مبدد

حف الكمال بها وقدس سرها … فتبوأت فى الخلد أسمى مقعد

يا دورة الدنيا ، قفى بتأدب … للذكريات، وأنت ياعليا اسجدى !

* * *

لاقى من القوم الغلاظ شدائدا … متكبدا آلامها بتجلد

وهب الحياة لخير أمته ، ومن … يهب الحياة لخيرها يتكبد

يلقى الأذى منهم بصبر نادر … يدع المسىء لناره فى موقد

يدعو إلى الله الكريم بحكمة … قوما أشد من الأصم الجلمد

زادوا أذى ، فازداد غفرانا لهم … والصفح يحلو للكريم المحتد

كسروا رباعية الرسول وأهرقوا … دمه فسال على الأديم الأسود !

لكنه ـ والظلم جاوز حده ـ … والجرح ساخنة به ، لم تبرد

يدعو لهم رب البرية قائلا … رب اهد قومى للطريق الأرشد !

بحر خضم بالمكارم زاخر … يلقى المكاره صافيا ، لم يزبد

ياليت شعرى ـ هل يكون المصطفى … إلا ملاكا يحمل اسم محمد ؟ !

* * *

حسب ابن عبد الله مفخرة له … تحريره للعالم المستعبد

فك العقول من الإسار بهمة … ومضى يوجهها لأشرف مقصد

والدين يوم الفتح عز بمكة … فى مشهد ، أعظم به من مشهد

وبجحافل الإسلام حول نبيهم … مثل الكواكب فى رحاب المسجد

وكبار مكة قد علتهم صفرة الأ … موات فى هم مقيم مقعد !

والبيت ينتفض انتفاضة صائح … يا دولة الشرك اذهبى وتبددى

فتهاوت الأصنام من عليائها … فى حسرة من أهلها وتنهد

والبيت عاد مطهرا من لوثة … لصقت به منذ الزمان الأبعد

والعزة العلياء راحت تزدهى … وتروح فى كنف الرسول وتغتدى

والخلد نادى من سما عليائه ... يادولة الإسلام عزى واخلدى
سودى على الدنيا ، وعزمك صادق ... فى زجر من يعصى ، وهدى الملحد
ولسان حال الكون يهتف قائلا ... الله أكبر ، يا ربى الدنيا اسعدى !

* * *

يا أمة الإسلام تيهى وافخرى ... بمحمد ، فى يوم عيد المولد
وازهى على الدنيا به ، وتهللى ... واستشعرى العليا ، ولا تترددى
لك فى رسول الله أعظم قدوة ... فحذار عن مجد الألى أن تقعدى
فالمرء إمّا أن يعيش لمجده ... أو يستريح بلحده فى المرقد !

* * *

يا سيد الرسل الكرام تحية ... أرجو قبول تحيتى يا سيدى
أرجو الشفاعة منك فى يوم الجزا ... والكرب مشتد ، ولم أتزود
إنى ضعيف ، والذنوب كثيرة ... وهناك سعى المرء ينفع فى الغد
عمل يجنبنى عذاب جهنم ... عمل الشكور الصابر المتعبد
لكن لى فى الله أى مؤمل ... حاشا أضام ، وخيره لم ينفد
رب كريم غافر لعباده ... مالى سواه ، وغيره لم أقصد !

محمود ابراهيم طيره

كلمة مجاهد

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

الحصين بن الحمام

نـــداء

من شيخ الأزهر وعلمائه

فى هذه الساعات التى يسجل فيها التاريخ على حكومات الاستعمار بغيها السافر ، ونبذ العهود، وانتهاك الحدود، وإهدار المبادئ الإنسانية، وبعثها العصابات الصهيونية إلى العدوان الغادر على أرض الكنانة ، يعلن شيخ الأزهر وعلماؤه أن هذا السلوك الشائن الذى يسلكه المستعمرون، وما يفتنون فيه من الكيد لمصر، إفساد فى الأرض، وإشاعة للشر ، وسعى إلى إثارة حرب فى بلاد العروبة والإسلام، لو استعرت نارها وامتد لظاها فسيكونون أول من تدور عليهم الدوائر .

وإن على العالم شرقيه وغربيه ، وعلى كل من له وازع من ضمير أو رادع من دين أن يعمل على ردء هـذا الخطر عن الإنسانية ، فأن خلافة العالم عن الله فى أرضه تلزمه أن يتكاتف أمام القوى الطاغية درءا للشر ، وحفظا للسلام، وحماية لحقوق الإنسان .

وليعلم الباغون أن صـد العدوان والدفاع عن النفس أمر فطرى تبعثه طبيعة الـكائن الحى ، وتأمر به شرائع السماء .

وان الذى يتخاذل عن صد الباغين، ولا يقف فى صف الذائدين عن حماهم، المدافعين عن أوطانهم ، مهما اختلفوا معهم فى لون أو دين ، إن هم إلا خارجون على حدود الإنسانية، محادون للشرائع السماوية .

وإن على الذين أوتوا الـكتاب فى أمم الاستعمار ، أن يحذروا أولى الأمر فى شعوبهم من مغبة العدوان الغاشم، وأن يبثوا فى نفـوس أبنائهم ما تدعو إليه الأديان من مبادئ السلام ، وأن يدفعوهم إلى التعاون على إقـرار الحـق لأهله ، والثورة فى وجه الباغين ، فليس على وجه الأرض دين أو وضع اجتماعى يقر البغى أو يدعو إلى الضعة وعـدم الرد على المعتدين . « ولولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وإن من تعاليم الإسلام الأمر بالدفاع والتحذير من العدوان ، قال عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

أيها العرب ، أيها المسلمون :

إن الإسلام اليوم يدعوكم إلى الوقوف أمام طواغيت الاستعمار صفا واحدا كما يقول الله : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ، ويحثكم على الثبات فى وجه العدو والصبر فى جهاده والاستمساك بالتعاون والترابط والاعتصام بحبل الله ، قال عز من قائل : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »،واعلموا أن الله غالب على أمره،ولن يمكن الأعداء ممن ملأ نفوسهم الإيمان بحقهم، وقد ضمن لهم أنه معهم بنصره وتأييده فقال: « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

وأنتم أيها المقاتلة المجاهدون، ثقوا بالنصر والفوز، واطمئنوا إلى إيمانكم ،واثبتوا فى جهادكم ،فان الله تعالى يقول: « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . ولا ترهبنكم حشود أعدائكم فانهم « لن يضروكم إلا أذى،وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون » .وإن لكم أسوة حسنة فى أسلافكم المجاهدين « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

أيها المصريون :

انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، فقد أصبح الجهاد الآن فرضا عليكم جميعا بكل ما تملكون من نفس ومال وولد ، وقد هيأ الله لكم جيشا قويا تحت قيادة حكيمة حازمة ، فشدوا أزر جيشكم ، وادفعوا عن أنفسكم وأوطانكم ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ما

بحـــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

- ٦ -

شروط العـلة :

ذكر الأصوليون شروطا كثيرة للعلة أو صلها الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول[١] » إلى أربعة وعشرين ، وهـذه الشروط بعضها اتفقت كلمة الأصوليين على اشتراطه ، وبعضها اختلفت كلمتهم فيه ، وسنقتصر هنا على أهم هذه الشروط ، وهى أربعة :

الشرط الأول : أن تكون العلة ظاهرة جلية يمكن التحقق من وجـودها أو عدم وجودها ، وهـذا الشرط لا خلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن العلة علامة على الحـكم ومعرفة له ، فاذا لم تكن ظاهرة فلا تصلح أن تجعل علامة ولا معرفة .

ولهذا صح أن يكون الإسكار علة لتحريم الخمر و وجوب الحد ، لأنه أمر ظاهر يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده ، ولم يصح أن يكون التراضى بين المتبايعين علة لنقل الملـكية فى البدلين لأنه أمر قلبى لا سبيل إلى التحقق من وجـوده أو عدم وجوده ، بل يتعين أن تكون العلة فى ذلك الإيجاب والقبول اللذين هما مظنة التراضى .

الشرط الثانى : أن تكون العلة منضبطة ، والمراد بانضباطها أن تـكون لها حقيقة معينة لا تختلف اختلافا بينا باختلاف الأفراد والأحوال، وهذا الشرط أيضا لا اختلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن مبنى القياس على التسوية بين الأصل والفرع فى علة الحـكم ، فأذا كانت العلة من الأمور التى تختلف باختلاف الأفراد والأحـوال لم يتأت التساوى الذى ينبنى عليه القياس .

---

(١) ص ١٨٢

وعلى هذا لا يصح أن تكون المشقة علة لإباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض، لأن المشقة من الأمور المرنة المضطربة التى تختلف اختلافا بينا باختلاف الأفراد والظروف والأحوال ، وإنما تكون العلة فى ذلك الوصف الظاهر المنضبط الذى يكون مظنة لهذه المشقة ، وهو السفر والمرض .

الشرط الثالث : أن تكون العلة وصفا مناسبا للحكم ، ومعنى مناسبته للحكم أن يكون فى ترتيب الحكم عليه تحقيق المصلحة للعباد أو دفع المفسدة عنهم ، وذلك كالإسكار بالنسبة لتحريم الخمر فأنه أمر مناسب لهذا الحكم ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه وتشريعه عند وجوده ، تحقيق مصلحة للعباد، وهى حفظ العقول، أو دفع مفسدة عنهم، وهى زوال العقول .

وكذلك القتل العدوان فانه أمر مناسب للحكم ، وهو وجوب القصاص من القاتل المعتدى ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه تحقيق منفعة للعباد ، وهى حفظ الأرواح و إخلاء العالم من الفساد ، أو دفع مفسدة عنهم ، وهى إهدار الدماء ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس .

وبناء على هذا الشرط لا يصح التعليل بالأوصاف التى لا مناسبة بينها وبين الحكم : كتعليل التحريم فى الخمر بكون الخمر سائلا أحمر أو معبأ فى أوان زجاجية أو غير زجاجية ، وتعليل وجوب القطع فى السرقة بكون السارق غنيا والمسروق منه فقيرا، وتعليل وجوب القصاص فى القتل العدوان بكون القاتل رجلا أو امرأة وما أشبه ذلك من الأوصاف التى لا مناسبة بينها وبين الحكم .

الشرط الرابع : أن لا تكون العلة قاصرة على الأصل ، ومعنى هذا أن يكون الأمر الذى علل به حكم الأصل مما يمكن وجوده فى غيره من المحال ، وذلك لأن ما يشرع الحكم لأجله إذا كان قاصرا على المحل الوارد فيه النص أو الإجماع لم يتأت القياس، إذ القياس لابد فيه من اشتراك الأصل والفرع فى علة الحكم، فاذا كانت العلة لا تتعدى الأصل ولا توجد فى غيره لم يتحقق القياس لانعدام العلة فى الفرع . ومن أمثلة ذلك إباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض فانه معلل بالسفر والمرض ومرتبط بهما وكلاهما قاصر على الأصل لا يتعداه إلى غيره لأن السفر لا يوجد إلا فى مسافر والمرض لا يتحقق

إلا فى مريض، فلا يصح أن يقاس عليهما غيرهما كصاحب المهنة الشاقة: كالخباز والوقاد ونحوهما لانعدام علة الحكم فيه وهى المرض أو السفر.

هذا: وقد حكى كثير من الأصوليين اختلاف العلماء فى هذا الشرط، وأن منهم من ذهب إلى اشتراطه فمنع التعليل بالعلة القاصرة؛ وهم جمهور الحنفية وبعض الشافعية: كأبى بكر القفال الشاشى والحليمى؛ ومنهم من ذهب إلى عدم اشتراطه فأجاز التعليل بالعلة القاصرة، وهم جمهور الشافعية وبعض الحنفية: كمشايخ سمرقند وصاحب الميزان وكثير من المتأخرين كالكمال بن الهمام. وأوردوا أدلة كل من الفريقين، وذكروا منشأ النزاع والفائدة التى تترتب على هذا الخلاف.

والحق أنه لا يوجد بين العلماء نزاع فى اشتراط هذا الشرط ما دام المقصود هو علة القياس التى هى ركنه وأساسه، لأن علة القياس لا بد أن تكون متعدية حتى يتحقق القياس، وإنما النزاع بينهم فى اللفظ والتسمية، فالحنفية يسمون التعليل بالعلة القاصرة إبداء حكمة لسرعة الإذعان وزيادة الاطمئنان بالأحكام الشرعية، ولا يسمونه تعليلا، لأن التعليل عندهم مرادف للقياس، والقياس لا يتحقق بالعلة القاصرة. والشافعية يسمونه تعليلا بمعنى استخراج المناسب وإبداء الحكمة؛ لأن التعليل عندهم أعم من القياس، فهو شامل له ولاستخراج المناسب وإبداء الحكمة، فالذى منعه الحنفية فى العلة القاصرة هو التعليل بمعنى القياس دون التعليل بمعنى إبداء الحكمة، والذى أجازه الشافعية هو التعليل بمعنى إبداء الحكمة دون التعليل بمعنى القياس، فلا خلاف بينهم فى المعنى، لأن مراد المانع من التعليل بالعلة القاصرة منع القياس والتعدية بها، وهذا لا يخالف فيه من أجاز التعليل بها، ومراد من أجاز التعليل بها استخراج المعنى المناسب للحكم وإبداء الحكمة فى تشريعه وهذا لا يمنعه من منع التعليل بالعلة القاصرة.

يقول الكمال بن الهمام فى كتابه التحرير مع شرحه لابن أمير حاج مع شىء من التصرف: «ولا شك أن الخلاف لفظى فقيل: لأن التعليل هو القياس باصطلاح الحنفية، وهو أعم من القياس باصطلاح الشافعية، فالنافى لجواز التعليل بالقاصرة يريد به القياس، وهذا لا يخالف فيه أحد إذ لا يتحقق القياس عند أحد بدون وجود العلة المتعدية، والمثبت لجواز التعليل بها يريد به ما لم يكن قياسا، والظاهر أن هذا لا يخالف فيه أحد أيضا، فلم يتوارد النفى والإثبات على محل واحد فلا خلاف فى المعنى، ولأن الكلام

فى علة القياس ، لأن الـكلام فى شروطه وأركانه التى منها العلة ، ولا شك أن النافى فى هذا السياق لا يريد إلا علة القياس ، ولا نزاع بين الفريقين فى هذا ، وإلا فلهم كثير مثله من اثبات العلة القاصرة فى الحج وغير الحج كما فى الرمل فى الأشواط الثلاثة الأول ، وكان سببه إظهار الجلد للمشركين حيث قالوا أضناهم حمى يثرب ثم بقى الحكم بعد زوال السبب فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده . لـكن ربمـا سمى الحنفية التعليل بالقاصرة إبداء حكمة لا تعليلا ، تمييزا بين القاصرة والمتعدية » (١) .

مسالك العلة

المراد بمسالك العلة : الطرق والأدلة التى يتوصل بها إلى معرفة العلة ، وذلك لأن القياس لمـا كان لا يكتفى فيه بمجرد وجود الجامع بين الأصل والفرع ، بل لا بد فيه من دليل يدل على اعتباره ، احتاج العلماء إلى بيان مسالك العلة وطرقها الدالة عليها .

وقد اختلفوا فى عدد هذه المسالك ، فبعضهم قال هى عشر ، وبعضهم زاد على ذلك ، وبعضهم نقص ، كما اختلفوا فى تقديم بعضها على بعض ، فبعضهم قـدم مسلك الإجماع على مسلك النص لأنه أرجح من ظواهر النصوص ، إذ هو لا يتطرق إليه احتمال النسخ ، وبعضهم قـدم مسلك النص على مسلك الإجماع نظرا إلى أنه أشرف من غيره ، وهـذا ـ كما يقول الشوكانى ـ مجرد اصطلاح فى التأليف ولا مشاحة فيه [٢] ، وسنورد هنـا أهم هذه الطرق وهى ثلاثة :

١ ـــ النص من الكتاب أو السنة ، فاذا دل نص من الكتاب والسنة على أن وصفا من الأوصاف علة لحكم من الأحكام ، كان ذلك الوصف علة لذلك الحكم ، ويقال للعلة الثابتة بواحد منهما علة منصوصة . ودلالة النص على أن الوصف علة قد تكون بطريق الصراحة ، وقد تكون بطريق الإيمـاء أى الإشارة والتنبيه .

فالدلالة على العلة بطريق الصراحة أن يدل اللفظ الوارد فى النص على العلة بوضعه اللغوى وأمثلتها كثيرة ، منها : قول الله تعالى ـ بعد أن قص نبأ ولدى آدم عليه السلام ـ

---

(١) التقرير والتحبير ج ٣ ص ١٧٠ وانظر أيضا نهاية السول مع سلم الوصول للمرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ج ٤ ص ٢٤٥ ـ ٢٥٣ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٨١

(٢) ارشاد الفحول للشوكانى ص ١٨٤

« من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (١) » فان لفظة : « من أجل » فى هذه الآية الكريمة تدل على أن العلة فى هذا الوعيد الشديد هو ذلك الجرم العظيم وهو القتل العدوان الذى ارتكبه بعض أولاد آدم عليه السلام ، ومنها قوله تعالى : - فى تقسيم الفىء - « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم [٢] » فان كلمة « كى » فى هذا النص تدل على أن العلة فى تقسيم الفىء على هذا الوجه هى أن لا يكون المال متداولا بين الأغنياء ويحرم منه الفقراء ، والمعنى جعلنا هذه الجهات مصارف للفىء حتى لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء كما كان ذلك سائدا فى الجاهلية، حيث كانوا يجمعون للرئيس نفائس الغنائم فكان يأخذ ربعها لنفسه ثم يصطفى منها بعد الربع ما يشاء حتى قال قائلهم :

لك المرباع منها والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول [٣]

ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى من أجل الدافة التى دفت فكلوا وادخروا » فان كلمة « من أجل » فى الحديث الشريف تدل لغة على أن العلة التى من أجلها نهى الرسول عن ادخار لحوم الأضاحى هى التوسعة على الطائفة الفقيرة التى وفدت على المدينة حينذاك [٤] .

وقوله عليه الصلاة والسلام فى طهارة سؤر الهرة « وهو ما يبقى من الماء بعد الشرب » : (إنها من الطوافين عليكم والطوافات) (٥) فان لفظة « إنها » فى الحديث تدل لغة على أن العلة فى طهارة الهرة هى مخالطتها للناس وعدم إمكان التحرز عنها .

---

(١) آية ٣٢ من سورة المائدة .

(٢) آية ٧ من سورة الحشر .

(٣) وهذا البيت لعبد الله بن عنمة الضبى يخاطب به بسطام بن قيس ، والنشيطة : ما أصاب الرئيس فى الطريق قبل أن يصل إلى مجتمع الحى ، والفضول : ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما ، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٨ ص ١٦

(٤) نيل الأوطار للشوكانى ج ٥ ص ١٠٨ ، والاحكام لابن حزم ج ٨ ص ٩١ .

(٥) منتقى الأخبار مع نيل الأوطار ج ١ ص ٣١ .

ودلالة النص بطريق الإيمـاء أن يدل اللفظ على أن الوصف علة بقرينة من القرائن كترتيب الحكم على الوصف واقترانه به بحيث يتبادر من هـذا الاقتران أن الوصف علة للحكم الذى اقترن به . ومثال ذلك قول الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١) فان ترتيب الحكم الذى هو القطع على الوصف الذى هو السرقة بالفاء يومئ ويشير إلى أن السرقة علة لوجوب القطع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لايقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » (٢) فان اقتران النهى عن القضاء بالغضب فيـه إشارة إلى أن العلة فى هـذا النهى هى الغضب ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لايرث القاتل » فان ذكر القتل مع الحرمان من الميراث يفهم منه أن القتل علة للحرمان من الارث .

٢ — الإجماع : فاذا اتفق المجتهدون فى عصر من العصور على أن وصفا ما علة لحكم من الأحكام الشرعية كانت علية ذلك الوصف للحـكم ثابتة بالإجماع . ومن أمثلة ذلك إجماع المجتهدين على أن الصغر علة للولاية على الصغير فى ماله ، فيقاس عليهـا الولاية فى الزواج ، وإجماعهم على أن العـلة فى تقديم الأخ الشقيق على الأخ لأب فى الميراث هى امتزاج النسبين : النسب من جهة الأب ومن جهة الأم، فيقاس على ذلك تقديمه عليه فى ولاية التزويج .

٣ — المناسبة : والمراد بهـا أن يكون بين الوصف والحكم ملاءمة بحيث يترتب على تشريع الحكم عند وجوده تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من تشريع الحكم وهى جلب منفعة للعباد أو دفع مفسدة عنهم .

وهذا المسلك لايلجأ إليه المجتهد إلا عند عدم النص والإجماع على أن الوصف علة : كأن يرد نص شرعى بحكم ولم يدل نص ولا إجماع على علته ، فيبحث المجتهد فى الأصل عن الأوصاف المناسبة للحكم، فاذا وجد وصفا ظاهرا منضبطا مناسبا للحكم جعله علة له ، وعمدته فى ذلك المناسبة التى بين الوصف وبين الحكم .

---

(١) آية : ٣٨ من سورة المـائدة .

(٢) المصدر السابق جـ ٨ صـ ٢٢٧ .

مثال هذا : ثبوت الولاية للأب فى تزويج ابنته البكر الصغيرة فانه حكم شرعى ثابت بالإجماع ، ولم يدل نص ولا إجماع على علة فيه ، و يوجد فى محل الحكم وصف ظاهر منضبط مناسب لهذا الحكم وهو الصغر لأنه مظنة العجز عن إدراك المصلحة ، وفى ثبوت الولاية بناء عليه دفع الضرر عن العاجز ، وهو من المصالح المقصودة للشارع ، فيكون علة لهذا الحكم لوجود المناسبة بينهما .

أقسام الوصف المناسب : وقد قسم الأصوليون الوصف المناسب بالنظر إلى شهادة الشارع له بالملاءمة وعدمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وصف مناسب شهد الشارع باعتباره ، ويسمى هذا عند بعض العلماء « بالمناسب المؤثر » [١] ويصح التعليل به باتفاق العلماء ، ومثاله الصغر فأنه وصف مناسب لثبوت ولاية التزويج على الصغير والصغيرة ، ولم يدل النص ولا الإجماع على أنه علة لهذا الحكم ، ولكننا وجدنا الشارع اعتبره علة فى محل آخر وهو الولاية على المال ، فيكون هذا شهادة من الشارع له بالاعتبار لأن الولاية على المال وولاية التزويج من جنس واحد وهو الولاية .

القسم الثانى : وصف مناسب شهد الشرع بالغائه ويسمى هذا « بالمناسب الملغى » ولا يصح التعليل به باتفاق العلماء . ومثلوا له بما روى أن بعض ملوك الأندلس أفطر فى شهر رمضان بغير عذر فأفتاه يحي بن يحي الليثى « تلميذ الإمام مالك وفقيه الأندلس فيما بعد » : بأنه لا كفارة له إلا بصيام شهرين متتابعين ولم يفته بالتخيير بين الصوم والإعتاق كما هو مذهب إمامه مالك ، وعلل هذه الفتوى بأن الصوم فيه مشقة على ذلك الملك وهو الذى يزجره ويمنعه من العود إلى الإفطار . أما الإعتاق فهو سهل عليه وليس فيه إضرار به فلا يكون زاجرا ولا مانعا له من العود إلى الإفطار وانتهاك حرمة الصيام .

فان هذا الإمام الجليل جعل سهولة العتق على ذلك الملك وعدم إضراره به علة لعدم صحة الإعتاق منه ، وألزمه بالصيام فقط لمشقته عليه وتضرره به ، ولا شك فى أن ذلك مناسب للحكم لما يترتب عليه من المصلحة وهى الزجر عن ارتكاب المعاصى والمحافظة على فرائض الله ، ولكن الشارع ألغى اعتبار ذلك فى الكفارة ، لأنه لما أوجب عتق الرقبة

---

(١) راجع التقرير والتحبير ج ٣ ص ١٥٩ .

ابتداء على الأعرابى الذى أفطر عمدا فى رمضان ولم ينظر إلى أن العتق مما يسهل عليه أو لا يسهل ويتضرر به أو لا يتضرر ، فكأنه ألغى النظر إلى سهولة العتق وعدم سهولته وإلى التضرر به وعدمه [١] .

ويمكن التمثيل لهذا أيضا بما لو قال قائل : إن البنت تساوى الابن فى الميراث وعلل هذا بتساويهما فى القرابة ، فان التساوى فى القرابة وصف مناسب لهذا الحكم ، ولكن الشارع ألغى اعتباره فى الميراث حيث نص على أن للذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين .

القسم الثالث : وصف مناسب لم يشهد الشارع باعتباره ولا بالغائه ويسمى هذا «بالمناسب المرسل» أو المصلحة المرسلة . وفى جواز التعليل به وبناء الحكم عليه اختلاف بين الفقهاء سيأتى بيانه فى الكلام على المصلحة المرسلة إن شاء الله تعالى ما

زكى الدين شعبان
المدرس بحقوق عين شمس

مزقوا أعداءنا

دع سمائى فسمائى محرقة — دع قنالى فمياهى مغرقة
واحذر الأرض فأرضى صاعقة

هذه أرضى أنا — وأبى مات هنا
وأبى قال لنا : — مزقوا أعداءنا
أنا عملاق قواه كل ثائر — فى فلسطين وفى أرض الجزائر
والملايين.. وشعوب كالبشائر — تنبت الأزهار من بين المجازر
دع سمائى فسمائى محرقة — دع قنالى فمياهى مغرقة
واحذر الأرض فأرضى صاعقة

كمال عبد الحليم

---

(١) التحرير مع شرح التيسير حـ ٣ ص ٣١٤ ونهاية السول مع سلم الوصول حـ ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ .

التصـــــوف

بين التأييد والمعارضة

التصوف من الأمور التى جنى عليها شطط الإفراط والتفريط ، فقد غلا فيه أحباؤه ، وغلا فى مهاجمته أعداؤه ، فضاع وجه الحق فى الحكم له أو عليه ؛ اللهم إلا عند الذين لا تستخفهم حماسة المحبة أو العداوة ؛ بل يستبينون طريق الصواب فى حكمة ورشاد .

غلا أحباء التصوف فى مناصرته والإشادة به ، فاعتبروه ملح الكون ، ونور القلب ، وصلاح النفس ، وطريق الهداية الحقيقية ، وسبيل الوصول إلى النور والرضوان العميم ، ووضعوا فى ذلك كتبا يشتط بعضها ويشتط حتى يكون شططه كفرا صراحا أو قريبا من ذلك ، وكم تئن رفوف المكتبات الإسلامية من كتب خبيثه تحمل اسم التصوف ، وهى فى الحقيقة تطوى صفحاتها على الأباطيل والأضاليل ، مما يكيد للاسلام أو يناقضه .

وغلا أعداء التصوف فى مهاجمته وإنكاره ، فحكموا عليه بأنه وثنية ومجوسية ، وأنه كفر وإشراك ، وأنه بهتان وتهاويل ، لا نصيب فيه للحقيقة أو الصواب ، وعمموا حكمهم هذا على من سلف ومن خلف ، ومن اعتدل ومن أسرف .

وهذا مهاجم للتصوف يقول فيه بالحرف الواحد : « إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله فى حربه لله ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفى العداوة للدين الحق . فتش تجد فيه برهمية وبوذية وزرادشتية ومانوية وديصانية ، تجد أفلوطينية وغنوصية ، تجد فيه يهودية ونصرانية ، ووثنية جاهلية ، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف فى جرأة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيضل غير المخلصين من عباده ، تجد فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفرا جديدا مكحول الإثم متبرج الغواية متقتل الفتون ، ثم سماه للمسلمين (تصوف) ، وزعم لهم ـ وأيده فى زعمه القدامى والمحدثون من الأحبار والرهبان ـ أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا فى الإسلام » !! .

وهذا الغـلو فى المنـاصرة أو فى المناهضة يذكرنا بالغـلو فى الحب أو البغض لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد أسرف قوم فى حبه حتى ضلوا وأضلوا ، وأسرف قوم فى بغضه حتى ضلوا وأضلوا ، وأخبرنا هو فى بعض ما ينسبونه إليه أنه يهلك فيه اثنان : أحـدهما محب مسرف فى حبه ، والآخر مبغض مسرف فى شنآنه ؛ فكلاهما على غير صواب .

يقول الإمام على « فى نهج البلاغة » :

« وسيهلك فىّ فريقان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير النـاس فىّ حالا النمط الأوسط ، فالزموه ، والزموا السواد الأعظم ، فأن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب ؛ ألا من دعا إلى هـذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتى هذه [١] » ! ! .

ولو أننـا جانبنا الإسراف فى أحكامنا وأقوالنا وأعمالنا لاستقمنا على الطريق . . . ولو تذكرنا أن الضـلال قرين الإفراط والتفريط لعرفنا سبيل الهدى . . . ولو عرفنا التوسط والاعتـــدال فى تنـاول الأمور والحكم على الأشياء لأنصفنا الحق وفزنا بالحقيقة . . .

إن الحق تبارك وتعالى يحدثنا ممتنا علينا بأنه قد جعلنا أمة وسطا غير غالية ولا مسرفة ، وغير مفرطة ولا مفرّطة ، فقال عز من قائل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » . وفى قصة أهل الجنة جعل القرآن الـكريم رأى الأوسط منهم هو الرأى الرشـيد السديد : « قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون » . وأوصى الله سبحانه بالحرص على الصلوات عامة ، ثم خص الصلاة الوسطى بوصية خاصة ، فقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ، وقال المفسرون : إنها سميت الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرا ، ولذلك خصت بالمحافظة عليها .

وحينما كلف الله عباده بكفارة الإطعام جعلها من الطعام الوسط ، فقال تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليـكم » ، بل حينما أثنى الله على الخيل المجاهدة ذكر من حسناتها أنها تتوسط الجمع ، فلا تنأى عن الحومة يمينا أو شمالا :

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢ .

« فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » ، أى أن مادة « الوسط » ترد فى القرآن الكريم فى مواطن الرضا والاختيار والثناء . . .

وفى الحديث كما نقل ابن الأثير فى النهاية : « خير الأمور أوساطها » وقد قيل فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم إنه من أوسط قومه ، أى من أفضلهم وخيارهم ، لأن الوسط هو العدل والخيار ، وذلك لأن الزيادة على المطلوب فى الأمر إفراط ، والنقص عنه تفريط وتقصير ، وكل من الإفراط والتفريط ابتعاد عن سواء السبيل ووسط الطريق ، وهو شر ومذموم ، فالخيار هو الوسط بين طرفى الأمر ، أى التوسط بينهما .

وقد علل مجد الدين ابن الأثير أفضلية التوسط تعليلا حكيما بليغا حيث قال :

« كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان ، فأن السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتعرى منه والبعد عنه ، فكلما ازداد منه بعدا ازداد منه تعريا ، وأبعد الجهات والمقادير والمعانى من كل طرفين وسطهما ، وهو غاية البعد عنهما ، فاذا كان فى الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان » .

ومن المؤسف أن الأمة التى يحدثها قرآنها المجيد هذا الحديث عن الوسط والتوسط ، ويحدثها رسولها الكريم عنهما كذلك ، ويشرح لها علماؤها ما فى التوسط من عدل وفضل وخيار ، هذه الأمة اليوم لا تعرف فى أمورها أو أقوالها أو أعمالها هذا الاعتدال ، بل هى ـ إلا من رحم ربك ـ تميل إلى أحد الجانبين : الإفراط أو التفريط ، فتند عن الهدى والرشاد . . .

يتعرض « تفسير المنار » للحديث عن قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فيذكر أن المسلمين الحقيقيين خيار وعدول لأنهم وسط ، وليسوا من أرباب الغلو فى الدين ، ولا من أرباب التعطيل ، وهم كذلك فى الأخلاق والأعمال ؛ ثم يقول :

« ذلك أن الناس قبل ظهور الإسلام على قسمين : قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية المحضة ، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية ، كاليهود والمشركين ، وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية ، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات .

وأما الأمة الإسلامية فقـد جمع الله لهـا فى دينها بين الحقين : حق الروح وحق الجسد ، فهى روحانية جثمانية ، وإن شئت قلت إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية ، فان الإنسان جسم وروح ، حيوان وملك ، فكأنه قال : جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقين ، وتبلغون الـكمالين ، لتكونوا شهداء بالحق على الناس الجسمانيين بمـا فرطوا فى جنب الدين ، والروحانيين إذ أفرطوا وكانوا من الغالين. تشهدون على المفرطين بالتعطيل القائلين : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلـكنا إلا الدهر) بأنهم أخلدوا إلى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية ، وتشهدون على المفرطين بالغلو فى الدين القائلين : إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لهـا ، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلى عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس، وحرمانها من جميع ما أعده الله لهـا فى هذه الحياة .

تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية . . . تشهدون على هؤلاء وهـؤلاء ، وتسبقون الأمم كلها باعتدالـكم وتوسطكم فى الأمور كلها . ذلك بأن ما هديتم إليه هو الـكمال الإنسانى الذى ليس بعده كمال ، لأن صاحبه يعطى كل ذى حق حقه : يؤدى حقوق ربه ، وحقوق نفسه ، وحقوق جسمه ، وحقوق ذوى القربى ، وحقوق سائر الناس » .

* * *

ليت المسرفين فى مناصرة التصوف أو مناهضته يتأدبون بهـذا الأدب الإلهى لـكى يستطيعوا أن يقولوا فى التصوف كلمة الحق بلا مجاملة أو اعتساف .

إننا نستطيع إذا أخـذنا بسنة التوسط والاعتدال أن نقول إن التصوف النقى السليم من التحريف والتزيد والادعاء قد يهدف إلى تحقيق معنى « الإحسان » الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف المروى فى كثير من كتب الصحاح والذى قص علينا مساءلة جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليـه وسلم ، وحينما سأله عن الإحسان أجابه الرسول قائلا : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تـكن تراه فانه يراك » .

وقد ذكرت فى رسالتى « فى رحاب الصوفية » عبارة شرحت بها هـذا التعبير النبوى الـكريم فقلت : « معناه أن الإحسان فى العبادة وفى محاسبة النفس ومراقبة الله والخشية

منه والتذكر له باستمرار ، هو أن يستشعر الإنسان فى نفسه حين حركاته وسكناته وأقواله وأعماله ، كأنه يطالع وجه ربه ، ويراه أمامه ، وهو رب الأرباب ، وسيد الأسياد ، ومالك الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وديان العالمين ، فلا يكون من المرء إلا كل ما يحمد ويستطاب ، لأن هاديه الأعلى معه على الدوام ، وتلك منزلة لا يبلغها إلا القلة القليلة المصطفاة من خيار العابدين المؤمنين الموقنين ، فان وصلت إليها فقد بلغت من الكمال الإنسانى شأوا لا يستطاع للجميع ولا يرام ، وإن حالت حوائل ، أو قامت عوائق بينك وبين تلك الدرجة العليا ، فعندك درجة تخلفها وتتلوها ، وهى أن تعبد الله وأنت متذكر حق التذكر أنه يراك ويراقبك ، ويحصى عليك خفقات قلبك وفلتات لسانك ولمحات عينك وخطوات رجلك وحركات يدك وسائر تصرفاتك .

ومن تنبه لذلك فى عمله وقوله ، وحركته وسكونه ، خشى وخاف ، وخشع وارتدع ، لأنه يعلم أن القادر على كل شىء يرقبه ويلحظه ، فيحيا فى نفسه الحياء والخجل من أن يرتكب محظورا ، أو أمرا منكورا » ! . .

وأظن أن الهدف من التصوف الصحيح الصادق المبرأ من الأباطيل والأضاليل هو تحقيق هذا « الإحسان » فى نفس المسلم المؤمن ، حتى يكون وثيق الأسباب برب الأرباب .. وأظن أيضا أن هذا التصوير للتصوف لا يغضب أنصاره ، لأن مراتب الإحسان متعاقبة فى السمو والعلو إلى ما شاء الله ، ولا يغضب أعداء التصوف ، لأنه لا غلو فيه ولا جموح ، وهو فى الوقت نفسه يرجع بالتصوف إلى مبدأ دينى وأصل إسلامى هو حديث الرسول .

* * *

نعم إن التصوف كان خلال تاريخنا الطويل وفى بيئاتنا المختلفة مجالا وسيعا فسيحا للادعاء والتزيد والتحريف والتخريف ، فدخلته إسرائيليات وترهات ، واستغله مجرمون خبثاء كأسوأ ما يكون الاستغلال ، وضل به ضالون كأخش ما يكون الضلال ، وأضل به مضلون كألعن ما يكون الإضلال ، ولكن سوء الاستغلال شىء والمبدأ فى حد ذاته شىء آخر ، وواجب المصلحين فى مثل هذه الحال أن يردوا الشارد ، ويصدوا الجامح ، ويؤدبوا الخارج ، ويردوا الأمور إلى نصابها .

وإن من أحوج الأمور إلى التصحيح والتقويم والغربلة فى تراث الأمة الإسلامية هذا التصوف الذى يعد أهله أو المنتسبون إليه بالملايين فى شتى بقاع العالم الإسلامى ، وذلك لأن القائمين فيه على الحق الأصيل والمبدأ الصحيح والطريق المستقيم قليلون ، والضالون فيه أو المضلون به كثيرون ، والذين يخرجون على المبدأ قد يشوهونه فى نظر الناس ، ولكنهم لا يغيرون ذاته ، ولا يبدلون جوهره ، إذ يبقى الحق حقا دائما .

وما أكثر الذين يشوهون سمعة الإسلام عند الذين يجهلونه بسوء تصرفاتهم ، أو قبح أعمالهم ، أو مزور انتسابهم إلى الإسلام . . ولكن دين الله يبقى هو الدين ، وشريعة السماء تظل شريعة السماء بجمالها وجلالها وكمالها : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

* * *

هذا ولعل أكبر مسألة تثير الخلاف بين أنصار التصوف وأعدائه هى مسألة « الشريعة والحقيقة » وهل هناك خلاف بينهما ؟ . . ومن الممكن أن نرجع فى هذه المسألة إلى الحكم الوسط الفاضل ، وهو أن الحقيقة ـ أو مايسميه الصوفية كذلك ـ يجب أن يكون مستمدا من الشريعة ، وداخلا فيها ، وموافقا لأصولها ، وغير خارج على قواعدها ، والصوفية الأصحاء يصرحون بذلك وينصون عليه ، وها هو ذا العلامة برهان الدين البقاعى فى كتابه : « تحذير العباد من أهل العناد » يشير إلى ذلك فى توسع فيقول فيما يقول : « فان المحقين منهم والمحققين بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة ، كما نقل القاضى عياض فى أوائل القسم الثانى من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن رحمه الله أنه قال : إن أقواما قالوا : يا رسول الله ، إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وعنه أنه قال : عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة . . .

وعن أبى عثمان الحيرى أنه قال : من أمر على نفسه السنة قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . وقال سهل بن عبد الله التسترى : أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية فى جميع الأعمال ، وفى كتب القوم كالرسالة والعوارف من ذلك شىء كثير » .

والبقاعى ناقل هذه الأقوال من أشد أعداء التصوف والمهاجمين لرجاله .

ولنتذكر أخيرا أننا حينما نتوسط ونعتدل فى أمر التصوف نخدم التصوف ونخدم الناس ؛ نخدم التصوف لأننا سنجعل أمره ميسورا واضحا معقولا ، لا رموز فيه ولا أحاجى ولا ألغاز ، بل فيه تلك النسمات الرقيقة من الروحانية والمراقبة والخشية والخوف والاتصال الوثيق بالله بارئ الكون وبديع السموات والأرض ... ونخدم الناس ، إذ نفتح لهم بابا سهلا للسمو بأرواحهم والعلو بأخلاقهم ، والنهوض بمستواهم الدينى والنفسى ...

فهل من نصير لدعوة التوسط والاعتدال فى شأن التصوف ؟ ! .

احمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مجلس الازهر الأعلى

يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة

مجلس الأزهر الأعلى المنعقد برياسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية السادة وكيل الأزهر ، ووكلاء وزارات العدل ، والتربية والتعليم ، والأوقاف ، والمالية ، والسكرتير العام للأزهر ، والمستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم ، والمدير العام للغة العربية سابقا ، ومشايخ الكليات ، وجماعة كبار العلماء ، يرى من الواجب الدينى والإنسانى أن يستعرض فى مفتتح جدول أعماله ما استفاضت به الأخبار من تلك الأحداث المنكرة ، وذلك العدوان الفاجر الذى ترتكبه فرنسا مع الشعوب العربية المسلمة من أهل افريقيا الشمالية ، ويستنكر أشد الاستنكار ما تورطت فيه من أعمال وحشية ، وتصرفات ختل وغدر ، ضد شعب الجزائر وزعمائه ، ذلك الشعب الذى نهض يطلب حقه ويدفع عن نفسه ذل الاستعمار وكابوس الاحتلال ، ويعمل على أن يكون حرا مستقلا صاحب سيادة .

ومجلس الأزهر الأعلى يود أن ينبه إلى أنه ينبغى ألا يغيب عن بال زعماء فرنسا وتقدير رجال حكومتهم أنه لا يمكنها ـ بعد اليوم ـ أن تكسب صداقة الشعب الجزائرى ومودته ، ولا أن تنتفع بموارد بلاده ، إلا إذا تركت هذا الشعب العربى الأبى يصل إلى حقه ، ويعلن استقلاله ، ويقرر دستوره ، ويحكم نفسه ، فلتختر فرنسا لنفسها ما تشاء .

الله أكبر – جاء النصر

الله أكبر ، جاء النصر ، وبجلت بشائر الفتح ، جاء الحق ، وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا .

الآن ـ قد تبين الأمر، وظهر للعـالم كله مبلغ بفجور الفاجرين ، وعدوان أهل البغى المستعمرين ، الذين يعبثون بالسلام والأمن، ويسعون بالفساد فى الأرض، لايرعون فى الإنسانية عهدا ولا ذمة، ولا يبالون بتعاليم دينية ولا بأوضاع مدنية : يعتدون على الآمنين فى أوطانهم، ويدكون بالقنابل فى صورة وحشية مدنهم وقراهم ومرافقهم ومنشآتهم وطرق مواصلاتهم : تخريب وتدمير، وتحريق وتقتيل، فى أبشع ما تعرفه همجية برابرة الغزاة ، وقرصنة المتكسبين بالنهب والسلب، وهو ما تنكره أشد الانكار جميع ديانات السماء ، وتمقته كل المقت جميع قوانين الأرض .

ان الذين عاشوا فى تاريخهم القـديم على النهب والغدر والقرصنة : قرصنة الأفراد والوحدات، لايزالون فى تاريخهم الحديث يوغلون فى هذا النهب وهذا الغدر ، ويتفننون فى أساليب هذه القرصنة ، ولـكنها قرصنة يتسلطون بها على الأمم والشعوب .

الآن قد ظهر للعـالم كله أن عداوة بريطانيا وفرنسا لمصر لاتقل عن عداوة إسرائيل، بل هى أشد منها وأخس وأفجر .

ان هاتين الدولتين الغـادرتين قد جهدتا منـذ تأميم شركة قنـاة السويس فى اللف والدوران، لتلمس أسباب السيطرة على هذه القناة، مهما كانت هذه الأسباب ظالمة كاذبة، وتتذرعان لهـذه الغاية بكل وسيلة، مهما تكن مرذولة مفضوحة فى نظر كل من يستحى من رذيلة أو فضيحة .

ولمـا أعيتهما الحيلة للوصول إلى هذه الغاية العدوانية الفاجرة عن طريق مجلس الأمن، أوعزتا إلى إسرائيل بالهجوم على الأراضى المصرية، واقتحام شبه جزيرة سينا، وتهديد قناة السويس، لتتظاهرا بدعوى أن الملاحة فى القناة مهددة بالخطر من أثر هذا الغزو الصهيونى، الذى هو من صنعهما وتدبيرهمـا ، ثم لم تلبثا أن حملتا على مصر بجيوشهما فى البر والبحر والجو حربا ظالمة فاجرة مخربة مدمرة، حينما رأتا أن مصر قد نهضت لدفع الصهيونيين عن أرضها، وأنهـا صممت إن لم يرتدوا على أعقابهم فستسحقهم سحقا، وتذيقهم أشد النكال .

أما بعد ـ فقد تبين للعالم كله أن بريطانيا وفرنسا قوم معتدون باغون أشد العدوان والبغى، وأن أهون ما لطخت به دولتاهما شرف الحكم أنهما ـ كما قال زعيم العمال الإنجليزى ـ قد هبتا تعاونان اللص وتقتلان صاحب المنزل .

ألا فليعلم العالم كله : شرقيه وغربيه أن مصر جادة فى الدفاع عن أرضها، والذود عن حياضها ، وأنها لا يمكن أن تستسلم حتى آخر قطرة من دماء أبنائها ، فأن الدفاع عن الوطن من عناصر الدفاع عن العقيدة والدين .

ولتعلم دول العروبة ودول الشرق أن الاستعمار الذى تقلص ظله عن أراضيهم يريد أن يعيد فيها ذلك الظل الممقوت ، وأن هذا الاستعمار لا يفرق فيهم بين دولة ودولة ولا بين دين ودين ، فليهبوا لنصرة اخوتهم فى مصر ، وليعملوا بكل ما استطاعوا من قوة على الوقوف فى وجه الاستعمار ، وسد موارد حياته ، ودرء شرور هذه الحرب الظالمة التى تدير رحاها فى مصر والشرق : دولتا بريطانيا وفرنسا وجماعة الصهيونية ، والتى يعتدى فيها على كيانهم واستقلالهم .

والله ولينا جميعا ، يمدنا بقوته ، ويؤيدنا بنصره ، وينجز لنا صادق وعده الذى كتبه فى محكم قوله : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

إنه ـ جل شأنه ـ يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وهو القوى العزيز ما

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

الجهـــــاد

فى شريعة الاسلام ـ وتاريخه

حرية العقيدة فى الإسلام :

لقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليـه وسلم هاديا يذكر الناس بالحق من حيث هو حق ، ويرشدهم إلى الخير حيثما كان الخير ، ويبشرهم بمـا يترتب على إقامة الحق والتزام الخير من سعادة فى الحياة ، وخلود فى النعيم الدائم .

والدين الإسلامى هو الذى أعلن المبدأ التالى ، ولم تعلنه ديانات أخرى من ديانات البشر بهذه الصراحة والوضـوح : (لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم)

و « الطاغوت » هو الطغيان . وهو فى اللغة : تجـاوز الحد فى الشر . وفى الدين : الشرك بالله وعبادة الأوثان والملوك والرؤساء . وفى السياسة : ظلم الناس وإخراجهم من أرضهم وديارهم . وفى الحكم : العدول عن الحق ومحاباة ناس بغمط آخرين . كل هذا وأمثاله « طاغوت » . أى طغيان . والإسلام جاء لحمل الانسانية على وضع حد له ورفعه من الأرض . والنزول على أحكام الله وسننه واتباع رسالاته .

وحتى العلم ـ وهو من كبريات الفضائل ـ إذا مال صاحبه إلى الهوى وجار عن القصد كان طغيانا . وفى حديث وهب « وإن للعلم طغيانا كطغيان المـال » .

وهذا الدين وحده هو الذى يقول فيه ربنا سبحانه لرسوله : (فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر . إلا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم) . ويخاطبه ربه فيقول له (أفأنت تـكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ويقول له (ادع إلى سبيل ربك بالحـكمة . والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن) .

الإسلام : حق ، وخير :

إن كل حق فى الدنيا ، مما عرفه البشر من قبل ، وما ستدركه عقولهم من بعد ، متى ثبت أنه حق ، فان الإسلام يأمر بالأخذ به ، ويحض على نصرته ، ويعده من صميمه . وكل خير عرفوه أو سيعرفونه ، فهو مما يحض عليه الإسلام . لأن هذا الدين جاء ليقيم الحق ، ويعمم الخير ، وليسوق الإنسانية إلى العمل الصالح : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

ولكن هل إذا دعا الإسلام إلى هذه الفطرة الإلهية السامية بالحكمة و بالموعظة الحسنة بلا إكراه ولا عدوان ، يرضى أهل الباطل والشر من أهل الحق والخير أن يمضوا فى سبيل دعوتهم بسلام ، ولا يقفون فى طريقهم ليمنعوهم من المضى فيه ؟

إن تاريخ الإنسانية من أقدم عصورها إلى يوم الناس هذا لم يضمن هذا السلام لأهل الحق والخير ، ولم يحدثنا بعصر واحد استطاع فيه دعاة الحق والخير أن يمضوا فى سبيلهم بسلام ، آمنين من بغى أهل البغى ، ومن عدوان المبطلين الأشرار .

وقد حدثنا التاريخ أن داعية الحق والخير صلى الله عليه وسلم لبث فى وطنه و بين ظهرانى قومه ثلاثة عشر عاما وهو يحسن لهم كل حسن و يقبح لهم كل قبيح ، ويحاول النهوض بعقولهم من العبودية للمخلوقات إلى عبادة الخالق وحده ، ويدعوهم إلى سبيل أنبياء الله وهداته كلهم بلا استثناء ، وقد استجاب له فئة من خيارهم معدنا وأخلاقا وعقولا ، غير أن مهمته كانت أعم من أن تقتصر على هؤلاء ، وأبعد مرمى من أن تنحصر فى ذلك المحيط وقد أبى عليه ذلك المحيط أن يحل نظام الحق والخير فى محل النظام المألوف لهم القائم على عكس ذلك ، ولم يكن فى الطاقة ولا من صالح الدعوة الصبر عليهم أكثر مما صبر ، فأخذ يوسع دائرة الدعوة فى القبائل ، وفى رجال الأوس والخزرج من أهل يثرب ، فزاد ذلك من حنق أنصار الباطل على داعية الحق ، وانتهى الأمر إلى أن يهاجر من وطنه . جاء فى مسند الإمام أحمد (١ : ٢١٦ الطبعة الأولى) عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله و إنا إليه راجعون . ليهلكن . فنزل قول الله عز وجل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير » ، فعرف أنه سيكون قتال . قال ابن عباس : هى أول آية نزلت فى الجهاد .

الجهاد لحماية الحق

فالجهاد فى الإسلام شرع لدفع الظلم، ولمقاتلة من قاتل أهل الحق «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله . فان انتهوا ، فلاعدوان إلا على الظالمين » . « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

بداية تشريع الجهاد

وأول ذكر للجهاد فى الإسلام بعد مشروعيته ، ما ورد عنه فى عقد البيعة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار . نقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢) عن الحاكم فى الاكليل أن كعب بن مالك ـ أو عبد الله بن رواحة ـ قال للنبى صلى الله عليه وسلم عند ما بايعه الأنصار :

— اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

فقال : أشترط لربى أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا . وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فمالنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة . . .

قالوا : ربح البيع . لا نقيل ، ولا نستقيل . . .

فنزل قول الله عز وجل : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ؛ وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

شرط الجهاد والغرض منه :

والجهاد فى الإسلام لا يعد جهادا فى سبيل الله إلا إذا كان لإقامة الحق . ويعبر عنه

بلسان الشرع « أن تكون كلمـة الله هى العليـا » وهو الذى لايخالطه رياء ، أو طمع ، أو حب الشهرة والظهـور . وورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٥) عن أبى موسى الأشعرى قال : جاء رجل (قالوا هو لاحق بن ضميرة الباهلى) إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر (أى الشهرة) ، والرجل يقاتل ليرى مكانه (أى الرياء) فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى سبيل الله » .

وفى مسند الإمام أحمـد (٥ : ٢٢٤) عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الغزو غزوان : فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام ، وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، فأن نومه ونبهه أجر كله . وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد فى الأرض ، فأنه لم يرجع بالكفاف » .

الجهاد أفضل العبادات :

والجهاد إذا كان خالصا لوجه الله ، ولتكون كلمة الله هى العليا ، معدود فى شريعة الإسلام أفضل العبادات على الاطلاق . وورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١) عن ذكوان أن أبا هريرة قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال صلى الله عليه وسلم : لا أجده .

ثم وجه صلى الله عليه وسلم السؤال إلى هذا الصحابى فقال له : هل تستطيع ـ إذا خرج المجاهد ـ أن تدخل مسجدك فتقوم (أى للصلاة) فلا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟

قال : ومن يستطيع ذلك ؟ أى أن المجاهد فى عبـادة متواصلة ، وله ثواب العبادة التى لا تنقطع من ساعة خروجه من بيته بنية الجهاد ، ولا يوجد عابد يستطيع أن يواصل العبادة بلا انقطاع كما يواصلها الخارج للجهاد . قال أبو هريرة فى تمـام هذا الحـديث : ان فرس المجاهد ليستن فى طوله (أى يمرح فى حبله وهو يرعى) فيكتب لصاحبه حسنات . وقال القاضى عياض : اشتمل هذا الحديث على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها الجهاد كلها حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ، وقال الإمام ابن دقيق العيد : القياس

يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التى هى وسائل ، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلاء كلمة الله، ففضيلته كفضيلتها .

وفى فتح البارى (٦ : ٤) عن ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير أنه لما نزل قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » قال المسلمون : لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزل بعد ذلك قول الله عز وجل : « تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله ، وفتح قريب » .

وروى مسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير الخزرجى ــ وكان أول مولود للأنصار فى الإسلام ــ أنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم (أى فى المسجد ، وكان ذلك فى طفولته) فقال رجل :

ــ ما أبالى أن أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج .

وقال آخر : ما أبالى أن أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام (أى أن ألزمه، فيكون معمورا بى وبأمثالى) .

وقال على بن أبى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتما .

فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته لكم .

فسأله عمر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله؟ لا يستوون عند الله، والله لا يهدى القوم الظالمين ؛ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٦) عن أبى أمامة الباهلى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية من سراياه ، فمر رجل بغار فيه شىء من ماء (وفى رواية :

فيه نبع ماء) فحدّث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ، ويصيب ماحوله من البقل ، ويتخلى من الدنيا (أى ينقطع للعبادة) . ثم قال : لو أنى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأن أذن لى فعلت ، وإلا لم أفعل . فأتاه فقال : يا نبى الله ، إنى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل ، فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية (يعنى الرهبانية والتبتل والانزواء فى الأديار) ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة (أى بالحق والخير وتعميمهما) والذى نفس محمد بيده ، لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولمقام أحدكم فى الصف (أى صف القتال) خير من صلاته ستين سنة » .

وفى مسند الإمام أحمد (١ : ٦١ و ٦٤ - ٦٥) عن مصعب بن ثابت عن عبد الله ابن الزبير أن أمير المؤمنين عثمان قال وهو يخطب على منبره : إنى محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يمنعنى أن أحدثكم به إلا الضن عليكم ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها (أى بالصلاة) ويصام نهارها » .

فريضة الجهاد

فى مسند أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجهاد عمود الإسلام ، وذروة سنامه » .

ونقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢٤) عن الطبرى من رواية أبى الضحى أن أول ما نزل من سورة براءة آية «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله» قال : وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم . فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا ، منهم أبو أيوب الأنصارى ، والمقداد بن الأسود ، ومعنى خفافا وثقالا : متأهبين وغير متأهبين ، أو رجالا وركبانا .

ولما جاء بشير بن الخصاصية السدوسى ليبايع النبى صلى الله عليه وسلم اشترط عليه الشهادتين والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله . فقال بشير :

أما اثنتان فلا أطيقهما : الزكاة ، وليس لى إلا عشر ذود (أى نياق) هن رسل أهلى

(أى غذاؤهم) وحمولتهم . وأما الجهاد فتقولون إن من ولى (أى انهزم) فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضرنى قتال أن أكره الموت وتخشع نفسى .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ، ولا جهاد ! فبم تدخل الجنة ؟

فأذعن بشير وقال : يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن .

التمرين الحربى فى السلم :

فى صحيح البخارى (٥٦ : ٧٨) عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم وهم ينتضلون (أى يتبارون فى الرماية) فقال لهم :

ـ ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان (لأحد الفريقين المتناضلين) .

فلما صار النبي صلى الله عليه وسلم مع الفريق الذى انضم إليه أمسك الفريق الآخر بأيديهم وكفوا عن الرمى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟

قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم .

ومن استعدادهم فى السلم للحرب ما رواه ابن سعد فى الطبقات (٣ ـ ١ : ٢٢) عن السائب بن يزيد قال : رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب رحمه الله مسوّمة فى أفخاذها : « حبيس فى سبيل الله » وقال : رأيت عمر بن الخطاب يصلح أداة الإبل التى يحمل عليها فى سبيل الله : براذعها وأقتابها ، فاذا حمل الرجل على البعير جعل معه أداته .

ومن وصايا عمر لهذه الأمة بأن يطيلوا المران على الرماية والفروسية قوله : لن تخور قوى ما دام صاحبها ينزع (أى يرمى بالقوس) وينزو (أى يثب على سروج الخيل) .

وقوله : « عليكم باناث الخيل ، فان بطونها كنز ، وظهورها حرز » .

وقوله : تمعددوا (أى كونوا أهل عفة وجلد وتقشف كبنى معد بن عدنان) ، واخشوشنوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا . احفوا وانتعلوا ، فانكم لا تدرون متى تكون الجفلة (أى المبادرة إلى الحروب) .

فضل الجهاد وثوابه :

فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٦) عن أبى عبس عبد الرحمن بن جبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » .

وكان ـ عند ما قال ذلك ـ فى طريقه مع أصحابه إلى الجهاد . روى ابن حبان عن جابر أن الصحابة لما سمعوا هذه الكلمة من فمه الشريف تواثبوا عن دوابهم لتغبرّ أقدامهم وهم فى سبيل الله . قال جابر : فما رؤى أكثر ماشيا من ذلك اليوم .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٧) أن أبا هريرة سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ؛ ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو فى سبيل الله . والذى نفسى بيده ، لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل » .

وفيه (٥٦ : ١٠) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يكلم (أى يجرح) أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٥) عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة (أى قدر ما تدر لبنها لمن حلبها) وجبت له الجنة »

وفيه (١ : ٣١٩ و ٣٢٢) من حديث عطاء بن يسار عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم جلوس فقال : « ألا أحدثكم بخير الناس منزلا ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « رجل يمسك برأس فرس فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل » .

جهاد المسلمين الأولين :

فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٢) عن أنس بن مالك قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال :

ـ اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) .

ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال له :

ـ يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ! إنى أجد ريحها من دون أحد ...

قال سعد (وهو يحـدث النبي صلى الله عليه وسلم بهـــذا الخبر) : فمـا استطعت يا رسول الله ما صنع .

وقال ابن أخيه أنس بن مالك : وجـدنا به بضعا وثمـانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم . ووجدناه قد قتل ، ومثل به ، فمـا عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

وقال أنس : كنا نرى هذه الآية نزلت فيه وفى أمثاله « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » وفى صحيح البخارى (٥٦ : ١٣) عن البراء قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجـــل مقنع بالحديد (وفى صحيح مسلم أنه أنصارى من بنى النبيت) فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فأجابه (أسـلم ، ثم قاتل) فقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمل قليلا وأجر كثيرا » .

وأخرج ابن إسحق فى المغازى عن أبى هريرة أنه كان يسأل :

ـ أخبرونى عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ؟

ثم يقول : هو عمرو بن ثابت بن وقش أحد بنى عبد الأشهل من الأوس ، قال محمود ابن لبيد : كان يأبى الإسلام . فلما كان يوم أحد أخذ سيفه حتى أتى القوم ، فدخل فى عرض المجاهدين ، فقاتل حتى وقع جريحا ، فوجده قومه فقالوا له :

ما جاء بك ؟ أشفقة على قومك ، أم رغبة فى الإسلام ؟

قال : بل رغبة فى الإسلام ، قاتلت مع رسول الله حتى أصابنى ما أصابنى (ثم مات) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه من أهل الجنة » .

منزلة الشهداء :

قال الله عز وجل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بمـا آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٦) عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسـلم قال « ما من عبد يموت ـ له عند الله خير ـ يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ،

إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، فانه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى».

ومثله فى مسند أحمد (٥ : ٣١٨) من حديث عبادة بن الصامت .

وفى فتح البارى (٦ : ٢١) عن النسائى والحاكم من حديث أنس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله تعالى : يابن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب ، خير منزل . فيقول الله : سل وتمنه . فيقول : أسألك وأتمنى أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات ، لما رأى من فضل الشهادة » .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود فى الشهداء : «فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى»

العطف على المجاهدين والتبرع لهم :

قال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا ، أو خلفه فى أهله بخير ، فأنه معنا » .

وفى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ٣٧) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من أنفق زوجين فى سبيل الله (أى شيئين من أى نوع كان مما ينفق) دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب : أى فلان هلم » ! .

وفيه (٥٦ : ٣٨) من حديث زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » .

وفيه (٥٦ : ٣٨) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة ـ غير بيوت أزواجه ـ إلا بيت أم سليم . فقيل له ، فقال : إنى أرحمها ، قتل أخوها معى (أى مع عسكره) وأخوها هو حرام بن ملحان ، قتل فى غزوة بئر معونة .

ومن الجهاد أن تكون قلوب المتخلفين وعواطفهم مع المجاهدين . وآية ذلك أن يبذلوا مافى طاقتهم لعون المجاهدين ، ومثل هؤلاء قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى (٥٦ : ٣٥) عن أنس ، ورواه أبو داود واللفظ له ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة تبوك : « لقد تركتم فى المدينة أقواما ما سرتم من مسير ، ولا أنفقتم

من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر » .

جهـاد فلسطين :

(يتنبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

فى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٩) عن أبى أمامة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لعـدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » .

قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟

قال : « ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٩٤) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود ، حتى يختبئ أحـدهم وراء حجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى فاقتله » .

* * *

وبعد فقلما وقع جهاد فى مئات السنين الأخيرة يشبه الجهاد الأول فى كونه خالصا لله وفى سبيل الله وتجتمع فيه جميع عناصر الجهـاد الشرعى كالجهاد لإلقاء من فى فلسطين من اليهود الأشرار فى البحر ، وليس عندنا أقل شك فى أن الهدف الأول لهذه الصهيونية إذا تم لهـا ما رسمته من خطط أن يكون رئيس هـذه الدولة مسيحا بحسب تقاليدهم ، وهو نفسه المسيح الدجال الذى أخبرنا عنه نبينا الصادق المصدوق صلوات الله عليه .

وإذا صدق المسلمون نيتهم فى جهادهم لإحباط هذه الدولة الخبيثة الشريرة أوشك أن يتم وعد الله بنصر المؤمنين .

محب الدين الخطيب

المعركة . . . فى بلدنا ! !

ما ذا أقول ؟ . . . . وقد صارت المعركة فى مصر . . . .

إن شعب مصر يتتبع الأنباء كما أتتبعها ، وينفعل بالمشاعر التى أنفعل بها . . . . . . لا ، إن شعب مصر الآن يصنع الأنباء ويخلق المشاعر ! ! !

شعب مصر ، بل الشعب العربى كله ، فى الميدان . . . فى السياسة والحرب ، فى العمل والإنتاج ، فى الإسعاف والعلاج . . . . فى كل ميدان .

كنت قد رتبت مقالى على أن أعالج أحــداث الجزائر وسنغافورة ، وبولندا والمجر ! فاذا بالمعركة هنا . . . فى مصر . . . فى داخل بلدنا ! ! !

هجمات إسرائيلية تتوغل فى سينا ، ومناورات سياسية فى مجلس الأمن حتى يعجز عن إيقاف العدوان ، وإنذار بريطانى فرنسى يطالب المجنى عليه بالانسحاب داخل أراضيه ! ويعطى الجانى فرصة لم يحلم بها كى يتقدم فيرسى قواعده بجانب القناة ! ! !

هكذا كانت المقدّمات العجيبة . . . . وقاومت مصر إسرائيل ، ورفضت إنذار الإنجليز والفرنسيين ، فشنوا غاراتهم الجوية المتواصلة ، ونحوا هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن عن طريقهم ، وانتدبوا أنفسهم لتحقيق السلام ! بين مصر وإسرائيل ، وتأمين قناة السويس ، إذ أن الهيئة الدولية عاجزة بطيئة . . . .

وقدّم همرشولد استقالته ، بعد أن أعلن أنه كان سيتولى قضية الشرق الأوسط بنفسه بناء على السلطات المخوّلة له بمقتضى الميثاق وبمقتضى قرارات مجلس الأمن ، لولا نظر مجلس الأمن للقضية بنـاء على طلب أمريكا ، وما ترتب عليه من تعجيز بريطانيا وفرنسا بالفيتو هذا التعجيز . . . .

وخطب ايزنهاور فوصف عمـل بريطانيا وفرنسا بالخطأ ، وأعلن أن أمريكا لن تتورط فى الحرب . . . .

وخطب إيدن فزعم أن بريطانيا وفرنسا إنما تريدان أن تحجزا بين الفريقين المتحاربين لا غير ! ! وأن احتــلال القناة مؤقت ، وأن بريطانيا استعملت الفيتو ضــد المشروعين الأمريكى والسوفييتى لأنهــا لا تقبل تجريم إسرائيل وحــدها دون النظر إلى المقدّمات

والمثيرات ، ولقد دأبت مصر على مهاجمة إسرائيل والغرب ..... وتكلمت إسرائيل ، فادعت أنها لا شأن لها بالهجمات الانجلوفرنسية ، وأن لها نشاطها وأهدافها .. وإن كانت تؤيد هدف حماية القناة لضمان حرية الملاحة ! ! !

ولم يقر إيدن على حجته حزب العمال من قومه ووراءه نصف الشعب البريطانى تقريبا ، ولم يقره أيزنهاور رئيس أمريكا الحليفة ، ولم يقره معظم دول الكومنولث البريطانى ، ولم تقره معظم دول الأرض فى هيئة الأمم المتحدة التى أمرت بايقاف العدوان ، ولم يقره ناتنج الوزير البريطانى نفسه فاستقال ...

ومع ذلك أصر إيدن على موقفه فى مجلس العموم ، وأصر على موقفه بالنسبة لهيئة الأمم ، فقال إنه ما لم ترسل هيئة الأمم قوة بوليسية دولية لإقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وتحل أزمة القناة ، وتوافق مصر وإسرائيل على هذا كله وتوقفا إطلاق النار ، فلن تستطيع انجلترا وفرنسا قبول قرارات هيئة الأمم ... وحتى تتكون القوة البوليسية الدولية فعلى مصر وإسرائيل أن تسمحا بوجود البريطانيين والفرنسيين يتطوعون بأداء هذه الخدمة ! ووعد بالعمل على (جلاء) الصهيونيين من أراضى مصر ، بعد (احتلال) الإنجلوفرنسيين للقناة !

لقد كان إيدن يخطب من قبل فى مؤتمر حزب المحافظين بينما كان مجلس الأمن يوالى اجتماعاته السرية والعلنية وحينما كان همرشولد يجتمع بوزراء الخارجية المصرية والبريطانية والفرنسية ، فاذا به يعلن أثناء محاولات السلام المبذولة أن موقف بريطانيا لم يتغير ، وأنها لن تترك القناة تحت سيطرة دولة واحدة وأن حكومة مسئولة لا يمكنها أن تتعهد بالتخلى عن استعمال القوة ، وأن السلام الذى تحرص عليه بريطانيا دائما ليس هو السلام بلا ثمن ! ! .

ودأبت بريطانيا على إقامة العراقيل فى وجه الجهود السلمية لحل نزاع القناة ... وجعلت المبادئ الستة ، التى أقرها مجلس الأمن (إطارا) ، وسمت ما قطع من مراحل (محادثات استكشافية) ، وتمسكت بالإشارة إلى مقررات الدول الثمانى عشرة كأداة تنفيذية للمبادئ الستة ، واجتمع إيدن ولويد مع موليه وبينو ليدعوا مصر إلى المفاوضة ، فنصوا فى دعوتهم على أن (مقترحات الدول الـ ١٨ التى تتضمن الإدارة الدولية للقناة يجب

أن تكون أساس التسوية ، إلا إذا قدمت الحكومة المصرية اقتراحات أخرى لنظام يواجه المطالب ويكفل للدول المنتفعة بالقناة ضمانات لا تقل فى أثرها عما ورد فى مقترحات الدول الـ ١٨) !

واتجهت بريطانيا وفرنسا إلى جمعية المنتفعين، والمجلس الأوربى، وحلف الأطلنطى، للافادة منها لصالحهما . فأوصت اللجنة الخارجية بالمجلس الأوربى بتشكيل هيئة مراقبة تمثل الدول التى تهمها حركة المرور فى القناة ، ورسمت دول المجلس سياسة أوربية موحدة إزاء القناة تستنكر التأميم وتنادى بالتدويل ! (مع مراعاة حقوق السيادة المصرية) ! وفى مجلس الغرف التجارية الدولية أعلن لويد نيدلنجر الأمريكى أن التأميم سيكون له أثر سلبى فى توظيف رءوس الأموال الأمريكية والأوربية فى البلاد المتخلفة اقتصاديا ، وصرح هيدفى ألفان سفير فرنسا فى أمريكا أنه لا يستبعد أن تشق فرنسا طريقها بالقوة فى القناة إذا أغلقتها مصر ! ! !

هذه (صحيفة السوابق) البريطانية الفرنسية قبل التدخل الحربى ... فأين إذن وجه السلام الذى يريد أن يبدو به إيدن ؟ .

لقد وضع كرشنا منون مشروعا رأى فيه — حسب وجهة نظره — أنه يعطى مصر حقها فى هيئة إدارة مصرية للقناة ، مع اعترافها بجمعية للمنتفعين ، وينسق المشروع العلاقات بين الطرفين بما لا يمس السيادة المصرية طبقا لتقديره ، ويورد نظاما للرسوم والتحكيم والإدارة ... فنام المشروع فى أدراج المسئولين فى بريطانيا وفرنسا ، وتهكمت بريطانيا بأنها لا تعرف إن كان هذا مشروع الهند أو مصر ؟ إن الاستعمار لا يريد إلا بلوغ مآربه كاملة ... ولو جرت الدماء ! ! .

وفى هذه الأثناء حدث حادثان مهمان فى الشرق والغرب ...

وقع اعتداء قلقيلية من إسرائيل على الأردن ، وأجريت الانتخابات الأردنية ، وازداد التقارب بين الأردن وسوريا ومصر ، وأنشئت القيادة المشتركة ...

هذا فى الشرق ، وفى الغرب وقفت روسيا موقفا دقيقا بالنسبة لثورة بولندا والمجر ، وقررت بريطانيا وفرنسا انتهاز الفرصة ، والعمل فورا ...

واجتمعت هيئة الأمم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وتدارك ما فشل فيه مجلس الأمن ،

لـكن بريطانيا وفرنسا لم تعبأ بقرارات هيئة الأمم ومضتا فى أعمالها (البوليسية ! !) من تدمير وتحريق ، واجتمعت الهيئة مرة أخرى . . .

وقدمت كندا اقتراحا كانت قد لمحت إليه فى الجلسة السابقة بشأن إرسال بوليس دولى إلى الشرق الأوسط لمراقبة تنفيذ قرارات هيئة الأمم، على أن يقدم همرشلد تقريره بشأن ذلك فى ظرف ٤٨ ساعة .

وتقدمت أمريكا باقتراح لإنشاء لجنتين لحل أزمة القناة ونزاع إسرائيل مع العرب، وقبل أن ينسى المجتمعون الغرض من الاجتماع همزت الهند الهيئة باقتراح يوصى همرشلد بمراقبة تنفيذ القرارات وتقديم تقرير فى ظرف ١٢ ساعة ! ! .

وزادت الجمعية العامة مشروعها عن البوليس الدولى تحـديدا ، فوات قيادته للجنرال بيرنز الـكندى كبير مراقبى الهدنة الفلسطينية ، على أن يختار قواته من غير الدول الـكبرى ذات العضوية الدائمـة فى مجلس الأمن ، وذكرت كندا والنرويج وكولومبيا ، والسويد والدنمرك، ونيوزيلندا وباكستان وسيلان ، ورومانيا وتشكوسلوفاكيا، كدول مرشحة لعضوية القوة الدولية .

واشترطت بريطانيا وفرنسا تـكوين القوة الدوليـة وقيامها بعملها فعـلا فى الشرق الأوسط لإيقاف الحرب بين مصر وإسرائيل وضمـان الملاحة فى القناة لتتخلى عن مهمتها العسكرية ! ! أما إسرائيل فراحت تستوضح عن مدى استمرار نشاط الفدائيين المصريين والمقاطعة الاقتصادية ، وكأنها تريد أن تنتهز الفرصة التى أتاحت لهـا أن تمرح على رمال الصحراء لتتملص من اتفاقية الهدنة ، وتروح تملى اشتراطاتها الجديدة لتؤمن نفسها عسكريا واقتصاديا . . . إنهـا تريد أن تقبض الثمن من الدول العربية ، بعد أن قبضت الثمن من بريطانيا وفرنسا ! ! .

وهكذا قررت الجمعية العامة مرتين إيقاف القتال ، لـكنه لم يقف . . .

وكان على شعب مصر أن يحمـل العبء كاملا . . . وترك الشعب الوديع المسالم بذر الحب إلى بذر المجد ، وانتقل من الحقل إلى الميدان ، ومن خضرة الزرع إلى حمرة الدم . . كان عليه أن يدع الفأس ليحمل السلاح ، ويخلف المحراث والنورج ليقـود الدبابة والمصفحة ، ويعمل على بطارية المدفع . . .

وأدى الشعب فى مصر واجبه كاملا ، وأسقط جيشه طائرات وأغرق بوارج ومدمرات، وخرب الشعب العربى أنابيب البترول، وقطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا ، وعادت إلى الأذهان أمجاد حطين ، والمنصورة ، وعين جالوت ...

ودخلت بور سعيد التاريخ حين هب شعبها يصطاد جنود المظلات بجانب الجيش والبوليس ... إنها لعبة جديدة يمارسها المكافحون من أبناء مصر .

وتطور الموقف إزاء صمود المجاهدين ...

أعلن مندوب بريطانيا فى هيئة الأمم أن أمرا صدر بايقاف ضرب القنابل ، وادّعى إيدن فى مجلس العموم أنه تلقى إشارة بايقاف إطلاق النار فى بور سعيد ...

وكانت الحجة البريطانية لتبرير توقف الضرب دعوى وقحة ، هى أن بور سعيد طلبت شروط التسليم ، ونفت مصر ذلك بقوة ...

وكان الاتحاد السوفييتى قد استنكر الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، واحتج على إقفال البحرين الأبيض والأحمر فى وجه السفن ... وبعد أن أصدرت الجمعية العامة قرارها بايقاف العدوان وانسحاب القوّات الأجنبية ولم ينفذ ، طلبت روسيا التدخل المسلح عن طريق مجلس الأمن من جهة ، وعن طريق اتصال مباشر بين بولجانين وأيزنهاور لتشترك الدولتان جويا وبحريا فى العمل على انفاذ القرارات بالقوة فى نطاق الأمم المتحدة من جهة اخرى ، ولم يحرز الطلب الروسى الاصوات الكافية لإدراجه فى جدول أعمال مجلس الأمن ، كما رفضت أمريكا العمل المشترك مع روسيا قائلة إنها تعارض دخول أية قوّات جديدة إلى الشرق الأوسط ، ذلك أن مثل هذا الدخول يعتبر نقضا لقرارات الأمم المتحدة بسحب القوات الأجنبية، ويتعين على الدول الأعضاء ومنها أمريكا أن تقاوم مثل هذا النقض .

وتلقى إيدن وموليه وبن جوريون إنذارا روسيا شديد اللهجة بايقاف الاعتداء ، كذلك استدعت روسيا سفيرها فى إسرائيل ...

وصمدت بور سعيد فى مقاومتها ، وناشدت مصر دول العالم العون ، وبخاصة الكتلة الإفريقية الاسيوية ...

وأمام الكفاح الوطنى وتفاقم الموقف الدولى فى وجه بريطانيا وفرنسا ـ فضلا عن المعارضة الحزبية الشعبية داخلهما ـ أعلنت الدولتان وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة

الثانية من صباح ٧ نوفمبر ، على أن توافق مصر وإسرائيل على الكف عن القتال دون قيد ولا شرط ، وأخطر همرشلد الدولتين بأن لديه مثل هذه الموافقة من قبل .

لكن قبول مصر لا يمكن أن يظل بدون تحفظ وقد وضع المعتدون أقدامهم على أرض مصرية فى سينا وبور سعيد . . . واشترطت مصر إنفاذ قرارات الأمم المتحدة كاملة ، ومنها انسحاب القوات الأجنبية من مصر والامتناع عن إرسال العتاد الحربى ، وتوجهت الأنظار مرة أخرى لهيئة الأمم المتحدة، لتعالج الموقف فى ضوء قراراتها السابقة ومقترحات الكتلة الاسيوية الإفريقية الجديدة ، ولتناقش تقرير همرشولد بشأن البوليس الدولى ، وتعمل على تسوية أزمة إسرائيل ومسألة القناة . .

وهكذا انتقلت القضية مؤقتا إلى السياسة والدبلوماسية . . بعد أن عرقل العملاق البور سعيدى سبيل الحرب والضرب والنار ، وفرض نفسه على التاريخ .

والسؤال الآن : **هل المعتدون صادقون فى وقف القتال** ، أم هم يكسبون الوقت ويقطعون الطريق على التدخل الروسى انتظارا لمغامرة جديدة ؟ ؟

وهل تفلح هيئة الأمم فى علاج مشكلات الشرق الأوسط سياسيا بنزاهة وعدالة ، دون استغلال للموقف العسكرى العدوانى للضغط على مصر والعرب ؟ ؟

لا أدرى الجواب . . . ولكن تجربة بور سعيد ـ على أية حال ـ ما زالت ماثلة أمام أصحاب العقول !

محمد فتحى عثمان

يا للعـار !

القـاهرة ، عاصمة العالم الإسلامى ، وأزهى خلاصة لحضارة الشرق .

القـاهرة المضيافة الكريمة النبيلة التى اتسع صدرها لتجارة وصناعة و (ثقافـة) بريطانيا وفرنسا .

هذه القاهرة ، تضربها بريطانيا وفرنسا بالقنابل ، يا للعار !

يا للعار من هذه الثياب التى نرتديها من ديارهم ، وهى اليوم على أجسامنا نار ! . .

يا للعار من فتح أسواقنـا لتجارتهم ، ويا للعـار من إدماج صناعتنا بصناعتهم ! .

يا للعار من (تعليم أولادنا) فى مدارسهم ومعاهدهم هنا فى مصر، وهناك فى لندن وباريس.

يا للعار من دولتين تنكرتا لكل القيم الخلقية ، وكل المبادئ الإنسانية ، وكل ما يجعل المخلوق البشرى إنسانا لا حيوانا .

يا للعـار ونحن نشهد نساءنا وأطفالنـا ينظرون بذهول كأنهم يتساءلون كيف كنـا (نكذب عليهم) كل هذا الزمان ، و (نتغنى بحضارة الغرب) التى انقلبت إلى غربان .

أحمد الصاوى محمد فى « ما قل ودل »

أنباء العالم الإسلامى

بغى إسرائيل
والمؤامرة المبيتة

أعلنت حكومة إسرائيل فى مساء الأحد ٢٨ أكتوبر التعبئـة العسكرية ، ووضعت فصائل من قواتها على طول الحدود الفاصلة بين إسرائيل والبلاد العربية . وزعمت أن هذا الإجراء وقائى للمحافظة على المستعمرات الإسرائيلية القريبة من تلك الحدود .

وقد أرسل إيزنهاور رسالته إلى بن غوريون ينصح له فيها بأن يتجنب ما من شأنه زيادة التوتر فى الشرق الأوسط . ولم تعبأ إسرائيل برسـالة ايزنهاور ، وأعلن راديو تل أبيب فى اليوم التالى (الاثنين ٢٩ أكتوبر) بلاغا حربيا إسرائيليا بأن القوات الإسرائيلية بدأت هجومها على مصر واحتلت ثلاث نقط - كوم متلا ، ونخل ، ورأس النقب - وأن إسرائيل استخدمت فى هجومها جنود المظلات . ومنطقة كوم متلا صحراوية خاليـة إلا من نقطة مراقبة الحدود ، وكذلك المنطقتان الأخريان .

وفى نفس اليوم نصحت السفارة الأمريكية لرعاياها بمغادرة مصر ، وطلبت الحـكومة الأمريكية إلى رعاياها فى سوريا والأردن وإسرائيل بأن يرحلوا عن تلك البلاد . وكذلك فعلت انجلـترا مشيرة على رعاياها بمغادرة منطقة الشرق الأوسط .

ومعنى هذا أن أمريكا نصيرة إسرائيل كانت تعلم أن وراء الستار أمرا مبيتا ، وقد تكون إسرائيل أداة من أدوات هذا الأمر المبيت ، وإلا فقـد كان يجب على أمريكا وجناحيها الانجليزى والفرنسى أن يـكون موقفهن من إسرائيل كموقفهن من الدول العربية لو أن الدول العربية هى التى بدأت بالتعبئة ، وأعقبت ذلك بالهجوم .

وانفضحت المؤامرة الشيطـانية فى يوم الثـلاثاء ٣٠ أكتوبر باعـلان مجرم الحرب أنتونى إيدن فى مجلس العمـوم أن انجلترا وفرنسا ستحتلان منطقة قناة السويس بعـد ١٢ ساعة من تقديم الإنذار بذلك إذا لم تكف مصر وإسرائيل عن القتـال ، وبالطبع لم تكن إسرائيل لتكف ، لأنها مدفوعة من انتونى إيدن للتحرش بمصر ، وأن تحداها لتدافع مصر عن نفسها ، فيقوم إيدن بتمثيل دور الحماية لإسرائيل المعتدية ، وذلك بمهاجمة مصر وإرغامها على تحويل قواتها عن إسرائيل لمحاربة حامى إسرائيل الذى يريد

أن يحتل منطقة القنال ، كل هذا قد حققته الحوادث المتتالية ، وكانت أمريكا تتوقعه .

الطغيان البريطانى الفرنسى

فى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ اكتوبر سلمت الحكومة البريطانية إلى السفير المصرى بلندن انذارا موجها إلى الحكومة المصرية :

١ — بايقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر والجو .

٢ — سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال من قناة السويس (أى أن تنسحب القوات المصرية من الأرض المصرية !) .

٣ — أن تقبل مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس !

ويطلب الإنذار الإجابة عليه فى الساعة السادسة والنصف صباحا بتوقيت القاهرة يوم ٣١ اكتوبر ، فاذا لم تتسلم انجلترا وفرنسا هذه الإجابة فى الوقت المحدد فانهما ستتدخلان بالقوة ، بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبهما !

وقد اتخذت بريطانيا وفرنسا ذريعة لعملهما القتال الدائر داخل الأراضى المصرية بين القوات المهاجمة من قوات إسرائيل المسلحة والقوات المصرية المدافعة ، ولكن بدلا من أن تتنكرا للمعتدى انضمتا اليه ضد المعتدى عليه !

وفى الساعة العاشرة من مساء الثلاثاء ٣٠ اكتوبر استدعى الرئيس جمال عبد الناصر السفير البريطانى فى القاهرة ، ونبهه إلى أن الإنذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا إلى الحكومة المصرية فى ذلك اليوم لا يمكن قبوله بحال ، بل تعتبره مصر اعتداء على حقوقها وكرامتها ، وامتهانا صارخا لميثاق الأمم المتحدة . ففى الوقت الذى تدافع فيه مصر عن نفسها داخل أراضيها ضد العدوان الإسرائيلى ، تتحفز بريطانيا وفرنسا للعدوان على المعتدى عليه ! فمصر لا يسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقوقها وكرامتها .

ثم استدعى الرئيس جمال عبد الناصر من السفارة الفرنسية القائم بأعمالها ، وطلب منه أن يبلغ حكومته ما تقدم .

موقف دول الحضارة

من المؤامرة المبيتة

لما قدمت بريطانيا وفرنسا إنذارهما إلى مصر ، طلبت روسيا إلى مجلس الأمن أن يحذر الدولتين بألا تستغلا الموقف الناشئ فى مصر نتيجة للهجوم الإسرائيلى الغادر . ووقف أركادى سوبوليف مندوب روسيا

فى مجلس الأمن فأعلن أن المجلس يواجه موقفا فى منتهى الخطورة ، وأن إسرائيل لم يكن فى وسعها أن تتصرف بالكيفية التى تصرفت بها لو لم تنل مساعدة من الدوائر العـدوانية التى تسعى إلى التمـاس عذر لإرسال قوّاتها إلى الشرق الأوسط . وحث المجلس على أن يصدر تحذيرا للدول الأخرى بعدم التدخل فقال : إن هـذا التحذير يشمل بريطانيـا وفرنسا بصفة خاصة . وقدم كابوت لودج مندوب الولايات المتحدة الأمريكية اقتراحا سلميا بمشروع قـرار وصف بأنه فى غاية الشدة إلا أنه لا يتضمن أى استنكار للعمل الذى قامت به إسرائيل . فاقترح مندوب روسيا أن يتضمن المشروع الأمريكى لوما لإسرائيل واستنكارا لعملها ، فرفض ذلك لودج وأدرج فقرة جديدة تطالب كلا من مصر وإسرائيل بأن توقفا القتال حالا . ووصف مندوب يوغسلافيا إنذار البلدين بأنه عمل من أعمال القوة أخذ من جانب واحـد ، وأنه موجه فى المقام الأول ضـد البلد الذى يعد ضحية للعدوان ، وهو أمر مخالف لميثاق الأمم المتحدة . ومع ذلك عرض مشروع القرار الأمريكى لتصويت فوافق عليه (٧) أعضـاء ، وامتنعت أوستراليا وبلجيكا ، وقالت بريطانيا وفرنسا « فيتو » فسقط القرار

وفى يوم الأربعاء أصدرت روسيا بيانا قالت فيه إن الحقائق تدل على أن غزو القوات الإسرائيليـة للأراضى المصرية ليس إلا مؤامرة أحكمت الدول الغربية تدبيرها ، ولا سيما بريطانيا وفرنسا ، لتتخذا من ذلك ذريعة لاحتلال البلاد العربية ولاسيما منطقة قنـاة السويس . واستدعت وزارة الخارجية السوفيتية سفيرى بريطانيا وفرنسا فى موسكو لتبليغهما احتجاج روسيا على التطـورات الحـالية فى منطقة قناة السويس . كما أن داج همرشلد السكرتير العـام للأمم المتحدة قدم استقالته احتجاجا على هذا البغى . وقال سوبولوف مندوب روسيا فى مجلس الأمن : إن بريطانيـا وفرنسا باعتدائهما على مصر واستخدامهما القوة ضدها وضربهما البلاد المصرية بالقنابل ، تخرقان ميثاق الأمم المتحدة . وقال مندوب فرنسا ردا على اتهام فرنسا بالعدوان : إننا ننكر بشدة مثل هذه الاتهامات ، وإنمـا هـو تدخل مؤقت للحـكومتين فى وضع يسمح لهما بإعادة الأمن والسلام ! ونأمل أن يقدم المجلس تأييده وعطفه لمـا نحـاول أن نعمله للمحافظة على السلام ! وقال ديكسون مندوب بريطانيا : إن الغرض من هذا التدخل هو تأمين قنـاة السويس ! وإعادة السـلام لمنطقة الشرق الأوسط !

وفى مساء الخميس أول نوفمبر اجتمعت الجمعية العـامة للأمم المتحدة اجتماعا عاجلا طارئا عملا بقرار مجلس الأمن بأغلبية (٧) أصـوات بناء على اقتراح المندوب اليوغوسـلافى لبحث المـوقف فى الشرق الأوسط بعد الاعتـداء الثلاثى الموجه لى

مصر ، و يعد هذا الاجتماع أخطر اجتماع واجه الأمم المتحدة بعد أن فشل مجلس الأمن فى الوصول إلى حل يحقق السلام ، فامتلأت قاعة الاجتماع التى تضم ١٢٠٠ مقعد ، وامتلأت مقاعد الصحافة وعددها ٢٣٤ مقعدا ، وامتلأت قاعة مجلس الوصاية بأكثر من ٤٠٠ شخص ، وكان أعضاء الجمعية يمثلون ٧٢ دولة ، ودعى مندوب شيلى ليرأس الجلسة ، وقدم مندوب الفلبين مشروع قرار بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، وعودة القوات المصرية والاسرائيلية إلى المواقع التى حددها اتفاق الهدنة ، ثم تكلم مندوب فرنسا معترضا ، وتكلم مندوب مصر شارحا مبينا ، وتكلم مندوب سيلان مؤيدا لمصر ، وتكلم مندوب بريطانيا بما ينتظر من ممثلى الطغيان والبغى ، وتكلم مندوب الصين ، ثم مندوب أمريكا ، ومندوب كندا ـ وهو وزير خارجيتها ـ الذى اقترح ارسال قوة بوليسية دولية مؤقتة إلى منطقة الشرق الأوسط لإقرار السلام فى تلك المنطقة ، على أن تكون تلك القوة تحت اشراف الأمم المتحدة وقوامها عشرة آلاف رجل لمراقبة الحدود بين اسرائيل والدول العربية .

وفى اليوم التالى أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة بيانا قال فيه : إننى أرى فى قرار الأمس الذى أيده أكبر عدد من الأصوات أمكن تسجيله فى تاريخ الأمم المتحدة حدثا يقوى مركز المنظمة ويعطى مغزى جديدا لمبادئها وأهدافها ، و إننى أشارك الجمعية العامة أملها فى أن وقف اطلاق النار وايقاف التحركات العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط وسحب جميع القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة سينفذ فى الحال . ثم قال : إننى لا أؤمن بأن أعمال العنف ـ أيا كان سببها ـ يمكن أن تؤدى إلى التعاون ، ولست أعتقد أن الانتصارات التى تحرز بانتهاك التزامات المعاهدات يمكن أن تخلق الثقة بين الشعوب المتجاورة . ولكننى أؤمن بأن احترام قرارات الأمم المتحدة يجلب للدول تعضيد المجتمع العالمى الذى تحتاج إليه كل دولة .

وعين همرشلد لجنة من ثلاثة أعضاء لمراقبة تنفيذ قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار فى الشرق الأوسط ، بينما كانت البرقيات تحمل أنباء استمرار الهجوم البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ، كأن الأمم المتحدة لم تقرر شيئا !

وفى يوم الاثنين ٥ نوفمبر أعلنت الحكومة السوفيتية أنها استدعت سفيرها فى تل أبيب وأنذرت إسرائيل بضرورة تقدير قيمة إنذار روسيا لها . وجاء الإنذار الروسى فى رسالة بعث بها بولجانين إلى بن غوريون وقال فيها : إن إسرائيل تقوم بمغامرة جنونية بتحديها كل دول الشرق التى تكافح الاستعمار ،

فاسرائيل تخدم أغراض المستعمرين وتنشر روح الكراهية بين الشعوب، وإن تصرفاتها تهدد وجودها وكيانها . ووجه بولجانين إنذارا نهائيا إلى كل من بريطانيا وفرنسا أعلن فيه تصميم الحكومة الروسية على استخدام القوة للقضاء على عدوانهما على مصر ، وقال : « إن بريطانيا وفرنسا قد تستهدفان لهجوم من دولة أقوى منهما كثيرا ، وتستطيع أن تضربهما لا بالسفن والطائرات بل بالصواريخ الموجهة . قال : وقد تعدون استخدام الصواريخ الموجهة ضد بريطانيا عملا همجيا ، لكن ما الفرق بين مثل هذا الهجوم على بريطانيا وفرنسا والهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا على مصر المسالمة ؟! » .

وفى يوم الأربعاء ٧ نوفمبر استأنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث الموقف بالشرق الأوسط ، وبعد مناقشات وخطب قدم تقرير من ١٩ دولة يقضى بأن تسحب إسرائيل قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وأن تبادر بريطانيا وفرنسا بسحب قواتهما المعتدية على مصر . وبعد مناقشات طويلة اقترع الأعضاء على مشروع إنشاء قوة دولية فوافقت عليه ٦٤ دولة وامتنعت ١٢ دولة عن التصويت . ثم اقترع على مشروع قرار الدول التسع عشرة القاضى بسحب القوات الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية فورا من الأراضى المصرية فوافقت عليه ٦٥ دولة وامتنع ١٠ عن التصويت ولم تعارضه سوى إسرائيل . ومع ذلك لا يزال صوت البغى مرتفعا فى بورسعيد كما ترى فى نهاية الفصل التالى .

مصر أمام الطاغوت المثلث

كان أول ما قامت به القوات المصرية عقب العدوان الإسرائيلى أن نقط إنذار سلاح الحدود فى كوم متلا والثمد ونخل اشتبكت بقوات العدو مساء الاثنين ٢٩ اكتوبر ، وإلى صباح الثلاثاء لم تتمكن قوات العدو من التغلب فى المناطق الثلاث ، ومع ذلك فان تقدم قوات العدو كان فى طريق خال ، ولكن السلاح الجوى المصرى قام فى يومى الاثنين والثلاثاء بهجمات متوالية على إسرائيل وكبدها خسائر كثيرة فى طائراتها المقاتلة ، ودمرت مطار « عكير » و « رماد داود » وأصابت عربات محملات بالجنود وعربات مصفحة ومدمرة . وفى يوم الأربعاء ليلا قامت المدمرة المصرية « إبراهيم » بضرب ميناء حيفا وفى طريق عودتها اشتبكت مع ٣ سفن حربية تساندها ٣ طائرات ، فاستمر الاشتباك مدة ثلاث ساعات أصيبت بعدها المدمرة ابراهيم وتعطلت عن الحركة ، فقرر قائد السفينة إغراقها .

ومن مساء الأربعاء ٣١ اكتوبر شرعت القاذفات النفاثة البريطانية والفرنسية بمهاجمة

القاهرة والمدن المصرية وألقت قنابل محرقة وأخرى شديدة الانفجار، ثم توالت الغارات الجوية بلا انقطاع، وكانت المدفعية المصرية تقابلها بشدة فى كل مكان، وإلى مساء الجمعة ٢ نوفمبر كان السلاح الجوى المصرى ومدفعية مصر المضادة للطائرات قد اسقطا ٥٢ طائرة للعدو منذ بدء العمليات الحربية، أما فى إسرائيل فان مصر دمرت ربع الطائرات الإسرائيلية، ولولا حماية مجرمى الحرب لإسرائيل لاستطاعت القوات المصرية وحدها أن تزيل إسرائيل نهائيا من فلسطين.

وفى يوم الجمعة أدى الرئيس جمال عبد الناصر الصلاة فى الأزهر، وخطب من منبره بعد الصلاة، فقال: إن خطة الأعداء كانت تستهدف استدراج الجيش المصرى إلى صحراء سينا لمقاتلة إسرائيل، لتنفرد بريطانيا وفرنسا بالمواطنين فى داخل مصر فلا تجد المقاومة الواجبة، وقد انتبهنا لهذه المؤامرة الثلاثية فسحبنا قواتنا المسلحة من سيناء، وحشدناها فى القناة والدلتا لملاقاة الانجليز والفرنسيين، وهكذا وحدنا جبهاتنا كلها فى جبهة واحدة فى قناة السويس لنقرر مستقبل وطننا، وسنقاتل فى كل مكان، وسأقاتل معكم ضد أى غزو إلى آخر نقطة من الدماء، وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا. وإن مصر كانت دائما مقبرة الغزاة

ومن همجية التوحش الغربى أن طائرات الطاغوت المثلث ضربت بقنابلها السكان الآمنين فى دورهم وقراهم، فاستشهد ١٠٤ من المدنيين وجرح ٤٠ فى بلدتى أبو زعبل، وأبوحماد، ودمرت ٧ منازل وأصيبت كنيسة للأقباط كما أغرقت سفينة مصرية فى القناة فعطلت الملاحة فيها.

وفى صباح السبت ٣ نوفمبر حاولت قوات بحرية بريطانيا وفرنسا فى شمال البحر الأحمر الاقتراب من ميناء السويس، فتصدت لها المدفعية الساحلية وأمطرتها وابلا من نيرانها الحامية فأغرقت قطعة بحرية بريطانية منها، وأسرعت القطع الباقية بالانسحاب جنوبا بعيدا عن الشواطئ المصرية، ولكن وحدات الاسطول المصرية خفت لمطاردتها فى عرض البحر وضربتها بشدة أثناء انسحابها، فأسفرت المعركة عن إغراق قطعة بريطانية أخرى وحاملة جنود وإصابة قطعة ثالثة.

ومن صباح الأحد ٤ نوفمبر بدأت الصحف اليومية المصرية تصدر بأربع صفحات، فاستراح قراؤها من اللغو والثرثرة النسائية والحديث عن الفحشاء والإجرام، وحبذا لو استمرت كذلك بعد زوال المحنة ليستفيد الشعب من وقته الذى كان يضيع سدى بما لافائدة منه إن لم يكن مصدر ضرر وشر.

وفى يوم الأحد بدأت ترد الأخبار بنسف الشعوب العربية لأنابيب البترول الممتدة فى سوريا وليبيا ولبنان والبلاد الأخرى، بل وردت أخبار بنسف أنابيب أرامكو.

وفى يوم الأحد أيضا حاولت ثلاث سفن من الأسطول البريطانى الاقتراب للمرة الثانية من شواطئنا على البحر الأحمر فتصدت لها قواتنا الباسلة واشتبكت معها فى معركة بحرية

أسفرت عن إغراق إحدى السفن الثلاث ، وأسرعت السفينتان الأخريان بالفرار . كما اشتبكت قواتنا المسلحة مع مدمرة فرنسية قرب الشواطئ المصرية شمالى الدلتا وأغرقتها بعد أن أصابتها إصابة مباشرة وعليها ٦٠٠ من رجالها غرقوا معها .

ودمر العدو فى يوم الأحد كوبرى الفردان القائم على قناة السويس ، وهدم كنيسة فى الإسكندرية فقتل ٣ وأصيب ١٢ بجروح مختلفة . وبلغ عدد طائرات العدو الحربية التى أسقطها السلاح المصرى ٨٧ طائرة .

وفى يوم الاثنين ٥ نوفمبر تحولت مدينة بور سعيد إلى مقبرة للجنود الغزاة ، إذ شرعت قيادة العدو البريطانية الفرنسية الإسرائيلية من الصباح الباكر فى إنزال قواتها من جنود المظلات فى بور فؤاد ومطار الجميل والجبانة فبادرت قوات الجيش المصرى بالتعاون مع البوليس والشعب بحصدهم وإبادتهم عن آخرهم ، وما حلت الساعة الحادية عشرة حتى كانت قواتنا قد قضت قضاء تاما على قوات العدو فى مطار الجميل وسيطرت سيطرة كاملة على مدينة بور سعيد . وقبيل الظهر بقليل أنزل العدو قوات أخرى فى منطقتى بور فؤاد والجميل بعد أن أبيدت قواته السابقة ، نخفت قواتنا لملاقاتها والاشتباك معها فى معارك مريرة عنيفة ، فأنزلت بها خسائر فادحة اعترف بها الجنرال كيتلى قائد قيادة العدو ، كما اعترف بعنف المعارك ، وبتصميم المصريين على الدفاع حتى النهاية .

وقبيل غروب الشمس تمكن العدو من تعزيز قواته مرة أخرى فى هاتين المنطقتين فبلغ القتال ذروته ، واستطاعت قواتنا السيطرة التامة على بور سعيد عدا منطقة الجميل وجزء من بور فؤاد .

وقد أسقطت قواتنا يومئذ فى بور سعيد ١٥ طائرة للعدو ، كما أسقطت فى القاهرة ٨ طائرات وفى أبى زعبل ٣ وفى ألماظه ٢ وواحدة فى كل من العباسية وحلوان ومنشية البكرى ، كل ذلك فى يوم واحد وهو يوم الاثنين .

وفى يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر أعلن داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة أن بريطانيا وفرنسا وافقتا على وقف إطلاق النيران فى مصر ابتداء من الساعة الثانية من صباح الأربعاء بتوقيت القاهرة ، ولكن حل الوقت المضروب والقتال ما برح مستمرا فى منطقة بور سعيد التى بلغ من دناءة العدو أن قطع المياه عن أهلها .

وقد صدر البلاغ الحربى المصرى رقم ٣٣ فى الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ نوفمبر يقول : « بالرغم من قرار وقف إطلاق النار فى الساعة الثانية من صباح أمس بتوقيت القاهرة ، فقد طوقت القوات البريطانية والفرنسية مدينة بورسعيد واستمر عدوان هذه القوات ضد قواتنا والمدنيين فى مدينة بور سعيد حتى صدور هذا البلاغ » . وكانت مدفعية الأسطول البريطانى تضرب المدينة فحدثت حرائق

فى منطقة « المناخ » و « شارع عباس » . وقام الإنجليز بفتح الجمرك والعبث بمحتوياته ، وامتلأت سماء بور سعيد فى مساء الأربعاء بالأدخنة السوداء المنبعثة من الحرائق ، وحاولت القوات البريطانية والفرنسية التدخل فى الحياة العادية بالمدينة فقوبلت من الأهالى وقناصتهم بالشدة ، وإلى منتصف الساعة السادسة من مساء الأربعاء كانت الدلائل واضحة على استمرار القتال .

وقد أخذت الهيئات والأفراد تتنافس فى التبرع لتعمير بور سعيد الباسلة ، فتبرعت هيئة تدريس جامعة عين شمس بخمسة عشر ألف جنيه ومثلها من بنك القاهرة ، وتبرع الأزهر بخمسة آلاف جنيه . ورغب طلاب الأزهر فى التبرع بنسبة ٢٪ من مخصصاتهم عن شهر نوفمبر وعددهم ٣٣ ألف طالب ، وتبرع مجلس نقابة المهن الزراعية بثلاثة آلاف جنيه ، والتنافس على هذا البر لا يزال فى بدايته .

الأزهر فى صفوف الجهاد

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر القرار التالى :

« لقد أصبح الوطن الآن فى حاجة إلى جهود جميع أبنائه ، وصار الجهاد فرضا على كل وطنى فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها البلاد .

والأزهريون أولى الناس بالاستجابة إلى نداء الوطن والإسهام فى هذا الواجب المقدس لذلك قررت مشيخة الأزهر وقف الدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية بالقاهرة والأقاليم مؤقتا ابتداء من يوم الخميس ٢٧ من ربيع الأول ١٣٧٦ (الموافق أول نوفمبر ١٩٥٦) لإتاحة الفرصة لشباب الأزهر ورجاله فى القيام بواجبهم مع جنود جيش التحرير الوطنى

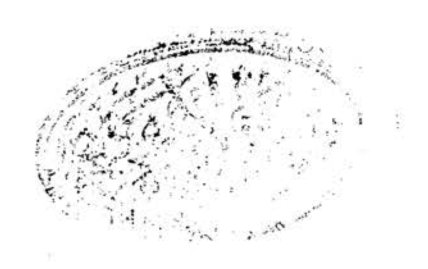
وإنى أنادى أبنائى الأزهريين ، بقول الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وقف الدراسة فى الجامعات والمدارس

قال وزير التربية والتعليم القائم بالقيادة العامة لجيش التحرير فى بيان أذاعه يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر :

« فى هذه اللحظات الحاسمة التى يجتازها الوطن ، ورغبة فى عدم حرمان الشباب الجامعى الذى تحركه أنبل المشاعر للبذل والتضحية فى سبيل الدفاع عن استقلالنا وحريتنا ، ورغبة فى أن يسهم هذا الشباب بجهوده القوى فى « التعبئة العامة » التى أعلنتها مصر لكى تذود عن عزتها وكرامتها ، فقد تقرر وقف الدراسة مؤقتا فى الجامعات المصرية والمعاهد العليا وفى المدارس الثانوية وما فى مستواها ، وبذلك تتاح لهم الفرصة للانضمام إلى قيادات جيش التحرير الوطنى ، لكى ينتظموا صفوفا قوية فى المحافظة على أمانى الوطن ومستقبله » .

الفهرس



نداء فضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

إلى العالم العربى والاسلامى

بمناسبة الأحداث الجارية فى العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وقال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

وقال عز وجل : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

هذه آيات بينة ، وتعاليم هداية واضحة ، يعلمنا الله بها وبكثير غيرها من آيات الكتاب العزيز ، أن الإيمان بالله أقوى رابطة ، وأعز صلة ، تربط بين الأفراد ، وتوثق أمر الجماعات ، ويغتز بها حال الأمم والشعوب . جعلها الله رابطة أخوة ، تعطف المؤمن على أخيه المؤمن ، فينصره ولا يخذله ، ويعينه ولا يعتدى عليه .

بل إن الله جلت قدرته قد أعلى منزلة هذه الرابطة ، وحكم بأنها أقوى وأسمى من رابطة الأخوة النسبية ومن كل رابطة قرابة حتى رابطة الأبوة والبنوة الحقيقية . يرشد إلى ذلك قول الله تعالى فى شأن نوح عليه السلام وشأن ابنه الذى لم يؤمن بالله : « ونادى نوح ربه

فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين » .

كما يرشد إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فكل فرد من أفراد المؤمنين أينما كان وحيثما أقام منزلته من سائر المؤمنين فى أى بقعة من بقاع الأرض منزلة العضو من الجسد الواحد ، يألم لما يألم له أحدهم ، ويضطرب كيانه لشكو أى عضو منهم .

وإذا كانت رابطة الإيمان بهذه المثابة من القوة والعزة والرفعة ، فلا شك أن مما يضاعف نموها ويزيدها تمكينا وقوة ، أن تنضم إليها روابط الوحدة فى العروبة والقومية وما تقتضيه الواجبات الوطنية .

هذا هو الإسلام ، وهذه تعاليمه ، وعلى هذا الأساس يكون الحكم الفصل ، والوزن الحق الذى يفصل بين الأولياء والأعداء ، ويميز المخلصين عن الخونة المنافقين .

إن الذين يقاتلوننا فى ديننا ، أو يقتحمون بالقوة علينا فى ديارنا ، أو يعتدون على أى وطن من أوطاننا ، أو يعملون على إضعاف قوتنا وكبت نهضتنا ، هم من غير شك أعدى أعدائنا . فواجب على جميع الشعوب الذين تؤلف بينهم تلك الروابط المقدسة أن ينهضوا لدفع أولئك الأعداء الذين يؤذونهم أو يغيرون على أى ركن من أوطانهم فى أى قطر من أقطار الأرض .

ألا إنهم أعداء ألد أعداء ، أولئك الذين بغوا علينا ، وعملوا على أن يفرقوا وحدتنا ويغلبونا على أمرنا فى أوطاننا وسائر مواطن العروبة والإسلام .

إن أولئك الأعداء يجب علينا أن نكافحهم ونجالدهم ، ونقف صفوفا قوية فى سبيل عدوانهم وغزوهم ، ونقضى على كل وسيلة من وسائل خبثهم وخداعهم ومكرهم . يجب ألا يحول دوننا أى حائل فى مقاومتهم ، وأن ندك كل عقبة تقف فى سبيل مجاهدتهم .

هذه قضية الأخوة فى الإيمان ، وقضية الوحدة فى القومية والعروبة والوطنية : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة

تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » .

ولا شك أيضا أن من الأعداء الذين تجب مناهضتهم والقضاء على شرورهم وآثامهم أولئك الخونة الجبناء الذين يخرجون على وحدة أمتهم، ويبيعون بالثمن البخس عزة قوميتهم ووطنيتهم ، ويناصرون البغاة المحاربين على إخوانهم فى العروبة والدين . يتلمسون فى ذلك أوهى المعاذير التى لا تغنى عنهم ولا تستر غشهم وخيانتهم ، والتى لا تنجيهم ولا تنقذهم حتى من الأعداء الذين هم يناصرونهم ويمالئونهم ويلتمسون الزلفى لديهم .

هؤلاء هم ضعاف الإيمان مرضى القلوب يدخلون فى زمرة من قال الله فيهم : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

أيها المسلمون، أيها المؤمنون، أيها العرب : إنه ليس من العيب على شعب أصيل حر، شعب أبى عربى كشعب العراق، أن تتحد أحزابه ، وتتكتل جماعاته، وأن يعملوا جميعا فى قوة إيمان ، وصدق عزيمة ، على ما يمكن لهم استقلالهم ، ويدرأ عنهم وعن إخوانهم فى مصر وغير مصر شرور الأعداء الغادرين .

إنما العيب كل العيب ، والجريمة أعظم الجريمة ، أن تلجأ جماعة من الشعب أو يلجأ أفراد منه إلى العدو الغاصب ، فيستعينوا بقوته وبأساليب مكايده على إخوانهم وأهليهم وجيرانهم ومواطنيهم ، وأن يمكنوا لهذا العدو أن يدوم تسلطه عليهم وعلى موارد أرزاقهم وعلى منابع الثروة فى بلادهم ، ثم ييسروا له أن يجرهم إلى أحلاف ليس فيها خيرهم ، وإنما هو يسخرهم فيها ليتقى بهم أعداءه لا أعداءهم .

إنه لا ريب أن هذا الصنيع غدر بالأمة وخيانة للأمانة ، ولا ريب أن الخائن لوطنه وأمته خارج على دينه كافر بتعاليم ملته .

إن علماء العراق – شيعة أو سنيين – لم يرتكبوا بحركتهم الوطنية جرما ، ولم يقترفوا إثما ، ولم يبغوا على أحد . إنهم جميعا يغارون لوطنهم ، ويدافعون عن كرامتهم وعزة عروبتهم ، وهم جميعا يحبون أعظم الحب ملكهم ، ولا يكرهون أن تكون حكومتهم منهم ومن أهل

جلدتهم، تقوم على أمورهم بحسن الرعاية، وتدير شؤونهم فى إخلاص ووفاء بواجب الأمانة. ثم هـذا دينهم يأمرهم أن يكونوا فى مواقف الشرف والـكرامة خير قدوة ، وأن يكون للناس فى صنيعهم أحسن الأسوة . فحرام أن يؤخذوا فى ذلك بعقوبة، ومن الظلم الفاحش أن يزج بهم من أجله فى ظلمات السجون .

إن الانجليز الذين يقترن اسمهم بمعانى الظـلم والتسلط المتجبر ، والذين عاشوا الدهور الطوال على مادة الاستعمار والاحتلال، وذهبوا فى طرائق الشر والطغيان مذاهب كانوا فيها مضرب الأمثال ــ هؤلاء الانجليز لم يصلوا إلى ما وصلوا إليـه من التوسع الظالم والتغلب الفاجر والتحكم فى الأمم والشعوب من أهل آسيا وإفريقيـا إلا من طريق الغش والدس ، وخيانة المواثيق والعهود، واستخدام أساليب الفتنة والتفريق بين من تجمعهم جامعة واحدة، وتؤلف بينهم وحـدة شاملة ، هؤلاء الانجليز يفسدون بهذه الفتنة ويفنون هـذه التفرقة روابط الدين والعقيـدة وروابط الجنسية والقومية ، وروابط المقدسات الوطنية ، وحتى روابط النسب والقرابة .

إن الإنجليز لم يستفيدوا فى ظلمهم وبغيهم ونشر احتلالهم واستعمارهم بفعل السلاح الظاهر: سلاح النار والحديد بقدر ما استفادوا باستخدام ذلك السلاح الخفى الخائن الغادر، و « فرق تسد » هى مثلهم السيئ الذى سار فى الأقطـار ، وهى مركبهم الدنىء الذى نالوا به من الأمم والشعوب على مر الدهور والأعصار .

أيها العرب ، أيها المسلمون : هذه هى الساعة الحاسمة التى تمتحن فيها قوة إيمانـكم وسلامة يقينـكم وثباتـكم على الحق ، فاجمعوا صفوفكم ، ووحدوا كلمتكم ، وانبذوا العدو الدخيل من بينكم، وتحرروا من هذه الأغلال التى يطوق بها المستعمر رقابكم باسم الأحلاف أو غير الأحلاف ، ولتكن نصرة العروبة والإسلام أول أهدافـكم ، وليكن الله ورسوله أحب إليكم من أنفسكم وأموالـكم وأولادكم، واحذروا الأمانى الخادعة والعهود الكاذبة، حتى تخرجوا من هذه المحنة أشد بأسا وأعظم قوة ، ويعود إليكم عزكم ومجدكم.

أيهـا المؤمنون ، أيهـا العرب المخلصون : إذا ثبتم على الحق فلا غالب لـكم ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله ولى المتقين .

عبد الرحمن تاج

شيخ الجـامع الأزهر

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الخامس ـ القاهرة فى غرة جمادى الأولى ١٣٧٦ ـ ٣ ديسمبر ١٩٥٦ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

درس

كان الخديو إسماعيل يقول : إن مصر أصبحت فى عهده قطعة من أوربا .

كان يفخر بذلك ، وكان حملة الأقلام من عملاء الغرب والدعاة لأنظمته وثقافاته يرددون هذه الكلمة بحماسة وإعجاب ، ويعدونها من آيات التقدم ووسائل الفلاح .

بهذا الاتجاه أقام إسماعيل فى مصر محاكمه المختلطة ، والمحاكم الأهلية التى نشأت فى ظلها ، وكان نظام القضاء الإسماعيلى موحى له به من الاستعماريين الفرنسيين نقلا عن نظامهم الاستعمارى فى الجزائر ، كما اعترف بذلك نوبار باشا اعترافا صريحا فى نهاية مذكرة مهمة رفعها الى إسماعيل نفسه بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ .

وبهذا الاتجاه أيضا « كان الخديو إسماعيل مستعدا لمنح الأجانب امتيازات جديدة ، بل منحهم نفس ما للوطنيين من حقوق ، بما فيها حق امتلاك العقار » كما قال عنه اللورد هنرى بلور سفير انجلترا فى الاستانة فى رسالة منه إلى وزارة الخارجية البريطانية تاريخها ١٩ يوليه سنة ١٨٦٤ ، أى فى السنة الثانية لولاية إسماعيل على مصر .

وبهذا الاتجاه كانت حكومة إسماعيل — كما جاء فى مذكرة نوبار باشا سالفة الذكر

المؤرخة فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ – : « تشعر بأن التقدم لا يأتى إلا من ناحية أوربا ، وتتطلع الى إشراك هـذا العنصر المدن فى أعمالها ، وتريد أن تكل إليه كبار أعمالها ، وتود أن تستجلب رءوس الأموال بأن تهيئ لها استغلالا مدرّا للربح ، فترى نفسها عاجزة مضطرة الى أن تترك حبل البلد على غاربه . ومن كل المشاريع التى عهد بالعمل فيها إلى الأوربيين لم ينته إلا مشروع واحـد هو مشروع قناة السويس (١) . أما المشروعات الأخرى فمنها ما لم يتم ، ومنها ما لم يشرع فيه قط ، وهى بحالتها الراهنة كانت وستكون مدعاة للتعويضات » . وفى هذه المذكرة يقول نوبار باشا : «إن الحكومة المصرية دفعت فى أربع سنين (٢) ٧٢ مليونا على سبيل التعويضات ، غير أنه يجب أن نضيف إلى ذلك أن هـذه التعويضات التى دفعت تحت ضغط القناصل المباشر أو غير المباشر ، وصفها من استعملوا هـذا الضغط للحصول عليها بأنها من الأعمـال التى تدل على كرم لا مثيل له من جانب صاحب السمو » .

وبهذا الاتجاه كذلك كان إسماعيل يغدق الهبات على بعثات التبشير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين إلى أعماق إفريقية ، وكانت هذه الهبات الكريمة من مال مصر ومن أرض مصر ، حتى قال مسيو بوجاد قنصل فرنسا فى رسالة بعث بهـا من القاهرة إلى وزير الخارجية الفرنسية فى ٢ إبريل سنة ١٨٦٩ : «إن إسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها ٣٥٠٠ ذراع فى موضع حسن جدا ، حتى إن سيادة المونسنيور سرسيا قد تلقى عرضا بشرائها بمبلغ مائة وخمسين ألف فرنك ذهبا تدفع نقدا ، إذ يعلم صاحب العرض أن هذه الأرض ستساوى عما قريب ضعفى هذا المبلغ » . قال القنصل : « وعند وصولى

---

(١) وقد دفعت مصر فى سبيل إنشاء القناة ٣٥٤٤١٢٠ جنيها قيمة الأسهم التى اكتتب بها سعيد باشا ، و٢٫٩٦٠٫٠٠٠ التعويض الذى دفع بمقتضى حكم نابليون الثالث باعتباره محكما ، و٤٠٠٫٠٠٠ جنيه ما دفع مقابل استرداد تفتيش الوادى ، و١٫٢٠٠٫٠٠٠ ما دفع مقابل استرداد الاراضى السابق منحها للشركة على ضفتى القناة ، و٤٠٠٫٠٠٠ ما دفع للشركة عن الاعمـال فى الترعة الحـلوة التى استردت ، و٤٢٨٩٢٧ ما أنفقته مصر فى أعمال حفر الترعة الحلوة ، و١٫٢٠٣٫٠٠٠ ما دفعته مصر للمقاولين الفرنسيين لانهاء الاعمال الخاصة بالترعة الحلوة ، و١٫٠١١٫١٩٣ مصروفات مختلفة ومنها مصروفات حفلة الافتتاح ، و٦٫٦٦٣٫١٠٥ فوائد دفعتها مصر عن هذه المبالغ الى سبتمبر سنة ١٨٧٣ (عن الملف ١٩ / ١ عابدين) .

(٢) أى منـذ تولى اسماعيل فى ١٨ يناير سـنة ١٨٦٣ إلى تاريخ كتابة نوبار لهـذه المذكرة فى سنة ١٨٦٧

إلى مصر منح اسماعيل الراهبات إعانة (سنوية) قدرها ستة آلاف فرنك ذهبا بناء على رجائى، ليستأجرن دارا يقمن فيها مدرسة مجانية . وفى هذه الأيام الأخيرة طلبت من سموه - بمناسبة زواج كبرى كريماته - تمليك الراهبات دارا مساحتها أربعة آلاف ذراع ، وتبرع بمبلغ خمسين ألف فرنك ذهبا نقدا ، وتقدر هذه المنحة بأكثر من مائتى ألف فرنك ذهبا فى جملتها، وليست هذه المبرة آخر مبرات سموه» . وقبل أن تصل إلى مرسيليا سفينة المساجيرى ماريتيم حاملة هذه الرسالة إلى وزير خارجية فرنسا فى باريس كان قنصله فى مصر ممسكا بقلمه ليكتب له رسالة أخرى تاريخها ١٨ إبريل سنة ١٨٦٩ يقول له فيها : « يشرفنى أن أبلغ سعادتكم أن الوالى (إسماعيل) منح أساقفة اللاتين منحة أخرى وهى أرض مساحتها ستة آلاف ذراع فى بقعة من أجمل بقاع القاهرة، ولا شك أن رغبة سموه فى أن يظهر للامبراطورة عند مجىء جلالتها إلى مصر ما يختص به الديانة الكاثوليكية من حماية ، كان لها أثرها فى اتخاذ هذا القرار ، وهو قرار يستقبله القاصد الرسولى ببالغ الامتنان [١] » .

كل هذه السلسلة من الأخطاء ، بل الجرائم ، التى ارتكبها اسماعيل من السنة الأولى التى تولى بها أمانة الحكم فى هذا الوادى المبارك الطيب أهله ، إنما كانت نتيجة انخداعه بقشور الحضارة الغربية ، ولو أن الذين ربوه وعلموه فى صغره أيام جده محمد على لقنوه

---

[١] يشير قنصل فرنسا الى الامبراطورة أوجينى التى نابت عن زوجها نابليون الثالث فى حفلة افتتاح قناة السويس ، وأنشأ اسماعيل لنزولها قصر الجزيرة - جزيرة الزمالك - المطل على النيل عند كوبرى أبى العلا ، كما أنشأ لها قصر الجيزة فى مكان حديقة الحيوانات الآن ، وقد أسرف اسماعيل فى الانفاق عليها والحفاوة بها . ثم زارت مصر فى شيخوختها ، فقال لها حافظ ابراهيم :

أين يوم القنال يا ربة التا ... ج ويا شمس ذلك المهرجان
أين ذا القصر بالجزيرة تجرى ... فيه أرزاقنا وتحبو الامانى
كنت بالامس جنة الحور يا قصـ ... ـر فأصبحت جنة الحيوان
وعوى الذئب فى نواحيك يا قصـ ... ـر وقد كنت معقلا للسان
تلك حال الايوان يا ربة التا ... ج فما حال صاحب الايوان
ان يكن غاب عن جبينك تاج ... كان بالغرب أشرف التيجان
فلقد زانك المشيب بتاج ... لا يدانيه فى الجلال مدانى
كنت بالامس ضيفة عند ملك ... فانزلى الآن ضيفة فى خان
واعذرينا على القصور كلانا ... غيرته طوارىء الحدثان

ما ينبغي للمسلم أن يأخذه من حضارة الغرب وما ينبغي له أن يحذره ، لما جنى على مصر وعلى نفسه هذه الجناية التي تعالج مصر عواقبها إلى يوم الناس هذا .

أقل من الذكاء الذي كان يتحلى به الخديو اسماعيل ، وأقل من المال الذي أنفقته مصر على شق ترعة السويس ، كان يكفي لأن يكون هذا العمل لحساب مصر مباشرة من أوله إلى آخره ، وأن يكون المهندسون الذين عملوا فيه أجراء لا شأن لهم بملكية الأرض ولا بتأليف شركة لها ولا بتدخل حكوماتهم في أمرها ، ولكن إيمان اسماعيل بالغرب ، وانخداعه برجاله ، وشغفه بالمظاهر ، وانقياده للشهوات والنزوات ، هو الذي أسقطه في المهالك ، وهو الذي أماته مخلوعا ذليلا ، وهو الذي أرهق مصر بالديون التي كانت تنوء بها موارد مصر حتى تمكنت دول بيوت الربا الدائنة من أن تتدخل في إدارة مصر ، وأن يكون لانجلترا وفرنسا وزيران في الوزارة المصرية ، بينما كانت قناة السويس البقرة الحلوب للدولتين مدة تسعين عاما ، وإن هذا البغي الإجرامي الواقع الآن على مصر من انجلترا وفرنسا واليهود إنما هو من نتائج إيمان الخديو إسماعيل بالغرب وحضارته الكاذبة ونظامه المبير .

إنه لدرس عبرة ، ومن أعجب ما في هذا الدرس أن يفهم نوبار وزير إسماعيل أنهم إنما تورطوا لأن حكومة إسماعيل كانت « تشعر بأن التقدم لا يأتي إلا من ناحية أوربا » كما قال في مذكرته إلى إسماعيل في ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ ، ولأنها كانت « تتطلع إلى إشراك هذا العنصر المدن في أعمالها » كما جاء في تلك المذكرة ، وهو يقول ذلك بمرارة ، ويشكو متذمرا من أن هذه السياسة لم تنتج إلا مشروع قناة السويس المشئوم ، وأن كل ما وضع فيه الأوربيون أيديهم من مشروعات مصر الأخرى لم يتم ، وكان مدعاة للتعويضات ، فدفعت حكومة إسماعيل في السنوات الأربع الأولى من حكمها اثنين وسبعين مليونا من الجنيهات تعويضات للأوربيين عن مشروعات لم يتموها ولم تنتفع بها مصر وتكبدت مع ذلك كل هذه الخسائر .

أي تقدم هذا الذي كانت تشعر حكومة إسماعيل أنه لا يأتي إلا من ناحية أوربا ؟ ومتى كانت أوربا تعمل في الشرق بالاستقامة والشرف والإنصاف ؟ بل متى كان كل ما في أوربا يصلح لهذا الشرق العربي ويكون له فيه التقدم ؟

هذا غش أقنعوا به إسماعيل من صغره فنشأ عليه ، وحاول أن يطبقه ويعمل به

فى مصر المسكينة ، وكان هو فى نفسه متخلقا بالأخلاق التى تربى عليها وهو تلميذ فى فرنسا ، فـكان منه هذا الشهوانى البعيد عن سنن الإسلام فى الاعتدال والاستقامة والعفة والحذر والتدبر ، وكان منه هذا العميل الضال فى مجاهل حضارة الغرب الآثمة ، وها نحن أولاء نضرس الآن بالحصرم الذى كان يأكله إسماعيل قبل تسعين سنة ، فالله حسبه ، وهو يتولى حسابه .

وهـــذا الغش الذى اقتنع به إسماعيل من صغره ، كانت مدارس الاستعمار الفرنسى والبريطانى فى مصر قائمة ببثه منذ تسعين ســنة إلى الآن فى نفوس من يقع فى حبائلها من تلاميذنا الذين خدع آباؤهم بالغرب وحضارته وثقافته كما خدع إسماعيل ، وكانت هذه المدارس من حبائل الاستعمار فى كل وطن عربى وإسـلامى ، وجميع عملاء الغرب من أمثال الخديو إسماعيل إنمـا صنعتهم هذه المدارس الاستعمارية فـكانوا بلاء على أنفسهم وعلى أوطانهم كما كان إسمـاعيل بلاء على نفسه وعلى وطنه . فهل آن لنـا أن نضع حدا لهذا الغش ، وهل آن لنـا أن نعرف طريقنا إلى الإفلات من هذه الحبائل ؟

يقول الله عز وجل : « وعسى أن تـكرهوا شيئا وهو خير لـكم » .

والحرب من حيث هى حرب أمر مكروه ، ولـكن هـذه الحرب الباغية التى شنها على مصر هذا الطاغوت الثلاثى من الإنجليز والفرنسيين واليهود إذا كانت ستعرفنا بحقيقة أعدائنـا ــ أعدائنا فى السلاح ، أعدائنا فى السياسة ، أعدائنا فى الاقتصاد ، أعدائنـا فى التجارة ، أعدائنا فى الثقافة ــ إذا كانت هـــذه الحرب الباغية ستعرفنا بأعدائنا هؤلاء فلا شك أنها تـكون حينئذ من أعظم نعم الله علينا ، ومن أكبر أسباب هدايته لنـا .

كم من صريع وصريعة فى مصر والبلاد العربية والأوطان الإسلامية لهؤلاء الأعداء ، لا بالسلاح والسياسة والاستعمار وحسب ، بل بالمتـاجر والمصارف المـالية والمدارس والمحافل المـاسونية وغير ذلك من المرافق الآثمة التى تجعل من المصريين والعرب والمسلمين صرعى للاستعمار .

أيها المرء العربى وأيتها المرأة المصرية . أرأيتم الشمع الأحمر الذى ختمت به متاجر الأعداء ومصانعهم وشركاتهم ومصارفهم المـالية ومدارسهم وأنديتهم ، ثم جعلت تحت الحراسة ، لأنها من مرافق الأمم البـاغية علينا ، والتى كنا نطفئ الأنوار لنتقى قذائف مجرميهم فى الجو والبحر. إن هذه المرافق كانت من قبل مرافق لأعدائكم ، وهى الآن مرافق لأعدائكم ، وستبقى فى المستقبل مرافق لأعدائكم ، فالقرش الذى يوضع فيها هو ثمن

وصاصة مدخرة منهم لقتل أبنائنا ، والتلميذ من أبنائنا الذى ندخله فى مدارسهم يوشك أن يكون منه غدا مفتون جديد وأبله جديد وخائن جديد كالخديو إسماعيل يؤذى وطنه بضلاله ويورد أمته ببلاهته موارد الهلكة .

كان ينبغى لكل امرأة مصرية منذ عرفت الأسواق لابتياع حاجاتها أن لا تكون دخلت متجرا من هذه المتاجر التى جعلت تحت الحراسة ، لأنها كانت ولا تزال من مرافق الأعداء . كان ينبغى لكل امرأة مصرية ولكل رجل عربى ومسلم أن يدركوا بسليقتهم القومية - من قبل أن تقع هذه الحرب الباغية - أن هذه المتاجر مرافق أعداء خدعوا الخديو إسماعيل وأعوانه عن أنفسهم قبل تسعين سنة فأخذوا منهم أرض القناة ، وأخذوا منهم النقود التى حفرت بها هذه القناة ، ومضوا يواصلون هذه السرقة فى عشرات السنين ، كما كانوا يواصلون مئات السرقات من أمثالها فى الوطن العربى والعالم الإسلامى من مئات السنين ، فالغفلة عنهم عيب فى ذكائنا وفطنتنا ، ومعاملتهم خيانة منا لأوطاننا وشعوبنا ، وإدخال أبنائنا فى مدارسهم جناية منا على أبنائنا وإفساد لقوميتهم وعقائدهم الاجتماعية والأدبية والدينية .

محمد على جنى على حفيده إسماعيل وعلى الوطن المصرى بوضع حفيده بين أيدى الفرنسيين يثقفونه ويخرجونه مؤمنا بهم ، مستسلما لهم ، مستحسنا لتقاليدهم وسننهم وأهدافهم ، جاهلا تقاليد مصر وسنن العروبة وأهداف الإسلام ، فكان منه ذلك الشهوانى الخائن لمصر بتحويلها عن الاتجاه العربى الإسلامى إلى الاتجاه الفرنسى الأجنبى . فكان من نتائج ذلك وقوع قناة السويس فريسة فى أيدى اللصوص مدة تسعين عاما ، بل كان من نتيجة ذلك عواقب هذه الجناية المستمرة إلى اليوم . وإن مئات وألوفا من المصريين فى مصر ، ومئات وألوفا من العرب فى الأوطان العربية ، ومئات وألوفا من المسلمين فى العالم الإسلامى لا يزالون واقعين فى مثل هذه الغلطة ، ومرتكبين لمثل هذه الجريمة ، بوضع أولادهم وأحفادهم فى مدارس الأعداء ليثقفوهم بثقافتهم ، وليخرجوهم مؤمنين بهم ، مستسلمين لهم ، مذعنين لتقاليدهم وسننهم وأهدافهم ، جاهلين تقاليد أوطاننا وسنن عروبتنا وأهداف إسلامنا . فاذا كانت حرب البغى التى شنها علينا الطاغوت المثلث من الإنجليز والفرنسيين واليهود ستوقظنا من هذه الغفلة ، فحبذا هذه الحرب وحياها الله وستكون من معالم التاريخ التى يذكرها بالخير أبناؤنا وأحفادنا فيقولون : كان ذلك فى حرب البغى التى عرفنا بها أعداءنا ، ووضعنا بها حدا لغفلتنا ، فكان خلاصنا من مرافق الأعداء هو التحرير الأعظم ، وهو الخلاص الحقيقى من الاستعمار ، الاستعمار الثقافى ، والاستعمار الاقتصادى .

وأعود فأقرر هنا ما سبق لى بسطه فى مناسبات أخرى ، وهو أن العلم شىء والثقافة شىء آخر . فالعلوم التى تتوقف عليها الصناعات العليا وإنشاء السفن وشق الترع وبناء السدود وعمل الأسلحة والسيارات والطائرات إنما هى علوم عالمية اشتركت فى تكوينها وتوسيعها عبقريات العلماء فى كل الأمم ، من أقدم العصور إلى الآن ، فلولا علوم الكلدانيين والفينيقيين وقدماء المصريين لما كانت علوم اليونان والرومان والبطالسة ، ولولا علوم العرب فيما يسمونه القرون الوسطى لما كان لعمل الغرب الأسس التى أقام عليها دراساته حتى انتهت إلى ما هى عليه اليوم .

انها علوم عالمية لا تستأثر بها أمة دون أمة ، وهى علوم القوة والجهاد والثروة والعمران ، فمن الواجب علينا تعميم تعليمها كما نتعلم علوم الشريعة والطب والآداب . أما الثقافة فكل أمة حية تحرص على أن تثقف أبناءها بثقافتها ليؤمنوا بأنفسهم ، ويعتزوا بأمجادهم ، وليكون منهم الامتداد المستمر لأسلافهم فى طريق التقدم نحو الأهداف التى رسمها لهم كيانهم الحى .

وليس معنى الخلاص من الاستعمار الثقافى أن نكون جاهلين ثقافات الأمم ، فكما أن المستشرقين هم عيون الغرب التى يبصر بها دخائل الشرق ومكنوناته ، كذلك يجب أن يكون من رجال الشرق العربى ، وفى أهل الألمعية من رجال العالم الإسلامى ، إخصائيون يتفرغون لدراسة مختلف الثقافات والتأليف فيها .

وكما لم تكن دراسة المستشرقين من الإفرنج لثقافات الشرق وعقائده مؤدية إلى انسلاخ هؤلاء عن ثقافاتهم وعقائدهم ليذوبوا فى الثقافات الأجنبية عنهم والتى وقفوا حياتهم على دراساتها ، كذلك الذين يتفرغون من أفاضلنا لدراسة ثقافات الغرب وغيره من مختلف الأمم يجب أن يكون عملهم هذا لأجل المعرفة والتعريف ، ثم يكون الواحد منهم أشد الناس تمسكا بثقافته الأصيلة وقوميته وسنن أمته وأهدافها .

يقول مرشدنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه : أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم . وإن أبناءنا فى موقفهم من الكتب التى تصدرها المطابع ، والصحف التى تقع فى أيديهم ، ومختلف الآراء والمبادئ والدعوات التى تطرق آذانهم ، تجعل الواحد منهم كالتائه فى صحراء لا يهتدى منها إلى طريق ، فهو يسمع الرأى وضده ، والدعوة وما

يخالفها ، ولعل دعوة السوء تجد من الأقلام البارعة الخادعة ما يجعلها فى عيون الأحداث أكثر التماعا من دعوة الخير . فان لم تكن لأبنائنا من ثقافتهم الأصيلة وتربيتهم الأدبية القومية معالم يرجعون إلينا فى هـذا التيه المضلل ، فياويح لنا من المستقبل ، وما أكثر ما ينتظر أن تصاب الأمة بأمثال الخديو اسماعيل فى سلوكه فى الحياة ، سواء كان سالكا فى طريق الحياة على انفراد ، أو حاملا شيئا من أمانات أمته ووطنه وكيانه القومى .

إن حرب البغى المثلث قد لفتت أنظارنا إلى بعض النوافذ التى كان يهب علينا منها الريح السموم ، ولكن مواريثنا من الشر أوسع من ذلك وأفدح . فنحن فى حاجة بعد هدوء هذه العاصفة إلى أن نصفى حسابنا مع كل ما له تأثير فى تكوين كياننا الثقافى ، وفى إعداد الجيل الجديد لحمل أماناتنا القومية فى المستقبل القريب .

يجب أن نعرف ما الذى نأخذه عن الغروب ، وما الذى ندعه .

يجب أن نعرف ما هى الأقلام الذى تؤثر على نفوس قرائنا بالخير ، وما هى الأقلام التى تؤثر على نفوسهم بالشر .

يجب أن نعرف العناصر الصحيحة السليمة من ثقافتنا القومية وما تهدف اليه من مقاصد عالية وأغراض شريفة فنحييها ونبعث الحيوية فيها ونؤدب أبناءنا بأدبها ، وأن نعرف ما طرأ عليها من دسائس غريبة ، ودخائل شعوبية ، فنطهرها منها ونقى أجيالنا من أضرارها ومفاسدها .

يجب أن نعيد النظر فى مناهجنا ونفحصها سلبا وإيجابا . لندخل فيها ما كانت تقام فى وجهه السدود والقيود من ينابيع الخير ، ولنشذب منها النباتات الغريبة والبذور المؤذية .

إن ثقافتنا الأصيلة مظلومة ومجهولة منذ دهر طويل ، وقد ترك الدهر لنا منها شجرة شاخت وكبرت ، وفيها الاستعداد العظيم لتجديد حيويتها واستئناف نمائها وازدهارها . وإن الدرس الذى تلقيناه من عصر إسماعيل إلى قيام الثورة ، يحتم علينا أن نكمل ثورتنا من ناحيتها الثقافية ، الناحية التى تستأنف منها العروبة نهضتها بالتعليم والتثقيف ، فنهيئ لها الجو الصالح ، لنستقبل به الجيل الصالح ، ويكون لذلك ما بعده إن شاء الله .

محب الدين الخطيب



— ٤٥ —

العدل روح الحياة ، وقوام المجتمع

> ١ — « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .
> ٢ — ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .
> ٣ — اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » .

١ — من أبرز ما عنى به القرآن توجيه المسلمين إلى الأخذ بالعدل بين أفرادهم وبين جماعاتهم ، وفيما بينهم وبين سواهم من غير المسلمين .

وتوجيهات القرآن ـ فى كثرتها وفى قوتها ـ تدل على أهمية العدل فى قوام الحياة الخاصة والعامة ، وتدل على آكدية العدل فى دعم الكيان القومى للشعوب ، وانتظام سياستها وسيادتها . . وإذا حسب حاسب أن اتجاه القرآن إلى ذلك مجرد دعوة أدبية ، أو هى محاولة نظرية إلى اجتذاب الناس نحو خلق طيب ، فقد غفل عن الواقع ، وتغاضى عن التجارب والأحداث . . وإنك ما تكاد تنظر فى أمة ولا فى شئون مجتمع إلا وجدت العدل أقوى أركانها إذا اشتد بناؤها وانعقد مجدها ، ووجدت الانحراف عن العدل معول هدمها ونذير انحلالها وطمس معالمها .

٢ — ولا تقل : إن أمما ظالمة عاشت وتعيش فى أبهة وصعود ، وسيادة وتضخم ، فان سنة الله فى ملكه منذ أبدع هذا الكون تأبى أن تكون للظلم دولة تدوم ، أو حياة تطول ، ومهما امتدت بها السنون فهى فى حياة الشعوب لحظات ، وسنة الله آتية لا ريب فيها بتقويض معاقل الظلم ، وإن كانت صروحا شامخة ، أو جيوشا زاخرة .

« فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » .

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد : إرم ، ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد » .

٣ — هذا : وللقرآن أسلوب عجب فى تربية المسلمين، فأنت تراه يدعوهم إلى توثيق صلتهم بالله ، وتذكيرهم بما له من سلطان على عباده ، وبما عنده من مثوبة وعقاب . وتراه فى السياق نفسه يعرج بهم على شئون الدنيا ، ويوجههم إلى مسالكها المأمونة من العثار ، وإلى شرائعها الناجحة ، ويدفعهم دفعا قويا إلى أن يكونوا للدين وللدنيا جميعا .

وهو بهذا التوجيه المزدوج يبعد بنا — أولا — عن المادية المحضة التى ارتطمت فيها أمم أخرى ، فذهبت شريعتها ضحية لشهواتها ، وكان تدينها زعما متلاشيا أمام جشعها . . وكان طابعها التكالب على المادة ولو بوسائل تعافها الإنسانية النبيلة .

وبهذا التوجيه المزدوج يبعد بنا — ثانيا — عن رهبنة روحية ابتدعها غيرنا فى دينهم قديما ، فكانت لزاما عليهم ، وقعدت — ظاهرا — بنفر من أتباعها عن التزود من دنياهم ، والأخذ بنصيبهم مما أباح الله فيها من طيبات .

فلم يرض الله للمسلمين أن يتلطخوا بالمادية التى نفث أهلها سمومها فى كل بيئة شملتهم وكل جو يعيشون فيه ... كما لم يرض لهم أن يتظاهروا برهبنة تكون عقالا يكفهم عن النشاط فى الحياة الدنيا : والدين هنا وهناك ستار مهتوك ، وزعم مصطنع .

٤ — وانظر فى موضوعنا تجد القرآن يخاطب المؤمنين فيقول « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط » . ومعنى ذلك : أن يلتزموا الوفاء بحقوق الله فى كل ما ناط بهم من عبادة وأدب ، وقصر النداء هنا على المؤمنين أشبه بما فعل أول السورة حين دعاهم إلى الوفاء بالعقود ... وذلك : لأن الإيمان مظنة الاستجابة ، والمؤمن أولى من غيره بالتذكير والإرشاد .. وفى إهمال غيره وخز ، وتنديد ، وحث على المسارعة إلى الإيمان إذا عقلوا ، وأرادوا لأنفسهم خيرا .

ومع مطالبة المؤمنين بأن يكونوا قوامين لله : طواعية لأمره ، ووفاء بعهده ، فقد مزج القرآن بذلك شأنا من شئون دنياهم، وهو الشهادة بالقسط يعنى بالعدل التام فيما يقع بينهم من شهادات وأقضية ، وما يجرى لديهم من خصومات فى الأموال والدماء ، وكل ما يثور بسببه تنازع وخلاف .

ويبادر القرآن إلى تفهيم المؤمنين أن ذلك حق عليهم فى كل حالة ، ومع كل إنسان ، ولو كانت هناك أسباب عدائية يخشى معها الانصراف عن التزام العدل، فان العدالة تكليف منوط بذمة المؤمنين ، بل وغير المؤمنين وإن لم يتجه إليهم الخطاب ، والعدالة هى النمط الذى جرت عليه سنة الله فى معاملة خلقه : ألا تراه يرزق الفجار كما يرزق الأبرار، ويلطف بالعصاة كما يلطف بالصالحين ، ذلك : لأنه عدل رحيم .

فهو يعطى الناس من عدله ورحمته ما يليق به هو ، وإن تجاوز ما يليق بهم، والله يحب من عباده المؤمنين أن يكونوا على هذا النحو المجيد ، فلا يجعلوا العدالة مجاملة لصديق ، ولا الانحراف عنها وسيلة إلى التشفى من عدو .

وما زالت العدالة ركنا فى بناء الأمة ، وشعارا لنبلها ، ووسيلة إلى نجحها وسيادتها على غيرها كما كان قديما .

وبعد ذلك الأمر فى جانب العدل يجىء نهى صريح عن تركه لسبب ما يكون بين الناس من خصومات « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » . وهذا النهى يعتبر توكيدا للأمر السابق .

فان من طبيعة النفوس أن تلتوى عمن يغاضبها وتقسو على من يخاشنها، فاذا كان هناك جفوة بين إنسان وغيره، أو بين قوم وقوم، فربما استباح أحد الجانبين الانحراف عن الجادة المنشودة ، فلا ينطق بالصدق فى شأن غيره ، أو لا يشهد بالحق ، أو لا يحكم بالعدل . وهنا يضطرب الميزان الذى يستقيم عليه أمر الناس ، وينهار النظام الجماعى الذى يعتبر العدل أقوى أركانه ، إذ تفسد الذمم ، ويفشو سوء الظن ، وتتعطل المعاملات بين الناس عن التقدم .

ولذلك اعتبر القرآن عدم العدل خطيئة نكراء بل اعتبره إجراما . وقال فى شأنه :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » يعنى : لا يكن بغضكم لغـيركم سبب إجرامكم بعدم العدل معهم .

ثم تعود الآية بعد النهى فتؤكد الأمر الأول مرة ثالثة بطلب العـدل « اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » تمسكوا بالعـدل فانه جزء من التقوى الكاملة ، وهو أقرب الأجزاء إلى كمالها « واتقوا الله إن الله خبير بمـا تعملون » وهذا تأكيد رابع لمـا ورد الأمر به ، وفيه إشعار صريح بأن الله خبير بكل ما نعمله ، فمحاولة الانحراف عن العدل ، وتبرير الإنسان لمـا يبدر من مجافاته للعدالة ، غير خاف على الله .

وقد يقال : إن القرآن يطلب العدل على وجه الـكمال ، ويؤكد الأمر به غير مرة ، ولـكنه فى آية أخرى يصرح بأن العدل غير مستطاع للانسان فى قوله تعـالى :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فـكيف يكون العدل التام غير مستطاع ثم يطلبه فى صيغ مؤكدة ؟ .

وجوابنا عن ذلك أن علاقة الزوج بزوجته علاقة معاملة وعلاقة محبة قلبية ، فاذا كان الرجـل بين زوجتين فقد لزمه أن يعدل بينهما تماما فى حسن المعاملة ، وهـذا أمر مقدور له .

أما المساواة بينهما فى المحبة فليست من عمله ولا مما يملك التصرف فيه ، وهو غير مؤاخذ على محبته لإحدى الزوجتين أكثر من الأخرى ، ولـكنه مؤاخذ على عدم إحسانه فى معاملة إحداهما كما يحسن مع الأخرى ، وهو حينئذ يكون مال عنها كل الميل : مال فى حبه وقد عفى عنه ، ومال فى معاملته لها بالعدل وهو جريمته ، وكان النبى صلى الله عليه وسـلم يقول فى ذلك : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، يعنى فى المعاملة ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك : يعنى فى تفاوت المحبة بين الزوجات .

وبعـــد : فهذا مقام أمر الله فيه بالتقوى وبالعدل ، وذكر العدل بجانب التقوى يشهد بأن رعاية القـرآن للجانب الروحى مقرونة برعايته للجـانب الدنيوى ، ويشهد بأنه لا غنى للمرء عن الأخـذ بنصيبه من التقوى إذا استجاب ، ولا غنى للدنيا عن العـدالة بين الناس ، إذا أرادوها دنيا طيبة مصونة من الشوائب ، مكفولة البقاء فى أمن وسـلام إلى ما شاء الله .

هذا وقد شهد التاريخ بأن المسلمين كانت لهم سيادة على بقاع فسيحة فى جنبات الدنيا، يوم كانت لهم عدالة مستمدة من كتابهم وهداية من جانب شريعتهم .

فلما أحاطت بهم الفتن ، وفترت فيهم الهمم ، تبدل الوضع ، ووقف بنا المسير ، ولكن لله غيرة على دينه، ورحمة بأهله، فهو إذ يختبرنا ببعض بلائه يلطف بنا فى قضائه.

وإذا كانت مصر وهى وطن للاسلام ، ومعقل ضخم من معاقله ، يساورها فى هذا الوقت شيء مما أراد الله أن يبلوها به ، فأن الله سيكشف غمتها ، ويشد أزرها ، ويحفظها بعونه من مكر خصومها .

فان مصر ما ظلمت سواها ، ولا تحرشت بغيرها ، ولا بيتت كيدا لمن عداها، ولكنها فى ظل السياسات الاستعمارية رضيت بعادات لا يرتضيها دينها ، وركنت إلى تقاليد ليست مما يلائمها .

وقد قيض الله لها أبطالا من أبنائها يحاولون تصحيح أوضاعها ، وتطهير بيئتها ، وهم جادون فى ذلك ما استطاعوا .

ونحن نضرع إلى الله أن يكون معهم ، وأن يجنبهم كل مكروه ، ويعقد النصر بأيديهم ، وهو سبحانه يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عن عباده . إنه سميع مجيب الدعوات .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

جلوب يقول

خسرنا الشرق الأوسط

خطب الجنرال جون جلوب فى اجتماع الجمعية الملكية الامبراطورية فقال : إن بريطانيا خسرت الشرق الأوسط بأكمله . إن الشرق الأوسط حيوى لنا ، وإذا خسرناه وقفنا وظهورنا إلى الحائط فى أفريقيا ، لأنه الطريق إليها ، وبريطانيا تحتاج إليه لتجارتها العابرة وللحصول على الزيت .



حى على الجهاد

— ١ —

بين القول والعمل ـ من هدى النبوة ـ فضل الجهاد ـ تمنى الشهيد ـ من هو المجاهد؟ ـ فى الجهاد عز الإسلام ، ورفعة الوطن .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده ! قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟! قال : ومن يستطيع ذلك ؟ .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

حى على الجهاد ، حى على العمل .

بهاتين الكلمتين اختتمنا القول فى الحديث السابق : حديث الاقتصاد فى الوعظ ...

وكأنّ ذلك ـ قبيل غارات العدو ـ إيذان أو إلهام من عالم الغيب والشهادة ، أنه قد جد الجد ، لحق القصد فى القول ، والجهد فى العمل .

إن فضل القول على العمل هجنة ، وفضل العمل على القول زينة ، وما أكثر ما قلنا ! وما أقل ما عملنا ! أفلم يأن لنا أن نغير ما بأنفسنا ، ليغير الله ما بنا ؟! وأن يكون فى منهاج حياتنا أن نقول ونعمل على سواء ؟ ! أما أن يكون من منهاجنا فضل العمل على القول ، فذلك من هدى الأنبياء والرسل ، ومن اهتدى بهم من الدعاة إلى الله عز وجل ...

إن خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، لم يكن يسرد الحديث كسردنا هذا ، وإنما

كان يحدث حديثا بينا فصلا يحفظه من جلس إليه ، لوعده العاد لأحصاه ؛ وكان فى الأعم الأغلب من أحواله صلوات الله عليه ، يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ، ليعلمنا ـ بالعمل ـ فضل العمل ، وليبنى على خير أساس ، خير أمة أخرجت للناس . . .

* * *

ولعل من حكمة الحكيم العليم ، الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، أن جعل لكل منا أذنين اثنتين ، ويدين اثنتين ، ولسانا واحدا فى فم واحد ، ليسمع ضعف ما يتكلم ، وليعمل ضعف ما يقول . ومن عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم . . .

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى عمل الصالحات بعد الإيمان بالله ورسوله ، فقد وكد الدعوة إلى الجهاد توكيدا ، وحرّض عليه تحريضا ، وعدّه بعد أركانه الخمسة أجلّ الأعمال قدرا ، وأرفعها ذكرا ، وأفضلها مرتبة وشأنا « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة » .

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

هذا قبس من الذكر فى فضل الجهاد والمجاهدين . .

* * *

فأما من أنزل إليه الذكر صلوات الله وسلامه عليه ، فقد بسط هذا الفضل وبينه أوفى بيان :

قال فيما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، وجبت له الجنة ، فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علىّ يا رسول الله ، فأعادها عليه ثم قال : وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، قال : وما هى يا رسول الله ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، الجهاد فى سبيل الله . وقال فيما رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه : ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ! يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ؛ وفى رواية : لما يرى من فضل الشهادة . . . إلى أحاديث صحيحة عجيبة فى مكان الجهاد والمجاهدين ، سبقنا

بتبيانها السباق إلى الخير فى هذه المجلة ، فكتب من جزئها السابق إحدى عشرة صفحة مشرقة فى « الجهاد ... وتاريخه » وليست هذه أول مسابقة له فى روضة السنة المطهرة .

* * *

لا عجب إذا بعد هذا الفضل الذى اختص الله به الجهاد والمجاهدين ، ألا يجد المجاهد الأكرم صلى الله عليه وسلم عملا يعدل الجهاد فى فضله ، ويساويه فى منزلته ، بالغا ما بلغ من الصالحات .. اللهم إلا اعتكافا بالمسجد دائما ، مع صلاة وصيام موصولين بالليل والنهار ، من غير فتور ولا إفطار ... ومن يستطيع ذلك ؟! !

لا أحد ؛ لأنه عمل فوق طاقة البشر ... وما هو إلا مثل من الأمثال النبوية الرائعة لمنزلة الجهاد بين سائر الأعمال .. وأين من يشترى نفسه بعمل أى عمل كان ، ممن يبيعها وما لها راضية طيبة لذى الجلال والإكرام ؟ ! « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وأهل ذلك الفوز العظيم — كما فى السنة المطهرة — إنما هو من خرج من بيته ، لم يخرجه إلا إيمان بالله وتصديق بما وعد المجاهدين على لسان رسله ، وكان جهاده لإعلاء كلمة الله ، وحماية دين الله ، روى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه ، أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، وفى رواية : يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ، وفى رواية : يقاتل غضبا ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

هذا الجهاد هو عمود الإسلام وقبته ، وسنامه وذروته ، فيه عز الإسلام والمسلمين ، ورفعة لواء الوطن خفاقا فى العالمين ... وثم ضروب أخرى من الجهاد ، لا بد منها ومن أسلحتها لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وموعد بيانها الجزء الآتى إن شاء الله .

* * *

أما بعد ، فاذا كنا ندعو إلى القصد فى القول ، والجد فى العمل مع الإخلاص فيه ، فما أحرانا أن نستجيب لما دعونا ، وأن نلتزم ذلك فى منهاج « السنة » ما استطعنا ، ضارعين إلى الله سبحانه أن يجعل ما نقول ونعمل حجة لنا لا علينا ، فانه لا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،

طه محمد الساكت

سابق الروم

صهيب

سبق الحديث فى هذا المكان عن سابق الحبشة « بلال » ومكانته فى الإسلام ، فتناول الحديث ما عرف الناس من تقدير الإسلام للناس بأعمالهم ، ومقاومته للعصبيات الجاهلية حتى شلت ، ولم يكن لها شأن ما دام الإسلام فى قوته وحيويته : فكان بلال يلى من أمور المسلمين ما لا يلى كبار الأشراف من العرب والصحابة ، وكان أسامة يقود الجيش وفيه مثل عمر بن الخطاب . ذلك أن الإسلام يقدر التقى المصلح المنتج على مقدار تقواه وإصلاحه وإنتاجه ولو كان حبشيا أو روميا أو فارسيا ، وينبذ المفسد العقيم ولو كان هاشميا عربيا ، قامت على ذلك الدلائل الواضحة ، والبراهين المشرقة ، فبينت أن الإسلام دين الخلود والمجد .

وفى هذا الحديث اليوم حديث عن أحد أولئك الذين أعزهم الإسلام بجدهم وإنتاجهم ، وبجهادهم وإخلاصهم ، لم يقدمهم نسب ولا حسب ، بل التقوى والعمل ، وهو صهيب الرومى .

وصهيب يختلف عن بلال فى أمر النسب ، فقد رأيت أن بلالا من والدين حبشيين فهو أصيل فى حبشيته ، ولكن صهيبا ـ فى بدء أمره ، وفى منشئه الأول ـ عربى من والدين عربيين ، فهو غير أصيل فى روميته ، ولكنه أسر فى الروم وهو صغير ، فاشتراه عبد الله ابن جدعان صاحب حلف الفضول فى الجاهلية ، ويقال إن ابن جدعان أعتقه وبعث به إلى النبي صلى الله عليه وسلم [١] .

وكان لهذا الإسار الرومى أثره فى صهيب العربى ، فقد استعجم وتكلم روميا وأوغل فى ذلك حتى نسى عربيته وصار لا يحسن التعبير بها . والظاهر أنه طال مكثه فى الروم

---

(١) ويقول ولده : إنه هرب من الروم إلى مكة فحالف ابن جدعان (المعارف ١١٤) .

فى تلك السن التى تنطبع فيها الصفات ، ويشتد إبانها التأثر بالبيئات، فأخذ كثيرا من حلى الروم وأوضاعهم ، وغلبت عليه كثير من طباعهم، وحتى تناسى الناس أنه عربى وصاروا يقولون « صهيب الرومى » ، وحتى أنكر عليه عمر - إن صح الخبر - أن ينتسب عربيا .

روى البغوى عن يزيد بن أسلم عن أبيه قال : «خرجت مع عمر حتى دخلنا على صهيب بالعالية ، فلما رآه صهيب قال : يا ناس . يا ناس . فقال عمر : ماله يدعو الناس ؟ قلت : إنما يدعو غلامه يحنس . فقال له : يا صهيب، ما فيك شىء أعيبه إلا ثلاث خصال ، أراك تنتسب عربيا ولسانك أعجمى ، وتكتنى باسم نبى، وتبذر مالك، فقال : أما تبذير مالى فما أنفقه إلا فى حق، وأما كنيتى فكنانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما انتمائى إلى العرب فان الروم سبتنى صغيرا فأخذت لسانهم . هذا وقد كنا نحرص على أن نعلم تلك الكنية التى ورد بها ذلك الخبر ، ولكن لم نعلم إلا هذه الإشارة فى ذلك الخبر . (١)

وإذا فقد كان صهيب عربى الأصل ، وقالوا : إنه من أبوين عربيين ينتهى نسب أبيه إلى زيد مناة ، وينتهى نسب أمه إلى مالك بن عمرو ، وكتب الله سبحانه لصهيب كما كتب لغيره ممن وهبهم النفوس الخصيبة أن يكون ممن أسلم من قبل الفتح وقاتل ، بل من السابقين الأولين إلى الإسلام ، يوم كان الإسلام سبة فى الجاهلين والكل جاهلون إلا من عصم الله ، وكان الإسلام محنة على الداخل فيه ، وبلاء عظيما على متعاطيه ، وكانت القوة الفاتنة فى الكثرة الكافرة ممن يعذبون المؤمنين ويفتنونهم بكل أنواع الفتنة فلا يسلم منها إلا كل معدن نفيس كريم ، كان صهيب فى هذه الفئة التى وصفها الله سبحانه فقال : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وكان صهيب فى أربعة فقط شرفهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو أشرفهم فوسمهم بسمة السباق، ولم يسم بهذا الشرف الكريم غيرهم، وهم : الرسول صلى الله عليه وسلم وثلاثة معه : صهيب وسلمان وبلال ، روى الحاكم والطبرانى والبزار بأسانيدهم إلى أنس رضى الله عنه ، وروى الطبرانى بسنده إلى أم هانئ ، وروى ابن عدى بسنده إلى ابن عباس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(١) المجلة - كناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا يحيى كما سيأتى فى خبر هجرة صهيب .

« السباق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة » .

كان إسلام صهيب مع إسلام عمار فى دار الأرقم بن أبى الأرقم التى اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم مختبأ للدعوة الأولى له ولأصحابه ، يفرون بها من الفتن فى بدء الإسلام ، حتى يقيض الله سبحانه له النفوس التى أعدها لحمل هذا الدين الكريم ، يتخيرها من بين الناس تخيرا كما تتخير الثمر السليم الكريم من بين الأشجار ، فتختار أنفسها وأعزها .

وقد كان المجرمون من القوم الكافرين يتابعون النبى صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع هؤلاء يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، وكانوا يقولون : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، ولو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقونا إليه ، ثم يهيجون عليهم السفهاء من الناس ليسخروا منهم ، وينالوا أقصى ما يمكن لهم من الأذى والشر . قال المفسرون فى الآية الكريمة : « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب » إنها تشير إلى هؤلاء الفقراء المستضعفين : صهيب وعمار وبلال وخباب وأبى فكيهة وأمثالهم ، فقد كان الكفار يسخرون منهم ويقولون : لو كان محمد نبيا لاتبعه الأشراف منا .

ولعمرك أيها القارئ الكريم لقد علم المستحكمون جميعا أن هؤلاء الأشراف هم البلية العظمى على الحق ، يأكلون ويتمتعون ويلهيهم الأمل ، قد طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ، فهم لذلك يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، فيصرفهم الكبر عن آيات الله : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » .

ولهذا قال هرقل لأبى سفيان يوم قدم إليه بالشام ليسأله عن أحوال النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته ليفصل فى أمره فى ضمن حوار له مع أبى سفيان : وسألتك أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

على هذا كان جل المقدمين فى الإسلام ، وأصحاب الحظوة الكبرى عند رسول السلام ، هم هؤلاء الفقراء كمنطق الحق والحكمة لا كمنطق أولئك المطبوعين من المترفين الهمل المهملين

ويقولون أيضا فى هذه الآية الكريمة : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين [١] » إنها أيضا تتصل بهذا المعنى وتتناول صهيبا تناولا أوليا كما تتناول بلالا وعمارا وغيرهم ممن سبق التنويه بهم ، والإشادة بذكرهم.

قال الكلبي : قال الأشراف من قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا يوما ولهؤلاء الفقراء يوما، قال : لا أفعل، قالوا : فاجعل المجلس واحدا ، وأقبل علينا وول هؤلاء ظهرك ، فأنزل الله هذه الآية (ولا تطرد ..) والرواية عن مجاهد قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد – يعني ابن مسعود – لبايعناك ، فأنزل الله هذه الآية ،

وعن ابن مسعود : مر نفر من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب و بلال وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يامحمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ فنزلت .

وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص ماهو فى معنى ذلك ، وكثير غير ذلك مما يفيد أن الله يكرم هؤلاء الناس فينزل فى شأنهم القرآن يتلى على الناس ، ويغار لهم فيدافع عنهم ويدفع كل ما يوجه من نقد ضدهم . اللهم ارزقنا حب هؤلاء من حبك، وأفض علينا فيضا مما أنعمت به عليهم ، إنه لا راد لفضلك ولا رب غيرك ، يا الله .

أيها القارئ الكريم : أترى إلى ما يكرم الله به المجاهدين فى سبيله المؤثرين لدينه ، الراضين بكل ما يصيبهم فى ذاته ؟ أفلا تستحث نفسك فتوقظها من غفلاتها . وفقنى الله وإياك .

ثم استمع إلى ذلك النبأ الظريف مما يختص بصهيب وحده ، وهو ما ذكر أرباب السير والمفسرون فى حوادث الهجرة ، قالوا : هاجر صهيب إلى المدينة ليلحق بالسيد المنقذ والمعلم المصلح صلوات الله عليه ، ثم تبعه الكفار يحاولون أن يردوه إلى الكفر وهو يكره ذلك كما يكره أن يقذف فى النار ، ولكنهم لا ينثنون عن وجهات الشر ومقاومة دعوة الحق ما أمكنت لهم الفرصة .

ساروا وراء صهيب بغيا وعدوا حتى أدركوه أو كادوا فنزل عن راحلته فى اعتداد المسلم العظيم ، واتجه إليهم بوجهه الكريم ثم نثر ما فى كنانته ، وأمسك بقوسه ثم قام فيهم منذرا يقول :

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الأنعام

« يا معشر قريش : لقد علمتم والله انى لمن أرماكم رجلا ، وايم الله لاتصلون إلىّ حتى أرمى بما فى كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شيء . ثم افعلوا ماشئتم ، فما أبالى بكم » وأمام صيحة الحق ، وجبروت الإيمان الضخم خارت عزائم القوم ، وتراجعوا فى الحكم ، ورضوا بالأدنى الهون من تافه عرض الدنيا واطمأنوا بها ، شأن من لا وجهة له ، وهو من استولى الشيطان على جنانه ، ونطق بالباطل على لسانه .

فقالوا : دلنا على بيتك وما لك بمكة ونخلى عنك ، يعنون أنهم لايدافعون عن مبدأ وإنما يتلهون بالخسيس ، ويتشهون عرض الدنيا فى أى لون وعلى أى وجه ، فدلهم على ذلك لأنه ما تركه وهو يفكر فيه ولا هاجر عنه وهو يبتغيه . فيالله وللايمان والكفر ، ويا لله وللرجولة والميوعة . وفى هذا نزلت الآية الكريمة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جبريل قد أخبره ونزل بالآية ، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع . ثم تلا له الآية الكريمة ، فكان ذلك مما زاد إيمانه وأقر بما هو فيه عينه ـ أى والله ربح البيع . ربح البيع . وهكذا فليكن المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

كان صهيب من أهل بدر الذين غفر الله لهم ، وتحدثوا أنه لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سرية ونقلوا عنه أنه قال : « لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قط إلا كنت حاضره ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ، ولا وراءهم إلا كنت وراءهم . وماجعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى و بين العدو قط .

وبعد ـ فهل معنى ذلك أنه كان أشجع من علىّ الذى يقول : « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم » أم لعله التضحية بالنفس فى سبيل رسول الله والتفدية له ، على أن علياً رضى الله عنه إنما قصد شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم الخارقة وإيمان أصحابه بأن الله لن يصيبه وان يتخلى عن نصره أبدا ، مهما يكن فأن ذلك كله مما نحاول به تصوير صهيب فى صورته الإسلامية ومزاياه السامية التى قل أن يزاحم فيها ، على أن فيها درسا للمتواكلين المتخاذلين الذين يخافون كل شيء ، فما هم من الدين فى شيء .

ثم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فيكون صهيب على صفاته الأولى لا تغيير ولا تبديل ، وعلى عهده مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فهو على منزلته التي كانت في نفس الرسول عند أصحابه صلوات الله عليه . ويدع لنا التاريخ بجوة من حياته فلا يفصل الأمر فيها . ولكن حسبك أن تعلم أنه كان ممن يسلكون سبيل الطاعة ، ولا يعرف له نفس في خلاف أو خصومة أو شغب ، ثم تعلم أن عمر رضي الله عنه استخلفه على الصلاة فصلى بالناس بعد عمر ثلاثة أيام ، وهذا كما استخلف النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الصلاة فرضيه المسلمون خليفة ، وهذا تقدير عجيب مدهش يضع صهيبا في الصف الأول وفي أوائل الصف الأول ، فلعل الذي منع عمر أن يجعله في الستة أصحاب الشورى أنه ليس من قريش وكان الأئمة من قريش ، ثم هو إذ منع أن يوليه الخلافة فانه ولاه أمر من تنحصر فيهم الخلافة من المسلمين ، ثم ولاه حق القتل على من شذ على الجماعة منهم ، أو خرج على الكثرة في رأيهم . وبعد ـ فما أنت يا صهيب !! إن الذي أنزل القرآن على نبيه في آيات كثيرة من شأنك ، لقد أنزل في قلوب أصحاب القرآن أن يقدروك حق قدرك ، وعلى مقدار ما نزل فيك من القرآن المتلو . وكل ذلك لقد كان جديرا أن يجد في نفوسنا معنى تقدير الإسلام للناس وترتيبهم على مقدار إخلاصهم ووفائهم للحق جل شأنه ولدعوة الحق من عنده ، لا كما زعم الجاهل المتعصب حين يقول في أمر عمر :

هذا صهيب أم كل مهاجر وعلا جميع قبائل الأنصار
لم يرض منهم واحدا لصلاتنا وهم الهداة وقادة الأخيار

نعم إن عمر رضي الله عنه لم يرض منهم واحدا للصلاة وهم القادة الهداة ، لأنه رأى في صهيب ما رأى من المزايا التي يفوق بها هؤلاء ، على أنه لو قدم واحدا من أولئك القادة المصطفين لربما أطمعه ذلك في أمر الخلافة ، وقد يعزز هذا المعنى ما ورد من أن عمر رضي الله عنه لما مات وأخرجت جثته تصدى علي وعثمان أيهما يصلي عليه ، فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الإمرة ، لستما من هذا في شيء ، هذا صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس ، فصلى عليه صهيب .

كانت وفاة صهيب سنة ثمان وثلاثين في رواية ابن قتيبة وهو ابن سبعين سنة فدفن بالبقيع وله من الأولاد حمزة وصيفي وعمارة .

قال الواقدي : كان صهيب رجلا أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى القصر أقرب ، كثير شعر الرأس ، يخضب بالحناء والكتم ، وكان مزاحا ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتأكل تمرا وبك رمد ؟ فقال : يارسول الله إني أمضغ بالناحية الأخرى . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم منه . رحم الله صهيبا ما

محمود النواوي

فروسية الشباب فى الاسلام

لقد طبع الإسلام الشباب على حياة الفروسية وأخلاق الفتوة ... والفروسية فى الأصل هى المهارة فى ركوب الخيل والخبرة بشئونها ؛ ولكن معناها العرفى اتسع حتى صار يشمل طائفـة من الصفات فى الجسم والعقل والنفس ، وتكمل الفروسية بأمور هى : القوة فى الجسم ، والصحة فى المعرفة ، والعمق فى الفهم ، والرقة فى الحس ، والطهر فى النفس ، والحذق فى التصرف ، والاطمئنان عنـد الغرم ، والتواضع عند الغنم ، والثقـة بالخالق ، والخدمة للمخلوق .

وقد رمز القرآن الكريم إلى أصول هذه الأمور حينما قال يصف النبى والمؤمنين معه : « محمد رسول الله والذين معـه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ؛ يبتغون فضـلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

فهم أشـداء أقوياء بفتوتهم وعدتهم ، يصدون الكافرين عن الضلال والطغيـان ، وهم رحماء بينهم ، يعاملون بمكارم الأخلاق من يستحقها ، والرحمة صفة تقتضى رقـة فى الحس وأدبا فى النفس ، وتراهم راكعين ساجدين متعبدين ، يصقلون أرواحهم بهـذه الصلاة ، وتلك المناجاة مع الله ، وهم يرجون الرضى والثواب من الخالق الوهاب، وترى ملامح التقوى على وجوههم ، لأن طهارة الداخل تفيض أنوارها على الظاهر فيبدو حسنا رائعا ، وهم كالزرع إذا نمـا ، وقوى واستوى ، وأعجب بكثرته وقوته وجمـال منظره ، وهم مؤمنون محسنون، يعملون الصالحات، ويجتنبون السيئات ، فيحمد الناس لهم طباعهم وفعالهم ، ويجزيهم ربهم بالخير العميم والأجر العظيم ...

فهذه الصورة التى رسمها القرآن لمحمد وصحبه تتضمن تحريضا على العناية بتربية النفس تربية قويمة فيها من مبـادئ الفروسية صفات القوة والتمـاسك ، والرحمة والتواضع ، والثقة والإيمـان ، والتزام الطهر والعمل الصالح والخلق الـكريم .

وحينما قال الله لرسوله : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ، بأنهم قوم لا يفقهون » أراد من هؤلاء المؤمنين أن يحققوا فى أنفسهم مايجعلهم أهلا لتلك الغلبة الفذة والانتصار الفريد ، من التربية العسكرية ، والإقدام على التضحية ، واتقان الجهاد ، والثبات فى مواطن البأس ، والتمسك بمبادئ الفروسية الإسلامية التى لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو فى الوقت نفسه لا يضل ولا يطغى ...

* * *

ولقد خص الإسلام فروسية الشباب بمزيد من عنايته ، فحث أبناءه على تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل ، وغير ذلك من ألوان الفتوة الرياضية ، وشرع السباق فى العدو ، وبين الفرسان على الخيل أو الإبل ، واشترك النبي صلوات الله عليه فى هذا ، حين تكرر منه مسابقته لزوجته السيدة عائشة ، ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفاصيل ، وعود صحابته التواضع عند النصر مع الاستعداد للتحدى ، فعن سلمة بن الأكوع الصحابى قال :

بينما نحن نسير ، وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبدا ، فجعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ . فقلت : أما تكرم كريما وتهاب شريفا ؟ . قال : لا ، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ذرنى أسابق الرجل . فقال : إن شئت . . . فسبقته إلى المدينة ! . . .

* * *

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه القدوة العليا لكل فتى فارس ، فقد كان سيد الفتيان وإمام الفرسان . كان قوى البدن ، مفتول العضل ، نشيط الحركة . يقول أبو هريرة : « ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث » .

وكان جريئا مقداما ... فزع أهل المدينة ليلة من صياح سمعوه ، فخرجوا يستطلعون النبأ ، فاذاهم يجدون رسول الله عليه صلوات الله راكبا جوادا عاريا لأبى طلحة ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وعرف جلية الأمر ، ورجع يطمئنهم قائلا : لن تراعوا ! ...

وصارع أشد العرب بأسا ، كركانة بن عبد يزيد وكلدة بن أسيد ، ففاز وغاب دون

مباهاة أو فخر ، وثبت فى مواطن البلاء حتى احتمى به فرسان قومه دون طغيان أوكبرياء، وهو مع هذا ــ كما يقول القرآن ــ رءوف رحيم .

وقد علم صحابته العناية بالخيل ، لأنها من وسائل الفروسية ، وقال : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » ... والقرآن يزكى هذه العناية حين يقسم بالخيل الجارية المجاهدة ، المغيرة على باطل الكفر، المثيرة تراب الهزيمة على الشرك، فيقول : « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لكنود » .

وعلم أتباعه حياة الإعداد والاستعداد ، والتأهب للنوازل والملمات بالسلاح والعتاد ، فقال : « تعرض أعمال بنى آدم كل اثنين وكل خميس ، فمن زاد فى سلاحه زيد فى حسناته ، ومن نقص من سلاحه نقص من حسناته » ؛ والقرآن يزكى هذا بقوله الجليل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وإعداد المستطاع من القوة هو شعار الفرسان ، ومنهج الكملة من الفتيان ...

* * *

إن الفروسية الكامله معناها الاستقامة على طريق القوة والعدل والخير، وهذا هو منهج الإسلام فى الحياة ... يقول الله مخاطبا عباده المسلمين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ويقول لهم بعد أن يوصيهم بمحامد الأعمال، ومكارم الأخلاق : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ! ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

احياء العلوم

ونهضاتها المختلفة فى ثقافة أوربا

مستقاة من معين الثقافة الاسلامية

لا جدال فى أن الثقافة الإسلامية منبثقة عن العقيدة الإسلامية ، والعقيدة الإسلامية دين ومذهب ورأى للمسلمين الذين ظهروا فى مطلع بجر الإسلام ، ثم صارت لهم إرثا يتوارثه الخلف عن السلف حتى يومنا هذا وحتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض عن الدوران .

فالقرآن الكريم نهض بمستوى الإنسان إلى طور يستطيع به النظر فى الكائنات والتدبر فى الآيات المتلاحقة بعد الآيات ، ووجهه إلى البحث فى الوجود وآفاقه والتدبر فى معالم هذا الكون بشتى أطرافه ، وحث الإنسان على التفكر والتأمل والتجديد فى استخلاص عبره والكشف عن مغالقه « أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى » ، «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

فالثقافة الإسلامية قبل أن تنتقل إلى أوربا بفعل الفتوح الحربية تركزت فى بلاد الشرق تركزا قويا ، حتى لا يزال أثرها ماثلا فيه إلى يومنا الراهن ، فالثقافة العربية لم تقف فى الشرق عند حدود بلاد العرب والشام وما جاورها من البلدان ، وإنما تجاوزتها إلى الهند والصين على يد التجار من العرب والمهاجرين من الفرس والغازين من الترك والمغول ، فالعرب نقلوا فى رحلاتهم التجارية طائفة كبيرة من المعارف إلى تلك البلاد ، حتى إن دخول الشرق الأدنى والأوسط والهند وجزء من الشرق الأقصى فى الإسلام أدى إلى

ثورة فكرية فى الأدب والثقافة ، والرقى الذى طرأ بجأة على جوهر اللغة العربية فأحالها إلى لغة مكتوبة مهذبة ، مع أن الخط كان فى ندرة ملموسة ، وأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز ، ولم يكن هناك معجم عربى يضم بين دفتيه الألفاظ المتداولة ، شأن معاجم اللغة ، ولم يكن هنالك كتاب يهتـدى به الحائر فى قواعد النحو والصرف ، وبالرغم من أن الفتوح الأولى للقوات الإسلامية فى الهند لم تذهب بهم بعيدا داخل البلاد الأجنبية فان خلفاءهم فى القرن العاشر استطاعوا أن يتوغلوا بالإسلام إلى مسافات بعيدة داخل الهند، إلى أن كان القرن الثالث عشر فرأينا أن أول ملك تبوأ عرش دهلى كان ملكا مسلما . وكان الهنود قبل الإسلام وثنيين ، وكانت آدابهم خليطا من الهندوكية والبوذية ، ولما نزح الأتراك الموجودون فى أواسط آسيا إلى الهند ونشروا الإسلام كان هؤلاء الأتراك يتكلمون التركية بينما كانت ثقافتهم فارسية ، وهى تلك الثقافة الحديثة التى ظهرت بجأة فى بخارى .

فعلى هذا القياس يكون الإسلام قد أدخل فى الهند لغتين : العربية لغة الدين ، والفارسية لغة الشعر ، إلا أن العلاقة الوثيقة بين اللغة الفارسية واللهجات السائدة فى الهند الشمالية هى السبب فى أن مسلمى الهند قد اختاروا الفارسية واسطة لآدابهم دون العربية والتركية ، واستمر الحال كذلك حتى القرن الخامس عشر إذ لم تصل اللغة الأردية وهى خليط من الهندية والفارسية إلا فى ذلك القرن . ولم يك مسلمو الهند قادرين على تذوق السمو الذى امتازت به العربية بالسرعة التى كانت عند غيرهم من الفرس ، إلا أن الإسلام صبغ العدد العظيم من الهنود بصبغة العقيدة الإسلامية .

وكان من أثر الثقافة الإسلامية عند الهنود أن هفت الأذهان إلى تدوين تاريخهم، وكان نتيجة ذلك أن دونت أخبار جميع ملوك دهلى ابتداء من القرن الثالث عشر ، بعد أن كان التاريخ يعتبر أمرا عاديا فى نظر المفكرين والفلاسفة . وهذا هو السبب فى أن التاريخ الهندى القديم قد جمع بصعوبة عظيمة ، وكان الاعتماد فى جمعه على ما عثر عليه من السكة والتماثيل دون أن يكون هناك مخلفات كتابية . يقول السير ونسون روس مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن : « الأثر الذى تركته اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى عقول مسلمى الهند والفرس والأتراك كان أجل شأنا وأعظم خطرا من الأثر الذى تركته اللاتينية فى عقول الأدباء من أهل أوربا فى القرون الوسطى » إلى أن يقول : «ومع

أن اللاتينية كانت الواسطة للكتابات الدينية والعلمية فلم تكن لها ميزة كبيرة فى الثقافة حيث كان يوجد فى أوربا قبل حركة إحياء العلوم لغات كثيرة اصطبغت بصبغة البيئة التى وجدت فيها ، ولم يكن الأمر كذلك فى اللغـة العربية ، فان العربية قد أمدت المستنيرين فى أواسط أوربا بثقافة جديدة من كل الوجوه ، وفتحت أذهانهم إلى علوم حديثة لم يألفوها من قبل » .

وإذا اتجهنا بعد الهند صوب فارس نجد أنه بالقضاء على الديانات القديمة ، وبحلول العربية محل اللغات القديمة فى المسائل الأدبية ، ثم باستبدال الثقافة الإسلامية بكل ما يرجع فى أصله إلى الثقافة الآرية ، كل هذا يدفعنا إلى القول بأن العربية قد أمدت بلاد فارس بخزائن جديدة من العلم أو قل : أمدت الفرس ببعث قومى جديد مع ثقافة حديثة .

ومما يدعو إلى العجب العاجب أن الإغريق وقد حكموا الفرس نحو قرنين لم يتركوا فيها أى أثر أدبى ، كما أنهم لم يتركوا شيئاً من هذا فى الهند ، كذلك لم يترك فتح الفرس لمصر أى أثر فى تلك البلاد ، ولكن دخول هذه البلاد تحت نفوذ المسلمين جعلهم يستسلمون طوعا لحكمهم ولدينهم ثم لثقافتهم .

ولما كان العرب قد أسهموا فى كل شأن من شئون المدنية ، فلم يمض قرنان على فتحهم حتى كانت أكثر البلاد المفتوحة على دينهم . وإن نظرت إلى اللغة رأيتهم هيئوا لغتهم لكل حديث ووسعوها — وهى البدوية الأصل والمنشأ — حتى زحمت الفارسية فى فارس ، والرومانية فى الشام ، والقبطية فى مصر ، وسارت مع الدين جنبا لجنب ، كلما سار الدين وظفر سارت اللغة وظفرت . وإن نظرت إلى النظم والتشريع وجدت أن الفقهاء فى كل قطر يوسعون مذاهبهم حسب الحاجة وحسب الإقليم الذى حلوا فيه ، ونشروا مع ذلك قوانين لاتزال إلى اليوم محل إعجاب المشترعين . وإن التفت إلى العلم رأيت أنهم فى كل فرع من فروع العلم أخذوا بحظ وافر ، لم يمنعهم دينهم أن يأخذوا عن وثنيى اليونان المعقول من فلسفتهم ، ولا عن النساطرة طبهم ، ولا عن اليهود أخبار أنبيائهم وعلمائهم ، وأبلوا فى العلم بلاء لا يقل عن بلائهم فى الحرب ، ثم استحدثوا من كل ذلك ثروة علمية طائلة تداولوها بالنقد والشرح ، وضموا إليها ما أوحته نظريات دينهم من العلوم الإسلامية والمذاهب الدينية . ومن هنا نعلم أنه من العبث أن يحاول كاتب فى التاريخ الحط من شأن

العامل الديني في التطور الاجتماعي ، وأن يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها . ومن أجل هـذا كانت الثقافة الإسلامية نتيجة العقيدة الإسلامية ، فأن هي اتجهت إلى الاستعانة بالفلسفة اليونانية والآداب الفارسية والهندية ، فلأن الدين حملها على ذلك ، وطلب منها أن تتزود من العلم حيث كان ولو في الصين ، وأن تأخذ الحكمة من المشركين « والحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى يجدها » .

لقد غرس الإسـلام في نفوس أصحابه بذورا تأصلت فيهم ، فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يـكونوا مقلدين تقليدا صرفا ، إنما كانوا دائما يعملون العقل فيما نقلوا ، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرأوا . فاذا نظرنا إلى كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يقفوا موقف التلميذ فحسب ، بل نقدوا وزادوا ، ووفقوا بين الفلسفة والدين ، وأمدوا كل شيء أخذوه من عندهم ، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها ، حتى المنطق اليوناني الذي دانت له كل الأمم زاد الغزالي في بعض كتبه كـكتاب محك النظر فصولا عن القـرآن ، وابن تيميـه وابن حزم وغيرهم نقدوا منطق اليونان وعدّوه منطق شكل لا منطق مادة .

فدعوى أن المسلمين في ثقـافتهم كانوا حفظة للثقافة اليونانية أكثر منهم مبتـكرين لثقافة خاصة ، دعوى أملاها عدم الدراسة للثقافة الإسلامية دراسة وافية .

لذلك لمـا انتقل الإسلام إلى أوربا بدأت الدنيا تتقلقل كأنما مر بقدمه على مركزها فضغطها فحركها ، وكانت خطواته تخط في الأرض بينما معانيه تخط في التاريخ ، وظل الإسلام ماضيا في طريقه لا ينحرف ، ومعتزما لا يتحول . فقد اتصل المسلمون بالأوربيين في الأندلس اتصالا وثيقا ، واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم ، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أمهات الـكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ، وهي لغة الأدباء والعلماء في القرون الوسطى ، حتى إن كثيرا من مؤلفات ابن رشد المترجمة إلى اللاتينية لا نجد أصلها بالعربية ، وكان من أشهر من قام بهذه الحركة : « ريموند » الذي كان مطرانا لطليطلة من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٠ ، فقد أسست جمعية لنقل أهم الـكتب الفلسفية والعلمية بالعربية إلى اللغة اللاتينية ، حتى بلغ ما ترجموه من اللغة العربية ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور « لـكلارك » في كتابه تاريخ الطب العربي . وكان أكثر ما ترجم كتب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا والفارابي ، وكان من أثر

هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية إلى اللاتينية يدرس فى باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية ، وأمر لويس الحادى عشر عند ما نظم برامج التعليم سنة ١٤٧٣ بادخال فلسفة ابن رشد ضمن مناهج التدريس .

ولقد ظلت هذه الكتب المترجمة تدرس فى جامعات أوربا مدى خمسة قرون ، وظلت فلسفة ابن رشد تدرس فى جامعات فرنسا و إيطاليا وعلى الأخص « بادو » و « بولونيا » ابتداء من القرن الثالث عشر م

عباس طه
المحامى

نشيد الجهاد

بنى النيـل هيا فلبوا النداء ... وكونوا لمصر جنود الفـداء
إذا هى نادت ورف اللـواء ... فهبوا سراعا لبـذل الدماء
لتحيا البـلاد و يعلو البنـاء ... وتبلغ مصر عنان السماء

* * *

وكونوا صفوفا تصد العـدا ... وتسق الدخيل كؤوس الردى
وكونوا السلاح وكونوا اليـدا ... ليصبح واديكمو سـيدا
وكونوا لمصر السنا والهـدى ... تنـالوا المعـالى والسؤددا

* * *

هلموا لنيـل العلا والخلود ... فقد قاد مصر الأباة الأسود
وقـد حطموا فى البلاد القيود ... وثاروا بعزم وهزوا الوجـود
وراحوا يعدون عند الحـدود ... لهيبـا رهيبـا يبيد اليهـود

* * *

و يرفع للعرب أقوى عمـاد ... ويدفع عنـه الأذى والفساد
و يجمع أبنـاءه فى الجهـاد ... فتنمو العروبة فى كل واد
و يرهب سطوتها كل عاد ... وتبلغ أقصى المنى والمراد

محمود محمد بكر هلال
رئيس اتحاد خريجى الأزهر بمديرية سوهاج

مؤامرات اليهود الغادرة

فى مقالات سابقة نشرت فى هـذه المجلة « الزهراء » تحدثت عن بنى إسرائيل وما امتازوا به من غلظ الطبع وقسوة القلب وشكاسة الأخلاق وانتكاس الفطرة والخروج على كل المقررات الدينية والخلقية والأدبية ، وأنهم قوم مرنوا على نقض العهود وخلف الوعود وخيانة الأمانات والتنصل مما يلتزمون به فى سبيل عرض مادى زائل أو شهوة عارمة مفسدة .

ولم أكن قـد تحدثت عن مؤامراتهم الغادرة التى حاكوها للاسلام ونبيه ، والعرب الحاملين لواءه ، هـذه المؤامرات التى أسفـوا فيها إسفافا نزلوا بسببه إلى أحط الدركات الحيوانية البهيمية .

* * *

وقد أذكرنى ما قام به يهود إسرائيل اليوم من خسة وغدر وخيانة على حـدود مصر ـ كنانة الله فى أرضه ـ إرضاء لنزواتهم الحمقاء الطائشة ، ولأعوانهم وصانعيهم من الانجليز والفرنسيين ، ما قام به أسلافهم بالأمس من سلسلة المخازى والفضائح والمؤامرات الدنيئة نحو الإسـلام والمسلمين والعرب ، فهى شنشنة نعرفها من أخزم ، أليس هؤلاء الـكفرة الفجرة إخوان القردة والخنازير ؟ أليسوا من سلالة أولئـكم الغادرين من يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وغيرهم الذين لم يدعوا وسيلة من وسائل الكيد للاسلام والمسلمين إلا سلكوها ؟ لقد حاولوا ما وسعتهم الحيلة أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون الخاسئون ، وقد أمنهم نبى الإسلام على دمائهم وأموالهم وعقائدهم ، فكان جزاؤه منهم أن تألبوا عليـه وألبوا غـيرهم وهموا بقتله ، لولا أن الله عصمه منهم ، ولما أعيته الحيل فى إصلاح حالهم وتقويم أخـلاقهم المرذولة وسـلوكهم الشائن الحقير لم يجد بدا من إجلائهم من الأرض التى وسعتهم قبل تشريدهم ، والتى دنسوها بأقذارهم ونذالاتهم .

* * *

لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة عاهد اليهود معاهدة سلم وأمان ، فلا يحاربهم

ولا يحاربونه ، ولا يعينون عليه ولا يؤذون أتباعه ، وكان ممن عاهد بنو قينقاع ، فماذا كان منهم بعد هذه المعاهدة ؟ كان من أمرهم أن امرأة من العرب قدمت بحليب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ! ! ! فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها ، فصاحت واستغاثت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ وكان يهوديا فقتله ، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون لما حدث ، ووقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع بعد أن كشف اليهود لهم عن خبث طويتهم ونذالة نفوسهم وتجردهم من المروءة الإنسانية ، واستبان لرسول الله أنهم قوم لا أمان لهم ، وأنهم يتحينون الفرص للوقيعة بالمسلمين والنيل منهم ، فلم يجد بدا من محاربتهم بعد أن نقضوا العهد . ومع أنهم كانوا هم البادئين بنقض العهد بفعلتهم النكراء أخبرهم بنقض العهد الذى كان بينه وبينهم تأدبا بأدب القرآن فى هذا : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين (١) » .

ثم حاصرهم هو والصحابة حتى نزلوا على حكم الله ، فاستشار الرسول كبار الصحابة فأشاروا بقتلهم ، وكان لهم حليفان : عبادة بن الصامت من خيار المسلمين ، وعبد الله ابن أبى رأس المنافقين ، فأما عبادة فقد تبرأ إلى الله ورسوله من فعلهم وقال : « يا رسول الله أتولى الله ورسوله » ، وأما ابن أبى فقد سعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن فى موالىّ ، فأعرض عنه . ثم كرر مقالته فأعرض عنه . وما زال يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرجوه أن يعفو عنهم حتى قبل رجاءه فيهم على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الأموال ، ووكل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عبادة بن الصامت رضى الله عنه باجلائهم ، وأمهلهم ثلاث ليال ، فذهبوا إلى أذرعات . وبذلك أزال الله سبحانه عن المسلمين شر شوكة من الشوكات الثلاث التى كانت فى ظهور المسلمين آنذاك .

وفى شأن ابن أبىّ وموالاته لهم ، وعبادة بن الصامت وبراءته منهم ، أنزل الله آيات كريمة لتكون درسا للمسلمين يعلمهم من يوالون ومن لا يوالون . فقال : « يا أيها الذين

---

[١] سورة الأنفال الآية ٥٨ .

آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » إلى قوله : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » [١] .

* * *

ولم يكن بنو النضير بأقل عداوة للاسلام والمسلمين من بنى قينقاع، بل كانوا أشد حقدا وأسعى منهم فى الأرض فسادا حينما هموا بازهاق النفس الزكية، نفس النبي عليه الصلاة والسلام الذى أرسله الحق جل شأنه هداية للخلق وإصلاحا للكون ورحمة للعالمين .

ذلك أن عمرو بن أمية الضمرى قتل رجلين من بنى عامر ظنهما محاربين ولم يشعر بعهدهما الذى لهما من رسول الله، فقال له الرسول : « لقد قتلت رجلين، لأدينهما » ثم خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر، وكان بين بنى عامر وبين بنى النضير حلف وعهد، فلما أتاهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قالوا له : نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت . ثم خلا الشياطين بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة، وكان رسول الله قاعدا إلى جنب جدار من بيوتهم، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك الشقى عمرو ابن جحاش بن كعب . فقال : أنا لذلك ! فصعد ليلقى الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه . فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود اعتزمت القدوم عليه، فبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه محمد بن مسلمة أحد الصحابة الأجلاء يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصرة .

وقد ذكر الله سبحانه هذا فى قوله : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا، وإن

---

[١] سورة المائدة من الآية ٥١ الى الآية ٥٦

قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون(١) » وقد اغتر اليهود بوعد المنافقين الكاذب ، وأعلموا الرسول أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهود ، فلم يجد الرسول الكريم مناصا من محاربتهم وتأديبهم ، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك فى شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وأمر أصحابه بالتهيؤ للمسير إليهم ، فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال فتحصنوا فى الحصون وتبينوا كذب وعود المنافقين الذين كانوا وإياهم كالشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك . وقذف الله فى قلوب بنى النضير الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) . فقبل منهم الرسول وترفق بهم وأمهلهم فى الجلاء ثلاث ليال ، فسار بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى أذرعات ، وبذلك أراح الله المسلمين من شر مستطير ووقاهم شر الغدر والخيانة من هؤلاء الخبثاء المناكيد . ولو أن هؤلاء الأشرار نجحوا فى مكيدتهم لقضوا على الإسلام فى مهده ، وأى خسارة كانت سيمنى بها العالم لو لم يستضئ بنور الإسلام وتعاليمه ؟ ؟

وها هم اليهود الأنذال اليوم يعيدون سيرتهم الأولى ، ويمالئون الانجليز والفرنسيين ، ويطعنون جنود الكنانة من ظهورهم وهم يواجهون الأعداء ، ويحاولون أن ينالوا من زعماء المسلمين والعرب الذين وحدوا الأمة العربية وكتلوها وفوتوا عليهم مآربهم وأغراضهم الدنيئة . وقد كان ربك لهم بالمرصاد فرد كيدهم فى نحرهم ، وفوت عليهم ما يبتغون ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

فهل يعيد التاريخ سيرته ، ويقذف المسلمون والعرب برذالة البشر وحثالة الشعوب يهود إسرائيل فى أعماق البحر ، وتعود الأرض المباركة إلى أربابها وأصحابها ؟ ذلك ما نرجو ، وما ذلك على الله بعزيز .

وبحسبنا هذا اليوم . أما بقية الحديث عن مؤامرات اليهود وما جرته عليهم من بلاء وتشريد ففى مقال آت إن شاء الله .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] سورة الحشر الآية ١١ ، ١٢ [٢] الحلقة : السلاح .

لغويات

لتعن بأمر فلان

قد يحتاج إلى الأمر من عنى ونحوه مما يأتى مبنيا للمفعول ولا يعرف فيه البناء للفاعل، وقد يخفى هذا على بعض الخاصة ، وقد وقع فى الخطأ فيه علامة قديم من رواة اللغة العربية يعد جبلا من جبال العلم وعلما من أعلامه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ صاحب مجاز القرآن والنقائض بين جرير والفرزدق وغير ذلك من أمهات كتب اللغة والرواية . حدث أبو عثمان المازنى قال [١] : كنت عند أبى عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عنيت بالأمر ؟ فقال : كما قلت : عنيت بالأمر . قال : فكيف آمر منه ؟ قال المازنى : فغلط وقال : اعن بالأمر . فأومأت إلى الرجل : أن ليس الأمر كما قال، فرآنى أبو عبيدة فأمهلنى قليلا فقال : ما تصنع عندى ؟ قلت : ما يصنع غيرى . قال : لست كغيرك ، لا تجلس إلىّ . قلت : ولم ؟ قال :لأنى رأيتك مع إنسان خوزى [٢] سرق منى قطيفة . قال: فانصرفت وتحملت عليه باخوانه . فلما جئته قال لى :أدب نفسك أولا ، ثم تعلم الأدب .

وتذكر رواية أخرى أن المازنى لما خلا بالسائل قال له : إنما يقال لتعن بحاجتى ، ويقول المبرّد : الأمر من هذا باللام لا يجوز غيره ، لأنك تأمر غير من بحضرتك كأنه : ليفعل هذا ، يريد المبرّد أن صيغة الأمر إنما يتوجه للفاعل ، وعنى فى صورة المبنى للمفعول المحذوف فاعله ، فالأمر إنما يتوجه إلى الفاعل المحذوف ، والفاعل هنا يعوزنا ،

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ١٠٩/٧ طبعة الحلبى واللسان فى (عنا) .

(٢) منسوب إلى الخوز ، وهم أهل خوزستان فى بلاد إيران . ويقول ياقوت فى معجمه : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » يريد أبو عبيدة أن المازنى يصاحب سقاط الناس فليس أهلا أن يفيده علما .

فوجب الأمر بغير صيغة الأمر وهو الأمر باللام ، وهى قد تدخل على غير الفاعل ، كما تقول : ليخرج فلان تأمر بذلك خادمك أو عونك . ولا يفوتنى هنا أن يتنبه القارئ إلى حسن تأديب أبى عبيدة تلميذه المازنى ، وأن الأدب أدبان أدب النفس وأدب الدرس ، وأن الأول أولى بالتقدمة والاعتداد من الثانى ، وأن هذا لا يغض شيئا من أبى عبيدة .

وقد دعانى إلى هذا البحث أن هذا الخطأ لا يزال يقع فيه بعض المثقفين . فقد جاء فى مجلة الكتاب (شهر نوفمبر ١٩٤٧) الشعر الآتى للأستاذ أنور العطار من أدباء دمشق .

يا قلب هذا الهوى فغن   وهذه سدرة التمنى
فاصدح مليا بألف لحن   وجن فى فرحة اللقاء

وقد ورد هذا فى قصيدته : « البصرة بندقية العرب » فاستعمل جن فى الأمر بالجنون ، وصوابه على ما علمت : لتجن .

من جديد

أنكر بعض الأدباء هذا الأسلوب إذ لم يرد فى الكلام القديم . ولا يضيره ذلك إذ لا يصدم قاعدة من قواعد اللغة . فتقول : أزرع القطن من جديد أى من زمن جديد ، ومن فيه للابتداء فى الزمان ، كما فى قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وقد تكون من بمعنى فى أى فى زمن جديد . ويقول (١) ابن رشيق القيروانى صاحب العمدة :

قد حنكت منى التجا   رب كل شىء غير جودى
أبدا أقول لئن كسب   ت لأقبضن بيدى شديد
حتى إذا أثريت عد   ت إلى السماحة من جديد

وقوله : بيدى شديد أى شحيح بخيل .

---

(١) معجم الأدباء ٨ / ١١٦ طبعة الحلبى .

عمل مستديم

يستعمل العامة المستديم فى معنى الدائم ، فيقولون : عمل مستديم ، ويقولون : عاهة مستديمة أى دائمة . فتراهم يأخذون هذا الوصف من استدام فى معنى دام، واستدام هذا كدام لازم غير متعد ، واستدام من الدوام يأتى فى اللغة متعدّيا ، وهو يجيء لمعنيين . يقال : استدام الشيء أى طلب دوامه ، ويقال : استدام الأمر أى ترفق فيه وتمهل ولم يعجل به ، ومن هذا قول قيس بن زهير :

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم

فقوله : استدمه أى ترفق به وتأنّ فيه ، وضرب مثلا بالعصا إذا قوّمت بتصليتها فى النار أى إدارتها فيها حتى تلين فيقوّمها ويزيل عوجها المثقف ، فمن استدامها وترفق بها أحسن تقويمها ، ومن تولى هذا الأمر عن غشمرة وعجرفة لم يحسن تقويمها ، ومعنى البيت : ما قام بحاجتك مثل من يعنى بها ويحب قضاءها، ويقال فى هذا المعنى : استدمت غريمى أى رفقت به .

وقد يأتى استدام متعدّيا لمفعولين ، فيقال : أستديم الله عزك : أى أسأله أن يديم عزك ، ويأتى استدام لازما فى قولهم : استدام الرجل أى أخذه الدوام وهو دوار الرأس واضطرابه ، وهو ليس من معنى الدوام .

وجاء فى خطبة القاموس : « هذا وإنى قد نبغت فى هذا الفنّ قديما ، وصبغت به أديما ، ولم أزل فى خدمته مستديما » فقال الشارح الزبيدى : « أى دائما متأنيا فيه » وهذا التفسير يشعر بأن مستديما من استدام اللازم إذ فسره بالدائم ، وقد علمت أن هذا لم يأت فى اللغة ، ويمكن تخريج عبارة القاموس على حذف المفعول أى مستديما لهذا الفنّ ـ والمراد فنّ اللغة ـ أى متمهلا فيه ، وهذا فيه معنى الدوام ، أو على تنزيله منزلة اللازم أى ذا استدامة وترفق ؛ ويمكن ارتكاب هذا التخريج فى قولهم : عاهة مستديمة على ضرب من التجوز ، والمراد : عاهة ذات استدامة أى تمهل وبطء فى الزوال ، وهو تأويل بعيد ، ومن الجلى أنه لا يقال : استدام العمل أى دام ، والتجوز هنا أبعد .

القرقوشة

تقال القرقوشة فى لسان العامّة لضرب من الخبز يعجن بالسمن ، وهى تتصل بمادة فعل عندهم هو القرقشة أى أكل شيء يابس يحدث صوتا ، ولم يرد هذا فى اللغة .

ويقال للقرقوشة أو القراقيش جمعها المنين بكسر الميم ، وكأن أصلها المنين بفتح الميم وهو فعيل من المنّ أى القطع ، فى معنى مفعول أى مقطوع لأنه يقطع ويقرّص . ويهمنى فى هذا المقام أن أذكر أن هذه اللفظة نالت حظا من القدم ، فقد قال الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٨٤٣ :

خليلىّ قد جعنا جميعا فبادرا لبيت فلان مسرعين وسيرا
وإن تجدا قرقوشة فاجريا بها لنحوى وإن كان العجين فطيرا

وقد نحا نحو التورية فى قوله : (فطيرا) يجوز أن يريد الفطير ، وأن يريد طيرا من الطيران أدخل عليها فاء الجزاء . وقد ورد هذان البيتان فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ٣ / ١٩١

الشاه فى لعب الشطرنج

الشاه فى لعب الشطرنج لفظ فارسىّ معناه السلطان ، وهو فى البعد عن شاة الغنم كما يبعد الإنسان عن الحيوان . وقد ظنّ ابن اللبانة من شعراء الأندلس أنه الشاة . فقال فى قصيدته فى نكبة آل عباد :

والدهر فى صبغة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده وربما قمرت بالبيذق الشاة

ويقول بدر الدين بن الصاحب :

لعبت بالشطرنج فى غاية تقصر الأوصاف عن حدّها
إن صاح فى الأقران لى بيذق تموت منه الشاة فى جلدها

والبيذق فى اصطلاح هذا اللعب هو الجندىّ . وقد ورد البيتان الأخيران فى مطالع البدور ١ / ٧٩ م

محمد على النجار

أسباب النصر

لا نلوم المستبد إذا استبد ... فشأنه أن يستبد وشأننا أن نستعد

لقد أحسنت حكومة الثورة صنعا إذ دعت إلى الإعداد والاستعداد ، وألفت من الشباب كتائب ومنظمات ، وفرقا للحرس الوطنى ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فدعت جميع المواطنين على اختلاف طوائفهم إلى التدرب على حمل السلاح ، ولقد نفذوا ذلك سراعا .

نفذه شيخ الأزهر ووكيله وسكرتيره ، نفذه العلماء على اختلاف أسنانهم (الشباب منهم والشيب) ، نفذه طلاب المعاهد الدينية والكليات الأزهرية والجامعات المصرية وجميع مدارس الجمهورية وتجارها وموظفيها ، فنفذوا بذلك أمرا قرآنيا كريما وإرشادا إسلاميا حكيما ، ذلك قول الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

عز على أعداء الإنسانية والسلام والإسلام من الانجليز والفرنسيين أن يتمتع الشعب المصرى بكامل حريته ، وأن يهيمن على قناته ، وأن يكون له الصوت المسموع فى العالم كله ، على لسان باعث نهضته وقائد حريته : البطل المغوار والرئيس المفدى جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، فأعلنوها حربا شعواء على مصر والمصريين ، بغيا وعدوانا بلا أى مبرر ، والحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

دخلت مصر فى هذه المعركة الدامية بقلوب فتية قوية ، ويقين لا يعرف التردد ، وإيمان لا يتطرق إليه الشك والخور . وقفوا للعدو بالمرصاد ، فأسقطوا طائراته ، ونكلوا بجنوده ، ودمروا من سفنه ومدمراته ما قهرهم ورد كيدهم فى نحورهم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

أى وربى انتصر الحق ، أى وربى انهزم العدو ، أى وربى تكلم المدفع ، أى وربى نطقت الدبابة ، أى وربى قالت الأسلحة : ألا سحقا وبعدا للقوم الظالمين .

فياشعب مصر: ألا رجوعا إلى الله، وتوبة إليه، وندما على مافات، وعزما على الصالحات.

فالدهر يجد بفعل الجد، فليس يليق بك اللعب. كرّموا القرآن فى ندواتكم، واقرؤوه على قلوبكم فى صباحكم ومسائكم، واستمدوا من قوته لعزائمكم، وغذوا بالسنة المطهرة أرواحكم، وطهروا من البدع بيوتكم ومتاجركم، فقد آن للمرأة من نسائنا أن تكون كأسماء ذات النطاقين التى كانت ليلة الهجرة ذات الرأى المسموع والحديث المرفوع، آن للمرأة من نسائنا أن تكون كخديجة فى وفائها، وعائشة فى علمها وحكمتها، وأم سلمة فى صبرها، ونسيبة بنت كعب فى غزوة أحد فى جدها وجهادها، وغيرها وغيرها كثير، لقد كن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام البررة، يضمدن الجرحى ويحملن الطعام إلى الجياع والماء إلى الظمأى، فنشأن بذلك جيلا هو خير الأجيال، وأمة من أفضل الأمم، وفى عصرنا قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

إليك يا جيش مصر قلبى وروحى، أفتديك بمالى ونفسى، وأقدم إليك أولادى عدة للوطن وذخرا للمستقبل.

أيها الجنود:

عليكم من الله رحمات وتجليات، ولكم منى تحيات وتسليمات. أحكمتم الضربة فقصمتم ظهور الأعداء، وتبوأتم بين أقرانكم مكانة السماء. فمن استشهد منكم فالجنة تنتظره، ومن رجع إلينا سالما ظافرا فالوطن يفتديه، وان الجنة تحت ظلال السيوف. « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

عبد العزيز عبد الدايم
مدرس بمعهد البعوث الإسلامية بالأزهر

كلام لا تنقصه الصراحة :

خطر المستشرقين ! !

قال الأستاذ عباس محمود العقاد فى جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٣٧٦ هـ :

« ولكنهم ــ المستشرقين ــ فى أصل صناعتهم حفاظ مسجلون ، يغلب على الجلة منهم ضعف الملكة الأدبية ، ومن كان منهم ألمانيا أو فرنسيا أو انجليزيا ، تسأله عن أدباء قومه فلا تسمع منه رأيا يعوّل عليه ، فليس من المعقول أن يعوّل عليه فى نقد البحترى والمتنبى والمعرّى لمجرد علمه بالعربية .

وقد وضع عالم من أكبر علمائهم معجما تاريخيا قال فيه : إن « أخذ » تأتى بمعنى نام ، لأن القرآن الكريم يقول : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، وقس على ذلك علمهم بمعانى البلاغة والأدب ، فإنه فى الغالب علم معجمى يضع الكلمة أمام الكلمة ولا ينفذ منها إلى اللباب » .

وقد اغتبطت بهذه الكلمة على قصرها من كاتب مشهور كالأستاذ العقاد ، فهى تقف أمام هتاف رنان يجأر به فى كل مناسبة أذناب الغرب وعملاؤه فيفردون كتبا خاصة بفضائل المستشرقين ، ويعدّدون مآثرهم البيض على اللغة والأدب والدين ، فاذا عارضتهم القول بحجتك القوية ، وبرهانك الأكيد ، ملأ الهراء التافه مسمعك ، ورميت بالتعصب المقيت ! !

تقول لهؤلاء الدعاة المخلصين : إن جميع المستشرقين فى أوربا يتبعون وزارتى الخارجية والمستعمرات ، فمهمتهم ــ فى نصف منها ــ سياسية لا ثقافية ، وبعضهم فى نشأته الأصيلة قسيس دينى يعمد مباشرة إلى خدمة دينه بالشك والتحريف فى نصوص الإسلام ، فمهمتهم ــ فى النصف الثانى منها ــ تبشيرية تعصبية ! ! ثم تستدل بأسماء ووقائع فلا تجد أذنا تسمع أو عاقلا يطيع .

بل إن الدهشة تبلغ بك مداها حين تجد بعض أساتذة الجامعة يؤلفون كتابا فى الأدب، ويتحـدثون عن المستشرقين فلا يكتفون باعلان حيادهم المزعوم فى أبحاثهم الدينية ، بل يدعون أنهم يخدمون الإسلام بنشر تعاليمه فى الغرب و إظهار كنوزه للغافلين ، ومعنى هذا فى منطق أساتذة الجامعة أن هؤلاء القسس يعملون جاهدين على نشر تعاليم الإسـلام ، و يعقون مراجعهم التى سخرتهم للارجاف والوقيعة والتشكيك ، واقرأ معى ما ذكره مؤلفو كتاب الأدب الجديد ، وهو كتاب مدرسىّ يتناوله آلاف الناشئين ، فستجده يقـول فى ص ١٥٦ : « وكان غلاة المستعمرين يصوّرون الدين الإسلامى والرجل الشرقى فى أبشع الصور ، تحقيقا لمآربهم ، فسعى المستشرقون إلى ترجمة القرآن الـكريم وتفاسيره وكتب السنة وعلم الـكلام والفقـه والتصوف والأخـلاق الدينية ، فعرف الغربيون حسناتنا ، ووقفوا على خير ما عندنا فى العلم والدين والأخـلاق » أى والله : لقد وقف الغربيون على خير ما عندنا فى العلم والدين والأخلاق حين ترجم هـؤلاء القساوسة كتبنا المقدسة فحرّفوا الـكلم عن مواضعه ، و باءوا بخزى من الله كبير .

وأنت حين تستعرض مواكب هؤلاء المعاميد المتيمين بأساتذة الاستشراق تجدهم أنماطا متباعدة ، ففريق حـذر متريث يسلك فى بحوثه الأدبية منهج الاستشراق وطريقته ، ثم يتخم مؤلفاته بنصوص أساتذته ، كأدلة ثابتة لا يأتيها الباطـل عن شمال أو يمين ، بل إن النص المختـار قد يكون فى أصله من كتاب عربى كالأغانى ، فلا يقبل صاحبنا أن يرجع إلى المصدر الأصلى وإنمـا ينقل ترجمته المحرفة عن أستاذه المستشرق ، ويباهى بذكر الصحيفة والسطر ! ! وكأن ترجمة النص إلى غير العربية قـد أضفت عليه أشعة جاذبة خالبة ، صار بهـا موضع الاختيار والترجيح ! ! ويكفى أن تعلم أن أحد هؤلاء قد رفض تصديق القرآن الـكريم فيما ذكره عن إبراهيم وذلك لشىء واحـــد ، ليؤمن بفرية ساقها مستشرق أثيم ! !

وفريق آخر من هؤلاء الدعاة لا يسلك مسلك التريث ، بل يندفع فى استهتار عقلى مضحك ؛ فيسوق أدلة مأفونة تنطق بهرائها الزائف ، ولا يعنيه بعـــد ذلك أن يقابلها القراء بالعبث والاستخفاف ، فالدكتور زكى مبارك مثلا يقول فى مجـــلة « المعرفة » ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ :

« إن المستشرقين رجال أقوياء نبتوا فى أمم قوية ، ومصاحبتهم نافعة جدا لمن يريد

الاستفادة من عشرة الأقوياء ، فان القوة تعدى كما يعدى الضعف ، والصاحب القوى أنفع من الصاحب الضعيف» . فاذا لفته عالم غيور كالدكتور حسين الهراوى إلى مكايدهم الاستعمارية ترك الدكتور مبارك هدوءه واندفع يقول فى تحبيذ الاستعمار بالعدد السابق من المعرفة :

« وأصرح بأنه لا عار على المستشرقين فى أن يكونوا طلائع لأممهم فى الشرق، لأن العالم كله ميدان صالح لطلاب المجد والملك من جميع الأجناس ! ! .

والاستعمار شريعة إنسانية ! ! يفرضها القوى على الضعيف ، فمن آذاه ذلك فليتسلح بسلاح القوة ، ولينافس الأقوياء كيف يشاء ، وليعلم قومى ـ إن سرهم أن يعلموا ـ أنه ليس فى الدنيا حق وباطل ولكن فيها ضعف وقوة ، والذئب لا يظلم الحمل حين يفترسه ، كما لا نظلم الحمل حين نشويه على السفود ! » .

فأى هيام جنونى دفع بالكاتب إلى تأييد الاستعمار ، وليت شعرى أهو هيام فقط ؟ أم خبل مأفون (١) ! ! .

على أننا حين ننظر إلى الحقل الذى يعمل فيه الاستشراق نجده ينتج نباتين مختلفين لونا وحجما ، ومتفقين طعما وأثرا ! ! فالمستشرق إذا بحث فى الدين الإسلامى وما يتعلق به من آثار الدعوة المحمدية وتاريخ أبطالها الميامين ، فهو يهدف ـ غالبا ـ إلى ما يهدف إليه زميله حين يبحث فى الأدب العربى وينشر آثاره مبوبة مفهرسة ! ! فكلا الحقلين ميدان فسيح للارجاف والتشكيك ! وقد يدّعى قوم أن أبحاث الأدب العربى بمنجاة عن الإرجاف، وهذا ما يكذبه واقع الاستشراق الأليم ، وسنلقى نظرة موجزة على الناحيتين لنرى مدى ما ذهب إليه البحث الغربى فى تشويه الحقائق ، واختلاق الأكاذيب ! ! .

إن سيرة الرسول كما تناولتها أقلام المستشرقين قد أحيطت بارجاف هائل يستمد عناصره من الإسرائيليات القديمة ، فقد عز على هؤلاء الكذبة أن يعترفوا بنبوة محمد ، فاندفعوا إلى الأساطير الواهية يصلون منها ما انقطع ، ويزيدون فيها ما نقص ، ثم يبنون أدلتهم الخادعة على هذا الوهن المتهافت من اختلاق الرواة وأكاذيب المغرضين ، فالمستشرق لا يكتب عن سيرة الرسول إلا ليتحدث عن أسطورة الغرانيق ، وزواج محمد بزينب ، وتعدد زوجات نبى الإسلام ، وما شابه ذلك مما يتجافى فيه الواضعون عن الإنصاف ، وإذا كان هؤلاء

---

(١) المجلة ـ بل هو وهن الرابطة بالعروبة والاسلام .

لا يعترفون بنبوة محمد ، فمحال أن ينصفوا نبيا يكذبونه ، ويحاربون مبادئه ، وقد يتصنع بعضهم الإنصاف الكاذب - كما فعل وشنجتون ارفنج - فيزعم أنه لا يكذب محمدا فى حقيقة نفسه ، ولكنه يؤكد أنه كان مخدوعا واهما يعتقد أنه نبى وهو غير نبى ! ! . والطفل الصغير يعلم أن الواهم المخدوع لا يقيم للانسانية أعدل نظام وأكمله ، ولا يؤلف قلوبا ، ولا يجمع أمة مشتتة ، ولا ينتقل من حرب ظافرة إلى أختها ، ولا يتكلم عن حقائق غيبية بلسان عربى مبين ! ! ولكن ارفنج ينبهر بآثار محمد صلى الله عليه وسلم وقوة رسالته ثم يفىء إلى عصبيته الدينية فيحاول التفسير الملائم لأغراضه غير مبال بما يقع فيه من تناقض أثيم ! ! ولو كان هؤلاء يقولون باستحالة النبوة أصلا ، لوجد لهم بعض العذر فيما يفترون ، ولكن كيف يؤمنون بنبوة عيسى وموسى ، ويكفرون بنبوة محمد ، والسبيل فى النبوات الثلاث هى السبيل ؟ !

وبتأثير هذا الحقد المشتعل على صاحب الرسالة الإسلامية ، يتجاهل العالم منهم معارفه ومعلوماته ليصوغ فرية كاذبة تشين الرسول ، فمستشرق يهودى متنصر كمرجليوث - وقد زعم أنه أفنى عمره المديد فى دراسة الأدب العربى - يجترئ به حقده فيزعم أن محمدا لم يعرف والده ! ! إذ أن عبد الله اسم يضاف إلى مجهول النسب ! ! يقول مرجليوث هذا ، وهو يعرف اهتمام العرب بالأنساب ، ويعرف عناية قريش بأبنائها وآبائها ! ! فكيف فات هؤلاء النسابين الوعاة أن يجهلوا نسبة محمد لبنى هاشم ! ! وقد عرفوا أنساب الخيول من الحيوان ؟ ! أفيؤتمن هذا الآفك المتخرص على قضية يعالجها ، وهو يسمح لقلمه أن يفترى عامدا بما ينكره اطلاعه ! ! هذا المستشرق الآفك يحتل من التقدير لدينا مكانة تصل به إلى التقديس ، فأنت مثلا ترى صورته تملأ صحيفة كبيرة فى مقدمة طبعتنا لمعجم الأدباء ثم يلحق بها ترجمة مسهبة لحياته وخدماته للعربية ! وقد حشدت ثناء وتمجيدا ، وإذا تم هذا لمرجليوث فى معجم الأدباء : فماذا أبقيناه لياقوت ؟ ! !

لقد كشف الأستاذ الهندى « خ كمال الدين » فى كتابه « المثل الأعلى للأنبياء » خديعة كبرى يدلف إليها مرجليوث وأشباهه فى اختلاق مآثمهم الفاضحة ، فأحدهم يختلق فرية كاذبة ، ثم يحيطها بالشك ولا يجرؤ على الجزم بها وهى مختلقة ، فيجىء آخر ويمسك بتلابيبها كحقيقة مسلمة أكدها سابقه ! ! وإليك المثال : لقد زعم الدكتور « منجانا » أنه عثر على ترجمة سريانية قديمة للقرآن بها اختلافات ذات بال ، ثم قال إنه لا يجزم بقدمها ولا يعرف مبلغها من الصحة ، فجاء مرجليوث وتلقف هذه الفرية ليضيف إليها

أن الدكتور منجانا يجزم بقدمها جزما أكيدا لا يقبل الشك ! ! فقد أصبحت حقيقة مسلمة ! ! مع أن صاحبها الأول قد تخلى عنها ، وقطع الأمل من فائدتها ، ولكن دعه ، فهو يعلم أن وراءه من يجعل الخطأ صوابا ، والوهم حقيقة ! !

هذه مثل مما يهرف به المستشرقون عن نبي الإسلام ، ومصادر تعاليمه ، فاذا تركت ذلك إلى الأدب ظننت بعض الإنصاف لا كله ! ! على أيسر تقدير ، وبخاصة حين تسمع أديبا كبيرا كالأستاذ محمد كرد على يقول نقلا عن مجلة المعرفة ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ : ما برح العارفون منا يقدّرون عمل المستشرقين حق قدره ، ويعجبون به ويحمدونه ، قال لى أستاذى علامة الشام طاهر الجزائرى : أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضى البيضاوى المطبوع فى ألمانيا أصح من المطبوع بالاستانة ، وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم ، على حين لم نحرص فى كل عصر على شىء آخر حرصنا على علوم الدين ومقوماته ، وأغفلنا ماعداها من العلوم إلا قليلا ، ولولا عناية المستشرقين بآثارنا ، ما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التى أخذناها . ثم ذكر عدة كتب وقال : ولو جئنا نعدّد حسنات ودواوين الشعر وكتب الأدب والعلم التى أحيوها لطال بنا المطال » .

وقد كرر الأستاذ كرد على هذا المعنى فى مجلة الرسالة : العدد ١٠٨ بالسنة الثالثة ، وأخذ يردده فى محاضراته ، ولا ندرى بماذا يجيب علينا ، إذا قلنا له إن أكثر ما نشره المستشرقون من الكتب الأدبية ، يتجه إلى ناحية الترف والملاذ والشهوة مما لا تخفى بواعثه فى انحلال المجتمع العربى على أستاذنا الكبير ، ثم ماذا يصنع الأستاذ محمد كرد على إذا قدمنا إليه نموذجا من هذا النشر الأمين ! ! فيما صنعه الدكتور جفرى بما سماه مصحف أبى داود ، فقد غير العناوين ، وحذف العبارات ، واختصر الجمل من الأصل مرات ، وزاد عليها من اختلاقه مرات ، كل ذلك ليثبت اختلافا مزعوما فيما سماه مصحف ابن مسعود ومصحف غيره من الصحابة ، ثم لينتهى بالشك فى التواتر المقطوع به عن القرآن الكريم ، فهل الحذف والتغيير والزيادة جهد أمين ! ! وإذا كنا قد لمسنا ذلك فى بعض الكتب المتداولة أفلا نعلم أنّ ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر ؟ أم نحسن الظن بأناس يؤجرون من دور التبشير ووزارات الاستعمار معا فى وقت واحد ! ! إن من العجيب أن ترى عشاق المستعمرين يعترفون بمآربهم ثم يباركونها هاتفين ، فالدكتور الوجودى عبد الرحمن بدوى مثلا يقول فى مجلة الثقافة ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ ص ٣٤ ، عن مجلة المشرقيات التى يصدرها أساتذة (المعهد البابوى للكتاب المقدس)

« ولو أن الذى يشرف عليها معهد مسيحى إلا أن أبحاثها علمية خالصة يراد بها وجه العلم الصحيح ، والحقيقة وحدها » فالدكتور الجامعى يؤكد أن المعهد البابوى للكتاب المقدس ينشر أبحاثه الإسلامية بحثا منصفا يراد به وجه الحق ، فأين الكتاب المقدس إذن يا دكتور ؟ وهل تحول المعهد البابوى إلى أزهر شريف ! !

قد يقال : إن فيهم من كتب تاريخ الأدب العربى من جاهليته الغابرة إلى عصره الحديث ، ونحن نعلم أن تاريخ الأدب العربى لا يكتب على وجهه الصحيح إلا بعد دراسة نصوصه النثرية والشعرية دراسة صحيحة ، يصحبها الذوق والاستشفاف ، والمستشرق الأعجمى مهما بلغ اطلاعه لا يتذوق الأدب العربى كما يتذوقه أبناؤه ، فكيف يوازن بين الشعراء ، و بماذا يفضل المتنبى على البحترى مثلا ! وكيف يحكم على عصر بالانتعاش ، وعلى عصر آخر بالجدب والمحول ، وفاقد الشىء لا يعطيه ؟ . إن تاريخ الأدب العربى لم يكسب من أبحاث المستشرقين غير أن سلبت محاسنه ، واختلقت مثالبه ، فكل تجديد مبتكر فهو عندهم فارسىّ أو هندى أو يونانى ، وكل شاعر عربى مجيد فهو عندهم متأثر بثقافة أجنبية خلعت عليه النبوغ ولو كان بدويا لا يقرأ ولا يكتب ، وكل كاتب بارع فهو عيال على الآداب المجاورة ، فزهد أبى العتاهية ، ودقة الجاحظ ، وعمق أبى حيان التوحيدى ، وتصوف الحسن البصرى ، كل أولئك أجنبى دخيل نضحت به ثقافة تبتعد كثيرا عن الإسلام ! !

والمدهش أن هذه الادعاءات المغرضة لا تعدم عندهم دليلا فرضيا تستند إليه ، ويظل كتابنا المسلمون يلوكونها معجبين ! ! واقرأ إن شئت فجر الإسلام وضحاه لتجد روح الاستشراق صارخة نائحة ! حتى إن رجلا بدويا كأبى ذر الغفارى رضى الله عنه ينشأ بالصحراء ، وتنأى به أميته عن الثقافات المجاورة مما لا يظن معه تلقيح واقتباس ! ! رجل كأبى ذر يكون فى منطق الأستاذ أحمد أمين ــ والأستاذ العبادى أيضا ــ متأثرا بالمذاهب الفارسية التى تدعو إلى الاشتراكية فى الأموال ! فأى كتاب درس أبو ذر ، وعلى يد أى فارسى تعلم ؟ علم ذلك كله لدى الأستاذ أحمد أمين ومن شايعهم من أساتذته المستشرقين . ! ! ان مركب النقص فى نفوسنا المستعمرة يصور لنا هؤلاء الأعاجم تصويرا عاليا ، فهم مصيبون إذا أخطأوا ، وهم ذوا قون إذا حكموا ، وهم بعد أبناء أمم قوية ، كما يقول : زكى مبارك ، فليفعلوا ما يشاءون .

نحن نعلم أن بعض هؤلاء المستعمرين قد قاموا بنشاط ملحوظ ، فى نشر الآثار

الأدبية ، ولكن خدمة البحث المجرّد ، لا تكمن من وراء هذا النشاط ، فقد يكون تجارة رابحة تدر الثراء ، وقد يكون تخديرا ينيم العيون فتقع فى فخ قاتل مخدوعة بالطبع الصقيل والفهارس الكثيرة ، والتزيد باختلاق النصوص ! ! ونحن لا نرفض قراءة ما ينشرون على الإطلاق ، بل ندعو إلى التبصر واليقظة والنقد والتمحيص ، فقد تجد كاتبا يشذ فى صوابه ، وحوله عشرات يتعمدون الخطأ والتشويه ، وهؤلاء يدفعوننا إلى الريبة والتوجس ! وإذا كان لك صديق أو عشرة أصدقاء فى بلدة يسكنها آلاف الأعداء ، أفتسير إلى صديقك ، وقد تركت الحيطة الحاذرة ، ونامت عنك العيون والأرصاد ! ! ألا هل بلغت ! ! ! .

محمد رجب البيومى

(المجلة) لا ريب أن المستشرقين عيون الغرب فى الشرق ، ولا ريب أن الاستشراق إنما قام لتعريف الدول الغربية بالنواحى التى لا يستطيع أن يعرفها رجال الاستعلامات فى وزارات الاستعمار من عقائد الشرقيين وآدابهم والثقافات التى يتأثرون بها . غير أن المستشرقين يتفاوتون فى نشاطهم العلمى بحسب تفاوتهم فى نشأتهم وأخلاقهم وتربيتهم ، فمنهم القسيسون كالأب لامنس اليسوعى وأضرابه ، ومنهم من يعتز بأصله الذى يرجع إلى الحروب الصليبية كالأمير كايتانى ، ومنهم من يحارب الإسلام بعواطفه اليهودية كالمتنصر مرجليوث . وليسوا جميعا فى هذا المستوى ، لأن الله خلق البشر فى منازل متفاوتة . وقد امتازوا غالبا بالصبر والجلد فى البحث والدرس ، ولو كان لنا مثل ذلك فى بحوثنا العلمية لتم على أيدينا البعث القومى من طريق العلم . وما نقله السيد محمد كرد على عن شيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله بشأن عنايتهم بطبع بعض الكتب ومنها تفسير البيضاوى فان الشيخ طاهرا كان ينعى عليهم أيضا ما أفسدوه من كتبنا كالذى طبع كتاب أبى ذر الخشنى فى شرح السيرة النبوية فقد كان الشيخ طاهر يقول عنه : إنه كان يصححه وهو سكران ، وكان يقول مثل ذلك عن جهل مرجليوث فى نشرته الأولى لمعجم الأدباء. ومعنى هذا أن المستشرقين وإن تساووا فى أنهم عيون الغرب فى الشرق فانهم متفاوتون فى كفايتهم وتربيتهم وثمرات أعمالهم ، وكل يعمل على شاكلته .

الامام البخارى

استنباطه المعانى والأحكام المتعددة من الحديث الواحد

أبو برزة الأسلمىّ :

٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٣ — باب وقت العصر .

حدّثنا محمد بن مقاتل قال : أخبرنى عبد الله قال : أخبرنا عوف عن سيار بن سلامة قال : دخلت أنا وأبى على أبى برزة الأسلمىّ . فقال له أبى : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى المكتوبة ؟ فقال : كان يصلى الهجير ، التى تدعونها الأولى حين تدحض الشمس . ويصلى العصر ، ثم يرجع أحدنا إلى رحله فى أقصى المدينة والشمس حية . ونسيت ما قال فى المغرب . وكان يستحب أن يؤخر العشاء التى تدعونها العتمة ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وكان ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جليسه ، ويقرأ بالستين والمائة . أخرج باقى طرقه :

فى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١١ — باب وقت الظهر عند الزوال .
وفى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٣ — باب ما يكره من النوم قبل العشاء .
وفى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٩ — باب ما يكره من السمر بعد العشاء .
وفى : ١٠ — كتاب الأذان ، ١٠٤ — باب القراءة فى الفجر .

* * *

٢١ — كتاب العمل فى الصلاة ، ١١ — باب إذا انفلتت الدابة فى الصلاة .

حدّثنا آدم . حدّثنا شعبة . حدّثنا الأزرق بن قيس قال : كنا بالأهواز نقاتل الحرورية ، فبينا أنا على جرف نهر إذا رجل يصلى ، وإذا لجام دابته بيده ، فجعلت الدابة تنازعه وجعل يتبعها (قال شعبة : هو أبو برزة الأسلمى) فجعل رجل من الخوارج يقول : اللهم افعل بهذا الشيخ . فلما انصرف الشيخ قال : إنى سمعت قولكم ، وإنى

غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات أو سبع غزوات أو ثمان ، وشهدت تيسيره . وإنى إن كنت أن أرجع مع دابتى أحب إلىّ من أن أدعها ترجع إلى مألفها فيشق علىّ .

أخرج الطريق الأخرى فى : ٧٨ — كتاب الأدب ، ٨٠ — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا » .

أبو بكر الصديق :

٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٩ ـ سورة براءة ، ٢ ـ باب فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر

حدثنا سعيد بن عفير . قال : حدثنى الليث قال : حدثنى عقيل عن ابن شهاب . وأخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بعثنى أبو بكر فى تلك الحجة ، فى مؤذنين بعثهم يوم النحر ، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

قال عبيد بن عبد الرحمن : ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب ، وأمره أن يؤذن ببراءة .

قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر فى أهل منى ، ببراءة ، أنه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

باقى طرقه فى : ٨ ـ كتاب الصلاة ، ١٠ ـ باب ما يستر من العورة .

وفى : ٢٥ ـ كتاب الحج ، ٦٧ ـ باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك

وفى : ٥٨ ـ كتاب الجزية ، ١٦ ـ باب كيف ينبذ إلى أهل العهد .

وفى : ٦٤ ـ كتاب المغازى ، ٦٦ ـ باب حج أبى بكر بالناس فى سنة تسع .

وفى : ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٩ ـ سورة براءة ، ٣ ـ باب وأذان من الله .

وفى : ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٩ ـ سورة براءة ، ٤ ـ باب إلا الذين عاهدتم .

* * *

١٠ ـ كتاب الأذان ، ١٤٩ ـ باب الدعاء قبل السلام .

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى . قال « قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

باقى طرقه فى : ٨٠ ـ كتاب الدعوات ، ١٧ ـ باب الدعاء فى الصلاة .

وفى : ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٩ ـ باب وكان الله سميعا بصيرا .

* * *

٦٢ ـ كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ٥ ـ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا .

حدثنا اسماعيل بن عبد الله . حدثنا سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح (قال اسماعيل : يعنى بالعالية) فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم .

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله . قال : بأبى أنت وأمى ، طبت حيا وميتا ، والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا . ثم خرج فقال : أيها الحالف ، على رسلك .

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر . فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، وقال : انك ميت وإنهم ميتون .

وقال : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين .

قال : فنشج الناس يبكون . قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا أمير ومنكم أمير . فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر .

وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاما قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر . ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم

الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله ، لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا . فبايعوا عمر أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر : قتله الله .

وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدى قال عبد الرحمن بن القاسم أخبرنى القاسم أن عائشة رضى الله عنها قالت : شخص بصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « فى الرفيق الأعلى » ثلاثا ، وقص الحديث .

قالت : فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوّف عمر الناس وان فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم الحق الذى عليهم، وخرجوا به يتلون «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ـ إلى ـ الشاكرين»
باقى طرقه فى : ٢٣ ـ كتاب الجنائز، ٣ ـ باب الدخول على الميت

وفى ٦٤ ـ كتاب المغازى ، ٨٣ ـ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته

وفى ٧٦ـ كتاب الطب ، ٢١ ـ باب اللدود

* * *

٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ١ ـ باب وجوب الزكاة .

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع . أخبرنا شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى . حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضى الله عنه ، وكفر من كفر من العرب . فقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟

فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال . والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها .

قال عمر رضى الله عنه : فوالله ماهو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق .

باقى طرقه فى : ٢٤ — كتاب الزكاة ، ٤٠ — باب أخذ العناق فى الصدقة .

وفى : ٨٨ — كتاب استتابة المرتدين ، ٣ — باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة .

وفى : ٩٦ — كتاب الاعتصام ، ٢ — باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

٢٤ — كتاب الزكاة ، ٣٨ — باب زكاة الغنم .

حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى الانصارى قال : حدثنى أبى قال : حدثنى ثمامة ابن عبد الله بن أنس أن أنسا حدثه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله . فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها . ومن سئل فوقها فلا يعط : فى أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة . فاذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى . فاذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى . فاذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل . فاذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة . فاذا بلغت يعنى ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون . فاذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل . فاذا زادت على عشرين ومائة ، ففى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة .

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها . فاذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة . وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة .

فاذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ، شاتان .

فاذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ، ففيها ثلاث شياه .

فاذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة .

فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها .

وفى الرقة ربع العشر ، فان لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها .

باقى طرقه فى : ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٣٣ ـ باب العرض فى الزكاة .

وفى : ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٣٤ ـ باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع .

وفى : ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٣٥ ـ باب ما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية .

وفى : ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٣٧ ـ باب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض وليست عنده .

وفى : ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٣٩ ـ باب لا تؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس ، إلا ما شاء المصدق .

وفى : ٤٧ ـ كتاب الشركة ، ٢ ـ باب ما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية فى الصدقة .

وفى : ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ، ٥ ـ باب ما ذكر فى درع النبى صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك .

وفى : ٧٧ ـ كتاب اللباس ، ٥٥ ـ باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر .

وفى : ٩٠ ـ كتاب الحيل ، ٣ ـ باب فى الزكاة وأنه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة .

محمد فؤاد عبد الباقى

من نوادر المخطوطات :

ذيل طبقات الشعرانى

للسيد عبد الوهاب الشعرانى مقام معروف بين العلماء والصوفية ، إلا أن صفة التصوف زاحمت فيه صفة العلم فعرف بالصوفى دون العالم، وربما تبادر إلى أذهان بعض الناس أنه صوفى فقط له كرامات الصوفية وشطحات الصوفية ، وليس له فى صفوف العلماء مكان ، وذلك خطأ ، فالدارس لتاريخه يرى أنه من جلة العلماء ، له فى العلم جولات موفقة ومؤلفات موفقة ، له فى العقائد والأصول والفقه والتاريخ والتصوف وغيرها ، وقد بلغ بعضهم بمؤلفاته ثلثمائة مؤلف ، وقد كان من شيوخه السيوطى ، وزكريا الأنصارى وغيرهما . قال ابن العماد فى شذرات الذهب : « حبب إليه الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله ، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونة النقلة ، بل هو فقيه النظر ، صوفى الخبر ، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف ، وكان ينهى عن الحط من الفلاسفة وتنقيصهم ، وينفر ممن يذمهم ، ويقول : « هؤلاء علماء » .

ولقد خدم الشعرانى تاريخ التصوف خدمة لا ينافسه فيها غيره ، خدمه بطبقاته الكبرى والصغرى ، وخدم تاريخ العلماء بجانب ذلك خدمة لا تقدر ، فطبقاته - إلى أنها تراجم لرجال الصوفية - هى تاريخ لكثير من العلماء فى القرن العاشر ، فأكثر المتصوفين فى ذلك القرن جمعوا إلى فضيلة التصوف الصادق فضيلة العلم النافع ، فهم فى النهار بين الإفتاء والدرس والإرشاد والوعظ ، وفى الليل بين التعبد والتهجد والتذكر والتفكر .

وقد اشتهرت طبقات الشعرانى الكبرى المسماة « لواقح الأنوار ، فى طبقات السادة الأخيار » وطار ذكرها فى الآفاق كل مطار ، وهى من أشهر المراجع فى التصوف والصوفية ، ولكن الذى لم يعرف لكثير من العلماء هو كتاب « ذيل الطبقات » الذى أكمل فيه ما فاته فى كتاب الطبقات الوسطى المسماة « لواقح الأنوار القدسية ، فى مناقب العلماء والصوفية » من شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم وأفاد منهم ومن صاحبه من

غيرهم ممن لم يقرأ عليهم ولـكنه أفاد من صحبتهم ، وقد ترجم فيها لأكثر من مائة من علماء المذاهب الأربعة المعروفة .

ومن طريف ما يذكر للشعرانى مما يدل على فضله وأمانته ونبله ، إنصافه لأقرانه من العلماء والصوفية — ممن آذوه وبالغوا فى إيذائه — فيما كتب عنهم ، ولعلها منقبة لا يتحلى بها كثير من العلماء . ويقول فى ذلك : « وإنما ذكرت مناقب أقرانى من الأحياء الذين آذونى وبالغوا فى ذلك حتى ظهر حالهم للناس ، بيانالما أعطانى الله تعالى من الاحتمال وعدم الحقد والحسد على الإخوان ، فان غالب الناس لا يقدر على النطق بشىء من مناقب أعدائه ، بل ربما لا يرى لهم قط محاسن حتى يذكرها ، فقصدت بذلك فتح باب الاقتداء فى ذلك للاخوان فيذكروا مناقب أعدائهم ومن آذاهم ولا يصدهم ذلك عن إعطائهم حقوقهم ، فعليكم أيها الإخوان بالاقتداء فى فعل ذلك إكراما للخلق من حيث كونهم عبيد الله تعالى ، ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحدا سبقنى إلى نحو ذلك ، والحمد لله رب العالمين » .

وقد جرى الشعرانى فى تصنيف الذيل على ما جرى عليه فى الأصل فسرد فيه ما علم من كرامات المترجم لهم وما رآه منها ، كما ذكر ما علم من شئونهم العلمية فى التدريس والتأليف ووفى كلا حقه ، فترجم للسيوطى وزكريا الأنصارى ـ وهما من شيوخه ـ ترجمة مستفيضة قد لا توجد فى غيره ، ووفى غيرهما من شيوخه ما يستحقون .

وقد كرر بعض التراجم فى الأصل والذيل مع اختلاف يسير فى المعلومات والتعبير ، وفرغ من تأليف الذيل سنة ٩٦١ هـ ، كما قال فى آخره : وليكن ذلك آخر كتابنا المسمى بلواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة . فالكتاب ذيل للطبقات الوسطى لا للطبقات الكبرى كما ذكر بعض الكاتبين .

وهو مرجع مهم جدا لعلماء النصف الأول من القرن العاشر ، وبه ترجمات ربما لا توجد فى غيره من مراجع التاريخ ، ولذلك نرى أن يعنى به العلماء ويعملوا على إحيائه بطبعه وتداوله لتكمل به موسوعة الشعرانى التاريخية فى العلماء والصوفية .

وقدوقفت على نسختين منه : إحداهما بالمكتبة الأزهرية ، والأخرى بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ونسخة المكتبة الأزهرية نسخة جيدة الخط كتبت كلها سنة ١٠١٩ بخط عثمان أحمد الدميرى ، أى بعد المؤلف بقليل . فقد توفى الشعرانى سنة ٩٧٣ ، لذلك

سلمت من تداول النساخ وتحريفاتهم ، وعلى هامشها تعليقات قليلة لبعض القراء ، وعنوان الكتاب بخط مغاير لخط النسخة ، وعدد أوراقها ٩١ ورقة وعدد سطورها ١٥ سطرا .
أما نسخة التيمورية فلم يستبن بها تاريخ كتابتها ، إلا أن حالة الخط والورق تدل على أنها أحدث كتابة من النسخة الأزهرية ، وقد ذكر فى عنوانها أنها ذيل الطبقات الكبرى ، وهو خطأ لأنه قال فى آخر هذا الذيل : وليكن ذلك آخر كتابنا المسمى : « لواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية » وكتابه هذا هو الطبقات الوسطى ، أما الطبقات الكبرى فاسمه : « لواقح الأنوار فى مناقب السادة الأخيار » كما أسلفنا .

وقد انتهى الشعرانى فى الطبقات الوسطى إلى سنة ٩٦٨ هـ إذ قال فى الخطبة : ابتدأت بذكر الإمام أبى بكر الصديق واختتمت برجال سنة ثمان وستين من القرن العاشر ، وقال فى آخرها : وليكن ذلك آخر ما التزمنا ذكره فى طبقاتنا من الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين من العلماء العاملين فى عصرنا هذا وهو سنة خمس وستين وتسعمائة . ! !

وقال فى آخر الذيل : وليكن ذلك آخر كتابنا المسمى بلواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة ، وعلى هذا فالذيل استدراك لما فات فى الأصل من رجال الفترة التى أرخ لها ، وليس زيادة فى رجال ما بعد هذه الفترة .

أبو الوفا المراغى

الصلاة والجهاد

أذاع الصاغ أركان الحرب السيد كمال الدين حسين قائد جيش التحرير ووزير التربية والتعليم بيانا قال فيه :

« على جميع القادة من جميع المستويات أن ييسروا لجنودهم القيام بصلاتهم ، وأن يكونوا مثلا لهم فى ذلك ، وأن يؤموهم فى الصلاة كما يقودونهم فى المعركة ، فيكسبوا بذلك رضاء الله ، وحب وإخلاص جنودهم ، وأخيرا النصر » .

النـــــدم والتوبة

وأثرهما فى تقويم السلوك وتهذيب النفوس

التوبة أول منازل السالكين ، وأصل مقامات الطالبين . ولها الأثر البالغ فى علاقة الإنسان بربه ، وفى علاقته بأخيه الإنسان .

كما أن لها الأثر الخطير فى تهذيب النفوس ، وتقويم المعوج من الأخلاق والسلوك .

الذنوب :

وإذا كانت التوبة إنما تكون من ذنب ارتكبه الإنسان مع ربه ، أو سيئة اقترفها مع أخيه الإنسان ، لذا كان من الحسن أن نقدم بين يدى كلامنا عن التوبة كلمة عن الذنوب .

وكلامنا عليها يدور حول ناحيتين : الأولى : معنى الذنب ، الثانية : تقسيم الذنوب .

معنى الذنب :

الذنب مخالفة أمر الله فى فعل أو ترك ؛ فاذا فعل الإنسان ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله به فقد أذنب .

فمن شرب الخمر فقد أذنب ؛ لأن الله تعالى نهانا عن شربها فقال جل وعز : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ومن أفطر فى رمضان بغير عذر فقد أذنب ؛ لأن الله تعالى أمرنا بصيامه ، فقال جل شأنه : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

تقسيم الذنوب :

تنقسم الذنوب إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة نكتفى منها بثلاثة اقسام :

الأول : ذنوب ترجع إلى صفات الإنسان وأخلاقه .

الثانى : ذنوب ترجع إلى علاقة الإنسان بربه وبأخيه الإنسان .

الثالث : ذنوب ترجع إلى كونها صغائر أو كبائر .

والقسم الأول وهو الذنوب التى ترجع إلى صفات الإنسان وأخلاقه ينقسم إلى أربعة أقسام :

١ — صفات بهيمية أو حيوانية مثل الشره والحرص على الشهوات .

٢ — صفات سبعية مثل الغضب وحب الانتقام .

٣ — صفات شيطانية مثل الخداع والبغى .

٤ — صفات ربوبية مثل الكبر والعز .

وهذه الأقسام الأربعة تضبط مثارات الذنوب عند الإنسان ضبطا محكما ، وتتدرج معه تبعا لفطرته وغرائزه ، فتظهر الغرائز البهيمية أولا ، ثم الصفات السبعية ، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل فى الخداع والمكر وهى الصفة الشيطانية ، وبالعقل تتفوق الصفة الرابعة وهى الربوبية .

ومن هذه المثيرات التى هى منابع للذنوب تتفجر على الجوارح كالقلب واللسان والسمع والبصر وما إليها .

والقسم الثانى وهو الذنوب التى ترجع إلى علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه الإنسان، فان تعلقت بحق الله ولم تكن شركا وكفرا كتأخير الصلاة عن وقتها كسلا فالمغفرة فيها مرجوة ، قال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وإن تعلقت بحق العبد كقتل النفس التى حرم الله قتلها وغصب المال والقدح فى الأعراض فالأمر فيها أعظم وأغلظ ، إذ العفو موقوف على رضا العبد وقليلا ما يرضى ؛ وقد جاء فى الخبر : « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان لا يترك ؛ فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى . وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى . وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد » (١) .

وفى الحق ان مظالم العباد من الذنوب التى لا تترك ، بل هى من الذنوب التى تدنى المذنب من النار ؛ فقد ذكر أبو بكر الوراق عن أبى حنيفة رحمه الله أنه قال : « أكثر ماينزع الإيمان من العبد عند الموت ، ثم قال أبو بكر فنظرنا فى الذنوب التى تنزع الإيمان فلم نجد شيئا أسرع نزعا للايمان من ظلم العباد » (٢) .

---

[١] إحياء علوم الدين للغزالى باب التوبة ، الارشاد للجوينى باب التوبة .

[٢] تفسير القرطبى حـ ٤ .

والقسم الثالث : الذنوب التى توصف بأنها صغائر أو كبائر ، ولأن تحديد معنى الكبيرة والصغيرة مثار خلاف بين العلماء فأنا نرى أن نلم بآرائهم موجزين الكلام فيها .

والعلماء فى ذلك على رأيين :

١ — رأى المنكرين لأن من الذنوب صغائر أو بعبارة أخرى : الذنوب كلها كبائر .

٢ — رأى المعترفين بأن من الذنوب صغائر وكبائر .

وحجة أصحاب الرأى الأول فى مدعاهم أن الذنب مخالفة أمر الله تعالى ، وكل مخالفة لأمر الله فهى كبيرة .

ولكنه رأى لا يقام له وزن ولا يعتد به ؛ لأنه يتنافى مع العقل ويتجافى عن صريح السنة والقرآن ؛ فالله تعالى يقول : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » . ويقول عز شأنه : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » . ويقول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « الصلوات الخمس والجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر » (١) .

فالقرآن والسنة صريحان فى أن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر ، والآثار الواردة فى ذلك كثيرة مشهورة .

والعقل يعترف بأن بعض الذنوب قد يكون كبيرة ، إن صدر من فلان الذى يقتدى الناس به وينتهون عند رأيه ، وقد يكون صغيرة نسبيا إذا صدر من فلان الذى يعد من دهماء الناس وعامتهم ، وممن لا يؤخذ برأيه ولا يعتد بفعله .

فالذنب إذن قد يكون بعضه من الأمور النسبية يوصف تارة بأنه كبيرة وأخرى بأنه صغيرة ، وليس بنسبة واحدة عند جميع الناس ولا من جميع الناس ، فالعقل والنقل يؤازر كل منهما الآخر فى الاعتراف بأن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر .

والذين يعترفون بأن من الذنوب صغائر وكبائر اختلفوا فيما بينهم على ثلاث طوائف :

(أ) طائفة ترى تحديدها بالعدّ (وهم أهل الآثار) .

---

[١] رواه مسلم فى باب الطهارة عن أبى هريرة .

(ب) طائفة ترى ضبطها بأمر كلى .

(ﺟ) طائفة ترى عدم ضبطها لا بالعد ولا بأمر كلى .

(أ) والطائفة الأولى تبنى رأيها على ما روى فى ذلك من الآثار عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد روى عن ابن عمر أن الكبائر تسع وهى : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وقذف المحصنة ، والزنا ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، والإلحاد فى الحرم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنها عشر بزيادة أكل الربا . وفى رواية لعلىّ كرم الله وجهه أنها اثنتا عشرة بزيادة السرقة وشرب الخمر على العشرة السابقة .

(ب) والطائفة الثانية اختلفوا فيما بينهم أيضا .

١ — فقالت فرقة منهم : إن الكبيرة ما وردت بها الآثار السابقة وما يكون على مثالها مما تكون مفسدته مثل مفسدة شىء منها أو أربى كشهادة الزور مثلا ، إذ قد يترتب عليها من المفاسد والإضرار بالغير أكثر مما يترتب على بعض الكبائر التى وردت فى هذه الآثار السابقة .

٢ — وقالت فرقة أخرى : إن الكبيرة هى كل ما أوعد الله عليه بالنار كالقتل فى قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » .

٣ — وقالت فرقة ثالثة : كل ما يجب به الحد فى الدنيا فهو كبيرة كالزنا فى قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

وهذا الرأى رجحه الإمام الغزالى إذ يقول : وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة » [١]

(ﺟ) ١ — وأما الطائفة الثالثة فمنها من يرى أن كل معصية أصر عليها العبد فهى كبيرة وكل ما استغفر عنها فهى صغيرة .

فالصغيرة بالإصرار عليها تصير كبيرة ، والكبيرة بالاستغفار عنها تصير صغيرة .

وعلى هذا القول فكل ذنب صالح لأن يكون صغيرة أو كبيرة تبعا للاصرار عليه أو عدمه

٢ — ومنها من يرى أن الذنب من الأمور الكلية النسبية ، فهو لا يعرف لذاته ،

---

[١] احياء علوم الدين ـ باب التوبة .

فكل معصية يمكن أن توصف بأنها كبيرة بالإضافة إلى معصية أخرى دونها وبأنها صغيرة بالقياس إلى ما فوقها . فقطع يد السارق مثلا كبيرة بالإضافة إلى ضربه ؛ صغيرة بالقياس إلى قتله .

وهذا الرأى رجحه صاحب الكفاية إذ يقول :

الحق أنهما (أى الصغيرة والكبيرة) اسمان اضافيان لا يعرفان بذاتهما ، فكل معصية إذا أضيفت إلى ما فوقها فهى صغيرة وإن أضيفت إلى ما تحتها فهى كبيرة .

وعلى هذا فكل ذنب صالح لأن يكون صغيرة أو كبيرة بالإضافة والاعتبار .

هذا موجز آراء العلماء فى هذه المسألة . ولعل الرأى الذى يضبطها بأنها كل ما توعد عليه الشرع بخصوصه هو أرجح الآراء .

ومع ذلك فانا لا نستطيع أن نجحد أن هناك ذنوبا لا مجال للتردد فى أنها كبائر باتفاق وفى كل الحالات ومن جميع الناس ، كالقتل العمد وعقوق الوالدين .

هذا ، والبحث فى الذنوب من حيث كونها صغائر أو كبائر يثير فى نفوسنا أن نسأل :

هل صغائر الذنوب تعظم فتصير كبائر ؟

والجواب نعم ، فصغائر الذنوب لا تظل صغائر دائما وفى كل الحالات ولكنها قد تعظم فتصير كبائر .

ويكون ذلك بأمور منها :

١ — الإصرار عليها والمداومة على ارتكابها ؛ ومن ثم قيل : لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار .

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى [١]

٢ — السرور بها واعتداد التمكن منها نعمة ، قال بعض الأولياء :

يدل بالطاعة العاصى وينسى جميع المعاصى [٢]

---

[١] تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٦٢ ، أدب الدنيا والدين ٨٠ .

[٢] أدب الدنيا والدين ص ٧٩ .

٣ — التهاون بستر الله وحلمه وإمهاله قال تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

٤ — أن يكون المذنب ممن يقتدى به وينتهى الناس عند رأيه ؛ فقد ورد أن : « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وقال تعالى : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » ؛ فخطيئة العالم والقدوة بلقاء مشهورة ، إذ لو كان ذنبه مقصورا عليه وحده لهان الخطب وسهل الأمر ، ولكن جرمه عظيم باتباع الناس له واقتدائهم بفعله ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : « ويل للعالم من الأتباع ، يزل زلة فيرجع عنها ، ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق ، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه » .

ولما كانت التوبة ندما يعقبه العزم على عمل وإصلاح ما فسد ، وكان الندم على الذنب أساسا لقبول التوبة منه ، كان حقا علينا أن نقدم بين يدى بحثنا عن التوبة كلمة عن الندم سنأتى عليها فى جزء آخر من هذه المجلة .

أبو زيد شلبى
الأستاذ بكلية أصول الدين

الفرنسيون

كما وصفهم المارشال بيتان

قال القائد الفرنسى المارشال بيتان فى نداء الهدنة يوم انحنى الفرنسيون يلعقون أقدام الجيش الألمانى ويقبلونها :

« زنوا أخطاءكم فهى ثقيلة الموازين ، إنكم لم تريدوا نسلا حلالا ، وتنكرتم للقيم الخلقية ، ونبذتم المبادئ الروحية ، وجريتم وراء الشهوات تتمرغون فى حمأة الزنا والخنا والفجور . فانظروا إلى أين قادتكم كل هذه الخطايا والدنايا ... » .

دور الأزهر فى الكفاح
فى الوقت الحاضر

من مبادئ الدين التى يؤمن بها المسلمون ، ويعنى بها الأزهريون ، العمل فى سبيل عزة الوطن الإسلامى واستقلاله وعدم تحكم المستعمرين فيه . والأزهر بهذه التربية التى نشأ عليها طلابه ، وتوارثتها الأجيال من قديم الزمان ، يترقب كل فرصة ليظهر فيها آثار هذه التربية ، ويتوق إلى كل موقف يحقق فيه هذا الهدف الكريم .

ولقد كان تاريخه سلسلة متصلة الحلقات من المواقف الرائعة لصد كل طغيان ، ومقاومة كل فساد،وكان نفوذه الروحى قوة جبارة جعلت الشعب يتخذ منه قائده ، ويعلق عليه كل آماله .

ومن أبرز هذه المواقف موقفه فى عهد الثورة الجديدة المباركة ، التى كان من أول المبادرين إلى تأييدها ، ومبايعة قادتها على الوقوف معهم صفا واحدا فى سبيل القضاء على الفساد السياسى ، والظلم الاجتماعى ، وفى سبيل التخلص من الاستعمار ، وهيأ كل قواه للسير فى ركب الحضارة الجديدة ، مدفوعا بوازع من الإيمان الحق ومبادئ الثورة وبوحى من النفوس التواقة إلى حياة حرة كريمة ، فكان شيوخه وطلابه من ألمع الشخصيات البارزة فى هيئات التحرير والمنظمات التى تعمل لتحقيق مبادئ الثورة ، وكانوا فى طليعة المسهمين فى تسليح الجيش ، بل قاموا بالتدرب على حمل السلاح استعداد لمواجهة الطوارئ، حتى يكون كل فرد من أفراده قوة عظيمة فى الإيمان والخلق والثقافة والسلاح ... وأظهر مهارتهم فى هذه الناحية ماتنطوى عليه نفوسهم من حب لمنازلة العدو بايمان وقوة.

وعند ما دقت ساعة الخطر منذرة بتآمر الطغاة المستعمرين على النيل من كرامتنا واستقلالنا ، أعلن الأزهر التعبئة العامة لجميع جهوده ، وقدم كل إمكانياته قربانا فى سبيل الاحتفاظ بالحرية والاستقلال ، فبادر بأجازة الطلاب ليتمكن الجميع من القيام بالواجب الذى ينتظرهم وينتظرونه .

وحملت كتائب الأزهر أسلحتها متوجهة إلى ميدان القتال ، مستمدين من توجيه شيخهم الجليل إيمانا وقوة وعزيمة . وفتح مبانيه لتجمع المجاهدين وتوجيههم إلى

الميادين ؛ كما جعل مستشفاه الخاص مستشفى عاما لجميع المجاهـدين من قوات التحرير، وأعد المنشورات الكثيرة لتقوم بدورها فى المقاومة الشعبية، واذاعها مندوبوه على الشعب يدعونه إلى التـكتل والبذل والوقوف صفا واحـدا أمام طغيان المستعمر ، وتحذيره من الإرجاف بالآمنين ، وتصديق الإشاعات ، وأهابوا بالتجار ومن فى أيديهم مصالح الجمهور ألا ينتهزوا هذه الفرصة للمنافع الشخصية ؛ وبث وعاظه وجميع علمائه فى المساجد والمجتمعات لتوجيه الشعب ، ومساندته فى كفاحه ، وأصدر أوامره إلى جميع فروعه فى كافة أنحاء القطر بالقيام بالواجب فى هذه الأوقات العصيبة ، فكان كل فرع من فروعه خلية طيبة صالحة كلها قوة وحيوية ، وميدانا كله كفاح متواصل ، متعاونا مع السلطات فى ايواء المهاجرين ومعونتهم وتقوية روح الشعب ، وتشجيعه بكل الوسائل الممـكنة ، ولقد وردت إلى الإدارة تقريرات عن هـذه الجهود الطيبة التى قامت بها المعاهد الدينية شيوخا وموظفين وطلابا فى كل ميدان يمكنهم أن يؤدوا فيه واجبهم .

بل إن الأزهر قد امتد نشاطه إلى خارج القطر فوجه نداءه إلى مبعوثيه فى الأقطار العربية والإسلامية ، للقيام بواجبهم نحو الوطن العربى الـكبير ، فـكان لجهادهم أثره البارز فى المناطق التى يعملون بهـا ، ووردت منهم التبرعات التى تبلغ عشرات الألوف من الجنيهـات .

وهذا كله تحت قيادة شيخهم الجليل الذى كان يشرف على هذه الجهود ويوجهها . وإلى جانب ذلك كان يتصل بالمسئولين فى المنظمات الدوليـة ، وبالشخصيات التى لهـا أثرها فى البلاد المحبة للسلام ، يدعوهم إلى العمل على حمـاية الإنسانية من خطر تجـار الحروب ، ويشكر كل من وقف بجانب مصر يؤيدها فى كفاحها المجيد .

وليس هذا بجديد على الأزهر ، فهو من قديم الزمان كان شوكة تقض مضاجع المستعمرين ، وكان معقلا للثورات الوطنية فى سبيل الحرية والاستقلال ، وقد اختـاره قائد الثورة الرئيس البطل « جمال عبد الناصر » ليـكون منبرا يذيع منه الخطب السياسية الصريحة الرائعة التى تكشف حقيقة الموقف الحاضر فى مصر والشرق ، ومايدبره الغربيون وصنائعهم من مكائد للقضاء على مقومات الأخلاق وحياة الحرية للشعوب التى تريد أن تضع لهـا تاريخا جديدا ملؤه الـكرامة والعزة والسيادة . وكان هذا الصنيع دليلا واضحـا على ما للأزهر من مكانة مرموقة فى كل كفاح ، وكل حركة ترمى إلى الصالح العـام ، منفذا بذلك تعاليم الإسلام الذى جاء لصلاح الدين والدنيـا ، ولإقرار السـلام والأمن فى ربوع الأرض .

نشاط الأزهر
في مكافحة الطغيان

ننشر فيما يلى طائفة من البرقيات والقرارات التى صدرت عن الأزهر فى الجهاد القائم لمكافحة حرب الطغيان :

السيد رئيس جمهورية مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبعد :

فانه لما كان من واجب كل وطنى العمل على تمكين دعائم العزة والحرية لوطنه ، والذود عن حياضه واستقلاله ، وإعداد مايستطيع من قوة ، وبذل مايملكه من نفس ومال .

فان الأزهر يسعده أن يتقدم بالشيك رقم ٨٦٠٧٢٩ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ ٥١٧٠ جنيها (خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها) كدفعة أولى اسهاما فى مساعدة قوات الدفاع ، وإعانة المنكوبين من أسر الشهداء .

نسأل الله أن يحمى البلاد ويصون الوطن ، وأن يكتب لسيادتكم ورجال جيشنا الباسل وشعبنا العظيم دوام النصر والتأييد . انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

نـــداء

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
إلى جنود الحرس الوطنى عند زيارته لمعسكر الأزهر بالدراسة فى ٦ / ١١ / ١٩٥٦
لتوديع الكتائب عند سفرها إلى ميدان المعركة

أيها المصريون :

اثبتوا فى جهادكم ، وكونوا أشداء فى حربكم ، واقتحموا هذه المعارك بقوة عزم وإيمان ، واذكروا الله كثيرا ، يثبت أقدامكم ، وينصركم على أعدائكم .

أيها المؤمنون المجاهدون :

أنتم على الحق وأعداؤكم على الباطل ، وأنتم بالحق مؤمنون ، وهم للحق كارهون

جاحدون، فأنتم تدافعون عن دياركم و وطنكم ، وهم معتدون باغون عليكم ، فثقوا بعدالة الله ، وأيقنوا بنصر الله ، فالله يغار على عباده المؤمنين ، وقد كتب التأييد والنصر والعزة للمجاهدين الصابرين .

أيها الأبطال فى الميدان :

إنى أدعو لكم فى سرى وعلانيتى ، وأضرع إلى الله فى صلواتى وخلواتى ، أن يشد عزمكم ، و يربط على قلوبكم ، و يصرف عنكم كيد أعدائكم ، و يفتت قواهم ، ويمزق شملهم ، ويجعل الدائرة عليهم .

إنى أهنئكم بما أحرزتم حتى الساعة من فوز ونصر ، بفضل الشجاعة والصبر ، فاستحضروا دائما - فى كفاحكم وجلادكم ، فى هجومكم ودفاعكم - قوة الله ، واستمدوا دائما من عون الله ، يمدكم بالنصر العزيز ، والفتح المبين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .

شكر رئيس وزراء الهند

السيد سفير الهند القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن تبلغوا البانديت نهرو رئيس وزراء الهند بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خطوط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس حكومة الباكستان

السيد سفير الباكستان القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن ترفعوا إلى السيد الجنرال ميرزا رئيس حكومة الباكستان بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ

الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العـدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خطوط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس جمهورية أندونسيا

السيد سفير جمهورية أندونسيا

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن ترفعوا إلى السيد أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونسيا بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس حكومة سيلان

السيد بندرانا كى رئيس حكومة سيلان كولمبو

شيخ الأزهر وعلماؤه يشكرونكم على وقوفكم بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنـكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونـكم العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر حكومة الاتحاد السوفييتى

السيد سفير الاتحاد السوفييتى القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون تبليغ حكومتكم بالغ الشكر على وقوفها بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس الولايات المتحدة

السيد سفير أمريكا القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن ترفعوا إلى السيد ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على انجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

زيارة مستشار السفارة الأمريكية

حضر مستشار السفارة الأمريكية المستر باركرهارت لزيارة فضيلة الأستاذ الأكبر حوالى الساعة الثانية عشرة يوم ١٩ / ١١ / ١٩٥٦ واستمرت المقابلة نصف ساعة تقريبا .

وذكر الزائر أنه حضر لإبلاغ فضيلته أن الرئيس ايزنهاور تلقى برقيته ويشكره كثيرا عليها .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : اننا ننتظر أن تثمر جهود الرئيس ايزنهاور فى إقرار الأمن والسلام ، وأن يوفق فى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، لأن الإنسانية فى حاجة إلى التعاون المثمر ، أما التدمير والتخريب فهو مناف للانسانية ، وهو من الطبيعة الوحشية .

وقال الزائر : إنه يعتقد أن الرئيس ايزنهاور يعمل فى هذا الطريق دائما ، وان العالم أجمع قد استنكر هـذا العدوان الذى قامت به انجلترا وفرنسا و إسرائيل ، وحكم عليه بأنه خطأ من جميع النواحى الأدبية والخلقية والسياسية ، وانه إن كانت تربطنا روابط الجنس بالشعب الانجليزى إلا أننا نستنكر هذا العمل ، كما تستنكر مصر عملا خاطئا تقوم به إحدى الدول العربية ، وأمريكا تحرص على أن ترد الانجليز عن هذا العمل .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا نعرف أن نفوذ الرئيس ايزنهاور واسع على الدول المعتدية ، ونأمل أن يؤدى هذا النفوذ إلى وقف عدوانها وسحب القوات المعتدية فورا ، ونحن نعرف أن هذه الدول حليفة لأمريكا ، ولـكنها سلـكت طريق الشر والعدوان ، وتعـكير الأمن والسلام ، ووقفت ضد المبادئ الإنسانية ، وقد أعلنت أمريكا فى هـذا الموقف أنها اختارت نصرة المبادئ لا نصرة الحلفاء . ونحن نحب السلام ونحب كل شعب وكل أمة تعاوننا على إقـرار السلام ، ولـكن حينما يعتدى علينا فأن ديننا يأمرنا بمقاومة العدوان وحرب المعتدين بكل ما أوتينا من قوة ، ويعلمنا أن من يموت فى سبيل ذلك فأنه سيحيا حياة أرقى وأفضل من هذه الحيـاة ، ونحن جميعا جنود فى هذه المعركة : الشيوخ والشبان ، وقد تدرب رجال الأزهر واستعدوا للقتال جنبا إلى جنب مع جميع أفراد الشعب ، استجابة لأوامر الدين ، ولا تطمع انجلترا فى أننا سنسمح لها باحتلال بلادنا مرة أخرى ، وقـد كانت مقاومة أبناء بور سعيد مثلا لمقاومة أبناء هذا الشعب فى كل مكان . فنحن قوم مسالمون ، ولكن إذا اعتدى علينا فأننا نحارب بكل ما نستطيع ، ومن يتأخر عن ذلك فهو خارج عن الدين .

وهنا أكد الزائر لفضيلته أن أمريكا جادة فى العمل على منع العدوان و إقرار السلام ، وعودة أرض مصر إليها وانسحاب القوات المعتدية .

شكر جلالة شاه إيران

السيد سفير إيران القـاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن ترفعوا إلى جلالة الشاه بالغ الشـكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام . شيخ الأزهر

(عبد الرحمن تاج)

جواب جلالة شاه إيران

أرسل صاحب الجلالة امبراطور إيران البرقية الآتية إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ردا على برقية فضيلته السابق إرسالها إلى جلالته :

فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

كان من بواعث الشكر والسرور وصول برقية فضيلتكم ، عند ما حل الهجوم وسفك الدماء محل السلم والهدوء فى مصر العزيزة الشقيقة ، نظرت إيران حكومة وشعبا بعين العطف إلى هذه الحادثة المؤسفة ، وقد قامت حكومتنا باتخاذ الإجراءات فى الأوساط الدولية وفى إيران لاستنكار القوة والعدوان ، ولم تتوان فى بذل جميع جهودها لحلول السلم والهدوء فى مصر .

وكان قرارنا القاطع هو جلاء القوات المحتلة وانسحاب إسرائيل إلى خطوط الهدنة ، ويسرنا أنه قد تم التوفيق على اتخاذ إجراء جماعى على أثر انعقاد مؤتمر رؤساء وزراء الدول الإسلامية الأربع فى طهران لأجل هذا الغرض .

ونرجو أن يتم بعون الله تعالى زوال هذه الحادثة قريبا بتدخل هيئة الأمم المتحدة ، ويسود الهدوء الكامل مصر الشقيقة .

شكر سكرتير هيئة الأمم المتحدة

السيد همرشيلد سكرتير هيئة الأمم المتحدة بنيو يورك

شيخ الأزهر وعلماؤه يشكرونكم على وقوفكم بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونكم العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

جواب السكرتير العام

للأمم المتحدة

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

الجامع الأزهر — القاهرة

فى هذا الوقت الذى تمر فيه الأمم المتحدة بدور التجربة والابتلاء يسر هؤلاء الذين يبذلون أعظم الجهود فى حفظ السلام ويقوى قلوبهم : أن يعلموا بتأييد الرأى العام القوى لهيئة الأمم المتحدة وللمبادئ الإنسانية التى يقوم عليها ميثاقها .

ولو أن السكرتير العام يأسف لعدم استطاعته الإجابة شخصيا على كل الرسائل والبرقيات التى تلقاها فأنه يسره التعبير عن تقديره العظيم لكل رسالة ثقة وتشجيع .

تهنئة إلى الرئيس

ببسالة الجيش ، وحزم القيادة ، وبطولة بور سعيد

السيد رئيس جمهورية مصر .

بسالة الجيش وحزم القيادة وقوة الشعب رفعت رأس مصر عاليا فى آفاق الدنيا ، وأرغمت الأعداء على وقف القتال ، وإنها لخطوة فى سبيل النصر تتلوها خطوات ، فنهنئكم ونهنئ شعب مصر ، ونفخر بأبناء بور سعيد الأبطال ، كما نعتز بأن البلاد كلها فى يقظة تامة وحذر بالغ واستعداد للقاء الأعداء ، إن هم نقضوا عهدهم وعادوا لخطة مكر أو خداع .

والله يرعى مصر ، ويرعاهم للوطن وأمم العروبة والإسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

برقية جماعة علماء الباكستان

فضيلة شيخ الأزهر بالقاهرة

جماعة علماء الباكستان باسم الشعب الباكستانى تستنكر العدوان الوحشى على مصر ، وتعرب عن تأييدها القلبى للشعب المصرى .

البدايونى
رئيس جمعية علماء الباكستان

برقية الرابطة الاسلامية بباكستان

فضيلة رئيس هيئة كبار العلماء بالقاهرة

تسلمنا برقيتكم ، يبذل الباكستانيون غاية جهدهم لتأييد قضية مصر ، وهم يعتبرون الاعتداء على مصر اعتداء على العالم الإسلامى . ثقوا أننا لن ندخر أى جهد .

رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان
كراتشى

برقية السكرتير العام

للأمم المتحدة

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أتشرف بأبلاغكم باسم السكرتير العام للأمم المتحدة ـ بتسلم صورة القرار الذى أصدره المجلس الأعلى للأزهر فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٦ المحولة إلى مركز الأمم المتحدة بواسطة مدير مكتب الأمم المتحدة للأنباء بالشرق الأوسط .

ويسرنى أن أخبركم أنه أخذ بيان بمحتويات هذا القرار الذى سيوضع تحت تصرف الدول الأعضاء للاطلاع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

إمضاء
نائب السكرتير للشئون السياسية ومجلس الأمن

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٧ —

أهمية مسلك المناسبة : ومسلك المناسبة أهم المسالك المعرفة للعلية ، وهو العمدة فى إثبات علل الأقيسة ، ومن يتتبع الأقيسة المذكورة فى كتب الفقه ، وينعم النظر فى عللها يجد أكثرها ثابتا بطريق المناسبة ، وقل أن يجد علة فى تلك الأقيسة دل على ثبوتها النص أو الإجماع .

كما يجد أن هذا المسلك كان سببا كبيرا من أسباب الاختلاف الحاصل بين الأئمة فى استنباط الأحكام بطريق القياس ، فكثيرا ما يتفقون على الحكم ، ولكنهم يختلفون فى تعيين الوصف المناسب لذلك الحكم ، فيرى بعضهم أن المناسب له وصف معين ، ويرى غيره أن المناسب له وصف آخر ، فيحصل الخلاف بينهم فى الاستنباط تبعا لذلك ، وسنورد فيما يلى بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

المثال الأول : أن الأئمة الأربعة اتفقوا على تحريم الربا فى الأصناف الستة التى ورد بها الحديث الشريف ، وهى : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ، وأن هذا التحريم معقول المعنى وليس من الأحكام التعبدية ، ولكنهم اختلفوا فى تعيين الوصف المناسب لهذا الحكم ، فالحنفية رأوا : أنه الكيل أو الوزن ، والمالكية رأوا : أنه الثمنية فى الذهب والفضة ، والاقتيات والادخار فى الأصناف الأربعة ، والشافعية رأوا : أنه الثمنية فى الذهب والفضة، والطعم فى الأصناف الأربعة ، ومن هنا جاء اختلافهم فى الأموال التى يحرم الربا فيها بالقياس على هذه الأصناف . فالحنفية رأوا أنها كل ما يكال أو يوزن كالحديد والنحاس والقطن ونحوها من غير نظر إلى وصف الطعم أو الادخار ، والمالكية رأوا أنها كل ما يقتاته الناس ويدخرونه كالذرة والأرز والعدس ونحوها من غير نظر إلى الكيل أو الوزن أو الطعم، والشافعية رأوا أنها المطعومات كالفول والأرز والتفاح والكمثرى والخيار ونحوها من غير نظر إلى الكيل أو الوزن أو الادخار .

المثال الثانى : أن الحنفية والشافعية اتفقوا على ثبوت ولاية التزويج للأب على ابنته البكر الصغيرة ، لكنهم اختلفوا فى الوصف المناسب لهذا الحكم . فالحنفية رأوا : أنه

الصغر ، والشافعية رأوا : أنه البكارة ، ومن هنا جاء اختلافهم فيمن تثبت عليه ولاية التزويج بالقياس على ذلك .

فقال الحنفية : تثبت على الثيب الصغيرة لوجود الصغر الذى هو العلة فى ثبوت الولاية على البكر الصغيرة ، ولا تثبت على البكر الكبيرة لانتفاء العلة ، وهى الصغر .

وقال الشافعية : تثبت على البكر الكبيرة لوجود البكارة التى هى العلة فى ثبوت الولاية على البكر الصغيرة ، ولا تثبت على الثيب الصغيرة لانتفاء العلة ، وهى البكارة .

المثال الثالث : أن الفقهاء اتفقوا على ثبوت الشفعة فى العقار ، وأن هذا الحكم ليس من الأحكام التعبدية ، ولكنهم اختلفوا فى المعنى المناسب لهذا الحكم ، فقال علماء الحنفية ومن وافقهم : إن المعنى المناسب هو الضرر الذى يحتمل حصوله من الدخيل كالأذى وسوء المعاملة ، وقال الشافعية ومن وافقهم : إن المعنى المناسب ضرر خاص ، وهو الضرر الذى ينشأ عن قسمة العقار بين الشريك القديم والشريك الجديد ، ولهذا اتفقوا جميعا على ثبوت الشفعة فى العقار الذى يحتمل القسمة ، وعلى ثبوتها للشريك فى نفس العقار ، وذلك لتحقق المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو احتمال حصول الضرر من الدخيل عند الحنفية ومن وافقهم ، واحتمال حصول الضرر الناشئ عن القسمة عند الشافعية ومن وافقهم ، واختلفوا فى أمرين :

أحدهما : ثبوت الشفعة فى العقار الذى لا يحتمل القسمة كالدار الصغيرة والحمام والبئر ونحوها . فقال الحنفية ومن وافقهم : إن الشفعة فيه أيضا كما تثبت فى العقار الذى يحتمل القسمة لتحقق المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو احتمال الضرر من المشترى الأجنبى ، وقال الشافعية ومن وافقهم : إن الشفعة لا تثبت فيه لانتفاء المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو الضرر الحاصل من القسمة ، إذ العقار غير قابل لها .

وثانيهما : ثبوت الشفعة للشريك فى حق من حقوق العقار كالطريق والشرب الخاصين ، وللجار الملاصق الذى لا يكون شريكا ، فقال الحنفية ومن معهم : تثبت لهما الشفعة لوجود المعنى المناسب لتشريع الشفعة بالنسبة لكل منهما ، وهو احتمال حصول الضرر من الدخيل ، وقال الشافعية ومن معهم : لا تثبت الشفعة لواحد منهما ، لانتفاء المعنى المناسب لتشريع الشفعة بالنسبة لكل منهما ، وهو ضرر القسمة ، لأنه لا شركة لواحد منهما فى نفس العقار حتى يحتاج إلى القسمة .

٢ ـ الاستحسان

وسنجعل الكلام على الاستحسان فى المواضيع الآتية : تعريفه ، أنواعه وأمثلة كل نوع منها ، حجيته .

تعريف الاستحسان

تمهيد :

كلمة الاستحسان اشتهرت عن الإمام أبى حنيفة وأصحابه ، وأطلقوها فى كثير من المسائل الفقهية المنقولة عنهم على وجه يفهم منه أن الاستحسان دليل من الأدلة التى يعتمد عليها فى استنباط الأحكام الشرعية ، وكثيرا ما يرد ذكره عنهم مقرونا بكلمة القياس فيقولون : القياس فى هذه المسألة يقتضى كذا ، والاستحسان يقتضى كذا ، أو القياس يقتضى كذا ، ولكننا نستحسن كذا ، أو الاستحسان يقتض كذا ، والقياس يقتضى كذا ، وبالقياس نأخذ ... إلى غير ذلك من العبارات المختلفة المنقولة عنهم [١] .

ومع ورود الاستحسان كثيرا فى كلام هؤلاء الأئمة لم ينقل عنهم تحديد هذا الاستحسان وبيان المقصود منه ، كما لم ينقل عنهم بيان المراد من القياس المقابل لهذا الاستحسان ، أهو القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه الذى هو إلحاق فرع بأصل فى حكمه لاشتراكهما فى علة الحكم ، أو هو الدليل العام أو القاعدة المقررة .

ومن هنا أنكر بعض العلماء على أئمة الحنفية هذا الاستحسان ، وشنعوا عليهم فى ذلك ظنا منهم أن الاستحسان من قبيل الرجوع إلى الرأى والتشهى من غير دليل شرعى ، وقال فى هذا الإمام الشافعى قولته المشهورة عنه : « من استحسن فقد شرع [٢] » يعنى أن من أثبت حكما بالاستحسان فقد وضع شرعا من قبل نفسه ، وليس ذلك له لأنه كفر أو كبيرة [٣] .

ولما وجد كبار الأصوليين من الحنفية هذه الطعنات الموجهة إلى أئمة المذهب قاموا بواجب الدفاع عنهم فبينوا حقيقة الاستحسان الذى قال به أئمتهم ، وأثبتوا أنه دليل

---

[١] انظر أصول السرخسى حـ ٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

[٢] اشتهرت هذه العبارة عن الامام الشافعى ، ونقلها الغزالى فى كتابه « المنخول » وغيره ، ويقول ابن السبكى فى الأشباه والنظائر : إنه لم يجد هذه العبارة فى كلامه نصا ، ولكنه وجد فى الأم مايفيد هذا المعنى فقد جاء فيه « ان من قال بالاستحسان فقد قال قولا عظيما ووضع نفسه فى رأيه واستحسانه على غير كتاب ولا سنة موضعها فى أن يتبع رأيه ... الخ » انظر حاشية العطار على جمع الجوامع حـ ٢ ص ٣٦٠ .

[٣] شرح الجلال المحلى وحاشية العطار عليه حـ ٢ ص ٣٦٠ ، والتلويح على التوضيح حـ ٢ ص ٣ .

من الأدلة المتفق عليها بين الجمهور، وليس تشريعا بالهوى والتشهى ، كما فهم المنكرون(١).

غير أن هؤلاء الأصوليين لم تتفق كلمتهم على تعريف واحد للاستحسان ، بل كانت لهم تعريفات كثيرة متباينة ، فمنهم من عرفه بأنه دليل ينقدح فى نفس المجتهد يعسر عليه التعبير عنه (٢) ومنهم من عرفه بأنه العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه(٣) ومنهم من عرفه بأنه قياس خفى لا يتبادر إلى الأفهام فى مقابل قياس جلى(٤) ومنهم من عرفه بأنه العدول فى مسألة عن مثل ما حكم به فى نظائرها إلى خلافه لوجه هو أقوى يقتضى العدول (٥) ، ومنهم من عرفه بأنه كل دليل شرعى فى مقابلة قياس جلى سواء أ كان نصا أم إجماعا أم ضرورة أم قياسا خفيا، إلا أن هذه التعريفات لم تسلم من النقد، لأن بعضها مبهم لا يدرى المراد منه ، وبعضها لا ينطبق على الاستحسان فى جميع صوره ، وبعضها يشتمل على مالا يسمى استحسانا عندهم ، وبيان ذلك كما يلى :

أما التعريف الأول فقد قال فيه الغزالى فى كتابه « المنخول » كما نقله عنه العطار فى حاشيته على شرح الجلال المحلى (٦) « إن معانى الشرع إذا لاحت فى العقول انطلقت الألسن بالتعبير عنها ، فما لا عبارة عنه لا يعقل » وقال فى المستصفى [٧] : « إن هذا هوس لأن مالا يقدر على التعبير عنه لا يدرى أنه وهم وخيال أو تحقيق، ولا بد من ظهوره ليعتبر بأدلة الشريعة لتصححه الأدلة أو تزيفه . أما الحكم بما لا يدرى ما هو فمن أين يعلم جوازه ؟ أبضرورة العقل أو نظره أو بسمع متواتر أو آحاد ؟ ولا وجه لدعوى شىء من ذلك » .

وأما التعريف الثانى فانه يلاحظ عليه « أولا » أنه لا يشمل الاستحسان الثابت بدليل آخر غير القياس كالاستحسان الثابت بالنص أو الإجماع أو الضرورة وغيرها على ما سيأتى فى الكلام على أنواع الاستحسان ، « وثانيا » أنه يلزم على هذا التعريف أن

---

[١] راجع كشف الأسرار لعبد العزيز البخارى حـ ٤ ص ١١٢٣ .

[٢] انظر مختصر المنتهى لابن الحاجب حـ ٢ ص ٢٨٨ ، والتلويح حـ ٢ ص ٣ ، وجمع الجوامع لابن السبكى حـ ٢ ص ٣٦٠ .

[٣] كشف الأسرار حـ ٤ ص ١١٢٣ والمرجعين السابقين .

[٤] كشف الأسرار حـ ٤ ص ١١٢٣ ، والتحرير مع شرح التقرير والتحبير حـ ٣ ص ٢٢٢ ومسلم الثبوت حـ ٢ ص ٣٢٠ .

[٥] كشف الأسرار حـ٤ ص١١٢٣ والاحكام للآمدى حـ٣ ص١٣٧ ومختصر ابن الحاجب حـ٢ ص٢٨٨ .

[٦] حـ ٢ ص ٣٦٠ . [٧] حـ ١ ص ٢٨١ .

علماء الحنفية يتركون الدليل القوى و يعملون بالضعيف حينما يقولون فى بعض المواضع : القياس كذا ، والاستحسان كذا ، و بالقياس نأخذ ، وذلك كما فى سجدة التلاوة فى الصلاة ، فقد سئل الإمام محمد بن الحسن عن الرجل يقرأ آية السجدة فى الصلاة فيركع عنها ، هل تجزئه ؟ فقال : أما فى القياس فالركوع فى ذلك والسجود سواء ، لأن كل ذلك صلاة ، وأما فى الاستحسان فينبغى له أن يسجد ، و بالقياس نأخذ [١] .

وأما التعريف الثالث ، فيلاحظ عليه « أولا » أنه لا يشمل جميع أنواع الاستحسان كما فى التعريف الثانى « وثانيا » أنه جعل القياس المقابل للاستحسان هو القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه ، وهذا مخالف للواقع ، فقد يكون المراد به القياس بهذا المعنى ، وقد يكون المراد به الدليل العام أو القاعدة المأخوذة من مجموع الأدلة الواردة فى شىء واحد .

وأما التعريف الرابع ، فيلاحظ عليه « أولا » أنه لم يبين نوع الدليل المقتضى للعدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر ، وهو إبهام ينبغى أن تخلو التعريفات منه ، « وثانيا » أنه يلزم عليه أن يكون العدول عن العام إلى الخاص ، وعن المنسوخ إلى الناسخ استحسانا ، وليس كذلك « وثالثا » أنه يلزم عليه أن علماء الحنفية يتركون العمل بالدليل القوى ويعملون بالدليل الضعيف حينما يأخذون بالقياس فى بعض المواضع و يتركون الاستحسان ، كما فى مسألة سجود التلاوة فى الصلاة التى أسلفنا بيانها .

وأما التعريف الخامس فهو وإن بين الدليل المستحسن به ولكنه حصر هذا الدليل فى أربعة ، وهى النص والاجماع والضرورة والقياس الخفى ، وهو غير صحيح ، لأن الاستحسان كما يكون بهذه الأدلة الأربعة يكون بغيرها كالعرف والمصلحة ، كما يؤخذ من الفروع الفقهية المنقولة عن علماء المذهب الحنفى على ما سيأتى بيانه فى أنواع الاستحسان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن هذا التعريف جعل القياس المقابل للاستحسان هو القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه ، وهذا مخالف للواقع كما تقدم .

وهناك تعريفات أخرى للاستحسان ولكنها أيضا لا تخلو من الإبهام أو القصور ، وأحسن ما يقال فى تعريفه فى رأينا هو ما يأتى :

---

[١] راجع كشف الأسرار حـ ٤ صـ ١١٢٣ ، وفتح القدير حـ ١ صـ ٢٨٧

التعريف المختار للاستحسان :

الاستحسان يطلق على أمرين : « أحدهما » القياس الذى خفيت علته لدقتها وبعدها عن الذهن الواقع فى مقابلة قياس ظهرت علته لتبادرها إلى الذهن أولا .

« وثانيهما » استثناء مسألة جزئية من أصل كلى لدليل خاص يقتضى ذلك الاستثناء ، سواء أكان هذا الدليل نصا أم إجماعا أم ضرورة أم عرفا أم مصلحة أم غيرها .

وبيان ذلك : أن بعض المسائل التى لم يرد بها نص أو إجماع يكون لها شبه بأصلين ثبت لكل منهما حكم شرعى ، وأحد الشبهين قريب يتبادر إلى الأذهان ، والآخر بعيد بالنسبة إلى الشبه الأول فيجتمع فيها قياسان متعارضان : أحدهما ظاهر جلى ، والآخر خفى ، فيسمى علماء الحنفية القياس الخفى استحسانا والحكم الثابت به حكما مستحسنا ثابتا على خلاف القياس أى القياس الأصولى المعروف [١] .

وأن بعض المسائل قد يتناولها دليل من أدلة الشرع العامة ، أو قاعدة من القواعد المأخوذة من مجموع الأدلة الواردة فى موضوع واحد ، ولكن يوجد فيها دليل معين من نص أو إجماع أو ضرورة أو غيرها يقتضى استثناءها وخروجها من الحكم الكلى الثابت لنظائرها بمقتضى الدليل العام أو القاعدة المقررة ، فيسمى علماء الحنفية هذا العمل استحسانا ، ويسمون الحكم الثابت به حكما مستحسنا ثابتا على خلاف القياس أى الدليل الشرعى العام أو القاعدة المقررة عندهم .

هذا هو معنى الاستحسان عند فقهاء الحنفية كما يؤخذ من مسائلهم الفقهية التى صرحوا فيها بكلمتى الاستحسان والقياس ، فان من يتتبع تلك المسائل يجدها لا تعدو واحدة من هاتين :

مسألة وجد فيها قياسان متعارضان ، أحدهما ظاهر جلى ، والآخر خفى . ومسألة استثنيت من حكم كلى لدليل خاص يقتضى ذلك الاستحسان .

(يتبع)

زكى الدين شعبان

المدرس بكلية حقوق عين شمس

---

[١] وقد بين عبد العزيز البخارى فى كتابه « كشف الأسرار » جـ ٤ ص ١١٢٣ السبب فى تسمية القياس الخفى استحسانا فقال : « وإنما سمى القياس الخفى بالاستحسان لأنه فى الأكثر والأغلب يكون أقوى من القياس الظاهر فيكون الأخذ به مستحسنا » .

تعليقات حرة

شهد الانجليز والفرنسيون على أنفسهم بالوحشية

وشهد العالم كله على هذين الخصمين بالخساسة ، والإجرام ، والتبجح فى وجه الدول عامة ، فهل نسمع بعد اليوم أن حضارة الانجليز والفرنسيين أغنتهم عن أدب الإنسانية ، أو عن يقظة الضمير ، أو عن تقدير العدالة الاجتماعية فى معاملة مصر ؟ ؟

بيننا أفراد خدعتهم مفاتن الغرب الهازلة ؛ فطوعت لهم أنفسهم أن يمتدحوا الغرب فى كل شىء .

وكان فى مصر احتلال ، وكانت لهذا الاحتلال مآس وأضرار ، ولكن عشاق الغرب نسوا كل ذلك ، وأسرفوا فى تمجيد الغرب على علاته ، حتى كدنا نراهم يضعون أهل الغرب فى مصاف الملائكة الأطهار من رجس الأرض ، ومن خبث الشياطين .

دعيت يوما إلى حضور ندوة أدبية ، لسماع مناظرة حول الشرق والغرب . . . وكانت شخصيات المتناظرين أدعى إلى الحرص على المبادرة ، حبا فيما نسمع منهم ، وكان فى مقدمة الناهضين إلى الحديث دكتور ترأس جامعة القاهرة فترة من الزمن . . .

قام دكتورنا أحمد زكى ينثر علينا مدائحه للغرب ، ويشيد بفضله على الدنيا ، ويعجب فى إيمان أكيد من تفوق الغرب على الشرق فى علمه وخلقه ، وفى كل شأن من شئون الحياة قديما وحديثا . . وانتهت به فتنته الجامحة الى الدعوة الملحة لمحاكاة الغرب فى كل ما يكون منه دون استثناء .

ثم انحرف دكتورنا فى حديثه فجأة ، فدعا إلى التخلص من دعوة الأزهر أو الإعراض عنها . .

والأزهر – كما يعرف الدكتور أحمد زكى مذ كان مدرسا فيه – لا يدعو لغير الدين ،

والاعتزاز بمجدنا العربى الإسلامى، والتوجيه إلى الاحتفاظ بشخصيتنا الإسلامية العربية ، ومع أن الدكتور زكى كان شرقيا فى سحنته ، وفى لغته ، فلم يكن شرقيا ولا إسلاميا فى فكرته ، ودعوته ، ولا موفقا فى شىء مما عرض له .

وأحسن الله جزاء الأستاذين : الدكتور إبراهيم سلامة ، والدكتور مصطفى الحفناوى .

فقد رجعا بالدكتور زكى إلى صوابه ، وصححا له انحرافه فى كل ما تحدث به ، وهدأت خواطر السامعين بصدق ما قالا عن الشرق فى قديمه وحديثه ، وقبع الدكتور زكى فى مكانه يسمع ويوافق . .

وقد ضرب الأستاذ الحفناوى خير الأمثلة على نهوض الشرق منذ كان الغرب كله يتخبط فى جهالته ، وكانت الدنيا مشرقة بنور الإسلام ومعارف الإسلام .

وذكرنا بحنق الغرب الذى أشعل الحروب الصليبية على المسلمين ، وانهارت فيها دماء البشر نحو قرنين من الزمن ، حتى أخمد جذوتها صلاح الدين الأيوبى ببسالة الشرق وعدالة الإسلام .

وها هو الغرب يستأنف وحشيته حقدا على مصر أو تنكيلا بالشرق فى شخصها .

فما كادت مصر تنهض من عثارها ، وتستأنف خطاها ، حتى تصدت لها دولتان ، مع ثالثة مزعومة .

هاجموا مصر وحدها ، واعتدوا على حماها ، غير مستجيبين لضمير ، ولا مشفقين بالإنسانية .

فهل نسمع من مفتون بعد اليوم أن حضارة الغرب أغنت الإنجليز ومن إليهم عن أدب الإنسانية ، ورعاية العدالة الاجتماعية فى معاملة مصر ؟ ؟

وما دامت مصر غير عادية على سواها ، ولا مسيئة فى سياستها ، فان الله معها اليوم كما كان معها فى الحروب الصليبية وغيرها .

وعما قليل سترفرف أعلام النصر فى أيدى أبطالها ، وعلى جنبات النيل ومشارف الوادى كله . والله مع الصابرين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الفتاوى

حكم تبنى أيتام بورسعيد الباسلة

تقدّم للوزارة الكثير من أبناء الأمة يطلبون تبنى الأطفال من أيتام مدينة بورسعيد، كما تقدم البعض يطلبون تسلم هؤلاء الأطفال لتربيتهم والصرف عليهم .

وبناء على توجيه السيد الوزير، نرجو التكرم بالأمر بموافاتنا ببحث كامل عن هذا الموضوع ليتسنى البت فى الطلبات المقدمة .

مدير مكتب وزير الشئون الاجتماعية والعمل

الجواب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال، وتفيد أن التبنى بمعنى جعل الطفل ابنا لمن يتبناه، بحيث يترتب على تبنيه الميراث ونحوه من أحكام النسب، باطل فى الإسلام، سواء أكان الطفل معروف النسب أم مجهوله، لقوله تعالى: « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » وقوله تعالى: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله، فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم» ولا خلاف بين الأئمة فى هذا الحكم، وبه بطل ما كان معروفا فى الجاهلية وصدر الإسلام من التبنى .

أما التبنى بمعنى كفالة الطفل الذى فقد من كان يعوله لتربيته والقيام بشئونه دون إلحاقه فى النسب بمن يتولاه، فلا خلاف فى أنه مطلوب شرعا؛ لما فيه من إحيائه وإغاثته، كما فى حوادث بورسعيد التى فقد فيها هؤلاء الأولاد آباءهم ومن يعولهم من المسلمين . بل إن ذلك واجب على القادرين الأمناء من المسلمين، ولمن قام بذلك ثواب عظيم يعادل ثواب المجاهدين، كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخارى ومسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » .

غير أنه يجب ألا يسلم هؤلاء الأطفال إلا لمن عرف بالقدرة والأمانة من المسلمين، فلا يسلمون لعاجز ولا لغير أمين ولا لغير مسلم سواء عرف كون الطفل من أبوين مسلمين أم لم يعرف ذلك، لأن مجهول النسب مسلم حكما لوجوده فى دار الإسلام .

وبهذا علم الجواب والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

ركن الحرس الوطنى بالأزهر :

— ١ —

مصر والاســـــلام

فى سنة ١٨ هجرية اهتزت أرض مصر الشرقية بمجـاهدين من طراز ممتاز يتقدمون رجالا وفرسانا وهم يكبرون فى الصباح والمساء ، وينادون بتوحيد الله ، وبأن الملك لله يورثه من يشاء من عباده ، وأن العاقبة للمتقين . جاءوا لينشروا دين الإنسانية ، دين السلام والأخوة ، وليؤدوا رسالة حملهم إياها الإسلام حين قال : « ولتـكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر وأولئك هم المفلحون » .

وكان لهم من حسن فعالهم وطيب سيرتهم ما سهل لهم السبيل ، ومهد لهم الطريق لنشر هذه المبادئ ، والقضاء على طغيان الجـاهلية . ولأن الله يريد بالمصريين خيرا دخل دعاة الإسلام مصر ، وانتهت موجة الفتح ، واستقرت الأمور ، وذهب الحـكام الظـالمون إلى حيث يلقى الظالمون مصيرهم .

وهاجر حملة رسالة الإسلام إلى مصر واتخذوها وطنا لهم ، واتصلوا بأهلها بالزواج والمصاهرة ، حتى صارت مصر عربية لحما ودما . ومنذ ذلك اليوم صارت مصر أمة عربية ثقافة وجنسا ، وأخذ أهلها يدخلون فى دين الله أفواجا .. ومع ذلك لم يكن أحد يظن أن هـذا البلد سيكون له أثر كبير فى تاريخ الإسلام ، وأنه سيتلقف الزعامة لنشر هذا الدين والذياد عن حياض الإسلام وأممه على مدى القرون .

والناظر لتـاريخ الإسـلام يرى أنه اصطدم بقوتين جبارتين فى ابتـــداء مده وقد تغلب عليهما : أما الأولى فهى القوة الشرقية متمثلة فى الدولة الفارسية ، وأما الثانية فهى القوة الغربية متمثلة فى الدولة الرومانية والبزنطية ، ولقد قامت مصر بعد ذلك تصد طغيانا آخر من الشرق ومن الغرب .

أما الهجوم الشرقى على أرض الإسلام الذى تلا حركة التحرير الإسلامى فـكان بقوة التتار الجارفة العاتية التى استطاعت أن تثل العروش والممالك ، وأن تقوض عرش الخلافة من بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وتعيث فى الأرض فسادا ، وتنشر الذعر والخوف فى كل مكان تطأه أقدامها ، بعد قتل المقاومين ونهب بلادهم وهتك أعراضهم . واستمر سيلهم فى اندفاعه إلى أن اصطدم بصخرة عاتية فتحطم عليها ، ورجع على أعقابه يلعق فى دمائه ، ويحكى أحاديث

الهزيمة المنكرة التى منى بها ، أمام أسود مصر فى « عين جالوت » حين هب هذا الشعب الأبى يحمى حماه ويذود عن عرينه ، مستلهما من الله النصر والمعونة وتثبيت الأقدام ، فكان له ما أراد ، وانتصر على الطغاة ، وردهم على أعقابهم خاسرين .

وأما الهجوم الغربى الثانى على أرض الإسلام فكان بطغيان أوربا جميعا ، يسوقها فى ذلك أمل التملك ، وفرض سيادة التعصب الدينى على قوم هداهم الله . ولقد اندفع تيارهم بقوة وعنف ، حتى استطاع أن يصنع بحيرة فى الشام تشتمل على عدة ولايات من أرض الإسلام يحكمها حكام غربيون ، وأخذوا يثبتون أقدامهم ويبنون دولتهم ، وهم يظنون أنهم قد بلغوا غايتهم بتأسيس دولة فى قلب بلاد الإسلام وبين ظهرانى أهلها .

ولكن مصر وأبناء مصر أثبتت لهم أنه لاسبيل إلى إيجاد دولة أو ولاية فى أرض الإسلام وبين أحضانه ، فنهضت وشمرت عن سواعدها ، واستلهمت ربها وطلبت منه المعونة ، فجاءتها قوة السماء من جديد حتى استطاعت أن ترد الطغاة على أعقابهم وعلى رأسهم أحد جدود « إيدن » ريكار دوس وجد « بينو » ملك فرنسا . عادا وقد تكلل رأساهما بالهزيمة والعار ، وعلم من علم يومئذ أنه لا سبيل إلى بناء دولة أجنبية فى أرض الإسلام بعد أن أزيلت إماراتهم بعد مائة عام من تأسيسها .

ولكن الغرب ينسى ، ويأبى إلا أن يتلقى درسا عقب درس ، وهزيمة إثر هزيمة . والتاريخ يعيد نفسه .

لذلك ترى الغرب اليوم يجمع قواته ويحشد جنوده ليضرب قلب الإسلام مصر .

ومصر اليوم تحد أضراسها وتكشر عن أنيابها وتسدد حرابها لتضعها فى حلق الغرب من جديد ، ولتذيق الأحفاد ما ذاقه الأجداد من الهزيمة والعار والخزى والشنار .

وإنى اليوم لأذكر أحفاد المجاهدين المناضلين بأن آباءنا وأجدادنا إنما انتصروا على القوتين الشرقية والغربية فى الماضى بالروح الإلهى الذى جاءهم مع رجال على خيولهم وآخرين على أقدامهم يكبرون فى الصباح والمساء ، ويذكرون الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويستلهمون المدد من السماء ، فلكى تكون العاقبة كما مرت فى الحادثتين السابقتين ، نرجو أن تعود مصر مسلمة كما كانت ، مؤمنة كما كانت . وعند ذلك انتظروا الفوز المؤكد ، والنصر المحقق ، وما النصر إلا من عند الله ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . .

محمد محمد شتا زيتونه
كلية اللغة العربية ـ السنة الثانية

— ٢ —

من روائع البطولة وآيات الفداء

فى تاريخ الاسلام

إن تاريخ الإسلام المجيد ليحوى بين دفتيه ، ويضم بين جوانبه ، مثلا حية ، ونماذج رائعة ، وآيات بينات ، تدل على شجاعة حقة ، وبطولة فذة ، وجهاد حميد ، وفداء مجيد ، لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وشروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ، ونصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، حتى أنجز الله لهم وعده ، واستخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، جزاء وفاقا لما بذلوا من نفس ، وما أنفقوا من مال ، وما قدموا من ولد . وكيف لا يكون هذا جزاءهم عند الله ، وهم الذين كانوا يسارعون إلى القتال — إذا أذن مؤذن بالجهاد — وقد شدوا مآزرهم ، وشمروا عن سوقهم ، وتحصنوا بدروعهم ، وشهروا سيوفهم ، وكل منهم يردد قوله تعالى : « وعجلت إليك رب لترضى » ! وقول الشاعر :

ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى

فمن كهولاء الأبرار الذين استشارهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ماذا يفعل؟ وقد جاء المشركون بخيلهم ورجلهم يبتغون النيل من الإسلام . فقالوا : يا رسول الله ، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء . ومن كذلك الصحابى الجليل عمرو بن الجموح الذى لم يكتف بتقديم أبناء أربعة للقتال بل أصر على أن يقاتل هو الآخر ، ولكنه أعرج ولهذا منعه أولاده ، إذ هم قد كفوه مؤنة الجهاد ، فيذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو أولاده مؤكدا عزمه على القتال حتى ينال فضل الشهادة ويطأ بعرجته الجنة ، وقد كان له ما أراد . وأبو دجانة الذى ضرب أروع مثل فى التضحية حيث اتخذ من نفسه درعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انكشف جيش المسلمين يوم أحد ، والنبل يقع على ظهره ،

وهو لا يتحرك ولا يتزحزح ، يخشى أن يصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنها ذروة الإخلاص، وقوة التفانى، وآية المحبة المنبعثة من قلب الجندى لقائده ، بل الصحابى لرسوله .

والفدائى الأول عبدالله بن عتيك الأنصارى الذى ذهب مع رفاق له من خيار الصحابة إلى مبعث الغدر ، ومستقر المكيدة ، ونافث سموم العداء ، وموقد نار الحروب ضد الإسلام ورسوله ، ومؤلب الأحزاب عليهما ، ألا وهو ابن أبى الحقيق اليهودى، ذهبوا إليه فى حصنه بخيبر ، وقد حملوا أرواحهم على أكفهم باذلين لها لإراحة الإسلام من أفعى حقود ، وصل خبيث ، وعادوا ظافرين بعد أن قتلوه فى مهده . وجيش العسرة الذى جمعه الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو تبوك فى أحلك الأوقات ، وأحرج الظروف، فالمدينة فى فقر مدقع ، وحر شديد ، وجهد جهيد ، ومع هذا سارع خيرة الصحابة بتقديم أموالهم ، فتبرع عثمان بمال عظيم ، وتبرع عمر بنصف ماله ، وتبرع أبو بكر بماله كله ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : « وماذا تركت لأهلك؟ » فيقول: تركت لهما الله ورسوله . وفى هذه الغزوة يبكى قوم من الصحابة ، ويذرفون الدمع الثخين أن عجزوا عن أدوات القتال فاضطروا إلى القعود ، فحرموا فضل الجهاد والاستشهاد . وغير ذلك من الأمثلة كثير ، ولا عجب فقد سمعوا كلمة البطولة من قائدهم حيث قال : « ولولا أن أشق على أمتى ما جلست خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل » ! !

فبهذه التضحية أسسوا دولة الإسلام ، وبهذه البطولة أقاموا صرحه التليد ، ورفرفت رايته على ما بين المحيط الأطلسى غربا وأقاصى آسيا شرقا . ونحن الآن ـ وقد ناصبتنا الدول الاستعمارية العداء ، وتألبت علينا، تحاول البغى ، وتريد العدوان ، لأننا استخدمنا حقا لنا فى الحياة كما يفعل الأحياء ، وتصرفنا فيما نملك ، كما يتصرف الملاك ـ يجب علينا أن نتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا، وجهاده سراجا ومنهاجا، وبطولة أصحابه هاديا ومنارا، حتى نسعد كما سعدوا ، ونفوز كما فازوا « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » « وإن جندنا لهم الغالبون » .

السيد رزق الطويل
كلية اللغة العربية ـ السنة الثانية



عمدة التفسير، عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر - الجزء الأول، ٢٩١ ص - دار المعارف بمصر

ما كادت تنتشر الطبعة الثانية من تفسير الحافظ ابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤) من مطبعة المنار سنة ١٣٤٣ - ١٣٤٧ حتى ذاعت نسخه فى الأقطار الإسلامية، وعرف الخاص والعام أهميته، ثم تداولت المطابع فى مصر طبعه طبعات تجارية فانتفع الناس به ما شاء الله أن ينتفعوا. لكنهم كانوا يتألمون لكثرة ما فى طبعاته كلها من أخطاء كانت تزداد كلما ازداد هذا التفسير انتشارا بتعدد طبعاته.

وقد تصدى الآن لتصحيحه وتنقيحه وتحقيقه الأستاذ العلامة الشيخ أحمد شاكر فى طبعة مختصرة حافظ فيها كل المحافظة على الميزة التى انفرد بها تفسير ابن كثير وهى تفسير القرآن بالقرآن، وجمع الآيات التى تدل على المعنى المراد من الآية المفسرة أو تؤيده وتقويه، وحافظ على آراء المؤلف وترجيحاته فى تفسير الآيات، واختار من الأحاديث التى يذكرها أصحها وأقواها إسنادا، واكتفى من سند الحديث بتسمية راويه من الصحابة أو من التابعين إن كان الحديث مرسلا، وحذف كل حديث ضعيف أو معلول إلا أن يكون إثباته فى موضعه ضرورة علمية، وحذف المكرر من أقوال الصحابة والتابعين فى التفسير اكتفاء ببعضها، لأنها كثيرا ما تتقارب معنى وإن اختلفت لفظا، ونفى من المختصر كل الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها، وكان المؤلف يوردها ليبين خطلها وضررها، وحذف أكثر ما أطال به المؤلف من البحوث الكلامية والفروع الفقهية والمناقشات اللغوية واللفظية مما لا يتصل بتفسير الآية اتصالا وثيقا.

وقد اعتمد الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى تصحيح المختصر الجديد على أصل قديم لتفسير الحافظ ابن كثير فى المكتبة الأزهرية رقم ١٦٨ تفسير فى سبعة مجلدات كتبت سنة ٨٢٥ فى دمشق بالمدرسة الشميساطية المجاورة للباب الشمالى من مسجد بنى أمية، وهى المدرسة التى بنيت على أرض المنزل الذى كان يسكنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز للمحافظة على بركة الذكرى لهذا الخليفة الصالح، وقد كتبت النسخة فى هذا المكان لقاضى القضاة نجم الدين بن حجى السعدى برسم خزانته.

والجزء الأول من مختصر الشيخ أحمد شاكر لتفسير ابن كثير ينتهى بالآية ١٦٧ من سورة البقرة ، وستكون بداية الجزء الثانى آية « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » .

أصداء الدين — فى الشعر الحديث

للاستاذ سعد الدين محمد الجيزاوى — الجزء الأول ٤٢٧ ص — مكتبة نهضة مصر

هذا الكتاب موضوع رسالة جامعية لدرجة الماجستير ، وقد استغرق تأليفه ست سنوات متواليات ، وحصل على تقدير جيد جدا من اللجنة المؤلفة فى أوائل هذه السنة برياسة الأستاذ عمر الدسوقى وعضوية الاستاذين على الجندى والدكتور أحمد الحوفى ، وقد كتب كلمة التصدير لهذا الكتاب الأستاذ عمر الدسوقى رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وسيكون الكتاب فى جزءين ألم الأول منهما — وهو الذى نتحدث عنه — بالكلام على أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث من مطلع العصر الحديث إلى ثورة سنة ١٩١٩

وفى التمهيد لهذا الجزء الأول تكلم المؤلف على الدين والأدب وما بين الدين والأدب . ثم عقد بابا للفترة الأولى من الحملة الفرنسية إلى نهاية الثورة العرابية ، فتحدث عن حالة الثقافة العامة ، والدعوة السلفية فى نجد وصداها فى مصر ، والجهود الأولى لجمال الدين ومحمد عبده ، كما تكلم على مركز الخلافة العثمانية وعلاقة مصر به والعامل الدينى فى الثورة العرابية . وتكلم فى الباب الثانى على الفترة من الثورة العرابية إلى ثورة سنة ١٩١٩ ، فذكر الحالة السياسية العامة بايجاز ، والعامل الدينى فى هذه الفترة ، ومحاربة الاستعمار للوعى الإسلامى ، وأثر مجلة العروة الوثقى فى مقاومة الاستعمار ، وعمل دانلوب فى مناهج الدراسة المصرية ، وصدى الحركة القومية ، وتحدث عن مركز الخلافة الإسلامية ، ورأى محمد عبده ومصطفى كامل ، ومحاولات كرومر لقطع الصلة الدينية ، وما انتهت به الحرب العالمية الأولى من إلغاء سيادة تركيا ، وعقد فصلا للغارة التبشيرية الاستعمارية على الإسلام والعالم الإسلامى ، ومطاعن هانوتو وكرومر ومغامز دعاة الثقافات الأجنبية . وفصلا لصدى دعوة محمد عبده والصحافة الإسلامية والجمعيات الدينية ، والمعركة بين السفور والحجاب ، وموقف الشعراء من الشعور الدينى الخ .

وهو كتاب قيم بذل مؤلفه فى جمع مواده وتنظيمها والاعتبار بها جهودا موفقة . فنرجو له العون من الله على اصدار جزئه التالى .

أنباء العالم الإسلامي

بريطانيا والأردن

أعلن رئيس الوزارة الأردنية أن حكومته قررت تنفيذ القرار الإجماعي الصادر من مجلس نواب الأردن بالغاء المعاهدة المعقودة في سنة ١٩٤٨ بين الأردن وبريطانيا ، ومطالبة الحكومة البريطانية بسحب قواتها وإخلاء قواعدها العسكرية في الأردن . وفي الوقت نفسه أعلن الرئيس الأردني أن حكومته قررت أن تقبل — من حيث المبدأ — المعونة العربية لكي تحل محل المعونة البريطانية التي كانت تقدم إلى الأردن طبقا للمعاهدة الملغاة وقدرها اثنا عشر مليونا ونصف مليون من الجنيهات .

اليهود في مصر

الذين لا جنسية لهم

قال السيد علي صبري مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية : إن في مصر ثلاثين ألف يهودي لا جنسية لهم ، ولم تطلب الحكومة المصرية من أحد مغادرة مصر ، ولكنها تركت لهم حرية البقاء أو الرحيل ، ولم تبعد غير الخطرين الذين يتعاونون مع الأعداء ولا تزيد نسبة هؤلاء على ثلاثة في الألف .

استخدام الأجانب

في مصر

تعنى الجهات المسئولة في وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ببحث تشريع جديد خاص باستخدام الأجانب في مصر ، بعد أن ثبت بالتجربة أن القانون المعمول به إلى الآن في هذه الناحية لا يحقق الأغراض التي صدر من أجلها ، لأنه وضع في عهود كان الاستعمار فيها يسيطر على كل شيء ، فصدر وفيه كثير من الثغرات التي تتنافى مع السيادة الكاملة .

طرد دبلوماسي بريطاني

من ليبيا

غادر طرابلس الغرب مطرودا المستر جريشوركس سكرتير الشئون الشرقية بالسفارة البريطانية عائدا إلى بريطانيا بناء على طلب الحكومة الليبية لاتهامه بأعمال التحريض والفتن والاضطراب ، وهو من المتخصصين بالشئون الليبية منذ ١٦ عاما .

لقب « ملكة ليبيا »

أصدر الملك إدريس الأول أمره بالغاء لقب « ملكة ليبيا » وإطلاق لقب

« زوجة الملك » بدلا منه ، لأن نظام الإسلام لا وجود فيه لملكات من النساء .

وحدات الازهر الطبية

قرر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن تكون الوحدات الطبية بالأزهر وأطباؤها وممرضوها وموظفوها فى خدمة المواطنين ليلا ونهارا ، ما دامت الظروف الحاضرة قائمة ، وقد كان لهذه الوحدات الطبية جهود مشكورة قد نذكرها فى الجزء الآتى .

التعاون العربى

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى جواب له على سؤال وجهه إليه ويلتون وين مراسل الأسوشيتد بريس فى القاهرة يوم ٢١ نوفمبر :

« إن شعوب أوربا تعمل فى سبيل الوحدة الأوربية ، كما أن إحدى وعشرين دولة مستقلة فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية قد ارتبطت فى اتحاد أمريكى ، كذلك تعمل الدول العربية على تحقيق مثل أعلى للتعاون المثمر ، غير أن كل دولة عربية تحتفظ بكيانها وشخصيتها بمثل الطريقة التى تعمل بها مصر . أما فكرة الإمبراطورية العربية فهى قصة خيالية أجنبية ، وهى من قبيل الدعاية الأجنبية التى تقوم على الجهل أو ما هو أسوأ من الجهل » .

قرارات

ملوك العرب ورؤسائهم

فى العاشر والحادى عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٧٦ هـ (١٣ — ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٥٦ م) اجتمع فى بيروت بدعوة من رئيس الجمهورية اللبنانية : الملك حسين ملك المملكة الأردنية ، والملك سعود ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية ، والسيد عبد الفتاح المغربى رئيس مجلس السيادة بالسودان ، والسيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والملك فيصل ملك المملكة العراقية ، والسيد كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية ، والسيد مصطفى ابن حليم رئيس مجلس وزراء ليبيا نيابة عن مليكها ، والسيد عبد الحميد غالب سفير مصر فى بيروت نيابة عن رئيس الجمهورية المصرية ، والأمير سيف الإسلام محمد البدر ولى عهد المملكة اليمنية نيابة عن مليكها — وذلك لدرس الموقف الناجم عن العدوان الذى أقدمت عليه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر وقطاع غزة ، وللاتفاق على ما يجب عمله لمناصرة مصر فى دفاعها المجيد عن سلامة أراضيها وسيادتها ، معتبرين أن هذا العدوان على مصر هو عدوان على البلاد العربية جميعها يقتضى توحيد السياسة والجهود حرصا على المصلحة العربية المشتركة .

وقد استعرض المجتمعون بارتياح التدابير

التى اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى القرارات الصادرة بأغلبية ساحقة فى الثانى والرابع والسابع من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وقدروا مجهود الدول المحبة للسلام التى ساهمت فى إصدار القرارات المذكورة القاضية بوقف القتال وسحب القوات المعتدية فورا من الأراضى المصرية والعودة إلى ما وراء خطوط الهدنة . وقد اجتمع الرأى على ما يلى :

١ — ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورة ، وإذا رفضت بريطانيا وفرنسا الامتثال لقرارات الأمم المتحدة ، وامتنعتا عن سحب قواتهما من الأراضى المصرية فورا وبدون أى قيد ولا شرط ، وكذلك إذا خالفت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة وامتنعت عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد ولا شرط ، وإذا تسبب عن موقف أى من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل تأزم جديد من شأنه أن يؤدى إلى استئناف الأعمال العسكرية ، اعتبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مسئولة بالتضامن عن استمرار الاعتداء ، وحينئذ تباشر كل من الدول الممثلة فى هذا المؤتمر فورا فيما خصها ، وعملا بحق الدفاع المشروع عن النفس ، تطبيق أحكام المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ، واتخاذ التدابير الفعالة التى تسمح بها أقصى إمكانياتها وفقا لالتزاماتها ، وبمقتضى المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك العربى .

٢ — الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التى رافقت الاعتداء على مصر واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها ، والعمل على حلها حلا يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها ، وذلك فى نطاق الأمم المتحدة ، وبمفاوضة تجرى بين الفرقاء المعنيين ، بعيدا عن أى مظهر من مظاهر الضغط والتدخل والإكراه ، على أساس معاهدة ١٨٨٨ والمبادئ الستة التى أقرها مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ .

٣ — تأييد مطالب الشعب الجزائرى فى نضاله ، حتى يحقق أمانيه القومية فى الاستقلال والسيادة .

وإن المجتمعين ليتوجهون بتحية الأخوة الصادقة والتقدير والإعجاب إلى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر ، وإلى القوات المصرية المسلحة ، وإلى شعب مصر ، مكبرين وطنيتهم ونضالهم فى الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها ، وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها .

ثمن البغى

قالت جريدة (إيكو) الفرنسية : إن ميزانية الحرب بلغت هذا العام ١٢٨٤ مليون جنيه استرلينى نتيجة للحرب فى الجزائر .

وإن القوات الفرنسية المعتدية على مصر تتكلف مليون جنيه يوميا ، وإن توقف ورود البترول ظهرت آثاره بارتفاع أسعار المواد البترولية المستوردة من الشرق .

قرار آخر
لجمعية الأمم المتحدة

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى يوم السبت ٢٤ نوفمبر بعدجلستين طويلتين على مشروع القرار الاسيوى الافريقى القاضى بسحب القوات المعتدية من الأراضى المصرية فورا بأغلبية ٦٣ صوتا ضد خمسة أصوات وامتنعت عشر دول عن التصويت .

والدول الخمس التى خرجت على إجماع سائر الدول هى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل واستراليا ونيوزلندا ، والدول العشر التى امتنعت عن التصويت هى بلجيكا وكندا والصين الوطنية وكوبا وسان دومنيك ولكسمبرج وإيطاليا وهولندا والبرتغال وجنوب أفريقيا .

سحب قوات فرنسا
من فزان

كانت فرنسا تحتل قواعد منطقة فزان حيث تلتقى حدود ليبيا غربا بالصحراء الكبرى فى جنوب تونس والجزائر ، منذ شاركت القوات الفرنسية فى محاربة الإيطاليين عام ١٩٤٢ ، وكانت المملكة الليبية تطالب فرنسا بالجلاء عن فزان عملا بمعاهدة معقودة بين الدولتين .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر وافقت الجمعية الوطنية (البرلمان الفرنسى) باغلبية ٤١١ صوتا ضد ١٢٠ على التصديق على المعاهدة التى تقضى بانسحاب القوات الفرنسية من منطقة فزان يوم الجمعة ٣٠ نوفمبر (٢٧ ربيع الآخر) ، كما وافقت بأغلبية ٤٣٣ صوتا ضد ١٥٠ على تعديل يقضى بوجوب تسوية مشكلة الحدود الليبية الجزائرية نهائيا قبل التصديق الرسمى على المعاهدة .

وقال رئيس لجنة الشئون الخارجية الفرنسية : إن الاستقلال الليبى لا يمكن أن يكون مصحوبا باحتلال ، ولذلك فمن الواجب أن نتجنب المخاطرة بأن يديننا مجلس الأمن بالاعتداء على استقلال ليبيا .

الخراب والعمران
فى بور سعيد

قالت قيادة الأعداء فى قبرص : إن الطيران التابع لها قام فى يوم واحد بـ ٤٧٣ طلعة طيران فوق بور سعيد ، وطلعة الطيران الواحدة تتألف فى العادة من ثلاث طائرات فعدد الطائرات التى حلقت فوق بور سعيد تصب عليها نيران الحقد والغضب كانت

فى يوم واحـد ١٤١٩ طـائرة . قال قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وزير الشئون البلدية والقروية : وأنا أعرف أن الطـائرة تحمل فى العـادة قنبلتين وزن كل منهما ربع طن ، وتحمـــل معها اثنى عشر صاروخا . فأعداء الحضارة والحق والسلام ألقوا على بور سعيد فى يوم واحـد أكثر من سبعمائة طن من القنابل وسبعة عشر ألف صاروخ وترتب على ذلك أن ٤٥ ألف شخص من أهالى بور سعيد فقـدوا مساكنهم . قال وزير الشئون البلدية والقروية : ولقد اتخذنا هذا الرقم أساسا لرسم خطة التعمير ، وسنبنى مائة وعشرين عمارة كبيرة فى كل عمارة ٢٥ شقة ، وفى الدقيقة الأولى بعد الانسحاب نبدأ العمل ، وستتـكلف هـذه العمارات ما يقرب من مليونين من الجنيهات ، ولقد قاربت تبرعات الشعب لبورسعيد أن تصل إلى هذا المبلغ فعلا ، والمدة اللازمة لإنجاز العمل ثمانية شهور، والوزير البغدادى مصمم على أن يتم بناء بور سعيد فى أربعة شهور .

مصر بلغت القمة

قال السفير الأمريكى رايموند هير لمندوب (أخبار اليوم) :

. « لو سمحت لنفسى أن أقول شيئا كصديق لمصر رآها فى أزمة من أخطر أزماتها ، وأعجب بتصرفها خلال هذه الأزمة ، لقلت : ابقوا فوق قمة الجبل التى صعدتم إليها . إننى أعتقد أن الشعب المصرى استطاع أن يصعد قمة الجبل ، لقد كان يكفينى أن أنظر إلى الشعب المصرى ، وأرى كيف كان يتصرف خلال الأيام العصيبة لأدرك أن هذا الشعب ارتفع إلى ذروة الموقف . إننى أعتقد أن الشعوب الأصيلة تصعد فى الأزمات إلى قمم الجبال ، إنهـا تدرك مسئولياتها ، وترتفع إلى القمة التى يمكنها أن ترى منها الصورة كلها وتـكشف جميع نواحيها ، ثم تتصرف على ضوء ما ترى ، ويكون تصرفها فى كل الأحيان رشيدا حكيما » .

إيدن وجمال عبد الناصر

قالت مجلة (تايم) الأمريكية : « الكارثة أن إيدن لم يكن يتحرك أمام عينيه إلا شبح واحد هو جمال عبد الناصر . أصبح إيدن بعدائه للرئيس المصرى وكأنه ثور المصارعة إذا رأى اللون الأحمر ، وكأن جمـال عبد الناصر بالنسبة لإيدن هو اللون الأحمر الذى يثير أعصـابه ، ويدفع نار الهيـاج فى خياشيمه » .

معهد دينى فى بور سعيد

اقترحت مشيخة الأزهر ــ لمناسبة تجديد بناء بور سعيد ــ أن يقام فيهـا معهد دينى جديد يتسع لألفين من الطلاب فى القسمين

الابتدائى والثانوى ، وأن يقام على الأرض الفضاء الواقعة بجوار المسجد العباسى . وقد قرر السيد عبد اللطيف البغدادى دراسة هذا الاقتراح تمهيدا لتنفيذه فورا .

وسيوفر هذا المعهد المشقة التى يتكبدها طلبة العلوم الإسلامية من أبناء منطقة القناة وسيناء للوصول إلى أقرب المعاهد إليهم فى الزقازيق ودمياط ، كما يشجع الكثيرين على التفقه فى دينهم والاضطلاع بثقافته وعلومه وتهذيبه .

التآمر على سوريا

يظهر أن الذين تآمروا على مصر وباءت مؤامرتهم بالخزى والفشل أخذوا يحيكون مؤامرة جديدة تشترك فيها تركيا وإسرائيل والعراق للبغى على سوريا . وقد أبلغ وزير الخارجية السورية الأمين العام للأمم المتحدة أن التهديدات الموجهة ضد سلامة سوريا واستقلالها لا تزال مستمرة ، ولا تزال القوات الإسرائيلية محتشدة على طول خط الهدنة السورية الأردنية الإسرائيلية ، وان التصريحات الصادرة عن رجال الدولة الأتراك تشكل تهديدا مباشرا وسافرا لسلامة سوريا . وإن الأخبار التى نشرتها وكالات الأنباء تثبت أن المسئولين البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين والأتراك وغيرهم يهيئون اعتداءا مسلحا على سوريا .

هذا وقد وضعت سوريا يدها على كميات عظيمة من الأسلحة الحربية ترد من العراق إلى قبائل بدوية فى داخل الحدود السورية ، واكتشفت أسرار مؤامرة قبض بسببها على بعض الخونة الذين يلعبون بالنار ، والتحقيق لا يزال جاريا معهم . وسيعد رئيس الوزراة السورية بيانا عن هذه المؤامرة .

نداء

إلى الشعوب العربية

وجه الأمين العام لجامعة الدول العربية نداء إلى الشعوب العربية قال فيه :

« تخوض القومية العربية اليوم معركة رهيبة يتوقف عليها مصير الأمة العربية ومستقبل أجيالنا القادمة ، فقد قدر علينا أن نكابد آثار ماض مظلم ، ونأسو جراحا عميقة فى جسم الوطن الذى اجتمعت على تمزيقه الأنانية والاستعمار وقوى الشر والطغيان .

كافحنا فرادى كفاحا مضنيا للظفر بحقنا الطبيعى فى الحياة الحرة الكريمة ، وشرعنا نحطم الأسوار العالية التى أقامها الطغيان سدودا منيعة تحول دون التقائنا ، حتى قدر لنا أن ندرك بعض أهدافنا يوم أقمنا أساس الوحدة والجامعة العربية لأحد عشر عاما خلت .

وما ان هممنا بارساء دعائم وحدتنا حتى فاجأتنا قوى الشر التى اجتمعت منذ القدم على تحطيم وحدتنا لنظل أبدا ضعافا فيتمكنوا من رقابنا ؛ ونظل أبدا خاضعين لسلطانهم فى أرضنا التى أقحموا أنفسهم عليها . هكذا امتحنت وحدتنا قبل عامين على مولدها ، وانجلت المعركة عن نـكبة فلسطين .

غـير أن هذه النـكبة قد دفعت تطور وحدتنا ، وكأن أنهار الدماء التى أرقناها قد عجلت ببعث قوميتنا ، فشرعت تنمو وتصعد فى آفاقنا ممتدة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فاذا الدول العربية تنمو وتزداد ، وإذا مكانتنا فى الأمم المتحدة تقوى وتعتز ، وإذا صوت العروبة يدوى فى مياه الخليج العربى فتردد أصداءه أمـواج الأطلسى ، وإذا الجيوش العربية تنطلق من عقالهـا تنشد الهدف الأكبر : أمة عربية واحدة .

إن زحف هـذه القومية العربيـة أقلق الدول الاستعمارية ، فعبأت جهودها وحشدت قواها متآمرة على تحقيقها ووقف تقدمنا ، ولـكن هيهات ؛ فلقد بلغت قوميتنا اليوم ما لم تبلغه فى أى عهد مضى ، وبلغ إيماننا بها ما أدرك معه أهل الجنوب المترامى على أطراف الخليج العربى أن معركة مصر هى معركته هـو ، فوقف البترول المتدفق ، وامتنع على الدول المعتدية أن تحمل سلاح العدوان يخرج من أرضنا ليرتد إلى صدورنا

لقـد عجز العدو عن تحطيم قوميتنا بالقوة فشرع يشهر سلاح المؤامرات . فلنثبت اليوم للعالم أجمع أن قوميتنا أشد صلابة أمام المؤامرات التى ستتحطم حتما على صخرة وحدتنا . ولنسأل الله ـ حكاما ومحكومين ـ أن يهدينا سواء السبيل ، فنخرج من هذه المعركة منتصرين ، وتنفسح باذن الله آفاق قوميتنا العربية فى أرجاء الوطن الـكبير حتى تبلغ الهدف الأقصى : أمة عربية واحدة .

والله مع المؤمنين المكافحين المتضامنين » .

تصويب

وقع فى بعض نسخ الجزء المـاضى تحريف بالآية الواردة بالسطر الخامس من صفحة ٣٩٣ ، إذ جاء فيها : « فان قاتلوكم فقاتلوهم » والصواب : « فان قاتلوكم فاقتلوهم » .

الأدب والعلوم

أزهر الهند

دار العلوم — ديو بند

إن المعهد الإسلامى فى الهند الذى يعتبر بمقام الأزهر هناك هو معهد (ديو بند) ، تأسس سنة ١٢٨٦ هـ بمساعى الشيخين الجليلين محمد قاسم النانوتوى ورشيد أحمد الكنكوهى رحمهما الله ، ويقوم برياسته الآن العلامة الكبير السيد حسين أحمد المدنى ، ويبلغ عدد طلبة العلوم الإسلامية فى هذا المعهد ألفا وخمسمائة طالب ، ويتخرج منه فى كل عام أكثر من مائتين ، ويقوم المعهد بالانفاق على ثمانمائة طالب فى طعامهم وكسوتهم وسائر حوائجهم ، وتقدم الكتب المدرسية للطلبة وتخصص لسكناهم الأماكن اللازمة فى زمن الدراسة ، وقد تخرج فى معهد ديو بند فى التسعين السنة الماضية ملايين من علماء المسلمين الذين خدموا الإسلام فى الديار الهندية وخارجها ، وفى دهلى عاصمة الهند وضواحيها أكثر من مائة مدرسة إسلامية ينفق عليها من تبرعات المسلمين ويقوم بالتعليم فيها علماء من خريجى معهد ديو بند ، وهذه المعلومات مستقاة من نشرة عن شئون مسلمى الهند أهديت إلينا فى هذا الشهر وهى بقلم المولوى الأستاذ عبد الحميد النعمانى

الدين مادة أساسية

فى مدارس السودان

قررت وزارة المعارف السودانية جعل تعليم الدين مادة أساسية فى مدارسها ابتداء من العام الدراسى الجديد الذى يبدأ فى يوليه القادم

بعثات مصر التعليمية

فى الخارج

يطلب العلم من المصريين فى فرنسا ٥٥٠ طالبا ، وفى انجلترا ٤٠٠ ، وفى أمريكا ٢٥٠ ، وفى النمسا ٢٥٠ ، وفى سويسرا ١٢٠ ، وفى ألمانيا ٢٥٠ ، وفى إيطاليا ٥٠ ، وفى أسبانيا ١٥ ، وفى السويد ١٠ ، وفى هولندا ١٠ ، وفى الهند ٤ ، وفى الدانمرك اثنان ، وفى إيران واحد ، ولنا فى روسيا عدد من الطلاب يدرسون العلوم الذرية

مدارس تحفيظ القرآن

أمر وزير التربية والتعليم بعدم تعرض الوزارة لمدارس تحفيظ القرآن وأن لا يطبق عليها قانون التعليم الحر

الفهـرس



فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
يستقبل نيافة قائمقام بطريرك الأقباط الأرثوذكس

زيارة فضيلة الاستاذ الاكبر
شيخ الجامع الازهر
والسادة العلماء لنيافة قائمقام بطريرك الأقباط الأرثوذكس
بمناسبة تنصيبه بدار البطريركية

فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٨ من جمادى الأولى سنة١٣٧٦ (١٠ من ديسمبر سنة١٩٥٦) توجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ومعه أصحاب الفضيلة وكيل الجامع الأزهر وسكرتيره العام ومدير التفتيش ومدير الوعظ والإرشاد وكبار علماء الأزهر إلى دار البطريركية للأقباط الأرثوذكس لتحية وتهنئة نيافة قائمقام البطريرك الأنبا أثناسيوس ، وقد استقبلهم فى مدخل القصر أصحاب النيافة المطارنة وأعضاء المجلس الملى العام وعلى رأسهم السيد اسكندر دميان وكيل المجلس ، وبعد تبادل التحية وعبارات الترحيب بين فضيلة الأستاذ الأكبر ونيافة قائمقام البطريرك نوه فضيلة الأستاذ الأكبر بالاتحاد بين جميع عناصر الأمة ، وأشاد بمعانى الوحدة بين المسلمين والأقباط التى تجلت فى جميع مراحل الكفاح التى مر بها الوطن ضد المستعمر الغاصب ، وحمد لله تعالى فضله الكبير لنجاة مصر مما يدبره لها الحاقدون على نهضتها الحديثة فى ظل زعيمها وقائد ثورتها البطل : « جمال عبد الناصر » .

ثم ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب مفتش عام الوعظ كلمة حيا فيها هذه المناسبة ، وهنأ نيافة الأنبا أثناسيوس قائمقام البطريرك باختياره لهذا المنصب ، وأشاد بوحدة عنصرى الأمة وترابطهما وتضامنهما فى الكفاح الوطنى قديما وحديثا ، ودعا للسيد الرئيس جمال عبد الناصر قائد النهضة ورائد العروبة بالنصر والتأييد .

ثم أعقبه فضيلة الشيخ محمود طيرة نائب مدير الوعظ والإرشاد ، فألقى كلمة تهنئة أعقبها بقصيدة وطنية عامرة حيا فيها تضامن العنصرين وعملهما معا لرفعة الوطن ومجده .

ثم ألقى نيافة القمص أرسانيوس زكى كاهن كنيسة الملاك بشبرا كلمة شكر فيها

زيارة فضيلة الأستاذ الأكبر

فضيلة الأستاذ الأكبر على كريم زيارته ورقيق تهنئته ، وأعلن – فى سرور – أن هذا اليوم يعتبر عيدا وطنيا رائعا ، ونوه بالروابط القوية بين المسلمين والأقباط ، واستشهد على ذلك بما جاء فى الكتب السماوية من روابط الرحمة والمودة بينهما .

ثم تحدث بعد ذلك الأستاذ اسكندر دميان وكيل المجلس الملى العام ، وشرح قضية العنصرية التى يثيرها دائما المستعمرون والدساسون وأعداء الوطن ، وبين أن هدفهم لم يتحقق ولن يتحقق ، لأن الذى يستفيد من ذلك دائما هم أعداء البلاد الذين لا يفرقون فى الكيد بين مسلم وقبطى ، سواء فى دسهم أو فى اعتدائهم الأثيم على البلاد . ثم تكلم القمص يوسف هابيل كاهن كنيسة العذراء فى هذا المعنى .

ثم ختم نيافة الأنبا اثناسيوس هذا المؤتمر الرائع بكلمة طيبة ، كرر فيها الشكر والترحيب بفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والسادة العلماء الأفاضل ، ودعا للوطن بالعزة والرفعة تحت راية البطل : الرئيس جمال عبد الناصر ».

فضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل قائمقام بطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس

فى منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الخميس ١١ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر فى مكتبه نيافة الأنبا اثناسيوس قائمقام بطريرك الكرازة المرقسية للاقباط الأرثوذكس الذى حضر لشكر فضيلته على تهنئة نيافته بتنصيبه قائمقام البطوريرك ، وقد غص المكتب بكثير من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء والوعاظ، وعلى رأسهم فضيلة وكيل الأزهر والسكرتير العام ومدير التفتيش ومدير الوعظ وشيوخ الكليات والمعاهد . كما حضر عدد كبير من المطارنة ورجال الدين المسيحى وأعضاء المجلس الملى ، وحضر مندوبو الصحف والوكالات والإذاعة، وبعد تبادل التحية سجل مندوب الإذاعة هذه الكلمة التى ارتجلها فضيلة الأستاذ الأكبر :

كلمة فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر

إنها زيارة كريمة جميلة ، جاءت فى يوم مبارك عظيم ، هذه الزيارة التى سرنا بها صاحب النيافة الانبا اثناسيوس واخواننا المطارنة وكبار رجال الكنيسة المرقسية . نعم هى زيارة كريمة وعزيزة ، تسرنا وتملأ بالغبطة نفوسنا ، ويسر بها كل محب للوفاق والوئام ، وكل حريص على أن تنبث بين الأفراد والجماعات روح المحبة والألفة والسلام .

إن تبادل الزيارات بين الأزهر والكنيسة ، بين رجال الدين الإسلامى ورجال الدين المسيحى ، ليعد بحق بشارة طيبة ، وأسوة لأبناء الأمة صالحة ، وعلامة قوية على تمكن روح الألفة والمحبة من قلوب المصريين الذين ينتسبون إلى الإسلام أو المسيحية .

فضيلة الأستاذ الأكبر

وإن الرابطة التى تربط بين جميع المصريين ، أقباطا ومسلمين ، ليست رابطة معاهدات أو اتفاقيات ، وليست مبنية على محالفات أو عقود شركات أو جمعيات ، وإنما هى وحدة فى الإيمان بالحق ، والاعتزاز بالحق ، وفى الشعور بالعزة القومية ، والرابطة الوطنية . هى وحدة اختلاط وامتزاج فى جميع مقومات الكرامة الإنسانية وجميع عناصر الحياة المصرية - لا بل هى أعز من ذلك وأكرم ، وأقوى وأقوم ، هى امتزاج حقيق أكيد ، امتزاج كامتزاج الروح بالجسد ، هى امتزاج الدم بالدم ، يرجع عهده إلى أول الإسلام ، ويشهد بذلك ابراهيم وليد مارية من نبى الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

إن الشجرة الطيبة ، شجرة المحبة والألفة والمودة ، التى تربط بيننا ، والتى تأصلت جذورها ، ونمت على مر الأيام فروعها ، وآتت وما تزال تؤتى طيب ثمراتها ، هذه الشجرة يجب أن نتعاهدها ، وأن نعمل دائما على أن نزيد فى نموها ، لتضاعف لنا ثمراتها .

وإن أحسن ما نتعاهد به هذه الشجرة ، أن تجرى وأن تكثر بيننا هذه الزيارات المحبوبة ، التى نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلها فاتحة من فواتح الخير والبر والعون الذى أكرمنا به فى هذا العهد السعيد ، عهد الثورة المباركة ، والنهضة الحقة الشاملة ، التى اكتمل فيها الوعى ونشطت الهمم ، والتهبت فيها بصادق الوطنية العزائم .

إننا باتحادنا وصدق نياتنا واجتماع كلمتنا وإخلاص زعمائنا وقادة نهضتنا ، وبالبطولة الفدائية ، وبروح الإيمان القوية التى انطلقت بها عزمات زعيمنا ورئيس جمهوريتنا الرئيس جمال عبد الناصر ، للعمل لصالح مصر ولسيادة مصر - إننا بهذا كله قد فزنا وانتصرنا وقهرنا عدونا وطردناه من ديارنا وعصمنا وطننا من الأجنبية الممقوتة .

نسأل الله تعالى أن يديم علينا هذه القوة ، وأن يكرمنا دائما بالعون والتأييد ، إنه ولى التوفيق .

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء السادس ـ القاهرة فى غرة جمادى الآخرة ١٣٧٦ ـ ٢ يناير ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والآن . . .

أكتب هذه السطور وأعداؤنا الغادرون يتسللون لواذا من أرض الوطن ، وقد باءوا بالفشل والخزى وفادح الخسائر : فى دمائهم وعتادهم ، وفى أساطيلهم الجوية والبحرية ، وفى أموالهم ومصالحهم وأزمات تموينهم ، وفيما هو أفدح من ذلك وأفدح وهو الخذلان الذى حاق بهم فى سمعتهم وكرامتهم للمرة الأولى منذ عصور .

لقد آبوا خزايا ومقبوحين ، حتى فى أنظار بنى قومهم من المثقفين وأصحاب المصالح وجماهير العوام .

لقد دمغتهم بضع وستون دولة ـ لأول مرة فى تاريخ الأواصر السياسية بين الأمم ـ بأنهم أشرار ، وأنهم اندفعوا فى هذا البغى بروح القرصنة وشريعة الغاب ، وأنهم كانوا وحوشا فى ثوبى زور من دعوى الحضارة والتهذيب !

لقد كانوا بسلوكهم ـ كما كنا بسلوكنا ـ السبب الأول لهذه السابقة التى لا سابقة لها ، وهى يقظة الضمير العالمى فى بضع وستين دولة . فتهافت المتطوعون على دور السفارات والقنصليات المصرية فى مختلف أقطار الأرض يعرضون أنفسهم للدفاع عن مصر تحت

رايات الجيش المصرى ، وحملت طـائرات الأمم المتحدة الوحدات العسكرية من الهنود واليوغوسلافيين والأندونسيين والسويديين والنروجيين والدنيمركيين والفنلنـديين وسائر الأمم ، لتزيح قوات الشر والبغى عن أرض مصر باسم الأمم المتحـدة وتحت رايتها ، وتضطرها للعودة إلى الوراء ، إلى البلاد التى جاءت منها خائبة خاسرة ذميمة .

إن هذا كسب عظيم لمصر لا نظير له .

إن هـذا فوز كبير لهذا الشعب العربى ، وللأمة العربية كلها ، لا عهـد لأمة أخرى بمثله .

وهنالك كسب آخر أكبر منه وأعظم ، يوشك أن نستقبله ونتمتع به بعـد هذه المحنة ، فتتحوّل إن شاء الله إلى منحة ، وإن لذلك ما بعده بحول الله وقوته .

لمـا كنا نعيش فى دوىّ القـذائف وقصف المدافع أيام الغارات الغادرة ولياليها ، كنت أشيم من وميض النيران المنطلقة مخايل حياة جديدة تلوح لنا تباشيرها .

كنت استنشى من ريح البـارود أريجا طيبا يتضوع من بعيد إلى قريب ، تهب علينا نسائمة ، حتى كأننا نستقبل رياضا من فراديس الجنـة تدنو منا ، أو نحن الذين ندنو منهـا .

كنت أتوسم ليالى الظلام كانها الحد الفاصل بين بقايا عهد يسرت لنا سنوات الثورة الخروج منه ، وكان عهدا باليا عشنا فيه عيشة الذئاب بالختل والمـكر والرياء والقطيعة ، لنستقبل بعده عهدا آخر جديدا نتعامل فيه بالتعاون والصدق والأمانة وتبادل المودة والبر .

كنا فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والحزبية إلى عهد قريب كما كانت الأوس والخزرج ـ وشرا ممـا كانت عليه الأوس والخزرج ـ لمـا كان كيد إسرائيل الاقتصادى والاجتماعى والخلقى يعبث بهما ، ويؤرّث بينهما حروب بعاث ، وأخلاق التنابذ والتنابز .

لست أدرى كم من علمائنا وطلابنا يلاحظون عند حفظ القرآن وتلاوته ومذاكرته أن السور والآيات المكية قلما يرد فيها التعريض بالنفاق والشكوى منه ، لأن مكة بلد عربى محض لا يعرف النفاق ، وقد نشأ أهله على أن يكون الرجل صديقا للرجل صداقة مخلصة ، أو عدوا عداوة صريحة واضحة . أما السور والآيات المدنية فهى التى يكثر فيها التعريض بالنفاق والشكوى منه ، لمـكان اليهود من ذلك المجتمع ، ولتغلغلهم فى حياته الاقتصادية

والاجتماعية والخلقية كالذى أشرت إليه آنفا ، حتى لقـد طمع شأس بن قيس اليهودى أن يجدد هذا الشر فى أنصار الإسلام فى صدر الإسلام ، لولا أن تداركـ الله أنصاره بيقظة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وفى ذلك نزلت الآيتان (١٠٠ — ١٠١) من سورة آل عمران : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الـكتاب يردّوكم بعد إيمـانـكم كافرين ، وكيف تـكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وكما كانت الأوس والخزرج مع اليهود قبل الإسـلام ، كنا نحن كذلك معهم ومع أعوانهم وأنصارهم قبل هـذه الثورة ، فـكان من تأثيرهم فى حياتنا الاقتصادية أن أراد محمد طلعت حرب رحمه الله تلبية اقتراح لبعض رجال المـال والاقتصاد فى فلسطين العربية أن ينشئوا فرعا لبنك مصر فى القدس يشترك فيه الفريقان ، فلما عرض الأمر على مجلس إدارة بنك مصر عارضه الأعضاء اليهود الذين كانوا يومئذ فى مجلس الإدارة ، وهددوا بسحب أموالهم من البنك ، فسكت محمد طلعت حرب على مضض ، وفاز اليهود بتغليب هواهم الملى والسياسى على مصر فيما كانت تراه من مصلحتها المـالية والقومية .

وجاء زمان كانت فيـه صحفنا اليومية تحـاذر كثـيرا وتحاسب طويلا فيما تـكتبه وتنشره فى مصلحة عرب فلسطين ، بل فى مصلحة العروبة كلها وحقوق الإسـلام ، خشية أن تخسر نصيبا من إعلاناتها الدسمـة التى تغذى حياتها . بل كان كثير من صحفنا تتولى قسم الإعلانات فيـــه مؤسسة معروفة بأنها من صنع اليهود ومن مرافقهم فى قلب هذا الوطن العربى .

وطالمـا تبجح اليهود فى مجالسهم بأن رجـلا منهم وزوجته بلغ من نفوذهما فى القصر أيام العهد البائد أن كانا واسطة زواج معروف بين القصر المصرى والقصر الطهرانى .

ولا أتعرض هنا للدور الذى كان يلعبه اليهود وأذنابهم فى المحافل المـاسونية التى كانت منتشرة فى مصر أيام كرومر وقبله وبعده ، وحسبك أن تعلم أن موظفا صغيرا فى المحـكمة المختلطة لا ثقافة له ولا تهـذيب كان يدلّ برتبته العـالية فى المـاسونية على أصحاب الرتب الصغيرة فيها من عظماء أهل الفضل والمكانة فى الدولة والوطن .

ذلك عهد كانت له أنظمته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتقليدية . وكانت أنظمته تلك كالحرباء فى تقلبها وتطورها بحسب الظروف ، غير أنها مهما تطورت وتقلبت ، فإنمـا كانت ترمى دائمـا إلى سلخ مصر عن مصريتها ، وسلخ العرب عن عروبتهم .

وكانت لتلك الأنظمة مرافقها الثقافية والفكرية التي تعمل على تكوين الجيل بعد الجيل على الإيمـان بالغرب ، وأن ما يأتى منه هو الأصلح ، وهو الأجمل ، وهو الذى ينبغى لمصر أن تأخذ به مهما خالف فطرتها وناقض مصلحتها وتعارض مع مصريتها وعروبتها .

إن هذا المرض انتشر فى مصر وتغلغل وألفه الـكثيرون فتنـكروا لـكيانهم وكفروا بأنفسهم ، إلى أن قامت الثورة ، ولم تـكن ثورة على فساد القصر فحسب ، ولا على الاستبداد الأقطاعى وحسب ، ولا على سوء استعمال الوظائف الحـكومية وحسب ، بل هى ثورة على الأوضاع الملتوية كلها ، وعلى نتائجها فى نفوس النـاس ومعاملاتهم ، وعلى الاضطراب الظـالم فى توزيع النشاط على المواهب والقوى . ثم بعـد ذلك وقبل ذلك فى استئناف ثقة مصر بمصريتها وبعروبتها ، وإيمانها بنفسها ، وتعاونها الشريف مع من يشاركونها فى عروبتها ، ومن يشاركونها فى إسلامها ، ومن يشاركونها فى شرقيتها ، ومن يشاركونها فى إنسانيتها . ثم بعد ذلك وقبل ذلك فى حسن توجيه مصر نحو سعادتها بالفضائل والأخلاق واستثمار القوى الضائعة والمعطلة ليتحقق البعث المرتجى .

إن الثورة تهدف إلى هذا كله ، إلى تـكوين مصر تـكوينا جديدا تؤمن فيه بنفسها وترجع به إلى مصريتها وعروبتها وأخلاقها ، وهذا مخالف ـ على طرفى نقيض ـ للأنظمة التى رسمها الاستعمار البريطانى لمصر ، وغذاهـا التغلغل الثقافى الفرنسى فى مصر ، ومثل دوره فى ذلك العنصر الثالث من عناصر الغدر الثلاثة التى تآمرت على مصر فى الأحداث التى كنا جميعا من شهودها فى الشهرين الأخيرين .

ولـكن هل كانت مؤامرة الطاغوت المثلث خيرا لمصر أو شرا ؟

هل كانت محنة شيطانية على مصر ، أم كانت منحة إلهية ؟

أنا كنت أرى ـ ونحن تحت قبة من القنابل والقذائف ـ أننا نستقبل تباشير الخير ، وأن لله فى هذا حكمة أظهر من أن تخفى على حكيم .

لقد عرفنا بهذا الحادث الجلل من هم أعداؤنا ، ومن هم أصدقاؤنا ، وهـذا كسب باق دائم . والخطب الجلل الذى مرّ بنا أصبح اليوم فى خبر كان ، والـكسب الدائم أغلى من ثمنه الزائل .

وعرفنا به فساد الأنظمة التى أغرانا بها الاستعمار البريطانى ، والثقافة الفرنسية المتغلغلة فى كياننا ، كما عرفنا لؤم العنصر الثالث من عناصر الغدر المثلث . فلم يبق بعد ذلك عذر لغافل منا أو مخدوع . وقد آن لنا أن نبنى كياننا الجديد بعد الآن على هذه الحقائق والاعتبار بها .

فى اعتقادى أن كل ثمن دفعناه فى هذا الحادث التاريخى يعد رخيصا فى مقابل ما توصلنا اليه من يقظة وكسب ، وقد كان الغدر الإجرامى الذى قام به الطاغوت المثلث ، أكبر برهان للثورة على سلامة خططها وصحة أهدافها .

وبعد فاننا مقبلون منذ اليوم على عهد جديد نخلع فيه عن رجالنا ونسائنا ذلك الرداء الأجنبى عنا الذى تعاون أعداؤنا الثلاثة من مائة سنة إلى الآن على إقناعنا بأنه اللائق بنا ، ونعود إلى كياننا القومى فنؤمن به ؛ ونتحرى إحياء سجاياه ، والتخلق بأخلاقه وفضائله ، والسير فى طريق قافلتنا الأولى نحو أهدافها الشريفة .

وهذه المهمة أكبر من أن تضطلع بها الحكومة وحدها ، وأوسع نطاقا من أن يحيط بها موظفون مختصون ، أو لجان رسمية يناط بها دراسة ذلك وتحقيقه .

إن هذه المهمة تقع على عواتقنا جميعا أفرادا وجماعات . فاصلاح المجتمع نتيجة لصلاح أفراده ، والبناء السليم يبنى من مواد سليمة ، والوطن ينادى الآن أبناءه بأن قوته من قوتهم ، وصلاحه من صلاحهم ، وسلامته من سلامتهم . فلندع ما كنا فيه من سفاسف ولهو وتبذير فى الوقت والجهود والنقود والمواهب ، وليعلم كل من لم يكن يعلم أن صحته أمانة الله فى يده فيجب عليه أن يحوطها بجميع أسباب القوة والعافية ، وأن أولاده أمانة الله تحت يده فليراقب الله فى تكوين رجولتهم وتنمية مواهبهم وإيقاظ الفضائل فيهم وتعويدهم مواصلة العمل للخير والمحبة للحق والانتصار لها ومحبة أهلهما ، وأن نقوده أمانة الله فى يده له منها ما ينفق منه على نفسه وذويه بالمعروف ، وما زاد عن ذلك فهو لله قد ائتمنه عليه ليتصرف فيه بما يضمن العزة لأمته والغنى لوطنه والتقدم لصناعاته ومرافقه والسعادة للأقرب فالأقرب اليه ، وأعظم أمانات الله تحت يد المسلم أخلاقه وأخلاق زوجه وبنيه ومن له الولاية عليهم . فأخلاق الأمة من أكبر دعائم قوتها ، وهى مجموع أخلاق الأفراد ، وإذا أحسن كل راعى أسرة رعاية أخلاق أسرته كان للأمة من مجموع ذلك قوة من الله لا تقهر ، وسلاح فى معركة النهضة والبعث لا تفله الأسلحة .

هى مهمة ثقيلة حقا ، ولا ينهض بها إلا رجال يشعر الواحد منهم بأنه يحمل إلى نفسه و إلى بيته و إلى بيئته رسالة من رسالات الله يجب عليه أن يؤديها بلذة ومثابرة وصبر . و إن أقدار الرجال تقدر بأقدار رسالاتهم ، وتعلو منازلهم عند الله والناس ــ ولو بعد حين ــ كلما كانت أهدافهم أبعد ، ومجال جهادهم أوسع ، ورسالتهم أسمى وأطهر .

نحن ندعو الله آناء الليل وأطراف النهار بهذه الدعوة العظيمة «اهدنا الصراط المستقيم» . و « الصراط المستقيم » نعرفه جميعا ، عامتنا وخاصتنا ، فى كل كلمة تنطق بها ألسنتنا ، وفى كل شهادة نشهد بها فى مجامعنا ومحاكمنا ، وفى كل تصرف نتصرف فيه بأموالنا وجهودنا وأعمالنا واتجاهاتنا ، فلو تحرينا فى كل ذلك التزام « الصراط المستقيم » لاستقام لنا الأمر ، وتمت لنا السعادة ، وكنا خلفاء الله فى الأرض .

ونحن معاشر أبناء هذا المعهد الإسلامى الخالد ، الجامع الأزهر المعمور ، قد آن لنا أن نقنع الإنسانية بما فى معارفنا من الخير لها ، وأن العمل بما ندعو إليه هو جوهر الدعوة ، وهو ثمرتها ، وهو الغرض الأول والأخير منها . إن الآذان مفتحة كلها الآن لتسمع وتعى وتمتحن وتحكم ، والعقول مفتحة كلها لتلاقى الطيب والاعتراف بأنه طيب ، والقلوب مفتحة كلها لمحبته كما تحب القلوب كل طيب . فلنخاطب الناس بألسنتها ، ولنواجه العقول والقلوب بما هو مقبول عندها من أسباب الصلاح والاستقامة وإيثار النافع والباقى على كل ما يضر و يضمحل .

نحن الآن فى دور انتقال من عهد كثر فيه الشر ، وارتفع فيه صوت الشيطان ، وضلت فيه النفوس عن طريق سعادتها . فليصلح كل منا قلبه لتستقبله القلوب بالمحبة والتعاون والارتياح . والذى مكن الله له منبر تدريس فى مدرسة أو معهد يجب أن يخاطب قلوب أبنائه فى الفصل من قلب يعبد الله باستمالتهم إلى الحق والخير ، وإعدادهم للقيادة الصالحة فى مستقبل الجيل . فالمهمة أكبر من أن يتقاعس عنها جندى من جنود البعث ، وأخطر من أن نعطل فيها قوة لها أى أثر فى تجديد كياننا لمواجهة مطالب السؤدد والسعادة والمجد ، والله ولى العاملين ؟

محب الدين الخطيب



- ٤٦ -

جلاء المحـــــنة

نعمة تقتضى شكر الله والتمسك بدينه ، فهل نحن فاعلون ؟؟

١ — « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم .
٢ — واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

١ — فى الأحداث الكريهة تعريف للانسان بمواطن الضعف من نفسه ، وتجديد لعزيمته ، وتوثيق لصلته بربه .

وفى ذكريات الأحداث بعد مضيها تنشيط الحاضرين إلى القدوة بالطيبين من السلف ، ونهوض بالقيم الخلقية أمام الخلف .

وبهذا كله تظل المثالية الكريمة تراثا يساير الزمن ، ويستقبل الأجيال ... وتظل الإنسانية فى كمال متجدد ، وسير متصل .

وذلك هو النمط الذى يعرضه القرآن على مسامع الناس فيما يحكيه من قصص الأولين ، وهو المنهج الذى يربى عليه المسلمين : لو أصاخوا إليه ، وأقبلوا عليه ، وآثروا به أنفسهم ، واستغنوا به عن تقاليد رخيصة تهبط بهم عن مستواهم المنشود ، وتزجهم فى تيار ليس للانسانية منه نصيب ، ولا هو من مجد الحياة فى شيء .

٢ — ولدينا آية تذكر المؤمنين بحادث جلل كان وشيك الوقوع بهم فى شخص النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتذكر بأن الله وقاهم ذلك الحادث ، وهذه نعمة جديرة أن يقدرها المؤمنون قدرها ، ويعطوها من الشكر حقها .

إذ همّ قوم أن يبسطوا أيديهم بالسوء إلى محمد ـ صلوات الله عليه ـ فكف الله أيدى السوء عن محمد ، ونجى الإسلام والمسلمين فى شخصه الكريم .

وهذا نبأ يتمثل فى محاولة رجل أن يقتل محمدا بالسيف على انفراد ، وحينما قام شاهرا سيفه قال : من يمنعك منى الآن يا محمد ؟ ؟ فأجابه النبي : الله ! ! فسقط السيف من يد الطاغية ، فتناوله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : ومن يمنعك منى الآن ؟؟ فقال الرجل : كن خير آخذ ؛ فعفا عنه النبي ، وتعهد الرجل ألا يتعرض للنبي بعد ذلك ، ثم عاد إلى قومه وقال لهم : جئتكم من عند خير الناس .

وكذلك حدث مرة ثانية أن ذهب الرسول فى نفر من صحبه إلى بنى النضير فى حاجة ليقضيها منهم ، وكانت بينهم وبينه معاهدة على الأمان ، ولكنهم تحينوا فرصة وجوده عندهم ، وهموا أن يلقوا عليه صخرة تقتله ، فأعلمه الله بذلك ، وأحبط مكيدتهم .

وبعد زمن هذين الحادثين نزلت الآية فى الامتنان على المؤمنين بنجاة محمد نبيهم ، وفى تذكيرهم بأن نجاته نعمة تشملهم جميعا ، لأن كارثة تنال النبي فى شخصه إنما تصيب الإسلام وأهله فى كيانهم ، وتعصف بجماعتهم ، وتشمت الأعداء فيهم ، بعد أن نهضت الدعوة ، وبدأت طلائع الإسلام تجتاح الكفر والكافرين .

فنجاة محمد صلى الله عليه وسلم نعمة يدركها العارفون لقيمة النصر على العدو والإفلات من كيده ، فما بالك بمحمد وصحبه وهم جنود الله يقاومون أعداءه ، ويتحدونهم بالدعوة الجديدة ، ثم هم عرب يأبون شماتة العدو ، ويبذلون الأرواح فى الذود عن رسالتهم ، ويعتزون بأن الله حاميهم ، وناصرهم على من يناوئهم ، أو يصدهم عن مواصلة جهادهم فى الله تعالى .

٣ ـ ثم تعود الآية بعد تذكير المؤمنين بكف أيدى الطغاة عن محمد ، وبكف بأس الكفار عن جماعة المسلمين فى مواقف تشبه ما تقدم ، فتأمر بالتقوى ، وتنشد فى المسلمين حسن التوكل على الله ـ واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ

ومعلوم أن التقوى هى السبب الذى يصل الناس بربهم ، وهى خير وشيجة يرتبط بها عباده فيما بينهم : إذ هى طهارة القلب من شوائب الضلال ، وسمو النفس عن الشرور ،

والقيام بحقـوق الله وعباده . . فاذا كانوا على تقوى تعمر قلوبهم ، وتجمع شملهم ، عرفوا أن يحتموا بالله ، وأن ينهضوا إلى دعوة الله ، وأن يحسنوا توكلهم على الله .

وفى حضهم على التقوى وحسن التوكل تطمين لهم ، ووعد صادق بنصرتهم على عدوهم ، وفى هذا التذكير بكف الأيدى المبسوطة بالأذى ، مع الحض على التقوى وحسن التوكل ، توجيه لنـا فى حاضرنا ولمن بعدنا من الأجيال إلى التـكاتف ، واعتبار المسلمين وحدة يصيب مجموعها ما يصيب بعضهم ، وخاصة إذا كانت الإساءة موجهة إلى أصحاب الشخصية فى الأمة أو إلى القائمين بالأمر فيها : ففى سلامة هؤلاء سلامة المجموع ، وسلامة الوطن من العادين على أرضه ، أو على حقوقه وسيادته .

٤ — وهذه الآية ونحوها من الآيات التى تبصرنا بمـا ينبغى الأخذ به ، وبما ينبغى الانصراف عنه ، تعتبر موثقا وعهدا من الله ، ومن الحق فى ذمة المسلم أن يفى بالعهد على أتم وجوهه ، وألا يكون كبنى إسرائيل : نقضوا عهود الله ، وما أكثر ما نقضوا ، فحقت عليهم لعنة الله ، وتركزت فيهم الشرور ، ووصفهم الله بكل نقيصة مرذولة ، ورماهم بالخيانة أبدا ، فقال بعد كثير من الطعن عليهم : «ولا تزال تطلع على خائنة منهم » ، والأمثال حاضرة فى مسالـكهم وفى مخازيهم وسفاسفهم ، ومهما اعتزوا بمن يشايعهم فسيحيق المـكر السيئ بأهله كما أوعد الله فى كتابه ، وسيعيشون بين المخـاوف والقلق وإن زعموا غير ذلك .

٥ — هذا وقد نزلت بمصر محنة بغيضة ، ففزعت الأنفس إلى ربهـا بالضراعة : أن يلطف بنـا فى قضائه ، وقـد تلطف سبحانه ، فـكان نصره لمصر فوق مارجونا ، وخرجت من المحنة عالية الرأس ، وضاءة الجبين .

فهل لنـا أن نذكر نعمة الله علينا ، إذ هم أقوام أن يبسطوا — بل بسطوا بالفعل — أيديهم بالأذى إلينا ، فـكف الله أيديهم عنا ، ودحرهم بالخزى والمهانة ، وردهم على أعقابهم خاسرين ؟ .

هل لشعبنا وقادتنا أن نتعاقد على الوفاء لله ، ونرجع إلى دينه ، وننبذ تقاليد رمتنا بها المدنية الداعرة ؟ ؟ وهل لتلك الأقلام الجامحة فى التشكيك وإنكار الألوهية أن ترتد إلى الصواب ، وتقلع عن إسفافها فى المجون لتسلم الأمة من غوائل الإلحاد ؟؟

ومن لى بتبليغ شـكوانا من هذه الشرذمة إلى من يملـكون الضرب على أيديهم ؟؟

إن مصر وطن إسلامى عريق ، وهى مهد الثقافات الإسلامية ، وهى البلد الأوحد فى الحفاظ على القرآن الكريم ، ثم هى البلد الذى يتمثل فيه الطابع العربى المصقول فى لغته، وفى تقاليده الأصيلة ، وفى وفائه ونجـدته ، وفى كل ما يتصل بالعروبة الخـالصة من شوائب الدخل .

فاذا كان الاستعمار قد لوث تلك الخصائص بزيفه ، وانتقص منها بأباطيله ، واجتذب نفرا منا إلى ناحيتـه وإلى إباحيته : فقد آن لمصر أن تنبذ آثار الاستعمار كما نبذت سياسته ، وأن تتبدى من جديد للعالم فى روائها العربى الإسلامى ، وأن تبهر العـالم كله بانسلاخها من تلك المهازل التى لا تلائم بيئتها ، ولا تتصل بمقوماتها ، ولا تتمشى مع وجهتها فيما هى بسبيله من استئناف حياتها المـاجدة .

على رأس مصر اليوم رجل صحيح التفكير ، صادق الأحدوثة ، عظيم الطموح بشعبه ولشعبه ، رجل ادخرته الأقدار ليعود بمصر إلى مكانتها من المجد والسيادة .

ومع هذا الزعيم نخبة كريمة ، تجـاريه فى شوطه ، وتؤازره فى جهوده، نخليق بهؤلاء الأبطال ــ وقد آمن بهم الشعب إيمانا حقا ، وآمنت الدنيا بأن مصر على حق فى إيمـانها بزعمائها ــ أن يستخلصوا وطنهم وشعبهم من سطوة الإلحـاد ، وألاعيب الزنادقة ، وأن يحطموا دعاة الميوعة ، وأعوان الفساد ، لتـكون مصر كما يليق بها ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ــ ومدير التفتيش بالأزهر

أعداء الحقيقة

إذا زهدك رجـل فى طلب الحقيقة ، بحجة أن الحقيقـة لا تدرك كاملة ، فاتهم هذا الرجل واحـذره ، فانه عدو لك وللحقيقة ، وإنمـا حمله على تزهيدك فيها أنه قد أضلها ، وكلما شعر بضلاله كان حريصا على استمالة غيره إلى هذه الحياة الضالة .

تولستوى



الصلاة سلاح النصر [*]

مكان الصلاة فى الإسلام ـ الصلاة فى الميدان ـ نسمة زكية ـ نداء ملهم ـ مبـدأ صلتنا بالله ـ أول المسئولين عن الصلاة ـ إعاذة وضراعة .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم قبل نجد ، فوازينا العدو فصاففنا لهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى لنا ، فقامت طائفة معه تصلى وأقبلت طائفة على العدو ، وركع رسول الله صلى الله عليـه وسلم بمن معه وسجد سجدتين ، ثم انصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل ، فجـاءوا فركع رسول الله صلى الله عليـه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم ، فقـام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

وعدنا أن نتحدث فى هذا الجزء عن صنوف الجهاد وأسلحته ، بعد أن ألممنا فى الجزء المـاضى بشىء من فضيلة الجهـاد فى سبيل الله لإعلاء كلمته . . . ثم دعت دواع كريمة إلى تقديم هذا الحديث بين يدى الوفاء بالوعد .

إنه حديث الصلاة فى الحرب ، والقتال سجال ، بين جند الرحمن ، وأوليـاء الشيطان ، ولا وزن عند الله لجهاد أى جهاد ، ما لم يكن بين المجاهد ومن يجاهد فى سبيله صلة . . .

وأى صلة أعظم من الصلاة ؟ إن الصلاة عمـاد الدين ، وملاك التقوى : فى الحضر والسفر ، والسلم والحرب ، والأمن والخوف ، والنضال والقتال ، فهى قاعدة كل جهاد ،

---

[*] عنوان بيان أذاعه وزير التربية والتعليم وقائد جيش التحرير ، لمناسبة جهاد العدو . . . وقد وقع البيان من أمتنا المجاهدة موقعا حسنا . . وليس اقتباس العنوان ومعظم البيان فى أثناء الشرح إلا أثراً من آثار وقعه الحسن . . .

وأساس كل دفاع ، لا يرفع الله لتاركها عملا ، ولا يتقبل الله منه قربة « إنما يتقبل الله من المتقين » .

وفى الصلاة بعد ذلك قوة للضعفاء ، ومعونة للأقوياء ، وإماتة بالغيظ للأعداء ؛ ومن أجل ذلك كانت من الإسلام عماده الأول، وركنه الأجل، بعد الإيمان بالله ورسوله ؛ ومن أجل ذلك كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، كتبها الله عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ويسرها لهم تيسيرا لا عسر فيه ولا حرج ، من لم يستطع أن يصليها قائما صلاها قاعدا ، فمن لم يستطع فعلى جنب ، فمن لم يستطع فليومئ بها إيماء ، لئلا يكون لكائن من كان بعد هذا التيسير حجة ولا معذرة .

والمجاهدون فى سبيل الله أولى بالصلاة وأحق بها ؛ لأنها سلاحهم الروحى ، الذى إذا حالف سلاحهم المادى ، كانوا من جند الله حقا : « وإن جندنا لهم الغالبون » .

* * *

عرف ذلك أعداء الإسلام وأحلاف الشيطان قديما وحديثا ، فصدونا عن كتابنا وصلاتنا ؛ لنكون مثلهم .. ثم تكون لهم الغلبة علينا بكثرة العدد والعدد حيث لا طاقة لنا بهم ولا قوة ! !

* * *

لكن نسمة من نسمات العزيز الرحيم هبت علينا فى هذه الأيام العصيبة طيبة زكية ، فذكرت نفوسا كانت غاوية ، وهزت قلوبا كانت قاسية ، وأهابت بوزرائنا وقادتنا وأولى الأمر منا أن ينادوا : الصلاة سلاح النصر : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » معلنين فى ندائهم القوى الملهم أن نصرنا لله إنما يبدأ بصلتنا الخالصة المؤمنة به ، وأن هذه الصلة إنما تبدأ بالصلاة ، وأن واجب الإعداد لن يقتصر على حفر الخنادق وتجهيز المواقع الدفاعية ، ولكنه يجب أن يمتد فيشمل تجهيز النفوس والقلوب وتطهيرها لتدعم صلتها بالله عز وجل ، وأن على جميع القادة أن ييسروا لجنودهم القيام بصلاتهم ، وأن يكونوا لهم أئمة ومثلا ، يؤمونهم فى الصلاة كما يقودونهم إلى المعركة ..

* * *

يذكرنا هذا النداء الموفق بصلاة القائد الأول صلى الله عليه وسلم بالجيش .. ثم بصلاة القادة من بعده فى معارك الحق والظفر والنصر ، إلى أن خلفت من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا ، فخسروهما جميعا ! ! !

وقد صلى النبي صلى الله عليه هـذه الصلاة فى مواطن مختلفة ، على صفات شتى ، يتحرى فى كل موطن ما هو أحوط للصلاة ، وأحفظ للجيش ، وأبلغ فى الحذر والحراسة .

وفى هذه الغزوة التى غزاها صلوات الله وسلامه عليه قبل نجد صلى العصر صلاة قصر وخوف ، ففرق الجيش طـائفتين ، صلى بالأولى ركعة على حين كانت الأخرى موازية للعدو ، ثم انصرفت التى صلت خلفه ركعة وهى فى صلاتها ، مكان الطائفة التى لم تصل ، وجاءت هذه مكانها ، فصلى بها النبي صلى الله عليه وسلم ركعته التالية ، حتى إذا سلم قامت كل طائفة فقضت لنفسها ركعتها الثانية ، متعاقبتين أو مجتمعتين ، مع أخـذ كل منهما حذرها وأسلحتها وهى فى صلاتها ، اتقاء غدر العدو . . .

وتسمى هذه الغزوة « ذات الرقاع » لما لقوا فيها من بالغ المشقة والجهد ، حتى كان أبو موسى الأشعرى وخمسة معه يعتقبون بعيرا واحدا ! قال أبو موسى : فنقبت أقدامنا ـ رقت من الحفاء ـ ونقبت قدماى وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ! !

وسار صـلوات الله عليه فى بضع مئين من أصحابه ، حتى نزل نخلا ، على يومين من المدينة ، يريد جموعا كان بلغـه أنها اجتمعت لمحاربته ، فلما بلغهم نبأ مقدمه ألقى الله فى قلوبهم الرعب ، فخافوا وتفرقوا فى رءوس الجبال . . ثم اجتمع جمع منهم فأخاف بعضهم بعضا ، فانصرفوا بعـد أن تواقفوا من غير حرب . . وإنما كانت صلاة الخوف حذرا من العدو . .

وخروج أبى موسى فى هذه الغزوة وأبى هريرة مما استدل به البخارى وصاحب الهدى على أنها كانت فى السنة السابعة بعد خيبر ، لأنهما لم يقدما على النبي صلى الله عليه وسـلم إلا فى أواخر خيبر . .

* * *

وأول صلاة صلاها للخوف صلوات الله وسلامه عليه ، كانت بعسفان ، بعد مرحلتين من المدينة إلى مكة . . وكانت فى عمرة الحديبية سنة ست . . وذلك أنه لمـا صلى بأصحابه الظهر استقبلهم المشركون عليهم خالد بن الوليد ، فندموا أن لم يصيبوا من النبي صـلى الله عليه وسلم وأصحابه غرة ! وقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ! ثم قالوا يأتى عليهم الآن صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم ، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه صلاة الخوف ، فصلاها بهم صلاة العصر . .

وقد وقعت هذه الصلاة من قلب سيف الله خالد موقعا لم يزل أثره فيه حتى شرح الله صدره للاسلام بعدها بعام أو عامين . .

* * *

وليس يعنينا هنا أن نفصل كيفيات هذه الصلاة؛ فان لهذا التفصيل موضعه من كتب الحديث والفقه . . وإنما الذى يعنينا ويعنى قادتنا وأولى الأمر منا أن ننوه بالصلاة « سلاح النصر » تنويه الله بها ، ونعظمها تعظيم الله إياها ، فى السلم والحرب ، والفرج والكرب ، فى كل بيت ومعهد ، وفى كل متجر ومصنع ، وفى كل مجتمع وناد ، غير ناسين فضل الجماعة فيها ، ودعوة الله إليها ، لما لها فى الأمة عامة وجيشها خاصة من عظيم الأثر ، وشد الأزر ، ولا سيما فى ساحة النضال ، وميدان القتال ، وأحرج سويعات الفصل .

يعنينا هنا ويعنى أولى الأمر منا أن يعلموا أنهم أول المسئولين عن الصلاة ، صلاة الأمن وصلاة الخوف ، فى كل رقعة من الأرض مكنهم الله فيها ، وفى كل نفس ولاهم الله أمرها ، وفرض عليها أن تطيعهم ، وتخلص لهم من بعد طاعة الله وطاعة رسوله . .

لقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة .

* * *

إن الصلاة ليعود فضلها وعظيم آثارها : من الموالاة والطاعة والمحبة والإخلاص سرا وعلنا ــ أول ما يعود ــ إلى من دعا إليها وأمر بها ، وأخذ الناس بالحزم والعزم فيها ، وكان مثلا كريما لمن يأمرهم بها ويحضهم عليها .

وإننا لنعيذ بالله قادتنا وأولى الأمر منا أن يكونوا من خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون . . . ونضرع إليه سبحانه أن يسددهم ، ويؤيدهم ، وأن يمن عليهم بطاعتنا لهم فى طاعته ، ومحبتنا إياهم فى محبته ؛ حتى نصلى عليهم ويصلوا علينا « وما ذلك على الله بعزيز » ؟

طه محمد الساكت

مسئولية المؤرخ

العلم أمانة ، تلك قضية جرت بها ألسنة أسلافنا من العلماء رضى الله عنهم ، إجلالا لمكانة العلم ، وتحرزا من الخوض فيه أو تزييفه . والأمانة مما أمر الله برعايتها والحفاظ عليها وأدائها كاملة ، وكانت سيرة السابقين من علماء المسلمين فى الميدان العلمى مفخرة من مفاخر التاريخ فى الأمانة العلمية ، يزهى بها العلم ويزدهى بها العلماء المنصفون ، وإنها لعمر الحق دستور علمى خضعوا لقواعده ، فبرئت نفوسهم وبرئت أعمالهم من شبهات التدليس والكذب والسرقة ، وقد دفعتهم تلك الأمانة أن يضعوا لها البرامج ويؤلفوا فيها الكتب ويصطنعوا لها القواعد ، ليسلم لهم شرفهم وتسلم مؤلفاتهم من آفات الادعاء والتزييف . وقد كان العالم يدفعه شرفه العلمى وحفاظه عليه أن يرحل الأيام والأسابيع لطلب التثبت من كلمة أو حديث لم يستوثق منهما : « ولئن كانت الأمانة فى أولها دينا يدين به العالم فقد كانت فيما بعد دينا وشرفا علميا يشين العالم أن يعرى منه » .

والعلم أيا كان نوعه أمانة ، وليس هناك فرق فى الشرف العلمى بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وإن كان هناك أكبر الفرق بينهما فى التقدير الدينى ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذب علىّ كالكذب على أحد ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . والحديث فى العلم والتأليف فيه أمانة كذلك لا يخلى العالم من مسئولية التثبت منه والمؤاخذة عليه ألا يكون من علوم الدين ، وإذا كان ذلك الشأن فى العلوم عامة فالأمر فى علم التاريخ أشد وأولى ؛ ذلك أن المعلومات التاريخية هى من قبيل الشهادات ، ومسئولية الشهادة أمام الله وأمام الناس وأمام الضمير الإنسانى مسئولية عظمى ، وكل تزييف فى التاريخ لأى دافع من الدوافع تزوير يؤاخذ به الله إن لم يؤاخذ به القانون . وفى كتابة التاريخ مسئولية دينية وأدبية ، ولكننا نرى كثيرا ممن يتصدون للكتابة فيه يستهينون بهذه المسئوليات ، ويتناولون الحوادث والأشخاص حسبما تمليه العواطف والأهواء ، وحسبما تمليه الظروف والملابسات ، لا يرعون للحق ولا للواقع حرمة ولا كرامة ، ولا يبالون عقاب الله أو ملامة الناس . وإذا عوتبوا فى ذلك كان من أيسر الأعذار عندهم وأهونها لديهم أن يقولوا : إن التاريخ كلام لا يحرم حلالا ولا يحل

حراما . وهم فى ذلك مخطئون أشد الخطأ ، فكلنا نعرف أن التاريخ صلة بين الماضى والمستقبل، وأن المؤرخين رسل الثقافة بين الأجيال الماضية والأجيال المستقبلة، ومن حق تلك الثقافة على المؤرخين أن ينقلوها صحيحة لا زيف فيها ، ومن حق الأجيال المقبلة أن ننقل إليهم صور حياتنا سليمة من التزيد والتدليس ، وان التسمح فى الحقائق التاريخية جريمة لا شك فيها ، ذلك أنها تزعزع الثقة بالمعلومات التاريخية فى نفوس العلماء حين تواتيهم الفرصة للمقارنة والموازنة والوقوف على التاريخ الصحيح ، وإنها لمحنة علمية أن يرخى الكاتبون لأقلامهم العنان فى الحوادث والأشخاص ، ولا يتحرون الدقة فى الحقائق والعبارات جريا وراء العواطف والشهوات ، والحوادث فى نظرهم تتلون باختلاف الظروف والمناسبات ، والشهادات فى الأشخاص تخضع لصلات المودة والصداقة لا لحكم الحق والصدق. فاذا نظم أديب شيئا من النظم فهو الشاعر الكبير، وإذا كتب كلمة فهو الكاتب القدير، وإذا رقع كتابا فهو العالم النحرير ، وما إلى ذلك من الألقاب التى تخلع على الأشخاص من غير حساب .

إن ذلك غمط للحق والواقع ، وليس من دأب الأمناء من العلماء، لذلك كان كثير من أسلافنا يتحاماه تحرجا من الإثم الدينى والأدبى ، وكان للحقائق وللأشخاص معايير أكثرها دقيق ، ولهم فى الحقائق التاريخية عبارات رائعة ، فكانوا يقولون عن فلان من العلماء : « إنه يحسن كذا » ويقولون عن آخر : « إن له مشاركة فى علوم كذا » ويتحاشون أن يقولوا : « إنه عالم بكذا » ، « أو محقق فى كذا » ونحو ذلك مما يشعر بطول الباع فى المعارف والعلوم وليس من الحقيقة فى شىء .

نعم ان المؤرخ قد تضطره الظروف من الرغبة أو الرهبة إلى أن ينحو فى تدوين الوقائع منحى يخالف بعض الواقع ، وربما يخالف ما يعتقده هو نفسه ، أو يضيف إلى ما يكتب شيئا من الزينة والزخرف ليكون مقبولا لدى من بيدهم الأمر ، وهنا تبرز شخصية المؤرخ ونزاهته وشجاعته وقدرته على ضبط عواطفه فى عمله التاريخى ، فان استطاع أن يتحرر من بواعث الهوى ورضخ لسلطان الحق وجرى فى ذكر الحوادث على ما هى عليه فى الواقع كان منصفا وأمينا حريا بصفة العلم وتقدير العلماء، وإذا وقع تحت ضغط الظروف فيما يكتب ولم يتهيب سلطان الحق وكرامة العلم فهو المدلس الكذاب، وستضعه موازين النقد الصحيح فى مكانه من صفوف العلماء . ولقد زادت مهمة المؤرخ صعوبة فى هذا العصر بما ابتكر

من وسائل الدعاية وما استنبط من أساليب الترويج التى تخلع على الحقائق ألوانا براقة تعنت المؤرخين فى نخلها وتصفيتها وتحريرها خالصة من شوائب التلبيس والتدليس .

وإذا كان تحرى الدقة والصواب فى العمل التاريخى فضيلة محمودة من كل من يتصدى لكتابة التاريخ ، فانها ضرورة لازمة وواجب علمى على من ينذب نفسه لهذا العمل من رجال الجامعات التى هى موضع الثقة فى نفوس الناس ، والتى يتمتع جماعات العلماء فيها بنصيب من الحرية يفاخرون به ويحرصون عليه ، إلا أننا مع الأسف الشديد نجد كثيرا من رجال التاريخ فى هذا العصر ممن ينتسبون إلى الجماعات والهيئات العلمية يقعون تحت سلطان العاطفة والرغبة فيما يكتبون ، فتجىء كتاباتهم أو مؤلفاتهم بعيدة عن الحق والصدق ، باعثة على الانكار والاستخفاف .

هذا ـ وإن تاريخنا القومى الحديث تاريخ خصب ملىء بالمفاخر والمناقب ، وفى حاجة إلى تعبئة الأقلام القوية النزيهة لتسجيله وإعداده كتراث ننقله إلى الأجيال القادمة آية من آيات جهادنا الوطنى فى تحرير بلادنا من آثار الاستعمار البغيض ، وآثار التبعية الذليلة التى عوقتنا عن المضى فى ركاب الأمم الناهضة أزمانا طويلة ؟

أبو الوفا المراغى

مزمار الفن والمدفع

قالوا أتى الليث حلاق يعلمه	قص الأظافر تجميلا كما ابتدعوا
يا ليث قلها لذا الحلاق زمجرة :	إن المخالب فى كفى هى الشبع
يا ليث قلها لذا الحلاق همهمة :	زدنى مقصك ظفرا منه أنتفع
يا ليث قلها لذا الحلاق دمدمة :	الظفر لليث بالدنيا وما تسع
لو كل مزمار فن عندنا خنث	لنا به مدفع فانه بشع
إذن لكانت لنا بين الورى لغة	متى تقل قولها فى العالم اقتنعوا

مصطفى صادق الرافعى

مؤامرات اليهود الغادرة

– ٢ –

« ائتمار يهود بنى قريظة والمشركين بالمسلمين فى الخندق » :

لم يرض بنو النضير بما طلبوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجلاء عن المدينة وعفوه عنهم ، بل أخذوا فى تأليب قريش وتحريضهم على قتال النبي وأصحابه ، فذهب وفد منهم إلى مكة وما زالوا بهم حتى أغروهم بغزو المدينة ، وفى سبيل هذه الغاية خالفوا الشرائع السماوية كلها ، ففضلوا عباد الأوثان على أهل التوحيد ، ذلك أن قريشا قالت لهم : إنكم أهل الكتاب وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه وأولى بالحق منه !

وهكذا نجد اليهود فى سبيل الغاية الوضيعة ، لا يعبأون بمقررات الشرائع والحق والشرف والفضيلة . وهذا ديدنهم فى كل عصر ، وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه القصة بقوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » [١] .

وكذلك ألبوا سائر قبائل العرب على المسلمين ، وما زالوا يجوبون الجزيرة حتى تجمع نحو عشرة آلاف مقاتل وقصدوا إلى المدينة كى يفتضوها عنوة ، فكان ما كان من خروج المسلمين للقائهم وحفرهم الخندق فى الناحية غير الحصينة من المدينة وتحصنهم وراءه .

ولم يكتف رؤساء بنى النضير بتأليب العرب فعمدوا إلى بنى قريظة — والمشركون يحاصرون المدينة — وسعوا إليهم أن ينقضوا ما بينهم وبين النبي وصحبه من عهود ، فذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظى صاحب عهدهم وعقدهم فدعاه إلى نقض العهد ، فأبى أول الأمر وقال : « دعنى وما أنا عليه ، فأنى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا »

---

[١] سورة النساء الآية ٥١ ، ٥٢

ولم يزل حيي به حتى تحركت فى نفسه يهوديته الحاقدة وطبيعته الغادرة الناكثة ، فاستجاب له ونقض ما بينه وبين المسلمين من عهود .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله أرسل إليهم نفرا فيهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيدا الأوس والخزرج كى يستوضحوا الخبر ، وقال لهم : « انظروا فان كان حقا ما بلغنا عنهم فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . فذهب الوفد اليهم فوجدوا منهم غدرا ونقضا للعهد وسفاها على النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى أدى الأمر إلى أن تشاتموا هم والسعدان . فلما أقبل السعدان إلى رسول الله لحنا له ، ففهم وقال : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ، وظهر عليه من التأثر ما جعل المسلمين يدركون ما فعلته بنو قريظة .

واشتد الأمر على المسلمين ، فهاهم المشركون من فوقهم ، واليهود من أسفلهم ، وخافوا على نسائهم وذراريهم من غدر اليهود ، واشتد الكرب بهم حتى ظن الضعفاء والمنافقون بالله الظنون السيئة . ولن تجد أدق فى تصوير ما نزل بالمسلمين من أهوال وخوف فى هذا الموقف من قول الله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » [١] ولكن الله الذى تكفل بالنصر لعباده المتقين تداركهم برحمته ، فسعى نعيم بن مسعود الأشجعى – بمشورة النبى صلى الله عليه وسلم – فى التخذيل بين المشركين واليهود ، ونجح أيما نجاح ، وأرسل الله على المشركين ريحه وجنده ، فامتلأت قلوبهم رعبا وخوفا ، فعادوا بليل ورضوا من الغنيمة بالإياب .

ورجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصحبه إلى المدينة ووضع سلاحه ، فجاء إليه جبريل فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريل : ما وضعنا السلاح ، وما رجعت إلا من طلب القوم ، وإن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة فانى عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله مناديا ينادى فى الناس « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » فأسرع المسلمون إليها يتبعهم رسولهم ولواؤه معقود

---

[١] سورة الأحزاب ، الآيات ٩ – ١١

لابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه . فلما عاين بنو قريظة جيش المسلمين ، امتلأت قلوبهم رعبا وتحصنوا بحصونهم ، وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة ، فلما لم يروا فائدة من تحصنهم واشتد بهم الأمر عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم معاملة بنى النضير ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، ففعلوا ، فأمر برجالهم فكتفوا ، ثم سعى إلى رسول الله رجال من الأوس راجين أن يعاملهم معاملة بنى قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج ، فقال لهم السيد الحكيم : « ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » فقالوا : بلى . فاختاروا سعد بن معاذ ، وكان فى خيمة فى المسجد معدة لمعالجة الجرحى من سهم أصيب به فى الخندق ، فأرسل رسول الله فى طلبه ، فجاء راكبا ، فالتف حوله جماعة من الأوس قائلين له : أحسن فى مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن أبى فى مواليه ؟ فقال لهم : لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . ثم قال : « فانى أحكم فيهم أن تقتلوا الرجال ، وتسبوا النساء والذرية » فقال له رسول الله : « لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبع سماوات » فنفذ فيهم الحكم ، ولم يلبث سعد أن انفجر جرحه ، فمات شهيدا بعد أن أرضى الله ورسوله . وبذلك تخلص المسلمون بالمدينة من آخر شوكة غادرة كانت تقض مضاجعهم وتسلبهم السلام والأمان ، ولا تفتأ تحيك لهم المؤامرات تلو المؤامرات ، وأصبحت المدينة كلها ـ ما عدا المنافقين ـ على قلب رجل واحد ، وموئل الإسلام وحصنه الحصين .

وقبل أن يستعظم أحد حكم سعد عليهم وقسوته ، عليه أن يتدبر ـ فيما لو نجح المشركون فى عبور الخندق والتقائهم بجيش المسلمين وجها لوجه ، ونفذ بنو قريظة خطتهم التى كانوا على وشك القيام بها ، بمهاجمة المسلمين من ظهورهم وفى أهليهم وذراريهم ـ ماذا يكون الحال؟ وإلى أى مدى ستكون الكارثة ؟ . لا شك أن الكارثة ستكون بالنسبة لمن اقتص منهم من بنى قريظة أضعافا مضاعفة من رجال المسلمين ونسائهم وأولادهم .

التخلص من يهود خيبر :

ولئن كانت المدينة قد تطهرت من اليهود ومكايدهم فها هى خيبر وهى على مقربة منها لا تزال حصنا حصينا لليهود من أهلها ومن نزح إليها من يهود بنى النضير ، وإن ننس لا ننس ما فعله زعماء بنى النضير الذين اتخذوا خيبر لهم مقاما من تأليب قبائل العرب وبنى قريظة على المسلمين ، وهكذا نجد أن خيبر أصبحت مركزا لتجمعات اليهود ونقطة ارتكاز

يقومون منها بما يريدون من حيل ومكايد وغدر ، بل وينتقضون منها على المسلمين إذا سنحت لهم الفرصة . وما كان لرسول الله وهو السياسى المحنك ليدع هؤلاء الأعداء الذين يتربصون به وبالمسلمين الدوائر ، لهذا لم يكد يرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية حتى أمر بالتجهز للخروج إلى خيبر على أن لا يغزو معه إلا من شهد الحديبية . وسار الجيش إلى خيبر وعدته ألف وستمائة . فما راع يهود خيبر ـ وقد خرجوا مصبحين يحملون مساحيهم ومكاتلهم ـ إلا جند الله يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير ، فولوا الأدبار يتصايحون : هذا محمد والخميس معه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قولهم : « الله أكبر ، ضربت خيبر . إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » وكانت لهم حصون منيعة فتحصنوا فيها ، وحاصرهم رسول الله والمؤمنون يحدوهم إعزاز دين الله وتطهير بلاد العرب من رجس إخوان القردة والخنازير ، واستمات الخيبريون فى الدفاع لما يعلمون أن فى هزيمتهم القضاء الأخير على بنى إسرائيل فى بلاد العرب . وشدد المسلمون عليهم الحصار ، وأظهروا من ضروب الشجاعة والاستبسال فى سبيل الحق ما حفظه التاريخ لهم . فلم تلبث الحصون أن تهاوت حصنا بعد حصن حتى استولى على اليهود اليأس ، فطلبوا من النبي الصلح على أن يحقن دماءهم ، فقبل الرءوف الرحيم . وصارت أرضهم لله ولرسوله وللمسلمين . فلما أراد النبي إجلاءهم سألوه أن يقرهم على أن يعملوا فى الأرض ولهم نصف الثمر ، فقال لهم : « نقركم على ذلك ما شئنا » . وبخضوع يهود خيبر انهار كيان اليهود وقوتهم فى الجزيرة العربية ، ولم يعد لهم خطر يذكر ، وأراح الله المسلمين من شرورهم وغدراتهم .

قصة الشاة المسمومة :

ومع هذه المساهلة فى الصلح والإحسان إليهم باجابتهم إلى ما طلبوا ، ما زالت نفوسهم مملوءة بالحقد والبغضاء للنبي والمسلمين . وليس أدل على هذا من أن النبي لما صالحهم واطمأن أهدت إليه زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية ، وقد سألت أى عضو أحب إلى نبيهم؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيه من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فوضعتها بين يديه ، فتناول الذراع فلاك منها قطعة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها قطعة ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله فلفظها ثم قال : « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » . ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك

على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت إن كان كذابا استرحنا منه ، وإن كان نبيا فسيخبر ، فتجاوز عنها ، ومات بشر من أكلته هذه . فيقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قتلها به قصاصا . وهكذا نجى الله نبيه من غدر هذه اليهودية كما نجاه من غدرهم وهمهم بقتله من قبل ، ولم يزل أثر هـــذا السم يعاود النبي صلى الله عليه وسلم كل عام حتى توفاه الله .

يهود فدك وتيماء ووادى القرى :

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك من يطلب إليهم الانقياد والطاعة ، فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم و يتركوا أموالهم ، فكانت فدك لرسول الله خاصة ، لأنها فىء أخذ بلا إيجاف خيل ولا ركاب ، فكان ينفق منها على نفسه وعلى من يمون ، ثم عاملهم على العمل فى الأرض بنصف ما يخرج منها ، ولما بلغ يهود تيماء ما انتهى إليه أمر أهل خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا فى بلادهم آمنين . ثم دعا رسول الله يهود وادى القرى إلى الاستسلام والطاعة ، فأبوا وقاتلوا ، فقاتلهم . وسرعان ما استسلموا وصالحوا على ما صالح عليه أهل خيبر ، فتركت لهم الأرض يزرعونها بشطر ما يخرج منها . وبهذا النصر المتتابع دان اليهود كلهم لسلطان الإسلام ، وانتهى ما كان لهم من سلطان وكيان ولم تقم لهم قائمة بعد . وبهـذا أصبحت الدولة الإسلامية الناشئة بمأمن من ناحية الشمال إلى بلاد الشام .

ولم يزل يهود خيبر يعملون فى أرضها على نصف ما يخرج منها حياة رسول الله ومدة خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، حتى أجلاهم عمر إلى بلاد الشام بعد أن أعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا ، وذلك (١) لما قاموا به من الغدر والإفساد ، فقد كان لابنه عبد الله مال بها وكان يختلف إليها ، فعدوا عليه من الليل وألقوه من فوق السطح وهو نائم ففدعت يداه ورجلاه ، (٢) ولما ثبت عنده من قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يبقى بجزيرة العرب دينان » ولا سيما وقـد كان إبقاء رسول الله لهم مشروطا بمشيئة المسلمين ، (٣) ولما رواه عمر بن شعبة فى أخبار المدينة قال : « لما كثر العيال أى الخدم فى أيدى المسلمين وقووا على العمل فى الأرض أجلاهم عمر » فلهذه الأسباب مجتمعة كان الإجلاء [١] . ونعما فعل الملهم المحدث ، فان الحجاز قطب الإسلام الذى تدور عليه رحاه وقلبه النابض ، فـكان من الحـكمة أن يبقى القطب قويا متماسكا والقلب سليما من كل

[١] فتح البارى جزء ٥ ص ٢٥٠ .

عوامل التحلل والفساد والضعف، كى تبقى الأطراف سليمة قوية تؤدى وظيفتها المطلوبة منها ، واليهود كانوا ـ وما زالوا ـ أداة هدم و إفساد .

هذا وقد طفنا بك ـ أيها القارئ الفطن ـ وصحبناك فى تناولنا الحديث عن بنى إسرائيل من لدن نشأتهم إلى يومنا هذا ، فتكشف لنا بالأسانيد التاريخية الثابتة والوقائع الصحيحة التى لا مراء فيهما أن اليهود فى عصورهم المتعاقبة أساءوا إلى الله عز شأنه و إلى أنبيائه ورسله و إلى البشر قاطبة، وأنهم لم يسلم من شرورهم وعنتهم و إيذائهم أنبياء الله ، ولاسيما موسى وعيسى و محمد عليهم الصلاة والسلام، ولا أتباع عيسى و محمد عليهما الصلاة والسلام ، وأنهم أهل غدر وخيانة ونذالة ، لا يزيدهم الاحسان إليهم إلا إساءة للمحسن ، ولا الإنعام عليهم إلا كفرا وجحودا ، وأنهم لا يقيمون للمقررات الشرعية ولا الأخلاقية ولا القانونية ولا العرفية وزنا ، وجل همهم الوصول إلى أغراضهم الدنيئة بالوسائل الخسيسة ، وأنهم عندهم شهوة عارمة إلى إراقة الدماء وانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال ، حتى وصلت بهم العرامة أن قتلوا الكثيرين من أنبيائهم وولغوا فى دمائهم الزكية ، وأنهم مساعر حرب وأخدان فتنة وأهل شقاق ونفاق ، كلما وجدوا فتنة أوضعوا فيها ، وسرعان ما يطفئها الله سبحانه .

و بعد ـ فهل يعيد التاريخ سيرته الأولى و يقيض الله سبحانه لليهود ـ إخوان القردة والخنازير ـ من يجليهم عن الأرض الطيبة التى باركها الله وهى أرض فلسطين ، ليعود إليها أهلها المشردون فى الصحراء ، كما أجلى أسلافهم من قبل من الأرض الطاهرة أرض الحجاز ؟؟ إن هذا ليس بعزيز على شعوب العرب وقادتهم، إذا أخلصوا لله وأجمعوا العزم واستمروا على ما أظهروه من تكتل و وحدة تكسرت على صخرتها الصماء قرون المستعمرين الأرجاس من الانجليز والفرنسيين وصنائعهم اليهود الأوغاد . ولعل فيما فعلوه فى هذه الأيام من غدر وتنكيل وتقتيل وتخريب استعجالا لنهاية حياتهم فى الأرض الطاهرة ، كما استعجل يهود خيبر إجلاءهم من أرض الحجاز بفعالهم المنكرة .

فاللهم أعن جنودك ، وحقق وعدك الذى وعدت به فى كتابك الصادق على لسان نبيك الصادق، حيث قلت : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم » صدق الله العظيم ٥

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

كيف يسود السلام العام؟

أيمكن أن يسود السلام العام ، وكيف يسود ، ومن ذا يكفله ؟ . تلك هى الأسئلة التى تجرى اليوم على كل لسان ، و يختلج بها كل جنان ، وقد أصبحت داخلة فى أفق تفكير المفكرين بين المصلحين والفلاسفة والسلميين ، الراغبين فى تنظيم أمور الحياة على وجه لايحدث بعده على مسرح العالم ماجرى أمس من الشدائد والأهوال والآلام والعذاب والقتل والفتك والتخريب والتدمير . نعم بعد أن أصبح هؤلاء جمهورا عظيما لم تشهد الإنسانية ضريبه فى جميع ماضيها الحربى المخيف . ولئن كان هذا الجمهور العظيم وهو يكاد يكون السواد الأعظم من أمم العالم كلها يريد أن يستتب السلام فى الأرض آخر الدهر و يستقيم ، إلا أن الرغبة شىء وتحقيق الرغبة شىء آخر ، فان تحقيقا كهذا لرغبة كهذه يتطلب إرادة عامة تشمل كل إنسان فى العالم وتعم ، إذا كان يراد أن يسود السلام فى الإنسانية إلى الأبد، إذ لو كان الراغبون فى السلم **٩٩** فى المائة فاعلم أن الرجل الواحد الخارج عن هذه الرغبة سيتابع ولا ريب تسليحه واستعداده فيشعل بعد ذلك جذوة الحرب و يثير سعيرها ، والناس يعلمون أن النكبة الرهيبة كانت نتاج تسليح عام مستمر ، لبث يجرى مطردا على نظام دقيق ممهد عجيب ومهارة عظيمة ودأب كبير طويل مدة اثنى عشر حولا أو يزيد ، و إذن لايمكن أن نرتقب سلاما عاما إلا باضراب عن التسليح يكون أشد من ذلك التسليح مهارة ودأبا ودقة ونظاما ، فما هى إذن الوسائل التى تمكننا من نشر السلام العام فى ربوع الأرض ، و إغلاق سجل الحرب إلى الأبد ؟؟.

وقبل أن نجيب على هذا السؤال يجب أن نشرح للقراء العوامل النفسية الغريبة التى تثير الحرب عادة ، والعوامل النفسية التى تجنح بالناس إلى السلم والرغبة فى تسويدها .

يقول الأستاذ ويلز وهو من أكبر كتاب الإنكليز وأعمقهم تفكيرا وأصفاهم ذهنا ومن أكبر الاشتراكيين العصريين :

« إن فى كل إنسان منا روحا من الاحتجاج والاستنكار للحرب، وأكثرنا على وجه من الإجمال يريد السلم ، و يطلب إبطال الحروب ، ولكن ليس فينا فرد واحد قد خلا من

نزعة حربية مختفية فى تضاعيف نفسه محتجبة فى أعماق وجدانه : نزعة حربية غريبة تثب لصرخات الحرب وتجيش لأصوات القنبلة وزمجرة المدفع ، إذ لا ريب فى أن كلا منا يحس بأثر من الإعجاب والإجلال إذ يقرأ فى الصحف نبأ موقعة حربية أو إغراق طرادة أو نسف باخرة لأن هناك مظهرا جميلا من العظمة ، ومعنى حلوا من الجلال فى كثير من خشونات الحرب ورهبة أحداثها ووقائعها ، يثير فى قلب كل منا نوعا من الحمية وضربا من السمو والقوة ، نعم إن فى أثناء جوانحنا هذه النزعة التخريبية المدمرة ، فلا داعى إلى إنكارها ، لأن أول وسيلة يمكن أن نستعين بها على نشر السلام هو أن نعمل على ضبط هذه النزعة وقهرها ، ولا سبيل إلى ضبطها إلا بتذكير الإنسانية جمعاء بالوجه الآخر المخوف من حقائق الحرب وأمورها ، على أن الذين يسفهون الحرب ويكرهونها ويرمونها بكل نكراء من القول هم الذين يريدون أن ينهوا عصرها ويختموا عهدها ، ولكن هناك كثيرون كبرت عندهم هذه النزعة واشتد أثرها ، وهم وحدهم الذين يقفون فى طريقنا إلى السلام العام . على أننا يجب أن نتذكر أن القوى التى تعمل لصالح أمر من الأمور هى دائما أشد تماسكا وارتباطا وتأثيرا من القوى التى تعمل على مقاومته ، وهذا ينطبق على حالنا نحن رسل السلام ومقاومتنا لرسل الحرب ودعاتها وأبواقها ، فنحن القائمين فى وجه الحرب الراغبين فى قتل روحها لم نقم فى وجهها إلا لعدة أسباب وأدلة وبراهين ، ذلك أن هناك فروعا من الحياة غير الحرب نؤثر ، ووجوها من العيش نحب ، وهذه الحرب تقتل رغائبنا وتعيق آمالنا وأمانينا ، منا من يريد أن يتوفر على الفن ــ الشعر والموسيقى والتصوير والنقش ــ والفلسفة والكتابة والتأليف ، ومنا من يريد أن يخلد إلى حرفته فى المصنع وصناعته فى المعمل ، ومنا من يريد أن ينزوى إلى التفكير العلمى والاختراع والابتداع ، ومنا من يريد الفرح والبهجة ، ولذلك قد اجتمعنا كلنا على أن نفكر فى غير الحرب ونخلد إلى مطالبنا ووجوه عيشنا ، غافلين عن الحرب منشغلين ، وبينا نحن كذلك إذ هناك فئة قد آثرت أن تخلد إلى العمل للحرب ، كما آثر بعضنا الإخلاد إلى الفنون ، ومن ذلك أصبح نشوب الحرب من جراء إهمالنا محتملا ممكنا ، لأن هذه الفئة لا تفتأ تعد الأهبة وتمهد السبل وتضع الخطط لإضرام نيران الحروب ، كما لا يفتأ أرباب الفنون منا يتقنون فنونهم وينقحون فى أساليبها ويهذبون وجوهها ، وإذا بنا على غرة قد تنبهنا إلى أن الحرب قد قامت على قدم وساق ، وعلى هـذا لن تنتهى الحروب ما لم نفكر نحن طلاب السلام فى تأسيس نظام تام نستطيع به مراقبة مثيرى الحروب وخالقيها ، وما لم نكن منهم بمثابة الشرطة من المجرمين واللصوص والخائنين » .

ولقد استجابت الشعوب إلى هذه الصرخـة المدوية التى كان الأستاذ ويلز ينشرها فى أوربا قبل الحرب العالمية وفى خلالها ، فتضافرت الدول على إنشاء هيئة تكون حائلا بين نشوب الحرب، ونجحت هذه الدول فى وضع ميثاق هيئة الأمم المتحدة فى يناير سنه ١٩٤٢ وقد جاء فى الميثاق فى شأن العضوية فى هيئة الأمم المتحدة حكم المادة الرابعة ونصه كما يلى:

« العضوية فى الأمم المتحدة مباحة لجميع الدول الأخرى المحبة للسـلام والتى تتحمل الالتزامات التى يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة ، والتى ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات راغبة فيه » . وسارت الدول خطوة أخرى فأنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٥ من خمسين دولة وهى إحدى فروع هيئة الأمم المتحدة ووضعت لها وظـائف عدة أهمها حفظ السلم والأمن الدولى ، واختصاص الجمعية فى هـذا الشأن اختصاص شامل جامع وقد نص الميثاق عليه فى مواد متعددة ، فللجمعية العامة :

(ا) أن تناقش أية مسألة أو أمر يدخل فى نطـاق الميثاق وفقا للـمادة العاشرة ، ويندرج فى هذا دون شك كل المسائل المتصلة بالسلم والأمن الدولى .

(ب) ولها أن توصى باتخاذ التدابير لتسوية أى موقف أيا كان منشؤه تسوية سلمية إذا رأت أن هذا الموقف يضر بالرفاهية العـامة أو يعكر صفو العلاقات الودية بين الأمم (مادة ١٤ من الميثاق) .

(ج) للجمعية العامة أن تنظر فى المبادئ العامة فى شأن الأمن الدولى ، ويدخل فى ذلك المبـادئ المتعلقة بنزع السلاح وتنظيم التسليح وفقا للفقرة الأولى من المـادة ١١ من الميثاق .

(د) للجمعية أن تناقش بناء على طلب أى عضو أو دولة طرف فى النزاع أو بناء على طلب مجلس الأمن أية مسألة تـكون لها صلة بحفظ السـلم والأمن الدولى وفقا للفقرة الثانية من المـادة ١١ من الميثاق .

(هـ) للجمعية أن تسترعى نظر مجلس الأمن إلى الأحوال التى يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدولى للخطر وفقا للفقرة الثالثة للمـادة ١١ من الميثاق.

(و) للجمعية ــ إذا نبهها أى عضو أو دولة طرف فى نزاع ــ أن تنظر فى أى نزاع أو موقف يكون من شأنه إذا استمر أن يعرض للخطر حفظ السلم أو الأمن الدولى وفقا

للمادة ٣٥ من الميثاق ، ولم تكتف الدول المحبة للسلام بالجمعية العامة للأمم المتحدة التى تعقد فى شهر سبتمبر من كل عام دورتها ، بل أنشأت بجوارها مجلس الأمن وهو هيئة من هيئات التمثيل الجماعى عهدت إليه دول الأمم المتحدة بالتبعات الرئيسية فى حفظ السلم والأمن الدولى ، وتعهدت الدول فيما بينها بقبول قراراتها وتنفيذها فى حسن نية ، على اعتبار أنها قرارات صادرة من هيئة تقوم بتمثيل أعضاء الأمم المتحدة تمثيلا جماعيا وذلك وفقا لأحكام المادتين ٢٤ و ٢٥ من الميثاق .

ويتألف مجلس الأمن من فريقين من الأعضاء : فريق الأعضاء المعينين ، وفريق الأعضاء المنتخبين . فأما الفريق الأول فيتكون من خمسة أعضاء هم : جمهورية الصين ، وفرنسا ، وروسيا ، وانجلترا ، وأمريكا . وتشغل هذه الدول مراكزها على سبيل الدوام نظرا لعظمة طاقتها الصناعية ومقدار مواردها من المواد الأولية وعدد سكانها ، وهى العوامل التى دلت الحرب العالمية الثانية على أن لها أكبر شأن فى تمكينها من صد طغيان الدول المعتدية .

أما الفريق الثانى من الأعضاء فهو فريق الدول المنتخبة وهو يتألف من ست دول تشغل مراكزها لمدة عامين فى مجلس الأمن ، ولا يجوز إعادة انتخاب العضو الذى انتهت مدته على الفور ، بل يجب أن يظل خارج المجلس سنتين على الأقل ، ويجب أن يراعى فى انتخاب أعضاء هذا الفريق مساهمة أعضاء الأمم المتحدة فى حفظ السلم والأمن الدولى وفى مقاصد الهيئة الأخرى ، كما يراعى أيضا التوزيع الجغرافى العادل . ويجرى التقليد فى شأن هذا التوزيع الجغرافى على أن تمثل دول أمريكا الوسطى والجنوبية فى مجلس الأمن بدولتين ، وعلى أن تمثل دول أوربا الغربية بدولة واحدة ، ودول أوربا الشرقية بدولة واحدة ، ودول الشرق الأوسط بدولة واحدة ، ودول الكمنولث بدولة واحدة ، وتقوم الجمعية العامة بانتخاب الأعضاء المؤقتين وفقا للميثاق . والقرارات التى يصدرها مجلس الأمن تنسب إلى جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة سواء كانت ممثلة فى المجلس أو لم تكن ممثلة فيه . ولمجلس الأمن أن يقوم بحل المنازعات بالطرق السلمية وفقا للمادة ٣٦ فقرة أولى من الميثاق بين الدول المتنازعة ، وإلا فإن له وظيفة أخرى عند التهديد بوقوع عدوان .

فقد خول نص المادة ٣٩ من الميثاق مجلس الأمن سلطة واسعة ، إذ ترك للمجلس

حرية كبيرة فى تقدير ما إذا وقع تهديد للسلم أو إخلال به فى أرجاء المعمورة أو كان ماوقع يعد عملا من أعمال العدوان ، فاذا ما قرر المجلس ذلك أصبحت له الحرية المطلقة فى أن يختار التدبير الملائم ، فاما أن يقـدم توصيات إلى أطراف النزاع ، وإما أن يعمد إلى تطبيق الجزاءات ، وإما أن يأخذ بالأمرين معا . والتدابير التى قد يتخذها مجلس الأمن لمواجهة حالات التهديد بالسلم أو وقوع العدوان إما أن تـكون من التدابير الوقتية وإما أن تـكون تطبيق الجزاءات غير العسكرية ، وإما أن تـكون تطبيق الجزاءات العسكرية .

(ا) التدابير الوقتية : هى التى ذكرتها (المـادة ٤٠) من الميثاق ونصها :

منعـا لتفاقم الموقف ، لمجلس الأمن قبل أن يقدم توصياته أو يتخـذ التدابير المنصوص عليها فى (المـادة ٣٩) أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضروريا أو مستحسنا من تدابير مؤقتة .

(ب) الجزاءات غير العسكرية : فقد ورد ذكرها فى (المـادة ٤١) من الميثاق .

وهى تقضى بأن لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التـدابير التى لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته ، ويجـوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والبرقية واللاسلـكية والمواصلات الحـديدية والبحرية والجوية وقفا جزئيا أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية .

(جـ) التدابير العسكرية : نصت عليها (المـادة ٤٢) من الميثاق .

« إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها فى (المـادة ٤١) لا تفى بالغرض أو أنه ثبت أنها لم تف به ، جاز له أن يتخـذ بطريق القوّات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ الأمن والسلم الدولى أو إعادته إلى نصابه » .

وقد نصت المـادة ٤٣ من الميثاق على أنه فى سبيل المساهمة فى حفظ السلم والأمن الدولى يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ـ بناء على طلبه وطبقا لاتفاقات خاصة ـ ما يلزم من القوات المسلحة والتسهيلات اللازمة لحفظ السـلم والأمن الدولى . وقد عهدت (المـادة ١٠٦) من الميثاق إلى الدول الخمس العظمى القيام بالنيابة عن الهيئة بالأعمال المشتركة التى قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولى .

ومع ذلك كله فالسلام لا يزال معلقا بميزان القدر ، على حين أن دولا لا تزال مقيمة فى الأرض تحب أن تبسط وجودها ونفوذها على دول ضعيفة لها فيها مطمع استراتيجى أو سياسى أو اقتصادى .

والسلام كلمة عذبة سائغة جارية على كل لسان ، ولكنها لا تزال كلمة جوفاء ، وما أصدق قول القائل :

قالوا السلام فبتنا واثقين به   أين السلام وأركان السلام دم
مزالق ومهاو ليس يدركها   سير ولم ترس فى أغوارها قدم
شر الليالى ليال بات ساهرها   يرعى المنى والمنى فى مثلها حلم

لكن تبقى نظرية أخرى وهى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، أو تحكم القوى فى أخيه الضعيف : يستذله ويستعبده ويصيره فى يده آلة صماء ، يملى عليه ما يشاء ويديره بإرادته كما يشاء طبقا لقاعدة تنازع البقاء . تلك النظرية من أجلها قامت شريعة الحرب ليتخلص الضعيف من القوى حتى يأمن على وطنه وأبناء جلدته ومقدراته فى بلاده التى هى مستودع آماله وأحفاده من بعده .

من أجل ذلك قامت شريعة الحرب قياما موقوتا مقدرا بما يحيط به من ظروف ومقدمات ، وما تمليه الأحداث والعبر وما تجلبه تلك الحرب من المصائب والويلات .

وحارب إذا أوتيت يوما ظلامة   شبا الحرب خير من قبول المظالم

ورحم الله شوقى إذ يقول :

وقى الأرض شر مقاديره   لطيف السماء ورحمانها
ونجى الكنانة من فتنة   تهددت النيل نيرانها
وعند الذى قهر القيصرين   مصير الأمور وأحيانها

عباس طه
المحامى

بيان من علماء الأزهر الشريف

إلى الشعوب العربية والعالم الاسلامى

فى شأن الأحداث الجارية فى العراق

إن للشعب العراقى تاريخا مجيدا سجل له أعظم الآثار فى خدمة علوم اللغة والدين ، ونشر الحضارة والعمران ، ولا سيما أيام كانت بغداد مركز النهضة الأدبية والثقافة العربية وعنوان العزة القومية وحضارة الإسلام ، تتجمع حولها شعوب العرب والمسلمين من جميع الأقطار .

والشعب العراقى جزء متمم للأمة العربية ، وعنصر من عناصر كيانها القومى ، وحدت بينه وبين سائر الشعوب العربية روابط الدين واللغة والثقافة والتاريخ والجوار فى بقعة من أرض الله تمتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، فجعلت من هذه الشعوب جميعها أمة واحدة ، متماسكة متضامنة ، تشعر بشعور واحد ، وترمى إلى غرض واحد ، وتجمعها آمال واحدة ، وآلام واحدة ، إذا شكا عضو منها تداعى له سائر الأعضاء .

ولقد تواترت أنباء عن وقوع أحداث فواجع للشعب العراقى الشقيق ، على أثر قيامه بمظاهرات يستنكر فيها العدوان الغادر على شعب مصر الآمن ، ومهما تكن هذه الأحداث مبالغا فى تصويرها فان القليل منها يؤلمنا معشر المصريين أشد الألم ، ويحز فى نفوسنا الأسى المرير من أن يقتل المسلم أخاه المسلم ، كما يؤلمنا ويؤسفنا أن تلجأ حكومة عربية إلى الأعداء فتستعديهم على شعب شقيق كشعب سوريا العظيم .

إن الله الذى ربط بيننا برباط الأخوة فى الدين ، هو الذى جعلنا أمة واحدة تعبد ربا واحدا كما قال تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وهو الذى جعل سبيل المسلمين سبيلا واحدة ، من حاد عنها فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » ، وإن الله الذى أتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام دينا ، أراد منا أن نكون إخوانا متحابين ، وأن يكون بعضنا أولياء بعض ، نتكافل فى الشدة والرخاء ، ونتضامن فى السراء والضراء ، ونتعاون على البر والتقوى ،

ولا نتعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

ولقد نهانا الله عز شأنه أن نتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ، ونبه على أن من يوالى الأعداء فقد حادّ الله ورسوله وخرج على تعاليم الإسلام : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله » .

كما حذرنا جل شأنه مكر الأعداء وخداعهم ، وبصرنا بأنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا يرعون لعهدهم حرمة ، ولا يقيمون لمواثيقهم وزنا ، إنما عهدهم وميثاقهم الاستغلال والاستعمار ، فاذا لم يكن استغلال واستعمارفلا عهد ولا ميثاق ، هكذا علمتنا التجارب وشهدت وقائع التاريخ .

وما حلف بغداد إلا حلف للضرار أسسه الاستعمار على الخديعة والغش وألبسه ثوب التعاون والإصلاح ، لإيذاء المسلمين وتضليلهم وتفريق وحدتهم : كمسجد الضرار الذى أقامه أعداء الدين باسم الإسلام ، وجعلوه مركزا للتآمر عليه والكيد له ، فأرشد الله المسلمين إلى خطره ، وحذرهم منه ، وصوره القرآن أصدق تصوير فى قوله : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ، أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » .

يا أبناء العراق الأمجاد :

إن لكم إخوانا لاجئين من أهالى فلسطين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وشردوا فى بقاع الأرض ومتاهات الوديان ، بلا مأوى ولا مال ولا مرتزق ، فلا تنسوهم ولا تصافحوا اليد التى أخرجتهم ولا اليد التى ظاهرت على إخراجهم بالإثم والعدوان .

كما أن لـكم إخوانا بالجزائر شنت عليهم فرنسا حربا عدوانية ، ظالمة مدمرة ، خربت ديارهم ويتمت أطفالهم من غير ذنب جنوه إلا أنهم يطالبون بحق الحـــرية فى بلادهم ، فلا تنسوهم ولا تصافحوا اليد الملوثة بدمائهم، وإن هذا لهو أقل واجب عليكم نحو إخوانكم فى العروبة والدين .

إن أعداءكم الذين أخرجوا إخوانكم من ديارهم ، وظاهروا على إخراجهم ، هم الذين يوقدون نار الفتنة بينـكم وبين شعب سوريا العربى الشقيق ، وهم الذين يسعون بافساد ذات البين بين الأخوين ، فاحذروا فتنة الاستعماريين تجـار الحروب الذين لجأوا إلى سلاح الدس والوقيعة ، بعد أن فشلوا فى استعمال القوة والحرب السافرة، وبعد أن ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا .

إننا ـ معشر العرب ـ تجمع بيننا أواصر قوية توحد جهودنا، وتحدد أهدافنا، وترسم خطتنا السياسية المركزة فى مبدأ واحـد يعبر عنه بكلمة واحدة هى « الحياد المسلح » .

نحن نحب السلم بحيادنا، وندفع العـدوان بسلاحنا ، أساس ديننا أن نسالم من سالمنا ، فاذا بغى علينا باغ كان القتال أحب شيء إلى نفوسنا .

يا أبنـاء العراق :

إن يكن قد أصابكم فى محنتكم ضر أو نالكم سوء فلا تحزنوا لمـا أصابكم فى سبيل الله ، واصبروا إن الله يحب الصابرين ، وستجرى المقادير لغـايتها ، وسينكشف الغطـاء عن المخـدوعين المغرورين بعهود الإنجليز ووعودهم ، وسيريهم الله أعمـالهم حسرات عليهم . وإن غدا لناظره قريب .

وإننـا ـ جماعة العلماء بمصر ـ نعلن بالغ استنكارنا لهذه الأحداث الأليمـة الجارية فى أرض العراق ، ولمـا أصاب إخواننا العلماء والزعماء وسائر أبنائنا الأبرياء من السجن والتشريد وإراقة الدماء ، ونهيب بأولياء الأمور فى العراق ـ باسم الأرحام وبحق الروابط التى تجمع بيننا ـ أن يعملوا على درء هذه المحنة ومحو آثارها، جمعا للـكلمة، وتوحيدا للصفوف أمام عدونا المشترك الذى سفر كيده وخاب سعيه .

نسأل الله أن يؤلف بيننا، ويقوى وحدتنا ، وأن ينفى عن بلادنا الدخلاء ، وينصرنا على الأعداء ، ويؤيد زعماءنا ويوفقهم دائمـا للسـداد ، فى العمل لمجـد العروبة وعزة الإسلام ، إنه وحده ولى التوفيق ، والهـادى إلى سواء السبيل ؟

الندم والتوبة

— ٢ —

إذا أقدم المرء على خطيئة أو ارتكب جريمة ففكر فيها فشعر بألم نفسى لتلك الجريمة، وبوخز الضمير لما ترتب على هذه الخطيئة من نتائج وآثار، فذلك الألم النفسى هو الندم أو تأنيب الضمير كما يسميه المحدثون من علماء الأخلاق.

فان انتقل المذنب خطوة أخرى بأن حمله ذلك التأنيب على إصلاح نفسه والابتعاد عن مثل تلك الخطيئة وما شابهها فى المستقبل فقد أخذت التوبة تدب فى نفسه.

فالندم الحقيقى هو أساس التوبة المقبولة.

وإذا صدر الندم بعد تدبر للذنب ومعرفة بالخطيئة واعتراف بها فانه حينئذ يكون الخطوة الحقيقية للتوبة المقبولة.

ولعمرى إذا لم يعترف الإنسان بذنبه لا يمكن أن يندم ندما صحيحا، وإذا لم يندم لا يمكن أن يتوب؛ وعم يتوب إذا لم يعترف بأنه قد ارتكب إثما.

ولعل مغالطة الإنسان نفسه فى أنه قد ارتكب إثما وتلكؤه فى الاعتراف بخطيئته مما يفسر لنا أن توبة كثير من الناس لا تبلغ غايتها ولا تؤتى ثمرتها.

وفى الحق ان الاعتراف بغير توبة أفضل من التوبة بغير اعتراف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الندم توبة» [1].

وفى قصة آدم وخروجه من الجنة بذنبه «... يا آدم، أنين المذنبين أحب إلينا من تسبيح المدلين» [٢].

وروى عن بعض السلف أنه قال: «ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه، وباك نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه» [٣].

---

[١] أخرجه ابن ماجه فى الزهد، والطبرانى فى معجمه الكبير، وأبو نعيم فى الحلية.

[٢] أدب الدنيا والدين ص ٨١

[٣] مدارج السالكين لابن القيم ص ١٦٧. وقريب منه فى تفسير الآلوسى عند قوله تعالى: «تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم».

ويعزى للخليفة المأمون أنه قال : « الاعتراف نصف التوبة » [١] .

وفلاسفة الغرب يقــولون فى أمثالهم : « الاعتراف نصف الموقعة » يعنون الموقعة النفسية التى تنشب بين المرء ونفسه فى محاولة إصلاحها .

علامة الندم :

وكلما طالت الحسرة والحزن وكثر التفــكير فى الذنب والخوف من الله تعــالى كان ذلك عــلامة الندم الصحيح ، وكلما كان تألمه أشــد كان تكفير الذنوب به أرجى ؛ فاذا تمــكنت مرارة الذنوب فى القلب بدل حــلاوتها فاستبدل بالميل إلى الذنوب كراهيــة وبالرغبة فيها رغبة عنها ، فقد وجد الندم الصحيح الموصل للتوبة المقبولة .

ولا يجوز أن يكون ترك المعصية من غير ندم عليها سبيلا موصلا للتوبة « فأن الماجن إذا مل مجــونه واستروح الى بعض المباحات غــير نادم على فارط الزلات وكان على عزم معاودتها فهذا يسمى تاركا للزلة ولا يسمى تائبا عنها » [٢] .

المبادرة إلى الندم واجبة :

والتندم على ما فرط والتحسر عليــه أمر واجب دعا إليه العقل وأمر به الشرع ؛ فالعاقل إذا فرط فى أمر أو فعل ما لا ينبغى ـ تحت تأثير حالة ما ـ فسرعان ما يبادر بتدارك ما فات وتلافى ما فرط ، والله تعالى يقول : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

أما أولئك الذين لا يندمون أو يسوفون ويصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لا يشعرون ، فانهم قوم ألغوا عقولهم وأبوا أن يأخذوا نصيبهم من رحمة الله وغفرانه .

على أن بعض الناس قد يقل الإحساس عندهم أو يتبلد شعورهم بالألم والندم من كثرة ما اقترفوا من ذنوب واجترحوا من آثام ، مثل أولئك الذين اعتادوا الإجرام فهم لا يبالون بمــا يقترفون ولا يكترثون بمــا يجترحون .

---

[١] أدب الدنيا والدين ص ٨١ .

[٢] الارشاد للامام الجوينى .

وهؤلاء قلما يندمون ، وبالتالى قلما يفكرون فى التوبة . وأمثال أولئك هم الذين عناهم الشاعر الحكيم حين قال :

أبنى إن من الرجال بهيمة ... فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة فى ماله ... وإذا يصاب بدينه لم يشعر (١)

أثر الندم فى تقويم السلوك :

وللندم الصحيح أثر عظيم فى تغيير سلوك الإنسان من سيئ إلى حسن ، ذلك أنه يعظم الخطيئة لدى فاعلها ويعرض ما ترتب عليها من مغبات وآثام ، ويصور ما سيترتب عليها من أسوأ الآثار، وكثيرا مايرتبك حاله وتضطرب أعصابه وينقبض صدره ، فلا يرى ملطفا لحالته إلا أن يتوب ؛ فالندم الصحيح مانع من مقارفة الذنب والإقدام عليه مرة أخرى (٢) وربما حمله ندمه على ذنبه هذا على ترك ذنب آخر يفعله .

وإذا سلك هذا المسلك المرضى فقد قوى الأمل فى إصلاحه ، وغدا بغيضا لديه اقتراف الذنوب والانحراف عن الجادة والصراط المستقيم ، وبذلك يصل إلى حيث يريد أن يرى نفسه . قال تعالى : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » .

النـدم قد لا يجدى إجداء عمليا :

على أن الندم أحيانا قد لا يجدى إجداء عمليا من حيث الأمر الذى وقع والذى من أجله يندم النادم ؛ فماذا يجدى ندم القاتل بالنسبة إلى المقتول ؟ أيستطيع أن يعيد إليه حياته ؟ كلا ليس هناك سبيل إلى تدارك الماضى وإصلاحه . ولكن هذا لا يمنع الجانى من أن يندم ، وأن يكون ندمه عميقا يتكافأ مع فداحة الخطيئة التى أخطأها .

نعم لا يستطيع القاتل أن يعيد إلى القتيل حياته ولا أن يعوضه من تلك الحياة شيئا كائنا ما كان ، فهذا سبيل قد أوصد بابه فى وجهه تمام الإيصاد ؛ فقد سبق السيف العزل .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٨٦ .
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٤ .

ولكن هذه الاستحالة نفسها قد تكون من أكبر الدواعى لشدة الألم وعمق الندم، فاذا انبثق فى نفسه نور الهدى واشتعلت نار العزيمة ـ عزيمة أن يغير من تلك النفس الشريرة ـ وأن يعترف بحق الحياة لغيره ، وألا يسلك فى المستقبل مسلكا يكون من شأنه أن يوقعه ثانية فيما وقع فيه أولا، فهو تائب من غير شك على شرط ألا يعود ، أو بالأحرى على شرط ألا يكون فى نيته أن يعود ، وإلا كان هازئا مستهزئا . قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفور رحيما » .

ويصون توبته ويتـ ـرك غير ذلك لا يصونه
واحق ما صان الفتى ورعى أمانتـه ودينه

قد يحدث النـدم حتى مع عدم تحقق الجريمة فعلا :

ولقد يحدث الندم الموصل للتوبة حتى مع عدم تحقق الجريمة فعلا ؛ هب شخصا كان قد اعتزم أن يفعل ما يضر بالعامة ويغضب الله تعالى : كأن يقتل أو يسرق أو يشهد شهادة زور ليلبق بها متهما بريئا فى أعماق السجون ، وهبه مرض يوم اعتزم رغبته الخاطئة الآثمة فلم يستطع تنفيذها ، ثم فكر فى الأمر مليا فأدرك خطورة الموقف وفظاعة الجريمة التى كان سينزلها بانسان مظلوم غافل، ومقدار النقمة التى كان سيستنزلها من الله بعمله هذا، فحمد الله على ذلك المرض الذى عاقه من القيام بذلك العمل الذميم ، وشكر ذلك الظرف الذى جعل تنفيذ جريمته غير ممكن ، والذى نجاه من هوة سحيقة كان على وشك أن يهوى إليها .

إذا اتعظ بكل ذلك فأقام حول أفكاره سورا منيعا يمنع سيئ الرغبات أن تتسرب إليها وألجم شهواته وكبح جماحها وأصبح لا يرحب بفكرة لا يقرها ضميره ولا يرضاها دينه، إذا فعل ذلك فقد تاب ذلك الشخص وأناب (١) ٤٠

« يتبع »

أبو زيد شلبى
الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] مذكرات الأخلاق للدكتور مهدى علام .

تصحيح خطأ مشهور :

الرسول وانشاد الشعر

كثيرا ما يتناقل المؤلفون آراء واهنة ، يخلع عليها القدم والتكرار رسوخا تتأصل به فلا تميد ، والأديب الناشئ من الشداة يطالعها فى بخر حياته الأدبية مترددا بين التصديق والتكذيب لظهور ضعفها المتهافت ، ثم لا يزال يراها تنتقل بعد فى شتى الكتب والصفحات ، فيميل بها إلى التسليم حين تصبح بتكرارها المتكاثر حكما مبرما لا يقبل النقض والتفنيد ، وإذ ذاك تتلمس العلل المريضة لتأييدها وتدعيمها ، ولو نظر إليها نظرة فاحصة لأمكن استشفاف زيفها الشائن واختلاقها المريب .

لقد قرأت فى مطلع حياتى الأدبية أنباء تجزم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم وزن الشعر حين ينشده ، فاذا أنشد مثلا قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أنشده هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار

وإذا أنشد قول العباس بن مرداس :

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

أنشده هكذا :

أتجعل نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

وكنت حين أقرأ ذلك أقول فى نفسى : يا سبحان الله ! أيكون أفصح خلق الله لسانا وأنصعهم بيانا وأكملهم حديثا غير قادر على إلقاء بيت من الشعر ! ! لأن الله عز وجل يقول « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ! ! وهل نفى التعليم ينصب على الإلقاء كما ينصب على التأليف ؟ ؟ فيكون إنشاد الشعر الصحيح سبيلا إلى معرفة نظمه وتكوينه ! ! وهل

كان كل راو للشعر ملم بصحة أوزانه وقوافيه شاعرا ينظم القصائد ويصوغ الأبيات ! ! ؟
أسئلة تتردد على لسانى وتتزاحم فى خاطرى فأميل إلى اتهام الروايات السابقة متعللا بما يقع فيه الكثيرون من تساهل فى النقل ، وسرد للخبر دون تمحيص ، وهأنذا أجد الأعوام تمر ، وما تزال الكتب الحديثة تنقل عن الكتب القديمة هراءها الزائف مما لا يركن إليه عقل ، أو يتقبله صواب ، والأنكى من ذلك أن يتخذ هذا الحصر الشائن دليلا على نبوة رسول معجزته الفصاحة والبيان ، وحجته المنطق واللسان ! ! هذا الإجماع الكاثر من القدامى والمحدثين على قبول ذلك ، جعلنى أناقش المسألة من جديد ، فعسى أن ينتهى بنا النقاش إلى رأى مريح ! !

وواضح أننا نتكلم عن الإنشاد لا الإنشاء ، فنحن معترفون أن الرسول لم ينظم بيتا واحدا مصداقا لقول الله ، وموافقون تمام الموافقة على أن ما ورد من مثل قوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

فانما جرى ذلك على لسانه عفوا بادئا من غير ارتصاد لنظمه ، أو احتشاد لصوغه ، ونظيره فى ذلك ما جاء بالقرآن الكريم من بعض الآيات التى يمكن أن تنسب إلى بحر من البحور ، دون أن تساق مساق الشعر بحال ، فهى فى موقعها من الكتاب نثر صريح لا يأتيه الشعر من قريب أو بعيد ، ذلك ما نحرص على تأكيده كيلا يلتبس الأمر بين الإنشاء والإنشاد أو بين التأليف والإلقاء فى مجال التمحيص .

نحن نعلم أن الرسول قد انصرف عن النظم كيلا يظن ظان أن كتاب الله شعر يتدفق على لسان شاعر ، فشاء الله أن يكون رسوله هاديا بخطبه ، وداعية إلى الله بحديثه ، فهو لا ينظم ولا يمق قافية ، إذ أن صاحب الدعوة فى حاجة إلى توضيح مذهبه ، وإرشاد قومه ، ومناقشة خصومه ، ببيان واضح ، لا يجنح به الشعر عن الدقة والتحديد إلى المبالغة والإغراق ، ولا يميل به عن الواقع المشاهد إلى الخيال الشارد البعيد ، فاذا كان فى كلامه تأثير أخاذ فهو تأثير الحق الأبلج والمنطق السديد ، واللفظ البليغ ، لا تأثير القافية الخلابة ، والبحر الصادح ، ولا نعنى بذلك أن نثر محمد صلى الله عليه وسلم بعيد عن التأثير

الوجدانى والإيقاع الموسيقى ، بل نقول إن الشعر ميدان ذلك وموضوعه ، فصاحبه غير مطالب بدقة أمينة أو تحديد أكيد ، تلك مشيئة الله فى بعد محمد صلى الله عليه وسلم عن نغم القصائد ورنين الأوزان ، ولـكن ما مشيئته فى أن يكون رسوله غير قادر على إنشاد بيت من الشعر قاله شاعر سواه ؟ ! . لنسمع ما يقوله الأديب الـكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى تعليل ذلك نقلا عن تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ٣٢٦ :

« والذى عندنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع إقامة وزن الشعر فى إنشاده إلا لأنه منع من إنشائه ، فلو استقام له وزن بيت واحد لغلبت عليه فطرته القوية ، فمر فى الإنشاد وخرج بذلك لا محـالة إلى القول والاتساع ، والى أن يـكون شاعرا ، ولو كان شاعرا لذهب مذاهب العرب التى تبعث عليها طبيعة أرضهم ... ثم لا يكون من جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة وعما هو أزكى بالنبوة ، وأشبه بفضائل القرآن . . . لأنه تعالى يعلم من غيب المصلحة لعباده أنه صلى الله عليه وسلم لو أقام وزن بيت لأمال به عمود الدين ، ثم لتصدع له الأساس الاجتماعى العظيم الذى جاء به القرآن » .

وكلام الأستاذ الرافعى ـ رحمه الله ـ هو لباب ما يقوله رفقاؤه ممن يذهبون إلى عدم استقامة الإنشاد على لسان الرسول ، وقـد حرصنا أن ننقل عنه دون غيره ، لأنه أفصح بيانا وأحدث زمنا من سواه . ونحن نعجب كل العجب لقوله إن إلقاء بيت صحيح أدعى إلى نظم مثله ، لأننا نرى من كبار أساتذة الأدب فى أرقى كلياته ومعاهده ، من ينشدون آلاف الأبيات الصحيحة ـ فضلا عن حفظها ـ ثم لا يستطيعون أن ينظموا بيتا واحدا من القريض ، فـكيف يكون إنشاد البيت الصحيح مدعاة النظم الصحيح ، وكيف يقول الـكاتب البليغ إن الرسول لو أقام وزن بيت لأمال به عمود الدين ، إذ ينصرف إلى الشعر تاركا ماعداه ، وهذا عمر بن الخطاب ـ بله رسول الله ـ قد أكثر من رواية الشعر ونقده والحـكم على قائله ، فما شغله ذلك عن إقامة دولة إسلامية ، ذات أمجاد باهرة وفتوح عظيمة ! ! ألا تعجب لرسول الله أن تحضر مجلسه وفود العرب من شتى القبائل ، ونازح الأصقاع ، فيحدثها أفصح حديث وأشهاه ، ثم يستشهد ببيت مشهور لطرفة ، فيخرج على لسانه مختل الأجزاء ، مضطرب الألفاظ ، وهل سيصدق هؤلاء ـ وفيهم أعداؤه ـ أنه يكسر البيت كيلا يقدر على نظم مثله فيصير شاعرا ! وهم يرون خطباءهم فى الجاهلية والإسلام يرمون بالخطب الطوال ، ويستشهدون بأبيات تؤكد معانيهم وأغراضهم ، فلا يلحقهم هذا الاستشهاد الصحيح بطائفة الشعراء !

على أن كتب السيرة تجمع على أن رسول الله قد أنشد أبياتا صحيحة متوالية من الرجز لعبد الله بن رواحة يوم الخندق !! فماذا يصنع المنكرون فى هذا الإجماع ؟ لنسمع الأستاذ الرافعى يقول فى كتابه السالف ص ٣٢٤ :

« إن الرجز فى أصله ليس بشعر، وإنما هو وزن كأوزان السجع، وهو يتفق للصبيان والضعفاء من العرب ، يتراجزون به فى أعمالهم وفى لعبهم وفى سوقهم ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء » ونحن نعلم أن جمهور الأدباء قد جعلوا الرجز شعرا ، فاذا مال الأستاذ الرافعى إلى عدّه من غير الشعر ، فلنأخذ من قوله حجة عليه ، ولنقل له : إن الرسول قد أنشد رجز ابن رواحة إنشادا صحيحا أكثر من مرة ، فلماذا لم يكن إنشاد الرجز سبيلا إلى نظمه حتى يتخوف من إنشاد الشعر الصحيح ؟! ولماذا لم يقل أعداؤه من كفار العرب إنه صار رجازا لأنه أنشد أبياتا صحيحة من الرجز دون كسر واعوجاج ؟ لقد روى البخارى ومسلم أبيات ابن رواحة ونقلها ابن كثير فى البداية والنهاية حـ ٤ : ٩٦ فهل نجد بعد ذلك مبررا لنقيض ذلك فى الأبيات من الشعر دون أن نعرف لذلك مقنعا يرضى الأفهام ؟!

ولقد وقع هؤلاء المنكرون فى مأزق حرج ، حين وجدوا الرسول يقول : « أصدق كلمة قالها لبيد : ألا كلّ شىء ما خلا الله باطل » فهبوا ينتحلون المبررات ويزعمون أن ذلك ليس بشعر !! لماذا ؟ لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكمل البيت ! وإذن فقد تحول الشطر المظلوم من الشعر إلى النثر دون إبطاء وإمهال ! مع أن من يسمعه منفصلا عن عجزه يعلم أنه كلام تام مفيد من بيت مشهور !! فهو شعر لا محالة ! ونحن نستشهد فى مقالاتنا وخطبنا بأشطار من الأبيات تجرى مجرى الأمثال ، بل نستشهد أحيانا ببعض الشطر لا كله ، فلا يمنع ذلك أحدا من أن يقول إنه استشهاد بالشعر !! وهبنى قلت فى بعض الحديث عن الفضائل (وإنما الأمم الأخلاق) أفلا يطير ذهن القارئ إلى شوقى مدركا أنى استأنست بشعره !! إنما يكون الشطر الواحد غير شعر إذا أنشأه المتكلم إنشاء فى حديثه عن غير قصد ، يجرى على لسانه موزونا كما يتأتى الوزن فى بعض آيات القرآن !! هنا نقول بحق : هذا ليس بشعر ! لا أن نقول ذلك عن شطر طائر الصيت تتناقله الألسن عن شاعر مشهور كلبيد !.

ومن العجيب أن كتب السيرة قد أجمعت على حب الرسول للشعر النبيل وتعظيمه إياه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة ! ولعمرى لو عكس الرسول السياق فقال : إن من البيان لحكمة وإن من الشعر لسحرا ،

لغلب على هؤلاء المنكرين تعسفهم ، وقالو إن الشعر سحر ، والسحر حرام ، فلا ينشده الرسول ، ولكن الحمد لله ، فقد جعل محمد صلى الله عليه وسلم منه حكمة بالغة تقابل بالإذعان ، ومن ذا ينكر أنه صلى الله عليه وسلم نصب لحسان بن ثابت منبرا بالمدينة يترنم عليه بتمجيد الدعوة الإسلامية وذم أعدائها من المشركين ، ثم قال له : « قل وروح القدس معك ، فان شعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام » ! ! وكان من شعرائه غير حسان : كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، والنابغة الجعدى ، بل إن كعب بن زهير حين ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، لم يجد غير الشعر قلادة رائعة يتقدم بها إلى الرسول فعفا عنه ورد عليه أمنه ، وأهداه حباءه ، كما أنشدته قتيلة بنت الحارث أبياتها فى النضر ، فتأثر كثيرا بما سمع ، وقال : لو سمعت هذا الشعر قبل مصرعه لعفوت عنه ! ! أفلا يستقيم على لسانه بعد ذلك كله شعر يتغلغل فى أعماقه ، وينساب فى جوارحه ، فيرده إلى الرضا بعد الغضب ! والصفح بعد العقاب ! ! مع أن من كره شيئا عاداه ! !

وقد اتخذ بعض الكتاب من انصراف الرسول عن الشعر دليلا على ضعته وهوانه ، ووقفوا عند قول الله : « والشعراء يتبعهم الغاوون » كما يقف غيرهم عند قوله : « لا تقربوا الصلاة » ، فذكروا شيئا ونسوا أشياء ، ثم اندفعوا يشنون حربا طاحنة على هذا الفن الجميل ، ومضى صاحب العمدة يناقشهم القول ، ويفحمهم بالحجة إذ يقول : « لو كان فى امتناع الرسول عن الشعر غض منه لكانت أميته غضا من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد » ورحم الله ابن رشيق فقد أجهد نفسه فى الصفحات الأولى من كتابه إجهادا يعرفه أصحاب الفضل لذويه ! كما حاول أن يعقب على ماروى أبو هريرة عن رسول الله أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا » فقال فى تعقيبه : « هذا فيمن غلب عليه الشعر وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن » اﻫ ، ولو تأخر زمن الكاتب إلى هذا القرن ، لطالع مخطوطا طبع للزركشى تحت عنوان : (الإجابة ، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) فعرف أن عائشة قالت : لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به » فكأن أبا هريرة رضى الله عنه لم يحفظ بقية الحديث .

وبعد ، أفترانا فى حاجة إلى الدفاع عن فصاحة الرسول حتى نضطر إلى تحبير هذا المقال ، أم اننا نجول فى غير مجال ؟

محمد رجب البيومى

وا أسمـــــراه !

أى نخـار فقــد الأزهر وأى خطب جلب الأسمر ؟!
الشاعر المبدع ، والكاتب المـ ـتع ، والأروع الأزهر [١]
مضت به فاجعـــة بخـأة فاضطرب المحراب والمنـبر
دين الهدى قـد مات حسانه فمن له : ينشر أو ينصر ؟ !

* * *

يا بلبـــلا فارق أعـواده وراح منه روضـه يصفر
ومطربا ، فى حر إبداعه تحطم الأوتار والمزهر [٢]
وطـاقة ، من طرف نسقت بين الثرى ، فى قسوة ، تنثر [٣]
وعبـــقريا ، عز أمثاله لم يحمـه من حتفه عبقر
آه على تلك الحـلى كلها فى حفرة موحشة تقبر !

* * *

أف لهـذا العيش ، يلهو بنا والشر فى أفعاله مضمر
يروق منـه مظهر خادع وينثنى يصـــدمنا مخـــبر
عرفته يختال ، فى وجهه بدر ، وفى أثوابه قسور !
فـكل شىء حـــوله باسم وكل عـود مسـه أخضر
يسـتنزل الدهر على حكمه ويقهر الدهر ، ولا يقهر

---

[١] الاروع من الرجال : الذى يعجبك حسنه ، والأزهر : الابيض المشرق الوجه .
[٢] المزهر : العود .
[٣] الطاقة : ما يسمى فى اللغة الدارجة : الباقة أو الصحبة .

ثم ذوى ؛ فالشمس مغبرة والعيش مر ، والصفا أكدر
آمنت بالله وآياته فى كل ما يخفى وما يظهر !

* * *

يا صاحبى ؛ معذرة ؛ إننى غادرنى خطبك لا أشعر !
ذكرنى فقدك أيامنا تلك اللواتى بالصفا تزخر
رعى الرفاق الغر روض المنى فيها ؛ وحياها الصبا الأنضر
يدور فيما بيننا عندها ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها إلا حديثا قلما يذكر

* * *

لا تأس ؛ هذا عالم محدث مبالغ فى التيه ، مستكبر
ضاق ؛ فلم يبق لنا موضع فيه ؛ ولم يبق لنا معشر
أحياؤنا فيه كأمواتنا ليس لهم فى الفن ما يؤثر
« سلامة » يحقر آدابنا ولا ينى من شعرنا يسخر [١]
هذا الغليظ الأعجمى الذى بكل عرف فاضل يكفر
أليس فى الموت لنا راحة من موقف فى الهون يستنكر
ينالنا البغى ، ولا دافع ويشتفى منا ولا نثأر ؟ !

* * *

نم هانئا ، إنا على موعد يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدنك الله من راحل بالظرف والإحسان يأسمر !

عبد الجواد رمضان

---

[١] هو : سلامة موسى ، الكاتب المعروف ، الذى اعتاد الطعن فى الأدب العربى ، قديمه وحديثه ، فى مناسبة وفى غير مناسبة .

التاريخ السياسى للدولة العربية

هذا عنوان كتاب جديد للدكتور عبد المنعم ماجد ، مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة عين شمس . وقد رأينا أن نكتب عن هذا الكتاب لأنه يثير فى نفس قارئه مسائل حيوية تهم البحث والتاريخ على السواء .

والمؤكد أن كتابة التاريخ فن إلى جانب أن التاريخ ذاته علم . وإذا كانت المادة العلمية لازمة لكتابة تاريخ دقيق ، فان العقل الهاضم والروح المتمثل لازمان لصياغة هذه المادة .

والتاريخ السياسى للدولة العربية ليس موضوعا جديدا فى التاريخ يطرقه الدكتور ماجد لأول مرة ، وهو نفسه يعترف بذلك ؛ فقد كتب هذا التاريخ مرات ومرات . كتبه المؤرخون القدماء ، وكتبه المحدثون ، الشرقيون منهم والمستشرقون ؛ فما الذى حمل المؤلف إذن على تأليف هذا الكتاب ؟ إنه يقول : إننا « ينقصنا عرض دقيق لتاريخ الدولة العربية على أساس منهجى صحيح ، فضلا عن أننا ـ أى المؤلف ـ وضعنا نصب أعيننا الاعتماد على مصادره الأولى من وثائق وآثار ونقوش ومسكوكات ، وهى مصادر لم تستغل فى البحث التاريخى الإسلامى إلا منذ عهد قريب » . وهذا القول يلخص لنا فى وضوح الدافع لكتابة هذا التاريخ فى سببين : استخدام منهج ، ومادة طريفة .

والواقع أن كل التأليف لا يخرج عن أن يكون منهجا ومادة . وفى كتابة التاريخ يكون المنهج روحا والمادة وقائع وحقائق . والتكامل الحيوى يقتضى امتزاج الروح والمادة . فالى أى حد تحقق هذا التكامل فى هذا الكتاب ؟ وهل يمكن أن نعدّه إضافة لكتابة التاريخ الإسلامى كنا نحتاج إليها ؟

أما فيما يختص بالشطر الأول من هذا التساؤل فنستطيع أن نقول : إن المادة فى هذا الكتاب وفيرة وفيرة إلى الحد الذى كادت تطغى فيه ـ إن لم تكن قد طغت فى الواقع ـ على المنهج بشكل ملموس ؛ فأنت حين تقرأ الكتاب لا تملك إلا أن تحس

بالمجهود الضخم الذى بذله المؤلف فى جمع مادته . ويدلك على ذلك أنه يندر أن يمر بك سطر من هـذا الـكتاب دون أن يكون المؤلف قد رجع فيه إلى مرجع ، وأحيانا إلى أكثر من مرجع . وكثير من صفحات هذا الـكتاب يبلغ عدد المراجع المثبتة فى هامشها أربعة عشر مرجعا . فالكتاب على هذا النحو مشحون بالمـادة ، مشحون بالإحالات . وقد يتساءل البعض هنا : هل هذا محمود فى التأليف ؟ وما جدواه ؟ . أما أنه محمود أو غير محمود فهذه مسألة تتوقف على مدى الضرورة الملحة لهذه الشحنة الهائلة من المراجع التى تـكتظ بها كل صفحة . أهذه الإحالات فى هوامش الصفحات تشير إلى ورود مادة جديدة فى صلب الـكتاب ؟ أهذه المـادة من الأهمية بحيث ينبغى النص على مصدرها ؟

إننا إنمـا ننص فى الهوامش على مراجعنا فى البحث فى حالات معروفة لا بأس من النص عليها هنا وهى :

أولا : عند العثور على مادة جديدة لم يقع عليها السابقون فى بحث الموضوع المطروح .

ثانيا : عند إيراد رأى جديد له طرافته لأحد الباحثين فى الموضوع .

ثالثا : عند إيراد رأى مخالف لرأينا أو ليست له وجاهته على وجه العموم .

رابعا : عند إيراد آراء الطرفين المتنازعين حـول الموضوع ، إذا كان فيه تنـازع واختلاف فى وجهات النظر .

خامسا : عند إيراد رأى أو الاستعانة بمـادة لتعزيز حجتنا .

وسأضع الآن بين يدى القـارئ نموذجا من هذا الـكتاب ليجيب معى عن تلك الأسئلة ، ولنرى معا أكان النص على المراجع ضرورة من الضرورات الخمس التى أوضحناها . يقول المؤلف : « . . . كان على البـدو أن يخضعوا لواحـد منهم يرشحونه للرياسة ، تـكون مهمته الأصلية الإبقاء على وحدة جماعتهم ، ويسمونه لذلك (سيد) (١) أو (رئيس) (٢) أو (شيخ) (٣) أو (أمير) (٤) ، فكانوا يختارونه بما وقر فى نفوسهم نحوه من قوة شخصيته وتجربته (٥) ، أو من شجاعته (٦) فى الدفاع عن جمـاعته ، أو حتى لغناه ، حين لا يكون أحد آخر أغنى منه (٧) ، ومهما يكن سبب اختياره فانه كان يجب أن يتصف بصفات منها شيمة (الحلم) (٨) التى تجعله يتكلم بتؤدة وهـو يمسح بلحيته الطويلة التى أصبحت تدل على سيد العرب (٩) ، وكذلك كان (الـكرم) (١٠) من أهم الصفات المطلوبة فى رئيس الجماعة . . . » الخ .

هذه الأسطر القليلة بهـذه المراجع الـكثيرة قـد شغلت الصفحة الثامنة والأربعين وجزءا من الصفحة السابقة عليها . ولم أشأ أن أنقل هنا هوامش الصفحة العشرة لأنها تشغل ثلاثة أرباعها ، والواقع أنه ليس مجرد الاقتصاد فى المـكان هو ما يمنعنى من نقلها، بل إننى أهدف من ذلك إلى عرض التجربة على القارئ أيضا ، وهى أن يسأل نفسه أكان يحتاج بحق إلى أى مرجع لأى حقيقة أو واقعة تضمنتها هذه الصفحة ؟ أيريد مرجعا على أن شيخ القبيلة كان يسمى « شيخ القبيلة » ؟ أم يريد مرجعا يصف هـذا الشيخ (بالحلم) ، ومرجعا يصفه (بالشجاعة) ، وآخر يتحـدث عن لحيته الطويلة ! . لست أظن أن بالقارئ حاجـة إلى شىء من ذلك ، وكل الذى حدث أن المؤلف الفاضل قرأ قراءات متفرقة كثيرة فى مصادر التاريخ الإسلامى ، وهو يريد أن يدل القارئ على هذه القراءات والمجهود الذى بذل فيها . وهذا ما أتصوره ، وإن كان المؤلف نفسه قد أطلعنى على وجهة نظره فى ذلك فقال : إن القارئ قد لا يحتاج إلى هذه المراجع حقا ، ولـكن الباحث يحتاج إليها . وما زلت فى الواقع غير مقتنع بأن أحـدا من الباحثين فى التـاريخ الإسلامى يحتاج إلى من يدله على مراجع تحـدثه عن شجاعة شيخ القبيلة وحلمه . حقا إن المؤلف قد قرأ كثيرا ونقل كثيرا ، ولـكن هناك حقيقـة تأليفية هامة لا أحسبها تغيب عنه وهى : انه ليس كل ما نقرؤه نثبته ، وليس كل ما نثبته نستخدمه فى تأليفنا .

وعلى هذا النحو اكتظ الـكتاب بالمـادة ، ولكن ألم يكن ذلك على حساب المنهج ؟ فقارئ الـكتاب يفتقد فيه روح التأليف ؛ يفتقد التمثل والهضم والصياغة المحـررة لتلك المـادة . فليس المنهج أن نكثر ما أمـكن من ذكر المراجع لمـا يستحق ومالا يستحق ، على زعم أن الأمانة العلمية والدقة تستدعى ذلك . وأقول : إن المنهج ـ قبل كل شىء ـ نظام فى التفكير قبل أن يكون نظاما فى التحرير . ومنهج هذا الـكتاب الذى نحن بسبيله غير واضح ، وإن كانت تغلب عليه النزعة السردية التقريرية . فقـد شغل إذن بالمـادة ولم يحفـل كثيرا بتوجيه هذه المـادة . ولعله من أجـل ذلك أن نجد الثلث الأول من الـكتاب ، الخـاص بالعصر الجاهلى ، لا يتناول من قريب أو بعيد الحياة السياسية للعرب فى ذلك العهـد ، ولـكنه يتـكلم عمـا يمكن أن نسميه التاريخ الحضارى Kulturgeschichte لهم ، وهذا ليس هدف الـكتاب .

ومن أهم آثار طغيان المـادة على المنهج أننا نادرا ما نصادف الروح النقـدية الذى

يجب أن يتسلح به كاتب التاريخ . وهناك أحداث كبيرة وخطيرة فى حياة العرب كانت فى حاجة لهذا الروح : فظهور الإسلام واقعة دينية كبيرة فى حياتهم ، ولكنها كذلك واقعة سياسية خطيرة تحتاج إلى تفسير . وكذلك تعد حوادث الردّة ظاهرة تحتاج إلى أضواء جديدة من التفسير . ومثلها ظاهرة الفتوح الإسلامية ؛ ففيها أكثر من رأى ؛ أكان الفتح بدافع دينى أم قومى أم اقتصادى . وفى الوقت الذى نجد فيه المؤلف يقول عن انتصار الدعوة الإسلامية على الشعور القبلى بعد أن قمع المرتدّون : « هذه القوة العربية التى أوجدها ووحدها تصميم أبى بكر سرعان ما انتشرت على الأرض ، واستطاعت فى سرعة البرق الخاطف الإطباق على البيزنطيين والفرس ، وهما أكبر دول العالم آنئذ ، بسرعة لم يعرف لها التاريخ مثيلا . . . » ص ١٦١ — إذا به يعود ليقول : « ولكنا لا نوافق بعض المستشرقين فى قولهم : إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الدينى ، وإن الحروب التى قاموا بها تعتبر حروبا دينية . . . » ص ١٦٣ . وقد استند فى رأيه الأخير إلى حرية العقيدة التى دعا إليها الإسلام نفسه ، فضلا عن عدم تغلغل الحافز الدينى فى نفوس الأعراب أنفسهم .

ثم يعود المؤلف ليثبت ما سبق أن نقضه فيقول : « أكبر الظن أن الدافع إلى هذه الفتوح يرجع على الخصوص إلى ارتفاع معنويات العرب بالدين الجديد » ص ١٦٦ . فالفتوح الإسلامية إذن كانت متأثرة بالدين الجديد مرة ، ثم غير متأثرة مرة أخرى ، ثم تعود لتكون متأثرة من جديد ، وهكذا . فعلى أى رأى ترى يستقر المؤلف ؟ .

وإذا كنت قد تحدثت عن منهج الكتاب ومادته فانه ينبغى ألا يفوتنى هنا أن أشير إلى الصياغة والتعبير . والواقع أن صياغة الكتاب بسيطة سهلة ، ولكن التعبير فيها يلتوى فى بعض الأحيان حتى ليحجب المعنى . ويكفى غرضنا هنا الإشارة إلى بعض هذه التعبيرات .

فى ص ٨٩ يقول المؤلف عن واحد من ملوك الفرس الذين خربوا الحيرة : « . . نذكر منهم على الخصوص شهبور بن هرمز (٣١٠ – ٣٧٩ م) ، ويسميه اليونان Saqor الذى بسبب كثرة ما قتل من العرب عرف بذى الأكتاف » .

وفى ص ١٦١ يقول : « . . . إن جيران العرب الأقوياء من بيزنطيين – وهم ورثة

الرومان – فى شمال الجزيرة العربيـة ، والفرس فى شرقها ، كانا قادرين فى أيام قوتهما أن يحجزا العرب . . . » .

وفى ص ١٢٥ : « . . . إن الإسلام قد أوجــد صورة غير منـكورة من دين جديد مطبوع بالطابع العربى ، سرعان ما احتل مكانته المرموقة بين الأديان الأخرى . وقد كان النبي هو أول نمط من معتنقيه الذى نجد له مثيلا بعــد ثلاثة عشر قرنا من ظهور الإسلام » .

وبعد ، فان كتابة التاريخ الإســلامى – رغم كثرة ما كتب عنه فى العربية وغيرها من اللغات – تعد عملا شاقا أمام الباحث الذى يتطلع إلى إلقاء الأضواء الجديدة على هذا التاريخ . وما من شك فى أن المؤلف الفاضل قد كابد الـكثير من المشقات فى سبيل إلقاء هذه الأضواء على موضوع لم يترك فيه الباحثون ثغرة لباحث ؟

عز الدين اسماعيل

(المجلة) نشارك الأستاذ الفاضل كاتب المقال فيما تحـدث به عن منهج الـكتاب ، وإغراقه بالإحالات فيما لا داعى إليه ولا حاجة فيه إلى ذكر المرجع والشاهد . ولـكن عيب الـكتاب الأكبر – خصوصا فيما يتعلق بالصحابة – التنـكر إلى المصـادر السليمة الصحيحة لأخبار صدر الإســلام وفى طليعتها كتب السنة كصحيحى البخارى ومسلم ، والرجوع إلى المراجع الضعيفة بل المريبة ككتب الباطنية ومنها الدعائم ، وكتب الشعوبيين كالنوبختى وأضرابه ، والـكتب اللقيطة المكذوبة على المنسوبة إليهم كالإمامة والسياسة . وأعجب من ذلك تحدثه عن الإسلام كأنه أجنبي عنه ، ويا ليته تحدث عنه كأجنبي يحترم عظمة الحق ، ولو كان كذلك لمـا صــدر عنه ما جاء فى ص ١٢٥ وهو قوله بالحرف : « وقد كان النبي هو أول نمط من معتنقيه (أى من معتنق الإسلام) الذى نجـد له مثيلا بعد ثلاثة عشر قرنا من ظهور الإســلام » . ويا لله العجب ، من هو هذا المثيل الحامل أكمل رسالات الله الذى اكتشفه الدكتور عبد المنعم ماجد بعد ثلاثة عشر قرنا من ظهور الإسلام ؟ هل هو الباب الجـاهل المأفون ، أم البهاء الدجال ؟ وعلى احتمال أن يكون صواب العبارة « الذى لم نجد له مثيلا » وسقطت « لم » من الطبع ، رجعنا إلى جدول تصويب الخطأ فلم نر المؤلف يعتبر هذه الجملة الواردة فى كتابه إلا صوابا . وعلى كل حال فالـكتاب أشبه بالحصى فى المعدة ، لم يهضمه مؤلفه ، فأحرى أن لا يسيغه قارئه .

المؤمن الحق

المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وآمن بالقدر خيره وشره ، ونعنى بالإيمان بالله التصديق بوجوده سبحانه على ما هو عليه فى الواقع مما يدل عليه العقل والنقل : من تعاليه وتنزيهه عن سمات النقص ، واتصافه بجميع صفات الكمال الإلهى ، من عدم افتتاح وجوده وانتهائه ، فان الوجود الحق الذى يستأهل أن يسمى وجودا ولا يستأهل غيره من أنواع الوجود أن يسمى وجودا بالنسبة إليه . . .
إن الوجود الحق هو الوجود الذاتى الدائم فى ذاته الذى لايسبقه عدم ولا يلحقه فناء ، ولذلك لا يقاس بالزمان ، ولا يقدر بتعاقب الليالى والأيام ، فهو بذلك مخالف لسائر الوجودات ، لايجمعها معه نوع بل ولا جنس ، وإنما هى عبارات وألفاظ تلاقت ، والمعانى متباينة تمام المباينة ، وإذا كان هذا الوجود مخالفا لسائر الوجودات كان الموجود به مخالفا حتما لسائر الموجودات ، ومباينا لها فى سائر الصفات ، فهو الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو القادر المقتدر الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو الذى يتبع كل شيء إرادته ، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل ، وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو الذى يسمع الجواهر والأجسام ويبصر الخفى من الكلام ، وهو رب كل شيء ، وغيره ليس له من هذه الكمالات شيء ، اللهم إلا اسمها ، واسمها لا يغنى من الحق شيئا ، فمن صدق به هكذا كان مؤمنا به سبحانه ، ومن جحد من ذلك شيئا : كمن أنكر الوحدة مثلا كان غير مؤمن به وإن اعترف بالوجود وأقر بالقدرة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » فانهم كانوا يعترفون بوجود الله سبحانه وأنه الخالق كما قال الله سبحانه : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ومع ذلك ينسبون إليه الولد ، كما قال بعد هذه الآية بآيات ذكرت للاستدلال على وجوده وقدرته وعلمه : « وجعلوا له من عباده جزءا » أى ولدا إذ الولد جزء أبيه « إن الإنسان لكفور مبين » أى جحود للنعمة ، والكفر أصل الكفران ،

فقد حكم بكفرهم وهم معترفون بالوجود والخلق، لأن هذا وحده لا يكفى فى أنهم مؤمنون، وإنما يكفى أن يصدقوا بوجوده على ما هو عليه فى الواقع ونفس الأمر .

ونعنى بالإيمان بالملائكة التصديق بأنهم كما قال الله : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، بل هم صنف من المخلوقات ترتفع عنهم هاتان الصفتان ويكفر من يجعلهم إناثا ، كما قال الله تعالى ناعيا على الكفار هذه العقيدة حيث يقول : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا » وقال : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون » وهم خزاعة وكنانة، كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ولهم البنون، ألا ساء ما كانوا يصنعون . ثم إن الملائكة لا يخالفون أمر الله أبدا ولا يعصونه فى شىء لأنهم معصومون .

أما إبليس عليه اللعنة فلم يكن من الملائكة بل كما قال الله تعالى : « كان من الجن ففسق عن أمر ربه » واستثناؤه من الملائكة المفيد بظاهره أنه منهم لم يكن لأنه منهم حقيقة، بل لأنه كان منغمسا فيهم مغمورا بالعبادة فيما بينهم ، فغلبوا عليه لما له من صفة تشبه صفتهم ، واستثنى هو منهم وإن كان من الجن ، ولذلك وقعت منه المعصية ، بل أكبر المعاصى على الإطلاق ، حيث أبى واستكبر لما أمره ربه بالسجود لآدم فكان من الكافرين .

ثم هم بعد ذلك طوائف كثيرة أقسم الله فى الكتاب الكريم بكثير منها كقوله : « والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا » وقوله : « والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا » وقوله : « والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا » قال فى (روح المعانى) بعد أن حكى خلافا فى حقيقة الملائكة : « وهى عندنا منقسمة إلى قسمين : قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق سبحانه والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلويون والملائكة المقربون ، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم المدبرات أمرا ، فمنهم سماوية ، ومنهم أرضية ، ولا يعلم

عددهم إلا الله » . هؤلاء هم الملائكة وهذا حالهم ووصفهم ، فمن آمن بهم على غير هذا النحو لم يكن مؤمنا بهم وإن أقر بوجودهم .

ونعنى بالإيمان بكتب الله أن نعتقد أن لله كتبا أنزلها على أنبيائه لهداية البشر بها بما تضمنته من بيان الحلال والحرام والحكم والأسرار ، والمواعظ الحسنة ، والنصائح الحكيمة ، وكل ما فيها حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجميعها كلام الله سبحانه دال على صفته القديمة ، واختلف العلماء فى عدتها ، والمقطوع به منها التوراة المنزلة على سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم ، والإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، والزبور المنزل على سيدنا داود صلى الله عليه وسلم ، والقرآن العظيم المنزل على رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وفيها جميعها أمر الله ونهيه ووعده ووعيده عدا الزبور فانه كان ثناء وأدعية . وأفضلها من حيث اللفظ المقروء المسموع القرآن ، فانه فى أعلى درجات الفصاحة وأقصى مراتب البلاغة ، وهو مصدق لها موافق لما فيها من التوحيد والعبادة : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » ومهيمن عليها وشاهد لها بالصحة والثبات لأنه لا يغير ولا يبدل إذ أخذ الله على نفسه سبحانه أن يحفظه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وبعد فقد نسخت جميعها به ، ولا يجوز التمسك بها بعد نزوله ، وما جاء فيه من الأحكام موافقا لما فيها منها فانما يجب علينا العمل به من حيث أخذه منه نفسه لا من أخذه منها هى .

هذا وقد روى الترمذى : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » . نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن فى الدنيا والآخرة ٤

وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار علماء الأزهر
ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

المصرى الناهض

أنا مصرى ، وهذا وطنى فوق عرش الشمس يعلو الشهبا
من يرد شرا به ذاق الردى من يعاديه سيلقى النوبا
أرضه الخضراء طابت جنة ومياه النيل سالت ذهبا
وعلى واديه شعب ناهض إن دعا داع ليوم وثبا

* * *

نحن أبناء الميامين الألى صنعوا المجد ، وسادوا الكوكبا
هذه الأهرام من آثارهم بقيت فى الدهر تطوى الحقبا
ونمتنا للمعالى أمة كرمت دينا ، وعزت حسبا
خفض الكون لنا هامته حين آمنا ، وصرنا عربا
فجمعنا المجد من آفاقه وبلغنا فى السماء الرتبا
ومضينا نملأ الدنيا هدى فرأى الناس فنونا عجبا
ووهبنا الغرب علما ناضجا والعلا وقف على من وهبا

* * *

غير أن الدهر يمضى بالفتى غير ما يبغى ، وكم شعب كبا
فتخلفنا ، ولكن لم نهن صمم الحر على أن يدأبا
كم أتى النيل عدو غادر فجعلناه عليه لهبا
فمضى والخزى يعدو خلفه يندب الحظ الذى قد ذهبا
سل (هولاكو) و (لويسا) بعده سل (فريزا) فى رشيد كم نبا
ثم (نابليون) فى سطوته كيف ردته عن الشرق ظبا

و (بنى التاميز) جاءوا خدعة لبنى النيل ، وساقوا الكذبا
أيدتهم فى احتلالى طغمة ركبت فى البغى ليلا غيهبا
لقيت مصر على أيامهم محنة كبرى ، وذلت سغبا
فرقوا الشعب ، وسادوا بينه فى الليالى السود حتى تعبا
سئم الذل وعافت أرضه بغيهم ، سبعين عاما كؤبا
فصحا العملاق من غفوته وتنزى فى دماه غضبا
رفع الفأس على أرؤسهم فاستكانوا ، ثم فروا هربا
شردتهم عن بلادى ثورة فتولوا عن رباها خيبا
ثورة الأحرار كانت صحوة فرق الصبح لديها السحبا
بعثت للنيل مجدا طارفا وغدت فى الشرق وعيا ملهبا
من رأى المصرى فى عزمته ظنه فى الأفق نجما ثقبا
ينشر العلم ، ويبنى مصنعا ويحيل الترب روضا معشبا
ويرد الحق من مغتصب ويعدّ الشعب جيشا لجبا
ويقيم الصخر سدّا عاليا وينمى المال صرحا أصلبا
تلك أمجادى سأبنى غيرها وسأرقى للمعالى سببا
همة لا يعتريها كلل وشعاع فى الدياجى ما خبا
أرهبت فى الغرب شعبا حاقدا وهدت فى الشرق عربا نجبا
جمعوا الشمل فعدنا أمة تذكر القربى ، وترعى الحسبا

* * *

دول الغرب استشاطت غضبا حين (أممنا) وضجت صخبا
وادعوا أن القناة ابنتهم فهى لم تعرف لمصر نسبا
كيف شقوها ؟ وملكى أرضها وبها قوت أخى قد غصبا
وأبى أجرى بها الماء ، وقد مات فى الحفر أبوه لغبا
وجدودى عمقوها فى الثرى كى يروا خيرا لها مرتقبا

هى رزقى ، هى روحى ودمى هى شريان حياتى اضطربا
أنا إن لم أحمها لم تلقنى فى جحيم العيش إلا حطبا
أنا إن لم أمتلكها أبدا عدت للأمس كما كنت هبا

* * *

أجمعوا الأمر بليل حنق وأعدّوا للصباح الشغبا
عبأوا الجيش ، عتادا طائرا وعلى البر ، وفى البحر ، ربا
ثم جاءوا ، خدعة مكشوفة فرأوا فى (بورسعيد) الكربا
لو ترى أجنادهم فوق الردى لرأيت الطير تعلو الحببا
ردهم عن مصر شعب باسل وسقاهم فى القتال النصبا
يئست قواتهم ، فاتخذوا (بورسعيد) مسكننا قد خربا
دمروها حين ضاعت خطة خسروا الشرق ، وخابوا مأربا
سوف يجلون ، وإلا طلبوا فى مياه البحر منا مهربا
سوف نذكيها ، فيفنى بينها كل وغد ، للدّما قد سكبا
سوف نمحو حفنة قد شردت من فلسطين الهدى والعربا
وسيبقى الشرق حرا آمنا ينشر النور ، وينضو الحجبا
وستبقى مصر ، شعبا ناهضا فوق عرش الشمس يعلو الشهبا

السيد سعد الأطروشى

الاسلام

يقول القس اسحاق تيلر من رؤساء الكنيسة الانجيلية :

« الإسلام ينشر المدنية التى تعلم الانسان مالم يعلم ، والتى تقول بالاحتشام فى الملبس ، وتأمر بالنظافة ، والاستقامة ، وعزة النفس . فمنافع الإسلام للانسانية لا ريب فيها ، وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها » .

سيف الله خالد

فى عهد النبوة

وضع الدين الإسلامى العظيم ما يكفل للناس أن يمثلوا خلافة الله فى الأرض ، فيقيموا العدل ويخفضوا الجور ، وهى مهمة الأديان السماوية من قبل . وصدق الله سبحانه إذ يقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » .

فحين يأبى الناس إلا ظلما وعدوانا (والظلم من شيم النفوس) فإنه يدفع بعض الناس ببعض « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

وإذا فالمجاهدون فى سبيل الله ونصر دعوة الحق : من خير من قاموا بنصيب موفور لخدمة الإنسانية وتحقيق خلافة الله على وجهها .

وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل العليا لكل معانى السمو فى الإسلام وعلى رأسها الجهاد ، بعد أن يأخذوا بحظوظهم من كل نواحى التوجيه الإسلامى الكريم .

ولقد كان السيد الرسول صلوات الله عليه ينظر فى مزايا كل منهم فيباركها لينفع بها المسلمين : فأرأف الأمة بالأمة أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبىّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأمين الأمة أبو عبيدة ، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد ، وهو موضوع حديث هذا الشهر .

ذلك القائد المظفر الموهوب الذى أخلصه الله لدعوة الإسلام بعد إذ طهره من رجس

الشرك ، فكان سلسلة مغامرات مؤمنة جريئة ، وآيات صدق مسلمة بريئة ، دلت أنها في معاداتها للاسلام كانت متورطة بحكم الجاهلية وتقاليدها الجائرة الجبارة .

فلئن تأخر إسلامه عن أقرانه أمثال عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن أبي وقاص من قبلهما ، فذلك لما كبله من أغلال أولئك الأشياخ وعلى رأسهم أبوه الذي كان من أكابر حكام قريش إن لم يكن أكبرهم ، والذي كانوا يلقبونه بالوحيد لما انفرد به من مزايا جاهليتهم ، والذي وصفه الله سبحانه فقال : «ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا) . قال الشعبي : إنه كان يملك ألف ألف دينار . وقال ابن عباس : تسعة آلاف مثقال . وقال الناس فيه الشيء الكثير جدا من عظمة الجاهلية ونخوتها .

وماذا عسى أن تقول في رجل كان أحد رجلين لا يرى الناس هنالك غيرهما أهلا للنبوة ، وقد بين الكتاب الكريم ذلك وسفهه حين يقول « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [١] أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » ، ولئن تأخر عن إسلام من سبقه من إخوته ، لقد كان ذلك لكونه أشد تورطا منهم ، فقد كان مرموقا في قومه من بني مخزوم ، وكانوا يولونه أمر القبة وهي مخازن الجيش وحاجياته ، وأمر الأعنة وهي الخيل والمركبات ، فما كان يستطيع وله هذه المراكز الخطيرة فيهم أن يسارع إلى دعوة الإسلام كما سارع غيره من إخوته .

على أن خالدا بقوة نفسه ، وصفاء روحه ، وذكاء عقله ، وسعادة جده ، لقد شاء الله ألا يكون من الطلقاء ولا أبناء الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة ، بل سبقت هدايته فذهب إلى النبي صلوات الله عليه مؤمنا به قبل الفتح ، وظفر بلقب الشرف قبله من رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيف الله » في غزوة مؤتة ، وظفر بشرف القيادة من السيد الرسول في جيش الفتح ، وإذا قلت الطلقاء وأبناء الطلقاء فلست أريد بذلك أن أضع من أقدارهم رضوان الله عليهم ، ولكني أشيد بفضل من سبقوهم ، ولا سيما إذا اطرد الإخلاص والصدق لدعوة الحق « وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

---

[١] قالوا : إن الرجل الثاني عروة بن مسعود الثقفي ، والقرية الثانية « الطائف » ، وقد هداه الله للاسلام رضي الله عنه .

نشأة خالد وأطواره

كانت ولادة خالد قبل البعثة النبوية بما يقرب من سبعة وعشرين عاما ، قياسا على سن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى كان يصارعه وهما صبيان [١] ، وولد من أبوين من أكرم قبائل العرب ، فأبوه الوليد الذى رأيت بعض الحديث عنه وكان من بنى مخزوم التى شرفتها قريش فى الجاهلية بالقبة والأعنة . وكان لهم وحدهم ثلاثون فرسا فى غزوة بدر ، ولقريش بقية المائة .

وكانت قريش عامة يعرفون فى العرب برجاحة الأحلام ، وكانت قريش تعرف هذا المعنى لبنى مخزوم ، وترجع إليهم فى الكثير من الأمر . وقد سبق كثير منهم إلى الإسلام ، وحسبك أن يكون فيهم من يأوى إليه الإسلام فى أول أمره كالأرقم بن أبى الأرقم بن عبد الله المخزومى صاحب الدار التى كانوا يعبدون الله فيها مستخفين .

وكان الوليد بن المغيرة مقدما فى بنى مخزوم بل فى قريش كلها حتى قيل إنه ادعى الرياسة بعد موت عبد المطلب ، وإنه كان يقطع يد السارق فى مكة فما يقاوم ، وكان يكسو الكعبة وحده عاما وتكسوها قريش عاما آخر ، وكان يطعم الناس وحده فى منى وينهى أن يشاركه فى ذلك أحد ، وكان وكان ، إلى كثير من صفات المجد التى حال دون استكماله إياها إصراره على الشرك ، وجموده على ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

على أن هذه الصفات جديرة أن تترك أثرها الوراثى فى ذرية الوليد إذ أكملها الإيمان وخالطت معانى الإسلام ، وهو ما بينه قول النبى الصادق صلوات الله عليه : (خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا) .

كذلك كان لعمومة خالد مجد مرموق ، وكانوا تسعة كما يقولون فى التاريخ .

فعرف لعمه (أبى أمية بن المغيرة) أنه كان يحكم فى عظائم الأمور ، ويرجع إليه فى أمهات المسائل . وقد اختلفت قريش على من يضع الحجر الأسود لينال شرف هذه

---

(١) حقق ذلك صديقنا الأستاذ الشيخ أبو زيد شلبى فى رسالته « تاريخ سيف الله خالد » .

الحظوة حتى كادوا يقتتلون ، فأشار عليهم بأن يحكموا أول داخل ، فنزلوا على رأيه ، وكان الحكم هو السيد الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف فى التاريخ .

وعرف لأبى أمية أنه كان (زاد الركب) لقبا لا يشاركه فيه ، لأن من رافقه كان لا يتزود لسفره لفرط كرمه ، ورثاه أبو طالب فكان مما قال :

ألا إن زاد الركب غير مدافع   بسرو سحيم غيبته المقابر

وعرف لعمه (أبى حذيفة بن المغيرة) أنه كان أحد الأربعة الذين اختارت قريش لحمل الحجر الأسود فى الرداء ووضعه مكانه .

وعرف لعمه (الفاكه) أنه كان له بيت مفتوح للضيافة يغشاه من شاء متى شاء بلا إذن ولا حجاب .

وعرف لعمه (هشام) أنه مات فلم يقم بمكة سوق ثلاثا ، وأن قريشا كانت تؤرخ بموته وأن شاعرا رثاه فقال :

وأصبح بطن مكة مقشعرا   كأن الأرض ليس بها (هشام)

ومن تتبع ذلك طال به المجال ، وفى الحق ان ذلك مجد كان جديرا أن يطلب حظه فى الإسلام ، ولكن الله يهدى من يشاء من عباده ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

وكان لخالد إخوة يختلف المؤرخون فيهم من عشرة إلى ثلاثة عشر . كان منهم (عمارة) الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشى ملك الحبشة ليسىء إلى مهاجر الحبشة . وقد كان هذا هو الذى أرسلته قريش إلى أبى طالب بدلا من محمد الذى أرادت أخذه من أبى طالب صلوات الله عليه ، وقالوا إن عمارة هذا هو أنهد فتى فى قريش وأشعره وأجمله فخذه فلك عقله .

وقد أسلم أخواه الوليد وهشام ، وأختاه فاطمة وفاختة .

وأما والدة خالد فهى أخت الصغرى أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل زوج العباس عمه ، وكان من أخواله (حمية بن جزء) من السابقين إلى الإسلام وممن شهد بدرا .

وعلى الجملة لقد نشأ خالد فى هذه البيئة العريقة المكرمة فى أهل مكة فى ثراء

أبيه وعزه ، لا هم له إلا التفتى وطلب المجد الجاهلى الذى أغنى عنه كثيرا فى الإسلام ، وجعله موضع الحظوة عند الرسول عليه السلام ، فلم يكن ممن يكدحون فى طلب العيش ولا يشغلهم همه ولا ممن يرحلون للتجارة ولا يعنيهم أمرها ، ولكنه إذا رحل فللاستطلاع وتنمية ثقافته وإحدادا لعقله ، زيادة على ذكاء قريش ورجاحة أحلامهم كما عرف ذلك عنهم ونوه به الكتاب الكريم فى قول الله عز وجل : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » .

وقال الجاحظ فى تعليل ذلك : إن جميع العالم يأتون قريشا فى مكة فيخالطونهم ، وبذلك يكمل العقل كما يكمل بالمسافرة ورؤية البلاد المختلفة ؛ وإذا فقد كان خالد على جانب من الكمال العقلى والذكاء المكتسب ، إلى الذكاء الفطرى . وقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بذلك يوم سأل عنه فى عمرة القضية وقال : مثل خالد جهل الإسلام ؟

ولقد نشأ خالد كما ينشأ فتيان قريش ولا سيما المترفون والمخزوميون ، لا هم له إلا ذلك التفتى وتلك الفروسية تغذوهما أشعار الحماسة التى تنشدها الفتيان فى مجتمعاتها فتشربها قلوبهم وتمتلئ بها نفوسهم ، وقد تجسمت تلك المعانى فى خالد حتى رشحه قومه للدفاع عن مجدهم الجاهلى المنسوخ ، وأعدوه لأكبر منصب كانت تنفرد به بنو مخزوم وهو : « ولاية القباب والأعنة » .

ثم لا يعرف عن خالد ما يذكر عن غيره من سفهاء متعاظمى قريش الذين كانوا يقعدون للقلة من المؤمنين المستضعفين كل مرصد، فينالونهم بالأذى والاضطهاد ، والذين كانوا يلتمسون الفرص لينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونه ويتحدونه فى عباداته وتلاوته ودعوته ، على أن أباه الوليد كان من المستهزئين : « الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » . نعم إنه نال المسلمين ببعض الأذى فى المعارك ، وكأنه إنما فعل ذلك (مع تورطه فيه) تمشيا مع الحمية حمية الجاهلية للأخذ بثأر عمه وابن عمه المقتولين ببدر ، ولهذا لا نرى له نشاطا فى غزوة بدر ولا خروجا إليها ، فان مثله إذا خرج لابد أن يكون له نشاط يذكر كما عرف له فى جميع المعارك التى شهدها .

خالد فى أحد والأحزاب والحديبية

ذكرت كتب السير وصفا يليق بخالد فى هذه المواطن الثلاثة ، فقد كان بطلا صنديدا فى الجاهلية كما كان بطلا صنديدا فى الإسلام، وقد سلط على المسلمين فى أولى هذه الغزوات

الثلاث تسليطا خطيرا ، فتك فيه بالرماة لما خالفوا أمر القائد الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى أحد : رتب النبى صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين ، وجعل الزبير بن العوام بأزاء خالد بن الوليد ، وجعل الرماة خلف الجبل ، وكانوا خمسين عليهم عبد الله بن جبير رضى الله عنهم أجمعين ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا .

وكان النصر للمسلمين بينا باهرا عظيما ، وقد فر المشركون حتى بلغوا النساء وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح و ينهبون الغنائم . ولكن الرماة فرحوا بذلك النصر وتداعوا إلى الغنائم ففارقوا محلهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأميرهم عبد الله ينهاهم وهم يقولون : قد انهزم المشركون فما مقامنا ههنا ؟

ونظر خالد بن الوليد إلى جلاء الخيل من الرماة وقلة من به منهم ، فأخذ عكرمة ابن أبى جهل وكر بالخيل على من بقى من الرماة ، وكانوا دون العشرة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله ومثلوا به ، وأحاط المشركون بالمسلمين وهم مشغولون بالنهب والأسر ، فوضعوا فيهم السيف وهم آمنون ، واختلط المسلمون حتى صار يضرب بعضهم بعضا ، وكانت محنة عزاهم الله سبحانه عنها فى آيات كثيرة من سورة آل عمران ، بين لهم فيها أنهم الأعلون إن كانوا مؤمنين ، وأن الأيام دول ، وأن هذا بلاء يتخذ الله به من المؤمنين شهداء ويمحصهم ، وأن الجنة لابد لدخولها من ذلك ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول يموت كما مات غيره . . . وأن الله صدقهم وعده إذ يحسونه باذنه حتى فشلوا وتنازعوا فى الأمر ، فى نحو ثلاثين آية كلها دروس عظيمة ورياضة وتوجيه كريم .

ومهما يكن فقد كان خالد بطل هذه الرواية وقائد هذه الحملة الفاتكة التى كانت عقابا من الله على خلاف القائد ، والخروج على ما رسم الرسول الأعظم .

وأما فى الخندق : فان جماعة من المشركين كانوا يتناوبون لمناوشة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة اقتحام الخندق ، فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ، ويغدو خالد بن الوليد يوما ، ويغدو عمرو بن العاص يوما ، ويغدو هبيرة بن وهب يوما ، ويغدو عكرمة

ابن أبي جهل يوما ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوما ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويجتمعون مرة ويفترقون أخرى ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا عزيزا فأرسل على المشركين ريحا وجنودا لم يروها وكان الله بما يعملون خبيرا .

وكان نشاط خالد في هذه المعركة مما نوهت به كتب السير . قالوا : وكان المشركون بعد فشلهم وعودتهم بالخيبة إلى بلادهم يلوذون بكل من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ليحموا ظهورهم من المسلمين ، فكانا في ساقتهم مع بعض فرسانهم ، مما يدل على مكانة خالد ومركزه المرموق .

ثم كان يوم الحديبية فقدمته قريش في مائتي فارس لصد المسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يأخذوا طريقا آخر غير طريق خالد محافظة على السلم . وأرصد لمراقبة خالد عباد بن بشر في جماعة من المسلمين . ومنذ ذلك اليوم علم خالد أن هذا النبي مؤيد ، لأنه حاول مرارا أن ينال منه وهو في بلده ولا سلاح مع المسلمين ، ولكنه كان يدفع عن ذلك فلا يمكن له .

ثم كانت عمرة القضية ولم يشهدها خالد لما كان يعتمل في صدره ويضطرب من أفكار كان فيها تمهيد لإسلامه وتوبة الله سبحانه عليه من الشرك ومضايقه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » ١٠

« يتبع »

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

القرآن

قال المؤرخ الشهير جيبون (وهو عند الأوربيين بمنزلة ابن خلدون عندنا) :

« القرآن مسلم به من حدود الاوقانيوس الأطلانطيكى إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين وحسب ، بل للأحكام المدنية والجنائية وللشرائع التى عليها مدار الحياة فى نظام النوع الإنسانى وترتيب شئونه » .

في ذمة الله :

الشيخ عبد المعطى الشرشيمى

فى يوم الجمعة ١٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٦ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ استأثرت رحمة الله بالعالم الجليل، الشيخ عبد المعطى الشرشيمى، عضو هيئة كبار العلماء، وشيخ الرواق الشرقاوى، بالأزهر الشريف ، وقد سلخ من العمر مائة عام وسبعة ، استقل فيها قطار التاريخ ، فمر به على أنظمة الحكم ، التى شهدتها مصر : من الخديوية والسلطنة والإمارة والملكية والجمهورية ، وشهد بنفسه معركة التل الكبير سنة ١٨٨٢ حيث وقف المجاهد الغيور أحمد عرابى يواجه بجيش من الشعب المصرى قوات الاحتلال، وغدر الخديوى توفيق، وخيانة الحاكمين ، و رشوة الأعراب المنافقين .

و إذ ذاك كان الطالب المجاور عبد المعطى الشرشيمى يافعا ، وقد بلغته أنباء تقدم جيش الاحتلال من السويس إلى القاهرة ، فقصد إلى بلدته (شرشيمة) مركز ههيا شرقية ، سيرا على الأقدام ، ومخلاة كتبه على عاتقه ، ولما بلغ الضفة الغربية لترعة الإسماعيلية أدرك الخطر محدقا به ، من رصاص الإنجليز المنطلق فى كل اتجاه ؛ فألقى بنفسه فى الماء ، تاركا كتبه فى كنف القدر، وأخذ يسبح إلى الضفة الشرقية ، وكان التيار قد جرف نعليه من قدميه ، وهو يطلب النجاة من العدوان الغادر الذى شنه الإنجليز على مصر وزعامتها الشعبية الأولى .

وشاء الله أن يطيل فى عمر هذا المجاور المغامر ، حتى شهد العدوان الثلاثى الأخير الذى تم بين الإنجليز والفرنسيين والصهيونيين ، فشنوا غاراتهم الغادرة على مصر المتحررة من كل قيد ، المستقلة عن كل سياسة ، وأمطروا المدن والقرى بوابل من القنابل التى روعت المدنيين ، وهناك فى « العباسية » حيث يقيم الشيخ المسن منذ أكثر من ربع قرن ، دوت القذائف الراعدة فبلغت مسامع الشيخ وهو قائم بالليل على عادته يتحسس الطريق وحده إلى الوضوء ، يسعى نور إيمانه بين يديه ، وعندئذ يهتف : الله أكبر . . فتهب خادمه « بطة » من نومها ، فيستيقظ على إثرها أهل البيت الوادع الأمين .

فاضت روح الشيخ الشرشيمى إلى بارئها بعد حياة حافلة بالذكريات ، زاخرة بالأحداث ؛ وكلها تشير إلى وقائع تكاد تكون مجهولة اليوم تماما فى أذهان أبناء هذا الجيل ، على مالها من أهمية بالغة فى تاريخنا الفكرى وتراثنا القومى .

فقد حصل الشيخ عبد المعطى بن السيد بن على ديب على شهادة العالمية الأزهرية من الدرجة الأولى على المذهب الشافعى ، وكان ذلك منذ سبعين سنة ، وفيما يلى نص الشهادة المدموغة باسم الخديوى محمد توفيق والمؤرخة فى ٢٩ رجب سنة ١٣٠٦ هـ :

« العلامة المحقق والفهامة المدقق حضرة الشيخ عبد المعطى الشافعى مذهبا ابن السيد ابن على من ناحية شرشيمة شرقية دامت فضائله عرض علينا شهادة من حضرة شيخ الجامع الأزهر ، قدوة الأعلام ، بأنه صار امتحانكم بمجلس مشكل من حضرات العلماء الأفاضل والسادة ذوى الفضائل الشيخ محمد محمد البنا مفتى الديار المصرية ، والشيخ عبد القادر الرافعى الحنفيين ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، والشيخ إبراهيم الضواهرى الشافعيين ، والشيخ سليم البشرى شيخ المالكية بالأزهر ، والشيخ أحمد الرفاعى المالكى ، وأحسنت الشهادة لكم فى الإحدى عشر علم (كذا) المعينة من حضرات المومى إليهم وأقروا باستحقاقكم للدرجة الأولى بين العلماء على ما تحقق لديهم ، وكان ذلك مما يسر الخواطر ويقر النواظر ، ويدعو إلى حسن الالتفات لكل من تحلى بتلك الصفات ، فشكرنا لكم هذا التقدم الجليل وقابلناه بالثناء الجميل ، حيث كان من أجل النعم المهمة لإصلاح الوطن وصلاح الأمة لنشر أنوار أنواع العلوم والفنون ، إذ بها تستنير الأفكار ، وتزول ظلم الشبه والظنون لا سيما علم الشريعة المقدسة الطاهرة الذى هو عنوان السعادة فى الدنيا والآخرة ، إذ به تعظيم العبادات ، وتنظيم المعاملات ، ومن المعلوم أن المواظبة على التدريس والإفادة ، يوجب للعلم البركة والزيادة ، ومع العفة والورع يزداد بهاؤه ، وبكمال تهذيب النفس وشرف الأخلاق يشرق ضياؤه ، ولما ثبت لحضرتكم السبق فى هذا المضمار ، وسلكتم سبيل المحامد لكسب الفخار ؛ أصدرنا هذا المرسوم لفضيلتكم معلنا بالدرجة الأولى لتديموا شكر المنعم ، فله الحمد فى الآخرة والأولى » .

هذا ــ والمعروف أن الشرشيمى لم يصنف طيلة حياته لأنه كان يعتقد أن العلم مكنوز فى خزائن الكتب ، وما على العلماء إلا الكشف عن هذه الكنوز بالبحث والدرس والصبر ، والعلم فى رأيه الخاص إنما هو « فهم ما تركه السابقون » ومع ذلك كان تلاميذه يتهافتون على تسجيل شروحه وتفريعاته وتقريراته ويحفظونها عن ظهر قلب ، ومن هؤلاء التلاميذ

الذين ذكرهم لى الشيخ الشرشيمى عليه رحمة الله : الشيخ عبد العزيز حجاب من دسوق ، وكان حريصا على تسجيل كل ما يصدر من الشيخ فى الدرس من شروح ، فهو إذن من العلماء المنهجيين الذين كان لهم هدف يرمون إليه فى التدريس ، وهو أسمى ما عرف من الأنظمة الجامعية فى المحاضرات .

ومنذ سنوات حرص فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر على تكريم الشيخ الشرشيمى بمناسبة بلوغه المائة من عمره فدعا إلى داره أهل الفضل والوفاء من عارفى قدر أستاذهم ، وكان منهم الدكتور طه حسين الذى أصر على تقبيل يد أستاذه و بعد تمنع منه و إصرار من الدكتور قبل يده ، ثم أخذا يتذاكران الماضى ، فى جو كانت تسوده المودة والتعاطف والتقدير .

وقد يخفى على الكثيرين أن الشيخ الشرشيمى كان زميلا للشيخ سعد زغلول فى الأزهر ، وكان سعد يسكن مع فتحى أخيه بجهة (أم الغلام) بجوار الضريح الحسينى ، وكان الشيخ يزور صاحبيه كثيرا و يتغدى معهما ، وهو الذى بشر سعدا بالباشوية وفتحيا بالبكوية ، وظل سعد وفيا لزميل صباه بعد أن صار باشا و بعد زواجه من السيدة صفية زغلول كريمة مصطفى باشا فهمى ، وقد اصطحب الشرشيمى يوما صديقه الشيخ الطوخى فى زيارة للشيخ عبد الكريم سلمان ، وفى عودتهما عرجا على منزل سعد باشا فأكرمهما غاية الإكرام ، وحان وقت صلاة العصر ، فطلب الشرشيمى أن يتوضأ فاذا به أمام فتاتين بارعتين فى الجمال : إحداهما تحمل الطشت والأخرى تحمل الإبريق والبشكير ، فسأل الشرشيمى صديقه سعدا عن خبرهما ، فقال : هما جاريتان ، فما لبث الشيخ أن خطف منهما البشكير والطشت والإبريق ، وأخذ يعدو نحو البواب . وتوضأ عنده وصلى على أريكته الخشبية العارية ، هربا من زخرف الدنيا ، وفتنة الجمال .

ومن مظاهر وفاء سعد له أنه كان يجله كلما قدم عليه بديوان الرياسة ، وكان يداعبه بقوله : « أهلا بمن كان عنده مسألة من مواقف العقول وهى لو كان تحته قطن لانكبس » وخلاصة القصة كما حدثنى بها المغفور له الشيخ الشرشيمى أنه كان يذاكر مع سعد ، فقال له : إن أمى عند ما تحمى الفرن تقول لى : هات قطنا ، وهى بذلك تقصد حطب القطن لا ثمرته ، وورد فى باب السجود أنه على المصلى أن يتحامل على الأرض « بحيث لو كان تحته قطن لانكبس » فقال سعد : إذن تنجرح جبهته ، فقال الشيخ الشرشيمى : القطن هنا الثمرة وليس الحطب .

وكان سعد يكبر فى زميله عزوفه عن المناصب ، والتجرد الخالص للعلم ، وخدمة التعاليم الأزهرية الأصيلة ، وميله إلى التوسط لأصحاب الحاجات مما كان سعد يستجيب له ، ويسأل صاحبه عن حاجة له أو لذوى قرباه ، فلا يظفر منه بطائل .

كان الشيخ الشرشيمى لا يزال فى ميعة الصبا حينما قدم جمال الدين الأفغانى إلى مصر داعيا إلى تحرير الأفكار من الأوهام والخرافات ، وتحرير الأوطان من الاستعباد والاستعمار ، وكان يجتمع حوله فى المقاهى والأندية والمنازل والمجالس الخاصة كثير من رجال الأزهر منهم محمد عبده وبخيت وإمبابى وأبو خطوة والصعيدى وهو أكثرهم وأنشطهم فى الأخذ عن الأفغانى .

ومن الطبيعى أن يتأثر هؤلاء جميعا بثورة الفكر التى حمل لواءها الأفغانى ، ومن الطبيعى أيضا أن يستظل به تلاميذهم الأقربون ، ومصداق ذلك لجوء محمد عبده فى تيسير المنطق على دارسيه ، ومنهم الشرشيمى لذى درس (الشمسية) على يد الشيخ محمد عبده .

وللشيخ الشرشيمى مع أستاذه الإمام قصة تمثل حقيقة الصراع بين التجديد والتقليد فى الأزهر العتيق : فان الإمام عندما أراد النهوض بالأزهر على أضواء مشاعل الثورة الفكرية الأفغانية عمد إلى تغيير « الطريقة » المتبعة فى التدريس وإلى إدخال « علوم » جديدة لم تكن به من قبل ، وإذ ذاك كان محمد عبده ذا نفوذ بالأزهر بحكم منصبه فى الإفتاء الذى بمقتضاه يكون عضوا بمجلس الأزهر الأعلى ، أما شيخ الجامع وهو يومئذ الشيخ سليم البشرى ، فقد حرص على إرساء قواعد الشورى ، وإن كان لم يسلم فى الواقع من الاتهام بعرقلة الاتجاه الإصلاحى الذى جاء به محمد عبده .

اختار الأستاذ الإمام كتاب (السعد) المعروف بطلاسمه ومعاجمه ، وعزم على أن يدرسه الطلبة فى سنتين فقط بدون التعرض للحواشى المعوقة المعطلة ، ووقع الاختيار على الشيخ الشرشيمى فندبه لهذه المهمة ولكنه رفض إذ وجد أن هذا العمل تكليف بما لا يطاق .

وتسامع الطلبة بالنزعة التجديدية التى قام بها الشيخ محمد عبده ، ووقفوا حيارى لايدرون

ماذا يدرسون : (السعد) أم (جمع الجوامع) [١] فهرعوا إلى الشرشيمى يسألونه فى ذلك ويستطلعون رأيه فأحالهم إلى الشيخ البشرى ، ليختار لهم أى الكتابين فيرضخ لأمره فى الحال ، فذهب وافدهم إليه ، وأبى إلا أن يدرس لهم (جمع الجوامع) ، واستدعى الشرشيمى وأمره بذلك ؛ فلما قال له الشرشيمى : « ولكن الشيخ محمد عبده كلفنى بتدريس (السعد) أجابه محتدا : « اقرأ جمع الجوامع » ، فخرج من عنده وهو يقول فى نفسه : « ذلك ما كنا نبغى » .

واستمر فى عمله عدة أشهر التقى بعدها بالشيخ محمد عبده فسأله : إلى أين وصلتم فى (السعد) ؟ فأجابه بقوله : الشيخ أمرنى بقراءة (جمع الجوامع) فغضب الشيخ محمد عبده أشد الغضب ، وقال : « أنتم تتملصون من أوامرى » وخرج من عنده فوجد جموع المتظاهرين من الطلبة فابتدرهم قائلا : « لماذا تصرون على (السعد) شرحا بلا حواشى ؟ » فأجابوه لأن الحواشى تعليم عقيم ، فقال لهم : ولكنى نشأت على هذا العقيم ؟ فلم يحيروا جوابا .

وطالت القطيعة بين الشيخ الشرشيمى والشيخ محمد عبده ، وفى ذات يوم التقيا وجها لوجه ، فابتسم الإمام لتلميذه وخصمه العنيد ، وما لبثا أن تعانقا وتصالحا وكأن لم يكن بينهما إلا الصفو المقيم والود الأكيد .

وقد انتقلت أنباء هذا الصراع الفكرى فى الأزهر بين القديم والحديث إلى خارج الأروقة ، وتناولت الصحف هذه الأنباء بالتعليق فى حذر ، مثال ذلك ما قالته «الأهرام» فى عددها الصادر فى ٦ مايو سنة ١٩٠٠ حيث تقول :

« ارتأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده ، بعد أن درس (بروغرامات) تعليم الأزهر وغيرها من (بروغرامات) الدروس ؛ إدخال تعديلات كثيرة على بروغرام الأزهر ، فقدم تقريرا بذلك وضمنه البروغرام الواجب التدريس بمقتضاه ، ومن أحكامه إدخال جميع العلوم من كيمياء وفلسفة وهندسة وغيرها ؛ ورفع هذا التقرير إلى السدة الخديوية

---

[١] ظل الشيخ الشرشيمى يدرس (جمع الجوامع) بالأزهر خمس مرات ، وكانت كل مرة تستغرق خمس سنوات ، وإذن فقد تخرج على يديه خمسة أجيال وهى نسبة لم يظفر بها عالم من قبله أو من بعده.

فأحالته إلى لجنة العلمـاء المؤلفة من ثلاثين إماما من أئمة الأزهر الأفاضل . فاجتمعت هذه اللجنة برياسة حضرة المفتى ، لأن سماحة العلامة المفضال شيخ الأزهر الرئيس الشرعى لهذه اللجنة ترك رياسة هذه الجلسة لفضيلة الشيخ محمد عبده ليكون أطلق فى تأييد مبادئه الجديدة المعارض لها شيخ الأزهر ، فاجتمعت اللجنة المذكورة برياسة حضرة المفتى ، وتباحث الأعضاء فى بروغرامه ، فرفضوه بالإجماع تقريبا ، وتقرر تعيين لجنة منهم لوضع بروغرام آخر ، فانتخب أعضاؤها ، واجتمعوا وقرروا البروغرام الواجب اتباعه ، المؤيد للتقاليد الأزهرية الشريفة مع إدخال بعض فروع من العلوم الواجب أن يلم بها الأزهريون ، ورفعوا بروغرامهم إلى اللجنة العليا المؤلفة من ثلاثين إماما فقررته ورفعته إلى الجناب الخديوى للموافقة عليـــه ليكون العمل بموجبه ، والمنتظر أن يوافق عليـه سموه فى هذين اليومين » .

ولن ينسى طلبة ذلك الجيل أن أسدين كبيرين كانا يتنازعان بينهما ضفتى الأزهر هما الشيخان العالمـان : عبد المعطى الشرشيمى ودسوقى العربى ، وكان لـكل منهما مزاياه .

ولم يكن الشيخ الشرشيمى ليقبل مطلقا التحضير لأحد الطلبة إلا إذا كان من تلاميذه الخالصين الناهجين نهجه . لهذا رفض التحضير للشيخ طـه حسين الذى درس على أيدى كثيرين ومنهم الشيخ محمد الخضرى ، فلمـا تشكلت لجنة لامتحانه وأريد أن يكون من أعضائها الشيخ الشرشيمى رفض ، فأحيـل إلى اللجنة الأخرى ، وقد خرج منها بعـد أن أمطروه وابلا من الأسئلة المسيلة للعرق .

وكان ـ عليه الرحمـات ـ مع كهولته نشيطـا غاية النشاط ، يؤمه فى بيته الراغبون والراغبات فى علمه الغزير ، معتزا على الدوام بكرامة علمه ، وكان من شعاره « من شرف الحاكم أن يقف بباب العالم ، وليس من شرف العـالم أن يقف بباب الحاكم » . وكان فى حديثه حريصا على المنطق ، يقرع الحجة بالحجة ، لا يفارقة هذا المنهج حتى مع المزارعين الذين كانوا يرهبونه حتى فى غيبته ، وكانت له نظرة فاحصة فى الرجال يعجز عن تقديرها أدق موازين النقد ، وقلما كانت تخطئ نظرته فى النـاس .

وكان إلى آخر لحظة فى حياته ملما بالأحداث الجـارية ، وكان أكثر ما يعنيه مدى انطباق الأمور الدنيوية على معايير الدين ، فكان يرى أن الباكستان يجب أن تلم باللغة

العربية لتتفهم عن طريقها تراث الإسلام الخالد وتلحق بركب الدول الإسلامية الشقيقة ، وكثيرا ما كان ينبهنا إلى الحقوق التى وضعها الإسلام للجار القريب والجار البعيد ، ويحبذ الجمع بين القوة المسلحة والعمل بالشرع الحكيم حتى يعود للمسلمين ما سبق لهم من مجد وعزة .

توفاه الله وهو نقى تقى زاهد ورع لا يغفل عن ذكر الله فى الصحو واليقظة ، غيور على الأزهر : قلعة الإسلام الحنيف ، يخف لزيارته — على الرغم من أعباء الكهولة — من حين إلى حين ، ويحن إليه حنين الرضيع إلى أمه ، رحمه الله وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وجزاه الله عن الأزهر وعلمائه خيرا ، وجعل الجنة مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »

محمد محمود زيتون
الإسكندرية

حاخام

يشعر بالخجل لأنه يهودى

زار الحاخام الأمريكى ألمر برجر البلاد العربية وفلسطين وعاد إلى بلاده فأصدر كتابا عنوانه « إسرائيل أكذوبة يجب أن تزول » .

ومما جاء فى هذا الكتاب عند الحديث عن زيارة مؤلفه للبنان : إن لبنان آوت لاجئين من اليهود أثناء الحرب الفلسطينية بلغ عددهم ثلاثة آلاف يهودى . وأعجب الحاخام برحابة صدر لبنان ، وأدهشته هذه السماحة النادرة . ولكن عندما رأى اللاجئين العرب كتب يقول :

« إننى أشعر بالخزى والعار . أشعر بالخجل لأنى يهودى . وأعلن بأعلى صوتى ، وفى كامل قواى العقلية ، أن الصهيونية العالمية مجرمة فى حق الإنسانية كلها ، وأنها صورت العرب فى صورة الوحوش الذين يأكلون البشر ، بينما الوحوش حقا هم أنصار الصهيونية فى كل مكان » .

لغويات

اشترك محمد مع محمود

هذا الأسلوب مع اشتهاره منكر منذ زمان غبر . ذكره الحريرىّ فيما يخطئ فيه الناس ، فتراه يقول فى درة الغوّاص : « ويقولون : اجتمع فلان مع فلان فيوهمون فيه ؛ إذ الصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان ؛ لأن لفظ اجتمع على وزن افتعل ، وهذا النوع من وجوه افتعل ـ مثل اختصم واقتتل ـ وما كان أيضا على وزن تفاعل ـ مثل تخاصم وتجادل ـ يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد » . وحاصل الأمر فى هذه المسألة أن الفعل إذا كان لا يقع من واحد فقد يذكر الفاعل المتعدّد مثنى أو جمعا ، وهذا الضرب أمره ظاهر ، كما تقول : اختصم الرجلان ، واتفق الرجال ، وفى الكتاب العزيز : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » . فاذا كان الفاعل مفرّقا وجب العطف ، وخصت الواو بهذا المكان ، فيقال : تخاصم خالد وسليمان ، ولا يصح الاقتصار على أحد الفاعلين وذكر الآخر بعد مع ، فتقول : تخاصم خالد مع سليمان ، لأن مكان (مع سليمان) مكان الفضلة تأتى بعد تمام الجملة ، والكلام لم يتم بعد .

ونرى للشهاب الخفاجى فى كتابته على الدرة تعقيبا على كلام الحريرىّ ، فهو يقول فى ص ٥١ : « فى الحواشى : لايمتنع فى قياس العربية أن يقال : اجتمع زيد مع عمرو ، واختصم مع بكر ، بدليل جواز اختصم زيد وعمرا ، واستوى الماء والخشبة ، وواو المفعول معه بمعنى مع ومقدّرة بها . فكما يجوز استوى الماء والخشبة كذلك يجوز استوى الماء مع الخشبة ، واستوى فى هذا مثل اختصم ؛ فان المساواة تكون بين اثنين فصاعدا كالاختصام . فاذا جاز فى هذه الأفعال دخول واو المفعول معه جاز دخول مع ، كقولهم : استوى الحرّ والعبد فى هذا الأمر » .

وترى صاحب الحواشى يبنى توسيغ ما خطأه الحريرىّ وتصويبه على تسويغ اختصم زيد وعمرا ، واستوى الماء والخشبة ونصب (عمرا) و (الخشبة) على المفعول معه . وقد أخطأ وجه الصواب فيما بنى وقدّر .

فالمثال الأول : (اختصم زيد وعمـرا) نص النحاة قاطبة على امتناعه وحظروا أن ينصب (عمرا) على المفعول معه وأوجبوا فيه العطف ، والأمر فى هذا أوضح أن يحتاج إلى سياقة نصوص من كلامهم .

وأما المثال الثانى : (استوى المـاء والخشبة) فهو مثال صحيح للمفعول معه ، ويذكر مع ما يجب فيـه النصب على المفعول معه ، وهو فى هـذا من قبيل (سرت والنيل) غير أن الاستواء هنا ليس هو التساوى الذى لايقع من الواحـد ، بل المراد به أن يرتفع المـاء حتى يحاذى الخشبة التى نصبت لمعرفة مقدار المـاء ومنزلته منها ، والاستواء بهذا المعنى ينسب إلى المـاء فقط ولا ينسب إلى الخشبة فانها ثابتة مكانها لا تتحرك ولا ترتفع ، فقد خرج هـذا المثال عن أن يكون ممـا نحن فيه . ويقول الشيخ يس فى كتابته على شرح الفاكهى للقطر فى الحديث عن وجوب نصب الخشبة فى هذا المثال : « لأن استوى ليس بمعنى استقام بل بمعنى ارتفع ؛ كما فى قوله تعـالى : « ذو مرّة فاستوى » . ولو جعـل استوى بمعنى تساوى لا بمعنى استقام ولا ارتفع جاز العطف ، والمعنى : تساوى المـاء والخشبة فى العلو أى وصل المـاء إلى الخشبة فليست الخشبة أرفع من المـاء » . وقوله : « جاز العطف » يريد أنه لا يمتنع كما فى الحـالة الأولى ، وعـدم الامتناع هنـا يراد به الوجوب . ويقول الأمير فى كتابته على الأزهرية : « اعلم أن معنى كونه مفعولا معه أنه صاحب الفاعل عند الفعل ، أعم من أن يثبت له الفعل أيضا ، وحينئذ يحسن العطف ؛ كجاء الأمير والجيش ، أو يثبت الفعل للفاعل فقط ؛ نحو استوى المـاء والخشبة ، فان الاستواء للمـاء فقط ، لأنه هو الذى كان منخفضا ثم ارتفع واستوى ، والخشبة ما زالت بحالها . فالمراد بالاستواء هنا الارتفاع ؛ على حدّ (واستوت على الجودىّ) . وليس المراد به التساوى الذى لا يـكون إلا بين اثنين ، وإلا تعين رفع الخشبة على حـد تشارك زيـد وعمرو » .

ويرى القارئ أن ما اعتمد عليه صاحب الحواشى على الدرّة ـ ويبدو أنه ابن برى ـ موضع للمناقشة والطعن ، فما بناه عليه من جواز اجتمع زيـد مع عمرو لم يسلم له ، فبقى كلام الحريرى سليما غير مخدوش .

وأعود إلى البحث فأقول : جاء فى القـاموس (جمع) : « وجامعه على أمر كذا : اجتمع معه » . ومثل هـذا ماجاء فى اللسان : « وجامعـه على الأمر : ما لأه عليه واجتمع معه » . فهل نرى فى هذا حجة لتسويغ الأسلوب الذى هو موضوع الحديث ؟ والجواب أن هذا لم يسند إلى العرب حتى يكون فيه الحجة ، وإنما هو من كلام اللغويين ،

وقد تقرر أن العلماء يحتج فى اللغة بروايتهم لا بكلامهم . على أن هـذه العبارة قد توجه على أن يكون الاجتماع من جانب واحـد . وذلك أن امرأ يتسنم أمرا ويعتزمه ويجمع عليه فيأتى آخر ويجتمع معه فى الرأى أى يوافقه ويشاركه ، وقد أشار إلى هـذا المعنى كلام اللسان : « مالأه عليه واجتمع معه » . ونتيجة هذه الممالأة الاجتماع الذى يكون من الاثنين ، وهذا لم يقصد من العبارة اللغوية .

وجاء فى اللسان (وفق) : « وقد وافقه موافقة ووفاقا واتفق معه وتوافقا » . فقد جاء اتفق معه بازاء توافقا ، ويبدو أنه لا وجـه هنا لارتكاب تأويل الاتفاق بفعل الواحد ، وقد سيق هذا على أنه من كلام العرب . وقد عرض الأستاذ أحمد العوامرى رحمه الله رحمة واسعة لهذا النص لحمله على الشذوذ ، وهو خليق أن يكون شاذا إذ لم نعهد العرب جرت عليه فى نظائر هذا المثال . ويحسن الرجوع إلى بحث الأستاذ العوامرى فى مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٩ ج ١ .

وقد توفقت إلى رأى يجيز هذا الأسلوب وهو رأى الكسائى . فقد جاء فى الارتشاف لأبى حيان فى مبحث عطف النسق : «وأجاز الـكسائى وأصحابه اختصم زيد مع عمرو ، نابت مع مناب الواو ، ومنع ذلك الفرّاء » . والقارئ يرى أن الـكسائى اعتمد على القياس ، فقاس مع على الواو ، ومع إنمـا تقاس بالواو التى هى نصّ فى المعية بعد تمـام الفعل بفاعله . وممـا يلاحظ هنا أن قوله : «ومنع ذلك الفرّاء» أى من علماء الكوفيين ، فأما البصريون فأمرهم واضح ، وهو الإجماع على المنع .

على أنه لا مانع من الائتساء بالـكسائى فى هذا الأمر وهـذا الأسلوب الذى ذاع حتى أصبح من العسير صدّ الكتاب عنه .

قلت لمحمد : اذهب إلى المنزل

يقطع الهمزة فى اذهب فى وصل الكلام كثير من الناس . وقد تسمع من يقول : يتلو عليكم الشيخ إسمـاعيل بعض آى الـكتاب العزيز فيقطع همزة الشيخ ، وقد يقول قائل : تلقيت اليوم الـكتاب الفلانى بهمز الـكتاب فى الوصل وعدم الوقف . وهذا لا يجوز فى العربية ، فهمز الوصل لا يلفظ به فى الوصل ويجب سقوطه فى الدرج ، واقرأ قوله تعالى : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا » .

وقطع الهمزة فى مثل هذا لا يعرف إلا فى ضرورة الشعر ؛ كقول جرير :

ألا إنمـا العكلى كلب فقل له إذا ما اعتوى إخسأ وألق له عرقا

العرق : العظم أكل لحمه ـ . وفى طبقات الشافعية ٤ / ٢٩٤ :

فأجبتهم : ألمــرء ما لم يتعظ بالوعظ غر

وجاء فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى : (قالوا الآن جئت بالحق) : « وحكى الأخفش : (قالوا ألآن) قطع ألف الوصل ؛ كما يقال : يا ألله » . وهذا القياس لا وجه له ؛ فان للفظ الجلالة خصائص فى العربية منها قطع همزته فى النداء والقسم ، ويرى أبو على الفارسى أن ذلك لأن أل فيه عوض عن همزة إله المحذوفة وقيل غير ذلك . ويبدو أن وجه هذه القراءة التى حكاها الأخفش ـ وهى قراءة شاذة ـ هو قصد حكاية الجملة التى فيها الهمزة ، فان الكلام الذى صدر منهم كان فى الابتداء وهو يكون : ألآن جئت بالحق . وكذلك فى قولك : قلت له : اذهب إلى المنزل ، فالذى صدر منى فى ابتداء الكلام ، وهو يكون : إذهب إلى المنزل بالهمز . وليس معنى هذا أن قصد الحكاية سائغ لنا فنصحح به ما يجرى على ألسنة الناس فان هذا الاعتبار ألغته العرب وعملوا على خلافه .

عبـــد الـكريم

يقول العامة : عبد الكريم بكسر الكاف . والمعروف فى كتب الصرف أن كسر الفاء للعين إنما يكون إذا كانت العين حلقية نحو شعير و بعير وصغير ونخذ ومحك . فأما إذا كانت العين غير حلقية فلا يجرى هذا الإتباع ، وقد جاء فى آخر الرحبية الفرضية :

وأفضل الصـــلاة والتسـليم على النبى المصطفى الـكريم

فقال الشنشورى شارحها بعد قوله : الكريم : « بفتح الكاف . قال العلامة سبط المـاردينى رحمه الله تعالى : على الأفصح ، ويجوز كسرها . وهو نقيض اللئيم » . وكتب الشيخ الباجورى فى الحاشية : « قوله : ويجوز كسرها فقول الناس : عبد الكريم بكسر الكاف ليس لحنا : لأن الكسر لغة فى الكريم . ومثله ما كان على وزن فعيل كشريف وكبير » . وانظر ما سند المـاردينى فى كسر كاف الكريم . ثم ما وجه القياس الذى ذكره الباجورى وجعله عاما فى كل ما كان على وزن فعيل ؟ ويلاحظ أن الأمر لا يختص بوزن فعيل ، فقد رأيت مجىء الإتباع فى نحو نخذ ومحك . وقد أتى المـاردينى والباجورى من فشو لسان العامة فظنا أنه يجرى على إرث من العربية ؟

محمد على النجار

دعائم المجتمع الاسلامى :

شرعة البذل والانفاق

البذل ـ كما يستفاد من كتب العربية ـ هو الإعطاء والإنفاق ، ويوصف الكرام بأنهم « مباذيل للمعروف » أى يكثر منهم فعل الخير وتقديم المعروف ، ويقول العربى : سألته فأعطانى بذل يمينه ، أى ما قدر عليه ، وهـذا يدل على أن البذل يفيد المعاونة بكل ما يستطاع . . . .

ولو أننا سمينا الإسلام الحنيف بأنه شرعة البذل والإنفاق والإعطاء لما بعدنا فى اختيار الأسماء ، لأن هذا الدين قد نهض وقام على التعاون والتضامن والبذل ، والله عز وجل يشترى من المسلم ـ حين يسلم ـ كل ما يملك من نفس ونفيس ، فى مقابل رضاه عنه ، وتوفيقه له ، وإنعامه عليه : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » ، « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » . ولله الخيرة حينئذ فى نفس المسلم ونفائسه، فهو يدعوه إلى مواطن البذل والتضحية والفداء، وليس للمسلم إلا أن يسارع ويستجيب ، لأنه قد باع نفسه لربه ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته . . .

وكلمة البذل يقاربها فى المعنى والدلالة كلمات ، منها : الإحسان ، والإعطاء ، والمعاونة ، والتصدق ، والإنفاق ، ومن العجيب أن الإسلام الحنيف ممثلا فى كتابه المجيد « القرآن » وسنة رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، قد عنيا بالحث على هذه الألوان المتقاربة من وجوه البذل وتقديم الخير إلى الناس ، وكأن الحث على كل لون منها يؤكد الحث على قرينه القريب منه ، وبذلك تتلاقى صور الحث على هذه المعانى المتقاربة لتزيدنا يقينا بأن الإسلام هو دين البذل والإنفاق .

هذا هو «الإحسان» . نرى القرآن الكريم يدعو إليه ويحث عليه فى كثير من الآيات كقوله : « وأحسن كما أحسن الله إليك » ، « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ، « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » ، « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ! . .

والإحسان ـ كما يقول الراغب فى مفردات القرآن ـ على وجهين : أحدهما الإنعام على الغير ، يقال : أحسن إلى فلان ؛ والثانى إحسان المرء فى فعله ، وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسنا ؛ والإحسان فوق العدل ، لأن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ! .

وهذا هو « الإعطاء » . . . يحث القرآن الكريم عليه ، ويرغب فيه ، فيقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » ويحذر من ضده وهو البخل ، ويتوعد عليه ، فيقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى » ! .

وهذه هى « المعاونة » ... يدعو القرآن إليها ويحض عليها وينفر من ضدها ، فيقول : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

وهذا هو « التصدق » . . . يدعو القرآن إليه ، ويمجده فى آيات كثيرة كقوله : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » ، « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، « إن المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم » .

والصدقة ـ كما يحدد الراغب ـ ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة ، لكن الصدقة فى الأصل تقال للمتطوّع به ، والزكاة للواجب ؛ وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق فى فعله ، قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

وهذا هو « الإنفاق » ... إن له حديثه العاطر المستفيض فى القرآن المجيد ، والانفاق قد يكون فى المال وفى غيره ، وقد يكون واجبا وتطوعا ، ومن آيات الحث على الإنفاق قوله عز من قائل : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين » ، « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » ، « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ،

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » ، « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

* * *

وكما يدعو الإسلام ممثلا فى القرآن المجيد إلى البذل والإنفاق بهذا الأسلوب الرائع الدافع ، نراه يحارب البخل والإمساك محاربة شديدة ، لا هوادة فيها ولا لين . فيقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » ، « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » .

ونرى القرآن الكريم يقدم إلينا بعض الصور لخيار الباذلين المنفقين ، فيصفهم بأنهم الذين يسارعون إلى الخيرات والإنفاق بلا من أو إيذاء ، ويقدمون المعاونة للمحتاجين بلا انتظار لأجر أو شكران ، فيقول عن عباده الأبرار : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » ! .

وننتقل من فردوس القرآن الكريم إلى روضة السنة المطهرة ، فإذا فيض كريم عظيم من الحث على البذل والإنفاق والتصدق ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على الصدقة فيقول : (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء) ، ويقول : (أهل الجنة ثلاثة : سلطان مقسط (عادل) ، ورجل رحيم القلب بكل ذى قربى ومسلم ، ورجل غنى عفيف متصدق) ويقول : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا) ، ويقول : (الساعى على الصدقة بالحق كالمجاهد فى سبيل الله) ! .

وتتسع دائرة النفقة والصدقة فى نظر السنة النبوية الكريمة اتساعا فسيحا رحيبا ، حتى تشمل كل صورة من صور الخير والبر ، فنجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه يقول : (كل معروف صدقة) ، والمعروف ـ كما يذكر ابن الأثير فى النهاية ـ اسم جامع لكل

ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ، وهو من الصفات الغالبة ، أى أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه ، والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس ، والمنكر ضد ذلك جميعه .

وعلى هذا قد يكون المعروف المبذول أو المنفق مالا ، أو طعاما ، أو ثيابا ، أو سكنا ، أو دما ، أو دواء ، أو جهدا ، أو إرشادا ، أو كلمة طيبة ، أو غير ذلك ؛ وقد ضرب الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم أمثلة من هذا المعروف ، وخصص فى بعض هذه الأمثلة ، وعمم فى البعض الآخر ، فقال مثلا : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » . وهذه رواية الشيخين والترمذى ، وفى مسند الإمام أحمد : « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فانه معنا » أى معنا فى الجهاد . ويقول : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم » . أى فالواجب على القاعدين عن الخروج إلى القتال أن يرعوا شئون هؤلاء النساء ، وأن يتعهدوا أمورهن كما يتعهدون أمور أمهاتهم ، وفى مقدمة ذلك بطبيعة الحال بذل كل ممكن فى سبيل هؤلاء .

وفى حديث عمر المرفوع الذى يرويه الطبرانى : « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجته » ... ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمنة كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » .

ويقول : « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم » . ويروى ابن رجب الحنبلى هذا الحديث (فى كتابه جامع العلوم والحكم ، ص ٢٤٥) هكذا : « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله من خضر الجنة » ! ! .

* * *

وإذا راجعنا تاريخ المسلمين ـ وبخاصة تاريخ الصدر الأول منهم ـ نجده عامرا

بمواقف البذل والإنفاق والتضحية ، ونجد مئات الأمثلة التى يظهر فيها أبناء الإسلام كراما مباذيل أصحاب فداء وإيثار ، وطلاب خدمة عامة للناس ؛ ولقد كانت أريحيتهم تتألق فى مواطن الشدة والبأس ، ففى غزوة تبوك التى كانت فى عسرة من الناس ، وجدب فى البلاد ، وشدة من الحر ، مع بعد الشقة ، وقسوة الزمن ، وكثرة العدو ، نرى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ينفق نفقة كبيرة فى سبيل الله ، فيجهز عشرة آلاف مقاتل ، أنفق عليها عشرة آلاف دينار ، غير ما قدم من الخيل والإبل والزاد وما يتعلق بذلك ، وعندها قال النبي صلوات الله عليه : « اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض » . وفى رواية : « اللهم ! عثمان رضيت عنه ، فارض عنه » . وكذلك جاء عثمان بألف دينار فصبها فى حجر النبي ، فجعل النبي يقلبها ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » . ويكرر ذلك ؛ وفى رواية : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالى ما عمل بعدها » .

وجاء أبو بكر رضى الله عنه فى غزوة تبوك بأربعة آلاف درهم ، وهى كل ماله ، وهى كل ما يملك فى دنياه ، فقال له الرسول : فماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله !! ... وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، كما تبرع عبد الرحمن ابن عوف ، والعباس ، وطلحة ، رضوان الله عليهم بأموال كثيرة ... حتى النساء ... بعثت كل واحدة منهن بما قدرت عليه من مالها أو حليها ؛ ولسنا نتتبع المواقف بالاستقصاء ، وإنما نضرب أمثلة لفيض كبير من مواقف البذل والإنفاق فى تاريخ المسلمين الأولين الذين هانت فى أعينهم الدنيا بمتاعها وزخرفها وأموالها ، فجادوا بها فى سبيل الله ، ولعون عباده ! .

* * *

هذا هو هدى الإسلام الكريم ، وهو هدى العقل السليم والروح القويم ، لأنه منهاج التعاون على الخير والبر ، والتكافل فى اليسر والعسر ، والمشاركة الوجدانية فى البأساء والنعماء . . . وإنما تعلو الإنسانية بالإنسان إذا أحس بروح الجماعة ، وشعر بعاطفة الارتباط الوجدانى بينه وبين الناس ، ثم ترجم هذه العاطفة إلى تضامن فعلى وتعاون عملى بينه وبينهم . . . يعطيهم ويأخذ منهم . . . يعينهم ويستعين بهم . . . يقدر فيبذل لهم الفضل من قدرته حين يحتاجون ، ويعجز فيلق منهم خير الجزاء وهم قادرون ؛ وهكذا لابد للانسان من الإنسان فى هذه الحياة :

النـاس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض ـ و إن لم يشعروا ـ خدم !

و إن أحق الناس بهذه المشاركة الوجدانية والمعاونة الفعلية هم إخـوان الإنسان ، الذين يشاركونه الوطن والسكن ، والعقيدة والهدف ، والرخاء والشدة ، والآمال والآلام ؛ والأقربون أولى بالمعروف ، والجار أولى بالجار ، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ! ...

و إن أحق هؤلاء الإخوة فى الله والوطن بالمعاونة والبذل والرعاية هم الذين نابتهم نائبة ، أو ألمت بساحتهم كارثة ؛ فى موطن من مواطن البأس ، أو ساحة من ساحات الجهاد ، أو مخلب من مخالب الفقـر والاحتياج ... وكلما زاد موطن الابتلاء أو سبب الاحتياج سموا وشرفا ، زاد البذل لصاحبه فى العلو والارتقاء ! ! ...

و بعـد ، فهل من المروءة فى شيء أن تنعم أنت وتتمتع بينما أخـوك المكلوم يشـكو ويتوجع ؟ ... أمن الدين فى شيء أن تسمع قول ربك عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » ثم تضيع حقوق إخوتك الذين نالهم البلاء والضراء ، وقد يكون ما نالهم من أجلك وأجل بلادك ؟ ... أمن الوفاء لرسولك صلى الله عليه وسلم أن تسمع قوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحـد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسـد بالسهر والحمى) ثم لا تحرك همتك بالبذل للمصابين ، أو معاونة المنـكوبين ، أو إغاثة الملهوفين ، أو الإحسان إلى المحتاجين ؟ ! ...

هـل من الإيمـان فى شيء أن تبيت ممتلئا متخوما وجارك ساغب جوعان ؟ ... أو أن تحيا كاسيا مترفا وأخـوك فى الله والوطن عريان ؟ ... أو أن تعيش سعيدا هانئا وأخوك فى نصب وشقاء ؟ ... فأين إذن أحفاد الأوائل من أبناء الإسلام الذين قال فيهم ربهم عز من قائل : « والذين تبوأوا الدار والإيمـان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ؟ ! .

أيها المسلم ... تذكر على الدوام قول خالقك ورازقك : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض و يبصط ، و إليه ترجعون » ! ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

بور ســــعيد

يا « بورسعيد » ملكت ناصية العلا وأعدت عهـد التضحيات الأولا
وفتحت بابا للفـداء وللبطو لة كان من أمـد بعيد : مقفلا
ووقفت فى وجـه الحوادث وقفة لو رامهـا الجبـل الأشم تزلزلا
ورفعت للغـازين رأسك كلمـا راموا انحناءته : تطـاول واعتلى
وبنيت حاضر مصر بالدم والعظـا م ، وشدت فوق لحاضر المستقبلا
وحميت أمجـاد العروبة كلهـا وفديت مصر وشعب مصر بما غلا
لولا انقطاع الوحى من عهـد النبـ ى : لخلت وحى الله فيك تنزلا

* * *

هجم العـدو عليك فى وحشية ليدك مجـدا فى رباك تأثلا
فهوت عليك من السماء صواعق كم أشعلت نارا ، ودكت منزلا
والبحر صب قـذائفا مجنونة يأبى عليها الغـدر أن تتعقلا
فالشيخ ذاق جحيمها ، والطفل ذا ب على لظاها ، والمريض بهـا اصطلى
والمرأة العزلاء أرداها الرصـا ص ، وكم رصاص الغـدر أردى أعزلا
حتى المساجد والـكنائس واجهت قصف المدافع هادما ومزلزلا ! !

* * *

همجية أحيت عهود الغـاب : بل كانت عهود الغـاب منها أفضلا
ورواية نارية (نيرون) كا ن مؤلفـا فيها ، وكان ممثلا
ومذابح تـترية لو أن (جنـ ـكيزا) رآها ، لاشمأز وأجفلا
وفظـائع وحشـية لو أن ظهـ ـر الأرض حمل وزرها لتململا ! !

* * *

هذى المـآسى : ما ثنت يا بورسعيـ ـد عناد شعبك ، بل مضى واستبسلا
كم من شجـاع فيك صلصل سـيفه فارتاع سيف الغـدر ساعة صلصلا
ولـكم فـدائى تبسم للمنـا يا العـابسات ، وللحتوف تهللا
ولـكم أبى منك أرخص نفســه ونفيسه ، والموت فى فمـه حلا
حتى فتاتك : قـد تحلت بالسلا ح وطلقت كل الجواهر والحـلى
وتسربلت بملابس الميدان وانـ ـتزعت عن الجسم الرقيق المخملا
ومضت إلى الهيجاء ترمى بالرصـا ص عدوها فتصيب منـه المقتلا

وروائح البـارود صارت عندها أشهى من العطر الزكى وأجملا ! !

* * *

« يا بور سعيد » : ومنك كل عظيمة لا زلت للمثـل الرفيعـة معقـلا
دهت الخطوب فؤادها فحملتهـا والحـر إن دهت الخطوب تحملا
ووقفت للعــدوان وقفة مؤمن والفرد بالإيمـان يعـدل جحفــلا
قاتلت فى ثقــة وتصميم : فـلم تهنى ، ولا التصميم منـك تخلخلا
والله حولك كان يبسط ظــله ما ودع الأحــرار فيك وما قلا
رحمـاته نزلت عليك ، فهونت صعب الخطوب ، وخففت ما أثقلا

* * *

يا مصر ، هذى « بور سعيد » : قصة للنصر أخرجها الـكفاح وسجـلا
هى قصـة الأحرار يوم تسابقوا بين الدياجى يحمــلون المشعلا
هى قصـة الجيش الشجاع الحر أق سم أن ينـال النصر ، أو أن يقتلا
هى قصـة الشعب الأصيل مضى إلى ساح الـكفـاح موحدا متـكتلا
هى قصـة القومية العربية ان تفضت ، وصوت الوعى فيها جلجلا
هى قصـة الحرية انطلقت من الـــغل الثقيل ، وحطمت من غللا
قولوا لإيدن : ليس بدعا أن فشلـ ت فشأن كل مضلل أن يفشلا
صفعت قفاك يد العروبة : فانتقم واصفع معلمك العجوز تشرشلا
ورمتك مصر فخـر نجمـك آفلا والعـار لطخ وجهك المسترذلا
ونجـــوم الاستعمار مهما تلتمع لا بد يوما أن تخر وتأفلا
يا مصر جيش الظـالم الباغى انحنى ذلا وأسرع بالهروب وعجلا

* * *

جيش العدو جـلا ، ولـكنى أرى خطر العـدو على العروبة ماجـلا
فتوقعى يا مصر عودة غـــدره فالغدر فى طبع العـدو تأصلا
لا تخـدعى بهدوئه ، فلطالمـا كان الهـدوء إلى العواصف مدخلا
وتيقظى ، لا تغفلى إن الذى ترعى الأفاعى حـــوله لن يغفلا
وضعى أصـابعك الشداد على الزنا د ، وأمنى غدك العظيم المقبلا
وترسمى يا مصر خطو (جمالك) الـ بطل الشجاع لتبلغى أوج العلا

ابراهيم على بديوى
وكيل معهد طنطـا

أطباء الوحدة الطبية الأزهرية وموظفوها فى خدمة الوطن والمواطنين

الوحدة الأزهرية الطبية

ومستشفى الجامع الأزهر

---

١ — تعتبر الوحدة الطبية مفخرة من مفاخر الأزهر وعنوان تقدمه ، والأداة الفعالة فى النهوض بالناحية الصحية إلى المستوى الذى وصلت إليه بفضل المجهود المتواصل الذى يبذله القائمون على هذه المؤسسة، والعناية التامة التى يضطلع بها الجميع من أطباء وصيادلة ومساعدين وموظفين .

ونظرة عابرة من تاريخ إنشاء الوحدة سنة ١٩٤٧ إلى الآن تدل دلالة واضحة على الخطوة الواسعة التى خطتها خلال هذه السنوات ، مما ينطق بتلك الهمة المشكورة التى أسهم فيها الجميع . وليس أدل على ذلك من الجداول التى تحدد الإحصاءات الكبيرة والحالات الكثيرة المختلفة التى باشرتها الوحدة وأظهرت فيها نتائج طبية حاسمة تذكر لها بالفخار .

٢ — العيادة الخارجية :

يتردد عليها عدد كبير من المرضى يباشرهم فيها أطباء إخصائيون فى جميع الأمراض بجميع أقسامها المختلفة ، وهى الأمراض الباطنية والجراحة والأذن والأنف والحنجرة والأمراض الجلدية والرمد والأسنان والأمراض المتوطنة والأمراض النفسية والعصبية وقسم الأشعة وقسم التحاليل .

٣ — القسم الداخلى :

وتحول إليه الحالات المهمة التى تحتاج إلى عناية ورقابة دائمة، أو الحالات التى تستدعى إجراء عمليات جراحية، وتباشر على يد أمهر الأطباء الإخصائيين، ويظل المريض تحت إشراف دائم من الأطباء المقيمين والأطباء العاملين حتى يتقرر خروج المريض بعد شفائه . وقد زاد عدد الأسرة إلى ٥٠ قابلة للزيادة ، وتصرف لمرضى القسم الداخلى الأغذية اللازمة طبقا لما يقرره الطبيب وبحسب حالة كل منهم ، فهناك مرضى يصرف لهم غذاء

كامل ، وآخرون يصرف لهم غذاء إضافى ، وفئة أخرى يصرف لهم غذاء بسيط أو غذاء سوائل ، وهكذا ...

٤ — المعمل ويقوم باجراء جميع أنواع التحاليل الطبية والبكتريولوجية ، وعمل مزارع للنماذج التى تفحص فيه ، ويقوم بها مساعدون فنيون تحت إشراف طبيب إخصائى ، وتحول إليه حالات من جميع أقسام العيادة الخارجية والقسم الداخلى ، ويعتبر هذا استكمالا لتشخيص أنواع المرض وفحص المرضى حتى يمكن تحرى الأسباب الصحيحة للداء الذى يشكو منه المريض .

٥ — الأشعة :

وتقوم بتصوير الأجزاء التى تشكو من مرض عضال قد يختلف فيه الأطباء ، فتظهر أسباب المرض جلية واضحة . ويقوم بالعمل فى هذا القسم مساعد فنى للأشعة تحت إشراف طبيب إخصائى . وتنقسم إلى أشعة أفلام وأشعة نظرية وعلاجية وأجهزة لرسم القلب الكهربائى .

٦ — الصيدلية :

تقوم بالتحليلات ، وتركيب وإعداد الأدوية ، والحقن ، والمستحضرات الطبية المختلفة للعيادة الخارجية والقسم الداخلى بكل دقة وعناية رغم زيادة الضغط والازدحام الشديد الذى تلاقيه من جراء العدد الكبير الذى يقوم بصرف الأدوية يوميا بدون انقطاع .

٧ — الأعمال الإدارية والكتابية :

وهى كثيرة ومتشعبة بالرغم من قلة الأيدى العاملة ، ونذكر من هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر : المخزن ودفاتر العهد والخصم والإضافة وتسلم الأغذية الجافة والطازجة وتحرير كشوف الأغذية اليومية والشهرية طبقا للنظم المقررة فى توزيع الكميات اللازمة لكل حالة من الحالات المرضية ، وتحرير كشوف ماهيات الموظفين والمستخدمين ومكافآت الأطباء المعينين بالمكافأة ودفاتر إجازات الموظفين ودفاتر قيد الصادر والوارد والأرشيف والدوسيهات والملفات الخاصة بالموظفين والخدمة وغيرها من المواضيع المختلفة ، وإجازات الطلاب وتحويلهم من بعض الجهات والمستشفيات الأخرى لعلاجهم

من الأمراض المستعصية كالبلهارسيا والإنكلستوما ، وأعمال المناقصات العامة والمحلية والمشتريات . وهذه العمليات كانت تباشرها إدارة الأزهر وأسندتها إلى الوحدة .

الوحدة فى صفوف الجهاد

وعند ما قام الطغاة يريدون شرا بهذا الوطن ، وأذن المؤذن بحى على الجهاد ، كانت الوحدة الطبية الأزهرية فى الطليعة ، وتطوع جميع أطبائها وموظفيها ومستخدميها ــ وعلى رأسهم السيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة وكبير أطبائها ، والسيد الدكتور يوسف محمد عيد وكيلها ــ فى كتائب الحرس وجيش التحرير ، فى الوقت الذى أصدر فيه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر قرارا بأن تقوم الوحدة بخدمة المواطنين ليلا ونهارا حسب النظام الذى يضعه مدير الوحدة فى هذا الشأن ، وقد استقبلت الوحدة واستضافت عشرات الآلاف من كتائب جيش التحرير والحرس الوطنى من ضباط وجنود ، وقامت بعلاج الآلاف من هؤلاء المواطنين من فحص وتشخيص وصرف أدوية وإجراء عمليات جراحية كبيرة ، كما وضعت الوحدة مشروعا لعمل مركز دائم لنقل الدم بها حتى تكون على أتم الاستعداد .

والوحدة ــ إذ تفخر بهذه الجهود الموفقة ــ تشعر بأنها قد أدت رسالتها الإنسانية والطبية والوطنية على الوجه الأكمل ، كما تضرع إلى الله تعالى أن يكلأ هذا البلد برعايته وتوفيقه ، وأن ينصره على القوم الظالمين تحت قيادة رجل الوطنية الأول الرئيس جمال عبد الناصر .

إدارة الوحدة الطبية

الخمرة

دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب

عدوة لب سلت السيف واعتلت به القوم إلا أنها لم تضارب

تعرى الفتى من ثوبه وهو غافل وتوقع حرب الدهر بين الأقارب

أبو العلاء المعرى

الصلة بين الاسلام والقومية العربية

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر مع مندوب مجلة (لايف) الأمريكية

اتصلت إدارة العلاقات العامة فى مصلحة الاستعلامات بمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ، ورجت تحديد موعد للصحفى الأمريكى المستر كيف ميلر مندوب مجلة لايف الأمريكية لمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر ، وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر على التصريح له بمقابلته يوم السبت الموافق ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٥٦ .

وحضر الصحفى لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ومعه مندوب مصلحة الاستعلامات ، وصرح بأن مجلة لايف الأمريكية أوفدته إلى بلاد الشرق الأوسط لعمل دراسة عن القومية العربية ، وأنه زار سوريا ولبنان والأردن والعراق ، وسيزور السودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، ورغب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يحدثه عن الصلة بين الإسلام والقومية العربية ، وإلى أى مدى يقود الإسلام ويوجه القومية العربية .

وقد تحدث اليه فضيلته فذكر أن القومية العربية صلة كصلة النسب والقرابة التى تجمع بين الأخوة وأبناء العمومة ، لأن الشعوب العربية يرتبط بعضها ببعض بصلات القرابة ، وتجمعها أصول مشتركة ، وهناك بعدهذا صلة روحية تحكم هذه الصلة وتهيمن عليها ، وهى رباط الإسلام الروحى الذى يعتبر أقوى من صلة القومية ، لأنه منها بمنزلة الروح من الجسد ، والروح هى التى تسير الجسد وتسيطر عليه ، وهو أيضا أوسع وأشمل من رابطة القومية العربية التى تقتصر على البلاد العربية ، لأنه يدخل فيه مع هذه البلاد غيرها كالأفغان ، والباكستان ، وأندونيسيا ، والملايو ، وأجزاء من الهند والصين وغيرهما من البلاد الآسيوية والافريقية ، ويدخل فيه المسلمون فى أوربا وكل من ينتمى إلى الإسلام .

وأهم دليل على أن هذا الرباط الروحى أقوى من صلة القومية ، أنه إذا خرجت جماعة أو دولة من العرب على ما يقتضيه الرباط الروحى ، فأن الصلة الأخرى لا يكون لها أثر أو اعتبار حينئذ فى موقف باقى الشعوب العربية تجاهها . كما أن الإخوة من النسب إذا ارتكب أحدهم ما يشين أو ما يناقض المصلحة ، فأنه لا تمنعهم صلة الأخوة من الإنكار عليه .

وأقرب مثل لذلك موقف حكومة العراق فى خروجها على ما يقتضيه رباط الإسلام الروحى، فإن شعوب العرب جميعها ـ وفيهم شعب العراق نفسه ـ تقف فى وجه هذه الحكومة، وتعلن تبرؤها منها وإنكارها لموقفها، ولا يمنعها من ذلك صلة القومية والجنس، لأن الرباط الروحى أقوى وألزم .

وتساءل الصحفى قائلا : إن ماقامت به العراق وهو إنشاء حلف بغداد عمل سياسى، فكيف يعد نقضا للاسلام، ومن الذى يقرر هذا ؟ .

فأجاب فضيلته مبينا أن الإسلام دين عقائد ونظم تشريعية وسياسية وقوانين، فهو ينظم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الأفراد والجماعات والأمم بعضهم مع بعض، وفيه القوانين المدنية والجنائية، والقوانين التى تحكم العلاقات بين الدول الإسلامية وبينها وبين غيرها من الدول فى زمن السلم وفى زمن الحرب . وخروج إحدى الدول على ما تفرضه هذه القوانين يكون خروجا على الإسلام ونقضا لرباطه الروحى، وان من مبادئ الإسلام وسياسته الحكيمة أنه يأمر بما فيه صالح الأفراد والجماعات، فمتى كانت هناك مصلحة عامة للبلاد العربية فى أمر من الأمور، ولم يكن هذا الأمر يتعارض مع أصل من أصول الإسلام، فالدين يأمر بالأخذ به، ومخالفته تكون نقضا لتعاليم الإسلام . والذى يقرر كون أمر من الأمور يقتضيه الصالح العام هم أصحاب الشأن فيه، وهم فى مسألتنا غالبية الدول العربية وشعوبها التى اتفقت كلمتها على ضرورة تأكيد الوحدة بينها ونصرة بعضها بعضا، وعلى أن ما تقوم به حكومة العراق هو تفتيت لهذه الوحدة، وإعانة لأعداء العروبة والإسلام من الطغاة المستعمرين على البلاد العربية نفسها وعلى غيرها من بلاد الإسلام ودول الشرق . وبيان أحكام الدين فى هذه المسائل وغيرها مطلوب من أئمة الدين وعلمائه فى مصر وغيرها من بلاد العروبة والإسلام .

وسأل الصحفى : هل أصدرتم بيانا تعلنون فيه استنكار موقف حكومة العراق ؟

فأجاب : نعم أصدرنا أنا وإخوانى العلماء بيانا فى هذا الموضوع منذ حوالى ثمانية عشر يوما .

وسأل الصحفى : هل هناك فى هذا البيان وأمثاله أحكام بطرد شخص أو دولة على نحو قرارات الحرمان التى تصدرها الجهات الكاثوليكية .

فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : ان هذه البيانات إنما هى من قبيل الإرشاد إلى الحق والخير، والتمييز بين الصحيح والفاسد، وتبصير الناس بمواطن الزلل والخطر، ليتجنبوها

ويأمنوا شرها ، وتوجيه لهم إلى الطريق المستقيم الذى يدعو إليه الدين ، وليس هناك فى الإسلام من يملك سلطة من السلطات الإلهية ، ولكن أمر الإسلام مبنى على الهداية والإرشاد والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى سلوك سبيل العدل والمصلحة والسلام .

وعند ذلك ذكر الصحفى أنه يحرص على تقديم فكرة واضحة للناس فى بلاده عن القومية العربية ، نظرا لأن لديهم فروضا ومخاوف من هذه القومية وما يجر إليه تكتل العرب وتأثير الإسلام من إيجاد التعصب ضد غيرهم من الأمم ، وأنه يرغب فى أن يسمع رأى فضيلته فى هذه الفروض والمخاوف . فبين له فضيلة الأستاذ الأكبر أن الإسلام معروف بأنه دين التسامح ، وأنه مبنى على البر والعدل والإحسان ، ولا يعتبر الإسلام مجرد الاختلاف فى الدين سببا للتنازع وإثارة العداوة والشحناء بين الأمم والطوائف ، وهو يحرم على الأمة الإسلامية أن تبدأ بشن حرب عدوانية على غيرها لأنهم كفار أو ملاحدة ، وهو يقول : « ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » ويأمر المسلمين فى حالة اعتداء غيرهم عليهم أن يراعوا الحرمات الإنسانية وهم يصدون هذا العدوان عن أنفسهم ، فحرم عليهم أن يقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخا ، أو يقطعوا شجرا أو يحرقوا زرعا فى بلاد أعدائهم مع كونهم هم البادئين بالعدوان ، تأكيدا للمبادئ الإنسانية ونفى كل معنى للعدوان .

والإسلام لا يمنع المسلمين من أن تكون بينهم وبين غيرهم من الأمم والشعوب علاقات تعاون وصداقة ، ما دامت مبنية على الحق والعدل ، ويأمرهم بمراعاتها والوفاء بها . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » ولكنه ينهاهم إذا اعتدى أحد على بلد من بلاد الإسلام ، أو أخرج أهله من ديارهم ، أو عاون غيره على إخراجهم ، أن يكون بينهم وبين هذا الذى اعتدى على إخوانهم مودة أو صداقة أو تعاون ، قال تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » بل إنه يأمر المسلمين بمدافعة هذا العدوان ، والتكاتف على صده ، وألا يدخروا وسعا أو تضحية مهما عظمت ، فهو يدعوهم حينئذ إلى الفدائية ، وبذل أرواحهم فى سبيل حماية دينهم وإخوانهم وبلادهم .

وعند ذلك انصرف الصحفى شاكرا لفضيلة الأستاذ الأكبر سماحه له بالمقابلة وإعطاءه هذا البيان الواضح ، ليعرضه على قراء مجلته التى توزع خمسة ملايين ونصف مليون نسخة ٥

برقية النجف إلى الأزهر

استنكارا لوحشية أعداء الإسلام والإنسانية

نجف – العراق فى ٢٠ / ١١ / ١٩٥٦

صاحب السماحة شيخ الأزهر .

محافل النجف الأشرف الدينية تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة ، وتبتهل له ليأخذ بناصركم ويرفع لواءكم، والقلوب تقطر دما من الاعتداء الصارخ الذى تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية ، والمسلمون فى جميع البلاد يد واحدة فى شد أزركم .

(عميد كلية منتدى النشر)

برقية الأستاذ الأكبر

إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية

فى الإشادة بخطابه السياسى على جند الفتوة العربية

فخامة السيد الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية – دمشق

خطابكم السياسى الرائع سياج منيع للروح الوطنية السورية ، يحفظ قوتها ويحمى كرامتها . وهو آية عظيمة الدلالة على العمل الضخم الذى يقوم به الشعب السورى فى سبيل الوحدة العربية ، والقضاء على مكايد الاستعمار .

وإن لهذا الخطاب البارع أثره البالغ فى تقوية روح المجاهدين من أجل الأهداف الكريمة والغايات النبيلة .

حيا الله الشعب السورى ، وحيا الله قائده رئيس جمهوريته البطل العظيم ، ووفق زعماء العرب لخدمة الوحدة القومية ، وما فيه عزة الإسلام . شيخ الجامع الأزهر

(عبد الرحمن تاج)

وقد أرسل فخامة الرئيس البرقية التالية إلى فضيلة الاستاذ الأكبر :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة

أبعث لفضيلتكم بخالص الشكر على برقيتكم الكريمة ، وما تضمنته من عاطفة عربية خالصة وشعور قومى سام ، سائلا المولى أن يأخذ بيدنا جميعا لما يحقق مجد العرب وعزهم ومنعتهم ، وأن يهدينا سواء السبيل . (شكرى القوتلى)

جهاد الأزهريين بأموالهم

بعد جهادهم بأنفسهم

نص الرسالة التى بعث بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى سيادة السيد رئيس الجمهورية منطوية على صك بخمسة آلاف جنيه دفعة ثانية من جهاد الأزهريين بأموالهم منضما إلى جهادهم بأنفسهم :

السيد رئيس جمهورية مصر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد — فالأزهر يسره دائما أن يكون فى مقدمة الهيئات التى تقوم بواجبها فى الإسهام فى مساعدة قوات الدفاع وإعانة المنكوبين من أسر بورسعيد الباسلة ، وقد سبق أن تقدم الأزهر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بالشيك رقم ٨٦٠٧٢٩ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها كدفعة أولى .

واليوم يتقدم بالشيك رقم ٠٦٨٤٣٢ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف من الجنيهات كدفعة ثانية إسهاما منه فى هذا الواجب المقدس .

والله نسأل أن يحمى الوطن ويصون كرامته وعزته ، ويدرأ عنه كيد الباغين المعتدين ، ويؤيدكم بالتوفيق لما فيه خير مصر والعروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

علماء الازهر

يهنئون بعيد النصر

دونت هذه الـكلمة بسجل الزيارات بدار الرياسة فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ﻫ (١٩٥٦/١٢/٢٣) .

السيد رئيس الجمهورية

شيخ الجامع الأزهر والعلماء يحمدون الله الذى أمدكم بتوفيقه ، وأيدكم بنصره ، وأجلى الأعداء عن الوطن العزيز أذلاء مقهورين ، ورد المعتدين الباغين بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وهم ــ إذ يهنئون الوطن بكم وبما يحققه الله على يديكم من عزة ومجد ــ يسألون الله العلى القدير أن يحوطـكم والعاملين معكم بالعناية والرعاية ، ويحقق على يديكم ما تبتغون للأمة من رفعة شأن بين الأمم ، وأن يديمكم للعروبة فخرا وللاسلام ذخرا .

وإلى الأمام ، فالله معكم ، ولن يضيع أجر المحسنين فى أعمالهم ، المخلصين فى إيمانهم ، الصادقين فى ثباتهم ، ونحن من ورائـكم مصابرون مرابطون ، لا يغرنا النصر ، ولا ينسينا الظفر أن العدو يتربص بنـا الدوائر « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتـكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » كتب الله لـكم دائما النصر والفتح المبين ؟

السيد رئيس الجمهورية القاهرة

بمناسبة عودة الدراسة يرفع عميد كلية الشريعة ووكيلها وأساتذتها وموظفوها وطلابها ، إلى سيادة السيد رئيس الجمهورية ، خالص التهنئة بانتصار جيش مصر الظافر فى مواقعه الحربية التاريخية ، التى هى انتصار للعدالة وقضاء على أعوان الظلم والبغى ، وتحقيق للسلام العالمى الذى يدعو اليـه الدين ، ويجـددون الثقة التامة والبيعة والالتفاف حول علمـكم الخفاق ، وقد هيئوا إمكانياتهم للتفانى فى نصرة الحق والوطن حتى ينال أسمى المطالب ؟

شيخ كلية الشريعة

(محمد الشافعى الظواهرى)

السيد رئيس الجمهورية القاهرة

عميد كلية أصول الدين وأساتذتها وطلابها ينتهزون فرصة استئناف الدراسة بعد الانسحاب المهين، فيقدمون لسيادتكم أصدق التهانى بالنصر المبين، والفوز الباهر، بفضل قيادتكم الرشيدة، وبسالتكم فى الذياد عن حياض الوطن، ويجددون العهد والولاء لكم وللثورة المباركة والأبطال الأمجاد، ويرجون ألا يحرموا من شرف الجهاد فى تعمير مدينة بور سعيد الباسلة »

(محمد على السايس)
شيخ كلية أصول الدين

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

بمناسبة عودة الدراسة بمعهد القاهرة الدينى، بعد النصر المبين الذى أحرزته البلاد، بفضل إخلاصكم الكامل وسياستكم الرشيدة، يتقدم شيخ معهد القاهرة الدينى ووكيله ومدرسوه وطلابه وموظفوه بأخلص التهانى على ذلك الفوز الباهر، ويجددون البيعة لسيادتكم على أن يكونوا جنودا فى كل معركة تخوضونها فى سبيل الدفاع عن البلاد.

وانهم وقد درسوا باب الجهاد يعرفون مكانة الشهداء عند الله، وهو الذى قال: « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » كتب الله لسيادتكم التوفيق التام فى جميع الخطوات. والسلام عليكم ورحمة الله »

شيخ معهد القاهرة
(عبد الوهاب عبد العزيز)

الاسكندرية فى ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

السيد رئيس الجمهورية مصر

شيخ معهد الاسكندرية الدينى وأساتذته وطلابه وموظفوه يرفعون لرمز العزة الإسلامية، وموجه القومية العربية، وقاهر الاستعمار بطل الشرق قائد مصر جمال عبد الناصر،

أصدق آيات التهنئة بالنصر المؤزر، وانسحاب المستعمرين لغير رجعة من المدينة الباسلة بور سعيد الخالدة . دمت لمصر والإسلام والعروبة م٤ (محمد الصادق عرجون)
شيخ معهد الاسكندرية الديني

المنيا في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

السيد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصر

شيخ معهد المنيا الديني وأساتذته وموظفوه وطلابه يرفعون إلى فضيلتكم تهانيهم الخالصة بمناسبة استئناف الدراسة ، ويعلنون استعدادهم التام لتلبية نداء الوطن وترسم خطاكم السديدة ، والله أكبر والعزة لمصرم٤ (الدسوقي الملاح)
شيخ معهد المنيا

الزقازيق في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

السيد رئيس الجمهورية مصر

معهد الزقازيق الديني : شيخه ووكيله ومدرسوه وموظفوه وطلابه يقدمون لسيادتكم آيات التهنئة والتبريك بهذا النصر العظيم ، وهم - إذ يستأنفون دراستهم - يعاهدون الله سبحانه وتعالى على الجهاد في خدمة الوطن والعروبة ، ويسألون الله لسيادتكم دوام التوفيق م٤
(أحمد كامل الخضري)
شيخ معهد الزقازيق الديني

كفر الشيخ في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصر

شيخ معهد كفر الشيخ وأساتذته وطلابه يهنئون بعودة الحياة لمعاهد العلم مقرونة بعودة الحرية لكل شبر من أرض الوطن . نحن مرابطون بمعاهدنا ، وإن عادوا للاعتداء عدنا للميدان م٤ (أحمد حسن حلفاية)
شيخ المعهد

قنا في ١٩٥٦/١٢/٢٢

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصر

أسرة معهد قنا تستأنف الدراسة اليوم بالمعهد، وهى أقوى ما تكون استعدادا للجهاد في سبيل العلم والوطن ، معجبين بالمواقف الخالدة لقادة مصر الأحرار .

(محمد عياض وسيد الملاح)

بنها في ١٩٥٦/١٢/٢٢

السيد الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر مصر

شيخ معهد بنها وأساتذته وطلابه – وقد عادوا لعملهم بعد الانتصار الظافر – يقدمون لسيادتكم خالص التهنئة ، معاهدين الله والوطن أن يكونوا لمصر جنودا في الحرب والسلم .

والله ولينا ونعم النصير م

شيخ معهد بنها
(عبد الكريم جاويش)

أسوان في ١٩٥٦/١٢/٢٢

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصر

أساتذة معهد أسوان الديني وطلابه يهنئون سيادتكم والجيش الباسل والشعب المناضل بالنصر المبين على أعداء السلام والحرية . إن ينصركم الله فلا غالب لكم .

(محمد اسماعيل رشيد)
واعظ أسوان

المنيا في ١٩٥٦/١٢/٢٢

السيد رئيس الجمهورية مصر

بمناسبة استئناف الدراسة يرفع شيخ معهد المنيا الديني وأساتذته وموظفوه وطلابه تهانيهم القلبية الخالصة إلى السيد رئيس جمهورية مصر وقائدها الحازم ، بمناسبة انتصاره

على المعتدين الغادرين، وسحق الاستعمار الغاشم، ويؤكدون ولاءهم واستعدادهم لنداء الوطن، ويضرعون إلى الله أن يحفظ الرئيس وصحبه الأبطال، وأن يجعل مصر العزيزة موضع اعتزاز العرب، ومفخرة العالم أجمع، بقادتها العاملين لمجدها وعزتها.

(دسوق الملاح)
شيخ معهد المنيا

بورسعيد فى ١٩٥٦/١٢/٢٥

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر القاهرة

أنا وزميلى بخير. أدينا رسالة الأزهر فى معركة الشرف. تهانينا بالنصر. شكرا لرعايتكم

(محمد عابد)
مفتش الوعظ

بورسعيد فى ١٩٥٦/١٢/٢٥

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر مصر

شكرا عميقا لسؤالكم عنى، وسلام عليكم من مدينة الأبطال.

(على عمارة)
واعظ بورسعيد الباسلة

وبعد أن أعدت مواد المجلة للطبع وصلتنا برقيات أخرى من بينها برقية لكل من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد العسكرى شيخ معهد جرجا، والشيخ عبد المجيد يس شيخ معهد شبين الكوم، والشيخ محمد الديب المشرف على البعثة الأزهرية بالحجاز، والشيخ مختار الظواهرى مبعوث الأزهر بدمشق، والشيخ عبد العزيز رفاعة شيخ معهد طهطا.

نـــــداء

من شيخ الجامع الأزهر إلى أساتذة الأزهر وطلابه

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   « أما بعـــد »

فقد أذن الله العلي الكبير أن تنجلي تلك الشدة التي امتحنت بها الأمة المصرية وحقق للمجاهدين الصابرين وعده بالنصر والتأييد ، وخرج الشعب المصري من هذه المعركة قوياً متماسكا ليواصل سيره المطرد في طريق التقدم والنهضة الوطنية والحياة الحرة الكريمة .

وإن أول ما ينبغي أن يتجه إليه المدرسون وهم يستأنفون الدراسة ـ التي حال دونها عدوان هذه القوى الباغية ـ هو أن يسترجعوا مع طلابهم أحداث هذا الصراع وكفاح الشعب المجيد وخاصة أبناء بور سعيد ، وأن يستعرضوا ما انطوى عليه هذا العدوان من شر ومكر وانتهاك لجميع الحرمات ، وخطر على كيان الأمة وأمنها وحريتها ، ويستخلصوا من كل ذلك وجوب العمل على تنمية هذا الوعي الرشيد في الأمة لمواجهة المستقبل ، ودرء كيد الطامعين المتربصين .

وإنني لواثق أن جميع أساتذة الأزهر وطلابه وموظفيه ـ وقد أسهموا في رد هذا العدوان بجهود مشكورة ـ سيكونون دائماً مرابطين مستعدين لتلبية نداء الوطن ؛ وسيظلون قدوة حسنة في الذياد عن البلاد والدفاع عن الدين وفي توجيه الشعب التوجيه السديد القوي الذي يتطلبه في حاضره ومستقبله .

والله أسأل أن يحفظ الوطن وقادته ويوفق العاملين لمجده وعزته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

تعليقات

بعد هجوم الأعداء على مصر

رب ضارة نافعة

عرف قديماً أن العرب حملة سلاح ، وأهل غزو وكفاح ، وأن لهم فى الحروب من البأس والمصابرة على منازلة العدو ما ليس لغيرهم من الشعوب .

لذلك ولمميزات أخرى اختار الله منهم خاتم رسله - صلوات الله عليه - ووجه إليهم الدعوة قبل سواهم ، لأنهم العشيرة الأقربون إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - فكان الخيرون منهم أهلا للقيام معه بأعباء رسالته ، وإفساح الطريق لها ، والدفاع عنها .

وقد هذب الإسلام فى العرب خشونة البداوة ، ولطف فى أنفسهم حدة الطبع ، وصقلهم بصقال المدنية الماجدة ، ووضع لهم النظم الكريمة فى أساليب الجهاد ، واستخدام القوة ، ومعاملة الغير فى الحرب والسلم ، على أحسن ما تقتضيه العدالة ، والأخوة فى الإنسانية ، فأصبح للعرب قومية ممتازة فى عزتها وحضارتها وسيادتها بين الأمم أكثر مما كان لهم من قبل .

وكان من أثر الإسلام فى الحياة الجديدة أن جعل التربية العسكرية جانباً أصيلا من الثقافة الإسلامية ، وأن رجل الدين فى صدر الإسلام والعصور التالية له كان رجل كفاح وحروب دفاعية ، حتى كانت القيادة والمصاولة فى ميادين البطولة من خصائص أهل العلم قبل سواهم . وحسبنا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه - رضى الله عنهم - أصدق مثل على ذلك .

وإلى اليوم لم تتجرد التربية الإسلامية من التزود بتعاليم الجهاد ، وأساليب الدفاع ومنازلة الأعداء . ذلك لأن القرآن الكريم يحرص أشد الحرص على أن تكون أمته فى منعة من طاعية الطامعين فيها ، وأن تكون دائماً ذات بأس يتهيبه الحانقون عليها ، لتظل كلمة الله هى العليا .

ومن أجل هذا حفل القرآن بآيات الجهاد وبيان فضله وبالحث عليه عند الحاجة ، كما اشتمل على قسط كبير من نظمه حتى فى ساعة القيام إلى الصلاة . . . وكذلك سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أثر عنه ثم عن أصحابه رضى الله عنهم .

ومنذ تسربت الفتن إلى صفوف المسلمين ، وفترت العزائم المشبوبة ، وتخلف رجال العلم

الديني عن الإسهام في الجهاد ، وقام العرف على الحيلولة بين رجل الدين وصفوف الجيش ، وطغى الاستعمار على الوطن الإسلامي ، تعثر المسلمون في حبائل السياسات الماكرة ، ووهنت قواهم ، وطمع فيهم من كان يهابهم ، ويخشى بأسهم ، من الحانقين على الإسلام في نهضاته ، حتى أصبح المسلم غريبا في وطنه ، مغلوبا على دينه ، وصار رجل الدين مبعدا عن الجندية ، وجاهلا بأبسط فنونها العملية ، وإن كان يدرسها دراسة نظرية .

إلى أن شاء الله للأقطار العربية ـ ولمصر خاصة ـ أن تنهض من عثارها ، وتفيق من غفوتها ، وتسترد موقفها في صدارة المجتمع الإنساني ، فبعث اليقظة في نفوس زعمائها وشبابها ، وأولى غيرة وطنية ، وعزيمة إسلامية ، ووفاء عربي ، فتقدموا الصفوف ، وهتفوا بشعوبهم أن يتابعوهم إلى الأهداف الماجدة ، وهي أهداف كانت لهم منذ رسمها الإسلام لأهله : في أوضاع كريمة ، وعدالة مشهودة ، ورحمة شاملة .

ولكن ما كادت مصر تستجيب لزعمائها ، وتتجه إلى غايتها ، حتى تحركت حولها الأحقاد الاستعمارية ، وانحدرت إليها الجيوش الطاغية ، واستهدفت مصر وجاراتها لحرب طاحنة تقزز منها الإنسانية ، وتنفر منها الرحمة الآدمية .

وقد كان للأزهر ـ والحمد لله ـ نصيب مشكور من مؤازرة الجيش النظامي ، إذ كان شيخ الأزهر ، وكبار علمائه ، وجمهرة وعاظه ، وكثرة كاثرة من شبانه في طليعة الناهضين إلى الدفاع عن الوطن .

وكان الأزهريون ـ بانتظامهم في صفوف المجاهدين ـ مجددين لسنة أسلافهم من رجال الدين الإسلامي . وقد تلطف الله بمصر فكشف عنها الغمة ، والحمد لله .

غير أن الأمر لا يستغني عن مواصلة الاستعداد ، ولا يكفي فيه أن يتقدم الأزهري إلى واجبه الوطني وهو قليل الدراية بالفنون العسكرية ، ولم يعد مستساغا أن تظل ثقافة الأزهر فيما يتعلق بالجهاد وحماية الوطن ثقافة نظرية ، في حين أن الدين الإسلامي يتطلب أكثر من ذلك ، على نحو ما كان أسلافنا يجيدون حمل السلاح ، ويلمون إلماما واسعا بأساليب المقاومة في صورها الكثيرة .

لهذا كان من سداد الرأي أن يعمل على افساح برامج الدراسة لجانب واسع من الثقافة العسكرية التطبيقية ، حتى تكون نشأة الطالب الأزهري نشأة دينية مستوفية لنواحيها التكميلية المهمة . وبذلك تكون رسالة الأزهر أكمل ، وأثره أوضح ، ومنفعته أشمل ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

يحاربون الله

بالخيانة والافتراء على الشباب البرىء

لا يزال قراء هذه المجلة على ذكر مما تحدثنا إليهم به فى صدر عدد المحرم من هذا العام بعنوان « يحاربون الله » .

وقد عادت تلك البقية من بقايا عهد الفجور إلى محاربة الله فى مصر المؤمنة ، فزعمت أنها استفتت الطلبة الجامعيين ، فقال فلان من طلبة كلية كذا : إن الله لا يمكن أن يكون موجودا ، وأن فلانا الطالب بكلية كذا أجاب بأن الله غير موجود ؛ وإذا كان موجودا فليعطنى عرشه لأنظم به الكون ! وزورت تلك المجلة أقوالا نجسة على هذه الشاكلة نحلتها طلبة ذكرتهم بأسمائهم مفترية عليهم بأنهم ينكرون وجود الله .

وقد رأينا بعض أهل الغفلة ممن كانوا يستبيحون دخول تلك المجلة إلى بيوتهم قد اشمأزوا منها ـ على افتراض أنها صادقة ـ ورأوا أنها تريد أن تشيع الفاحشة بما نقلته من هذا الهراء .

والآن ظهر شىء جديد : فقد روى الأستاذ أحمد لطفى حسونة عن لسان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، أن الجهات الرسمية أحالت عليه تلك المجلة ليحقق فيما نشرته على لسان الطلبة ، فأرسل فضيلته فى استدعاء الطلبة ، فأجابت الكليات التى زعمت المجلة أن أولئك الملاحدة من طلبتها بأن الأسماء التى ذكرتها المجلة إن هى إلا أسماء وهمية لا وجود لأصحابها .

ولم يقتنع الأستاذ أبو زهرة بهذه الإجابة من الكليات ، وطلب سجلات أسماء الطلبة فى كل كلية وصمتها المجلة التى تحارب الله فى مصر بأنها تحتضن طلبة بتلك الأسماء يحاربون الله معها ، وتفرغ الأستاذ أبو زهرة بنفسه لمراجعة هذه السجلات الرسمية ليستخرج منها أسماء الطلبة الموصومين بتلك الجريمة . وبعد جهد دام أياما لم يجد اسما واحدا فى السجلات لأى طالب من الذين زعمت المجلة أنهم كتبوا لها .

فسأله الأستاذ حسونة : وماذا فعلت ؟

قال : كتبت بذلك لإدارة الجامعة .

فقال له : هذا لا يكفى . . . إننى أشير عليك أن ترفع تقريرك هذا إلى رئيس الجمهورية ، وإلى وزير التربية والتعليم ، وكلاهما لن يرضى بهذا العبث .

ونحن نرى أن نشر هذه الحقائق المحزنة يكفى ليكون تقريرا صارخا مرفوعا إلى رئيس الجمهورية ، وإلى وزير التربية والتعليم ، وإلى وزير الداخلية . وإن هذا النوع من المجون الإجرامى إذا كان يليق فى عهد الحكم الماجن الذى أباده الله ، فأنه لا يليق فى عهد من أظهر شعائره الجهاد فى سبيل الله ، وإن من أقدس الجهاد فى سبيل الله تحطيم هذه الأقلام الكاذبة الخائنة ووضع أصحابها فى المكان اللائق بأمثالهم »

(المجلة)

ذكاء أعرابى

قال أحد عمال الدولة العباسية لأعرابى مستخفا به :

ـ ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة .

فقال له الأعرابى : إن أنبأتك بذلك تجعل لى عليك مسألة ؟

قال : نعم . فقال الأعرابى :

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت ، فسل . قال له الأعرابى : كم عدد فقار ظهرك ؟

قال : لا أدرى . قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ .

حول الأنباء :

إنما نريد أن نعيش . . .

> إذا كانت مصر مصممة على استقلالها السياسي ، فان مصر مصممة كذلك على تحقيق استقلالها المذهبي والمحافظة عليه . . . ستعمل مصر الحديثة بما يتفق وتعاليمها الدينية وتراثها الثقافي . إن مصر ترغب في التعاون الشريف مع الدول الأخرى وتظاهر مبادئ القانون الدولي . . . وكما أن الدول الأوربية والأمريكية تتحد ، فكذا شأن الدول العربية التي تعمل من أجل تحقيق تعاون مثمر ، ولكن كل دولة عربية تسعى لتحقيق سيادتها مثل مصر تماما .
>
> رئيس الجمهورية

القومية العربية . . . مؤتمر باندونج . . .

الأسلحة التشيكية . . . تأميم القناة . . .

هذه أسباب النقمة علينا من جانب الغرب . . . النقمة التي استحالت إلى جيوش تزحف ، وطائرات تضرب ، وأساطيل تدمر . . . النقمة التي كادت تلهب نيران حرب عالمية جديدة . . .

فهل نحن مسئولون عن اللعنة التي صبها الاستعمار علينا ، وهل نحن الذين دفعنا العالم إلى أخطار الحرب ؟؟ نحن لم نرد إلا أن نعيش ، لم نرد أن نتسلط أو نتجبر أو نبغي . . .

ماذا في القومية العربية من أخطار على السلام ، تبيح لانجلترا وفرنسا وإسرائيل أن تشن عليها هذه الحرب الضروس ؟ لقد اتحدت أوربا الغربية ، واتحدت أمريكا ، وقام حلف وارسو ، وميثاق الأطلنطي ، ومؤتمر كولومبو ، فلم تعلن الحرب ، فلما أراد العرب أن يتعاونوا ولديهم أكثر من رابطة توحدهم ، وعليهم أكثر من واجب يجمعهم ، وليس عندهم مطامع التوسع ولا طاقة الاستعمار ، إنما كل غايتهم أن يحموا أنفسهم لا أن يتحكموا في غيرهم ، تصايحت دول ، وأقبلت تناوشهم انجلترا وفرنسا وإسرائيل من يمين وشمال ! ! !

اتهمت القومية العربية بأنها خطر جسيم ... فما هو هذا الخطر ؟؟ ومن الذى يتهدده هـذا الخطر ؟؟ ... خطر على عدن والبحرين ، والـكويت وقطر ، والجزائر وافريقيا الفرنسية ، وأوغندة وكينيا وافريقيا البريطانية ... أليس كذلك ؟؟ وما الخطر على شعوب تريد أن تتحرر ، وليس فى طـاقة دولة أن تحكم غيرها بالجيوش والأساطيل ، وإنمـا يمـكنها أن تتعامل على قاعدة الأخذ والعطاء ، فتفيد وتستفيد ... ! !

وهل تقبل الشعوب الحرة أن تعيش طول عمرها على الاحتكار والاستغلال والسيطرة ، وتخشى التعامل الكريم ، والتعاقد الحر ، والتعاون المتكافئ مع الدول الصغرى ، والتنافس الشريف مع الدول الـكبرى ، لدرجة أن تضحى بدمائها ودماء غيرها من أجل المحافظة على أشكال بالية من الانتفاع لطرف واحد ! ! !

وكل شعوب الدنيا المتحررة لاقت فى كفاحها مساعدات ... : إسبانيا ، وكوريا ، والهند الصينية ، وقبرص ، والمجر . فما بالنا وحدنا الذين يحجر عليهم أن يساعدوا بنى قومهم الجزائريين والفلسطينيين ، فاذا ساعدناهم فمعنى ذلك الحرب ، الحرب التى لم تشنّ من قبل على من ساعدوا قائمة طويلة من الشعوب فى طريق الحرية ! .

وما بال الغرب قد سكت على شرق أوربا ، تنقلب دوله واحـدة بعد الأخرى بين أحضان الشيوعية ، وتتـكتل فى حلف وارسو ، وهـذا تحد سافر للـكتلة الغربية ... لـكنه تحرك لبـادرة الترابط بين دول القوميـة العربية ، ولطليعـة سياسة الحيـاد فى الشرق الأوسط ؟ .

وما بال الغرب قد شاء أن يتحرك أخيرا من أجل المجر ... ولم يتحرك بعد من أجل فلسطين والجزائر ؟؟

هل على العرب من بأس ، ولطالما أمضتهم هذه المفارقات ، أن يتعاونوا ويصروا على التعاون ، وأن يحيدوا عن الميل مع إحدى الـكتلتين ويصروا على الحياد ؟؟ .

إننا نتمسك بقوميتنا وعروبتنا لنعيش ... لنكون طاقة تستطيع بمعنوياتها واقتصادياتها وإستراتيجياتها أن تحمى شخصيتها ، فلا تسفك دماءها فى أحـلاف مع هؤلاء أو أولئك ، وتستطيع بامكانياتها المجمعة أن تجبر الدول الـكبرى على الاعتراف بوجودها وحقوقها ... هذا الاعتراف وحده هو المنشود ، وهـذا التقدير النظيف هو المطلوب ... لا نريد أن نؤذى أحدا ، لـكن نريد أيضا ألا يؤذينا أحد .

لقد قال أصحاب الأحلاف : إن أحلافهم دفاعية لا غير ! ! فهل ترى أحدا له عقل يزعم أن تعاون القومية العربية خطر هجومى ؟؟

يقولون : إن مصر تريد تزعم الدول العربية وتسخيرها لصالحها ... وهاهى ذى التجربة قد محصت الحقائق ، فلم تمل مصر على دولة من الدول أسلوبا معينا من المعاونة ، لكن كل دولة قدرت ظروفها و بذلت ما تستطيع دون إفراط يضر بها أوتفريط يخذل شقيقتها . لم نكن نستطيع أن ننتظر مساعدة عسكرية من كل أخواتنا ، ولم نكن نستطيع أن نقبل هذه المساعدة لو قدموها ، لأن لهم ظروفا عسكرية وسياسية نحن أدرى الناس بها وأولاهم بتقديرها ... هل ترى عاقلا يظن أننا نخلى الأردن وسوريا من جيوشهما وإسرائيل تتربص على أبوابهما ؟؟ هل ترى عاقلا يظن أننا نكلف السودان الفتى وليبيا الناشئة بتعبئة ما هما أحوج ما يكونان إليه ؟؟ .

لكن الدول العربية تنوعت فى أساليب التعاون مع مصر ... منها من قطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا ، ومنها من قطعها مع إحداهما ، ومنها من اختار إرسال المتطوعين والأموال ، ومنها من قطع البترول ، ونحن نشكر الجميع ، فقد أثبتت القومية العربية أنها تعمل حرة كيفما تشاء ، دون إملاء ...

ماذا يضير العالم الغربى إذن من القومية العربية ؟؟

قالوا : إننا اخترنا اتجاهنا منذ أيام باندونج ، وهذا صحيح ، ولكن ماذا فى هذا الاتجاه ؟ لقد زعمتم أننا نريد تزعم العرب ، فهل ترانا هناك نتزعم الهند ، أو الصين ، أو باكستان ، أو أندونيسيا ، أو اليابان ؟؟ إنها دول تبلغ أضعافنا فى التعداد والمساحة ، وكلها دول ليست لها مآرب توسعية استعمارية ، فماذا علينا لو مددنا أيدينا إلى من هم مثلنا فى العالم ، من ليسوا مثل روسيا أو بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا من الدول الكبرى ، وإن مالوا فى المبادئ مع هذه أو تلك فان لهم شخصيتهم ، ولهم كتلة ضخمة من الشعوب لا تقبل أن تموت من أجل غيرها ... إن مؤتمر باندونج ليس حلفا عسكريا ، وليس (كارتلة) اقتصادية لاقتسام الاحتكارات ، وليس خالصا للشيوعية أو للرأسمالية ... ومعنا فيه غيرنا ممن قد تزداد ثقة الغرب فيه عن ثقته فينا ... فأى خطر فى تعاون الأيدى البريئة من الدماء والحرام ؟ ؟ أى خطر فى باندونج ، وفى الكتلة الإفريقية الآسيوية على سلام العالم ؟؟ بل أى خطر فيهما عليكم أنتم يا دول الغرب بصفة مباشرة ، وأنتم

فى علاقات اقتصادية وسياسية مع هذه الدول ، وتستطيعون التعاون السليم معها والتنافس الشريف مع غيركم على خاماتها وأسواقها ؟؟.

وأخيرا قالوا : إن التعاون السياسى والاقتصادى بين العرب ، أو بين الآسيويين والإفريقيين لا يضيرنا ، لكن آه من الأسلحة !!.

وتصوّر الأسلحة التشيكية وغيرها كأنما هى احتلال من الشياطين الحمر لأراضى الشرق !!!

ترى ماذا كان ينتظر منا أن نفعل وقد قبضت الكتلة الغربية عنا إنتاج مصانعها ؟؟ وهل تختلف سوق السلاح عن سوق القماش أو سوق الخضار أو سوق الماشية ، من باعنا اشترينا منه ، وبين البائع والشارى (يفتح الله) !!!

من الذى سيستعمل هذه الأسلحة ؟... إما أننا نحن الذين سنستعملها ، وإما أن تكون دول الكتلة الشرقية قد باعتنا حديدها ورجالها الذين سيضربون بها... ولعمرى ذاك عقد طريف من عقود البيع لو كان !! إنهم فى أقسى دعاوتهم ضدنا وتشنيعهم علينا لم يشيروا إلى اتفاقات علنية أو سرية مع الروس أو غيرهم ، لم يلمحوا إلى قواعد أعطيناها لقواتهم التى ستستعمل هذه الأسلحة ، إنه قد كان بيننا وبين الإنجليز الذين يضربوننا معاهدة ، ولكن ليس بيننا وبين الروس الذين يساعدوننا إلا البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، ويفتح الله !!!

نحن نعلم أن الروس ليسوا ملائكة ، قد يريدون استدراجنا ، قد ينوون فى المستقبل أن يظهروا مايبطنون اليوم... لكننا لا نلام إلى اليوم الذى نقبل الخضوع لهم والجرى فى فلكهم والارتباط بعجلتهم... لانلام حتى نعطيهم ما أبينا أن نعطيه لغيرهم... لانلام حتى نتحرف مع الشرق بعد أن أعلنا الحياد بين الشرق والغرب !!!

ومن الإنصاف كذلك ألا نلوم الروس حتى يطلبوا منا ما نعتبره ماسا بسيادتنا ، ومن الحمق أن نتبرع بلعن من يساعدنا اليوم وهو لم يتجنّ بعد علينا ، بدعوى أنه سوف يفعل بنا ويفعل فى الغير... إننا نعيش فى حاضرنا ، وليست سياسة الدول من صلب وفولاذ لا تتغير ، وإنما تدور مع مصالحها ، فأن رأينا تعاونا أقبلنا ، وإن رأينا الشر فى النواجذ أو حتى وراء العيون ، فيومها يكون الملام ، إذا رآنا الناس صما وعميانا...

إن الغرب قبض عنا أمواله وسلاحه ومعونته... ويريد غيره أن يعطينا سلاحا ،

وقد يعطينا مالا و يعاوننا بما يستطيع . فهل كان علينا ـ لنكون مخلصين لميزان القوى ـ أن نظل بغير مال وسلاح ومعونة ، وأن نتجاهل اليد التى تمتد إلينا ، وأن نغرق لآذاننا فى الخطر الحاضر المتيقن مخافة خاطر منتظر متوهم ؟ ؟ وهل إذا تسلحنا وتقوينا يكون هذا منا ـ ونحن الأمة المحدودة العدد والإمكانيات ـ تهديدا للسلام العالمى ؟ ؟ .

قالوا : بل تتربصون باسرائيل شرا ، ومن أجل هذا تتسلحون ... ! ! !

ولا شك أننا نتوقى غدر إسرائيل ، فان دولة قامت على أرض غيرها بالخديعة ، وطردت أهل هذه الأرض بالجريمة ، لأحرى أن تتوسع على حساب جيرانها فى أى وقت ، ومن كان رأس ماله السطو فهل يلوم الناس على الاحتياط ! ! ! ؟

لقد قامت إسرائيل على قطعة من الوطن العربى باسم الأمر الواقع أو المزاعم التاريخية ، فما يضمن لى ألا تثب على قطعة أخرى من هذا الوطن العربى لتبتلعه باسم الأمر الواقع ، أو بدعوى أن إسرائيليا مر بهذه القطعة أو تلك فى يوم من الأيام ! ! !

وهل بعد ما قامت به إسرائيل لصالح انجلترا وفرنسا فى الهجوم الأخير على مصر ، وقامت به انجلترا وفرنسا لصالح إسرائيل ... يلام العرب على الاستعداد أبدا لمواجهة إسرائيل ... فمن يدرى قد لا تستلطف دولة كبرى دولة عربية أو حكومة عربية فتستأجر إسرائيل للعبث بالاستقرار و إحداث القلاقل ، ثم تقبض الثمن من أرض العرب أو من سلاح الغرب وأمواله ؟ ؟

نعم ، سنعيش أبدا وأيدينا على بنادقنا حذرا من إسرائيل ، ولتشك إسرائيل من هذا التربص ، ولتتضايق من هجمات الفدائيين أو من تحالف العرب أو من حصارهم الاقتصادى لها ..... ليكن هذا كله ، فان العرب الذين طردوا من وطنهم لتقوم إسرائيل على أرضهم و بيوتهم ، أولى برعاية العالم لأنهم أصحاب الحق الأصيل ، و إن العرب الذين قد يطردون فى أى لحظة أو يقتلون فى (عملية وقائية) مثل عملية غزة وسيناء ، أولى بتأييد الضمير العالمى ...

وأرى العالم كله مقسما فى كثير من أجزائه بين دولتين تقتسمان وطنا واحدا وشعبا واحدا ، وتتربص إحداهما بالأخرى الدوائر لتزيل الخط الوهمى الفاصل فى التقسيم ، فما يسبب هذا تشديدا فى التنكير وقطعا للسلاح و إعلانا للحرب ... ألمانيا الغربية والشرقية ، الصين ، فرموزة ، كوريا ، فيتمنة ... لماذا لم يكن التوتر هناك ذريعة لمثل ما حدث عندنا بدعوى التوتر بين العرب و إسرائيل ؟ ؟ ولماذا استمر هؤلاء وأولئك يتسلحون ؟؟

وكان آخر الأحداث ... تأميم القناة ... وماذا فى تأميم القناة ؟ ؟ ماذا فى دولة تريد أن تعيش من الكسب الشريف الذى تدره مرافقها ، دون أن تفتات على حرية العالم فى الانتفاع ؟ ؟

حسب هذه الدعوى بطلانا ، أنهم حاربوا والقناة مفتوحة فأقفلت ... وأنهم حاربوا والبترول لم يتعرض لما تعرضت له القناة من تأميم لكنه انقطع ولم تحمه الشركات الغربية ...

إننا إما أن نقفل القناة وقت السلم ، وإما أن نقفلها فى وقت الحرب ... فان كان إغلاقنا المنتظر للقناة فى وجه العالم وقت السلم ، أفما كان الأجدى لأعدائنا أن ينتظروا حتى يقع عدواننا ـ المحتوم فى نظرهم ! ! ـ ويومها يقبلون علينا بجحافلهم ومعهم تأييد العالم الساخط الحانق علينا المصمم على سحقنا ؟؟

أما فى وقت الحرب فستكون القوة هى التى تقرر مصير القناة ومصيرنا ، وخير لهم أن نبقى محايدين بين الشرق والغرب وتبقى القناة للدولة المحايدة لتحفظ مفتوحة لهم ولغيرهم ، بدل أن نتحيز لهم ولشركاتهم وإداراتهم الدولية ، وبدل أن يعرضونا ويعرضوا أنفسهم ويعرضوا القناة لمن لا يرحم ، ويومها لن تعصم القناة إدارة دولية أو جمعية للمنتفعين ! !

وأجمل من أن تجتمع دول الغرب على تدويل القناة ، أن تجتمع دول الغرب ودول الشرق على ضمان حياد القناة ، وضمان حياد مصر التى تخترقها القناة ... فانه من العبث أن تهاجم مصر دولة معتدية ، فى حين تقف مصر متفرجة على القناة ، وعلى سفن الأعداء تمرح فى القناة ! ! !

عبثا إذن يحاول الغرب زجرنا عن قوميتنا العربية ، وعن التعاون مع الدول المسالمة ، وعن التسلح والقوة ، وعن الانتفاع من مرافقنا ... وعبثا يحاول إنذارنا بالحرب فى أرضنا أو الحرب فى العالم كله ...

إنما نريد من ذلك كله أن نعيش ، وهيهات أن نتخلى عن حياتنا ، وأسباب هذه الحياة عندنا ، فنحن لا نتسلق على غيرنا ولا نتجاوز حدودنا ... إنه لن يعنينا قتال معنا أو مع غيرنا ما دمنا لم نتوخ إلا حفظ حياتنا ، وخير لنا أن نموت صرعى فى الكفاح ، من أن نموت قعدة بالاختناق ؟

محمد فهمى عثمان



تراجم اسلامية جليلة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى ــ ٢٥٦ ص ــ مطبعة أمين عبدالرحمن بالقاهرة

كتاب جديد لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى المفتش بالأزهر ، افتتحه بعد المقدمة بكلمة عن الحديث النبوى : مقاصده ، وبلاغته . ثم ترجم لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب ، وتحدث عن بلاغته . كما ترجم لعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن أبى وقاص ، ولطلحة والزبير ، ولعمار وأبى هريرة وأسامة بن زيد وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين وفاطمة وعائشة وأسماء ذات النطاقين وأم شريك الأسدية ، ومن التابعين لسعيد بن المسيب وعامر الشعبي والحسن البصرى وابن سيرين ومالك بن دينار وسليمان الأعمش وأبى دهبل الجمحى وابن أبى ذئب ، ولزينب بنت على وسكينة بنت الحسين ونائلة بنت الفرافصة ورابعة العدوية .

وطريقة فضيلة الأستاذ النواوى فى التراجم معروفة لقراء هذه المجلة ، وقد امتازت بالإلمام وحسن العرض والاخلاص فى الحكم بالمقاييس الإسلامية . فنرجو أن ينفع الله قراء العربية بكتابه .

جولات إسلامية

وهذا كتاب آخر لفضيلة الأستاذ النواوى هو فى بعضه تعريف بالإسلام وأصوله وشرائعه فى الدين والاجتماع والعقائد ، وفى بعضه الآخر تفصيل لمآثر أعلام الإسلام الخالدين السالفين ممن لم يتحدث عنهم الباحثون والدارسون حديثا يشفى العلة ، وفى بعضه الأخير تفصيل لمواقف أدباء وشعراء إسلاميين لهم بالإسلام فضل وبأدب القرآن بلاغة وروعة تأثير . وكل ما يكتبه فضيلته مما ينبغى للنشء الإسلامى الانتفاع به .

نظرية الإسلام الخلقية

لأبى الأعلى المودودى — ٦٨ ص — مكتبة الشباب المسلم بدمشق

كتب الأستاذ أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية بباكستان نالت الحظوة فى جميع أقطار العالم الإسلامى ، وأكثرها مؤلف باللغة الأوردية ونقل إلى اللغة العربية . وهذا الكتيب من أحدث مؤلفات المودودى وترجمه بالعربية الأستاذ محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية فى لاهور .

وأصل هذا الكتيب محاضرة ألقاها السيد المودودى فى حفل انعقد فى الكلية الإسلامية بمدينة بشاور عام ١٣٦٣ ، ثم نشر فى مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) . ولما كانت الأخلاق روح التشريع الإسلامى وجوهر نظامه فقد وفق الأستاذ المودودى إلى بيان مزية الإسلام من هذه الناحية . فنلفت الأنظار إلى هذه الرسالة القيمة .

بيان المشتبه من معانى القرآن الكريم

للأستاذ حسن محمد موسى — ٢٧٣ ص — مطبعة جمعية رعاية الطفولة بالإسكندرية

هو عرض موجز لعلوم القرآن وتفسير لآياته المشتبهة ، مرتب على نسق تتداعى فيه المعانى ويفسر بعضها بعضا ، وفيه مختار من أقوال مشاهير المفسرين وعلماء البلاغة وأئمة الفقه . وقد راجعه فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرج الجندى من علماء المعهد الدينى بالإسكندرية وقال عنه : « إن المؤلف توخى فى كتابه الآراء الصميمة فى تفسير الآيات التى أوردها استدلالا على ما ذكره من القواعد العامة كالتضمين والذكر والحذف والمجاز والحقيقة والمترادف والمشترك والمجمل والمبهم والأمثال وغير ذلك . واعتنى بمعانى الألفاظ اللغوية ، ولذا كان همه أن يتوخى بيان الآيات التى يكثر فيها الغريب أو يكون معناها مغلق الفهم ، فأجهد نفسه فى شرح جميع ذلك وتوضيحه بأسلوب عصرى مختصر ، داعيا الأمة إلى الأخذ بالدين القويم والتمسك بالجماعة ونبذ الفرقة » .

وعنايته بالمشتبه منصرفة إلى الكلام على الاشتباه الآتى من جهة التركيب ، والاشتباه الآتى من جهة اللفظ . وعقد بابا لأمثال القرآن ، وختمه بفهارس تعين على الانتفاع به .

أنباء العالم الإسلامي

اتفاقية قاعدة القنال

كانت مصر قد عقدت مع بريطانيا فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ اتفاقية تم بموجبها الجلاء البريطانى العسكرى عن قاعدة قناة السويس . وقد أبلغت وزارة الخارجية المصرية الأمم المتحدة فى صباح اليوم الأخير من جمادى الأولى (أول يناير سنة ١٩٥٧) أن بريطانيا بتدبيرها الاعتداء ، وباعتدائها فعلا ، على الأراضى المصرية ، مشتركة قواتها مع القوات الفرنسية والإسرائيلية ، وبمحاولاتها غزو منطقة قنال السويس ابتداء من ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، قد تصرفت على أساس أن الاتفاق الذى عقدته مع حكومة جمهورية مصر بالقاهرة فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ كأن لم يكن ، وبذلك انقضى هذا الاتفاق بالاعتداء المذكور ومن تاريخ حصوله . وبناء على ذلك يلغى القانون رقم ٦٣٧ لسنة ١٩٥٤ بالموافقة على الاتفاق المذكور وملحقاته والخطابات المتداولة الملحقة به والمحضر المتفق عليه ، كما يلغى قرار مجلس الوزراء الصادر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤ باصدار الاتفاق المذكور وملحقاته المشار إليها .

ومعلوم أن الاتفاقية المنتهية تتضمن نصا بأن تبقى أجزاء من قاعدة القناة فى حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فورا ، وكانت تنص على أنه فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع الاتفاق طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا فان مصر تقدم لبريطانيا التسهيلات لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها فعلا ، وذلك لمدة سبع سنوات من تاريخ توقيع الاتفاقية . وقد أصبح ذلك لاغيا بالغاء هذا الاتفاق من تاريخ الاعتداء البريطانى على مصر .

بور سعيد المجاهدة

عند غروب شمس يوم السبت ٢٢ ديسمبر رحل عن المدينة المجاهدة الباسلة بور سعيد آخر فلول البغى من البريطانيين والفرنسيين إلى غير رجعة حاملين معهم الخيبة والخزى ووصمة العار من أمم الأرض ، وقد تم انسحابهم فى حماية قوات الطوارئ الدولية

وفى ذلك اليوم أذاع الجنرال كيتلى قائد القوات المعتدية بيانا من بور سعيد ، ومما

قاله فيه : «لقد قاتلنا ضد دولة جهز جيشها القوى بأحدث الطائرات وأحسن الأسلحة، واستمات جنودها فى الدفاع عن بور سعيد باصرار وعناد وحنكة» .

وفى اليوم التالى نسف تمثال دلسبس الذى كان قائما فى بورسعيد، كما نسف بعد ذلك نصب الجندى المجهول للأوستراليين .

ثم انسحبت قوات الطوارئ متوجهة إلى سيناء للاشراف على انسحاب اسرائيل من الأراضى المصرية .

وقد تسلم الجيش المصرى مدينة بورسعيد باحتفال عظيم .

الخسائر البريطانية الفرنسية

أذاعت المصادر الأمريكية أن خسائر العدوان على مصر كانت ستة آلاف ضابط وجندى بريطانى وفرنسى بين قتيل وجريح ومفقود، وقد دمر خمس الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض وخمس الأسطول الفرنسى، ودمرت ٩١ طائرة بريطانية من طراز كانبيرا و١١ طائرة فرنسية من طراز ميستر . وذلك عدا الخسائر الأدبية الفادحة للدولتين وفقدان ثقة أمريكا والأمم المتحدة فيهما .

مصر تطالب بالتعويضات

قدمت مصر مشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تطلب فيه تعويضات من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عن الخسائر التى أصابتها فى العدوان الغادر على منطقة قناة السويس وصحراء سيناء ومنطقة غزة . وما لحقها من ضرر بتعطيل الملاحة فى قناة السويس والموانئ المصرية وتدمير ممتلكات الدولة المصرية ومرافقها وموانئها الجوية ومصانعها والممتلكات الخاصة، وعن الضرر الذى أصاب الاقتصاد المصرى بمجموعه .

البغى البريطانى على اليمن

اتسع نطاق العدوان البريطانى على اليمن، فاحتشدت قوات البغى على طول الحدود اليمنية فى الجنوب، واستخدم الاستعمار الغاشم وسائل الإبادة من طائرات ودبابات لإبادة الشعب العربى فى تلك الأنحاء النائية عن سمع الإنسانية وبصرها؛ وتدور الاتصالات بين اليمن ومصر والمملكة العربية السعودية لبحث هذا العدوان على ضوء اتفاقية جدة المعقودة بين الدول العربية الثلاث، وتدرس الجامعة العربية مطالبة الأمم المتحدة بالتدخل .

وقد اتصل بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن السلطات البريطانية فى عدن لا تزال تضاعف حشودها العسكرية على حدود اليمن الجنوبية تدبيرا لأعمال عدوانية جديدة .

الأدب والعلوم

استئناف الدراسة

استؤنفت الدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية فى القاهرة والأقاليم ، كما استؤنفت فى سائر الجامعات ومدارس الجمهورية المصرية ، ابتداء من صباح يوم السبت ٢٠ من جمادى الأولى ١٣٧٦ (٢٢ من ديسمبر ١٩٥٦) .

وروعى فى المدارس الأجنبية العناية بما يليق بالتعليم فى مصر من توجيه العناية إلى الثقافة العربية والاعتبارات الوطنية ، مع الاستمرار فى تعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية مضافا إليه بعض اللغات الحية .

مناهج التعليم
فى البلاد العربية

طلبت إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم إلى رؤساء البعثات التعليمية المصرية فى الأقطار الشقيقة موافاتها بتقارير مدعمة بالصور الفوتوغرافية عن سياسة التعليم فى الأقطار التى يعملون بها ، ونواحى تشابهها أو اختلافها مع المناهج المصرية والشهادات التى يحصل عليها الطلبة فى المراحل المختلفة ومدى موافقتها للشهادات المصرية والاقتراحات الخاصة بتسهيل إلحاق حامليها بالمدارس والجامعات المصرية .

وستقوم الإدارة بوضع كتيب عن الأقطار الشقيقة يشمل النواحى المختلفة التى يتعين على المدرسين المعارين لها الوقوف عليها .

تعليم موحد
فى مصر وسوريا والأردن

وافقت حكومة الأردن على عقد مؤتمر لممثلى وزارات التربية والتعليم فى مصر وسوريا والأردن ، لوضع أسس واحدة للمناهج التعليمية ومراحل الدراسة فى الدول الثلاث ، صرح بذلك السيد شفيق الرشيدات وزير التربية بالأردن ، وقال : إن الغرض من ذلك هو إتاحة الفرصة للطالب العربى فى أن يستكمل تعليمه فى أى دولة من الدول الثلاث دون أن يعترضه اختلاف المناهج او المراحل الدراسية .

القومية العربية
فى مناهج الدراسة الحربية

تقرر أن تكون « القومية العربية » إحدى المواد الأساسية فى المنهج الدراسى بالكلية الحربية المصرية .

وقد بدأ الطلبة فى تلقى أولى محاضرات هذه المادة التى تساير الأوضاع الراهنة فى الوطن العربى .

الفهرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم	
٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السابع ـ القاهرة فى غرة رجب ١٣٧٦ ـ ١ فبراير ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تشجيع التاليف الاسلامى

ونجوى عن كتاب من ألف كتاب

لما أقدمت إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر على الاضطلاع بمشروع « الألف كتاب » ، أعلنت للناس أن الدافع الأساسى لها على ذلك ما لاحظته من أن حركتى التأليف والترجمة فى مصر تسيران سيرا ارتجاليا دون ضابط أو منهج فى كثير من الأحيان ، فكل مؤلف يكتب فى الفن الذى يختاره ، وكل مترجم يختار ما يروق له . قالت : ومن هنا تكونت المكتبة المصرية دون تناسق أو تكامل ييسران لطالب المعرفة أن يجد حاجته منها .

وهذا الذى أدلت به إدارة الثقافة العامة وطلعت به على الناس ، كان الناس يشعرون به كما شعرت هى به ، ويشكون منه كما شكت هى منه .

وقبل أن تظهر نماذج عمل إدارة الثقافة العامة فى المشروع الذى أسمته « مشروع الألف كتاب » . وقبل أن يعرف النـاس عنه إلا الأخبار التى كانت الصحف تنشرها



عنه ، لقيني العالم الـكامل الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ودار حديثنا حول هذا المشروع ، وكان كلانا فى ابتهاج وسرور من هذا العمل الذى إذا نجحنا فى تحقيقه كما ينبغى كان عملا عظيما حقا ، لأن كل عاقل كان يشعر — كما شعرت إدارة الثقافة العامة — بناحية النقص ، بل الفوضى ، فى حركة التأليف والترجمـة والنشر التى يتولاها الأفراد ومن فى حكمهم ، وكنا نتساءل عن الضابط والمنهج الذى ستلتزمه إدارة الثقافة العامة لئلا تقع هى الأخرى فى مثل هذه الفوضى ، وكنا نودّ أن يكون لها مستشارون أمناء من أهل الـكفاية فى كل ناحية من نواحى الثقافة والبحث وفروع المعرفة ، ليكون اختيارهم ما يختارونه من الكتب لهذا المشروع ممـا تفخر به المكتبة العربية ، ويملأ الفراغ فى نهضتنا العلمية والثقافية ؛ ويساعد شباب الجيل على أن يكملوا سلسلة معارفهم بمـا ينسجم مع إنسانيتهم النقية ؛ وإسلامهم الصحيح ؛ وعروبتهم الأصيلة ؛ ومصريتهم الناهضة المتحررة .

لكننا — ويا للأسف — رأينا إدارة الثقافة العامة تشكو أمرا كان ينبغى لها أن تشكو عكسه ؛ رأيناها تشكو وفرة زائدة عن الحدّ فيما يقدّمه الأفراد للـكتبة العربية من بعض الفروع كالإسلاميات . وأنا إلى الآن لا أزال أتساءل : أحق أن حملة الأقلام من المسلمين فى مصر أخرجوا لقرائهم هـذه الوفرة الزائدة عن الحـدّ فيما تسميه إدارة الثقافة العـامة بالإسلاميات ؛ وأين هى البحوث الإسلامية التى قدمها رجال جامعاتنا الثلاث لقراء العربية ؛ ولو فى مثل الحيز الذى يملأه رجال الجامعات الهندية والباكستانية من هذا الفرع الثقافى ؟

إن تراث الإسلام فى أربعة عشر قرنا هو العنصر المغموط فى حركة التأليف والنشر ، وكان ينبغى للجـامعيين من المصريين أن يحرصوا على استفادة مصر الإسلامية من إنسانية الإسلام وأهدافه السامية فى نهضتها الحاضرة ؛ فيقدموا للشباب المثقف عشرات أضعاف ما نقدمه الآن من الدراسات الإسلامية ؛ توثيقا لروابط الآتى بالمـاضى ؛ وإيقاظا لمـا كان الاستعمار حريصا على (تنويمنا) عنه من أسباب قوتنا ومصادر حيويتنا . فهذه الـكتب التى استطاع الأفراد منا أن يقدموها للمكتبة العربية وتراها إدارة الثقافة العامة وافرة وفرة زائدة عن الحد ؛ نراها نحن أقل من جهد المقل ، ولا تساوى فى كميتها عشر ما ينشر فى الغرب من الكتب فى البحوث الكاثوليكية وحدها . ولو أن الجامعيين تربوا على الاتجاه الإسلامى بصدق وإيمـان لتقدمنا فى هـذا السبيل خطوات واسعة يكون لها ما بعدها . بل إن ممـا يؤسف له أكثر وأكثر أن الذين يتجهون نحو اسم الإسلام من

الجامعيين قد انصرف هواهم إلى المذاهب الشاذة فى الإسلام كالمذاهب الباطنية ؛ حتى كاد يظن أن من وراء ذلك يدا تعمل فى الخفاء وتغذى هذا الاتجاه لأغراض ستظهرها الأيام مهما أبطأت .

هذا من ناحية « الكمية » فيما تحدثت عنه إدارة الثقافة العامة من جهود الأفراد فى حركتى التأليف والنشر الإسلامى . وهى تقول عن ناحية « الكيفية » من هذه الجهود إن عشرات الكتب التى ألفت عن الإسلام لم تسد النقص فى مكتبتنا ، وليس فيها كتاب واحد ألف بطريقة علمية منهجية نستطيع أن نرجع إليه لنعرف كيف نشأت المذاهب الإسلامية ، وما هو الفارق بين المذهبين الشافعى والمالكى مثلا ، أو ما هى الفوارق الرئيسية بين مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة ، ومن هو الحسن البصرى وما مقامه فى تاريخ الفقه الإسلامى ؟

وفى الحق اننا فى حاجة إلى هذا وإلى أضعاف أضعاف ما ذكرته إدارة الثقافة العامة ، وان الأفراد قد بذلوا جهدهم على قدر طاقتهم ، ولعل من الظلم لهم قول إدارة الثقافة العامة : « إن بعض المؤلفين استغلوا تعطش الجماهير إلى « الإسلاميات » و « العربيات » استغلالا سيئا ، فانصرفت الغالبية العظمى منهم إلى تأليف كتب عن الإسلام وثقافته ورجاله وتاريخه ، وأخرجوا مئات من الكتب لا يضم معظمها علما أو تفكيرا جديدين ، وإنما هى سوقية تعتمد على استغلال عواطف الناس ، حتى تضخمت المكتبة العربية على غير طائل » . فهل الذين أخرجوا هذه المئات من الكتب منعوا الجامعيين ورجال الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم من أن يؤلفوا وينشروا — بجهودهم الشخصية — ما هو خير منها ؟ وهل ما يصدره الجامعيون من كتب الباطنية كان خيرا لهم ولمصر وللاسلام من أن يصدروا بدلا منه كتبا فى البحوث الإسلامية السليمة ، ودراسات عن التراث الإسلامى منظورا إليه بعين العالم المسلم لا بعين الأجنبى الشانئ ؟

ميدان التأليف والنشر واسع ، وأبوابه مفتحة للجميع . فلماذا لا يكون عند الجامعيين المسلمين الاتجاه الإسلامى اللائق بأمثالهم ، فيخرجوا للناس كتبا تحدث عن الإسلام بأمانة وتحقيق ، كما يتحدث المصرى عن قناة السويس من وجهة النظر المصرية ، لا كما يتحدث عنها الفرنسيون والانجليز من وجهة نظر شركة قناة السويس الفرنسية أو التى تسمى نفسها دولية أو عالمية ؟ !

وكنا نظن بعد أن ذكرت إدارة الثقافة العامة ما ذكرته عن تفاهة مئات الكتب الإسلامية التى قام بتأليفها الأفراد ونشروها بجهودهم الشخصية ، أنها ستخرج لنا — فى كتبها الألف — كتبا عن نشأة المذاهب الفقهية خيرا وأوسع وأدسم من الكتيب المتواضع الذى ألفه العلامة المحقق أحمد تيمور باشا بعنوان « نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وكيفية انتشارها » ، وكتبا حافلة عن مقارنة المذاهب الفقهية الإسلامية وتاريخ نشوئها أوسع من كتاب « الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى » لعلامة المغرب السيد محمد بن الحسن الحجوى ، ومن الكتب التى ألفت فى مصر عن تاريخ التشريع الإسلامى من أيام الشيخ محمد الخضرى إلى الآن . فاذا كانت هذه الكتب كلها سوقية تعتمد على استغلال عواطف الناس ، فلا بد أن إدارة الثقافة العامة ستخرج لنا مئات من الكتب الألف خاصة بهذا وغيره من الدراسات الإسلامية على النحو الذى أشارت اليه .

وفى الأمس أطلعنى فاضل سعودى من ضيوف مصر — وهو الشيخ يوسف بن عبد العزيز النافع مراقب هيئة الأمر بالمعروف فى المسجد الحرام — على كتاب اختارته إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ونشرته على أنه من الكتب الإسلامية فى سلسلة كتبها الألف . وكان مما يثير الدهشة أن هذا الكتاب لداعية من كبار تلاميذ عدو الله صنيعة الاستعمار البريطانى غلام أحمد القاديانى !

ولا يحسبن القارئ أن إدارة الثقافة العامة ، وكل من له علاقة بترجمة الكتاب ومراجعته ، والإشراف على إصداره ، يجهلون أن محمد على اللاهورى من تلاميذ غلام أحمد القاديانى ، فانهم عرفوا ذلك واعترفوا به فى صفحة التعريف بالمؤلف فزعموا عنه أنه : « نشأ عاكفا على الفضيلة ، عابدا ، مولعا بالقرآن الكريم ، وقد نبذ مطامع الدنيا فى صحبة مرشده الروحى غلام أحمد القاديانى مؤسس الحركة الأحمدية . . . وعن أستاذه سلك طرائق النساك ومسالك الزاهدين ! وقد نشر بنصيحة أستاذه المجلة الإسلامية لتحمل تعاليم الإسلام إلى أوربا وأمريكا » .

ومعنى هذا أن إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم تحسن الظن بمحمد على اللاهورى وأستاذه غلام أحمد القاديانى ، وليس عندها علم حتى الآن بأن غلام أحمد القاديانى عدو للاسلام ، وأنه ليس من أئمة النساك الزاهدين . ومعنى هذا أيضا أنها لا تعلم أنه صنيعة الاستعمار البريطانى ، وأنه قال فى كتابه (التبليغ) : « إن التفريط فى جنب انجلترا كالتفريط فى جنب الله » . ومعنى هذا أيضا أنها لا تعلم أن غلام أحمد القاديانى كان — إلى أن

هلك فى سنة ١٣٢٦ (النصف الأول من سنة ١٩٠٨) - يدعى أنه نبى يوحى إليه ، وأنه هو وأتباعه يؤولون وصف « خاتم الأنبياء » لمحمد صلى الله عليه وسلم بأنه بمعنى « زينة الأنبياء » كما تزدان الإصبع بالخاتم، لا بمعنى أنه آخر الأنبياء ولا نبى بعده . وكان غلام أحمد القاديانى يقول عن نفسه إنه نبى محمدى كما أن المسيح عيسى بن مريم وأنبياء بنى إسرائيل أنبياء موسويون . وكما أن المسيح بن مريم ما جاء لينقض الناموس (أى شرع موسى) بل ليكمله كذلك المسيح الموعود عدو الله غلام أحمد القاديانى يزعم أنه مسيح محمدى ما جاء لينقض الإسلام بل جاء ليكمله !

هذا هو غلام أحمد القاديانى المرشد الروحى لمحمد على اللاهورى مؤلف الكتاب الذى اختارته إدارة الثقافة العامة ليغطى على النقص الذى نشعر به فى فرع الإسلاميات مما ألفه المسلمون المعاصرون . وما دام هذا مبلغ علم هذه الإدارة بالإسلام وأوليائه وشانئيه ، فقد أصبح من الواجب الإسلامى على هذا القلم الضعيف أن يتحدث إلى إدارة الثقافة العامة وإلى كل مسلم فى هذا الموضوع الخطير .

إن محمد على اللاهورى أحد الأركان الأربعة [١] الذين قامت على أكتافهم ضلالة غلام أحمد القاديانى الذى كان يدعى - ومات وهو يدعى ، ولا يزال يدعى له كل تابع له - أنه المسيح الموعود ، وأنه كان يوحى إليه . وكان يدعى - ومات وهو يدعى ، ولا يزال يدعى له كل تابع له - أنه نبى ، ولنفاقه ونفاقهم يسمونه نبيا إسلاميا ، جاء ليكمل الإسلام ، ومن إكماله الإسلام أنه أعلن إبطال الجهاد ، وأن محاربة الانجليز حرام فى دينه ، وأما محاربة المسلمين فى صفوف الانجليز فهى الجهاد المشروع ! وقال عن الدولة البريطانية فى كتابه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) ج ١ ص ٢٦ « ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحائها ودواعى خيرها من قديم . . . وكان والدى الميرزا غلام مرتضى ابن ميرزا عطا محمد القاديانى من نصحاء الدولة البريطانية . . . وكان أبى أمدّها بخمسين فارسا بخيولهم مددا منه فى أيام المفسدة (أى فى أيام ثورة مسلمى الهند

---

[١] وهم حاجى نور الدين قريشى الذى كان خليفة غلام أحمد القاديانى من مايو سنة ١٩٠٨ الى أن هلك فى مارس ١٩١٤ ، ومحمد على اللاهورى الذى تزعم هذه الحركة إلى أن هلك فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥١ ، وخوجه كمال الدين الذى كان عضوا بمجلس المعتمدين القاديانى وسكرتيراً لصدر أنجمن أحمدية ، والرابع محمود بشير الدين ابن الغلام المأفون القاديانى .

على الاستعمار ، فخان دينه وأمته ووطنه وحارب مع الاستعمار) وسبق السابقين فى إمداد المال، عند حلول الأهوال ... أما أنا (أى ابنه الغلام القاديانى المرشد الروحى لمحمدعلى اللاهورى) فما كان عندى من مال الدنيا وخيلها وأفراسها ، غير أنى أعطيت جياد الأقلام، ورزقت جواهر الكلام ، فهذه الدولة الإلهية السماوية (أى بريطانيا) قد أغنتنى وجبرت عيلتى وأضاءتنى ونورت ليلتى وأدخلتنى فى المنعمين ... فقمت لإمدادها بقلمى ويدى ، وكان الله فى مددى ، وعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد أن لا أؤلف كتابا مبسوطا إلا وأذكر فيه إحسانات قيصرة الهند (الملكة ڤكتوريا) وذكر منها التى وجب شكرها على المسلمين ... فأشعت تلك الكتب المحتوية على تلك المضامين فى كل ديار ، وفى الناس أجمعين ، وأرسلتها إلى ديار بعيدة من العرب والعجم وغيرها ... لعلهم يعلمون أن هذه الدولة محسنة إليهم فيحبونها طائعين . هذا عملى ، وهذه خدمتى ، والله يعلم نيتى ، وهو خير المحاسبين ... ومن كان فى شك فليرجع إلى كتابى (البراهين) ، وإن لم يكفه لشكه فلينظر كتابى (التبليغ) ، وإن لم يطمئن فليقرأ كتابى (الحمامة) ، وإن بقى بعد ذلك شك فليفكر فى كتابى (الشهادة) ليتضح له كيف أعلنت بصوت عال فى منع الجهاد والخروج على هذه الدولة ، وتخطئة المجاهدين ... حتى مضت علىّ إحدى عشرة سنة فى شغل الإشاعات ، وما كنت من القاصرين . فلى أن أدّعى التفرد فى هذه الخدمات ... فليس للدولة (أى البريطانية) نظيرى ومثيلى فى نصرى وعونى ، وستعلم الدولة إن كانت من المتوسمين » .

وهذا العبد الخاضع للاستعمار البريطانى يزعم فى كتابه (البشرى) فى (الحصة الأولى) ص ٥٦ أنه أوحى إليه ما يأتى :

« ينزل الله فى القاديان » .

وفى كتابه (حقيقة الوحى) ص ٣٩١ طبعة قاديان مجازين فى مايو سنة ١٩٠٧ وهو من آخر مؤلفاته ، قال : « إن الذين خلوا فى هذه الأمة من الأولياء والأبدال والأقطاب لم يعط لهم شىء مما أعطيت ، فقد خصصت أنا أن أكون نبيا ، ولا يستحقه أحد غيرى لأن الإيحاءات الكثيرة ، والأمور الغيبية ، لم توجد فيهم » .

وقال فى ص ١١ من كتابه (اشتهار معيار الأخيار) : « أنا أفضل من أبى بكر ، بل أفضل من الأنبياء » .

وقال فى كتابه (دافع البلاء) ص ١٣ : « أنا أفضل من الحسين » .

وقال فى حاشية كتابه (ضميمه أنجام آتهم) : « تبا لعيسى ، فقد سرق كل ما فى الإنجيل من الأحكام التى هى تعليمه الجبلى (أى عظة الجبل) من كتاب التلمود لليهود ، وزعم للناس بعد هذه السرقة أنه كتابه الذى أنزل إليه من السماء » .

وقال متهكما على خاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم :

له انخسف القمر المنير ، وإن لى نما القمران المشرقان ، أتنكر ؟

وقد فسر البيت باللغة الأوردية تفسيرا دل على خبثه وقلة أدبه فى حق نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى عراقته فى الكفر والجهل والجنون معا . ومن عقائد القاديانيين أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم هلال ، وأن الغلام القاديانى بدر كامل . وعلى هذه العقيدة صنع القاديانيون رايتهم الملية فنقشوا عليها هلالا وبدرا وبينهما منارة زعموا أنها منارة المسيح القاديانى لتقوم مقام المنارة الشرقية بمسجد دمشق التى ورد فى بعض الآثار أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عليها فى آخر الزمان ، فزعم القاديانى أنه هو المقصود بذلك ، وأنشأوا له بلدة سموها (الربوة) ليفسروا بها الآية القرآنية « ربوة ذات قرار ومعين » . والربوة متنزه مشهور بدمشق .

وادعى القاديانى فى كتابه (أربعين) رقم ٢ ص ٣ ، وأيضا فى رسالة (أنجام آتهم) ، أن الله أوحى إليه قائلا : « اخترتك لنفسى . الأرض والسماء معك كما هى معى ، وسرك سرى . أنت منى بمنزلة توحيدى وتفريدى » .

وقال فى صفحة ٥٦٤ – ٥٦٥ من كتابه (آيينه كمالات إسلام) :

« رأيت فى المنام بأنى إله ، وأيقنت أنى أنا هو الله بعينه . وخطر ببالى أن أصلح الدنيا وأنظمها بنظام جديد . أى أخلق السماء والأرض بدور جديد » .

وقال فى كتابه (توضيح المرام) : « إن الله ذو طول وعرض ، وله أرجل وأيد لا تعد ولا تحصى . وأيضا له أعصاب وأوتار كالسلك البرقى ممتدة فى كل الجهات » .

وقال فى كتابه (بركات الخلافة) ص ٥ : « بعد ظهورى تحول الحج إلى قاديان » .

وقال فى (توضيح المرام) ص ٥٢ : « ما الملائكة إلا اسم لحرارة الروح » .

وقال فى (إزالة الأوهام) ص ٢ : « القيامة ليست بآتية ، والتقدير ليس بشىء » .

وقال فى ص ١٠ من (ضميمة تحفه كولروية) : « وقد أعطانى الله اختيارا كاملا لأن أقبل من الأحاديث الموافقة لإلهامى ، وأن أردها إذا خالفت آرائى » .

وأقوال الغلام القاديانى التى تحت يدى والتى على هذه الشاكلة تملأ هذا الجزء من مجلة الأزهر إلى صحيفة الفهرس ، وأظن أن الذى نقلته منها كاف للتعريف به من ناحيته السياسية والوطنية ، ومن ناحيته الدينية والعقلية .

وهذا الرجل هو المرشد الروحى لتلميذه محمد على اللاهورى الذى اختارت له إدارة الثقافة العامة فى وزارة التربية والتعليم كتابا من ألف كتاب ليسد الفراغ فى الثقافة الإسلامية التى ألف فيها كتاب من المصريين كتبا سوقيـة تعتمد على استغلال عواطف الناس ، فهل كتب القاديانيين التى تعتمد على إرشاد أحمد القاديانى هى الكتب الرفيعة التى تسد الفراغ عن الإسلام فى المكتبة العربية ؟ !

وقد تقول لنا إدارة الثقافة العامة : وما ذنب محمد على اللاهورى إذا كان مرشده الروحى منحطا إلى هذه الدركة التى لا قرار لها فى الجحيم ؟

وجوابى على ذلك أن لمحمد على اللاهورى مقالة فى مجلة (ريفيو أوف ريليجنز) المجلد الثامن ص ١٦٣ يقول فيها : « إن مثل الحركة الأحمدية والإسلام كمثل المسيحية واليهودية » . ومعنى هذا أنه يعترف بأن الحركة الأحمدية التى هو من دعاتها إنما هى ديانة أخرى تختلف عن الإسلام بمقدار ما تختلف المسيحية عن اليهودية . وكما أن دعاة الكنيسة المسيحية ينشرون التوراة ويرونها من كتبهم وإن اختلفوا عن اليهود فى تفسيرها وفهمها ، فان محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يدعون الانتساب إلى القرآن ويختلفون عن المسلمين فى تفسيره وفهمه .

ومعنى هذا أيضا أن محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يقبلون السخيف المأفون غلام أحمد القاديانى بكل ما فيه من نقائص وخيانات وكفر وحماقة وقحة ، ويعتبرونه مرشدا روحيا لهم ، وتسجل له إدارة الثقافة العامة هذا الارشاد الروحى لمؤلف الكتاب الذى نشرته له من الكتب الألف وتصدر به ذلك الكتاب فى صفحته الأولى .

ومعنى ذلك أيضا أن محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يسلمون بأن مأفونهم

كان مسيحا للاسلام كما كان عيسى بن مريم مسيحا لليهودية ، ولا يكذبونه فى أنه كان يوحى إليـه بذلك الهراء الذى نقلنا نمـاذج منه ؛ وسنتحدث عن عقيدة محمد على اللاهورى بشأن الوحى وعدم انقطاعه إلى الآن .

ويقول محمد على اللاهورى فى مقـدمة الطبعة الثانية من ترجمته المشوهة لـكتاب الله الحـكيم : « وأخيرا أفادنى بكل ما فى هذا الـكتاب من خير ، أكبر إمام دينى فى هـذا العصر ، الميرزا غلام أحمـد القاديانى ، وإنى ارتويت من عين العلم المتدفقة التى كانت تتفجر من صدر هذا المصلح الـكبير ، مجدد هـذا العصر ، ومهدى هذه الأمة ، ومؤسس الحركة الأحمدية » .

بل إنهم فى النشرة التى أعلنوا فيها عقائدهم ـ وهى موقع عليها بتوقيع محمد على اللاهورى هذا ـ قالوا فى الفقرة الرابعة منها : إن غلام أحمد مجدد المـائة الرابعة عشرة . وفى الفقرة الخامسة أعلنوا اعتقادهم بأن الله يكلم أولياءه .

ويقول محمد على اللاهورى فى مقدمة ترجمته للقرآن :

« إن باب الوحى الإلهى لا يزال مفتوحا ، ويمكن للمسلم الصادق (أى التابع لغلام أحمد القاديانى) أن يدخله » .

ويقول محمد على اللاهورى فى موضعين من كتابه (الدين الإسلامى ـ أصوله وقواعده) الذى ترجمه السكرتير العـام لمصلحة السكك الحديدية بالقاهرة سـنة ١٩٥٢ : إن الوحى مستمر إلى الآن .

وإن مجلتهم (النور Light) التى يتبجح محمد على اللاهورى بالتمدح بهـا فى الفقرة السابعة من النشرة الموقع عليها باسمه وعنوانها « خـــدمات الجمعية الأحمـدية لإشاعة الإسـلام ـ مركزها فى لاهور پنجاب الهند » وعندى نسخة منها أرسلوها هم إلىّ عند ظهورها فى زمن الاستعمار البريطانى ، زعموا فى العدد ١٩ من هذه المجلة (النور) الصادر فى ١٦ يوليه سنة ١٩٣٣ تحت عنوان (صوت الله) أن غاندى يهبط عليه الوحى الإلهى ، وأن الله كلمه بصوت سمعه غاندى بأذنه . وعلقوا على هذا الخبر السخيف بقولهم : «لم يحدثنا غاندى عن الله بأنه موجود فقط ، بل حـدثنا ـ أبعد من ذلك ـ بأنه يكلم الإنسان ، وحقيقة أنه هو بنفسه سمع صوته » .

ثم قالوا : « ونحن خاصـة ، لنا أسباب تعظم هذه المسألة وتجعلها مهمة عندنا . فصوت الله هو أحد أحجار الزاوية فى حركة الأحمدية . فالدين الذى جز من هذه الخصلة الحيوية [١] قد هوى إلى أن صار أسطورة قديمة لا غير [٢] ، والأساطير الميتة إنما هى عظام ميتة مجردة من الحياة ومن القدرة على النمو الحيوى .

« وثنيو الهند يعتقدون أن الله تـكلم مرة واحـدة فى ابتداء الدنيا ، وأعطى فيدا ـ الـكتاب الذى يقدسه البراهمة ـ للجنس البشرى ، ثم نذر على نفسه أن يلازم الصمت إلى الأبد . واليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان كذلك أغلقوا باب الوحى الإلهى من جهتهم ، وبذلك انتقص المعلمون حقيقة الدين الحيوية وصيروه هكذا أساطير ميتة . والعلماء المسلمون اقترفوا أيضا هـذه الخطيئة ، وبذلك اقتطعوا ينبوع الحياة والنور عن الإسلام – أعنى كلام الله ـ وإنها لإساءة عظيمة إلى الإسلام أن يجعل سـد بين المسلمين وبين هذه البركة الروحية العليا التى هى فى الحقيقة أعظم مسرات الحياة : كلام الله الحى الذى يسمعه الإنسان بأذنه . وإنما جاء الإسلام ليكون بركة للنوع الإنسانى ، لـكن علماء المسلمين ـ باسم الإسلام نفسه ـ قد حرموا المسلمين من بركة الله العظمى الممكنة » .

إلى أن قالت مجلتهم LIGT فى ١٦ يوليه سنة ١٩٣٣ تشتم المسلمين ودينهم : « الشجرة التى لا تثمر ليس لها قيمة . . . فبجحود إمكان كلام الله للمسـلم المتقى جلب العلماء الخسران للاسلام ، فكان مثل شجـرة التين المذكورة فى الانجيل التى صارت لا تحمل ثمرا ، فلعنها المسيح ، وحق له ذلك » .

ولما نشروا هذا الـكلام فى سنة ١٩٣٣ تصدى للرد عليهم فى مجلة (الفتح) العلامة الدكتور تقى الدين الهلالى وكان يومئذ من أساتذة جامعة بون بألمـانيا ، وأنزل الصواعق على هؤلاء الذين لم يملأ عيونهم كلام الله الدائم الخـالد فى القـرآن الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فأرادوا أن يفتحوا الباب لتغيير الإسـلام بدعوى أن الله يكلم

---

[١] أى دين الاسلام الذى قام على عقيدة انقطاع الوحى ، وأن النبى محمدا صلى الله عليـه وسلم خاتم النبيين .

[٢] وعلى هـذا فدين الاسـلام أبعد شوطـا عن الحركة الأحمدية من بعـد دين اليهود عن الديانة المسيحية .

الكذابين والمعتوهين والدجالين كنبيهم غلام أحمد القاديانى ، بل يكلم البراهمة من عباد البقر، بصوت يسمعونه بآذانهم فيأتون بأديان كاذبة تخدم الاستعمار من نوع دين أستاذهم ومصلحهم ومجددهم ومرشدهم الروحى عدو الله غلام أحمد القاديانى الذى زعم أن الله كلمه وقال له : إن السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) فى مصر ، ومولوى ثناء الله الإمرتسرى صاحب مجلة (أهل الحديث) التى كانت تصدر فى إمرتسر بالهند يموتان قريبا ، فمات هذا الضليل خادم الاستعمار البريطانى وشبع موتا ، وعاش الاثنان بعده دهرا طويلا ليثبت الله للناس كذبه وأنه يتكلم من وحى الشيطان . وقديما قيل للأحنف بن قيس : إن المختار بن عبيد الثقفى يزعم أنه يوحى إليه ، فقال الأحنف : صدق . وتلا « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

ومن العجيب أن يتمسك محمد على اللاهورى وطائفته بدعوى استمرار الوحى ليثبتوا أن مأفونهم القاديانى كان يوحى إليه بما نقلنا نماذج منه عن كتبه السخيفة ، فهم يجمعون بين العلم بسخف تلك الكتب بدليل أنهم لا يجددون طبعها ، ويجمعون النسخ المطبوعة منها قديما فيوارونها كما توارى السنور خرءها ، ومع ذلك يحافظون على خرافة استمرار الوحى تصديقا له وإصرارا منهم على الائتمام به . فكلام غلام أحمد القاديانى عندهم وحى وهو مع ذلك كلامه ، ومحمد على اللاهورى يريد فى كتابه الذى ترجمته عن الإنجليزية إدارة الثقافة العامة ونشرته فى طليعة كتبها الألف أن يغرس فى أذهان قرائه أن القرآن من أفكار النبى صلى الله عليه وسلم وأنه مع ذلك موحى به إليه ، ولذلك سمى كتابه الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدرج تحت الفكر الخوالد لمحمد صلى الله عليه وسلم كل ما أورده فى كتابه من الآيات القرآنية ، فكما أن مؤلفات الغلام القاديانى التى ملأها كفرا بالإسلام وتمجيدا بالاستعمار البريطانى هى عند محمد على اللاهورى من الفكر الخوالد للغلام القاديانى ، وهى مع ذلك مما أوحى به إليه ، كذلك الآيات القرآنية هى من الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى مع ذلك مما أوحى به إليه .

فما يعزوه من الوحى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم هو عنده كالذى يعزوه من الوحى لمسيحه الموعود الغلام القاديانى ، وما يعزوه من الوحى لغاندى ، بل إن الوحى عنده مستمر ودائم لجميع الناس ، ويعيب على مواطنيه من براهمة الهنود أنهم يحصرون الوحى بكتاب الفيدا فى ابتداء الدنيا ولذلك فهم عنده مخطئون ، وأن اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان الذين أغلقوا باب الوحى الإلهى من جهتهم مخطئون أيضا ، وأن

أشدهم خطأ المسلمون الذين يقولون بانقطاع الوحى بوفاة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . والقاديانية وحـدها هى المصيبة بأن معنى خاتم النبيين زينتهم كالخـاتم الذى فى الإصبع ، وترى أن الإسلام ـ بتكذيبه غلام أحمد القاديانى وكل الذين توحى الشياطين إليهم ـ أصبح كالشجرة التى لا تثمر وهى الشجرة التى لعنها المسيح . أما ثمرة الإسـلام الشهية وهى تـلاوة الوحى الدائم البـاقى إلى يوم الدين فى آيات الـكتاب المبين فهى عنـدهم ليست بشىء لأنها لا تمجد الاستعمار البريطـانى ولا تسب الأنبياء والصحابة ولا تجـارى الغلام المأفون فى كفره .

وبعد فانى أقترح على المسلم المجـاهد وزير التربية والتعليم أن يأمر بحجز نسخ كتاب محمد على اللاهورى القاديانى الذى ترجمته ونشرته إدارة الثقافة العـامة ، وأن يأمر باحراقها ، وأن يغرم نفقات ترجمـــة الـكتاب وطبعه لمن أشار بادخاله فى الـكتب الألف ، وأن ينبـه على إدارة الثقافة العـامة بأن تستشير فى كل شىء أهل الأمانة والنصيحة والمعرفة بحقائق الأشياء ، والله الموفق م؟

محب الدين الخطيب

قاديانيات

* فى سنة ١٨٩٨ سن غلام أحمد القـاديانى قانونا لأتباعه يحظر عليهم أن يزوجوا بناتهم للذين لا يصدقون بنبوته .

* فى سنة ١٩٠١ أمر الغلام القاديانى أتباعه باحصاء عددهم ، وتقييد أسمـائهم فى سجل . قال ابنه محمود بشير : وكانت هذه السنة مبدأ التفريق بين القاديانيين والمسلمين .

* فى سنه ١٩٠٥ أسس الغلام القـاديانى بالإعانات البريطانية مدرسة دينية لتخريج الدعاة لمذهبه ومقاصده . ولمـا زار المهندس المصرى مصطفى مؤمن القارة الهندية بعد الحرب العالمية الثـانية زار هذه المدرسة فوجـد بين الذين يتعلمون فيها الدعوة القاديانية فتاة مصرية من أسرة إسلامية .

– ٤٧ –

معالم الطريق الى الفلاح

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة ، وجاهدوا فى سبيله ، لعلكم تفلحون » .

١ — تكفل الله تعالى ببيان السبيل إلى بابه ، ورسم لهذه السبيل معالمها ، ودعا خلقه أن يوجهوا أنفسهم إليه فى ضوء تلك المعالم ، ووعدهم فى كل موطن من مواطن الدعوة أن يتقبلهم راضيا عنهم ، متجاوزا عن سيئاتهم ، إذا أحسنوا الظن بربهم ، وصدقوا النية فى الاتجاه إليه ، فان أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ، وإن أساءوا فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد .

٢ — ومن دعوات القرآن إلى سبيل الله قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . . الآية » فهذا نداء للمؤمنين أن يأخذوا بثلاث وسائل ، لتكون غايتها — وهى الفلاح — مكفولة لهم . . وإنما آثر المؤمنين بهذا النداء ، لأن الشأن فيهم أن يرغبوا فى الفلاح لأنفسهم ، والأمل فيهم أن يحرصوا على الأسباب ، وأن يطيعوا فى الأخذ بها كوسيلة إلى غايتهم المرجوة ، وهذه ظاهرة الإيمان الذى عرفوا به ، وخوطبوا بعنوانه . والعقلية المؤمنة هى التى تربط الأسباب بمسبباتها ، وتدرك أن من زرع حصد ، وغير المؤمنين تغرهم الأمانى ، وتقعد بهم الهمم ، فهم يطمحون ولا يعملون ، فتوجيه الخطاب إليهم غير ذى جدوى ، وفى الإعراض عنهم تحقير لهم ، وإشعار لهم بأنهم ليسوا فى عداد الناس الذين يلتفت إليهم . وأما المؤمنون فهم وحدهم الجديرون بالخطاب : (ا) أن يأخذوا بالتقوى (ب) ويبتغوا إلى ربهم الوسيلة (ج) ويجاهدوا فى سبيله .

(ا) ومعنى التقوى : تجنب سخط الله ، والتحبب إليه تعالى . . وذلك كله منوط بفعل ما أمر الله ، وترك ما نهى الله عنه ، وبالتماس الحلال ، واتقاء المحظور فيما نحن بسبيله من شئون الحياة ، وكلمة التقوى على ذلك كلمة جامعة ينضوى تحتها كل معانى الخير إيجابا وسلبا .

(ب) وتكون الوسيلة المذكورة بعدها بيانا وتأكيدا للتقوى . وخلاصة هذا أن التقوى والوسيلة فى معنى واحد ، غير أن الوسيلة صرح فى جانبها بالأمر بابتغائها ، يعنى الاتجاه إليها عن رغبة وإخلاص فيها ، خشية لله وطمعا فى رحمته ، وتكون الوسيلة إلى جانب التقوى أمرا ثانيا فى الظاهر فقط .

ويمكن أن تحمل الوسيلة على معنى الحاجة التى تعرض للانسان ، كما يرى ذلك بعض المفسرين ، ويكون معنى ابتغائها الاتجاه إلى الله فى طلب الحاجة والاعتماد عليه وحده فى قضائها ، كيفما كانت هذه الحاجة للدين أو للدنيا .

وبهذا تكون الوسيلة أمرا ثانيا غير التقوى التى سلف معناها .

وللوسيلة احتمالات أخرى ليست ذات بال . .

(ج) ثم جاء قوله تعالى : « وجاهدوا فى سبيله » والجهاد فى سبيل الله هو الدفاع عن دينه ، ومقاومة الكائدين لشريعته ، والجهاد كذلك بالسعى فى الخير للناس ، ودفع ظالمهم عن مظلومهم ، ومواساة المنكوبين منهم ، وتشجيع المستضعفين ، والمؤازرة فى كل عمل يعود على الناس بما ينفع .

والتعميم فى سبيل الله أولى من قصره على الجهاد وحده ، إذ أن الخير كله سبيل إلى الله ، وإن كان الجهاد أول المعانى خطورا بالبال .

ومن هذا السياق يتضح أن الدعوة إلى تلك الوسائل الثلاث ـ التقوى ، وابتغاء الوسيلة ، والجهاد فى سبيل الله ـ ليست بمعزل عن شئون الدنيا ، فأن الدنيا ـ كما عرضنا لذلك غير مرة ـ ليست عدوة للدين على نحو ما يسرف فى تصويرها بعض المتشائمين منها ، وإنما هى مرقاة إلى الآخرة ووطن للعمل ، وحلبة للسباق إلى باب الله الفسيح .

فالدعوة فى الآية آخذة بأطراف السبيل كلها : دينا ودنيا جميعا .

وإذ انتهت الآية من التنصيص على الوسائل الثلاث، فهى تنتقل بنا إلى الغاية المرجوة منها ، وهى الفلاح الذى ينشده المؤمنون ، فتذكر هـذه الغـاية فى سياق الرجاء عند الله « لعلـكم تفلحون » فكأن الفـلاح الذى يرتجيه المؤمنون لدينهم ودنياهم منوط بوسائله الآنفة ، وليس يكفى بعضها لتمام الفلاح كله ، فأن ثلاثتها دعائم يقوم عليها أمر كامل ، هو غاية مقصودة ، فأذا لم تتوافر الدعائم فلن يتم ذلك الأمر ، ولن تحقق فيه الأمنية .

وما دام الخطاب للمؤمنين، والشأن فيهم ألا يؤمنوا بالبعض دون البعض ، فالمفروض أن تكون غايتهم مسبوقة بوسائلها على نحو ما شرع الله ، ومن أجل ذلك يحثنا الرسول على أن نتقن أعمالنا كما يحب الله سبحانه منا، وكما يحب سبحانه أن يوفينا جزاءنا غير منقوص .

٣ — هـذا : وقد توسع بعض العلماء فى تفسير الوسيلة ، فلم يكفهم أن تـكون بمعنى التقوى ، ولا أن تـكون بمعنى الاتجاه إلى الله فى طلب الحاجات ، والتضرع إليه تعالى بالدعوات ، بل جعلوها شاملة للتوسط إلى الله بالصالحين من عباده ، وشاملة لتوسيط صلحاء السابقين من سكان الأضرحة .. فأصبح يجرى على ألسنة الـكثيرين التوسل بفلان ، بل تسرب إلى أذهان بعضهم أن لسكان الأضرحة جاها ونفوذا عنـد ربهم، بل تصرفا فى شئون الناس .

ومجاراة لهذه الأفهام يكون التوسل بسكان الأضرحة ممن كانوا فى الدنيا أهل صلاح شيئا مأمورا به فى القرآن .. وليس كذلك ، فأن طبيعة القرآن تأبى هذا الفهم ، إذ القرآن قائم على توحيد الله عن الشريك ، وعلى توجيه الناس نحو خالقهم وحـده فى كل ما عظم أوهان من شئونهم .

وآيات الـكتاب وصحاح الأحاديث وأعمال السلف متضافرة على هـذا ، ومع ذلك طال النقاش حول هذا فى العصور الأخيرة عن عهد السلف .

٤ — والحق الذى لايحتاج إلى تـكلف ، ولا يحتمل ريبة ، أن التوسـل إلى الله يكون بالعمل الصالح ، ويكون بالدعوات الطيبات من الناس، وخاصة من الأتقياء الأحياء تـكريمـا لهم ، ونظرا لقربهم من ربهم بالأعمال الطيبة الجـارية منهم ، والدعاء جزء من العمل ، وفى دعاء البعض للبعض توثيق للروابط ، ودعم للأخاء ، وتعاطف بين الناس ، وكل ذلك مستحسن ، ولا خروج فيه على كتاب ولا سنة .

وأما دعاء الأموات للأحياء فغير حاصل، ولا ممكن، ولا مطمع فيه ، ولا معنى للتعلق به .

وحسب الصلحاء الراحلين أن لهم عند ربهم مكانة محمودة ، ومنزلة فى أخراهم لاينالها من كان دونهم عملا فى دنياه ، ولـكنها لا تتعدى ذلك إلى نفوذ أو تصرف أو نحو هذا .

وعلى ذلك التحقيق تضافرت الأدلة المقبولة وكان عمل الصحابة .

فقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يزور الروضـة النبوية ويسلم على الرسول صلوات الله عليه وعلى صاحبيه رضى الله عنهما ، ثم ينصرف دون أن يتوسل أو يزيد ، فلو كان التوسل بأهل الآخرة جائزا لفعـله ابن عمر فى زيارته للروضة ، فأنها مقام فوق كل مقام ، ولأفضل عبد من عباد الله السابقين واللاحقين .

ولسنا بالميل إلى هذا نغض من أقدار سلفنا ، بل نحن نربأ بهم عن تجاوز أقدارهم . والمبالغة فى تعظيمهم أشبه بتعظيم المسيحيين لعيسى عليـه السلام حيث زعموه إلهـا ، أو ابن الإله ، وزعموا أن القول برسالته فحسب يعتبر تنقيصا من قدره ، وما هى إلا مبالغة كاذبة أودت بهم إلى الخروج عن دعوة عيسى نفسه ، والإلحاد فى دينه .

ولقـد خشى علينا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذه المبالغة فى شأنه ، فقـال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » يعنى لا تبالغوا فى الإطراء والثناء علىّ ، لئلا يوقع بكم هذا فى الـكفر كما كفروا .

٥ ـــ وقد رأى بعض العلماء أن التوسل بالنبى محمد صلى الله عليـه وسلم جائز ، واعتبروا ذلك توسلا بحب الله له . وهذا حق ، ثم لا غضاضة فى دعاء إنسان لإنسان ، ولا فى التوسل بحب الله لأنبيائه أو بحبه للصالحين من عباده بوجــه عام ، كما أن المجمع عليه أن نتوسل إلى الله بصفاته .

وقصارى الجدل فى هذا أن الله أقرب إلينا من كل ماعداه ، فليكن قصدنا إليه ، واعتمادنا عليه ، ولنأخذ بما اتفق عليه أولو العلم ، ولا حاجة إلى تكلف ، ورضى الله عن صالحى المؤمنين ، وعنا أجمعين .

٦ ـــ وقد جاء بعد هذه الآية ما يؤكد المطلوب منها فى أسلوب التشنيع على الكافرين ، وإغلاق الباب فى وجههم ، وإقناطهم مما يرجى للمؤمنين .

« إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معـه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم » .

يعنى أن الكفار ضيعوا على أنفسهم الأخذ بتلك الوسائل ، فلن يتحقق لهم ما يتحقق للؤمنين . . فإذا حان الموعد ، ووقفوا من ربهم موقف المسئول فى رهبة ، فلن يجدوا مخلصا من هذه المهلكة .

وإذا كانت أزماتهم الدنيوية ينفع فيها الفداء ، فليست أزمتهم فى الآخرة كذلك ، بل لو فرض أن لهم ــ يومئذ ــ ما فى الأرض جميعا ومثله معه أو أمثاله ، واتجهوا إلى الافتداء به من عذاب يوم القيامة ، ما تقبل منهم ذلك الفداء .

فلينظر الكفار من خلال هذا التهديد إلى هول الموقف ، وليذكروا أن افتداءهم من العذاب غير متاح لهم ، ولو بلغ الفداء ما فى الأرض ومثله معه ، وليعلموا أن نصيبهم من حياتهم هذه عذاب مقيم ثابت لا يتزحزحون عنه ، ولا يتقلص عنهم .

فقد ترددت على مسامعهم دعوة الله إلى طاعته ، وما اقترن بهذه الدعوة من وعد كريم ووعيد رهيب ، فأبوا أن يستجيبوا أو استهانوا بما سمعوا ، فلم يبق إلا أن يصدق الوعيد فيهم ، والله لا يخلف موعده .

وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، والله المسئول أن يجنبنا غضبه ، ويرشدنا إلى سبيله ، حتى نظفر بالفلاح الموعود للؤمنين ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

برنارد شو يصف الاسلام

لما وصل برنارد شو إلى سنغافورة فى رحلة قام بها إلى الشرق لقيه صاحب جريدة (الهدى) على ظهر الباخرة (امبريس أوف بريتن) فقال لبرنارد شو :

ــ رأيت لك مقالة فى (كوز مو بوليتن) امتدحت فيها الإسلام ، فهل لك أن تقول لى ما رأيك فى الإسلام ؟

فأجابه برنارد شو : الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر ، ودين البيع والشراء ، وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان .



حى على الجهاد

- ٢ -

أصول الجهاد ـ اختلافه باختلاف العباد ـ جزاء تاركيه ـ ضربات العدو ـ خدعة التعصب ـ أسلحة لا يعرفها العدو ـ ذنوب الجيش ـ دعاء وأمل .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده ! قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ ! قال : ومن يستطيع ذلك ؟ .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أصول الجهاد خمسة :

جهاد النفس . . بالتزكية والتربية على الهدى ودين الحق ، تعلما وعملا وهديا ، ودعوة إلى الله عز وجل ، وصبرا لحكمه ، واحتمالا للأذى فى سبيله . . ولا يزال العبد مرتقيا فى معارج هذا الجهاد حتى يفلح ويصبح ربانيا ، يدعى عظيما فى ملكوت السماء .

وجهاد الشيطان . . بدفع ما يلقى فى النفس من شكوك وشبهات ، وما يزين لها من رغبات وشهوات .

والنفس والشيطان ، عدوان خفيان ، هما أعدى أعداء الإنسان ، اصطحبا فى الخفاء على فتنته والكيد له ، واصطلحا على إغوائه والتغرير به ، وتظاهرا على أمره بالسوء والفحشاء ، وصده عن سبيل الله ! .

من أجل ذلك كان جهادهما أساسا ومقدمة لما وراءه من صنوف الجهاد ، وأخلق بمن ظفر بعدوه الخفى ، أن يكون ظفره بعدوه الظاهر أعظم ، ونصره عليه أتم .

وجهاد الكفار . . بالدعوة إلى الإسلام ، وحمايته من العدوان ، وافتدائه بالنفس والمال ، وبكل مرتخص وغال ، ابتغاء مرضاة الله ، وإعلاء لكلمة الله . وهذا الجهاد هو المقصود فى الحديث كما أسلفنا فى الجزء الأسبق . وهو الذى يرفع الله به المجاهدين مائة درجة فى الجنة ، ما بين كل درجة كما بين السماء والأرض . . .

وجهاد المنافقين والملحدين . . . بالحجة والبرهان ، والقلب واللسان ، وهو أشد من جهاد الكفار وأصعب ، ومن هنا كان جهاد الخاصة من الأمة ، والصفوة من أتباع الرسل .

وجهاد أرباب المنكرات والبدع . . . بالنهى عنها ، والعمل على تغييرها باليد ، ثم باللسان ، ثم بالقلب عند العجز ، وذلك أضعف الإيمان !

وإلى هذه الأصول الخمسة يشير قوله عز اسمه : « وجاهدوا فى الله حق جهاده » وقوله جل ثناؤه : « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه » وقد أفاض فى بيانها وبيان شعبها ومراتبها صاحب الهدى . . .

* * *

وإذا كان الله سبحانه قد كتب على عباده أن يجاهدوا فيه حق جهاده ، فان فرض الجهاد وحقه يختلف باختلاف العباد قوة وضعفا ، وعلما وجهلا ، وسعة وضيقا ، وحسب الأمة الإسلامية ـ أفرادا وجماعات ـ أن تجاهد ما استطاعت إلى الجهاد سبيلا ، وأن تعد لعدو الله وعدوها ما استطاعت من قوة ، مادية كانت القوه أو معنوية . . . فما من أمة تهاونت فى الجهاد أو تركته ، إلا ألبسها الله ثوب الذل ! وسلط عليها من يسومها سوء العذاب والخوف ! وسلبها نعمة الاستخلاف والتمكين فى الأرض !

تنبه لهذا أعداء الله والإسلام ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ! ويعدون لهم ما استطاعوا من قوة ! ويرمونهم بالتعصب والهمجية ؛ ليبعدوهم عن الجهاد والدعوة ، وليجدوا فى المنافقين منهم من البطانة والأولياء ، من هم أشد على الإسلام من الأعداء ! ! !

وها هو ذا عدو الله وعدونا يضربنا ـ كلما سنحت له الفرصة ـ ببعض ما أعدّ ، وهو متعصب تعصبنا الذى زعم أو أشد ، ضربات لا تعرف هوادة ولا رحمة ! ! !

* * *

ولعل الأمة الإسلامية فى هذه الأيام ـ وقد رأت رأى العين من فجور عدوها ووحشيته ما لم يكن ليخطر على بال ـ تتنبه من غفلتها ، وتصحو من نومتها ، وتعرف فضل الجهاد والإعداد ، بكل ما يتسع له معنى الجهاد والإعداد ، فقد أسفر الصبح لذى عينين ، وانكشفت خدعة التعصب ، وما يراد بها من تثبيط وتخذيل ! وتخدير وتضليل !

وإذا كان المسلمون بحاجة شديدة إلى أسلحة مادية مثل أسلحة عدوهم إن لم تفقها ، فان حاجتهم إلى الأسلحة المعنوية أشد ، وهم منها بحمد الله ونعمته أوفر حظا وأوفى نصيبا ، لو رجعوا إلى كائن دينهم وخزائنه ... ففيها من أسلحة النصر والظفر ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

وإذا كان العدو أقوى منا حشدا ، وأكثر منا عددا وعددا ، فانه لا طاقة لنا به ، ولا قدرة لنا عليه ، إلا بعون الله تعالى ومدده ، وطلب النصر من عنده ... وتلك أسلحة لا يعرفها العدو ولن يعرفها ، ولو عرفها لاستحال أن ينتفع بها ؛ لأنه ليس من أهلها ، ولكن أهلها وأحق الناس بها هم المؤمنون المتقون ...

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما :

أما بعد : فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله ـ كفار المجوس : « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

* * *

أيها المسلمون :

اعلموا ـ إن لم تكونوا تعلمون ـ أن عدو الله وعدوكم ، قد درسوا هذه الوصية العمرية وأمثالها فيما درسوا من تاريخكم ، فأيقنوا أن لا سبيل لهم عليكم إلا إذا استوينا فى المعصية ، فهم لا يزالون يعملون عليها ، ويجاهدونكم فيها ! ولكنهم لن ينالوها أبدا ، ما أخذتم حذركم وأسلحتكم ، وأعددتم لهم ما استطعتم من قوة مادية وروحية ، فأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم ، وانصروا الله ينصركم « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

طه محمد الساكت

دعائم المجتمع الاسلامى :

النصر بين الله والعباد

يقـول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [١] ! ...

ويقول الرسول صلى الله عليه وسـلم : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق (أى لأجله) ظاهرين إلى يوم القيامة » . وفى رواية : « لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله » ! ...

* * *

من سمات الإيمـان حب الأوطان ، ومن طبائع الأحرار الغيرة على الحمى وصيانة الذمار ، ومن خلائق الكرام إباء الضيم ودفع الهوان . . .

ومن سنن الله فى كونه أن الأمة الحية من الأمم إذا طاف بها طائف من بغى أعدائها عليها ، فوطئوا أرضها ، وانتهـكوا حرمتها ، وهضموا حقوقها ، تنبهت مشاعرها ؛ وثارت عواطفها ، واندفعت كالطوفان العـارم ، أو البركان الحـاطم ، تثأر لـكرامتها ، وتغضب لعزتها ؛ فلا تنام ولا تهدأ حتى تطهر أرضها من معرة البغى عليها بالزكى الغالى من دماء أبنائها ، لا تدخر فى ذلك وسعا ، ولا تستعظم فيه تضحية !! ...

وإذا كانت هـذه الأمة المظلومة المكافحة أمة مؤمنة بربها مقبلة عليه ، لا تريد علوا فى الأرض ولا فسادا ، فان الله واهب القوى والقدر يسندها ويؤيدها ، ويعينها ويمدها ، ويكون لها ومعها عند الملمات وإبان الأزمات ، وصدق العلى الـكبير إذ يقول :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوّان كفور ؛ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقـدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق

---

[١] سورة محمد (القتال) ، آية ٧ .

إلا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (١) !!...

* * *

ومن شأن الأمة المؤمنة أن تتحمل فى حياتها ـ راضية صابرة ثابتة ـ مواقف البأس والشدة ، ودروس الابتلاء والتمحيص ، وتبعات الكفاح والجهاد ؛ لأن الثبات فى الشدائد والصبر على المكاره هما طريق النصر وثمن الفوز ، وهما أيضا صراط الله الحكيم الذى شرعه لعزة عباده : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » (٢) ، « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » (٣) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه من وصيته لعبدالله بن عباس رضوان الله عليهما : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » وفى أول غزوة بدر وقف النبى عليه الصلاة والسلام يخطب فى صحابته مشجعا لهم ومحرضا ، فكان مما قاله : « وإن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجى به من الغم » !!.

والله يطالب عباده ـ لينصرهم ـ بأن ينصروا دينه وملته ، وأن يخلصوا توحيده وعبادته ، وأن يحسنوا الرجوع إليه ، والإيمان به ، والاعتصام بحبله المتين ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » [٤] .

يقول الراغب الأصفهانى : « ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله هى نصرته لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه ، واجتناب نهيه »[٥].

---

[١] سورة الحج ، آية ٣٨ — ٤١ [٢] سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

[٣] سورة يوسف ، آية ١١٠ .

[٤] سورة الروم ، آية ٤٧ .

[٥] مفردات القرآن للأصفهانى ص ٥١٤ .

و إذا ما أراد الله النصر لقوم فقد ذلت لهم الصعاب ، واندكت أمامهم الجبال ، لأن الله خير الناصرين : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، و إن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ! وعلى الله فليتوكل المؤمنون » [١] ! ... أى إن يعاونكم ربكم على أعدائكم بسبب طاعتكم له ، فلن يقدروا على هزيمتكم ، ولو كثر عددهم ، وتضخمت عددهم : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين» (٢) ، و إن يخذلكم الله و يمنعكم معونته ورعايته بسبب معصيتكم له و إعراضكم عنه ، فلن تجدوا بعده وليا ولا نصيرا « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » [٣] .

وهذا نوح عليه السلام ، يكذبه قومه و يتطاولون عليه ، مع أنه رسول ربهم إليهم ليهديهم و يسعدهم ، و يلجأ نوح المؤمن الموقن إلى ربه يستعينه و يستنصره ، فيستجيب الله له و يجعل قلته كثرة ، وضعفه قوة ، و يذيق الذين طغوا الوبال والنكال : « كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذبوا عبدنا ، وقالوا : مجنون وازدجر ، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر ؟ فكيف كان عذابى ونذر » [٤] ؟ .

والمهم فى الاستعانة بالله هو أن يتحقق شرطها ، وهو طاعة المستعان والإيمان بالديان والاهتداء بهديه ؛ ولقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ـ يوصيه هو ومن معه من الجنود ، فقال له : « أما بعد ، فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ؛ وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، و إنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان

---

[١] سورة آل عمران ، آية ١٦٠ .

[٢] سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .

[٣] سورة آل عمران ، آية ١٢٦ .

[٤] سورة القمر ، آية ٩ ـ ١٦ .

استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القـوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ؛ فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عـدونا شر منا فلن يسلط علينا ... فرب قوم سـلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بنى إسرائيل ـ لما عملوا بمساخط الله ـ كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولـكم » .

وقد نسب ابن الجوزى وابن عبد الحـكم إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه خطابا مشابها لخطاب جده الفاروق السابق ، وقد كتبه عمر بن عبد العزيز إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب [١] ، ولا عجب فالخلف الصالح يقتدى بالسلف الصالح : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » [٢] .

* * *

وقد شاءت إرادة الحكيم العليم أن تتعرض بلادنا العزيز الغالية لاعتداء ظالم غاشم ، تولت كبره مجموعة مغترة من الأعداء ، فوقفنا لهم وصبرنا أمامهم ، وغضبنا من أجل بلادنا وكرامتنا ومعتقداتنا ، وسألنا الله عز وجل أن ينصرنا ، وأن يثبت فى سبيل الحق والصدق أقدامنا ، ذاكرين فى أنفسنا وعلى ألسنتنا أننا أبناء كنانة الله فى أرضه ، ومن أرادها بسوء قصمه العزيز الجبار ، لأنه المنتقم العـادل ؛ وقد تلطف الله بنا ، وتفضل علينا ، فلم يكتب علينا الانحدار أو الفناء ، بل دفع عنا الـكثير من البـأساء والضراء ، وتكشفت سحب البغى والعدوان عن غد مشرق ، فيه ـ بمشيئة الله تعالى ـ عزة وكرامة ؛ وفيه تمـاسك وقوة ؛ ولقد كان أعداؤنا يريدون لنا الفناء العاجل أو الذل الدائم ، ولـكن الله الغلاب القهار أراد غير ما أراده المعتدون ، وإذا أراد الله أمرا قضاه : « والله غالب على أمره ولـكن أكثر الناس لا يعلمون » (٣) .

---

(١) انظر كتاب جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٢٣٣ . وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبد الحكم ص ٧١ ، ولابن الجوزى ص ٢٠٤ ، والعقد الفريد ج ١ ص ٤٠ .

[٢] سورة آل عمران آية ٣٤ .

[٣] سورة يوسف ، آية ٢١ .

والنصر نوعان : نصر بالغلبة والقهر ، ونصر بالحجة والبرهان ؛ ولقد مرت علينا خلال المحنة لحظات شدة ، وأوقات بأس ، سالت خلالها منا دماء ، وسقط لنا شهداء ، وأصابتنا ألوان من البأساء ، ولكننا فى الوقت نفسه صبرنا وصابرنا ، وكنا نتسمع إلى دول العالم الرشيدة وهى تجمع كلمتها ـ إلا ما شذ ـ على وصف أعدائنا بالطغيان والإجرام ، كما تجمع على وصف وطننا المكافح الصابر بالتضحية والثبات والإقدام ...

ولعل هـذا يفسر قول أبى القاسم البلخى : « المؤمنون منصورون أبدا ، إن غلبوا (بفتح الغين) فهم المنصورون بالغلبة ، وإن غلبوا (بضم الغين) فهم المنصورون بالحجة ، ولا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه » ! ! ! ... وصدق العلى الكبير حيث يقول : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون [١] » ! ! .

* * *

ولقد يقبل جنود البغى وجيوش الطغيان عن يمين وشمال ، وهم يباهون بعددهم وعدتهم ، ويغترون بآلاتهم وأسلحتهم ، ويعتدون على الآمنين والمسالمين ، وهم يحسبون أن الأمر أمر كثرة وقلة فى السلاح والجنود فحسب ، ولكن القهار الجبار جـل جلاله يقف بحوله وطوله إلى جانب القلة المؤمنة فى وجه الكثرة الكافرة الباغية ، وينتصف بقهره وجبروته للضعفاء من الطغاة الأقوياء ، وهـو القائل لعباده : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون [٢] » ! ! ..

وهؤلاء هم المسلمون الأوائل يوم الخندق .. لقد أحاطت بهم جموع الشرك وأحزاب الكفران من كل جانب ، وكان التفاوت فى العـدد والسلاح كبيرا خطيرا . ويصف القرآن الصدوق هول هذا الموقف فيقول : « يا أيها الذين آمنوا : اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديدا » [٣] .

---

[١] سورة الصافات ، آية ١٧١ — ١٧٣ .

[٢] سورة الانفال ، آية ٢٦ .

[٣] سورة الاحزاب ، آية ٩ — ١١ .

وليس وراء ذلك الهول من هول ... فماذا كانت النتيجة ؟ كانت كما يخبر عنها القرآن الكريم : «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها ، وكان الله على كل شيء قديرا » (١) .

ويقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من رسالة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت وفلت وفشلت ، ولم تغن عنهم فئتهم شيئا ، ولربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه ورجزه » [٢] ؟ .

وجاء فى تفسير « المنار » منسوبا إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « سنة الله تعالى قد مضت بأن ينصر الحق وحزبه على الباطل وأحزابه ، ما استمسك حزب الله بحقهم فأقاموه ، ودعوا إليه ، ودافعوا عنه ، وأن القعود عن المدافعة ضعف فى الحق يغرى به أعداءه ، ويطمعهم بالتنكيل بحزبه ، حتى يتألبوا عليهم ويوقعوا بهم ، وإنه قد سبق فى علم الله تعالى أن الله لا بد أن يظهر دينه ، وينصر أهله على قلتهم ، ويخذل أهل الباطل على كثرتهم [٣] » ! ...

حتى غير رجال الدين والعقيدة ... نراهم يقررون أن العاقبة للحق مهما طال بغى الباطل ، فها هو ذا الكاتب الغربى المشهور « توم بين » كان فى أول أمره انجليزيا ، ولكنه ضاق بمكر انجلترا وغدرها ، فتركها إلى أمريكا ، وخاض معركة التحرير الأمريكية ضد الاستعمار الإنجليزى ، وكافح طغيان انجلترا وبغيها ، وقال فيما قال منذ أكثر من مائة وثمانين سنة : « إننى من أقل الناس إيمانا بالغيبيات ، ولكن نجواى كانت وما زالت على الدوام أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يترك شعبا يواجه الفناء بالحرب ، إذ يتخلى عنه حتى يهلك ، ما دام هذا الشعب قد حاول فى جد وعزم ، وفى

---

[١] سورة الاحزاب ، آية ٢٥ — ٢٧ .

[٢] فتوح الشام ص ١٤١ .

[٣] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣١٤ .

إصرار وإلحاح ، أن يتجنب ويلات الحرب بكل وسيلة مقبولة يمكن أن توحى بها الحكمة . ولست كذلك من الكفر والجحود بحيث أعتقد أنه سبحانه وتعالى قد تخلى عن حكم العالم ، وأسلمنا إلى عناية الشياطين ؛ ولهذا لا أفهم على أى أساس تستطيع بريطانيا أن تتطلع إلى السماء ، وتستعين بها علينا ، فان حقها فى طلب هذا العون لا يزيد عن حق القاتل العادى ، أو قاطع الطرق ، أو سارق البيوت » [١] ! ! ...

* * *

إن عدالة الله تأبى ـ مهما طال الأجل ، وامتدت فترة الابتلاء والإمهال ـ إلا أن ينصر الله الحق وأتباعه ، ويخذل الباطل وأشياعه ، فاذا أهل الحق مهما قلوا فى عزة ورشاد ، وإذا أهل الباطل مهما استطالوا فى ذلة وكساد ، وإن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه : « ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » [٢] . ووعد الله بنصر الحق وأهله باق موصول : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار » [٣] ! ! .

فلنستدم نصر الله بالإقبال عليه ، والاعتزاز به ، والاستمساك بحبله ، وأخذ الأهبة لكل طارئ ، وإعداد العدة لكل احتمال : « ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » [٤] ! ! ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

[١] جريدة الجمهورية عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٦ .
[٢] سورة يونس ، آية ٨٢ .
[٣] سورة غافر ، اية ٥١و٥٢ .
[٤] سورة البقرة ، اية ٢٥٠ .

سيف الله خالد

فى عهد النبوة

– ٢ –

إسلام خالد رضى الله عنه :

ونسخ سبحانه ما ألقى الشيطان فى صدور خالد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ابن أبى طلحة العبدرى ، وأذن لنسمات الإسلام أن تهب على قلوبهم ، ولنفحات التوفيق والهداية أن تنزل بردا وسلاما فى نفوسهم ، فقدموا وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم فى صفر من سنة ثمان .

وكان جديرا بمن كان فى عقل خالد وحصافة رأيه وسلامة فطرته وصادق تأملاته أن يكون من المؤمنين، ولا سيما بعد إذ رأى الإسلام فى تقدم مطرد خارق، والكفر فى تهدم متتابع خارق ، وقد زاده بصرا بأمره وإيقاظا لضميره أنه أخبر بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء وتعجبه من بقائه هكذا ينكر الإسلام ويأباه إذ يقول : ومثل خالد جهل الإسلام ؟

ولقد كان جديرا بمثله أن يكون من السابقين إلى اتباع الحق لولا لياذه هو وأمثاله بقوم كانوا يقولون إن أحلامهم تزن الجبال ، ولولا أن ورطه شرف قومه الجاهلى وإسناد مناصب الكفر وعدته إليه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

ولعل من الحميد الطيب أن أستطرف لك بسياقة طرف مما روى الناس لخالد فى سبب إسلامه ، فهو تصوير كريم بليغ لا ينبغى أن يجهله القارئ الكريم فى هذا المقام.

روى أصحاب السير عن خالد قال : « لما أراد الله بى ما أراد من الخير ، قذف فى قلبى الإسلام ، وحضرنى رشدى ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس فى موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى فى نفسى أنى موضع فى غير شىء ، وأن محمدا سيظهر، فلما خرج صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت فى خيل

من المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان ، فقمت بازائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر إماما ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا ، وكانت فيه خيرة ، فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . فوقع ذلك فى نفوسنا موقعا ، وقلت : الرجل ممنوع . فاعتزلنا وعدل عن سير خيلنا [١] وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشا بالحديبية ، ووافقته قريش بالراح ، قلت فى نفسى : أى شىء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشى فقد اتبع محمدا وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية فأقيم فى عجم . . فأنا فى ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضية فتغيبت ولم أشهد دخوله . وكان أخى الوليد قد دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية ، فطلبنى فلم يجدنى . فكتب الوليد إلى كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ولقدمناه على غيره» فاستدرك يا أخى ما قد فاتك فى مواطن صالحة .

قال : فلما جاءنى الكتاب نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام ، وسرنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ، وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة . فخرجت فى بلاد خضراء واسعة فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة ذكرتها لأبى بكر فقال : مخرجك الذى هداك الله للاسلام ، والضيق الذى كنت فيه من الشرك .

ثم ذكر أنه التمس الرفقة للخروج إلى النبى صلى الله عليه وسلم نعرض الأمر على صفوان ابن أمية وقال له : يا أبا وهب ، إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فأبى أشد الإباء . ولقى عكرمة بن أبى جهل فأبى كذلك أشد الإباء ، فلقى عثمان بن طلحة وكان صديقه فذكر له الأمر بعد تردد .

وقال له : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر ضب لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج . فقبل دعوته واتعدا على مكان يسمى (يأجج) وفى طريقهما لقيا عمرو بن العاص وقد

---

[١] ذاك لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد قتالا وإنما خرج معتمرا بأصحابه .

أقدمه ما أقدمهما من الدخول فى الإسلام ، فلما قدموا المدينة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم ، فسر به ، وانتظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال خالد : ثم أسرعنا المشى فاطلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى هداك . قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » ثم شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يشهد من المواطن عليه معاندا للحق ، فقال له : « الإسلام يجب ما كان قبله » ودعا له « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد : وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان » ثم أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع داره من الدور التى كان وهبها له الحارثة بن النعمان ، وجعله موضع ثقته ومن كتابه .

فقد رأيت أنه رضى الله عنه دخل الإسلام طوعا وانقيادا للحق بعد ما تبين ، وأن له عقلا كما قال السيد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسلمه إلا إلى خير ، وقد كان فرح المسلمين عظيما باسلام خالد ، لما يعلمون من أنه سيكون لا محالة حربا على الكفر وأى حرب ، كما كان حربا على الإسلام . ولقد شمر رضى الله عنه عن ساعد الجد وأوضع فى نصرة الإسلام والدعوة إليه والنضال عنه حتى كان يقذف بنفسه كل مقذف ، ويرمى بنفسه كل مرمى فى سبيل الله ، رحمه الله . كان ذلك منه فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ممات النبي صلى الله عليه وسلم مما كان له أثره الخالد فى انتعاش الإسلام ، ولقد أغنى فى حروب الردة وفى قتال الفرس والروم ما لم يكن ليغنى غيره فيه ، وقد شهد فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم غزوة مؤتة وفتح مكة ، ويوم حنين والطائف ، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة وإلى بنى المصطلق وإلى اليمن ، كما أرسله لهدم بعض الأوثان كما سترى فى هذا البيان الموجز .

فى مؤتة : وكانت سرية أنفذها النبي صلى الله عليه وسلم إلى قرية من أرض البلقاء بالشام تسمى مؤتة وجعل الإمرة فيها لثلاثة من الصحابة على التتابع ، وكأنما أطلعه الله على ما يكون فقتلوا جميعا واحدا بعد واحد . ثم وقع اختيار المقاتلين على خالد بن الوليد للقيادة وكان قد مضى على إسلامه ثلاثة أشهر تقريبا ، فما زال يدافع عدوه ويعمل الحيلة والمهارة حتى أجبره على الانحياز عنه ، ثم انسحب خالد بسلام فنجى جيش المسلمين ـ وهو لا يتجاوز ثلاثة آلاف ـ من جيش جرار فى بلاده يبلغ مائتى ألف . وكان انتصارا عظيما ، ومهارة

حربية رائعة ، ولم يزل أرباب الفن ينوهون بالمهارة فى تنحية الجيش وإنقاذه من براثن العـدو . ولذلك فان الله سبحانه لما أطلع رسوله بالمدينة على ما وقع صعد المنبر فقال : « أخـذ الراية فلان فقتل ، ثم فلان فقتل ، ثم فلان فقتل ، ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد وفتح الله عليه » فتوّجه بهـذا اللقب الـكريم (سيف من سيوف الله) وفى الحق كانت هذه نبوة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يظهر للناس أنه سيف الله إلا بعد ذلك ، ومنذ أطلق سيفه فى المرتدين ومانعى الزكاة ثم فى الفرس والرومان .

وفى فتح مكة : وكان بعد ذلك فى السنة الثامنة نفسها وفى رمضان ، وقد كان الله سبحانه يهيئ لنبيه من أسباب النصر والفتح ما يشاء ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بادئا بالهجوم على مكة ولم يكن من شأنه ذلك فى شيء ، ولـكن قريشا نقضت عهدها معه واعتدت على حلفائه من خزاعة ، واستغاثت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم فأغاثهم وقام بمن معه من المؤمنين إلى مكة .

وفى هذا الفتح توج النبي صلى الله عليه وسلم خالدا بتاج آخر ، فقد شرفه بجعله قائدا للميمنة ، وفيهـا رايات أسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم من القبائل التى لا يسوسها إلا قائد ماهر عظيم .

ودخل خالد يقاتل عشيرته وقومه فى سبيل أولئك الذين كان يقاتلهم بالأمس القريب ، وكانت له فيهم جولات يريد أن يكفر بها عما قد سلف ، على أن الله قد غفره له . وما زال يصاول ويجادل حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقف القتال ، لأن قريشا سلمت وانقادت للحق ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكسر النبي صلى الله عليه وسلم الأوثان بمكة وهو يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن البـاطل كان زهوقا) ثم بدأ يمحو الأوثان فى كل بلاد الله مستعينا بسيف الله فأرسله لهدم العزى .

هدم العزى : بعد فتح مكة بخمس ليـال وقد استجم المسلمون بعض الجمـام بعث صلى الله عليه وسـلم خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا لهدم العزى ، ورآه السادن من بعيد فعرف ما يريد ، واستنصر له العزى بترهات القصيد ورد خالد ترهاته بالحق .

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل السادن وهدم العزى التى كان أبوه يحج إليها وينفق عليها الأموال والذبائح ، ولـكنه الحق . ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينتفع بمواهب خالد ، فبدأ يرسله إلى القبائل ليدعو الشارد ، ويعلم المسترشد فكان من ذلك إرساله إلى بنى جذيمة .

بنو جذيمة : بعد هدم العزى أرسله صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة فى ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار و بعض المسلمين من العرب . ولكن خالدا برغم أن القوم أسلموا وأقروا له بالإسلام دعاهم إلى وضع السلاح و إلى الاستئسار ثم أعمل السيف فيهم وخالفه فى ذلك الكثرة من المهاجرين والأنصار ، وقد بلغ الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاء ورفع يديه يقول : (اللهم إنى أبرؤ إليك مما صنع خالد) . وقد تقول الناس فى هذا على خالد بأنه كانت بينه و بينهم إحن جاهلية ، وقد كثر حديث الناس حول هذا الأمر . والحق الذى ذهب إليه المحققون المنصفون أنهم قالوا « صبأنا » يريدون الإسلام كما هو التعبير عمن دخل دينا جديدا ، فاعتبر خالد ذلك تهكما واستهزاء ، وكأنه كان يريد الإسلام الصريح الذى لا شبهة فيه ، فقتل من قتل مجتهدا ولكنه أخطأ ولم يكن تثبت من قضاء النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك وأمثاله . ولعله رأى أن يرهب الأعداء الآخرين ، وغفر الله له .

وقد فعل أسامة رضى الله عنه ما هو أقوى من ذلك فقتل رجلا يقول : لا إله إلا الله صراحة ، لأنه يظنه قالها تقية فقط ، وأنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمه عليا يعتذر إليهم ويدفع دية القتلى ويعوضهم عن كل شىء حتى ميلغة الكلب .

وشهد خالد رضى الله عنه بعد ذلك غزو حنين والطائف ، وقد أصيب فى حنين على أنه كان قائدا فيها ، وقد زاره النبي ودعا له فبرئ .

و بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن عمه على إلى اليمن مصدقا ومبشرا ومعلما .

ذلك بعض ما كان من خالد وله أو عليه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نجتزئ به اليوم ، فقد أطلنا على قارئنا الكريم ، راجين أن نستأنف عنه حديثا آخر لتاريخ آخر .

رحمك الله ياخالد ، لقد أفاد بك الإسلام عظيما جليلا ، ولقد اندحر بك الكفر ، فكنت كما بشر بك سيدنا رسول الله : سيف الله .

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

بحـــــوث
فى مصادر الشريعة النظرية

— ٨ —

أنواع الاستحسان :

يتنوع الاستحسان باعتبار الدليل الذى يبنى عليه إلى أنواع كثيرة كما يؤخـذ من كتاب « الاعتصام » للامام الشاطبى [١] نقتصر هنا على أهمها وهى ستة أنواع :

النوع الأول : الاستحسان بالنص ، ويتحقق هـذا النوع فى كل مسألة يرد فيها نص معين يقتضى حكما على خلاف الحـكم الـكلى الثابت بمقتضى الدليل العـام أو القاعدة المقررة ، فهو شامل لجميع المسائل التى استثناها الشارع من حـكم نظائرها ، ومن أمثلة هذا النوع ما يأتى :

١ — السـلم ، وهو بيع شىء آجل موصوف فى الذمة بثمن عاجل ، وصورته أن يشترى رجل من آخر مائة أردب من القمح ، ويبين نوعه وصفته بيانا كافيا بأربعمائة جنيه تسلم إليه فى الحال على أن يسلمه القمح بعد خمسة أشهر فى مكان معين . فان مقتضى القياس أى الدليل الشرعى العـام ألا يجوز هذا العقد ، لأن المبيع ليس موجودا عند البائع وقت العقد ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لحـكيم بن حزام : « لا تبع ما ليس عندك » [٢] ولـكنه استثنى من ذلك لورود النص الذى يدل على جوازه ، وهو ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين ، فقال : « من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » (٣) .

٢ — الإجارة : فأنها عقد على المنافع ، والمنافع معدومة وقت العقـد ، والقياس فى المعدوم أى القاعدة المقررة فيه أنه لا يجوز تمليـكه ولا إضافة التمليك إليه ، ولـكنها

---

[١] الاعتصام حـ ٢ ص ٣٢١ وما بعدها .

[٢] منتقى الأخبار مع شرحه « نيل الأوطار » حـ ٥ ص ١٣١ .

[٣] المصدر السابق حـ ٥ ص ١٩١ .

استثنيت من ذلك لورود النص بجوازها لحاجة الناس إليها ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » فان الأمر باعطاء الأجر دليل على صحة العقـد (١) .

٣ — الوصية : فانها تمليك مضاف إلى زمن زوال الملك وهو ما بعـد الموت ، والقياس أى القاعدة المقررة فى التمليك أنه لا يجوز أن يضاف إلى زمن زوال الملك ، ومقتضى ذلك ألا تصح الوصية ، ولكنها استثنيت من ذلك للنص الوارد بجوازها ، وهو قول الله تعـالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » (٢) وقول الرسول صلى الله عليه وسـلم : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عنـد وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم » (٣) .

٤ — الحكم ببقـاء الصيام مع الأكل أو الشرب نسيانا ، فان مقتضى القيـاس أى القاعدة المقررة فساد الصوم فى هـذه الحالة ، لأن الإمساك عن المفطرات ركن من أركان الصيام ، وقد فات هذا الركن بالأكل أو الشرب نسيانا ، والشيء لا يبقى مع فوات ركنه ، ولكن هذا القياس قد ترك بالحديث الوارد فى هذه الحالة ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما الله أطعمه وسقاه » (٤) ، وإلى هذا أشار الإمام أبو حنيفة بقوله — بعد روايته لهذا الحديث — : « لولا الرواية لقلت بالقياس » يعنى أنه لولا هذا الحديث الذى يدل على صحة الصيام مع الأكل أو الشرب نسيانا لقـال بفساد الصوم عملا بالقيـاس الذى يقتضى فساد الصيام بوصول أى شىء إلى الجوف سواء أكان عمدا أم نسيانا لمنافاته لركن الصيام ، وهو الإمساك عن جميع المفطرات .

٥ — خيار الشرط : فان القياس أى القاعدة المقررة فى البيع ونحوه يقتضى عـدم مشروعيته ، لأن الأصل فى هذه العقود هو اللزوم ، وخيار الشرط يمنع هذا اللزوم ، ولكن ترك هذا القياس للنص الوارد بجواز خيار الشرط ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم أجاز

---

[١] كشف الأسرار جـ ٤ ص ١٢٥ وأصول السرخسى جـ ٢ ص ٢٠٣ .
[٢] آية : ١٢ من سورة النساء .
[٣] المنتقى مع نيل الاوطار جـ ٦ ص ٣٢ .
[٤] المنتقى مع نيل الاوطار جـ ٤ ص ١٧٥ .

الخيار إلى ثلاثة أيام بقوله لحبان بن منقذ : « إذا بايعت فقل : لا خلابة ، ولى الخيار ثلاثة أيام » (١) .

النوع الثانى : الاستحسان بالإجماع ، ويتحقق هذا النوع بافتاء المجتهدين فى حادثة على خلاف الأصل فى أمثالها ، أو بسكوتهم وعدم إنكارهم لما يفعله الناس إذا كان ما يفعلونه مخالفا للقياس أى أصل من الأصول المقررة ، وقد مثلوا لهذا بالاستصناع ؛ وهو أن يتفق شخص مع صانع على أن يصنع له شيئا نظير مبلغ معين بشروط مخصوصة مبينة فى كتب الفقه ؛ فان القياس أى القاعدة المقررة يقتضى عدم جوازه ، لأن المعقود عليه ؛ وهو الشيء المطلوب صنعه معدوم عند العقد ، والعقد على المعدوم لا يجوز ، ولكنه جاز استحسانا على خلاف القياس لجريان التعامل به فى كل زمان بدون إنكار أحد من أهل الاجتهاد على ذلك ، فكان ذلك إجماعا منهم على الجواز ، قال أكمل الدين البابرتى فى العناية : « الاستصناع فيما فيه تعامل يجوز استحسانا ، والقياس يقتضى عدم جوازه ، لأنه بيع المعدوم وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص فى السلم ، وهذا ليس بسلم ، لأنه لم يضرب له أجل، وجه الاستحسان الإجماع الثابت بالتعامل ، فان الناس فى سائر الأعصار تعارفوا الاستصناع فيما فيه تعامل من غير نكير ، والقياس يترك بمثله » [٢] .

ومن هذا النوع أيضا دخول الحمام نظير أجر معين من غير تعيين قدر الماء المستهلك ، ولا تقدير مدة المكث فيه ، فان القياس يقتضى عدم جوازه ، لجهالة مقدار الماء المستهلك وجهالة المدة ، لأن الناس يتفاوتون فيما يستهلكون من الماء وفى مدة المكث ، والجهالة مفسدة للعقد ، ولكنه جاز استحسانا لجريان العرف بذلك فى كل زمان من غير أن ينكره أحد من أهل العلم فيكون إجماعا منهم على الجواز . يقول الزيلعى فى تبيين الحقائق ما خلاصته « إن دخول الحمام ، والاحتجام بأجرة ، وطلب شربة ماء من السقاء بفلس ، كل ذلك جائز للتعامل ، وإن كان القياس يأباه للجهالة ، لأنه لا يعرف كم قدر مايقعد فى الحمام ، وكم قدر مايستعمل أو يشرب من الماء ، وكم قدر مايخرج من الدم ،

---

[١] بلوغ المرام وشرحه « سبل السلام » حـ ٣ ص ٥٠ .
[٢] العناية على الهداية حـ ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

إذ لا يعتبر القياس بمقابلة الإجماع أو النص ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على الضلالة » [١] .

النوع الثالث : الاستحسان بالضرورة والحاجة ، وقد مثلوا لهذا النوع بتطهير الآبار والحياض التى تقع فيها نجاسة ، فان القياس أى القاعدة المقررة فى التطهير يقتضى نجاسة تلك الآبار والحياض وأنها لا تطهر أبدا بنزح الماء كله أو بعضه ، وذلك لأن نزح بعض الماء الموجود فى البئر أو الحوض لا يؤثر فى طهارة الباقى فيها ، كما هو واضح ، ونزح جميع الماء الموجود وقت التنجس لا يفيد طهارة ما ينبع فى أسفل البئر أو يلقى فى الحوض من ماء جديد ، لأنه لابد أن يلاقى نجسا فى قاع البئر والحوض وجدرانهما فيتنجس بذلك ، ولكن حكم بطهارتهما إذا نزح قدر ما فيهما من الماء للضرورة وحاجة الناس العامة إلى ذلك ، وفى كشف الأسرار ما يأتى : « ومن الاستحسان ما ثبت بالضرورة ؛ وهو تطهير الحياض والأوانى ، فان القياس يأبى طهارة هذه الأشياء بعد تنجسها ، لأنه لا يمكن صب الماء على الحوض أو البئر ليتطهر ، وكذا الماء الداخل فى الحوض أو الذى ينبع من البئر يتنجس بملاقاة النجس ، والدلو يتنجس أيضا بملاقاة الماء ، فلا يزال يعود نجسا ، وكذا الإناء إذا لم يكن فى أسفله ثقب يخرج الماء منه إذا أجرى من أعلاه ، لأن الماء النجس يجتمع فى أسفله فلا يحكم بطهارته ، إلا أنهم استحسنوا ترك العمل بموجب القياس للضرورة الموجبة إلى ذلك لعامة الناس ، وللضرورة أثر فى سقوط الخطاب » (٢) .

ومن هذا أيضا الحكم بطهارة سؤر سباع الطير كالصقر والنسر والغراب والحدأة ، لأن هذه الحيوانات تأكل النجاسات ومناقيرها لا تخلو منها عادة ، ومقتضى هذا أن يتنجس الماء بشربها كما يتنجس بشرب سباع البهائم كالأسد والفهد والنمر ، إلا أنها لما كانت تنقض من الهواء ، ولا يمكن الاحتراز عنها خصوصا بالنسبة لسكان الصحارى والفلوات ، قال علماء الحنفية بطهارة سؤرها استحسانا رعاية لهذه الضرورة على خلاف ما يقضى به القياس على سؤر سباع البهائم ، وفى هذا يقول عبد العزيز البخارى : « إن معنى البلوى يتحقق فى سؤر سباع الطير لأنها تنقض من الهواء ولا يمكن صون الأوانى عنها خصوصا فى الصحارى بخلاف سباع الوحش فعلى هذا يكون استحسانا بالضرورة » (٣) .

---

[١] تبيين الحقائق حـ ٤ ص ١٢٣ .
[٢] كشف الاسرار حـ ٤ ص ١١٢٦ .
[٣] كشف الاسرار حـ ٤ ص ١١٢٨ .

النوع الرابع : الاستحسان بالقياس الخفى ، ويتحقق هذا النوع فى كل مسألة يجتمع فيها قياسان متعارضان أحدهما ظاهر جلى والآخر خفى .

ومن أمثلته ما يأتى :

١ — وقف الأراضى الزراعية : فانه يشبه البيع من جهة أن كلا منهما يخرج العين عن ملك صاحبها . ومقتضى هذا أن لا يدخل الشرب والطريق والمسيل فى الوقف إلا بالنص عليها من الواقف كما هو الحكم فى البيع ، ويشبه أيضا الإجارة من جهة أن كلا منهما يفيد ملك الانتفاع بالعين ، ومقتضى هذا أن يدخل الشرب والطريق والمسيل فى الوقف ولو لم ينص الواقف عليها كما هو الحكم فى الإجارة ، ولما كان شبه الوقف بالبيع أظهر من شبهه بالإجارة لتبادر الأول إلى الذهن واحتياج الثانى إلى شىء من التأمل وإنعام النظر ، كان دخول الشرب والطريق والمسيل فى الوقف مع عدم النص عليها من قبيل الاستحسان أى القياس الخفى ، وعدم دخولها فى الوقف من قبيل القياس الجلى .

٢ — إذا قال الرجل لامرأته : إذا حضت فأنت طالق ، فقالت المرأة : قد حضت وكذبها الزوج ، ففى هذه المسألة قياسان متعارضان : أحدهما جلى ظاهر ، وهو قياسها على ما لو علق طلاقها على شىء آخر كدخول الدار أو كلام فلان بأن قال لها : إن دخلت الدار أو كلمت فلانا فأنت طالق ، فقالت : دخلت أو كلمت ، ومقتضى هذا القياس أن لا تصدق المرأة فى دعوى الحيض ولا يقع الطلاق إلا إذا علم وجوده أوصدقها الزوج كما هو الحكم فى تعليق الطلاق على دخول الدار أو كلام فلان ، والثانى قياس خفى لا يدرك إلا بالتأمل وإنعام النظر ، وهو قياسها على ما لو علق طلاقها على شىء لا يعلم إلا بأخبارها كمحبتها أو بغضها ، كأن يقول لها : إن كنت تحبينني أو تبغضينني فأنت طالق ، فان الطلاق يقع باخبارها بالمحبة أو البغض وإن كذبها الزوج ، وعلى ما إذا أخبرت بانقضاء عدتها إذا كانت بالحيض أو أنها حامل ، فانها تصدق فى ذلك ، لأنها أمور لا تعلم إلا من جهتها وهى مأمورة بالإخبار عما فى رحمها منهية عن الكتمان ، قال تعالى : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ومن ضرورة النهى عن الكتمان كونها أمينة

فى الإظهار ، ولخفاء هذا القياس أطلق عليه اسم الاستحسان بمعنى القياس الخفى وأطلق على الأول اسم القياس فقط [١] .

وقد مثل كثير من الأصوليين لهـذا النوع بطهارة سؤر سباع الطير . وقالوا فى توجيه ذلك :

إن سؤر سباع الطير يجتمع فيه قياسان متعارضان : أحدهما جلى ، وهو قياسه على سؤر سباع البهائم كالأسد والفهد والنمر ، لأن لعاب كل منهما يتولد من اللحم النجس فيكون نجسا ، ومقتضى هذا أن يكون سؤر سباع الطير نجسا كما هو الحكم فى سؤر سباع البهائم . والثانى خفى ، وهو قياسه على سؤر الإنسان ؛ لأن سباع الطير تشرب بمناقيرها وهى عظم طاهر ولا يتصل لعابها بالماء ، ومقتضى هـذا أن لا يتنجس الماء بشربها كما لا يتنجس بشرب الإنسان .

وهو تمثيل غير صحيح ، لأن سباع الطير وإن كان لعابها لا يتصل بالماء كما قالوا ، إلا أن مناقيرها لا تخلو من النجاسة عادة ، فلا يصح أن يقاس سؤرها على سؤر الإنسان ، وعلى هـذا لا يكون فى سؤر سباع الطير قياسان متعارضان أحدهما ظاهر جلى والآخر خفى . بل هو قياس واحد ، وهو قياسها على سؤر سباع البهائم ، وقد ترك هذا القياس للضرورة .

فالحق فى هـذه المسألة أن يجعل الاستحسان فيها من الاستحسان الثابت بالضرورة ودفع الحرج عن الناس على ما بيناه فى النوع الثالث ؟

« يتبع »

زكى الدين شعبان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

---

[١] أصول السرخسى حـ ٢ ص ٢٠٢ ، والهداية مع فتح القدير والعناية حـ ٣ ص ١٣٥ ـ ١٣٧ ، حاشية ابن عابدين حـ ٣ ص ٥١٥ ـ ٥١٨ .

حول لغويات

الأستاذ النجار والأستاذ الريدى

فى تعليق الأستاذ النجار بعدد المحرم سنة ١٣٧٦ على (قل ... ولا تقل ...) للأستاذ صالح الريدى قال : إن الريدى أنكر قول الناس استلف نقودا وان الصواب عنده استسلف نقودا أو تسلف لأن استلف لم ترد فى المصباح والقاموس واللسان ، ورد الأستاذ النجار بأنها - وإن لم تكن وردت فى هذه المراجع - لكنها وردت فى الأساس للزمخشرى ففيه (وأسلفته مالا وسلفته واستلف فلان واستسلف وتسلف) وقال فى التاج : ومنه أنه استلف من اعرابى بكرا ، قال الأستاذ النجار : وصوابها كما يعلم من النهاية أنه استسلف ، وانتهى الأستاذ النجار بأن ورودها فى الأساس كاف فى صحتها ، فهو مستند لصواب هذا التعبير ، ولو صح ما ورد فى التاج لكان نصا أيضا لكنه كما قال الأستاذ تحريف فى الطبع .

والذى ألاحظه على الأستاذين الفاضلين الريدى والنجار أن كلا من استلف واستسلف صواب فى موضعه وان استلف غير استسلف مثل اقترض واستقرض ، فمعنى الأولى أنه أخذ قرضه وأخذ سلفة ، وأما الصيغة الثانية ذات السين والتاء فمعناها طلب سلفة وطلب قرضة ، فصيغة افتعل صحيحة فى بابها وصيغة استفعل كذلك صحيحة فى بابها ، قياسية كل منهما فى معناها فلا تصوب واحدة بأخرى ، لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد حتى نصحح واحدة ونخطئ الأخرى بل هما صيغتان صرفيتان لمعنيين مختلفين متقاربين ، ولا يريد الزمخشرى بقوله : « واستلف فلان واستسلف وتسلف » ان هذه الصيغ المختلفة بمعنى واحد بل يريد أن كلا منها ورد فى معناه لأن الصيغ الصرفية مختلف بعضها عن بعض وإذا استعملت صيغة فى معنى صيغة أخرى فيكون على وجه من التأول ، فاذا قلنا استلف كان معناه أنه استسلف فأجيب وأعطى السلفة فصار متسلفا ويقال عليه بعد ذلك استلف وتحصل بالفعل على السلفة ، ومعاجم اللغة حينما تسرد صيغا مختلفة لا تريد أنها بمعنى واحد ، كما أن المعاجم إذا أهملت ذكر بعض الصيغ فى مادة لا يقتضى ذلك أن الصيغ القياسية الصرفية

التى أهملت ذكرها لا تكون صحيحة فى ذاتها لعدم ذكر المعاجم لها ، و إلا لما كان هناك حاجة إلى علم الصرف وقواعده .

كما أنى لا أعتبر أن اختلاف النسخ فى عبارة «استلف من اعرابى بكرا» أو «استسلف» أن احداهما محرفة والأخرى صواب ، بل المعنى على رواية استلف أنه استسلفه فأسلفه فاستلف ، وعلى نسخة استسلف بمعنى استقرض لا تأويل .

وهذا ما عن لى فى هذه الملاحظة على كلام الفاضلين لأهمية الفرق بين الصيغ الصرفية واختلاف معانيها ، وأهمية أن ماتذكره المعاجم وتهمل غيره ليس دليلا على الصواب أو الخطأ وأن ما تذكره أحيانا مترادفا من الصيغ لا تريد منها أنها بمعنى واحد بل يجب فى ذلك الرجوع إلى الأحكام الصرفية وما قيل فى معانيها المختلفة ما

محمد عبد السلام القبانى

أصحاب فلسطين الحقيقيون

تحدث نورمان توماس الزعيم الاشتراكى الأمريكى عن مشكلة إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى أوطانهم فقال : إن إعادة توطين ٩٠٠ ألف لاجئ فلسطينى هو من الأمور التى يتطلبها تحقيق السلام فى الشرق الأوسط . وإن على إسرائيل أن تعترف بحق إعادة اللاجئين العرب إلى أوطانهم . أما الذين لا يستطيعون العودة فيجب أن تقام لهم مساكن لإيوائهم ، على أن تدفع لهم إسرائيل تعويضات سخية فى مقابل الأراضى والممتلكات التى اغتصبتها منهم .

ثم قال : ليس من المستطاع أن نتحدث عن السلام فى الشرق الأوسط فى الوقت الذى يواجه فيه ألوف اللاجئين العرب ظروفا قاسية ، ويقيمون فى خيام قرب حدود إسرائيل التى كانوا يمتلكون أكثر من نصفها . إنها لمأساة حقا من المآسى المرة فى تاريخ الشعوب أن يهاجر إلى إسرائيل ألوف اليهود من أنحاء العالم ، فى الوقت الذى يعيش فيه ألوف اللاجئين العرب بعيدا عن أراضى آبائهم وأجدادهم .

الأزهر في المعركة الأخيرة

اعتدت أن أسجل فى حرص ما يسهم به الأزهر فى الحركات القومية، لإنهاض الوطن وإعلاء شأنه ، لا لنمتن بذلك ولا لنفاخر ، فللوطن واجب فى عنق كل وطنى يحس بفضله عليه وحقه فى قسط من نشاطه ومواهبه ، ولكن لنؤدى حق التاريخ أولا ، ولنخرس بذلك ألسنة المتخرصين ثانيا ، فهناك طائفة يدفعهم الحقد والتعصب إلى غمط الأزهر وأبنائه حقوقهم وجهودهم ، ويصفونهم كذبا بأنهم تجار الأديان وأحلاف التكايا والزوايا ، ليوهموا أعداء الأزهر وأعداء الإسلام بأن الإسلام يخلق فى نفوس أتباعه والقائمين عليه روح العزلة والكسل والخمول ، ويقعد بهم عن العمل والكفاح والنضال فى سبيل التقدم والنهوض . وقد أخذت هذه الأصوات تخفت وتتضاءل ، فقد انبعث المسلمون فى سائر الأنحاء ، وأخذوا يسهمون فى بناء الحضارة وتدعيم أركانها ، وهبوا يعملون لتخليصها من سيطرة الاستعمار وتحطيم قيوده السياسية والثقافية والاقتصادية .

بدأت المعركة الأخيرة فى آخر أكتوبر سنة ١٩٥٦ بهجوم اسرائيل المفاجئ على الحدود المصرية ، فثبت لها الجيش المصرى على قلته وكثرة أعدائه ، فوقف هجومها وأنزل بقواتها الخسائر الفادحة التى سينكشف عما قريب تفصيلها ، ثم ظهر فى المعركة من وراء إسرائيل دولتان غادرتان هما انجلترا وفرنسا ، فتبينت مصر أن المعركة الحقيقية ليست بين اسرائيل ومصر وإنما هى بينها وبين انجلترا وفرنسا ، وأن إسرائيل لم تكن إلا مخلب القط ، وأنها الكلب يغريه كلابه وهو من ورائه ، وهجمت الدولتان المجرمتان على بورسعيد بأساطيلهما البحرية والجوية ، وأخذتا تمطرانها بوابل من المدافع والقنابل لا تفرق بين مدنى وعسكرى ولا بين محارب ومسالم ولا بين شيخ وشاب ، فأحرقتا ودمرتا واغتصبتا وسلبتا ، وانكشف ما يدبرانه لمصر من وراء هذا الاعتداء ، وأحس المصرى بالخطر الذى يتهدد استقلاله وحرياته وما يتعرض له من الاذلال والاستعباد ، لو قدر لهذا الاعتداء أن يمضى إلى غايته ، فقام على قلب رجل واحد ، وخاض المعركة فى إيمان وثبات وعزم وتصميم ، وأبدى من الاستبسال والحماس ، والتضامن والاخلاص ، مالا عهد للشعوب بمثله ، فبهرت وقفته أنظار العالم وأثار إعجابه بما بذله من تضحيات فى الأنفس والأموال ، ونال

تقدير الشعوب وعطفها، فانحازت إلى جانبه ووقفت فى صفه وأنصفته من هاتين الدولتين الباغيتين وتابعتهما اسرائيل، ودمغتهما هيئـة الأمم المتحدة بالعـدوان وأرغمتهما على الانسحاب، بخلوا عن مصر تشيعهم اللعنة ويجللهم العـار، ورعى الله مصر، وكتب لها النصر، وخرجت من تلك المعركة أرفع شأنا فى الميدان الدولى وأشد تضامنا وأقوى بحقها فى الحياة والاستقلال إيمـانا، واستقرت فى مكانتها بين الشعوب المـكافحة المتحررة .

ولقد كان دور الأزهر فى هذه المعركة حلقة فى سلسلة جهاده فى مكافحة الاستعمار، وكان جهاده فى هذا الدور أرفع شأنا وأبعد مدى مما قدم من قبل، فقد حظى بشرف الجهاد كل فرد فيه من أصغر طالب إلى أكبر شيخ، واشترك فى كل ميدان من ميادين المعركة السياسية والعسكرية والاقتصادية، اشترك طلابه وشيوخه فى التدريب العسكرى ونزلوا ساحاته وتدربوا على استعمال الأسلحة ونافسوا غيرهم فى حسن الرماية وإصابة الأهداف رغم حداثة عهدهم بهـذه العمليات، واشتركت كتائب من طلابه فى الميدان العسكرى إلى جانب القوات المسلحة، فأظهروا من التفوق والبسالة والدراية بفنون القتـال ما نال إعجاب العارفين .

وقام الأزهر ـ ممثلا فى شيخه ـ بنصيبه فى الميدان السياسى، فراسل الملوك ورؤساء الدول فى الشرق والغرب بمـا أوحت به المصلحة واقتضاه الموقف فأنذر وحـذر وقدر وشكر، وتحدث إلى الشعب فى بيانات متلاحقة بما ينبغى له وما يجب عليه فى مواقف المحن والشدائد، مستلهما فى ذلك روح الإسلام وقوانين الإسلام فى أحوال الحرب والسلام، وفى الأعداد السابقة من مجـلة الأزهر نماذج ممـا بعث به من الرسـائل وما أفضى به إلى الشعب .

وفى الميدان الثقافى ـ وهو ميدان مهم فى تعبئة النفوس وتهيئتها لخوض المعـارك والاستهانة بالتضحيات فى سبيل الوطن ووقايته من مفاسد الاستعمار والمستعمرين ـ قام الأزهر بحظ مشكور فى تنوير الشعب وتبصيره بأحكام الدين، وما شرعه للمسلمين فى هذه المواقف، وما أعد للمجاهدين دون أوطانهم وحرماتهم من موفور الجزاء فى العاجل والآجل، ليكون تحمل الشدائد بالباعث الدينى إلى جانب الباعث الوطنى قويا قوة العقيدة والايمان، وتلك هى التعبئة المعنوية التى تعنى بها الشعوب، وتقف عليها كثيرا من الامكانيات، لتثمر ثمرها المطلوب فى إرخاص النفوس وإعدادها للأهوال والخطوب .

قام شيخ الأزهر والمدرسون فيه والواعظون وأئمة المساجد بنشاط عظيم فى المدن والقرى وفى كتائب الجيش وساحات المعارك ، وكانوا جنودا فى الميدان حين كانوا فى المنتديات والمساجد وعلى منابر الصحف وفى الإذاعة يندبون الشعب إلى واجبه ويحذرونه عواقب التخلف عن أدائه . وعطل الأزهر لذلك الغرض الوطنى الجليل الدراسة فيه نحو شهرين ليمكن كل فرد من أبنائه من أداء واجبه .

وهنا ينبغى التنويه بما قام به ابن من أبناء الأزهر من جهود موفقة فى هذه الناحية وهو السيد أحمد الباقورى وزير الأوقاف ، فقد كان خطيب المعركة المفوه ولسانها المدره ، وأبلى فى ذلك بلاء لمسه كثير من شعوب العالم وأحسوا بآثاره .

وفى الميدان المالى أدى الأزهر واجبه فى سخاء ورضا ، وأسهم بمبالغ كثيرة لتوجيهها الوجهة اللازمة فى المعركة من تسليح أو مواساة أو غير ذلك ، وقد تنازل بعض العلماء عن أنصبتهم فى أوقافهم الخاصة لتعمير بورسعيد ومواساة المنكوبين من أهلها ، كما تبرع جميعهم بنسبة مئوية من مرتباتهم أشهرا متوالية لهذا الغرض أيضا ، ومن قبل ذلك تبرعوا بنسبة مئوية من مرتباتهم عاما كاملا لتسليح الجيش .

هذا وفى الأزهر وعلى منبره المقدس التقى الرئيس جمال عبد الناصر بالشعب المصرى ، وناجاه وبثه أشجانه ، وشرح له دقائق الموقف وحقائقه ، وأعلنه بانفراج الأزمة وما منحه الله إياه من توفيق ورعاية صانت كرامة الوطن وحفظت حرياته ، وتلقى منه التأييد ، وجدد له الشعب البيعة على الجهاد إلى النهاية .

وكان اختيار الرئيس للأزهر اختيارا موفقا ، فالأزهر من قديم رمز الجهاد والكفاح ، وكعبة المسلمين وموضع ثقتهم ورجائهم ، ولصوته دوى يعم العالم ويطبق الآفاق ويزلزل نفوس الأعداء ، ويوقع الرعب فى قلوب الطامعين . والأزهر إذ يسجل اليوم دوره فى المعركة الأخيرة يعلن للشعب المصرى وللعالم عامة أن ما قام به إنما هو صفحة فى تاريخ جهاده لمجد الوطن وتحريره ، وليست هى الصفحة الأخيرة ، فسيظل يحتفظ بمكانه فى سفر الجهاد ، وسيكون أبناؤه فى الطليعة من جنود الوطن ، يبذلون دماءهم وأرواحهم فداء له وذيادا عن حقوقه ، وسيضحون بمصالحهم وأغراضهم فى سبيل مصلحة الوطن ، وسيتناسون كل شىء يتعلق بذواتهم ويذكرون شيئا واحدا هو مجد الوطن وعزه وكرامته .

أبو الوفا المراغى

الاسراء والمعراج

آيتان من آيات الله العظام ، وحادثان من الحوادث الخارقة العجيبة ، وشاهدان من الشواهد الناطقة بعظمة الله وقدرته وسعة علمه وتصرفه فى الـكون كما يشاء ، شاهد فيهما قلب النبي صلى الله عليه وسلم من جلال الله ما شاهد ، وأبصرت عيناه من ملـكوت الله وعجائبه ما شاء الله لها أن يبصراه ، هاتان الآيتان هما الإسراء والمعراج .

أراد ربك وهو ذو الافضال والانعام ، والحفى بنبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه ، أن يسرى عن نفسه المتحسرة على عدم إيمـان قومه ، وأن يشرح صـدره بأن يريه أمارات النصر ، وأن دينه سينتشر ويظهر ويبلغ ما بلغ نور الشمس وضـوء القمر ، فأسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مهاجر غالب الأنبياء، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السموات السبع وما فوق السبع ، حيث تجلى عليه بأنواع التجليات والألطاف، وفرض عليه وعلى أمته أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهى فريضة الصلاة .

وقـد ثبت الإسراء والمعراج بالقرآن الـكريم والسنة النبوية الصحيحة التى لا يتطرق إليها الشك والإنكار .

أما الإسراء فبقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . وأما المعراج فأشير إليه فى سورة النجم بقوله عز شأنه : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الـكبرى » .

فقد روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة رضى الله عنهما أن المرئى جبريل ، رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على حالته التى خلق عليها ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره [١] عند قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المـأوى » : « هذه هى المرة الثانية التى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التى خلقه الله عليها ليلة الإسراء» . وقال البغوى

---

[١] جزء ٨ ص ٩٦ ، ١٠٣ .

فى هـذا الموضع : « يعنى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى ، وذلك أنه رآه فى صورته مرتين : مرة فى الأرض ، ومرة فى السماء » .

وأما الأحاديث الصحيحة المثبتة للاسراءوالمعراج فكثيرة ، وقد رواها الكثيرون من الصحابة رضوان الله عليهم ، وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرجها أئمة الحديث والتفسير فى كتبهم كالأئمة البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى والبيهقى وابن جرير الطبرى وغيرهم ، وذكرهما أيضا الإمامان محمد بن إسحق وابن هشام فى سيرتيهما . قال الحافظ ابو الخطاب بن دحية فى كتابه « التنوير فى مولد السراج المنير » بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه فأفاد وأجاد : « وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك ابن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبى حبة وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب الأنصارى وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وإليك قصة الإسراء والمعراج كما جاءت بها الأحاديث الصحيحة التى تلقتها الأمة بالقبول وكادت تصل إلى درجة التواتر : بينما كان النبى صلى الله عليه وسلم نائما ببيت أم هانئ إذ فرج عليه سقف البيت فاحتمله جبريل هو ومن معه إلى الحجر بالمسجد الحرام فشق جبريل صدره ثم غسل قلبه بماء زمزم وأفرغ فيه إيمانا وحكمة . ثم أتى رسول الله بالبراق ـ وهو دابة دون البغل وفوق الحمار له من سرعة البرق أوفى نصيب ، يضع خطوه عند منتهى طرفه ـ فركبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصحبته جبريل الأمين حتى بلغ بيت المقدس فربطه بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء ، ثم دخل المسجد الأقصى فوجد بعض الأنبياء فى استقباله تشريفا له وتكريما ، فأخذ جبريل بيد النبى صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين إماما ، ثم خرج فجاءه جبريل باناء من لبن وإناء من خمر فاختار اللبن ؛ فقال له جبريل : اخترت الفطرة ؛ وفى هـذه البقعة المباركة أتى النبى صلوات الله

عليه وسلامه بالمعراج فعرج ومعه جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل عليـه السلام فقيل : من أنت؟ قال: جبريل . قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: نعم . فقال : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ثم فتح لهما فاذا آدم عليه السلام فسلم عليه النبي عليه الصلاة والسلام فرد ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، ثم عرجا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فسئل وأجاب بمثل ما تقدم ، ثم فتح لهما فاذا بابني الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، فسلم عليهما النبي فأجابا وقالا : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، وهكذا كان يحدث في كل سماء ، فوجدا في السماء الثالثة يوسف عليـه السلام وقد أعطى شطر الحسن ، وفي الرابعة إدريس عليـه السلام ، وفي الخامسة هرون عليه السلام ، وفي السادسة موسى عليه السلام ، وفي السابعة ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، ثم عرج بالنبي إلى سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة فينانة غشيها من جلال الله وملائـكته وعجيب خلقه ما غشيها ؛ فما يستطيع أحد من خلق الله أن ينعتها لحسنها . ثم زج بالنبي صلى الله عليـه وسلم وحـده في سبحات من النور إلى حيث يسمع صريف الأقلام ، فتجلى الله على حبيبه محمد بما تجلى وأوحى إليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة ، فرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه حتى مر على موسى عليه السلام فقال له : بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة قال : إن أمتك لا تطيق ذلك وإني بلوت بني اسرائيل قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع النبي إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا ، ولم يزل النبي يرجع بين موسى وبين ربه جل وعلا حتى قال الحق تبارك وتعالى : «هن خمس صلوات في اليوم والليلة وهن خمسون في الثواب ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن همّ بسيئة فعملها كتب له سيئة » فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاوز ناداه مناد « أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » فلما مرّ النبي على موسى قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال الحيي الـكريم : « سألت ربي حتى استحييت ولـكني أرضى وأسلم » ورجع النبي محفوفا بالإكرام حتى هبط إلى بيت المقـدس ومنه عاد على البراق إلى مـكة ، فلما أصبح الصباح أخبر السيدة أم هانئ فأشارت عليه أن لا يخبر قومه خشية أن يكذبوه ، ولـكن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسجد الحرام فجلس وهو مطرق رأسه يفكر ، فمر به أبو جهل فقال : هل من خبر ؟ قال : نعم ، أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس . فقال أبو جهل : أرأيت لو دعوت قومك أتخبرهم بمـا أخبرتني به ؟ قال : نعم . فنادى أبو جهل فيهم ، فحضروا ، فقصّ عليهم الرسول القصـة . فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا ، وارتد

أناس من ضعفاء الإيمـان ، وسعى رجال إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه يخبرونه فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق . فقالوا : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إنى لأصدقه على أبعد من ذلك وهو خبر السماء - يريد مجىء الوحى فى ساعة من نهار - فسمى أبو بكر من ذلك اليوم صـديقا .

ثم أراد المشركون أن يختبروا الرسول فسألوه عن بيت المقـدس ، ولم يكن رآه إلا فى هذه الليلة ولا سيما وقد كان فى شغل شاغل عن الإحاطة بالوصف فكرب كربا شديدا ، ولـكن الله جلاه له فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعا موضعا ، فقالوا : أما الوصف فقد أصاب . ثم قالوا : أخبرنا عن عيرنا - وكانت قادمة من الشام - فأخبرهم بأمارات وشواهد تبينوا فيما بعد صدقها ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، فمـا وافى اليوم حتى خرجوا يشتدون نحو الثنية فقـال قائل منهم : هذه الشمس قد أشرقت ، فقال الآخر : وهذه العير قـد أقبلت ! ! . وبعد كل هذه الآيات البينات الدالة على صدقه لم يزدادوا إلا كفرا وعنادا ، فبعدا للقوم الجاحدين .

ثم نزل جبريل عند الزوال فصلى الظهر بالنبى صلى الله عليه وسلم مبينا له وقته ، وهكذا بين له بقية الصلوات الخمس وأوقاتها ، ومن ثم صارت الصلاة فرضا موقوتا على المسلمين ، تشهد لمؤديها بخشوع وإخلاص وللمواظب عليها بالإيمـان وصلاح الحال وحسن المآل . وصدق الله سبحانه حيث يقول : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ؛ « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » .

هذه قصة الإسراء والمعراج مستقاة من أوثق المصادر وأصحها ، وليس فيها مايخالف عقلا ولا نقلا ، وإنمـا يؤمن بهـاتين الآيتين ذوو القلوب المؤمنة والنفوس المشرقة والعقول الـكبيرة المستأنية التى لا تستعظم على قـدرة الله شيئا ، لمـا ظهر لهـا من عجائب صنع الله فى الـكون وآياته الباهرة ما ظهر منها ومابطن . والعجب ممن يسارع إلى الإنكار من غير حجة ولا برهان مع ما يظهر لنا كل يوم من أسرار الخليقة وخواص الموجودات ، ممـا كان يعد عند كثير من الناس من ضروب المحال .

فلله ليلة الإسراج والمعراج ، فكم حصل فيها من فيوضات وتجليات وعبر وعظات ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

المؤمن الحق

قلنا فى المقال السابق: المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وآمن بالقدر خيره وشره، كما ورد بذلك الحديث، وبينا فى عبارات سهلة واضحة المراد من الإيمان بالله والملائكة والكتب، ونبين فى هذا المقال المراد من الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فنقول:

المراد من الإيمان برسل الله سبحانه التصديق بأن لله تعالى رسلا اصطفاهم من الناس وطهرهم وأزكى نفوسهم وصفى قلوبهم وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين، من قوة الفكر والتفطن وذكاء العقل والبصر بالأمور، ليبلغوا الناس عن ربهم ما أمروا أن يبلغوه لهم من الشرائع والأحكام وتبصيرهم بالضار والنافع، لما أن العقول مهما سمت لا يمكنها الاستقلال بما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين، فكان إرسالهم من الله فضلا ورحمة، وأيدهم بالمعجزات وخوارق العادات للدلالة على صدقهم فى دعواهم، وليفرق بها بين المحق فى دعوى الرسالة والمبطل فيها، فكم ادعاها من لا بينة له ولا دليل، فأكذبه الله تعالى وفضحه بين خلقه كمسيلمة الكذاب لعنه الله.

وآدم عليه السلام أول الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد ورد الكتاب الكريم بأنه أمر ونهى بلا واسطة، وليس ذلك إلا للرسول، ودلت السنة المطهرة على ذلك وانعقد عليه الإجماع، فمن أنكر نبوته خرج من ربقة الإسلام، وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم معجزته الدائمة التى خضعت لها أعناق المعاندين، ولم يستطيعوا مجتمعين ولا منفردين أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه مع تحديه إياهم وتشنيعه بهم تشنيعا جعلهم يمتشقون السيوف ويستلون الرماح، ويتراشقون بالنبل دون أن يعارضوا، ولو أمكنهم أن يأتوا بأقصر سورة لما اختطوا لأنفسهم ذلك الطريق الأشق الأصعب، إذ الكلام صنعتهم والبلاغة ديدنهم وهى سهلة عليهم يسيرة لديهم، فتركهم ذلك السهل الأيسر إلى أشق شىء عرفته البشرية دليل أن ذلك الكتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يقتصر القرآن على تحدى الإنس فقط بل تحدى الجن

أيضا كما يدل على ذلك قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

ولا ينبغى حصرهم فى عدد معين لأنه لم يرد ذلك من طريق يؤدى إلى القطع بعدد محدود، ولا سيما والله يقول : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » . وجميعهم عليهم الصلاة والسلام أمين معصوم من الصغائر عمدا ومن الكبائر مطلقا كما نص عليه المحققون، وما يشعر بصدور المعصية من بعضهم فمحمول على ترك الأولى من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وصادق فيما يبلغه عن ربه وصادق فى كلامه وفعله ، وما ورد مما يشعر بحصول الكذب من بعضهم كقول سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام : (بل فعله كبيرهم هذا) لما سأله قومه عمن كسر أصنامهم وجعلها جذاذا ــ وهو الذى كسرها وجذذها ــ فمحمول على أن صورته صورة الكذب ، وإلا فهو فى واقعه اعتراف لهم بالبرهان على أنه هو الذى كسرها ، وإن نسب الفعل إلى مالا يعقل أن يصدر منه ذلك الفعل وهو موجود معه وليس معهما أحد، فيدل ذلك على أنه الفاعل ، كأنه قال : ليس فى بيت الأصنام إلا أنا وهذا الصنم الكبير ، وليس يعقل أبدا أن يكون هذا الصنم هو الفاعل إذ هو عاجز عجزا تاما ، فأنا الفاعل إذن ولكنكم قوم جاهلون لا تفقهون (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) وفى المعاريض مندوحة عن الكذب ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يغزو فريقا ممن ناصبوه العداء وكان معه أبو بكر رضى الله عنه ، فقابلهما فى بعض الطريق رجل كبير فسألهما من القوم ؟ فقالا : قل لنا نقل لك ، فقال : هذا بهذا ؟ قالا : نعم ، فانتسب لهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء، يقصد الرسول صلوات الله عليه الماء المخلوق منه الإنسان ، ولكن الرجل فهم أنهما من جهة كانت تسمى ماء ببنى سليم أو لغيرهم . وهكذا كل ما ورد أنه حصل من بعض الأنبياء مما يدل ظاهره على خلاف الكمال المطلق المناسب لهم عليهم الصلاة والسلام .

هذا وليس بمؤمن من يفرق بين الرسل فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ، فان الإيمان بهم جميعهم هو الإيمان الحق الذى لا يلبسه شىء ولا يخالطه نكران ، فمن آمن بجميع الرسل

ولم يؤمن بواحد منهم لم يكن مؤمنا وان خال ذلك وظنه (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) .

وأما الإيمان باليوم الآخر فنعنى به التصديق بأن بعد أيام هذه الدنيا زمنا يسمى اليوم الآخر، وهو يوم القيامة وهو الوقت الذى لاحد له، الدائم الذى لا ينقطع، وهو اليوم الذى يبعث فيه الناس من قبورهم ويحيون لحسابهم ، فمن أنكره ولم يصدق بوجوده وقال إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين لم يكن مؤمنا ، وإنما سمى اليوم الآخر لتأخره عن الأيام المحدودة المعدودة ، وأوله بالنسبة للأفراد من الناس ساعة الموت بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات فقد قامت قيامته) وأما بالنسبة لجميع الخلائق فهو النفخة الثانية المذكورة فى قوله تعالى «ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » وهو مواطن كثيرة : قيام من القبور ، وسوق للحشر ، وحشر الناس فى مكان واحد ، وحساب وميزان ، وشفاعة ، وجواز على الصراط ، ثم دخول بعد ذلك إلى النار والجنة ، ثم خلود فيهما .

وأما الإيمان بالقدر خيره وشره فهو أن يصدق أن الأشياء كلها : خيرها وشرها ، حسنها وقبيحها ، ضارها ونافعها ، بإيجاد الله سبحانه وتعالى ، إذ القدر إيجاد الله الأمور على طبق إرادته ، فعلى المرء أن يؤمن بأن الخير والشر من الله سبحانه، خلافا لمن زعم أن الله لا يخلق الشر ، فعموم قوله تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » يدل على أنه سبحانه خالق كل شىء وغيره لا يخلق شيئا « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

ولعلك أيها القارئ تبينت معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم ـ الإيمان أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر خيره وشره . والله الهادى إلى سواء السبيل م

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
والمدير العام للوعظ بالجمهورية المصرية

أحاديث الأستاذ الأكبر

١ — حديث عن الأزهر مع الصحفى البلغارى فلاديمير نوبتشاروف

حضر فى يوم ١٤ يناير لمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الصحفى البلغارى فلاديمير نوبتشاروف ومعه مندوب من مصلحة الاستعلامات ، واستقبله فضيلة الأستاذ الأكبر فى الساعة الثانية عشرة والنصف ، ودامت المقابلة حوالى الساعة .

وقد تحدث الصحفى البلغارى فذكر أنه أستاذ تاريخ إلى جانب عمله الصحفى ، وأنه يعرف أن الأزهر أقدم جامعة فى العالم الآن ، ولكنه يود معرفة شىء عن تاريخه وتطوره ، ومعرفة الدور الذى قام به الأزهر فى حركة مقاومة الاستعمار وما أسهم به فى الحركة الأخيرة .

وقد بسط له فضيلة الأستاذ الأكبر تاريخ إنشاء الأزهر على يد الفاطميين لنشر تعاليمهم ، وكيف تحول ـ بفضل الروح الإسلامية القوية التى استقرت بمصر منذ دخول الإسلام إليها ، وبفضل الدراسات الدينية التى كانت تنشرها المساجد السابقة ـ إلى معهد لنشر تعاليم الدين الصحيحة ، وانتهى الأمر بزوال الفاطميين ومذهبهم من مصر .

وحدثه عن اتساع المناهج التى كانت تدرس بالأزهر ، والطريقة التى كانت تسير عليها الدراسة ، وما اتسمت به من تحرر وبساطة وتعمق علمى وتقوية لملكة البحث عن طريق المناقشة التى كانت أساس الدراسة وتقرير صلاحية العالم للتدريس ، وبين له تطور نظم الامتحان مع تطور الحالة فى مصر ، وكيف انتهى الأمر بادخال النظم الدراسية الحديثة فى الأزهر بتنظيم امتحانات للقبول ، وتقسيم الدراسة إلى مراحل ، وتنوع الكليات التى تمهد للتخصص ، وإنشاء التخصصات المختلفة من تدريس وقضاء ووعظ ، وتخصص المادة الذى ينتهى باعداد رسالة لدرجة الأستاذية التى تؤهل للتدريس بالكليات .

ثم انتقل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الموضوع الثانى الذى ذكره الصحفى ، فأجاب بأن الأزهر من قديم كان يسهم فى مقاومة الحملات الأجنبية من الفرنسيين والانجليز إسهاما ، بل كان محط رحال رجال المقاومة ، يعقدون فيه الندوات وتلقى فيه الخطب ، وتنبعث من الأزهر حركة المقاومة .

ولم يكن الأمر مقصورا على الشباب بل كان الشيوخ هم الذين يقودون الحركة ضد العدوان وحملات الفرنسيين والانجليز ، وكانت اجتماعات الأزهر تقصدها قوات الدولة المحتلة بالشدة والعنف للقضاء عليها ، ولكن كان الأمر بالعكس إذ كانت تزداد حماسة الوطنيين من الأزهريين وغير الأزهريين الذين كانوا يقصدون إلى هذه الاجتماعات فى المسجد العظيم وهو الأزهر ، وفى مرات كثيرة أطلقت قوات الأجانب المحتلة رصاص البنادق والرشاشات على أهل الأزهر ، وأنا بنفسى كنت طالبا فى معهد الاسكندرية وهو تابع للأزهر ، وكنت مشتركا بقوة فى حركات المقاومة سنة ١٩١٩ ، وأطلق علينا الرصاص فى المكان الخاص الذى كنا نبيت فيه بالمعهد ، وكثير من إخوانى وقعوا صرعى إلى جانبى وأمامى ، ولم ينته الأمر إلا باعتقال من بقى حيا .

والأزهر أسهم فى حركة المقاومة الأخيرة أولا بما يستطيع من مال ، كما تدرب رجال الأزهر - وأنا معهم - على استعمال السلاح ، وأسهم الطلاب وبعض المدرسين بأنفسهم فى حركة المقاومة ، فذهبوا إلى الإسماعيلية للاشتراك فى صد العدوان ، ومنهم من كان يختار الفدائية ومنهم من استشهد ، ولكن لا ندرى الآن الإحصاء الكامل . وأرسل فريق للاشتراك فى تعمير بور سعيد ، وقد ذهب الوفد الأول من ثلاثة أيام على أن تتبعه فرق بالتوالى للاشتراك فى التعمير والرجوع بها إلى أحسن مما كانت عليه .

وكان فى بور سعيد وقت الهجوم عليها بعض العلماء من قسم الوعظ والإرشاد ، وقد أدوا واجبهم فى المعركة أداء مشرفا .

هؤلاء أمكنهم أن يشتركوا فى حركات المقاومة ، وأن يشدوا من عزيمة الوطنيين ويقووا نفوسهم على الكفاح الذى يأتون فيه بما كان عليه الأسلاف من الصحابة والتابعين والمجاهدين .

٢ - زيارة الوفد الصحفى الصينى

وقدم فى يوم ١٥ يناير لزيارة الأزهر ومقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر أعضاء الوفد الصحفى الصينى الذى زار مصر فى ضيافة الحكومة المصرية برئاسة المستر شيانج يوان وعضوية الأساتذة كاوتين واتشوموتشى ولوليانج وبن بياو ويرافقهم مندوبان من مصلحة الاستعلامات .

وقد استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الوفد فى الساعة العاشرة والنصف وتحدث المستر شيانج يوان رئيس البعثة ، فأعرب لفضيلته عن سروره وسرور زملائه بهذه الزيارة واغتباطهم

بمشاهدة أقدم جامعة فى الشرق أسهمت بأوفر قسط فى نشر الثقافة الدينية ، وأنه يسرهم تقديم تحياتهم وتقديرهم العظيم لفضيلة الأستاذ الأكبر .

وقد شكر لهم فضيلته هذه الروح الطيبة ، ورحب بهم فى أول زيارة لهم لمصر والأزهر ، راجيا أن تتلوها زيارات أخرى ، وان تتاح الفرصة لبعض الأزهريين لزيارة الصين كذلك ، وان تزداد الصلات بين مصر والصين توثقا وازدهارا بفضل هذه الزيارات .

ورد رئيس الوفد فذكر أن لديهم فى الصين متخرجين من الأزهر يشاركون بجهودهم فى بناء النهضة الوطنية للصين ، وأنهم يرحبون بزيارة رجال من الأزهر للصين ، ويودون أن تقوى الروابط بين مسلمى الصين ومسلمى مصر وبين شعب الصين والشعب المصرى . ورجا فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعطيهم صورة عن تاريخ الأزهر وحالته الحاضرة لأهمية هذا الموضوع لهم بوصفهم من رجال الصحافة .

فتحدث فضيلته إليهم عن إنشاء الأزهر منذ أكثر من ألف سنة إذ تم بناؤه سنة ٣٦١ هـ ، ليكون مسجدا للعبادة ومركزا للدراسات الدينية والعربية والعلوم المختلفة ومواد الثقافة الأخرى ، وأنه خلال تاريخه الطويل صارع القوى الأجنبية التى توالت على مصر ، وشارك فى مختلف نواحى النهضة . وهو الآن يسير على أحدث النظم العلمية مع احتفاظه بخصائصه ومميزاته ، وخاصة تلك الميزة التى عرف بها وهى استعمال أسلوب المناقشة العلمية بين الأستاذ وطلابه فى دراسة المسائل ومقارنة الآراء والأفكار المختلفة ، وهى الطريقة الصحيحة للوصول إلى الحقيقة ، وتربية ملكة البحث فى الطلاب ، وتثبيت المعانى فى نفوسهم .

ثم شرح لهم فضيلة الأستاذ الأكبر مراحل الدراسة المختلفة بالأزهر ومناهجها وأنواع التخصص التى تؤهل المتخرجين لتولى وظائف التدريس والقضاء والإفتاء والإمامة والوعظ وغيرها .

وقدم فضيلة الأستاذ الأكبر إلى رئيس الوفد وأعضائه كتيبات باللغة الإنجليزية عن تاريخ الأزهر ونظامه وتطوره .

وقد شكر الوفد فضيلته على هذه الفرصة التى أتاحها لهم ، وتوجهوا لزيارة الجامع الأزهر والمكتبة العامة وقاعة المحاضرات والكليات ومبانى مدينة البعوث الإسلامية .

لغويات

ما قام سعد لكن سعيد

يورد النحويون هذا المثال للعطف بلكن . ويشترط الموردون لهذا المثال فى العطف بلكن أن يكون ذلك فى المفردات وألا يسبقها واو العطف ، وأن يكون ذلك فى مقام النفى أو النهى . ومثال النهى : لا تزر محمدا لكن عليا .

وقد سألنى بعض الفضلاء شاهدا للعطف بلكن يكون مأثورا عن العرب ومن يحتج به . ورجعت إلى كتب النحو فوجدت فى العطف بهذا الحرف خلافا كثيرا . ووجدت أن يونس من شيوخ سيبويه ينكر العطف بها ، ويجعلها حرف استدراك لا غير . وعلى مذهبه يكون المفرد بعدها معمولا لمحذوف فيكون ما بعدها جملة . فنحو ما قام سعد لكن سعيد تقديره : لكن قام سعيد ، ونحو لا تزر محمدا لكن عليا تقديره : لكن زر عليا ، وهكذا يجرى التقدير فى سائر الأمثلة .

والذى يعنينى من البحث أنى وجدت أن النحاة المثبتين للعطف بها مجرّدة عن الواو لم يعتمدوا على شاهد من كلام العرب ، وإنما قاسوها على بل ، وأوردوا لها مثالا مصنوعا لتوضيح استعمالها فحسب ، لا للاحتجاج به . وإنما ورد عن العرب فى هذا المقام قرنها بواو العطف ، ومن ثمّ اشترط بعضهم فى العطف بهذا الحرف سبق الواو ليحاذى ما ورد عن العرب . نعم ورد شاهد واحد ، لكن تخريجه على العطف بها هو على احتمال لا على قطع ويقين . وهو : ما مررت برجل صالح لكن طالح . وفى المغنى : « وسمع : ما مررت برجل صالح لكن طالح بالخفض ، فقيل : على العطف ، وقيل : بجارّ مقدّر ، أى لكن مررت بطالح . وجاز إبقاء عمل الجارّ بعد حذفه لقوّة الدلالة عليه بتقدّم ذكره » وهذا المعنى قد روى بوجه آخر ، ففى الأشمونى فى آخر مبحث حروف الجرّ : « حكى يونس : مررت برجل صالح ، إلا صالح فطالح أى إلا أمرر بصالح فقد مررت بطالح . والذى حكاه سيبويه : إلا صالحا فطالحا ، وتقديره : إلا يكن صالحا يكن طالحا » .

وإنى مورد هنا بعض نصوص النحاة فى لكن ؛ لأن هذا لا يخلو من فائدة للباحثين .

فيقول سيبويه فى الكتاب ٢١٦/١ : « ومنه أيضا : ما مررت برجل صالح بل طالح ، وما مررت برجل كريم بل لئيم ، أبدلت الصفة الآخرة من الصفة الأولى ، وأشركت بينهما بل فى الإجراء على المنعوت ... ومثله : ما مررت برجل صالح ولكن طالح ، أبدلت الآخر من الأول فجرى مجراه . فان قلت : مررت برجل صالح ولكن طالح فهو محال ؛ لأن لكن لا يتدارك بها بعد إيجاب ، لكنها يثبت بها بعد النفى » . وترى أن سيبويه لم يأت فى التمثيل للعطف بلكن بها وحدها ، بل قرن بها الواو فى قوله : ولكن طالح . وسينوّه ابن مالك بهذا فى نص المرادى فكن منه على ذكر . ويريد صاحب الكتاب بالإبدال العطف هنا . وهو يخص بهذا الاسم العطف بلكن وبل لأن الآخر لا يجتمع مع الأول فى الحكم ، فكان كالبدل والعوض منه .

ويقول المرادى فى شرح التسهيل فى أول مبحث العطف : « اختلف فى لكن على أقوال . فقيل : هى من حروف العطف ، ولا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو ، وهو مذهب الفارسى – قيل – وأكثر النحويين . ولم يسمع ذلك من كلام العرب ، وإنما قالوه قياسا . الثانى أنها عاطفة ، ولا تستعمل إلا بالواو ، ولكن مع ذلك الواو زائدة و (لكن) هى العاطفة ، وصححه ابن عصفور . قال : وعليه ينبغى أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش ، لأنهما قالا : إنها من حروف العطف ، ولما مثلا العطف بها مثلا بالواو . الثالث أنها ليست بعاطفة ، وأن العطف للواو أيضا ، إلا أنه من باب عطف جملة على جملة ، وهذا اختيار المصنف . قال فى الشرح : هى عند يونس حرف استدراك لا حرف عطف . فان وليها مفرد معطوف فعطفه بواو قبلها ، ولا بد قبل المفرد من الواو ؛ ولو كانت عاطفة لاستغنى عن الواو . وما يوجد فى كتب النحويين من نحو ماقام سعد لكن سعيد فمن كلامهم لا من كلام العرب . ولذلك لم يمثل سيبويه فى أمثلة العطف إلا بـ (ولكن) . وهذا من شواهد عدالته ؛ وكمال أمانته ؛ لأنه يجيز العطف بها غير مسبوقة بواو ؛ وترك التمثيل به لئلا يعتقد أنه مما استعمله العرب . ومع هذا ففى المفرد الواقع بعد (لكن) إشكال ؛ لأنه على ما قدرته معطوف بالواو مع أنه مخالف لما قبلها ؛ وحق المعطوف بالواو أن يكون موافقا لما قبلها ، فالواجب أن يجعل من عطف الجمل ويضمر له عامل ؛ كأنه قال : ما قام سعد ولكن قام سعيد انتهى . وقوله : إن سيبويه يجيز العطف بها غير مسبوقة بواو فيه نظر ، فقد تقدم ما حمل عليه ابن عصفور كلام سيبويه » . وقول المرادى : « قال فى الشرح » يريد : ابن مالك فى شرح التسهيل .

المفص الكلوى

الجارى على ألسنة الناس فى الكلوىّ فتح الكاف واللام . فأما فتح الكاف فلا وجه له ، وهو خطأ يجب العدول عنه ، فالكاف فى المنسوب إليه مضمومة البتة ، ويقول ابن السكيت ـ كما فى اللسان ـ : « ولا تقل : كلوة بالكسر » ولم يرد هذا فيما سمع مغيرا فى النسب كدهرى فى النسب إلى الدهر ، وسهلى فى النسب إلى السهل .

وأما فتح اللام فله وجه صحيح عند بعض النحويين .

وذلك أن المنسوب إليه هنا الكلية ، ويقول أهل اليمن : الكلوة ، وهو الجارى على ألسنة الناس فهى عربية صحيحة .

فاذا وقعت النسبة على الكلية فان سيبويه يوجب أن يقال : كليى بتسكين اللام وياء مكسورة بعدها ياء مشددة ، وإذا نسب إلى كلوة فالواجب عنده أن يقال : كلوى بتسكين اللام كذلك . ويرى يونس أن يقال : كلوى بفتح اللام فى النسب إلى كلية وكلوة ، ويوافق هذا نطق الناس اليوم .

وقد سبق لى مثل هذا البحث فى « التربية النسوية ، والثقافة النسوية » فى ص ٧٨ من اللغويات (١) فارجع إليه تجد مذاهب سيبويه والخليل ويونس فى شىء من التفصيل والبسط .

قارن بين الأمرين

إنكار هذا الأسلوب جرى بين الكتاب منذ حقبة من الدهر ، ووجه الإنكار أن المقارنة معناها المصاحبة ، يقال : قارنت فلانا أى صاحبته ، ومن هذا ما جاء فى الحديث فى شأن الشمس : « تطلع بين قرنى شيطان ، فاذا طلعت قارنها ، فاذا ارتفعت فارقها » وليس يراد هذا المعنى فى الاستعمال الجارى بين الناس ، وإنما يقال فى معناه : وازن بين الأمرين وميل بينهما ، ويقول صاحب اللسان (ميل) : « تقول العرب : إنى لأميل بين الأمرين وأمايل بينهما أيهما أركب ، وأمايط بينهما ، وإنى لأميل وأمايل بينهما أيهما أفضل » .

وقد بدا تخريج قد يصحح المستعمل بين الناس . ذلك أن القرن يأتى فى معنى الجمع ، يقال : قرن بين الحج والعمرة أى جمع بينهما بنية واحـدة وطواف واحد وسعى واحد . ومنه القران فى الأكل ، وهو أن يقرن بين تمرتين يأكلهما ، وقد نهى عنه إذا أكل الرجل مع غيره إلا أن يستأذنه . وقد جاءت المقارنة فى هذا المعنى ، ومنه ما أورده اللسان فى حديث جبلة « قال : كنا فى المدينة فى بعث العراق ، فكان ابن الزبير يرزقنا التمر ، وكان ابن عمر يمرّ فيقول : لا تقارنوا إلا أن يستأذن الرجل أخاه . هذا لأجل ما فيه من الغبن ، ولأن ملـكهم فيه سواء » فقوله : لا تقارنوا أى لا تقرنوا بين تمرتين فى الأكل ، ومعنى هذا : لا تجمعوا . فقـد جاءت المقارنة فى معنى الجمع والقرن لا فى معنى المصاحبـة والاقتران ، والذى يوازن بين أمرين يجمع بينهما ، ثم ينظر ما يجتمعان فيه وما يفترقان فيه ، وما به يفضل أحدهما الآخر . فأطلق المقارنة بمعنى الجمع على ما يعقب الجمع ، وهذا ضرب من المجـاز لا حرج فيه .

ويقرب من هذا ما جاء فى الحديث أيضا فى رواية اللسان : « قارنوا بين أبنائـكم أى سوّوا بينهم ولا تفضلوا بعضهم على بعض» فقوله : قارنوا أى اجمعوا بينهم ولا تفرقوا بينهم فى العطاء ، فاستعمل هنا فى التسوية . والعبرة فى هذا الحديث أن المقارنة عنى بهـا الجمع والقرن ولم يعن بهـا المصاحبة والاقتران ١٠

محمد على النجار

خـــير الأساة

نظر الهداة إلى الشعوب فما دروا	أعقول وحش أم طباع جماد
وتعجبوا للأرض كيف يسوسها	طغيان أرباب وجهل عباد
مرضت نفوس العـالمين فعادها	خـــير الأساة وأفضل العوّاد
طب من الوحى المفصل آخـذ	بمجـامع الأرواح والأجســاد
ما انفـكت الأفهام فى أصفادها	حتى تداركها الرسول الفـادى
الله يسأل : أين غودر دينه	ويقول : أين فوارسى وجيادى
أفيطمع النوام ملء عيـونهم	أن يملـكوا الدنيا بغـير جهاد

أحمـــد محرم

التدريب العسكرى فى مناهج الدراسة
بالأزهر والمعاهد الدينية

حملت إلينا الأنباء المتلاحقة وفى الطليعة منها صحيفة (التمبو) الإيطالية حديثا أفضى به رئيس الدولة المصرية قال فيه : إن مصر مستعدة لمواصلة الكفاح ، وإن الشعب أحرص ما يكون على سلامة بلاده وتحريرها من كل طامع أجنبي ، وإن الكفاح بيننا وبين المستعمرين ما يزال قائما ، ولا يمكن أن يلقى الكفاح أوزاره حتى تتحرر البلاد وتسلم لأصحابها . ثم قفى على آثاره من بعده صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبداللطيف السبكى مدير التفتيش بالأزهر والمعاهد الدينية ، فأنهى إلى شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر اقتراحا بمشروع قانون يكفل إدراج التدريب العسكرى والتعاليم العسكرية فى مناهج التدريس المعمول بها فى الأزهر ، وقد رحب به شيخ العلماء التواق لتنفيذ هذا المشروع ، ورحب به أيضا المسئولون فى هيئات التحرير المختلفة .

ولا شك أن الجندية من أهم أبواب العلم الحديث ، لأن بها حماية الذمار والذياد عن حياض الوطن والجلاد عن الدم والعرض والمال ، فهى بنواحيها المختلفة ملاك الفضائل وهدف لكل صائل ، يقول الفيلسوف هيجل الألمانى : « بلى ، إن الحروب تخيف وترعب وتزعج ، ولكنها واجبة لازمة ، لأنها تنقذ الأمة من كل ركود أو جمود اجتماعى » .

إن النظام الاجتماعى الذى يكون فيه لأرباب الكفايات الكبرى الكلمة العليا هو الذى يظهر أكبر الحيوية فى النزاع الداخلى الدائم .

أما النزاع الخارجى ـ أى الحرب ـ فلا تنتصر فيه إلا الأمة التى تضع فى الميزان أكبر القوى الطبيعية والذهنية والأخلاقية والمادية والسياسية ، وعلى ذلك تكون أحسن الأمم فى الدفاع عن حوزتها وسلامتها ، فالعوامل الذهنية والأخلاقية التى تتغلب فى الحرب على غيرها تؤدى إلى ارتقاء المجتمع كله ، وبدون الحرب لايكون من الأمم والأجناس المنحطة الضعيفة الذابلة إلا أن توقف العناصر الأخرى القوية المنتعشة المثمرة ، وليس من وراء ذلك إلا الانحطاط العام فى الجمعيات البشرية كلها . يقول فون سكليجل : « الحرب لازمة لزوم الحرب الواقعة بين عناصر الطبيعة » .

قد يكون هناك منافسة سلمية بين الأمم كالمنافسة الواقعة بين أفراد المجتمع الواحد فى كل فروع الحياة الصحيحة ، منافسة لا تستوجب دائما نشوب الحرب ، ولكن المنافسة بين الأمم لا تشبه التنازع الداخلى بين الأفراد ، ومن ثم لا تؤدى إلى النتائج نفسها. إن فوق منافسة الأفراد والطبقات فى داخل الأمة ينهض القانون ، وهو الذى يعنى بمطاردة الظلم واستئصال شأفة الجور ، وهو الذى ينشر العدل بين الربوع ، ومن وراء القانون تقف الحكومة بقوتها لتحمى الشعائر الأدبية والروحانية فى جمعيتها ، ولتعمل كذلك على ترقيتها وتهذيبها . ولكن ليس هناك قوة عادلة غير متحيزة تنهض فوق منافسة الأمم لتمنع الحيف وتقتل الظلم ، وتستخدم هذه المنافسة نفسها فى تربية الإنسانية والصعود بها ذروة الكمال الاجتماعى ، وإنما الحائل الوحيد بين الأمم والظلم هو القوة ، وعلى كل أمة أن تنهض بنفسها وتأخذ مكانها من الفضيلة والمدنية وتعمل على ترقية مذاهبها ومبادئها وأغراضها ، فاذا حدث من ذلك أن اصطدمت هذه المبادئ بمبادئ الأمم الأخرى ومذاهبها ، فعليها إما أن تخضع وتعترف بأسبقية الأمة المزاحمة ، وإما أن تعمد إلى القوة فتواجه بها الصدمة الكبرى ، وأعنى الحرب ، حتى تنشر مبادئها وتذيع فى الخافقين آراءها وآدابها ، نعم ليس هناك قوة تستطيع أن تحكم وتقضى بين الأمم وتجعل لحكمها سلطانا مسموعا ، وليس هناك غير الحرب لكى تسود عناصر النجاح الصحيحة على روح التدهور والانحطاط .

إن النزاع إذن هو القانون العام فى الطبيعة . خلق الإنسان محاربا ، وإن تضحية الذات ليست إلا التخلى عن الحياة ، سواء فى وجود الفرد أو حياة الأمم ، لأن القانون الأولى العام هو إظهار الإنسان وجوده المستقل فى هذا العالم ، وبالاحتفاظ بالوجود المستقل لا يمكن رد عاديات الأعداء فقط ، وإنما يتضمن كذلك تكفلها بوجود الحياة وسبل الارتقاء لمجموع الأمة التى تحكمها .

والتدريب العسكرى الذى يراد إدخاله ضمن برامج التعليم يكون عادة فى فترات السلم ، ويكون ذلك بمثابة استعداد للحرب ، لأن الحرب أشد من السلم إيقاظا للحياة الأهلية ، وأشد توسيعا لنطاق القوة الأهلية من كل وسيلة يذكرها التاريخ .

وإذا ظلت السلم فى الأمة دهرا لم تلبث أن تتسلط فيها المآرب الشخصية الحقيرة والأغراض الدنيئة المريضة ، وتقوم الفتن ويمحو الترف آثار الكمال الاجتماعى ، ويحتكر

المـال قوة متطرفة غـير شريفة ولا مشروعة ، ولا تجد الشخصية الـكبيرة الاحترام اللائق بهـا .

يقول فيلسوف ألمـانيا شيلر : « تصوح زهرة الإنسان وتموت جذوره فى زمان السلم وعهودها ، وتموت الشجاعة وتحتضر فى ظلال الراحة وخمائل السكون . إن القانون هو ملهاة الضعيف العاجز ، هو الذى يجعل الناس جميعا أندادا وأشباها . ولـكن فى الحرب تتجلى شجاعة الإنسان ، والحرب تعلى الروح الوضيعة ، وترفع كل منحط حقير ، بل إن الجبان نفسه ليتناسى اسمه » .

عرف معلم ألمـانيا الأول فيردريك الـكبير التأثير النبيل العظيم الذى تحـدثه الحرب فقال : « إن الحرب تفتح الميـدان الخصيب الشاسع العريض للفضائل كلها ، لأن فى كل لحظة من أيام الحرب يتجلى الثبات والعطف والعظمة والبطولة والرحمة والإحسان ، وكل لحظة من أوقات الحرب تقوم الفرصة السانحة لإظهار فضيلة من هذه الفضائل » .

ويقول تريتشكى الفيلسوف : « يجب أن يتلاشى حب الذات وتتدارى الحزازات وتختفى الإحن والعداوات ، إذا جاءت الساعة التى يصيح فيها المجتمع أن حياته فى خطر ، يجب أن ينسى الفرد إذ ذاك ذاتيته ، ويشعر بأنه شلو من جسم الأمة ، ينبغى أن يعرف أن حياته ليست شيئا مذكورا بجـانب حياة المجتمع الذى يعيش فيه ، إن الحرب مهذبة رافعة سامية ، لأن الفرد يختفى فيها حيال فـكرة الأمة الـكبرى ، وإن إخلاص المجتمع لا يتجلى أسمى جلاله إلا فى الحرب ... » .

قد يكون حتى فى الهزيمة نفسها ثمرات غالية سامية ، فهى ـ وإن ساقت غالبا الضعف والبؤس والشقاء ـ مؤدية كذلك إلى إحياء جديد وانتعاش قوى لا سمة للفتور أو العلة فيه ، وهى كذلك واضعة أساس أنظمة حيوية جـديدة . يقول ولهلم همبولدت الأديب الكبير : « إنى لأرى فى تأثير الحرب على الخلق الأهلى عنصرا من أسمى العناصر فى تكوين الجنس البشرى وصوغه وتهذيبه » .

ولا نعنى بمـا كتبناه فى هـذه العجالة مستندين فيه إلى آراء كبـار الفلاسفة أن نقول بضرورة قيـام الحرب مشتعلة بين الشعوب المهضومة والشعوب الهـاضمة ، بل الذى نريده من ذلك كله أن تـكون الأذهان مهيئة إلى اتخاذ إمكانيات حربية جماعيـة تستطيع أن ترد بها عاديات الظالمين وجنايات المعتدين .

عباس طه
المحـامى

العائدون

العائدون من الجهاد هم الغزاة الظافرون
العائدون لمصر بالنصر المبين متوجون
العائدون غدا إلى ساح القتال سيرجعون
ولقبر إسرائيل فى الأمد القريب سيحفرون
ولقد علمنا أن ساستهم ضعاف جاهلون
ولقد رأينا أنهم فى الحرب أتفه ما يكون
أهل الخيانة والمذابح والتعسف والمجون
والجبن شيمة جيشهم قوم لئام مجرمون
سنعود « غزة » رغم أنف المعتدين ويطردون
أمجاد « غزة » للقيادة بالمحبة يهتفون
لجمال « مصر » و « عامر » ولشعب مصر مؤيدون
« ولتاج » « أزهرنا » العظيم يقدسون ويشكرون

حسين عبد المجيد هاشم
مدرس بمعهد غزة الدينى
وأحد الأسرى العائدين

بشارة لهذه الأمة

عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بشر هذه الأمّة بالسناء ، والرفعة ، والتمكين فى الأرض ، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب» . رواه أحمد ، والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقىّ فى شعب الإيمان . واللفظ للحاكم .

تقديم : المراد بالأمّة هنا أمّة الإجابة ؛ لكن من حيث جملتها ومجموعها لا من حيث أفرادها وجميعها ، والسناء بالفتح والمدّ : ارتفاع المنزلة والقدر ، فعطف الرفعة عليه للتفسير ، والنصرة بضم فسكون : هى النصر ، وهو رواية ثانية ، والتمكين فى الأرض : تثبيت الله لملكهم فيها بالهيبة والقوّة والتوفيق ، ومن عمل منهم : أى من الداخلين فى جملتهم من المنافقين والمرائين . عمل الآخرة للدنيا : بأن جعل عمله الأخروىّ وسيلة إلى تحصيلها ، ولم يطلب به وجه الله والدار الآخرة ، لم يكن له فى الآخرة من نصيب : على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم : فهجرته إلى ما هاجر إليه ، أى فأنذره ذاك .

المعنى : هذا النوع من الحديث الذى يتحدث عما سيكون من أمور الدنيا ــ ليكون هدى مجدّدا للخالفين من المؤمنين ، وحجة مستأنفة على المعاندين الجاحدين ــ هو كما هو ظاهر من دلائل النبوة الظاهرة ، وعلاماتها الباهرة ، وشواهدها النيرة ، وكلها نيرة مبصرة ، وله نظائر كثيرة فى أمّهات كتب السنة : كصحيح البخارىّ وغيره ، مما لا يتسع لها المقام ، وهو كالبيان لبعض آيات الذكر الحكيم التى سنشير إلى بعضها بعد ، وهذا النوع الكريم منها بحاضر الهدى ، وكلها كريم به ــ وإن طال المدى ، أو استعجل الآيات من لو رآها ما اهتدى ــ يذكرنى بكلمة من الكلمات الكبار ، التى لها فى نفسى موقع خاص ، هى ما قاله لى بعض مشايخنا الأزهريين فى نحو من مثل هذه المناسبات التى يوحى مثلها هذا المقام ــ إذ قال لى : إن هذا الدين لا يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية بحال من الأحوال . وإنما حمله على مثل هذه الكلمة أن ظهور الإسلام وعلوه ، وغلبته وانتشاره ، لا يجرى على مقتضى مقدّمات اجتماعية مما ينشأ عن مثلها ظهور أمّة ، وقيام دولة ،

وامتداد سلطان ، فضلا عن أن يكون لهـذه الأمّة الكلمة النافذة على أمم الأرض ، وعلى رأسها دولتا الفرس والروم ، على مالهما من حضارة تالدة ، ومدنية زاهرة ، وملك عريض ، ومجد أثيل ، وهذه الأمّة لم تخرج بعد عن بداوتها البادية ، وفطرتها الساذجة ، ولم تأخذ بعد بأسباب القوّة المـادّية : اقتصادية كانت ، أو صناعية ، أو علمية ، حتى يكون لهـا أن تغالب غيرها إلى أن يخر صاغرا لسلطانها القاهر ، خاضعا لأمرها العظيم .

وكيف لا نوقن باستحالة أن يكون الإسلام ظاهرة اجتماعية بحال من الأحوال ، ونحن نرى أن حملة هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها لم يكونوا قبله ـ وإن طال تطاحنهم فيما بينهم ، وعدوان أقويائهم على ضعفائهم ـ إلا قبـائل تتوزعها الفلوات ، وتتقاذفها المهامه والمفازات ، انتجاعا للكلأ والمـاء ، وجريا وراء كل سحابة يشيمون برقها فى السماء ، أو ممالك مستضعفة خاضعة للفرس على أطراف العراق ، لا تمتنع على أمر كسرى ولو كان منه أن تطأ الفيلة بعض ملوكها بالأقدام ، أو تابعة للروم على مشارف الشام يبتغون عندهم الزلفى والعيش والمتاع .

ولقد يبلغ من ضعف هذه القبائل العربية جميعا قبل الإسلام أن تخترق معظم بلادها من الجنوب إلى الشمال كتيبة حبشية بقيادة أبرهة صاحب الفيل لتهدم البيت الحرام الذى أجمعوا على تعظيمه ، لأنه بيت أبويهم إبرهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ومثوى ما يشركونه بالله ، ويحبونه كحبه : من الأصنام والأوثان ـ فلا يستطيعون صدّه عن هـذا المقصد الشنيع الأثيم ، حتى إذا ما انتهوا إلى حدود الحرم ، لم يجد شيخ قريش عبد المطلب من سبيل إلى لقـاء هؤلاء الآثمين إلا أن يفوّض الأمر إلى الله بكلمته المأثورة « إن للبيت ربا يحميه » فكان من أمر الله ما قصه فى سورة الفيل .

وما لنا لا ننتهى إلى ذلك ؟ وكتب التاريخ لا تزال تقص من تعيير أعدائهم من الفرس لهم ، واستهزائهم بضعفهم ، حينما كانوا يدعونهم إلى الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، حسما لشرورهم ، وكفا لعدوانهم وبغيهم ـ ما ليس أبلغ فى تصديقـه وتأييده من تسليمهم لهم به ، وزيادتهم لهم فيه ، معترفين بمـا امتن الله به عليهم : من كرامة الإسلام ، وعزة الإيمان ، وما وعدهم الله ورسوله : من النصر العزيز ، والفتح المبين ، من مثل قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكـم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى

لا يشركون بى شيئا » ومن مثل قوله صلى الله عليه وسلم من حديث « نصرت بالرعب ، فبينما أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض » وقوله : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها » مع علمهم بأن مثل هذه البشائر إنما هى من باب التكليف العظيم ، والأمر الجسيم ، الذى لا طاقة لهم بمثله لو خلى بينهم وبينه ساعة من ليل أو نهار ، وحسبك ما كان يستشعره عمر رضى الله عنه من ذلك إذ يقول كما رواه الطبرى : « وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار : لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم » ؛ ولقد كان الفرس أول من اجترأ على حربهم ، والعدوان عليهم ، متهكمين بهم وبأسلحتهم ، حتى لقد عيروهم حين رأوا ضآلة قسيهم بأنهم إنما جاءوا ليحاربوهم بالمغازل ، حتى إذا ما التقى الجمعان أذن الله لهذه الهام النحيلة الضئيلة أن تخترق كل ما تلاقيه ، فلم يصدها ما ضوعف نسجه من الدروع ، ولا ما اتقى به من الجنن والتروس ، وقضى بأن تتساقط عن صدور المسلمين هذه السهام الفارسية الرصينة الثقيلة كما تتساقط أوراق الخريف ، إلا أن يأذن الله لمن يشاء بكرم الاستشهاد ، فيدع لسهم عدوه أن ينفذ فيه ؛ ولقد فطن لذلك بعض قادتهم فاعتذر به لمن عيره الهزيمة من قومه ، وأراه كيف أن سهمه يفلق الصخر مع انه ما كان لينال شيئا من هؤلاء الجند الغالبين .

ومما يؤيد مثل ذلك ، ويعين على اعتقاده ، واليقين به ، ما كان يؤتى لهم فى المواقف الحاسمة : من الآيات العظام التى لا تجرى على المألوف من أمور الدنيا ، وأحوال الناس ، فقد ينطق بعض عامتهم بالكلمة لا يدرى هو ولا من معه ما هى جوابا على رسالة لكسرى ، فيطير لها قلب هذا الرسول رعبا ، حتى إذا ما بلغها إليه فر من وجوههم تاركا لهم مدينة عامرة بما فيها من الأزواد والأموال ، وقد يعترض سبيلهم البحر المزبد فيعبرون لجته بخيولهم فلا يغرق منهم أحد ، ولا يفقد لهم متاع ، وقد يعييهم أمر مدينة محصنة ، فيدلهم على عورتها كلب لا هم له إلا أن يفر إلى هذه العورة بما اختطف من رغيف . وإياك أن تعجب من مثل ذلك فسترى عن قريب كيف كان عمر يؤاذن أجناده بأنه لا قبل لعدوهم إلا بتقوى الله ، وهو الذى تمثل وقد بلغه أمر النصر فى بعض هذه المواطن بقوله تعالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

« يتبع »

محمود فرج العقدة
المدرس فى كلية اللغة العربية

سورة الاسراء

تقص نهاية إسرائيل

قال الله عز وجل : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين » .

أطبق المفسرون على أن ذلك الفساد والإفساد وقع منهم مرتين : فى الماضى قبل الإسلام أيام أن علوا وغلوا وقتلوا الأنبياء وكذبوا المرسلين ، وإن اختلفت أقوالهم فى ذلك اختلافا كبيرا فى تحديد نوع إفسادهم الأول وزمنه والمسلط عليهم فيه ، وكذلك فى الثانى.

والذى يعنينى أن أكشف عنه وأن أثبته فى هذا البحث أمران :

الأول — أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة وإنما هما فى الإسلام .

الثانى — أن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

والآخرة هى التى نحن فيها الآن والتى ستسوء فيها وجوههم ، وندخل المسجد كما دخلناه أول مرة ، وندمر فيها ما علوا تدميرا ، إن شاء الله رب العالمين .

وأبادر فأطمئن الذين قد يهولهم هذا التخريج فيرونه مخالفة للمأثور أو المعروف من أقوال المفسرين ، إلى أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شىء ، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة ، وإلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تاريخا أو تأويلا لا يقال فى مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه .

وأعود بعد لإثبات الأمر الأول فأقول :

الحديث عن الإسراء تبشير وإنباء بمستقبل :

الثابت أن الإسراء وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة ، فان سورة الإسراء أنزلت كذلك فهى مكية إلا آيات معلومات ، وقد كان المسلمون يومئذ بمكة قليلا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس ، فلم يكن لبنى اسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين ، ولم يكن لهم أثر بمكة ولا خطر يقتضى أن يتحدث الله عنهم فى سورة مكية بمثل هذا التفصيل .

فما السر فى أن يخبر الله عن إسرائه برسوله صلى الله عليه وسلم فى آية واحدة أول السورة ، ينقطع بعدها الحديث عن الإسراء جملة إلى آخرها ، ويبدأ الحديث عن بنى إسرائيل وما أنعم عليهم وعهد إليهم وعن دور خطير يكون لهم .

وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والأحداث ؟

السر فى ذلك أن الله عز وجل يحدث عن الإسراء بمقدار ما يبشر نبيه والمسلمين المضطهدين بمكة المستضعفين فى الأرض ، بأن أمرهم سيمتد ويعلو وشيكا حتى تدين لهم عاصمة الشرك وعاصمة أهل الكتاب ، فهو سبحانه يقول : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » لم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو الحال إذ الكعبة يومئذ لم تكن مسجدا ، وإنما كانت بيتا تقوم حوله الأصنام ويطيف به العائذون المشركون ، ولم يكن هيكل داود وسليمان فى دولة يهوذا وإسرائيل مسجدا ، وإنما كان بيتا يأكل بنو إسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد .

ولكن الله عز وجل حدث عن هذا الإسراء بأنه انتقال من مسجد إلى مسجد تبشيرا للمسلمين بأن أمرهم سيعلو ويتم ، بحيث يصبح البلد الذى استضعفوا فيه وهانوا وحات حرماتهم فيه مسجدا حراما ودار أمن وإسلام ، ليس هذا فحسب بل سيمتد نفوذه وضياؤه بحيث يصل عاصمة أهل الكتاب ويصبح هيكل داود وسليمان لهم مسجدا أقصى كذلك فهم أولى به « إن أولياؤه إلا المتقون » .

وهنا يتضح الجواب ويظهر وجه المناسبة بين قوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب ... وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » وبين آية الإسراء الأولى .

فقد اتصل الحديث وإن انتقل الكلام من الإنباء بمصير الهيكل إلى الإنباء عن مصير أهله .

سورة بنى إسرائيل :

وبحق ما سميت سورة الإسراء سورة بنى إسرائيل فانها أحق بهذه التسمية وأجدر لأنها لم تحدث عن الإسراء إلا بمقدار ما بشرت بصيرورة الكعبة والهيكل للمسلمين حرما ومسجدا ، ثم اتصل الحديث ببنى إسرائيل وخطبهم مع المسلمين بعد فقال تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين » فاذا لاحظنا أن الله عز وجل لم يحدث عن بنى إسرائيل فى سورة مكية إلا بمقدار ما تساق العبرة من مواقفهم من موسى ووصاياه ، وموقفهم من فرعون وجنوده ، وحدث عنهم فى السور المدنية كثيرا فسجل لهم ضروبا من الفساد والإفساد ، فحدث عن نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، وحدث عن ظلمهم ، وصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .

وحدث الله عن اعتدائهم فى السبت ، وحذرهم الموت وسكوتهم على المنكر واشترائهم بآيات الله ثمنا قليلا ، وحدث عن قتلهم أنفسهم وإخراجهم فريقا من ديارهم يتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وقولهم ليس علينا فى الأميين سبيل الخ .

الإفساد مرتين :

فاذا لاحظنا هنا أن الله ينص على أنه قضى أنهم يفسدون فى الأرض مرتين فاذا جاء وعد أولاهما كان كذا ، وإذا جاء وعد الآخرة كان كذا ... دل ذلك على أن المرتين غير ما سبق أن سجل لهما ، وأنهما يقعان فى المستقبل بالنسبة لمن أنزل عليه الكتاب صلى الله عليه وسلم ، لأن الحديث من أوله تبشير وإيماء لمستقبل ، فذلك من الإنباء بالغيب والإخبار بما لم يقع ، وإلا فهم أفسدوا من قبل سبعين مرة ، فالمرتان المعنيتان فى الآية وقعتا بعد ، وقد أكد ذلك إعجاز القرآن وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

أولاهما : قال تعالى : « فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا » الخ . لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما عاقبهم الله به وسلط عليهم فيه .

فهم أفسدوا فى الأرض ونقضوا عهد الله ورسوله ، وكان صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم لأول ما وصل المدينة «أنهم أمة مع المسلمين ، للمسلمين دينهم ولليهود دينهم . وأن بينهم النصر والأسوة والبر دون الإثم غير مظلومين ولا مفاخر عليهم . وأنهم يد واحدة على من حارب أهل هذه المعاهدة أو داهم يثرب » الخ .

رغم هذه الرعاية والمصافاة والمساواة انطلقوا بالبغى والمكر والفساد فى الأرض يشككون فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم ونزاهته ورسالته ، ويفتون المشركين أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا .

ويفتحون دورهم وصدورهم لأعداء النبى صلى الله عليه وسلم ويدلونهم على عورات المؤمنين ، وبلغ من أمرهم أن هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأن هيجوا قريشا وغطفان حتى حصروا المدينة للقضاء على رسول الله ودعوته وأتباعه ، وانضموا لهم ونقضوا عهد الله ورسوله فى ساعة العسرة ويوم الأحزاب ، فسلط الله عليهم عباده المؤمنين فأجلوا بنى النضير وقتلوا بنى قريظة وسبوهم ثم فتحوا خيبر ثم من عليهم الرسول فاستبقاهم عملاء حتى أجلاهم عمر فى خلافته ، وكان وعدا من الله للمؤمنين بالتمكين وقد فعل . هذه هى المرة الأولى لا تنطبق أوصافها إلا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(أ) فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة « عبادا لنا » لأنهم الموحدون أتباع عبده الذى أسرى به . أما أتباع بختنصر أو سابور أو صحابين أو سنخاريب الخ ما اضطربت فيه أقوال المفسرين ، فقد كانوا عباد وثن لا يستحقون شرف الاختصاص بالله فى قوله (لنا)

(ب) وهم الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم « أشداء على الكفار رحماء بينهم »

(ح) وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن « جاسوا خلال الديار » . أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا ، وأنه دخل المقدس فسبى أهله وسلب حليه الخ ، فهو اجتياح وليس جوسا .

رد الكرة :

قال تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » .

ردت لليهود الكرة علينا بعد ألف وثلثمائة ونيف وسبعين سنة من تأديب الله لهم منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله بجاسوا خلال الديار .

بعد هذه المدة ـ التى أشار الله سبحانه لطولها بقوله (ثم) التى تقتضى فى العطف تراخيا فى الأجل ـ ردت لليهود الكرة وأمدوا بثلاث ما أمدوا بمثلها فى تاريخهم :

(١) بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض على ما أرادوا من صعبة أو سهلة .

(٢) بنين مهاجرين ومقاتلين ينتخبون انتخابا لحماسهم وصلاحيتهم لبناء دولتهم .

(٣) وجعلناكم أكثر نفيرا : ولم يكن اليهود فى يوم ما أكثر نفيرا وناصرا منهم اليوم، ولم يتمتع اليهود فى تاريخهم ولا أمة فى الأرض غيرهم بمثل ما يتمتعون به من كثرة الناصر لهم والنافر لنجدتهم . إذا غضبوا غضبت لهم أمريكا وانجلترا وفرنسا وأمم الغرب جميعا، وإن دعوا أجابهم الظالمون وتنادوا لنصرتهم ، لقد اتفق الشرق والغرب ـ ولم يتفق يوما ـ على إنشاء إسرائيل وتقسيم فلسطين ، وسكتوا ـ ولم يسكتوا يوما ـ على مأساة اللاجئين والمنكوبين والمشردين .

كل هذه الأوصاف تؤكد أن الدور الذى نعانيه اليوم هو الكرة المعنية فى الآية ، وكل ما ذكره المفسرون بعيد لا تنطبق عليه هذه الصفات .

وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

فرصة للاختبار :

قال الله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .

بعد أن قرر سبحانه أنه سيرد لليهود الكرة ، قرر أنها فرصة لهم ليختاروا لأنفسهم وليرسموا نهايتهم ، فللذين أحسنوا الحسنى وللذين أساءوا السوأى .

ثم قرر سبحانه أنه وهو الخلاق العليم يعلم أنهم لن ينفكوا عن فسادهم وإفسادهم ، فقرر بعد ذلك على الفور عاقبة أمرهم لأنها معروفة محتومة فقال تعالى :

وعد الآخرة :

« فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم » .

يقرر الله عز وجل : أنهم لن يستقبلوا النعمة بالشكر ولا الكثرة بالذكر والانتهاء عن الفساد والمنكر والبغى، وإنما سيعاودون فسادهم الموروث و إفسادهم المتأصل على نحو يدخلهم فى شديد مقت الله ونقمة عباده بما يبعد أن تدركهم عند ذلك رحمته . فيقول : « فاذا جاء وعد الآخرة » سلطنا عليكم عبادنا الأولين الذين دخلوا المسجد ، ثم ردت لكم الكرة على خلائفهم « ليسوءوا وجوهكم » بما ترون من مصارعكم ومصارع أمانيكم وأحلامكم ودولتكم ، وما تعاينون من سوء النظر فى المال والأهل والبلد « وليدخلوا المسجد » دخول العزيز الظاهر « كما دخلوه أول مرة » ظافرين منصورين « وليتبروا ما علوا » تدميرا .

وذلك دورنا المرتقب وعملنا الذى نرجو أن يشرفنا الله به فى القريب ، فانا لنطمع أن يعذبهم الله بأيدينا ويخزيهم وينصرنا عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبنا ويتوب الله على من يشاء . سبحانه يؤيد بنصره من يشاء والعاقبة للمتقين .

وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافا لنبيدهم فقال : « فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » .

بشرى للمؤمنين :

يؤكد هذه النهاية ويبشر بقرب وقوعها قوله تعالى : (فاذا جاء) .

١ — فان العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب ، فالوعد واقع قريبا بعد هذه الكرة .

٢ — والتعبير (باذا) يدل على تحقق المجىء لا محالة .

٣ — وبشائر النصر التى تحدونا أولا وأخيرا فى هذه السورة .

قال الله عز وجل بعد هذه الآيات من أول السورة : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين » .

وقال الله تعالى فى آخر السورة : « وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا » .

سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا .

عبد المعز عبد الستار

ركن الحرس الوطنى بالأزهر :

ولّــــوا

أين الذين رأيتهم بالأمس فوق ديارية
ولوا وقد طلعت عليهم أسد غاب عاصيه
ولوا وقد سئموا البقاء بأرض مصر العاتيه
وجدوا بها نار البنادق والمدافع حاميه
وجدوا الهواء عليهم حمما وشهبا كاويه
وجدوا على أرض القنال جموعنا المتراميه
وجدوا شبابا ثائرا وجدوا العزائم ماضيه
فتحيروا فى أمرهم وغدوا بروح واهيه
يا موطن القرصان يا وكر اللصوص العاتيه
فى كل شبر تنزلون تواجهون زبانيه
سيقول (إيدن) باكيا يا سوأتى وشقائيه
وتقول صهيون الغريقة فى الدماء القانيه
يا ويل نفسى ويلها ما للحروب وماليه
إن العروبة أقسمت لن تستكين لطاغيه
معها ملائكة غلاظ كالرياح الذاريه
سنبيد جمعك يا فرنسا يا ذئابا عاديه
إن الجزائر دوختكم يا نساء غاويه
إن القنال قناليه أنشأتها بيمينيه
بالأمس خر على ثراها أبى الشهيد وعميه
لن تأخذوها سهلة حتى أوسد قبريه
حتى أروى أرضها بدمائكم ودمائيه

قطب حافظ فيصل
كلية اللغة العربية



تفسير الطبرى ـ الجزء الثامن

بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، وخرج أحاديثه العلامة الشيخ أحمد شاكر ـ دار المعارف بمصر

ظهر فى هذا الشهر الجزء الثامن من (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى فى ٦٣٨ صفحة، من الآية الثامنة من سورة النساء: «وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا» إلى الآية ٨٧ منها وهى قول الله عز وجل: «الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا». وفى هذا الجزء نفائس التحقيقات اللغوية ومباحث العربية والنحو، وتراجم الأعلام الذين استطرد الإمام ابن جرير للنقل عنهم، والتحقيق العجيب فى تخريج أحاديث هذا الجزء، إلى غير ذلك من مزايا هذه الطبعة التى أشرنا إليها فى الحديث عن الأجزاء الماضية عند صدورها. زد على ذلك الفهارس المتقنة وبيان المصطلحات وجمال الطبع. فنرجو الله أن يمن بتمامه.

شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام ـ للتقى الفاسى

جزءان: ٣٨٨ + ٤٣٩ ص ـ مكتبة النهضة الحديثة بمكة، مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة

فى مثل هذه السنة من القرن الهجرى الماضى (أى فى سنة ١٢٧٦ هـ) نشر شيخ المستشرقين الألمان العلامة فرديناند وستنفلد مجموعة تواريخ مكة فى ٤ مجلدات، وهى تاريخ أبى الوليد الأزرقى الغسانى المتوفى سنة ٣٢٢، ومنتخبات من تاريخ مكة لمحمد ابن إسحق الفاكهى المتوفى سنة ٢٣٠، وهو أقدم تواريخ مكة المكتوبة، والمنتقى من شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد بن على الفاسى (٧٦٥ — ٨٣٢)؛ والمنتخب من الجامع اللطيف فى فضائل مكة وبناء البيت الشريف لجمال الدين محمد ابن أمين بن ظهيرة القرشى المخزومى الذى فرغ من تأليفه سنة ٩٦٠، وكتاب الاعلام

بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين محمد بن أحمد النهروانى المتوفى سنة ٩٩٠ وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٨٥ وأهداه إلى السلطان مراد العثمانى . وألحق وستنفلد بهذه المجموعة مقدمات وفهارس وبيانا دقيقا باختلاف النسخ . ولم يكتف بذلك حتى ألف بالألمانية كتابا فى ٣٤٤ صفحة عن تاريخ مكة عنوانه Geschichte der saat mekka وطبعه فى ليبسيك سنة ١٨٦١ ، ولم يكتف بكل هذا حتى ألف جداول عظيمة فى أنساب القبائل والأسر والشخصيات البارزة من الصحابة والتابعين والشعراء والأمراء والفرسان والبلغاء ، وقسمها إلى قسمين : الشعوب العدنانية ، والشعوب اليمنية .

وفى سنة ١٣٤٠ﻫ نشرت مكتبة عيسى الحلبى كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة كاملا

وفى سنة ١٣٥٢ نشرت المطبعة الماجدية بمكة تاريخ الأزرق فى جزءين بتحقيق الأستاذ السيد رشدى ملحس وتعليقاته ، وألحق به فهارس نافعة .

والآن بعد مائة سنة كاملة من المجهود الأول للعلامة وستنفلد قامت مكتبة النهضة الحديثة بمكة بطبع شفاء الغرام للتقى الفاسى عن مخطوطة دار الكتب المصرية (٥٠٤ تاريخ) ، وهو فى أربعين بابا ألم فيه بما يتصل بأخبار مكة قبل الإسلام وبعده إلى زمن التأليف ، وألحق بالمجلد الثانى منه كتاب (الدرة الثمينة فى أخبار المدينة) لمحمد بن محمود النجار (٥٧٣ - ٦٤٧) وبعض الصور والخرائط ، وجاء فى مقدمة النشر تنويه بمعونة معالى الشيخ محمد سرور الصبان وأنه لولا همته لما ظهر الكتاب مطبوعا هذه الطبعة ، وكنا نتمنى من المطبعة لو زادته عناية فى التصحيح كما فعلت قبل ذلك فى تاريخ ابن ظهيرة ، فاننا لم نقف فى تاريخ ابن ظهيرة على أخطاء مطبعية ، وعلى كل حال فإن ظهور تاريخ الفاسى كاملا فى عالم المطبوعات يستحق عظيم الثناء والشكر .

الروض الفائق — من شرح أحاديث الرقائق

الجزء الأول : أربعون حديثا - فى ٢٤٠ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

هذا كتاب لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبى واعظ القاهرة ، اختار فيه ٢٣٠ حديثا فى الاستشهاد والاستدلال تدور كلها حول الوعظ والتوجيه والآداب

الإسلامية ، مشروحة بقلم فضيلته شرحا مبسطا ومستفيضا فى آن واحد . فجاء محققا لما ينتظر من رجل الوعظ فى عاصمة كالعاصمة المصرية .

وقد قدم له فضيلته مقدمة فى الكلام على الوعظ ، وأنه تذكير بالخير مقرونا بالترغيب فيه ، والانذار من الشر على وجه يرق له القلب ويحمل على العمل الصالح . وأفاض فى بيان مهمة الواعظ وأنها من صميم الدين والدعوة إلى الله وإلى الحق والخير .

وهذا الجزء الأول من الروض الفائق يتضمن شرح أربعين حديثا من الأحاديث التى وعد فضيلته باستيفائها فى الأجزاء التالية ، فشكرا له على هذا العمل الصالح .

الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية

لأبى الأعلى المودودى — ٧٩ ص — مكتبة الشباب المسلم بدمشق

هى محاضرة نفيسة للسيد أبى الأعلى المودودى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الإسلامية السنوى المنعقد فى جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ (يناير سنة ١٩٤٥) على جمع من أعضاء الجماعة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بدعوتها ، فى دارها المركزية الواقعة فى شرقى پنجاب .

وكان فقيد دعوة العروبة والإسلام فى القارة الهندية الأستاذ السيد مسعود الندوى رحمه الله من شهود هذا المؤتمر ، وممن سمعوا تلك المحاضرة الارتجالية فعهد إلى صديقه وخليفته الأستاذ السيد محمد عاصم الحداد بنقلها إلى اللغة العربية - لغة المسلمين العامة - ومع أن المحاضرة كانت ارتجالية فانها بعد أن دونت أعاد السيد المودودى نظره فيها ونقحها لتكون صالحة للنشر فى رسالة مستقلة . وعن هذه الصورة المنقحة كان تعريب هذه الرسالة التى تولت مكتبة الشباب المسلم فى دمشق طبعها . ولما كان الإسلام دين الأخلاق ، وصاحب الرسالة الإسلامية صلوات الله عليه قد بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، فان بيان الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية يعد بيانا للأسس الأولية - بعد التوحيد - للكيان الإسلامى والرسالة المحمدية والمستقبل المرجو لا للمسلمين وحدهم بل للانسانية يوم تعود إلى رشدها .

الأدب والعلوم

حلقة الدراسات الاجتماعية بالأزهر

فى يوم الاثنين ٢٧ جمادى الآخرة افتتح السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل حلقة الدراسات الاجتماعية الأزهرية بمشهد من فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار علماء الأزهر، وقد حفل الاجتماع بطلبة الكليات الأزهرية . ومما قاله الوزير فى خطبة الافتتاح :

« إن العالم تتجاذبه الآن اتجاهات وتيارات مختلفة، ومبادئ ومذاهب متعددة، وقد ترتب على الإسلام فى هذه المرحلة الخطرة من تاريخ البشرية أن يشهر سلاحه، ويفصح عن مبادئه ويثبت وجوده، وإذا قصر المسلمون فى هذا فان هذه المبادئ المختلفة والتيارات المتعارضة ستحرم الانسانية من فضائل الإسلام وما فيه من ينابيع الخير. إنها أسلحة من أسلحة الرأى والتوجيه، ولا تفل هذه الأسلحة إلا بأسلحة مثلها .

« نحن أمة النبوات والرسالات، اختصنا الله وحدنا بأن اختار منا أنبياءه ورسله، فلا يمكن أبدا أن نقف متفرجين، وهذه المبادئ والمذاهب والتيارات تجاذبنا، وكيف ننقاد إلى شرق أو إلى غرب ونحن الأمة المكلفة بتبليغ رسالة الحق والرحمة إلى البشرية جميعا .

« إن مشكلات المجتمع لا يمكن حلها إلا إذا توفر لنا شرطان : العلم بهذه المشكلات، والمبادئ التى تطبق لحلها . وإن وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ـ التى أصبحت مشكلاتنا محددة فى واجباتها ـ تحرص على أن تجد فى طلاب الأزهر عدتها فى تطبيق أسمى المبادئ، وهى الرحمة للفرد وللمجتمع وللبشرية، لأن الأزهر هو الينبوع الأصيل للمبادئ الاجتماعية السليمة » .

وقد ألقى كلمة الأزهر فضيلة الشيخ محمد عبد التواب المفتش العام للوعظ، كما ناب عن طلبة الدراسات الشيخ محمد عبد السميع شبانة الطالب بكلية اللغة العربية .

التربية الرياضية

وافقت لجنة وكلاء وزارة التربية والتعليم فى اجتماع عقدته برياسة السيد الوزير على ادخال مادة التربية الرياضية ضمن خطط الدراسة فى المعاهد العليا والكليات التابعة للوزارة، وستضع الوزارة المنهج الخاص بهذه المادة للبدء بتدريسها .

أنباء العالم الإسلامي

اتفاقية التضامن العربي

كان يوم ١٨ جمادى الآخرة (١٩ يناير) يوما تاريخيا فى حياة القومية العربية ، إذ اجتمع فى القصر الجمهورى بالقبة أقطاب الدول العربية الأربع (مصر ، والعربية السعودية ، وسوريا ، والأردن) ووقعوا على (اتفاقية التضامن العربي) التى تقضى باشتراك حكومات : الجمهورية السورية والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر فى تكاليف الالتزامات التى تقع على عاتق حكومة المملكة الأردنية الهاشمية نتيجة لسياسة التعاون والتضامن فى تدعيم الكيان العربي واستقلاله ، وذلك بمبلغ إجمالى قدره اثنا عشر مليونا ونصف مليون من الجنيهات المصرية سنويا أو ما يعادلها ، ويطلق عليه تعبير « الالتزامات العربية » ويكون نصيب الجمهورية السورية من ذلك مليونين ونصف مليون جنيه ، ونصيب المملكة العربية السعودية خمسة ملايين جنيه ، ونصيب جمهورية مصر خمسة ملايين جنيه ، وتخصص المملكة الأردنية الهاشمية هذه المساعدات العربية للقوات المسلحة الأردنية الهاشمية بما فيها قوات الحرس الوطنى وإعدادها . وقد عقدت هذه الاتفاقية لمدة عشر سنوات من تاريخ نفاذها ، وإذا لم تعدل قبل انتهاء هذه المدة باتفاق الحكومات المتعاقدة تظل نافذة المفعول إلى حين انتهاء أجلها ، وبعد ذلك بانقضاء سنة من تاريخ تقديم إحدى الحكومات المتعاقدة للحكومات الأخرى بالطرق الدبلوماسية إخطارا بالانتهاء . ويصدق على هذه الاتفاقية وفقا للأوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة وتصبح نافذة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على أن يتم تبادل هذه الوثائق فى القاهرة . وقد وقع على خمس نسخ من الاتفاقية لتكون لدى كل من الدول الأربع نسخة منها والخامسة تودع فى جامعة الدول العربية .

العرب ونظرية الفراغ

فى الاجتماعين اللذين عقدهما أقطاب العرب فى القاهرة لتوقيع اتفاقية التضامن العربي بحثوا الوضع الدولى عامة والمشكلات العربية خاصة كما ناقشوا مشروع ايزنهاور، وقد اتفقوا جميعا على معارضة نظرية

(الفراغ) وقرروا أن القومية العربيـة هى الأساس الوحيد الذى تقوم عليه السياسـة العربية ، وأنهم لا يسـمحون لدولهم أن تكون منطقة نفوذ لأى دولة أجنبية ، كما وافقوا بالإجماع على أن يعبر الملك سعود عن وجهة النظر هذه فى أثناء زيارته لواشنطن .

الملك سعود فى أمريكا

فى اليوم الذى أتم فيه الملك سعود توقيع اتفاقية التضامن العربى غادر القاهرة بالطائرة قاصدا نابولى فى إيطـاليا ، ومنها أبحر إلى أمريكا فى زيارة رسمية تستغرق ٣٥ يوما . وكانت الحفاوة بجلالته بالغـة أقصى غاياتها من ساعة توديعه فى مطـار الماظه الحربى فى كل مكان حل فيه أو رحل عنه .

جمعية الأمم

تقرر انسحاب إسرائيل

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩ يناير على مشروع القرار الاسـيوى الإفريقى بوجوب امتثال إسرائيل للقرارات السابقة الخاصة بانسحاب قواتها من الأراضى المصرية ، وكان ذلك بأغلبية ٧٤ صوتا ، ومعارضة صـوتين وهما إسرائيـل نفسها وفرنسا ، وامتناع دولتـين عن التصويت وهما كوبا وكوستاريكا ، ويقضى المشروع بأن يبذل همرشلد جهوده لحمل إسرائيل على الامتثال الـكامل لتلك القرارات ، على أن يقـدم تقريره عن ذلك إلى الجمعيـة خلال خمسة أيام . وقد قدم إليها تقريره فى المدة المقررة ، وعادت فأكدت ضرورة انسحاب هـذه الحشرة المتمردة التى فقدت سجـايا الاستقـلال والحـكم والتعـايش السلمى مع البشر .

تحرير الاقتصاد المصرى

من السذاجـة حصر وباء الاستعمار فى نطاق الاستعمار العسكرى والاستعمار السياسى . وأول دلائل اليقظة فى الأمم اعتبار الاستعمار الاقتصادى فى الذروة العليـا من أغراض الاستعمار ، وشر من هـذه الأنواع الثلاثة للاستعمار الاستعمار العقلى من طريق الثقافة والمدرسة .

ومن أكبر نعم الله على مصر فى العـدوان الأخير عليها إقدامها على التحرر من الاستعمار الاقتصادى الذى جلبه عليها عهد الخـديو اسماعيل وخلفائه . فقد صدرت فى هـذا الشهر ــ لمناسبة الذكرى الأولى لإعـلان الدستور ــ أربعة قوانين جديدة تعد خطوة رئيسية فى سبيل تحقيق بعض نصوص الدستور الهـادفة إلى رفع مستوى الحيـاة الاقتصادية للبلاد ، وأحد هـذه القوانين الأربعـة يقضى بتمصير المصارف المـالية

(البنوك) التى تعمل فى مصر ، وأخطرها المصارف الفرنسية والانجليزية التى لا يزيد مجموع رءوس أموالها على مليونى جنيه ، وفيها من الودائع للمصريين ما يقرب من مائة مليون جنيه ، تستعملها هـذه المصارف فى توجيه الاقتصاد المصرى لغير مصلحة مصر ، فوضع القانون الجديد حدا لهـذه المهزلة باشتراط تمصير المصارف المـالية . ويقضى القانون الثـانى بتمصير هيئات التأمين بأن تـكون أسهمها مملوكة للمصريين . كما يقضى القانون الثالث بجعل التوكيلات التجارية للاستيراد فى أيدى المصريين بالمولد ، وعلى قمة هذه القوانين الثلاثة قانون رابع تضمن إنشـاء مؤسسة اقتصادية عامة ، رأس مالهـا من أنصبة الحـكومة فى رءوس أموال الشركات المساهمـة ورءوس أمـــوال المؤسسات الاقتصادية العامة لاستثمار هذه الأموال فى مصلحة الاقتصاد القومى ، وتسهم فى وضع البرامج والخطط الـكفيلة بتعاون الحـكومة مع الشركات والهيئات الخـاصة فى النشاط الاقتصادى ، وستنشئ شركات أومنشآت تجارية ومالية وصناعية وزراعية وعقارية فتساعد بذلك على استغلال الموارد الطبيعية فى مصر وعلى زيادة الدخل الأهلى وارتفاع مستوى المعيشة فى البلاد . ومن نتائج ذلك رفع الحراسـة عن البنوك وشركات التأمين ونقل ملـكيتها إلى المؤسسة الاقتصادية ، مقابل تعويض عادل تحدده هيئة قضائية ، وهـذه المؤسسة الاقتصادية هى التى ستقرر مصير المؤسسات التى يتناولها القانون بعـد تحويلها لشركات .

كشمير بمجلس الأمن

وافق مجلس الأمن على مشروع القرار الذى قدمته الدول الخمس الخاص بكشمير ، وهو يقضى بوقف انضمامها إلى الهنـد ، وذلك بأغلبية عشرة أصـــوات للا شىء ، وامتنع الاتحـاد السوفييتى عن التصويت ، وقد أكد مجلس الأمن قرار عام ١٩٥١ بأن مصير كشمير لا يمـكن تقريره إلا بعـد استفتاء شعبى باشراف الأمم المتحدة .

المعاهدة التونسية الليبية

وقعت حكومتا تونس وليبيا معاهدة ترمى إلى تعزيز الروابط بين الدولتين العربيتين المتجـاورتين وتنسيق سياستهما الخـارجية وضمان التعاون بينهما للمحافظة على استقلالهما وسيادتهما . وجاء فى المعاهدة أن الدولتين ستتشاوران بقصد تنسيق سياستهما بشأن الدول الشقيقة المجـاورة ، والدول الغربية والشرقية ، فى سبيل المحافظة على الأمن والسلام . وتعهـــدت كل من الدولتين بألا تنضم إلى أى معاهدة من شأنها أن تضر بمصالح الطرف الآخر . وتنص المعاهدة على تبادل العون فى

حالة تعرض أحد القطرين للخطر أو الغزو . وأنهما ستتعاونان تعاونا وثيقا فى ميادين الاقتصاد والتجارة والثقافة والصحة والشئون الاجتماعية والمواصلات . ومدة المعاهدة عشرون سنة قابلة للتجديد ، وستتشاور الحكومتان كل خمسة أعوام للبحث فى إدخال أية تعديلات قد تدعو إليها الظروف .

برقية شيخ الأزهر

إلى جبهة التحرير الوطنى الجزائرى

شيخ الأزهر وعلماؤه يؤيدونكم والشعب الجزائرى فى كفاحكم المجيد ضد الاستعمار الظالم والعدوان الفرنسى الغاشم ، ويعلنون بحق رابطة الدين والأخوة العربية تضامنهم معكم ، والوقوف إلى جانبكم ، حتى تحرر الجزائر الشقيقة من ربقة الظلم والاستعباد ، وتتمكن من استقلالها وإعلان دستورها .

الأزهر يشترك

فى الاضراب تضامنا مع شعب الجزائر

أصد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى :

مشاركة لإخواننا أبناء الشعب الجزائرى المجيد فى نضاله التحريرى ضد العدو الغاصب ، وتضامنا معه فى كفاحه ضد الاستعمار الغاشم ، قرر الأزهر الإضراب يوم الخميس ٣٠ من جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ (٣١ من يناير سنة ١٩٦٧م) من الساعة الواحدة إلى الساعة الثانية بعد الظهر .

والأزهر يهيب بدول العالم وشعوبه المحبة للحرية والسلام أن تؤيد هذا الشعب الأبى المناضل للوصول إلى حقه ونيل استقلاله وإعلان دستوره كى تسود الحرية ويعم الأمن والسلام

نحو الوحدة الثقافية

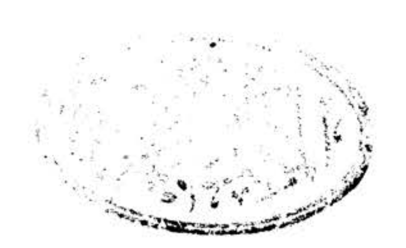
فى أواسط شهر يناير اجتمع رئيس الوفد الأردنى والمستشار الثقافى بسفارة الأردن بالسيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم وتناول البحث التفكير فى عقد معاهدة ثقافية بين البلدين لتنظيم انتساب الطلبة الأردنيين بكليات الجامعات المصرية ، وتزويد الأردن بحاجته من الأساتذة الاختصاصيين . وقدما للوزير مشروع معاهدة ليكون أساسا للبحث ، وبحثا معه الخطوات لتحقيق الوحدة الثقافية بين مصر والأردن وسوريا ، فانتهى الرأى إلى عقد اجتماع فى منتصف فبراير لهذا الغرض ، مع دعوة ليبيا والمملكة السعودية للاشتراك فيه .

كلية للحقوق فى ليبيا

أقامت وزارة العدل الليبية حفلا لمناسبة إنشاء المركز الجديد للدراسات القانونية ، ألقى فيه وزير العدل كلمة عن اهتمام الحكومة بالقضاء والشئون القانونية ، وأنها تعتزم إنشاء كلية للحقوق تستقبل ثلاثمائة طالب .

وأشاد رئيس المحكمة الاتحادية العليا باقتباس النظم القانونية من الشريعة الاسلامية وطالب بانشاء قضاء اسلامى مستقل .

الفهـرس



حول ما نسب الى ابن حزم

فيما يجوز للخاطب من مخطوبته

وردت إلى الأزهر أسئلة عما نشر فى مجلة الجيل الجديد منسوبا إلى ابن حزم من أنه يبيح للخاطب أن يستمتع بمخطوبته قبل العقد عليها : يقبلها ويعانقها ويقف منها على ما يرغبه فى التزوج بها ، وطلب أصحاب هذه الرسائل بيان الحق فى ذلك .

ولما كان فى نشر مثل هذه الأقوال منسوبة إلى فقيه من فقهاء المسلمين فساد فى المجتمع وإغراء بالفتنة وقد كان لذلك (بالفعل) من الأثر ما يجب أن ينزه عنه الشرع الاسلامى ، لذلك رأينا أن نبين حكم الله فى المسألة .

وبالرجوع إلى موسوعة ابن حزم فى الفقه وهى كتاب المحلى يعلم أنه لم يقل بجواز أن يستمتع الخاطب بمخطوبته أو يعانقها أو يقبلها فانها أجنبية منه مادام لم يعقد عليها . فمعانقتها وتقبيلها والاستمتاع بها بأى وجه من وجوه الاستمتاع منكر لا يقول بجوازه ابن حزم ولا أحد من المسلمين ، وإنما أباح ابن حزم ما أباحه فقهاء المسلمين وهو (النظر) فقط إلى المخطوبة . قال ابن حزم فى المحلى (ج ١٠ ص ٣٠ طبعة ١٣٥٢) بعد أن ساق جواز نظر الخاطب إلى مخطوبته : برهان ذلك قول الله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فافترض الله عز وجل غض البصر جملة كما افترض حفظ الفروج ؛ فهو عموم لا يجوز أن يخص منه إلا ما خصه نص صحيح ؛ وقد خص النص الصحيح (نظر) من أراد الزواج فقط .

والنصوص التى أوردها ابن حزم وسائر أئمة المسلمين وفقهائهم منحصرة فى إجازة (النظر) وحده دون غيره للخاطب من مخطوبته .

وقد انعقد اجماع المسلمين على أنه لا تجوز الخلوة بأجنبية ، وعلى الأمر بغض النظر إلا ما كان فى الخطبة : فقد ورد فى إباحة النظر وحده أحاديث كثيرة : منها حديث أبى حميد فى مسند الإمام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وان كانت لا تعلم » . وحديث محمد بن مسلمة فى مسند أحمد وسنن ابن ماجه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها » .

وأما ما زاد على النظر من الخلوة بالمخطوبة وما تستتبعه هذه الخلوة من التقبيل وغيره فشىء لا يعرفه الإسلام .

وقد روى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فان ثالثهما الشيطان .

وعلماء الأزهر يهيبون بالمسلمين وحكامهم أن يتنبهوا إلى موجات الإباحية والإلحاد والفوضى التى تتلاطم أمواجها فى مجتمعهم والتى تتمثل فى محاولة التشكيك فى وجود الله والجرأة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى التحلل وإغراء الشباب بالعبث بمبادىء الدين إلى آخر ما تمتلىء به صحف ومجلات تحت ستار حرية النشر .

هذا ونحن نستبعد أن يكون ما نشر فى مجلة الجيل الجديد صحيحا على النحو الذى نشر .

والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل ؟

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٦ ـ ٣ مارس ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو حياة أفضل وأسعد . . .

تحاول مصر ـ في هذه الحقبة التاريخية من حياتها ـ أن تكتشف ما في تربتها وتحت طبقات صخورها من معادن جامدة أو سائلة .

وتحاول أن تكتشف ما في خبايا أرضها من مومياء ونقوش وآثار .

وتحاول أن تكتشف ما في نفوس شعبها الطيب من سجايا وفضائل .

وأنا من مكتبي في إدارة الجامع الأزهر ، وفي هذه الصفحات من مجلة الأزهر ، يطيب لي أن أتحدث إلى إخواني علماء الأزهر وشباب الأزهر ، في أن نتعاون معا على اكتشاف أعظم كنوز السماء في الأرض وأثمنها ، أن نتعاون على اكتشاف « الإسلام » كما كان يوم صنع به أكمل رسل الله تلك الصفوة الناهضة الثائرة على أباطيل البشر ، من أعوانه الذين ما كادت شعوب الأرض تعرفهم ، وتعرف الإسلام بهم ، حتى رأت به وبهم إنسانيتها المنشودة ، وسعادتها المفقودة ، وحياتها الهنيئة التي اغتبطت بها ، فكان منها يومئذ تلك الأجيال الأولى من عالمنا الإسلامي في أبهج أدواره وأسعدها .

لقد أنشأوا بالإسلام ذلك العالم الإسلامى الذى جدد شباب الانسانية بعدالته، وزينوا الحياة الدنيا بتعاونهم على الحق والخير، وحببوا الناس بعضهم إلى بعض بما بثوا فيهم من لذائذ التراحم، وما أشاعوه بينهم من تبادل الرفق فى مختلف الطبقات، وماخلدته كتب التاريخ عن سخاء أهل السعة والجدة على أهل الرقة والكفاف، فنهض الناس جميعا بصناعات البلاد ومرافقها، واتسعت بنشاطهم آفاق الحضارة والعمران، وتقدموا فى الآداب والعلوم إلى أقصى ما بلغته معارف البشر لعهدهم، وخفقت راياتهم فى جميع قارات الأرض المعروفة.

كل هذا ظفروا به ونالوه بما اكتشفوه فى فطرة إسلامهم من ينابيع القوة ودوافع التقدم. فهل يعجز الإسلام الذى فعل هذا كله فى الأمس، عن أن يستأنف رسالته فيفعل اليوم مثل ذلك وأكثر منه ؟ أم أن الإسلام الذى تمت على يده المعجزة فى الأمس، يفترق - فى قليل أو كثير - عن إسلامنا الذى نعتز بالانتساب إليه اليوم ؟

الحق أن الإسلام فى نفسه هو الإسلام، بل هو الدين الوحيد من أديان البشر الذى تولى الله حفظه، فبقيت نصوصه الأصيلة المأثورة عن عصر النبوة غضة سليمة كالعهد بها يوم أنزلت، وكان المسلمون فى البطون الثلاثة الأولى يتخلقون بما فيها من أخلاق، ويتعاملون بما تقرر فيها من مبادئ وأنظمة اجتماعية، فكانت كالعقد الأدبى فى روابطهم، وكالعرف العام المحترم فيما بينهم، وكان من ثمرات ذلك ما وصفته آنفا من ارتفاع مستوى المسلمين بين الأمم، إلى أن استعجمت دولة الإسلام قبل نحو ألف سنة، فبدأ التفاعل بين المسلمين وأنظمة الإسلام الاجتماعية يضعف ويتلاشى، وأخذ الإسلام يتحول فى نفوس أهله من حياة قوية متوثبة، إلى تقاليد وبدع وشكليات وأوهام انبثت معها جراثيم الضعف فى المجتمع الإسلامى، وما برحت تتسع وتستفحل فى الطبقات الدنيا، وفى البيئات البعيدة عن تذكير المسلمين بهداية دينهم، حتى أدى ذلك إلى الاستسلام لمزالق الاستعمار وحبائله فى القرنين الأخيرين، مما لا نزال نرى بقاياه فى الجزائر ومنطقة باب المندب وسواحل الخليج العربى وبعض الآفاق الأخرى من آسيا وإفريقية. على أن هذه المؤثرات التى تسلطت على المسلمين قبل الاستعمار وبعده لم تستطع أن تتغلب على كل ما فى نفوس المسلمين من معادن الخير وحوافز القوة الإسلامية، لذلك رأينا ولا نزال نرى من آثار ذلك هذه الموجات العنيفة المباركة من موجات التمرد على الاستعمار فى كل وطن من أوطان المسلمين، معلنة عن بقايا قوة الإسلام فى نفوس أهله، ولهذا كان

الاستعمار يناصب الإسلام العداء ، ويحاول تخدير حيويته فى المسلمين ، ويشجع البدع الطارئة عليه ، وينعش الرواسب التى كدرت صفوه ، ويحمى الخرافات والأباطيل من جهة ، والإلحاد والزندقة والإباحية والانحلال من جهة أخرى ، وهدفه من ذلك كله أن لا يبقى للمسلمين من الإسلام إلا عنوانه ، وبعض رسومه مجردة من روحها وحيويتها ، بقدر الإمكان .

إذا كانت مهمة الاستعمار ورسالته فى دنيا المسلمين أن يخدعهم عن دينهم ، وأن يقتل فيهم حيويته ، وأن يحبسه بين جدران المساجد فيحول بين المسلمين وبين أن يخرجوا بأسلامهم إلى مجتمعهم ، وإلى أسواقهم ، وإلى صحافتهم ، وإلى أنديتهم ، وإلى مدارسهم ، وإلى بيوتهم . وإذا كانت مهمة الاستعمار ورسالته أن يحمى البدع الطارئة على الإسلام ، والخرافات والضلالات التى تسلطت على أهله فى عصور الضعف والوهن ، ليقنع المثقفين من شباب المسلمين بأن الإسلام — بحالته هذه — غير صالح للبعث والانتعاش واستئناف رسالته الأولى فى الأرض . .

إذا كانت هذه هى مهمة الاستعمار ورسالته فى دنيا المسلمين ، فان مهمة كل من يعرف الإسلام من أبناء المسلمين أن يحرر الإسلام من كل ما طرأ عليه مما لم يكن معروفا فى القرون الثلاثة الأولى التى أثنى عليها حامل أكمل رسالات الله يوم قال : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وكانت هذه الكلمة من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه ، لأنها تحققت كما تنبأ بها ، ولم تشهد الإنسانية جيلا خيرا من الجيل الذى رباه رسول الرحمة وأعده لنشر دعوة الحق والخير ، فكان الانقلاب الإنسانى الذى تم على أيديهم وعلى أيدى الجيلين اللذين نهضا بالدعوة من بعدهم ، ولا يشك منصف أنه أسعد انقلاب عرفه التاريخ . وإن كل قوى الشر التى حاولت أن تحطم هذه الدعوة وأن تردها على أعقابها قد فشلت المرة بعد المرة ، إلى أن نجحت بعد ذلك باحداث البدع فى الإسلام ، واختراع أباطيل شوهت جماله ، وأضعفت حيويته ، وخدّرت نشاطه ، وجعلت منه شيئا هزيلا غير الذى كان يعرفه المسلمون الأولون .

قبل نحو ربع قرن كنت من شهود محاضرة فى « اليمن والشؤم » ألقاها فى دار جمعية الهداية الإسلامية إمام من أئمة الوعظ والإرشاد وهو العلامة الشيخ على محفوظ رحمه الله ، فكان مما قاله فيها : « لقد غلب على الناس اليوم عقائد وأوهام ، حتى أصبح لها السلطان الأعلى فى أعمالهم وتصرفاتهم ، مع أنه لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل ، بل هى من بقايا

الجاهلية الأولى . فمن تلك الأوهام اليمن والشؤم فى مثل المنازل والأزواج والدواب والضيف ، فاذا حدث شئ من الخير أو الشر بمصادفة الأقدار عند شراء منزل أو السكنى فيه ، أو عقد زواج ، أو شراء دابة ، أو قدوم ضيف ، زعموا أنه منها وبسببها ، وربما استأنسوا لذلك بما رواه البخارى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » . وهو خطأ معيب ، فقد ورد فى بعض روايات الحديث تفسير الشؤم واليمن فى هذه الأمور على غير ما زعموا ، روى الطبرانى من حديث أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، ما شؤم الدار ؟ قال : ضيق ساحتها ، وخبث جيرانها . قيل : فما سوء الدابة ؟ قال : منعها ظهرها ، وسوء خلقها . قيل : فما سوء المرأة ؟ قال : عقم رحمها ، وسوء خلقها . وفى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس . فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها . ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته » . فانظر إلى فطرة الإسلام من هذه الناحية وكيف انحرف المسلمون بها بعد ذلك بجهل عامتهم تمام الحديث ، فترتب على ذلك فساد فى البيوت كبير ، وشر بين الناس مستطير .

وعلى مقربة من منزلى فى جزيرة الروضة شجرة جميز كانت فى حديقة للشيخ أبى الأنوار السادات قبل مائة وسبعين سنة ، فنذر ثمرتها للسابلة وعامة الناس ، وصارت تسمى « شجرة المندورة » ، وفى عشرات السنين الماضية صار لهذه الشجرة سدنة كسدنة اللات والعزى ، وانتشرت فى الناس خرافة أن المرأة إذا قدر الله عليها العقم فان هذه الشجرة ترد عنها قدر الله وتيسر للمرأة العاقر — إذا دخلت تحت أغصانها وأكرمت سدنتها — أن تصير بعد ذلك حاملا . والذين مروا بهذه الشجرة فيما مضى كانوا يرون حول جذعها شبه غرفة تدخلها العاقر لتصير حاملا ، وقد نصبت الرايات على هذه الغرفة ، وعقدت الخيوط والخرق بمسامير مغروسة فى جذع الشجرة التى زعموا أنها ترد قدر الله ! وقد حاول كثير من سكان الروضة أن يطهروا جزيرتهم الجميلة من هذه الوثنية فعجزوا ، إلى أن تداركها الله بمصلحة التنظيم فى بلدية القاهرة فى الخريف الماضى فأزالت بعض معالمها ولا تزال الزائرات يختلفن إلى بقاياها ، وبعضهن من ملاك السيارات الفخمة ، وإذا كان هذا فى القاهرة وفى جزيرة الروضة القائمة بين شواطئ النيلين ، فما بالك بما هو متغلغل ومتأصل

فى الأزقة والقرى من البدع والأباطيل التى تشوه جمال الإسلام فى نفوس المسلمين والمسلمات ، وتحول بينه و بين النهوض بأهله إلى المستوى اللائق بأهل الحنيفية السمحة.

الإسلام هو الذى كان عليه النبي صلى الله عليه وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وكل ما طرأ عليه مما لم يكن منه فى الصدر الأول فهو مدسوس على أهله . وقد جربت الإنسانية إسلام الصدر الأول فوجدته مصدرا للخير ، مقيما للحق ، ناهضا بأهله نحو المعالى . وكان بصورته الأولى الجميلة جذابا للقلوب، محببا إلى الناس، يتزاحمون على كوثره أفواجا أفواجا . أما الذى عليه عوام المسلمين الآن فى عقلياتهم ومعاملاتهم وبدعهم وأباطيلهم فمن أكبر الظلم للاسلام أن يحسبه الأغيار عنوانا له ودليلا عليه . وفضلا عن أن الإسلام مظلوم من هذه الناحية ، فأن التكوين الاجتماعى للمسلمين بعد التحرر من ربقة الاستعمار لايمكن أن يبلغ المستوى اللائق بأمة متحررة مالم يتحور إسلام المسلمين من البدع الطارئة عليه والزيادات التى ألصقت به ظلما وليست منه .

والإسلام كما كان فى الصدر الأول مجهول الآن من جماهير المسلمين . والمعروف لهم منه مظاهر فقدت حيويتها ، وأسماء لا تدل على مسمياتها ، وما بقى لهم من معادنه الثمينة تسلطت عليها الرطوبة وجللها الصدأ فخفى جوهرها عن المسلمين .

الإسلام فى نفسه أعظم كنوز السماء فى الأرض وأثمنها ، لكنه كنز مجهول من الجماهير ومكتوم عن أنظارهم ، ومنذ بات مجهولا ومكتوما تعرض النشء الإسلامى للدعايات والمذاهب والتيارات المختلفة و يوشك أن يكون ضحية لها .

فى يوم الاثنين ٢٧ من جمادى الآخرة وقف السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل فى حلقة الدراسات الاجتماعية الأزهرية بمشهد من فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار علماء الأزهر وجمهور من طلبة الكليات الأزهرية ، فكان مما قاله : « إن العالم تتجاذبه الآن اتجاهات وتيارات مختلفة ، ومبادئ ومذاهب متعددة ، وقد ترتب على الإسلام فى هذه المرحلة الخطرة من تاريخ البشرية أن يشهر سلاحه ، ويفصح عن مبادئه ، ويثبت وجوده . وإذا قصر المسلمون فى هذا فان هذه المبادئ المختلفة ، والتيارات المتعارضة ، ستحرم الإنسانية من فضائل الإسلام ، وما فيه من ينابيع الخير ، إنها أسلحة من أسلحة الرأى والتوجيه ، ولا تفل هذه الأسلحة إلا بأسلحة مثلها . . . إن مشكلات المجتمع لا يمكن حلها إلا إذا توفر لنا شرطان : العلم بهذه المشكلات ، والمبادئ التى تطبق لحلها » وقد أعلن أمل الحكومة فى أن تجد فى رجال الأزهر وشباب

الأزهر عدتها فى هـــذا النوع من الكفاح القومى ، لأن الأزهر هو الينبوع الأصيل للمبادئ الاجتماعية السامية .

وفى اعتقادى أن كل نظام للاصلاح تسنه الحكومة ، وكل عمل طيب تقوم به لرفع مستوى هذه الأمة ، لا يمكن أن يثمر ثمرته إلا إذا استطاع قادة الفكر والمرشدون أن يوجهوا هذه الأمة إلى الله وحده، وإلى رسالة أكمل رسله ، وأن يجعلوها بذلك أمة صدق ، وأن يردوها إلى التعامل بأخلاق الإسلام ، وأن يقنعوها بأن ما يكسبه الفرد لدنياه بالأمانة والصدق وطهارة الذمة أغنى له وأبقى مما يكسبه بالأساليب الملتوية . إن المجتمع المصرى، بل المجتمع الإسلامى ، يستدبر زمانا مضى بعيوبه وآثامه ، ويستقبل زمانا لا محل فيـه إلا لأهل الجد ، والعمل، والتقدم إلى الأهداف السامية من أقصر الطرق وأقربها، وهو الطريق الذى يشتهيه كل مسلم ويتمناه ويطلب من الله فى كل ركعة من ركعات صلاته أن يدله عليه ، وهل معنى تضرعنا إلى الله بأن يهـدينا « الصراط المستقيم » إلا أن نـكون أمة صدق ، واستقامة على الحق ؟ ويوم كان المسلمون فى الصدر الأول يتجهون بوجوههم وقلوبهم إلى الـكعبة بيت الله الحرام ويضرعون إلى ربهم فى صلاتهم قائلين « اهـدنا الصراط المستقيم » إنمـا كانوا يعنون ما يقولون ، ويعرفون أن الصراط المستقيم لا يهتدى إليه إلا الأمين الصادق طاهر الذمة الذى يؤمن بأن الله عز وجل هو وحده الضار النافع وهو وحده الرزاق ذو القوة المتين ، وأن الطريق إلى سعة الرزق ، وأن الطريق إلى القوة ــ قوة الفرد وقوة الوطن وقوة الأمة ــ إنمـا هو بالتماس رضا الله عز وجل ، وإخلاص العمل له ، والتخلق بأخلاق الإسلام ، والتزام صراطه المستقيم .

وبعد فان « الصراط المستقيم » هو صراط الرسالة الإســلامية الذى مشت فيه إلى تكوين المجتمع الإسلامى الأول ، وقد كان مجتمعا سعيدا قويا ملأ الأرض عدلا وفضيلة ورخاء ، حتى ان الأغنياء فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كانوا يبحثون عن أهل الحاجة والفاقة ليمدوهم بزكاة أموالهم فلا يجـدون إلا أمة قانعة كادحة مكتفية بالحلال . ولو استغنى الناس عمـا لا حاجـة بهم إليه فى غذائهم الصحى وكسائهم المعتـدل وسكنهم المتواضع وعيشتهم الراضية لرزقهم الله كفايتهم من هـــذا الغذاء والـكساء والسكن حلالا طيبا ، وهذا النوع من الغنى الإسلامى يستطيع أن يفهمه المسلمون من الذين يكتشفون لهم كنوز الإسلام ، ويحسنون عرضها عليهم ، ويكونون قدوة لهم فى الإفادة منها . فالى هذه الرسالة الإسلامية هلموا أيها المحمديون لنتعاون على أدائها قبل أن تفوت الفرصة ، والله معنـا . . .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٤٨ -

(ا) الموالاة. (ب) المسالمة. (حـ) الحذر.

(١) إنما وليكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

مناهج ثلاثة ، رسمها القرآن لأهله ، ينتهجون أولها - الموالاة - فيما بينهم ، وينتهجون الثانى والثالث مع من عداهم .

وفى هذه المناهج تكييف للعلاقات الاجتماعية التى تبرز فيها شخصية الجماعة الإسلامية كاملة لها مميزاتها وخصائصها ، ولها طابع يفسح للأفهام أن تعرفها حتى لا تكون الشخصية الإسلامية محجوبة عن الأذهان ، ولا مغمورة بالشبه والشكوك .

(١) فالمنهج الأول : منهج الموالاة ، وقد ردد القرآن ذكرها فى آيات عدة : منها الآية التى فى مطلع حديثنا ، والموالاة هنا معناها المحبة ، والارتباط ، والنصرة .

وقد خوطب المسلمون خطاب تكليف أن يجعلوا هـذا المنهج ديدنا لهم فى المحيط الإسلامى ، وأن يعتبروه من جانبهم وفاء بعهد الله ، ومؤازرة لرسوله صلى الله عليه وسلم ووثيقة إخاء فيما بينهم .

ومعنى ذلك : أن الولى الذى نركن إليه ، ونتعلق بحبه ، ونقوم على طاعته والتضحية فى سبيله : هو - أولا وبالذات - الله سبحانه وتعالى .

وثانيا - رسوله ، صلوات الله عليه - لأنه حامل الدعوة إليهم من عند ربهم ، وهو قائدهم إلى الغايات المنشورة فى حياة يراد بها أن تكون حياة لخير أمة أخرجت للناس .

وثالثا ـ المؤمنون ، لأنهم الطائفة التي التزمت عهود الله ، وتآخت في الطاعة لله ، ولرسوله ، على تعاطف ، ومحبة ، وتعاون ، والمقصد أن يكونوا كتلة متضامنة مع ولاة الأمر فيهم .

وتوجيه القرآن للمؤمنين إلى الموالاة على النحو السالف كله توجيه مفروض قبوله منهم ، وهو حتمى عليهم ، فانهم أمة واحدة فيما لها من دين ، ومنهج .

والموالاة بين تابعهم ومتبوعهم ، وحاكمهم ومحكوميهم ، ميسورة ومرجوة : ضرورة أنهم أمة متفقة في الدين ، والمنهج العملي المستمد منه في شئون الحياة .

وحينئذ تكون دعوة القرآن للمؤمنين إلى موالاة بعضهم لبعض ، وتكون تلبيتهم لهذه الدعوة غير مشوبة بلون العصبية المعيبة أو المعاندة .

ومن تمام التوجيه إلى موالاة المؤمن للمؤمن أن يكون الولاة المتبوعون بررة في الدين على الوجه الذي ذكره الله ـ سبحانه ـ في قوله : ـ الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون ـ يعني أن يكونوا هم كذلك في جانب الله ، مثابرين على الصلاة ، مؤتين للزكاة ، متواضعين بين الناس : تواضع الخشية لله ، كما تكون خشية الراكع في صلاته .

وبتوافر هذه الصفات فيهم يكونون موضعا للثقة فيهم ، وأهلا للقدوة بهم ، والموالاة لهم على السمع والطاعة .

فاذا تمت صفات الموالاة بين الجانبين كانوا جميعا حزب الله وحزب الله ـ لا شك ـ هم المفلحون .

وعلى هذا ترددت الآيات الكريمة بالوعود الصادقة أن ينصر الله من كانوا على هذه الشاكلة ـ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ـ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ـ وما النصر إلا من عند الله .

وقصارى الحديث في هذا المقام أن الله دعانا ووعدنا ، وتحقيق وعده مشروط علينا بتلبية دعوته .

وهذه سنته فيما يجرى لعباده ، وقديما جرب المسلمون أنفسهم في أوضاع عدة . فحينما كانوا حزب الله كانت لهم النصرة على من عداهم ، وكانت لهم جولات مرموقة في مسالك الحياة وفي نظام الحكم ، واتساع السلطان ، وشيوع المهابة لهم حتى عند أقوى الأمم

وحينما تراخت صلة الولاة بربهم ، ووهنت الروابط بين صفوفهم ، وهانت على المسلمين دعوة الله ، أصبحت خطاهم وئيدة ، ثم صارت جماعتهم غثاء كغثاء السيل : لا قوام لها ، ولا متعة فيها ، ولم يستمروا حزب الله كما كانوا فتخلف عنهم ما كان مرجوا لهم ، ولم يخلف الله وعده فينا ، بل نحن الذين خرجنا عن الجادة ، ورغبنا عن مواصلة السير على ما كان أسلافنا .

ومع ذلك : فمنهج الموالاة لا يزال قائما ، ولا تزال دعوة القرآن إليه صارخة مدوية فى المسامع وتجارب الحياة تدفعنا دفعا نحو الرجوع إليه لنستعيد ما فات . . ولعلنا فاعلون (حى على الصلاة حى على الفلاح) .

(ب) المنهج الثانى للمؤمنين منهج المسالمة ـ فى غير ضعف ـ مع غيرهم إذا لم يكن الغير مشاقا لنا ، ولا عاديا علينا .

فان الإسلام دين عمرانى ، يدعو الجماعة الإنسانية إلى كل خير ، ويود لها أن تسير نحو المثالية ، ولا يمنع أن يتعاون المسلم مع غير المسلم فى شئون الدنيا . . بل ينشد فى المسلم أن يكون مثلا واضحا فى الكمال ، ومصدر نفع لنفسه ولغيره ، حتى يكون فى مسلكه الشخصى حجة للدين فى سموه ، لا حجة على الدين عند خصومه « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » أى العادلين ، ولو مع غير المسلمين ، وفوق ذلك أباح للمسلم أن يزدوج بزوجة كتابية إذا أراد . . . وشرع لنا أن نأكل من طعامهم الحلال ، وحتم علينا أن نجادلهم بالحسنى ، وأن نكسب مودتهم بالإحسان ، لا ضعفا ولا هوانا منا « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » . « وجادلهم بالتى هى أحسن » . « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

بل نهى المسلم أن يشاتم إنسانا لا دين له ، لئلا يغضبه ويستفزه إلى المقابلة بالمثل أو أشد « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

وهكذا من ضروب التهذيب التى تكفل المسالمة بين المسلم وغير المسلم ، وكل ذلك للرغبة فى تركيز السلام بين الناس ، وليتفرغوا للعمل المشترك فى تعمير دنياهم ، وليظهر فى المسلم طابعه الدينى الحق ولونه الصحيح . . وكان السلف المسلمون يقولون فى دعائهم الذى يحكيه عنهم القرآن ويعلمنا إياه : « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » .

(ج) المنهج الثالث : منهج الحذر من أعداء الإسلام، حتى لايكون المسلمون أغرارا يخدعهم عدوهم حتى يفتنهم عن دينهم بما يبديه من وسائل الإغراء ، وبما يبث بينهم من النزعات الباطلة ، والانحلال المموه بلون المدنيـة ، والحرية الشخصية ، والميوعـة المعسولة التى تزحزح المسلم عن رجولته ، وتستلب حيـاءه وغيرته ، وتجعله أشبه بالأنثى فى تخنثه ، وتجعل الأنثى كالرجل فى غشيان المجامع ، ومزاحم الأقـدام : فان هـذه هى الشرارة المحرقة للمقومات الشخصية فى الأفراد ، ثم هى العاصفة الجائحة للقومية التى يمتـاز بها الوطن العربى ، والمرء يستهين بالخطر فى أوله ، ويستسلم للفتنة ملفوفة فى ملامح الزينة ، ويترمت من الدعوات الجدية حتى يغلب على أمره ، ويؤتى من مأمنه .

وكانت وصية الله تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوية فى هذا الشأن ـ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ـ فاحـذرهم قاتلهم الله ـ « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطـا » . خسرانا وضياعا فى المهالك ... وهذا خطاب يتناول الأمة كلها .

ثم كانت وصية الله كذلك عامة موجهة إلى المؤمنين : « يأيها الذين آمنوا خـذوا حـذركم » . « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتـكم وأمتعتـكم فيميلون عليـكم ميلة واحدة » .

فهذه مناهج ثلاثة : أتينا بها إجمـالا ، وألقينا عليها ضوءا من إشعاع القرآن لنبين أن نظم الحياة الإسلامية مرسومة فى كتاب الله، وأن الرجوع إليها فى موطنها هذا أجدى على النـاس من كل تفـكير مستحدث ، وما يجهل ذلك إلا من حيل بينهم وبين تعرفه وتذوقه ، أو كانت تربيته العلمية على زاد غير زاد التقوى .

وقد تـكفل القرآن بزيادة الإيضاح ، وبالحث على تجنب الاستسلام للعدو ، حتى لا يظل الغافلون عن هذا فى عمايتهم ، وحتى لا تـكون معذرة للتخاف عن الجمـاعة الإسلامية فيما نوديت به ووجهت إليه .

ولم يبق بعد البيان الأكيد إلا أن تـكون الضلالة طـامسة على الوعى ، والفتنة غالبة على المدارك ، والقلب فارغا من الضمير .

ولا حيلة فيمن كان كذلك حتى يهديه الله .. إذا شاء .

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ... وأنا أعلم

بما أخفيتم وما أعلنتم ؟ ؟ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » . « ومن يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

وبعد : فنظرة إلى واقع الحياة الحاضرة فى مصر والبلاد العربية تكشف لنا عما كان من تخاذل عن المنهج الإسلامى الحق ، حتى تغلغلت يد الاستعمار فى عنق المجتمع الإسلامى كله ، وامتدت مخالبه إلى شعاب الوطن العربى ، وعشنا حقبة طويلة فى هوان ومذلة .

ولكن بعثنا جديدا من فيض الله هز المشاعر الوانية ، وحرك العزيمة الكامنة ، فكان تجاوب العرب عودا على بدء ، وكانت وقفتهم من جديد إيذانا بمشرق حياة ماجدة تأصلت فيهم جذورها ، وأضفت عليهم قديما ظلالها .

وإن مصر والحمد لله لملهمة فى وقفتها ، وكان من مظاهر الإلهام أن يعلن رئيسها المحبوب مبدأها فى التعايش السلمى (نسالم من يسالمنا ، ونعادى من يعادينا) وإن لجمال عبد الناصر لهتافا يخفق له الوطن العربى كله ، ويرتعد له العدو المخادع (إن القومية العربية هى الدرع الواقية التى تحمى الدول العربية من مؤامرات المستعمرين) .

هكذا يا جمال ! !

ففى هذه الألفاظ النيرة روح الحق ماثلا ، وفيها حفز العرب على مبدأ الموالاة فيما بينهم ، والأخذ بالمسالمة لمن يسالمنا ، والحيطة مع الحذر ممن يخادعنا ، فهلموا إليه ياقومنا .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



جهاد النساء

النساء فى العهد النبوى ـ نساء فى الميدان ـ امرأة تبلى أعظم البلاء ـ بدل كريم ـ النساء بعد عهد النبوة ـ مقنع وبلاغ .

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور .

وعنها ، رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : سأله نساؤه عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج . رواهما البخارى

لم تكن حياة النساء فى العهد النبوى كحياتهن فيما بعد ! ! بل كانت إلى الفطرة النقية أدنى ، وإلى العفة الأبية أقرب .. كانت المرأة فى هذا العهد ، تستجيب مسارعة إلى دعوة الإسلام ، متأدبة بآدابه ، لا تعدو طورها ، ولا تجاوز حدها ، ولا تحيد عما أعدها الله له ، ولا تزاحم الرجل فيما خصه الله به ، وكل ميسر لما خلق له ...

كانت ذات حياء ، ولكن لم يمنعها حياؤها أن تسأل عن دينها ، كى تتفقه فيه ، وكانت ذات إباء ، ومن أجل ذلك رغبت رغبة صادقة فى أن تشارك الرجل فى كل ما تستطيع المشاركة فيه ، بل تنافسه فى العلم والفضل ، والمثوبة والأجر ، وفى كل خير عام ، ما وجدت إلى ذلك الخير سبيلا . . قالت للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن . . . وقالت له صلوات الله وسلامه عليه : ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال ؟ ! فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » [*] .

---

[*] الحديث الأول رواه الشيخان ، وشرحناه فى الجزء الثامن من المجلد الثامن عشر ، والثانى رواه أحمد والنسائى

تلك عشرة أوصاف كامله ، هى جماع الخير والبر ، وأساس السعادة فى الأولى والآخرة ، يستوى فى عظيم جزائها الرجل والمرأة ، وربما فاقت المرأة الرجل فى بعض هذه الصفات ، فكانت أعظم شأنا عند الله وأرفع مكانا ، وما يمنعها وأبواب الخير لا تحصى ، والله ذو فضل عظيم ؟

* * *

ولم تقنع المرأة فى العهد النبوى بهذا الفضل المشترك ، إلى جانب فضل آخر خاص بها : من الرعاية لزوجها ، والعناية بأمر بيتها ، والقيام على أولادها ، بل همت أن تزاحم الرجل فى أخص خصائصه وهو حمل السلاح فى سبيل الله . . فما إن سمعت الثناء على الجهاد والمجاهدين ، وأن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ، إلى غير ذلك مما عرضنا لبعضه فى الدعوة إلى الجهاد ، حتى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجاهد . . استأذنته بلسان أمهات المؤمنين ، وفى طليعتهن – رضوان الله عليهن – الصديقة بنت الصديق .

* * *

ولقد ساعد المرأة على استئذانها هذا ترخيص رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فى ساعة العسرة وشدة الحاجة ؛ أن تناضل وتقاتل ، وتحمل السلاح لإعلاء كلمة الله ، وتقتحم الميدان لتمريض الجرحى فى سبيل الله . . ففى الصحاح عن أنس رضى الله عنه أنه لما كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرأى عائشة بنت أبى بكر وأمه أم سليم مشمرتين تنقلان القرب على ظهورهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم . . وفيها أن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ، ونداوى الجرحى ، ونرد القتلى إلى المدينة ! وفيها أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها ، فرآها أبو طلحة زوجها فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ! ! .

وممن أبلى أعظم البلاد من النساء فى سبيل الله : أم عمارة الأنصارية ، واسمها نسيبة شهدت بيعة العقبة ، ثم شهدت أحدا وكان معها زوجها زيد بن عاصم ، وابناها منه : عبد الله ، وحبيب الذى قتله مسيلمة بعد ! تروى عنها أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها

قالت خرجت يوم أحد ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أباشر القتال وأذب عنهم بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى ! قالت أم سعد فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ! فقلت من أصابك بهذا ؟! قالت ابن قمئة ! ثم شهدت بيعة الرضوان . ولما بلغها قتل ابنها حبيب نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة ، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد وقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحا ! !

* * *

هذا البلاء الذى أبلته المرأة فى القتال ، فى العهد النبوى والعهود التى بعده ، رخصة لها ، بل حق عليها كما هو حق على الرجال ، فى شدة الحاجة ، وساعة العسرة كما أسلفنا . وأما فى غير الحاجة الملحة ، والضائقة المحيطة ، فقد كفاها الله المئونة ، وخفف عنها العبء ، وبدلها بهذا الجهاد الخاص بغير أولى الضرر من الرجال جهادا آخر عاما ، لا يقل أجره ، ولا تنقص مثوبته ، عن جهاد الرجال ، إن أخلصت لله فيه ، وأتمته له ، بريئا من الإثم والرياء ، والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، وهذا هو الجهاد الذى لا قتال فيه ، وهو جهاد الكبير والصغير والضعيف ، وهو الحج المبرور الذى لا جزاء له إلا الجنة . .

* * *

تخفيف من الله ورحمة منه بالمرأة ، وبدل كريم قابلته المؤمنة الصادقة راضية مستبشرة ، بلسان أم المؤمنين رضوان الله عليها . . ولقد تجلى هذا الرضا والبشر فى رواية أخرى رواها البخارى أيضا عن عائشة بنت طلحة عن (خالتها) عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : ألا نغزو أو نجاهد معكم ؟ فقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله ، حج مبرور ، فقالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم زادها رضى الله عنها اقتناعا بهذا البدل ورضا به وطمأنينة له ، ما رأت من انحراف بعض النساء فى آخر عهدها ، عن الجادة المثلى ، بما أحدثن عند خروجهن من زينة لا تذكر بجانب ما أحدثن بعد ذلك من السفور والتبرج ! فتقول رضى الله عنها فيما رواه مسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . . . وفى هذا مقنع وبلاغ لمن أراد السداد والرشاد . والله المستعان ؟

طه محمد الساكت

من هدى القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال[١] » . وقال : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم [٢] » .

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، يهدى إلى الحق والصراط المستقيم ، ويرشد الناس قاطبة إلى ما يسبب لهم السعادة والعزة فى دنياهم وأخراهم ، وصدق الله حيث يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » . وقد وضع القرآن الكريم الأسس الصالحة التى بها تسعد الأمم وتعز ، وبضدها تشقى وتذل ، وهاتان الآيتان الكريمتان المذكورتان فى صدر المقال تشيران إلى سنة من سنن الله فى الأفراد والأمم والشعوب ، فالفرد أو الأمة أو الشعب ، الذى يأخذ نفسه بأسباب العزة والبقاء لن يضيع سعيه ، ولن يخيب رجاؤه ، وسيبلغ ما تصبو إليه نفسه من العزة القعساء ، وسيتبوأ مكانا عليا بين الشعوب فى دنياه ، فان كان إلى ذلك مؤمنا ، فاز بالنعيم المقيم فى أخراه ، وصدق الله : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . أما الأمة التى تتنكب عن طريق الهدى والرشاد ، وتتردى فى مهاوى الرذيلة والتحلل والفساد ، ولا تأخذ نفسها بأساليب الحياة العزيزة الكريمة ، فمآلها إلى البؤس والشقاء ، وذهاب الريح والسلطان ، وصدق الله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم [٣] » . والله سبحانه وتعالى عادل :

---

(١) سورة الرعد الآية ١١ .
(٢) سورة الانفال الآية ٥٣ .
(٣) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

« ولا يظلم ربك أحدا » . وهو يكافئ المحسنين على إحسانهم ، والمسيئين على إساءتهم ، ولقد بلغ من عدل الله أن الكافر إذا أحسن فى شؤون دنياه وأعمالها أن يكافئه على ذلك فى دنياه ، وإن لم يكن له شىء فى أخراه . وصدق الله : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب [١] » .

والله سبحانه لا يغير ما بقوم ـ من النعمة والجاه والسلطان وحسن الحال ـ حتى يغيروا ما بأنفسهم من خلال الحق والخير والاستقامة والصلاح ، إلى أضدادها من صفات الشر والانحلال والفساد . وكذا لا يغير ما بقوم من الضعف والذلة والهوان ، وفساد الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من العقائد الزائغة ، والأخلاق المرذولة ، والأوضاع الزائفة ، والأهواء الجائرة ، ويستبدلوا بها غيرها من العقائد الصحيحة ، والآراء السديدة ، والأخلاق الكريمة ، والفضائل الثابتة التى لا تنهض المجتمعات إلا بها ، وقد أفصح عن هذه السنة من سنن الله فى الاجتماع الحديث القدسى الذى يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة : « يقول الله تبارك وتعالى : وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق عرشى ، ما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما كرهت من معصيتى ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتى ، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابى إلى ما يحبون من رحمتى ، وما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما أحببت من طاعتى ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتى إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتى إلى ما يكرهون من عذابى [٢] » .

وقد أكد الله هذا الأصل فى القرآن فى آيات أخر فقال : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » [٣] وقال : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور » .

---

[١] الشورى الآية ٢٠ .
[٢] أخرجه ابن أبى شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه .
[٣] النحل الآية ١١٢ ، « ٥ » سبأ الآيات ١٥ ـ ١٧

والتاريخ شاهد عـــدل، فهاتان دولتا الفرس والروم قديما بلغتا فى السلطان والملك والقوة مبلغا عظيما ، فلما تسارع إليهما الانحلال والفساد والإغراق فى الملذات والشهوات لم تلبثا أن انهارتا أمام دولة الإسـلام الفتية ، وها هى دولة الإسـلام الأولى لما أخذت بكتاب ربها وهدى نبيها وسادت فيها الفضائل والأخلاق التى يقوم عليها بناء المجتمعات من العدل والتراحم والاتحاد والتآلف والتعاون على البر والتقوى والتناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أدال الله لها العروش ومكن لها فى الأرض وبدل المسلمين بخوفهم أمنا وبضعفهم قوة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى امتد ملـكهم من غرب الأرض إلى مشرقها ، فلما تهـاونوا فى أمر دينها وصاروا شيعا وأحزابا وساد بينهم الظـلم والجور والتدابر وقل التعاطف والتعاون مكن الله فيهم أعداءهم وصارت بلادهم ـ حقبة من الزمن ـ نهبا مقسما للاستعمرين المستغلين مصاصى الدماء المنتهـكين لحقوق الإنسان .

يا أيها المسلمون فى كل مكان : هذا كتاب الله نتلوه صباح مساء ، ولـكننا لا نعمل به ، وهذه سـنة الله فى الخليقة ولن تجـدوا لسنة الله تبديلا ، أفما آن لنا أن نهتدى بهدى شريعتنا فى كل شأن من شئوننا ، وأن نعود إلى أخلاقنـا وخصائصنا ومقوماتنا ، وندع ما نحن عليه من تقليد الغربيين فى كل ما هو ضار ومفسد ؟ أفما آن لنا أن نقضى على هذا المسخ المشوه الذى ساد مجتمعنا ونعمل على تـكوين مجتمع إسلامى أصيل سليم ؟

إننا ـ معاشر المسلمين والعرب ـ قد بعثنا من جديد وتنبهنا إلى الأخطار المحيطة بنا والمـكايد التى تدبر لنا ، ونجحنا إلى درجة كبيرة فى تحطيم الأغلال والآصار التى قيدنا بهـا الأعـداء فى السياسة والاقتصاد ، ونفض غبار المـاضى المحزن المؤسف ، وعقدنا العزم على أن نـكون لأنفسنا شخصية مستقلة غير تابعة لـكتلة شرقية أو غربية ، وإنمـا قوام هذه الشخصية الإسلام والعروبة ، وللاسلام مقومات وللعروبة مقومات ، ولا يمكن أن تحقق هذه الشخصية بدون هـذه المقومات وإلا كان الأمر لا يعدو أن يكون دعاوى لا تغنى عن الحق شيئا . فاذا أردنا حقا ـ ونحن اليوم على مفترق الطرق ـ أن نـكون هذه الشخصية الإسـلامية العربية المتحررة المستقلة ، فلنغير من كثير من أخـلاقنا وسلوكنا وتقاليدنا التى لا تمت إلى الإسلام ولا إلى العروبة بسبب ، ولنغير من كثير من أساليبنا فى التشريع والتربية والتعليم والصحافة والنشر والإذاعة والبيت والمدرسة والمجتمع، ونحو ذلك

مما له أكبر الأثر فى تكوين هذه الشخصية ، فبدلا من أن تكون هذه الأشياء معاول هدم لهذه الشخصية يجب أن تكون عوامل بناء فى تكوينها وتحققها ، وإلا فكيف تحقق هذه الشخصية إذا كان البعض يبنى والكثير يهدمون وصدق القائل :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

إن الأمر أصبح جدا لا هزل فيه ، والأمة الإسلامية العربية تكاد تكون مجمعة على الفائدة المترتبة على تحقيق هذه الشخصية ، والسبيل إلى هذه الغاية معبد ومعروف إذا أخلصنا النية وعقدنا العزم على العمل وإن كان يحتاج إلى جهاد نفسى عظيم .

إننا اليوم فى طور إصلاح وبناء وترميم ، وكل هذا يحتاج إلى المصارحة والتناصح وعدم المداهنة والنفاق ، والعمل على إرساء قواعد الاستقلال فى كل شىء فى السياسة والاقتصاد وفى التشريع والثقافة والأخلاق والعادات .

إن المسألة لا يكفى فيها التذكير، فان الذكرى إنما تنفع المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وإنما تحتاج إلى الضرب بيد من حديد على أيدى العابثين المستهترين بمقومات هذه الأمة ودينها وأخلاقها وخصائصها ، وما أحوجنا اليوم إلى قوانين صارمة تكبح جماح العابثين بمصالح الأمة ومستقبلها ، وقديما قال أحد سلفنا الصالح : « إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن » وصدق الله حيث يقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » .

ألا إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، فلنحزم الرأى ولنجمع الأمر .

والله معنا بالتأييد والتوفيق ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

دعائم المجتمع الاسلامى :

الاسلام يحارب الجشع

الإنسانية الفاضلة مجموعة من الأخلاق الجميلة والخصال النبيلة ، التى تؤهل الإنسان العاقل الرشيد المؤمن لخلافة الله فى الأرض ، والعبودية لجلاله سبحانه ؛ مع سيادة هذا العالم بالحق والصدق ، والخير والبر . . .

وأول مميزات هذه الإنسانية أن يؤمن المرء بأنه عضو فى جسم كبير هو المجتمع الذى يحيا فيه : يعطيه و يأخذ منه ، و يعينه و يستعين به ، و يعمل له و يستفيد منه ، و يستجيب إليه و يتفاعل معه ، حتى يكون الفرد فى خدمة المجموع ، و يكون المجموع فى خدمة الفرد ، و بهذا التضامن يسعد المجموع البشرى ، و يكسب رضوان الله العلى الكبير .

ومن هنا قال سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ! . . . وقال : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ! . .

ومن خصائص هذه الإنسانية الرشيدة المجيدة أنها تعصم نفسها أول ما تعصم من رذيلة الجشع ، وهو الحرص الشديد الذى يؤدى إلى الفزع والجزع [١] ، لأن هذا الجشع ينحط بمستوى الإنسان إلى درك الحيوان الذى يجعل همه فى القضم والهضم : « والذين كفروا يتمتعون ، و يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » ، ولأنه يجعل الحياة مسبعة ، كل جشع فيها يريد أن يستحوذ على كل شىء ، وأن يحرم أخاه كل شىء ، ولأنه يجعل صاحبه ـ طيلة حياته ـ نهبا للقلق وعدم الاستقرار ، فهو دائما يطلب ، وهو دائما يرغب ، وهو دائما يجمع ، وهو دائما لا يشبع ، مع أن الغنى ليس بكثرة المال والمتاع ، ولكن الغنى الحقيقى هو غنى النفس ورضاها بما قسم لها الله تبارك وتعالى . . . ومن هنا جاء فى الحديث : « القناعة كنز لا ينفد » ؛ وجاء فيه أيضا : « عز من قنع وذل من طمع » [٢] ! . . .

[١] الجشع : هو الحرص الشديد ، انظر معجم مقاييس اللغة جـ١ ص ٤٥٨ ، وهو الفزع والجزع انظر النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ١٦٤

[٢] انظر النهاية فى غريب الحديث ، جـ ٣ صـ ٢٨٠

وأوقع ألوان الجشع هو ما يظهر إبان فترات الضيق والشدة التى تتعرض لها كل أمة فى الوجود ، إذ ليست الحياة دائمة النعيم والراحـة ، بل هى مزيج من السراء والضراء ، والسعة والضيق ، فاذا ما تعرضت الأمة لابتلاء أو اختبار ، كان من الواجب على أبنائها أن يكشفوا عن نبل عناصرهم ، وسمو هممهم ، وبعد عزائمهم ، وقوة صبرهم ، وشدة تماسكهم ، وصدق تعاونهم ، فيتركوا الـكماليات ، ويكتفوا بالضروريات ، ويقفوا فى وجه الشدة صفا واحدا ، ليستطيعوا دفعها ، ويخففوا وقعها ، وبذلك يتحقق لهم وصف المؤمنين : « الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صـدقوا ، وأولئك هم المتقون » . . .

وما أكثر ألوان الجشع التى يوسوس بها الشيطان للانسان أثناء البأساء أو الابتلاء ، ويتخذها منافذ خبيثة لمهاجمـة إنسانيته ، وتحطيم دوافع الخير فى قلبه . . . فـكنزك المـال دون أداء حقوقه ودون الانتفاع به ، نوع من الشح والجشع ، وربك عز وجل يتوعد الذين يجمعون الأموال ، ويرصون بعضها فوق بعض ، فيخبرهم بأنها ستكون وبالا عليهم ونـكالا لهم ، وأنها ستكون حصب جهنم ووقود النار التى ستحمى عليهم فى الدار الآخرة ، فيقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتـكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تـكنزون » ، والـكنز فى الأصل هو المـال المدفون تحت الأرض ، ثم أطلق على المـال المخزون ممـا لم يؤد صاحبه زكاته والحقوق المستحقة فيه ، فاذا أدى الإنسان حقوق الله وحقوق العباد فى هذا المـال لم يكن كنزا مهما عظم وتضخم ، وفى الحديث : « كل مال أديت زكاته فليس بكنز » ، وفى حديث آخر : « كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز » ! . . .

واختزانك الزائد عن حاجتك من الطعام أو الثياب أو الوقود ـ وغيرك فى أشـد الحاجة إلى مثله أو بعضه ـ نوع من الجشع ، ويزداد هذا النوع من الجشع سوءا وخبثا إذا احتكرت ما تختزنه لـكى تتحـكم فى سعره وبيعه ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحتـكر إلا خاطئ » أى خاطئ عن الحق بعيـد عن الصواب . ويقول : « يا ابن آدم ، إنك أن تبذل الفضل (أى الزائد عن حاجتك) خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف (أى اختصاصك بمـا يكفيك) وابدأ بمن تعول ، اليد العليا خير من اليد السفلى » .

ومحاولتك أن تختلس ما ليس لك ، وأن تأخذ أكثر من حقك المخصص ، وتهضم بذلك حق غيرك ، أو تتوسع فى التنعم والتمتع خلال الشدة التى يعانيها من حولك — نوع من الجشع ، والرسول يقول لك : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب » .

ومزاحمتك سواك الضعيف حتى تسبقه ، وتعتدى على دوره ، فتنال قبله ما هو محتاج إلى نيله — مثلك أو أشد منك — نوع من الجشع ، والإسلام يقضى بأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، ودينك قد قام على العدل والإنصاف ، وربك هو القائل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » . وكتاب الله يأمر بالعدل والإحسان ، لأن الله أعدل الحاكمين ، والميزان هو ميزان الإنصاف والقانون الذى يضبط الأعمال وينظم الأحوال ، والقسط هو العدل والمساواة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا » . . . ويوصيك الرسول فيقول : « وإياك والطمع ، فانه فقر حاضر » ! ! . . .

فاذكر أنه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، ولا تنس توجيه ربك : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » . . . « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

واذكر أن الحرص ليس من خلق المسلم فى شىء ، والحرص يؤدى إلى المعصية والإثم ، وحاتم الأصم الصوفى يقول : « أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد » . ويقول : « المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك ، وينفق بالرياء ؛ والمؤمن يأخذ بالخوف ، ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا فى الطاعة » . ويقول : « اطلب نفسك فى أربعة أشياء : العمل الصالح بغير رياء ، والأخذ بغير طمع ، والعطاء بغير منة ، والإمساك بغير بخل » ! . . .

جنبنى الله وإياك مذمة الحرص والجشع ، وجملنا بمحمدة التعاون والإنصاف ! . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

احياء العـــــــلوم
ونهضاتها المختلفة فى ثقافة أوربا
مستقاة من معين الثقافة الإسلامية

عود على بدء :

أسلفنا فى عـدد مضى أن الحضارة الأوربية والثقافة الأوربية فى شتى مصادرها مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية ، فقد كانت الحضارة فى عهد العرب الأول بالغة شأو الكمال ، حتى دخلت أوربا بفتوحاتها المتعاقبـة فنهلت بلادها من الحضارة الإسلامية والعربية ، وأخذت عنها بقسط وفير . غير أن فلاسفة الغرب من الذين أرادوا أن يكون لهم تراث مستقل أخاذ كفروا بنعمة الثقافة الإسلامية ، وادعوا زورا وتضليلا ـ لقرائهم والدائرين فى فلكهم والضاربين على قيثارتهم ـ أنهم كفروا بهذه الثقافة وأنها من عصارة عقولهم ، وخلاصة أذهانهم ، ولـكن فريقا منهم ممن أرادوا أن يكشفوا عن الحقيقة فى ثوبها القشيب صاحوا من فوق منبر التاريخ والواقع بملء أشداقهم ان الثقافة الأوربية فى مختلف عصورها الأول مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية .

قال المؤلف چورچ ميلر فى كتابه (فلسفة التاريخ) :

« إن مدارس العرب فى أسبانيا كانت هى مصادر العلوم وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العـلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة الميتافيزيقية ، وأصبح جنوب إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوربا » .

وكان ممن تزود بعلوم العرب « جربرت » الراهب الفرنسى ، فبعد أن درس علم اللاهوت فى « أوريان » مسقط رأسه ، توجه إلى قرطبة فدرس فيها الرياضيات والفلك ثلاث سنين ، ثم رجع إلى قومه ينشر فيهم ما تزوده من العلوم ، فرموه بالـكفر والسحر ولكنه ارتقى إلى سدّة البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى ، كذلك تخرج على علماء قرطبة « شانجة » ملك « ليون » و « استوريا » . وأوصى الراهب « روجربيكون » فى كتبه بدراسة اللغة العربية وقال : « إن الله يؤتى الحـكمة من يشاء ، ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما آتاها العرب » .

وذكر « چيبون » فى الفصل الثانى والخمسين من كتابه « تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها » : « أن مدرسة « سالرنو » التى نشرت الطب فى إيطاليا كانت من صنع العرب وغرس أيديهم » .

وقال المؤلف « ويلز » الإنجليزى فى كتابه « ملخص التاريخ » وهو من أمهات الكتب التى تدرس فى الجامعات الأوربية اليوم : « جاءنا علم اليونان عن طريق العرب لا عن طريق اللاتين » ، وإن « ليوناردبيز » و « أرمان دفيلنوف » و « ريمون لول » و « هرمان الدلماسى » و « ميخائيل سكوت » و « يوحنا الأشبيلى » و « سان توما » و « البيرليجراند » و « ألفونس العاشر » أمير قشتالة لم يكونوا غير تلاميذ العرب أو نقلة عنهم .

وقال « رينان » الفيلسوف : « إن البيرليجراند » مدين بعلمه كله لابن سينا ، و « سان توما » مدين بفلسفته « لابن رشد » . ويقول « بترارك » شاعر إيطاليا العظيم وهو من شعراء القرن الرابع عشر : « أبعد « ديموستين » يستطيع « سيشرون » أن يكون خطيبا ؟ ، وهل بعد « هوميروس » يستطيع « فرچيل » أن يكون شاعرا ؟ وهل بعد العرب يستطيع جيل من الناس أن يخط بقلمه على القرطاس » ؟

وقال البارون « ديڤو » مترجم كل ما كتبه الإمام الغزالى : « إن الميراث العلمى الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه ، فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ، ولكنهم توافروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد فى تحسينها وإنمائها حتى سلموها للعصور الحديثة .

وقال الدكتور سارتون فى إحدى خطبه العامة بالجامعة الأمريكية ببيروت : « إن بعض الأوربيين يحاولون أن ينتقصوا من قدر العرب العلمى فى القرون الوسطى ، وذلك بقولهم : إن العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم ، وهذا خطأ ، وإذا افترضنا أن العرب لم يكونوا غير نقلة ، أليس فى عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ، ولكننا حتى الآن فى القرون الوسطى » .

الحق أن فضل العرب بثقافتهم الإسلامية على المدنية الحديثة كان من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبثوا من روح فى الثقافات القديمة ، وقد بدأ علماء أوروبا يبحثون نواحى تأثير الثقافات الإسلامية فى الثقافة الأوربية ، وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب « تراث الإسلام

Legacy of Islam » تناولوا فيه أثر الثقافة الإسلامية فى الجغرافيا والتجارة وفى القانون والاجتماع وفى الفن والعمارة وفى الأدب وفى التصوف؛ وفى الفلسفة وعلم الكلام ، وفى العلم والطب ، وفى الهيئة والرياضيات ، والمتتبع لدراسة المدنيات وتاريخ قوميات الشعوب ، يرى أن تاريخ المدنيات عبارة عن حلقات يسلم بعضها إلى بعض ويستفيد لاحقها بما وصل إليه سابقها ، وكانت المدنية الإسلامية فى الذروة أيام كانت أوربا تظلها سحابة سوداء من عماية الجهل فى القرون الوسطى ، ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى فى العالم فى مدنيتهما وثقافتهما ونظمهما الإدارية والحربية ، فلو لم يكن فى الوجود مدينة بغداد وقرطبة ما كانت حركة إحياء العلوم فى أوربا ؛ ولما كانت النهضة الأوربية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن لو لم ترتكز على المدنية الإسلامية والثقافة الإسلامية المنبثة من ضوء بغداد وقرطبة .

ولزيادة الإيضاح ؛ ننظر فى أسس المدنية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمدنية الإسلامية لقد بنيت النهضة الحديثة فى الثقافة على أساسين : وهما الشك والتجربة. وكانت الثقافة فى القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان وتقدس آراء أفلاطون وأرسطو كل التقديس ، وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطق وحده يؤيدون به المذاهب والآراء ، والقياس المنطق وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسليما أعمى وتعنى فيه بالشكل ، فجاءت النهضة الحديثة تشك فى هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجرى التجارب عليها ولا تؤمن بشىء حتى تدل التجارب على صحتها ، وكان هذا دعامة النهضة الحديثة »

والحقيقة أن طريقة المنهج العلمى فى البحث الحديث لم تكن بعيدة عن أذهان المسلمين فالتاريخ يحدثنا أن النظام ألف فى نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ فى كتاب الحيوان يستطلع ما قاله أرسطو فى الحيوان ، ثم لا يمنحه شيئا من العناية ، بل ينقده نقدا جريئا ويقول : « قد جربنا قول أرسطو فلم نجده صحيحا » ويقول : «إن قوله هذا غريب» إلى أن يقول : «وهو قول لا يجيزه العقل » والجاحظ بهذا الانتقاد يجعل عقله الفيصل على أرسطو على حين أن فلاسفة القرون الوسطى جعلوا أرسطو حكما على العقل ، والبيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ - سنة ١٠٤٨ م ، والذى قال عنه المستشرق الألمانى سخاو : « إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ فى كل عصوره » كان يحكم عقله فى الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند ، حتى لقد ترجم كتابه « الآثار الباقية » إلى الإنجليزية

وطبع عام ١٨٧٩ فى لندن ، وترجم أيضا كتابه « تاريخ الهند » وطبع فى لندن عام ١٨٨٧م ، ويقف الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » الموقف الذى وقفه « ديكارت » فيما بعد فيقول : « إنه رأى صبيان النصارى ينشأون على النصرانية وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الإسلام ، وإنه لم يقنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور ، وأن يبنى دينه على يقين وقال : « إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته » .

وابن خلدون الذى كان وقوف الغرب على تراثه منذ منتصف القرن التاسع عشر اكتشافا علميا حقا ، حيث ظفر الغرب بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . أجل ، اكتشف النقد الغربى بدهشة وإعجاب فى تراث ابن خلدون كثيرا مما ردده ميكيافللى بعدة قرون ، وما ردده منتسكيو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون أيضا . وكان المعتقد أن البحث الغربى أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسى ، فاذا بابن خلدون يسبق بعصور ويغزو فى مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة ، حتى إن المستشرق النمسوى الكبير البارون ڤون كريمر فى رسالته الشهيرة بالألمانية : « ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدولة الإسلامية » اعتبر ابن خلدون مؤرخا للحضارة ، لأنه أول من خصص فصولا ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم والخطط العامة كالقضاء والشرطة والإدارة وتطورها فى الدول الإسلامية ، ثم عن العلوم والفنون والآداب ، وابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة أو لذاتها وإنما يعالجها كصور من العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لحضارة العمران .

وعلى الجملة فان الثقافة الأوربية فى مختلف مناحيها لم تكن إلا مستخلصة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية رغم أن فريقا من المتعصبين فى الغرب ادعوها لأنفسهم دون أن يبينوا مراجعها ومصادرها ، لكن المنصفين منهم ردوا كل هذه الثقافات إلى الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ، وهكذا يجد الإسلام له أنصارا فى كل عصر وجيل .

عباس طه
المحامى

كلمـــــة الأزهر

فى حفـلة افتتاح الدراسات الاجتماعية

نحمدك اللهم يا واهب الفضل ويامفيض النعمة ، ونصلى ونسلم على نبيك سـيدنا ومولانا محمد بشير الرحمة وهادى الأمة ، ونسألك يا رب : الرضوان عن الصحابة والتابعين

أما بعد : فان الأزهر حين يحفل اليوم ـ فى هذا الحشد الرائع ـ بافتتاح الدراسات الاجتماعية لأبنائه الطـلاب ، برعاية وزارة الشئون والعمل ، فانه يتهلل بشرا حين يبرز للمجتمع طـلابا لهم فى عمق البحث ، وسلامة التفـكير ، وأصالة الرأى ، آفاق يشرقون فيها ، فتضىء علومهم ومعارفهم وبحوثهم جنبات فسيحة من هذا الوطن الإسلامى العزيز .

والعلم ـ أيها السادة ـ هو الركن الأول فى بنـاء هذا المجتمع ، وهو النعمة الـكبرى التى أنعم بها مفيض الآلاء على خلقه ، وهو أكرم منة جاءت فى أول رسـالة من السماء نزلت بالوحى على رسول الإسلام فى قوله تعـالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) ثم فى قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) .

والعلم المهذب للنفس ، نفحة مليئة باليمن ، تشارف الحواس ببريق كاشف لمعانى الرحمة والحنو ، دال على معـالم البر والسمو ، ثم هـو لا يلبث أن يغشيها حتى تتعشق فيه الفضيلة ، وتتدرج معه إلى الجـلال والـكمال ، فاذا بالعلم عقيدة وثقة ، وإذا به خلق وفضل ، وإذا به بر وإحسان ، وإذا برجل العلم المهذب يهدى بخلقه ، ويسمو بأدبه ، ويؤتى جناه دانيا راضيا . . جزاء وفاقا ، لمـا غرسه أساتذته ومعلموه ، من علم وفضل وأخلاق ، ولسان حاله يقول :

وإنى وإن أحسنت فى القول مرة ... فمنك ومن إحسانك امتار هاجسى
تعلمت ممـا قلته وفعلتـــه ... فأهديت حلوا من جناى لغارسى

* * *

والدراسات العلمية الاجتماعية ، إنما هى ألوان من تجارب الحياة ، وعمق فى بحث التقاليد والعادات ، وتجاوب مع أهداف الدين والفضيلة ، وإخضاع العرف الذى استبدت به الأهواء إلى ما تقضى به الفطرة السليمة ويبصر به العارفون العقلاء .

فالرجل الدينى الاجتماعى منار كل بيئة ، وعمدة كل طائفة ، وحجة كل زمان ومكان .

يعرف واجبه فى الأسرة فيقومها ، ويوجهها ، ويرشد راعيها الأول المسئول إلى واجبه نحو أسرته ، فان كان أبا بين حكم الله الواجب عليه نحو ولده وزوجه ، وإن كان أما بصرها بتبعاتها من شئون البيت ، وتنشئة الأطفال ، وأماناتها وعفتها ، لتعيش الأسرة بهذا الهدى الإسلامى الاجتماعى فى هدأة بال ، واستقرار حال ، وفى نطاق من الأدب وحسن الرعاية .

فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » ، وعن أبى أيوب ابن موسى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » .

* * *

والرجل الدينى الاجتماعى يعرف واجبه نحو وطنه ، فيرشد شباب الأمة إلى القوة فى الإعداد ، والاستماتة فى الدفاع ، وأن عزة النصر ، وكرامة الظفر ، إنما تقوم على السواعد المفتولة ، والعزمات الأبية ، وأنه آن للشباب أن يتخلى عن نعومته وليونته ، وتجمله بتصفيف الشعر وتلميعه ، ليكون فى الصف فتى جهاد وجلاد ، يفتدى وطنه وأمته بروحه ودمه ، ليفيد من تضحيته مجدا ، ومن إيثاره خلودا ، فان أمره إما إلى نصر وعزة ، وإما إلى سعادة واستشهاد : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المجاهد فى سبيل الله ــ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ــ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله ، بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة » .

ونحن فى يومنا الحاضر ـ أيها السادة ـ أحوج ما نكون إلى قوة الإعداد والاستعداد ، وإلى سلامة الجبهة ، وتوحيد الصف ، لنقف فى أهبة النضال الحاسم ، تجاه عدو غادر غاشم حتى تسترد العروبة مجدها المؤثل ، ومكانها المرموق . وأمل الوطن كبير فى شباب العروبة أن يكونوا عدته وعتاده ، أسنة مسددة وقنوات لا تلين .

ولقد حدثوا ـ من طرف المجاهدين ـ أن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر فى حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فارع الطول ، فسلم على عمر ، فقال له عمر : إنك لفى قناة رجل . فقال : اى والله وفى سنانها . فقال عمر : افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء . فترك حبيب بن مسلمة الأموال . . . وأخذ السلاح .

وذكروا أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يقول :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا
وماضر نصل السيف إخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سرى

أيها السادة :

إذا كانت قوامة الدين والأخلاق فى مكانها الجدير بها فى الأمة .

وإذا بلغ الشعب شأوه فى سمو الغاية وجمال المقصد .

وإذا نهضت هذه الدراسات الاجتماعية ، وهى إن شاء الله ناهضة ، بأفراد المواطنين وجماعاتهم فى ريفهم وحضرهم ، فى قراهم ومدنهم ، فى مصانعهم ومتاجرهم ، فى معاهدهم وجامعاتهم ، فى دواوينهم ومصالحهم ، فبرزت لنا المثل العليا فى الصدق ، والعدل ، والإباء ، والإيثار ، والأمانة وعفة اللسان ، وطهارة القلب ، وقوة العقيدة ، وسادت هذه الأخلاق وغيرها ، إذن لعز الإسلام وقويت شوكة الأمة ، وتسامى مجد الوطن ، وإن لكم ـ يا معشر الطلاب ـ فى سلفكم الصالح ، صفحات بيضاء ناصعة ، فاقرأوها ، واحتذوها ، وانسجوا على منوالها لتسعدوا بأمتكم وتسعد بكم أمتكم ، وقد قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الفضل والمكرما ت إذا جئتها حاجب يحجبك

وفقكم الله وسدد خطاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

الاتجاه الى الله

كانت المعركة الرهيبة التي صليت مصر نارها، وخرجت منها منتصرة مرفوعة الرأس، كانت امتحانا خطيرا تكشف عن معادن كريمة تحتفظ بها الأمة العربية، وقد مرت أيام المعركة كريهة قاسية، ليس على الذين يسكنون مصر فحسب، بل على كل عربى، وعلى كل مسلم فى جميع أقطار الأرض، ولئن كان الشعب فى مصر يتابع المعركة بأعصابه وآماله وآلامه، فان الناس هنا فى مكة المكرمة ــ زادها الله تكريما وشرفا ــ كانوا يواجهون المعركة بكل ذلك وبأسف عميق على أنهم بعيدون عن أرض المعركة؛ فالقادرون منهم على حمل السلاح كانوا يحنون إلى ورود هذا الأتون المشتعل، حنين الظامئ إلى المنهل العذب لاعتقادهم أن السبيل إلى الجنة يبتدئ من هذا الأتون، والذين لا يستطيعون حمل السلاح كان الحزن يملأ نفوسهم على أنهم حرموا هذا الشرف الكبير، شرف الدنيا والآخرة، ولم يكن للجميع حديث، بل لم يكن يدور فى خواطرهم إلا ما يتصل بهذه المعركة.

ولكن ما إلى هذا قصدت من هذه الكلمة، وإنما أردت شيئا آخر يرشد إليه هذا العنوان:

إن الذين يؤرخون لهذه المعركة يخطئون أشد الخطأ حين يعدّون أسباب النصر، فيهملون منها ما كان من المسلمين من اتجاه إلى الله، ولياذ بساحته، ووقوف تحت بابه، خاشعين ضارعين، مبتهلين إليه أن ينصر المسلمين، وأن يخذل الكفرة الباغين، أعداءه أعداء الدين، ولو أنه أتيح لك ــ أيها القارئ ــ أن تحظى بزيارة بيت الله المحرم فى تلك الأيام، لما خالجك شك فى أن جيش مصر وشعب مصر سينتصران، لما تراه من إخلاص النيات، وحارّ الدعاء، وكثرة الباكين والراجين، ولقد يملأ نفسك ثقة أن ترى شيخا ــ شاب فى الإسلام ــ يتقدم جموعا كبيرة من المسلمين، ويقف عند باب الكعبة المشرفة ويرفع يديه إلى السماء ويدعو بصوت مرتفع حزين، والناس خلفه يؤمنون على دعائه، بل إنه لرائع حقا ذلك الذى شهدناه فى أيام الجمع، وقد امتلأ المسجد الحرام بالمسلمين من كل أقطار الأرض، والإمام فوق المنبر بجوار بيت الله المعظم يبتهل إلى الله ويقول:

اللهم عليك بالانجليز والفرنسيين واليهود ، اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، اللهم إنهم لا يعجزونك ، فشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وخرّب ديارهم ، واجعلهم وأموالهم غنيمة لعبادك المؤمنين ، والمصلون جميعا يجيبون ـ فى لهفة وشوق إلى نصر الله ـ آمين آمين .

بل إنك لتسمع هذا الدعاء وأمثاله فى أى لحظة من الليل أو النهار ، تطوف فيها حول بيت الله الحرام ، فانك ترى الجموع واقفة عند « الملتزم » ، أو تحت « الميزاب » حيث ترجى إجابة الدعوات ، داعية مبتهلة ، وفى الطواف تتواثب إلى سمعك أصوات خافتة ضارعة خاشعة ، من الشيوخ والشبان والنساء والأطفال ، داعية لمصر بالنصر .

إن فراسة المؤمن لا تكذب ، وقد كنا نسمع من بعض هؤلاء المؤمنين تأكيدا بأن الله لا بد ناصر أولياءه ، ولم نكن نرتاب فى هذا النصر ، فان أسلحته عندنا : استعداد للبذل ، فى الأنفس والأموال ، وإخلاص لله ، وتمسك بأهداب الحق ، وإذا اجتمعت هذه الأمور ، كان من فضل الله أن يستجيب الدعاء .

وقد ناط القرآن الكريم الفلاح والنصر على الأعداء بأمرين : أولهما الثبات أمام العدو ، وثانيهما ذكر الله ، والاتجاه إليه ، والاستعانة به ، واستمداد النصر منه ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ثم علق الفشل ، وذهاب الريح ، وتشتيت الشمل على الاختلاف والتنازع ، وعاد فحث على الصبر والثبات «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ولا يخفى أن كل هذه الأخلاق التى اعتدّها القرآن من أسباب النصر ، وهى الثبات والصبر وتوحيد الكلمة ـ إنما هى من وحى الاتجاه إلى الله لأنها امتثال لأوامره ووقوف عند حدوده .

والدعاء ـ مع الإخلاص ـ عامل قوى من عوامل النصر ، فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم على الكفار فى غزوة الأحزاب ، فشتت الله شمل المعتدين ، وسلط عليهم الريح ، فزلزلت أقدامهم ، واقتلعت خيامهم ، ودعا فى مواطن كثيرة أخرى فاستجاب الله دعاءه ، ولكنه الدعاء الذى يصاحبه الإخلاص ويسبقه التمشى مع السنن الكونية من استكمال عدة القتال ، والعزم المصمم على الدفاع عن الدين والوطن .

وبعد ، أفما آن لنا أن نرجع إلى الله ، بعد أن حقق نصره الذى وعدنا ، فنسلك الطريق التى ابتدأنا السير فيها ، فانه قال وقوله الحق (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فاذا كنا حريصين على ألا يفارقنا نصر الله وعونه ، فعلينا أن نكون مؤمنين حقا ، علينا أن نذكر الله بألسنتنا وجوارحنا وقلوبنا ، فى كل حين ، فى الرخاء وفى الشدة ، علينا أن نطهر نفوسنا وقلوبنا ومجتمعاتنا من كل ما يغضب الله تعالى ، ويجرنا إلى سخطه . إن هذه المحنة علمتنا أن من أقوى أسباب النصر الاتجاه إلى الله تعالى ، وان صاحب الخلق الإسلامى هو الذى يثبت فى المعركة ، ولا يرهب الموت ، وأن الأخلاق الفاجرة من الميوعة والترف ، والحرص الشديد على نعيم الحياة وملذاتها لا تخلق رجالا يستطيعون الصبر والصدق فى القتال ، فهل يعتبر أولئك الذين يدأبون على العمل فى تحليل أخلاق شبابنا ، والزج بهم فى مهاوى الرذائل ، هل تدرك بعض الصحف ـ مثلا ـ وبعض القائمين على الإذاعة ، وبعض المشرفين على تربية الناشئة ، أن الخلق الإسلامى الصافى هو أقوى عدة ، وأمضى سلاح عند شبابنا ، فيتركون تلك العوامل الهدامة التى لا تهيئ الناشئة إلا لانحلال الخلق ، وضعف العقيدة ، والفرار من الزحف ، يوم يجد الجد ، ويحتدم النضال ؟

إننا فى أشد الحاجة إلى تربية إسلامية صحيحة ، نتلقاها فى المدرسة ، وفى المنزل ، وفى المسجد ، ومن الصحافة ، ومن الإذاعة ، ومن كل ما يؤثر فى أخلاقنا ، والله يهدينا ، ويهيئ لنا من أمرنا رشدا .

مكة المكرمة

على العمارى

إلى مائة مليون عربى

إذا مصر أم الشرق للغرب أذعنت ... فليس لهذا الشرق من أمل بعد

وإن دولة الحرمين هيض جناحها ... فليس حجاز فى الوجود ولا نجد

وإن أسلمت بغداد للخصم أمرها ... فقد تمّ للأعداء فى شطرنا الكيد

فيا مائة المليون عربا تآزروا ... وردوا اعتداء الغرب قد وجب الرد

وأنتم أباة الضيم كيف صبرتمو ... على الضيم دهرا واستبدّ بكم وغد

ومن عجب أن يأخذ السيف منكم ... ليذبحكم ، هذا هو العجب الفرد

أيستخرج البترول من جوف أرضكم ... ليحرقكم ؟ ماذا انتظاركم بعد ؟

أعدنان أو قحطان ترضى مسبة ... يقتل أبناها وليس بهم حرد ؟

فما أنتم حقا بأبناء يعرب ... إذا لم تذودوا عن حماكم وتشتدوا

محمد عبد السلام القبانى

بشارة لهذه الأمة

- ٢ -

وإليك تفصيل بعض هذه الآيات البينات على شيء من التقريب والتقليل، واجتناب ما عسى أن تظنه من قبيل التفخيم والتهويل : فعن بعض هؤلاء الجند الغالبين أنه قال : بينا نحن محاصرو بهرسير [١] بعد زحف الفرس وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال : إن الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة وجبلكم ؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم ! ؟ فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة [٢] وقد أنطقه الله بما لا يدرى ماهو ، ولا نحن ، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن [٣] هاربين تاركين المدينة للمسلمين ، فلما سئل بعض أسراهم عن سبب ذلك ؟ قال : ما أجبتم به الملك : (أى بلسان فارس) من أنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبدا حتى تأكلوا عسل أفرندين بأترج كوثى ، فقال الملك : يا ويله ، إن الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا ؛ وتجيبنا عن العرب ، فهرب إلى المدينة القصوى ، ولم يبعد هذا الملك فيما عرفه من ذاك . فعن الحسن رحمه الله فى قوله تعالى : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة .

ولقد كان مما يزيدهم إيمانا وتثبيتا وجرأة وإقداما أن يروا بأعينهم بعض ما كانوا يؤمنون به بالغيب من وعد الله ورسوله . فقد روى أنهم حين دخلوا بهرسير وكان ذلك فى جوف الليل لاح لهم الأبيض (قصر كسرى وإيوانه) فقال ضرار بن الخطاب رضى الله عنه : الله أكبر . أبيض كسرى . هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . فهل تدرى : متى بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتلاكهم هذا القصر الأبيض ؟ ! إنه بشرهم به وهم فى الحصار ، والخوف ، والجوع ، أيام الخندق ، فقد روى أصحاب السير أن المسلمين وهم يحفرون الخندق اعترضتهم صخرة لا تعمل فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ معولا وقال : بسم الله ، وضرب

---

[١] هى المدائن الدنيا غربى دجلة ، أما القصوى فهى منزل كسرى شرقيها .

[٢] رجل من طائهم .

[٣] أى القصوى عاصمة كسرى وفيها قصره الأبيض .

ضربة ، فكسر ثلث الصخرة،فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها [١] ، فقال: الله أكبر. أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا ؛ ثم ضرب أخرى وقال : بسم الله ، فكسر ثلثا آخر ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها فقال : الله أكبر. أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الصخرة ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها فقال : الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة . ولقد كان من مقالة المسلمين فى ذلك : موعد صادق بارّ : وعدنا النصر بعد الحصر ، أما المنافقون فقالوا : ألا تعجبون ؟! يحدثكم ، ويمنيكم ، ويعدكم الباطل : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق،ولا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل قوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » وقوله : « قل اللهم مالك الملك ـ الآية » .

ومن هذه الآيات البينات التى أيد الله بها المسلمين فى فتوحهم : ما رواه المؤرخون ، واللفظ للبلاذرى : « أن الفرس لما انهزموا من القادسية قدم فلهم المدائن (أى القصوى بعد إخلائهم بهرسير كما سبق » فانتهى المسلمون إلى دجلة ، وهى تطفح بماء لم ير مثله قط ، وإذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلى الحيرة الشرقية ، وحرقوا الجسر ، فاغتم سعد (ابن أبى وقاص قائد الجيش) والمسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلا ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، فقالت الفرس ، والله ما تقاتلون إلا جنا فانهزموا ، وفى روايات الطبرى للقصة أنه لم يفقد منهم فى عبورهم ذاك إلا قدح انقطعت علاقته ، فلم تلبث الرياح والأمواج أن ضربت به إلى الشاطئ فتناوله أحدهم برمحه ، وأنه لم يكن أحد ولا فرس يعيا[٢] إلا وتنشر له تلعة [٣] يريح عليها [٤] وأنهم كانوا يتحدثون فى عومهم كأنهم على الأرض،وقد اقترنوا ما يكترثون . فكان سلمان رضى الله عنه يقول : ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، وكان سعد يقول « ذلك تقدير العزيز العليم » .

وإن تعجب فعجب ما رواه البلاذرى : من أنهم حاصروا مدينة ، فاستعصت عليهم فاذا بكلب يخطف خبزا من أحدهم ، فيدخل به مدخلا خفيا من الحصن ، فيفتحون المدينة منه .

---

[١] اى لابتى المدينة ، وهما ما يحيط بها من الحجارة السود .

[٢] يتعب . [٣] تصعد هضبة صغيرة . [٤] يستريح .

أما بعد . فان هـذه الرفعة ، والنصرة ، والتمـكين فى الأرض ، التى يبشر بها النبى صلى الله عليه وسلم أمته فى مثل هـذا الحديث الشريف . إنمـا كتبها الله لعباده الصالحين لقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ـ الآية » وقد سبقت ، وقوله : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعـد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » وقد علمت فى تقديمنا للحديث أن المراد بالأمة أمة الإجابة ، فمن عمل منهم للدنيا لا للآخرة كالمرائين والمنافقين فهو مع حرمانه من ثواب الآخرة لا يؤتى من الدنيا إلا بمقدار ما يأخـذ به من الأسباب ـ إن شاء الله ذلك ـ لا فى كل حال .

هذا ومما يصدق الحديث أيضا من كتاب الله ـ قوله تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . وقوله : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » . وقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . ومن أجل ذلك كان عمر رضى الله عنه إذا تأخر عنه خبر الفتح يقول : ما تأخر إلا لأمر حدث فيهم ، ومن وصيته لسعد بن أبى وقاص : « إنى آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تـكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوّكم ؛ فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوّهم ؛ وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تـكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدّتنا كعدتهم . ومنه : ولا تقولوا : إن عدونا شر منا ، فان يسلط علينا ، فربّ قوم سلط عليهم شرّ منهم كما سلط على بنى إسرائيل ـ لما عملوا بمساخط الله ـ كفار المجوس . والناظر فى تاريخ هذه الأمة ليتعرّف منازلها من الضعف والقوة : ومن الذلة والعزة ـ ليراها هى بعينها منازلهم من الدين سواء بسواء . حتى كأنما قدّا على مثال ، أو نسجا على منوال : فاذا ما قرأت أخبار فتوحهم ونصرة الله لهم . فكأنما اطلعت على ما تكن قلوبهم من إخلاص الدين، وصدق اليقين ؛ وإذا ما أتيح لك أن تتبين صورة من استقامتهم فى دينهم ، وطاعتهم لربهم ، وحبهم لنبيهم ـ فكأنما قرأت وصفا لمجدهم ، وعزهم ، وسؤددهم ، وتمـكينهم علم ذلك العالمون ، وجهله الجاهلون .

فاللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين لتستقيم بنا سبلنا إلى أمجاد آبائنا الماجدين ، أو لنحمى ما أورثونا من مجد ، ودين . فانه لا حول لنا ، ولا قوة إلا بك ، ولا نصرة لنا ، ولا رفعة إلا من لدنك ، ولا أمل لنا ولا رجاء إلا فيك . فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا ما دونها . يا أرحم الراحمين ؟

محمود فرج العقدة
المدرس بكلية اللغة العربية

الثقافة الاسلامية
والحياة المعاصرة

هذا عنوان كتاب نشرته مؤسسة فرانكلين الأمريكية فى العام الماضى ، وهو يشتمل على مجموعة بحوث ألقيت فى مؤتمر عقد بأمريكا فى صيف سنة ١٩٥٣ ، واشتركت فى الدعوة إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس . وقد شهده عدد من المسلمين فى شتى بقاع العالم الإسلامى ، بين أندونيسيا والهند والباكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان ومصر . وكل هؤلاء قد اختارتهم أمريكا ووجهت إليهم دعوة خاصة للاشتراك فى المؤتمر ببحوث إسلامية . وكان بازاء هذا العدد من المسلمين عدد مساو له من الأمريكيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية . ثم إن المؤتمر قد رأى بعد ذلك أن ينشر عددا مختارا من هذه البحوث فى كتاب ، فعهد بالإشراف على إخراجها وترجمة ما كتب منها بالانجليزية إلى الأستاذ محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . وقد قامت مؤسسة فرانكلين بطبع الكتاب ونشره .

والناظر فى أسماء المشتركين فى هذا المؤتمر ممن اختيرت بحوثهم للنشر يجد أن بعض هؤلاء المشتركين فى المؤتمر من الأمريكان قسس يحترفون التبشير ، مثل الدكتور ميلر بروز أستاذ الفقه الدينى الإنجيلى فى جامعة ييل . وقد كان اتجاهه التبشيرى الهدام واضحا كل الوضوح فى دعاواه التى ساقها فى مقاله للتشكيك فى أسس العقيدة الإسلامية ، كالإيمان بالوحى ، والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بصدق القرآن الذى أنزل عليه . ومن هؤلاء المبشرين كذلك الدكتور هارولد سمث أستاذ ونائب رئيس قسم الديانات بكلية وستر بولاية أوهايو . وقد كان هذا القسيس رئيسا لقسم الفاسفة والأخلاق بالجامعة الأمريكية فى القاهرة — وهذا يكشف لنا عن ماهية الدراسات الفلسفية والأخلاقية التى تلقن لأبنائنا فى الجامعات الأمريكية . وبعض هؤلاء الأعضاء الأمريكان الذين نشرت بحوثهم فى الكتاب من مستشارى وزارة الخارجية الأمريكية الذين يخضعون لتوجيهاتها السياسية ، مثل الدكتور روفائيل باتاى الذى كان مستشارا فى شئون الشرق الأوسط بقسم الشئون الاجتماعية بهيئة الأمم المتحدة ، ومثل الدكتور

جون كرسويل الذى كان ملحقا للعلاقات الثقافية ببيروت ، والدكتور هارولد ألن مدير قسم التربية بمؤسسة الشرق الأدنى ، الذى شغل مناصب عدة ذات صبغة سياسية فى منطقة الشرق الأوسط ، فكان عضوا بادارة التعليم بمنطقة القوقاز فى مؤسسة إعانات الشرق الأدنى ، وكان بالمركز الرئيسى لتلك المؤسسة فى اليونان ، وكان عضوا فى بعثة منرو للتربية فى إيران ، ومستشارا فنيا ببعثة الشرق الأوسط ، ورئيسا لبعثة اليونسكو فى الدول العربية . ومن هؤلاء السياسيين الأمريكيين الذين شاركوا ببحوثهم فى هذا المؤتمر الإسلامى كذلك الدكتور نبيه فارس الذى كان رئيسا للقسم العربى بادارة المخابرات الحربية بمدينة يورك (وقد كان رئيسا لقسم التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت) ، والدكتور تشارلز ماثيوز عضو قسم البحوث بشركة البترول العربية الأمريكية بالظهران ، الذى كان ملحقا للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة .

على أن نظرة سريعة إلى أسماء الباحثين الذين صدر بهم الكتاب تكفى لملاحظة أن الأمريكيين منهم قد اختيروا ممن قضوا وقتا فى الشرق الإسلامى ، وبينهم عدد كبير ممن تولى التدريس فى الجامعة الأمريكية فى بيروت أو فى القاهرة . أما المسلمون فكثير منهم أمريكيو الثقافة ممن تلقوا دراستهم فى فرعى الجامعة الأمريكية السابقين ، أو ممن أتموا دراستهم الجامعية فى الولايات المتحدة نفسها ، وبعضهم قد اختير لما يتوسم فيه من القدرة على توجيه التفكير فى بلده ، كأن يكون أستاذا فى إحدى جامعات البلاد الإسلامية ، أو وزيرا للمعارف فى إحدى هذه البلاد ، أو رئيسا لإحدى الصحف بها . أما النذر القليل من الباحثين المسلمين الذين تبدو النزاهة فيما ألقوا من بحوث فقد استجلبوا لستر أهداف المؤتمر ، ليكونوا كنماذج البائع الغشاش التى يغطى بها بضاعته الفاسدة ليوهم المشترى أن كل بضاعته من ذاك النوع الجيد ، وليكونوا هم العسل الذى يستعان به على إخفاء مرارة الأباطيل ، والدسم الذى يخفى ما حشى به المؤتمر من سموم . على أن هؤلاء الأبرياء ممن تتصف بحوثهم بالنزاهة لم تخل كلماتهم من بعض الانحراف . فالأستاذ مصطفى الزرقا ـ وهو أحد القلائل الذين يتوسم القارئ خلال بحثهم الإخلاص ـ قد شغل نفسه بتبرير الأساليب العصرية السائدة مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة . فأخذ ينتحل لها الأعذار ويخترع الحيل لتخريجها ، مثل ما تجده فى ص ١٥٦-١٥٩ فى كلامه عن الحدود وعن الربا . والواقع أن الناظر فى بحث الأستاذ الزرقا يحس من خلاله روحه الإسلامية المخلصة التى تحاول أن تبرز مزايا الشريعة الإسلامية وتحببها إلى قلوب النافرين

منها ، ولكنه وقع فيما لا بد أن يقع فيه عند ما يلق بحثه فى مؤتمر غربى يتهم الشريعة الإسلامية بالجمود . فهو يحاول - عن حسن قصد - أن يشرح لهم مزايا الشريعة الإسلامية ويوضح لهم ما تنطوى عليه من إمكانيات . وطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يشرحها من الزوايا التى تلائم العقل الغربى المعاصر ، وأن يميل بقيمها إلى أقصى ما تحتمله النصوص نحو القيم الغربية ، وبذلك يقع فى الأحبولة التى دبرها له ولأمثاله الغربيون . فهو فى سبيل دفع تهمة الجمود التى يلصقها الغربيون بالشريعة ينحرف إلى أقصى الطرف المناقض فى بيان ما تنطوى عليه الشريعة من مرونة التطبيق حتى يبلغ بهذه المرونة حد الميوعة وانعدام الذات والمقومات ، التى تجعلها صالحة لأن تكون ذيلا لأى نظام وتبعا للأهواء ، وبذلك ينتهى إلى إلغاء وظيفة الدين ، لأنه بدلا من أن يقوم عوج الحياة بنصوص الشريعة يحتال على نصوص الشريعة حتى يبرر بها عوج الحياة المعاصرة ، وذلك واضح فيما ساقه فى ختام بحثه (ص ١٦٠) عن لجنة القانون المدنى المصرى الجديد ، وعن تخريج الأوضاع الاقتصادية السائدة على أسس الفقه الإسلامى .

ومن الطبيعى أن يرد على الذهن فى صدد هذه البحوث الأمريكية كثير من الأسئلة التى تحتاج إلى إجابة تشفى قلق النفوس ، من العالمين ببواطن الأمور . فالمسلمون من أعضاء المؤتمر يشغلون مناصب خطيرة : فيهم الوزير ، وفيهم السفير ، وفيهم الأستاذ الجامعى . وقد سافر بعض هؤلاء من أقصى المشرق (فى أندونيسيا مثلا) إلى أقصى المغرب (فى أمريكا) . وأقام هؤلاء فى أمريكا بضعة شهور يتنقلون بين ربوع الولايات المتحدة .

ولا شك أن هذه الأسفار ، لمن هم فى مثل مستوى الأعضاء المدعوين ، قد تكلفت نفقات طائلة ، يضاف إليها نفقات الإقامة الباهظة ، والحفلات والولائم التى لا بد أن تكون قد أقيمت فى كثير من المناسبات ، وما دفع إلى كثير منهم من أجور سخية عن البحوث والمحاضرات التى ألقوها خلال إقامتهم وتطوافهم . إذا نظر القارئ فى كل هذا ، أليس من الطبيعى أن يسأل : لأى هدف تنفق هذه الأموال ؟ وإذا لاحظ القارئ أن كل هذه البحوث تعالج مسائل إسلامية لا تعنى إلا المسلمين - وان آخر ما يرد على البال أن يكون المقصود بهذه الجهود الأمريكية هو فحص الإسلام ، تمهيدا للنظر فى اختياره دينا رسميا للولايات المتحدة الأمريكية - أليس من الطبيعى أن يسأل : ما دخل القسس الأمريكيين والدبلوماسيين الأمريكيين فى مشاكل الإسلام ؟

وإلى أن يقدم لنا العليمون ببواطن الأمور إجابة شافية عن هذين السؤالين ، لا بأس من أن نحاول نحن تلمس إجابة من بين سطور الكتاب .

فمن الأهداف الواضحة فى هذا المؤتمر العمل على إيجاد ألوان من الروابط والعلائق - باسم الصداقة والتعاون - تحمى المصالح الأمريكية فى البلاد الإسلامية من ناحية ، وتستغل فى تأليب شعوبها على روسيا من ناحية أخرى . يجد القارئ هذه الظاهرة شائعة فى الكتاب كله من أوله إلى آخره . يجدها فى التمهيد الذى كتبه الدكتور بايارد دودج مدير الجامعة الأمريكية السابق فى بيروت ، حين يشير إلى أن العلاقة بين المسيحية والإسلام كانت علاقة عداء ، وأن عليهما الآن أن يتحدا ليواجها المادية التى تحاول هدم الاعتقاد فى القيم الروحية (ص ١٦) . ويجده فى كلمة الدكتور ميلر بروز حين يتكلم عن القيم الروحية المهددة بالمادية والدنيوية (ص ٥٣) . ويجده فى كلمة الدكتور هارولد سمث عند كلامه عن التفكير الإسلامى الذى (لا يمكن إطلاقا أن يتفق والجبرية الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ ، اللذان يعتبران أساسين فى المذهب الماركسى (ص ٧٥) . ويجده فى كلام الدكتور جون كرسويل عن اتفاق المدنية الإسلامية والمدنية الغربية فى المثل الأخلاقية وفى الطبيعة الأساسية للأشكال الحضارية التى تتخذانها (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . ويجده فى كلمة الدكتور كنيث كراج التى تدور حول إبراز عناصر الإلحاد فى الفلسفة الشيوعية ، ولفت النظر إلى خطرها وإلى مطامعها التوسعية ، والتقريب فى الوقت نفسه بين الإسلام والمسيحية ، وإبراز نقط الاتفاق فى تعاليم الديانتين وروحيهما ، والتدرج من ذلك كله إلى اقتراح تعاون الإسلام والمسيحية فى درء خطر الشيوعية . (ص ٢٣٠ - ٢٣١) .

ولكن الدعوة إلى هذه الصداقة تتخذ شكلا خطيرا تخطئه اللباقة فى إخفاء المطامع الجشعة ، فى كلمة الدكتور جون كرسويل الملحق الثقافى السابق فى بيروت . فهو يعترف بأخطاء أمريكا وبأخطاء الاستعمار الغربى فى العالم الإسلامى ، محاولا أن يبعث الطمأنينة بهذا الاعتراف فى نفوس المسلمين . وبعد أن يشير إلى ما تستطيع أمريكا أن تقدمه من مساعدات اقتصادية ، وبعد أن يشير إلى ما يربط الإسلام والغرب من أواصر وما تلتقى عنده مثلهما من نقاط ، بعد ذلك كله يتجه إلى هدفه ، وهو التنبيه إلى خطورة المطامع الروسية ، واقتراح تنظيم هيئة مشتركة للدفاع عن هذه المنطقة ، مع ما يستلزمه ذلك من (البحث الجاد فى العدد والإمكانيات العسكرية لكل دولة من

الدول المتعاقدة . وإذا كانت هذه غير كافية فى الحروب الحديثة ، وجب أن تكون هناك مساعدة وتوجيه من جانب الغرب فى قيادة الجيوش وتدريبها وإعدادها (ص ٢٠٨ — ٢١٣) .

ومثل هذه المطامع الجشعة واضحة أيضا فى كلمة الدكتور تشارلز ماثيوز عضو قسم البحوث بشركة البترول فى الظهران ، الذى كان قبل ذلك ملحقا للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة — واعجب معى للصدف الغريبة التى ساقت أحد رجال وزارة الخارجية الأمريكية للعمل فى قسم البحوث بشركة للبترول فى قلب الصحراء . وقسم البحوث هذا شئ مريب تثير أعماله الشكوك وتدعو إلى التساؤل . فهذه الشركة — والمفروض أنها شركة للبترول فحسب — تقوم ، حسب ما قرره هذا الموظف المسئول فى كلمته ، ببحوث تاريخية وجغرافية واقتصادية وجيولوجية وطوبوغرافية وطبيعية وقانونية ودينية فى جزيرة العرب (ص ٤٦٠) . ويرسم قسم البحوث الخرط لمختلف المواقع ، ويتصل بالناس من مختلف البيئات ، ويمارس هذه الجاسوسية التى تخفى نشاطا حربيا مريبا تحت ستار البحوث العلمية (ص ٤٦٢) . وينقبون فى كل مكان من شرق الجزيرة العربية والربع الخالى ، ثم يزعمون أنهم يفعلون ذلك بقصد كتابة تاريخ لشرق بلاد العرب منذ أقدم العصور ، وأن دراستهم قد كشفت عن تشعب البحث ، مما يستغرق وقتا طويلا (ص ٤٧٧) . ألا يذكرنا كل ذلك بالخرائط والبحوث التى كان يقوم بها الجاسوس الإنجليزى المشهور لورانس ، والتى استغلت فى الحرب العالمية الأولى ؟ ومع ذلك كله تنتحل الشركة لنفسها صفة غريبة حين تزعم أنها مسئولة عن أن تصور للغرب ماذا كان العرب فى التاريخ ، ومن هم اليوم ، ومدى أهمية صداقتهم للعالم الغربى « الديمقراطى » (ص ٤٨٠) .

هذا هو بعض ما نقرأه فى سطور الكتاب مما ألقى فى المؤتمر ، وقد لا يكون فيه خطر كبير ، مادمنا يقظين ، ومادمنا نستطيع الاحتفاظ باستقلالنا الذى يمنعنا أن نكون ذيلا للشرق أو للغرب ، فهو دعاية كالدعايات التى تبذلها كل الدول ، محاولة كسب الرأى العام فى مختلف الدول إلى جانبها .

أما الجانب الخطر من أهداف هذا المؤتمر فهو فى الجهود المبذولة لهدم الإسلام ، أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الأمريكية والغربية ، فهذه الصداقة التى تريد

أمريكا أن تقيمها لتحل محل الصداقات الانجليزية والفرنسية التى تقلص ظلها عن هـذه المنطقة ، إنما يقصد بها أن تكون هى الحارس الذى يقوم على حماية مصالحها المتعددة فى الشرق ؛ بما تتضمنه من مواد أولية ومن أسواق ، هذه الصداقة المنشودة تريد أمريكا أن تملأ بها الفراغ الذى أكثرت من الحديث عنه فى هذه الأيام ، والمقصود بهذا الفراغ هو الصداقة التى أقامتها الدولتان الاستعماريتان المحتضرتان ـ فرنسا وانجلترا ـ والتى لا يزال سماسرتها أحياء يتلمسون الوسائل إلى الارتزاق على مائدة أمريكا بعد أن طويت مائدة انجلترا ومائدة فرنسا . هذه الصداقة المنشودة لا تقوم ـ إن قامت ـ إلا على أساس من المشاكلة والتفاهم المتبادل ، الذى تلتقى عنده وجهات النظر ، وتتقارب فيه الطباع والأمزجة ، وهذه المشاكلة لا تقوم إلا بتقارب القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وهذه القيم لا تتقارب ما دامت الشعوب الإسلامية تعيش على قيم ثابتة تخالف قيم الغرب ، وهى قيم الإسلام فلا بد إذن من أحد حلين : إما أن يحى هذا الإسلام بتشكيك الناس فيه وفى قيمه وفى الأسس التى يستند إليها ، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد ، وبحيث يفقد سيطرته على مسلك الأفراد فى حياتهم الاجتماعية ، وذلك عن طريق إقناع الناس بأن الدين شىء ومشاكل الحياة شىء آخر ، وإما أن يخضع هذا الإسلام للتطور بحيث يصبح أداة لتبرير القيم الغربية ، ولتقريب ما بين الشعوب الإسلامية وبين الغرب ، وهذا الطريق الأخير يكشف عن قوة هائلة لا يغنى غناءها شىء ، إذا أمكن استخدامها كأداة لتحقيق الأهداف الأمريكية فى إقامة علاقة ثابتة من الود والتفاهم [١] . على أن الأسلوب الأول بشقيه ـ هدم العقيدة من ناحية ، ومحاصرتها من ناحية أخرى ـ هو أصلح تمهيد لإقناع المسلمين بتطوير قيم الإسلام . فهذا التطوير لا بد ـ لكى يثمر ثمرته المرجوة ـ أن يحدث بأيدى المسلمين أنفسهم ، وهم لا يفعلونه إلا إذا ضعف يقينهم بالإسلام . فاعتقدوا أنه يتعارض مع حاجات الحياة من ناحية ، أو تعودوا إهماله وعدم التقيد بالتزام قواعده فى شئون الحياة من ناحية أخرى ، اقتناعا منهم بأن دائرته لا تتجاوز شئون العبادات ، ولا تتعداها إلى المعاملات .

ونحن نجد صورا من كل هـذه الأساليب الهدامة فى مقالات الذين شاركوا فى هذا المؤتمر .

---

[١] راجع كلام جوستاف فون جرونباوم فى هذا المعنى ص ١٩٢ - ١٩٣

أما الدعاوى الهدامة التى يقصد بها إضعاف الثقة فى الإسلام، تمهيدا للقول بضرورة إعادة النظر فيه وتطويره ، فأنت تجدها فى مثـل مقالة القسيس ميلر بروز ، حين يطالب بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحيـاة الآخرة موضع البحث ، وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديثة التى تقوم على الحدس ، والتى تخضع هى نفسها للتغيير والتبديل . وهو بذلك يجعل التدين مسألة ذوقية وهمية ، ليس لها وجود حقيقى فى خارج نفس صاحبها الذى يتذوقها (ص ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩) . بل هو يتطاول إلى أبعد من هذا فيتحدث عن أسلوب الله سبحانه وتعالى فى العمل ، يريد أن يجعله موضع البحث والنظر (ص ٤٩) . وتجد هذه الدعاوى الهدامة كذلك فيما يسوقه هذا القسيس من مزاعم لا ترقى لأكثر من منزلة ما يسمونه الفروض العلمية ، يسوقها على أنها حقائق ثابتة قد فرغ من صحتها وسلامتها ، ويقارن بينها وبين بعض الآيات القرآنية ، ليوهم بأن ما جاء به مخالف للواقع ، وليرقى من ذلك إلى القول بأن الوحى ينزل بمـا يلائم الزمان والمـكان ، ولذا فهو فى حاجة إلى المراجعة والتصحيح الدائمين (ص ٤٦ – ٤٧) . وتجدها كذلك فى مثل ما يزعمه القسيس هارولد سمث من أن جميع الصياغات اللفظية نسبية ، ومن ثم فهى غير معصومة ، ويجب تعديلها بين حين وآخر (ص ٧٤) .

أما محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات ، وإلغائهـا فى المعاملات التى يقوم عليها تنظيم المجتمع ، فأنت واجـــدها فى مثل عرض القسيس هارولد سمث الجـذاب الخادع لمـا يسميه (نظرية ضيا كوك ألب فى فصل الدين عن عن الدولة) . وضيا كوك ألب هذا – كما يقول القسيس الأمريكى – هو (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) « ص ٧٠ – ٧٣ » . وتجدها كذلك فى مثل قوله فى نهاية بحثه (إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة ، دون أن يؤدى ذلك إلى محافظة متعصبة تجرح وتبطل أى فـكرة أو نظرية جديدة ، على أساس أنها معارضة للمبادئ الدينية المصطلح عليها أو العرف الدينى المألوف ، ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصبية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية ، لو أمكن هـذا كله لـكانت هذه الصلة قوة حقيقية فى المجتمع ... وفى رأيى أن على المخلصين والوطنيين من قادة المسلمين أن يزنوا أدق الوزن ما لهذا الموضوع وما عليه ، قبل أن يبرموا قرارهم فى شكل متحجر يصبح من العسير نقضه – ص ٧٧) اهـ

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

« يتبع »

لغويات

استلف واستسلف

عرضت فى مقال سابق فى « لغويات » لصيغة « استلف » الشائعة فى ألسنة الناس. وكان الأستاذ الجليل الريدىّ أنكرها إذ لم ترد فيما وقف عليه من المعاجم ، وإنما الوارد فيها استسلف وتسلف . وذكرت هناك أن « استلف » جاءت فى أساس البلاغة للزمخشرىّ فهى لذلك غير منكرة تنتفى عنها هجنة العامّية ، وتحل مع أختيها فى المكانة .

وقد تفضل الأستاذ الكبير الشيخ القبانى فعنى بهذا المبحث ، وكتب فى هذه المجلة الكريمة (جزء رجب ١٣٧٦) مقالا فيه . وهو يرى أن استلف تؤدّى مالا تؤديه استسلف وكلتاهما صيغة قياسية لا تحتاج إلى سماع ، وقد فاته أن المعنى الذى يؤديه الناس بالاستلاف يؤدى بالتسلف فيما ورد فى القاموس واللسان والمصباح ، فلا يضر اللغة ألا يكون فيها استلف .

والذى يستحق التعليق والتعقب من بحثه هو أن الصيغ التى تحدث بالزيادة قياسية . وأذكر هنا نبذا من كلامه يبين فيه غرضه وما يراه فى هذا المقام : « والذى ألاحظه على الأستاذين الفاضلين الريدى والنجار أن كلا من استلف واستسلف صواب فى موضعه ، وأن استلف غير استسلف ، مثل اقترض واستقرض . فمعنى الأولى أنه أخذ قرضه وأخذ سلفة ، وأما الصيغة الثانية ذات السين والتاء فمعناها : طلب سلفة وطلب قرضة . فصيغة افتعل صحيحة فى بابها ، وصيغة استفعل كذلك صحيحة فى بابها قياسية كل منهما فى معناها فلا نصوّب واحدة بأخرى ؛ لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد حتى نصحح واحدة ونخطئ الأخرى ، بل هما صيغتان صرفيتان لمعنيين مختلفين متقاربين » .

فانظر كيف يرى الأستاذ أن صيغتى الافتعال والاستفعال قياسيتان أى أنهما لاتحتاجان إلى سماع عن العرب ، وعلماء العربية يرون غير هذا . فالرضىّ فى شرح الشافية ١ / ٨٤ يقول : « والأغلب فى هذه الأبواب ألا تنحصر الزيادة فى معنى ، بل تجىء لمعان على

البدل ؛ كالهمزة فى أفعل تفيد النقل والتعريض وصيرورة الشىء ذا كذا . وكذا فعّل وغيره وليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك أن تقول مثلا فى ظرف : أظرف . وفى نصر : أنصر . ولهذا رد على الأخفش فى قياس أظن وأحسب وأخال على أعلم وأرى . وكذا لا تقول : نصّر ولا دخّل . وكذا فى غير ذلك من الأبواب ، بل يحتاج فى كل باب إلى سماع اللفظ المعين ، وكذا استعماله فى المعنى المعين ، فـكما أن لفـظ أذهب وأدخل يحتاج فيه إلى السماع ، فـكذا معناه الذى هو النقل مثلا . فليس لك أن تستعمل أذهب بمعنى أزال الذهاب أو عرّض للذهاب أو نحو ذلك » . ويقول ابن جمـاعة فى حاشيته على شرح الجاربردى للشافية ٤٥ فى الـكتابة على قول ابن الحاجب : وأفعل للتعدية ... « واعلم أن المعانى المذكورة لهذا البناء وغيره ممـا سيأتى يسمع ويحفظ ، وليس شىء منها مطردا ، وهو نظر لغوى » . وقـــد بحث المجمع اللغوى بالقاهرة قياسية بعض الصيغ فى حدود وقيود ، ولا أعلم أحدا أطلق الأمر فيها ، كما يرى الأستاذ القبانى .

وقد جاء فى كلام الأستاذ : « كما أن المعاجم إذا أهملت ذكر بعض الصيغ فى مادة لا يقتضى ذلك أن الصيغ القياسية الصرفية التى أهملت ذكرها لا تـكون صحيحة فى ذاتها لعدم ذكر المعاجم لها . وإلا لمـا كان هناك حاجـة إلى علم الصرف وقواعده » . وهذا كلام حق فالصيغ القياسية لا تتوقف صحتها على ورودها فى المعاجم ، وهذه الصيغ كأسماء الفاعلين والمصادر القياسية ، وتأنيث ما ورد مذكرا من الأوصاف ، فأما صيغ الأفعال الناشئة بالزيادة على الثلاثى كالافتعال والتفعل فليست قياسية كما سبق لك ، فلا يعتمد شئ منها إلا إذا ورد به السماع ، خلا ما ترخص فيه المجمع اللغوى وما أجازه بعض النحويين كالتعدية بالهمزة أو التضعيف ، وليس هذا موطن ذكره .

وكنت قد عرضت فى بحثى السالف لمـا جاء فى مستدرك التـاج : « استلف من أعرابى بكرا » وقلت : إن استلف فيه محرفة عن استسلف كما ورد فى النهاية التى هى مصدر التـاج ، والمسألة مسألة رواية ، فردّ الأستاذ القبانى أن كلتا العبارتين صواب ، وقد علمت أن العبارتين لا تستويان فى السداد والصواب إلا إذا استوتا فى السماع عن العرب ، وأن البحث فى الرواية ، فكان عليه أن يتحرى ورود استلف وصحتها .

وورد فى أثناء كلام الأستاذ كلمتا قرضـة وسلفة للـمال المـأخوذ قرضا أو سلفا ولم أقف عليهما فى اللغة . وورد فيه هذه العبارة : « لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد »

وأحسب أن الصواب : « تردا » ومجازه أن تؤول الصيغتان باللفظين ، وإذا استساغ العربيّ أن يقول : جاءته كتابى يريد رسالتى ساغ لنا هذا التأويل ، وإن لم يكن لنا ما للعرب ؛ والخطب ـ كما يقولون ـ سهل . والله الموفق للسداد .

محمدْ بنْ محمود

يكثر هذا فى أعلام إخواننا فى شمالىّ افريقية . فسلطان مرّاكش هو محمد بن يوسف وتسمع : محمد بن عبود بكسر البـاء . وهذا تحريف تأباه العربية . وهو خطـأ قديم نبه عليه ابن كمال باشا مفتى القسطنطينية المتوفى سنة ٩٤٠ . فقـد جاء فى رسالته (التنبيه على أغلاط الجاهل والنبيه) : « ومنها (الابن) . يقطعون ما قبل الابن الواقع بين العلمين عنه ، ويكسرون باءه مبتدئين بها ، ويسكنون آخره ، فيقولون : أحمد بن محمد مثلا . وقد شاع هذا بين النـاس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخـاصة أيضا لاعتياد الألسن له . والوجه الوصل ؛ إذ لولاه لمـا سقطت الهمزة » .

وكأنّ هذه الصيغة فى الابن تسربت إلى لسان أهل المغرب من اليهود ؛ وهم هناك كثير ، فمن لغتهم العبرية بن فى ابن ، ومن ذلك بنيامين ؛ فهو عندهم علم أصله بن يامين أى ابن (١) اليمين . وهو فى الأصل علم شقيق يوسف عليه الصلاة والسلام . قيل : سماه أبوه يعقوب عليه الصلاة والسلام إذ كان ابن زوجـه راحيل وكانت أثيرة لديه بمنزلة يده اليمنى ، فهذه الصيغة جرت فى لسان أهل المغرب ثم انتقلت إلى لسان الترك ، وكانوا على صلة وثيقة بافريقية .

كوّيس

يجرى هذا الوصف ومؤنثه كوّيسة على ألسنة الناس فى الوصف بالجودة ونحوها من أوصاف الاستحسان . وهو تصغير كَيّس وصف من الـكَيْس وهو الظرف والعقـل . وترى أن عينه ياء فكان الوجه أن يقال : كُيَيِّس . ويخرّج على مذهب الـكوفيين الذين يجيزون قلب الياء فى مثل هذا واوا لمكان الضمَّة قبلها ، فيقولون فى تصغير عَيْن : عُوَينة وفى تصغير شَيْخ : شُوَيخ ، وفى تصغير بيت : بُوَيت

---

(١) انظر الجاسوس على القاموس ٣٩٩ .

وترى أن الناس توّسعوا فى معنى الـكَيْس فى كويّس ، فأطلقوه على كل معنى يُحمـد ويرغب فيه . وهذا التوسع قديم . فقد جاء فى الباب التاسع من كتاب الحمق والمغفلين لابن الجوزىّ قصة إمام كان يطيل القراءة فى الصلاة ، فـكره الناس ذلك ، وطلبوا منه التخفيف ، فاستجاب فـكَبَّر وقرأ الحمد ، ثم فـكَّر طويلا وصاح بهم ، أيْش تقـولون فى عَبَس ؟ فلم يكلمه أحـد ، إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلا فانه قال : كيِّسه ، مرّ فيها .

محمد على النجار

تراث إسلامى

فى رجاء إلى باعث القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر

إنه تراث الشاعر الكبير المرحوم أحمد محرم ، فى الأدب والشعر ، وفى سبيل الأمجاد الإسلامية بخاصة ، هـذا التراث الذى التهم من عمره أكثر من نصف قرن ، والتهم من حياته كل ما ظفر به بعض زملائه من رغد العيش ، ومن الأمن والدعة ، ومن المـكانة التى لم يكن لهم إليها من سبيل غير ما غرف عنه محرم .

لقد تفرّد الشاعر بالوفاء لنفسه ووطنه وشعره ودينه حتى آخر نفس فى الحياة ، وكان الشاعر الوحيد الذى سبق عجلة الحوادث فى مصر بنصف قرن يوم هاجم فى قوة وصراحة الملكية والملوك ، وندد بالرتب والألقاب ، فقال فى عام ١٩٠٨ :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفا ويزعم أنهم شرفاء
رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء !

ولعل هذا الموقف ــ وغيره كثير فى حياة الشاعر ــ هو الذى جنى عليه وعلى شعره ؛ فعاش ومات دون أن يحفل بتراثه .

فهل لى أن أقدم على صفحات « الأزهر » إلى قائد الثورة المباركة ، وباعث القومية العربية المظفر ، الرئيس جمال عبد الناصر ، رجائى فى أن يتم هذا الفضل على يديه ، حتى تحقق باذن الله هذه الغاية . إنى أرجو وأؤمل ، والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ...

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

مضى !

ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ !

زمن الشباب يمر سريعا ، كأنه حلم لذيذ ، تعقبه حقيقة اليقظة ، وهى الرجولة الكاملة ، يزداد فيها المرء خبرة وحنكة ، وسدادا فى الرأى ، ومضاء فى العزيمة ، ويلفى نفسه محوطا بكثير من المشاكل والأفكار والأسرار ، تلك التى تزيده رغبة فى كشف غوامضها ، وهتك أسرارها ، ومهارة فى سبر أغوارها ، ثم استكناه كنهها ، والوصول إلى معرفة حقائقها : يدق إحساسه ، وينمو إدراكه ، فيوازن بين أعماله فى نزوات الشباب وبين أعمال الرجال الناضجين السابقين منهم واللاحقين ، وسرعان ما ينجم عن هذه المقارنة احتكاك يقدح زناد فكره ، فيلقى على عقله نورا ، ويبعث فى جسمه نشاطا ، حيث يخوض معمعان الحياة بهمة عالية ، وعزم ثابت ، ويسير وئيدا ، ولكن بخطى متئدة رزينة صوب المجد والسؤدد ، ويدّرع بالصبر فى ميدان الجهاد ، ولكن الشعور بالفوز لا يفارق يقينه : يغالب الصعاب فيغلبها ، ويصارع الشدائد فيصرعها ، وما هى إلا أن يقف على أطلال من أنقاضها المتداعية ، وقد أخذته نشوة النصر والظفر ـ وهل ثمة أشهى من الظفر بعد طول الجهاد ـ ! يلوح بكلتا يديه فى الأفق إشارة العظمة الحقة ، التى يستمد مقوماتها من أعماق نفسه ، ويلتمس أسبابها من شغاف قلبه ، ثم تنفرج شفتاه عن ابتسامة الراحة والاطمئنان والاعتداد بالنفس ، ويختلج صدره بكلمة لا يقوى على احتباسها ، يدفعها إلى فيه فتخرج حارّة مدوّية تشق أجواز الفضاء : هنيئا للصابرين ! وعلى الفور يسمع لحنا شجيا يملك عليه مشاعره ، ويهز نفسه هزا ، فيلتفت يمنة ويسرة ، كأنه يحاول أن يعرف مصدره ، فيستجلى فيه هذه الروعة وذياك الجلال ! ولكن على غير طائل . وإذا بصوت من نفسه يناديه ـ وفر عليك بحثك ، هذا لحن العصاميين يوقعونه على أوتار قلوبهم : ـ

لنستسهلن الصعب أو ندرك المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر ! !

ولعمر الحق ان أكبر مسئولية تقع على المرء ، إنما تكون عند استكمال أسباب الرجولة ، وفى فترة العمر الواقعة بين الشباب والهرم ، إذ تتزاحم عليه الواجبات الخاصة والعامة ، وتتنازع جهوده مطاليب الحياة ، وتتجلى أمام عينيه حقيقة هامة لا يستطيع أن يغض طرفه عنها ، وهى أنه ــ وإن كان رجلا حرا طليقا تجاه نفسه ــ فانه مقيد تجاه غيره بقيود وقوانين عامة . لا يسوغ له التحلل منها ، ولا انتهاك حرماتها .

وفى غضون تلك المرحلة من العمر تبلغ عواطف المرأة نهاية الارتقاء ، وفى مقدمتها تلك العاطفة الشريفة نحو الحياة الزوجية ، وتكوين أسرة تشكل لبنة فى صرح الوطن الشامخ العتيد ! ولا يلبث الزواج أن يثمر ثماره الحلوة ، تتدلى من غصون هذه الشجرة المباركة ، زينة وبهجة ومسرة للوالدين . نظرة إليها تنسى الناظر آلام نفسه ، وتمسح عن فؤاده آثار الهموم ! يرى الرجل أولاده ينعشون أمله ، فيشعر أن كبده هى التى تدب على الأرض ، حيث يردد قول القائل :

وإنما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشى على الأرض

* * *

ليت شعرى ــ ألا توجد فى حياة كل رجل أوقات يخطر بباله فيها أن نفسه إنما هى قبس من نور عظيم سام ، وأنه كلما ازداد اقترابا من قصده ، حيث السمو النفسى ، والكمال الروحى ، والشجاعة الأدبية ، قرب من موطنه الأبدى ، حتى كأنه صار أليف الملائكة ؟ ! .

إن قوة القريحة ، وصلابة الإرادة ، وثبات الرأى ، هى أفضل ما يؤيد الرجل فى مرحلة الرجولة ، ويجعله يدوس الصعوبات والأخطار ، كما يدوس الفتى كومة الهشيم إلى طلب ما يتمناه ! !

فالإرادة هى هى التى تجعل الرجل جبارا ، وهى نفسها التى جعلت « خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » مثلين رائعين للشجاعة والبطولة ، ومن « با كون » ساير أغوار الطبيعة ، ومن « بيرون » مؤدب العواطف ، ومن « الشهداء » سادة الموت ! !

وإذا ما تنسم الإنسان ذروة الرجولة الكاملة ، وأطل على أحلام الصبا وآمال

الحداثة، يراها مسرعة فى التوارى عن الأنظار ، كما تتوارى الأشباح ، فلا يعود يرى لها أثرا ، ولا يسمع صوتا ، وتنسيه مسرات المعيشة البيتية مرارة فراق أحلام لذيذة مضت مع يقظة الإغفاء !

وعلى هذا الحال يدرج الرجل من الرجولة إلى الشيخوخة ، وهو يردد كلمة «مضى» ! تلك التى حوت كل معانى الحكمة والفلسفة ، ينتقل من طوره الأول إلى الثانى ، كما ينتقل شبح الخريف الجميل بخطوات متثاقلة ، ليسقط فى ضريح الشتاء البارد !

مضى ! ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ أجل ! إن فى هذه الكلمة عوالم من المعانى لا يجمل بعاقل أن يتغافل عنها مهما جمت مشاكله ، وتنوعت شواغله !

مضى زمن الطفولة العذب ، وتبعه زمن الحداثة بنضارته ومسرته ، وصحته ولهوه ، وأسباب نعيمه وأنسه ! مضى ومضت معه ابتساماته التى كانت كلمحة من برق السماء ! ومضت معه أيضا كل دموعه التى تقطرت من كؤوس أفراح الحداثة !

مضى زمن الصبا والشباب بكل آماله وأحلامه ، ومضت أعوامه التى كانت تعد كاللآلئ والدرر !

مضى زمن الرجولة بكل ما فيه من قوة العزم وروح الإقدام ! ودب اليأس والتراخى إلى القلب فأوهنه ، وسرت عوامل الانحلال فى الجسم ، فاحدودب الظهر ، وتجعد الوجه، وصار يحكى لوحة سجلت أحداث الزمن حينا من الدهر ، وزاغ البصر ، وتلاشت أسباب البطولة ، ولم يعد هذا الجسم النحيل يقوى على النهوض إلى العلاء ، حيث الطريق أصبح منحدرا ، يهبط فيه إلى أسفل الأكمة ، ولا مناص من مواصلة السير انحدارا ! وقد لاحت جموع الشيب فى الرأس تضحك شامتة من هذا الأسد الهزيل ، الذى خفت صوته ، بعد زئير يصم الآذان ، وبعد أن كان يملأ الدنيا حركة ونشاطا !!

مضى وتوارى ذلك الجيش الجرار ، جيش الأسابيع والأشهر والسنين الذهبية !

مضى أصحاب الرأى ، وأهل الفضل ، ومن كانوا يؤازرون الضعيف ، ويوادون الفقير ، ومن كانوا مفخرة الزمان ، وعقد الجمان فى جيد الأيام ! ذهب الواحد منهم على

أثر أخيه فى سفر طويل ، وسيقتفى أثرهم أبناء هذا العالم مكرهين لا طائعين ، وما الحياة الدنيا إلا كالكرة الهوائية التى تنشئها فقاقيع الماء ، لا تستكمل استدارتها حتى تنفجر !

مضى مضاء الفكر ، وأصبح يضطرب كالشمعة قبل أن تنطفئ ! ومضى زمن الصبا ، ولن تفلح الذاكرة فى إعادة طيفه إلا لماما !

كل هذا قد مضى ، ولم يبق إلا الحسرة تحز فى النفس ، وتغص فى الحلق ! !

نعم قد مضى كثير ، ولكن مهما يمضى من الحياة وأفراحها فلن ينتابها الفقر ، لأن مستودعها غنى لا يفرغ ، ومعينها غزير لا ينضب . فاذا كان الكثير قد مضى فالباقى أكثر . ولئن كانت أحلام الحداثة والصبا والرجولة قد اندثرت ، فلا تزال أحلام الشيخوخة باقية . أليس هذا الشيخ يجلس فى هدوء وحكمة ، ومن حوله أسرته وأهله ، حيث يرى صورته فى أولاده وأحفاده ، الذين يبدأون نفس المرحلة التى اجتازها قبلهم ؟!

أليس يرى فى شيخوخته عرائس أفكاره التى تمخضت بها ذاكرته ، فيجد فى نفسه قناعة عن العالم الذى يزايله قريبا ، وشوقا إلى العالم الذى يسير إليه وئيدا ؟!

على أن الشيخوخة المثقلة بمتاعب السنين ، المكلل جبينها بشرف الجهاد والانتصار فيه ، والتى كان يجب أن تأخذ قسطها من الراحة والهدوء بعد هذا العناء الطويل ، لا تنجو من تحمل الآلام : فان الهموم والمصائب والأحزان من جملة الميراث الذى ينتهى إلينا ، خلفا عن سلف ، فاذا لم تداهمنا فى ربيع العمر أو صيفه ، فلا مناص من أن تنيخ علينا بكلاكلها فى خريفه أو شتائه !

ولا غرو ، فهى الضريبة التى يجب أن تدفعها البشرية ، فى مقابل مسرات الحياة وملذاتها ! ولا بد من الموازنة ، فان للطبيعة موازين عادلة جدا . وإذا هبت الريح من الشرق ، فعلى أثرها تهب الأخرى من الغرب . وكل ابتسامة تولدها مسرة ، لها ما يقابلها من دمعة تولدها أحزان !

هى الأمور كما شاهدتها دول   من سره زمن ساءته أزمان ! !

محمود ابراهيم طيره

خالد بن الوليد

بعد عهد النبوة الكريم

كان خالد بن الوليد منذ دخل الإسلام سيف الله المسلول على أعدائه ، يضعه سبحانه حيث يشاء ، فلا يؤوب إلا بما يرضى الله ورسوله والإسلام .

ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فكان أول ما منى به الإسلام تلك الردة المشئومة ومنع الزكاة ، ولكن الخليفة حامى الإسلام وصاحب اليد الطولى فى حفظ كيانه أبا بكر الصديق لم تأخذه هوادة فى الغلظة على هؤلاء الذين شاقوا الله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين حتى رد الله سبحانه للاسلام كرامته ومنحه الخلود .

وكان خير عضد له فى الجهاد خالد بن الوليد الذى تيمن فيه نظرات الرسول صلى الله عليه وسلم واستن فيه سنته ، فكان جلدة بين العين والأنف له [١] ، وكان عضده وساعده يرمى به ذات اليمين وذات الشمال فيقضى به على كل جبار عنيد .

المرتدون ومانعو الزكاة

ثلاث جهات كانت أخطر شىء على الإسلام لو تركت وشأنها ، أو تهاون المسلمون فى أمرها . فلولا أبو بكر ومواقفه لعاد الناس إلى جاهلية ، ولقضى على الإسلام ، وهى موقفه من طليحة الأسدى وقومه ، ومالك بن نويرة وجماعته ، ومسيلمة الكذاب .

فأما طليحة الأسدى فقد كان رجلا من بنى أسد تنبأ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع حين علم بمرض النبى صلى الله عليه وسلم ، فطمع أن يكون نبيا بعده ، وتبعه كثير من أسد وعبس وذبيان .

توجه خالد بجيشه حيث وجهه الصديق إلى ذلك المعتدى الأثيم ومن تبعه ، ودارت الحرب على قتال شديد عنيف استبسلت فيه تلك القبائل حتى كادت توقع بجيش المسلمين الذى يكثر فيه قوم دخلوا فى الإسلام بطاء ، وقد لا يعنيهم أمر الإسلام كما يعنى كبار الصحابة الأولين ، من الأنصار والمهاجرين ، ولكن خالدا المؤمن الصادق رمى بنفسه بين أحضان

---

[١] يراد بهذا التعبير رعايته له ومحافظته عليه كالجلدة التى بين العين والأنف .

الأهوال ، واستصرخ جند الله لانقاذ دين الله ، فأنزل الله عليه وعليهم سكينته وأيدهم بنصره فظهر كذب طليحة وخذله شيطانه وفر من الميدان ، ثم نكل خالد بكل معتد ممن حوله ومثل بهم كما كانوا يمثلون بالمسلمين .

على أن طليحة رحمه الله أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى مات شهيدا فى حروب الفرس ، وأقام خالد بعد ذلك يتتبع بقايا الرجس ويأخذ الصدقات ويدعو إلى الله على بصيرة .

وأما مالك بن نويرة : فقد كان رجلا من تميم ، وكانوا قد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فأسلموا ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فلما توفى النبي صلوات الله عليه وعلى آله منع الزكاة وخرج على الإسلام وقال شعرا يهجو فيه المسلمين ويظهر عدم مبالاته بهم .

فلما فرغ خالد من أمر طليحة سار إليه فنزل بمكان يقال له البطاح ، ولكن مالكا فرق قومه ولم يعبئ جيشا ، فبث خالد سراياه فيهم ، وأمرهم بدعوتهم إلى الإسلام وإحضار من لم يجب وقتل من امتنع .

ثم جاءت السرايا بمالك فى نفر من قومه بنى ثعلبة ، وشهد بعض الصحابة بأنهم أذنوا ، وقال بعضهم إنهم لم يؤذنوا ، فلعل أصواتا اختلطت عليهم .

ومهما يكن فقد أمر خالد بهم فحبسوا ، ثم بعث مناديا ينادى : دافئوا أسراكم ، كان ذلك فى ليلة شديدة البرد ، ولكن الله إذا أراد شيئا كان ، فقد ثبت أن المدافأة فى لغة كنانة القتل ! وقتل الأسرى وفيهم مالك بن نويرة ، وغضب بعض كبار الصحابة لذلك التصرف ممن شهدوا بأنهم مسلمون لأنهم أذنوا ، وأبلغوا الأمر إلى الخليفة ، واستدعى الخليفة خالدا واعتذر إليه بالخطأ فى القتل .

وقد تناول الناس فى هذا المقام مسألة وهى أن خالدا تزوج امرأة مالك بعد قتله ، ولكن كيف ذلك ؟ وهو لا يزال فى قتال يصرف كل إنسان عن أخص شئونه ، وقد تحوم الشبهة حوله ، ولا سيما عند من جزموا بأن مالكا رجع إلى الإسلام .

والفصل فى ذلك أن سيف الله غير مؤاخذ إلا من جهة أنه كان الأولى أن لا يسارع إلى الزواج فى تلك الحال ولهذا أمره أبو بكر بطلاقها .

فأما من زعم أن خالدا لم يقتل مالكا إلا لجمال امرأته حتى يتزوجها فمن أعظم

القوى ، ألا ترى أنه لو كان هذا المعنى الذى يوهن العزم قائما فى نفس خالد ما فتح الله له كل هذا الفتوح ، ولافتتن بنساء الفرس أو الروم ، ولعرف له معهن شيء من الصبوة ولو شاء قائل أن يقول إنه تزوجها بعد قتل زوجها جبرا لـكسرها بفقد هذا الزعيم الذى لا تعوضه لـكان قولا حسنا مقبولا .

وأما مسيلمة الـكذاب فقد كان من بنى حنيفة الذين وفدوا أيضا على رسـول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام وخلفوا مسيلمة فى رحالهم لحفظ ظهرهم ، فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم كواحـد منهم ، فلما رجعوا إليه ادعى النبوة ، وأحل بعض المحرمات ، ووضع بعض المفروضات فاتبعوه وظاهروه . ولمـا توفى النبى صلى الله عليه وسـلم عظم خطره واستشرى فساده وكثر أتباعه ، فأرسل إليه أبو بكر رضى الله عنه خالدا بعد أن قاتله جيشان من المسـلمين فانهزما ، لأن بنى حنيفة قوم أولو بسالة خارقة حتى قالوا إنهم المعنيون بقوله تعالى : « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » وهم كانوا يقاتلون فى بلادهم التى هم أعلم بشعابها وطرقها ولم تنهكهم الحروب كما نهكت المسلمين .

خرج إليه مسيلمة فى أربعـين ألف مقاتل من أولئك الجبارين ، فنظم خالد الجيش تنظيما محكما ، واستعان الله سبحانه واستنصره بمـا عوده ، والتحم الجيشان واشتد القتال ثم خرج خالد بنفسه ودعا إلى البراز ، فكان لا يبرز أحد إلا قتله ثم طلب مسيلمة نفسه حتى لا يطول أمد الحرب واحتال لقتله ثم أعمل المسـلمون السيف فى هؤلاء الجبارين حتى قتلوا منهم نحوا من واحـــد وعشرين ألفا ، وكان عدد القتلى من المسلمين يبلغ ألفا ومائتين فيهم كثير من القراء وكبار الصحابة ، وكان فضل الله على المسلمين عظيما بهزيمة هؤلاء المجرمين وخضد شوكتهم فقد كانوا من أسوأ الخطر .

وأما البطل الفاتح فقد أقام يصلح أمر المسلمين بواد من أودية اليمـامة حتى أتاه أمر الخليفة بالتوجه لفتح العراق .

غزو الفرس

قد يطول بنا القول إذا نحن حاولنا أن نشرح ما قام به خالد فى فتح العراق وما جرى له تفصيلا وما صنع القدر له من الأعاجيب ، ولكن لا بد من الإشارة إليه إجمالا حتى تتصل حلقات التاريخ . وحسبك أن تعلم أنه استطاع فى زمن وجيز أن يتوغل فى تلك البـلاد ويجوس خلالها بعد أن قطع لها طرقا لا يقطعها الخرّيت حتى ينقطع و يهلك ، وهى طرق لم تـكن مسلوكة ولا جرأة لأحد على السير فيها لعدم المـاء ، ولـكنه احتال

بما أراه الله أيضا حتى وصل إلى جيوش الفرس وما أكثر عددهم وما أفتك عددهم ، فصار يهزمهم هزائم تلو هزائم حتى وصل إلى صاحبه عياض بن غنم الذى سيره أبو بكر من الجانب الآخر ، وانتهى الأمر فى ذلك الزمن الوجيز بهزيمة الفرس هزيمة منكرة .

ومن الفرس ؟ لقد كانوا ينظرون إلى العرب نظرة السادة إلى العبيد ، وينظر العرب إليهم منذ عهد الجهل والجاهلية نظرة العبيد إلى السادة يتراءونهم كما تتراءى الكواكب فى السماء . فالفوارق كثيرة أى كثيرة ، والمميزات خطيرة أى خطيرة ، فقد أوتى الفرس من الإمكانيات والمادة والحضارة والمعرفة ما يجعلهم يستخدمون كل شىء ويتمتعون بكل شىء كما يستخدم الأوربيون ومن على شاكلتهم اليوم كل شىء وينتفعون بكل شىء حتى بالبدائيين من الآدميين .

هؤلاء الذين كانوا ينظرون إلى العرب تلك النظرات ، وكان العرب ينظرون إليهم تلك النظرات ، وكان كثير منهم حتى هذه الحرب ينظرون إلى جيش المسلمين وهم فى طعامهم ما يحفزون لهم ولا يبالون بمقدمهم لما فى نفوسهم من الماضى القديم .

هؤلاء الفرس الذين لم يتبينوا ما صنع الإسلام بأهله ، وما رفع من مستوى المستمسكين به ، منذ وجههم الى النفس الناطقة وتزكيتها ، والروح العلوية ومزاياها وخاصتها ، فآمنوا بالله ورسوله ، وعرفوا معانى الإحسان والفضائل ، وعشقوا معالى الأمور ، فاحتقروا المادة وكل ما يحف بها إلا وجه الله وما والاه وعالما أو متعلما .

هؤلاء الفرس وهؤلاء العرب هم الذين اقتتلوا فانتصر العرب فى زمن وجيز ، نصرهم الإسلام والتمسك بتعاليمه ، والإيمان بالله والاعتزاز به والتعلق بأسبابه ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

والروم أيضا !

فقد كان أبو بكر رضى الله عنه جند الجنود لغزو الروم ، وفى أثناء فتح العراق ، فعقد الألوية لأربعة من كبار الصحابة وأرباب القيادة : يزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل ابن حسنة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ولكنهم وجدوا جيوشا كجنح الليل وعددا لا قبل لهم بها إلا أن يتداركهم الله برحمته . فكتبوا بالأمر لأبى بكر رضوان الله عليه ، فقال أبو بكر : خالد لها والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد ، فكتب إلى خالد أثناء مقامه بالحيرة من أرض الفرس أن يسير إلى الشام

لإغاثة المسلمين ويخلفه على العراق المثنى بن حارثة ، فما اعتذر بطول جهاده ولا كثرة عنائه فى جلاده ، وإنما كان الجندى المطيع الذى يلتمس اليمن والبركة والتوفيق والنصرة فى طاعة رئيسه الإمام العادل ، وكان جيش القوم الكافرين يبلغ مائتين وأربعين ألفا مقابل أربعين ألفا فقط من المسلمين ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

كان ما لقيه خالد فى طريقه إلى الروم مما يكاد يدخل فى حدود الخرافات ، لولا تطابق الروايات وصدق النتائج . وكل ذلك مما يدل على أن التدين جدير أن يأتى بالعجائب التى يدخرها الله لمن أحبه من عباده المؤمنين فكان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها .

وكان لا بد لخالد من أن يطهر الطريق الذى يسير فيه من كل عدو حتى يسير فى أمن منذ خروجه من العراق إلى دخوله أرض الشام ، وهذا أيضا مجهود عبقرى ، ثم كان أن نازلت جيوش المسلمين جيوش الأعداء فى كفالة الله وكفالة سيف الله حتى ألجأوهم إلى خنادقهم التى لزموها شهرا عكف القسيسون فيه على وعظهم وإنذارهم بفناء النصرانية ، على أنهم خرجوا من خنادقهم فى تعبئاتهم التى لم تعرفها العرب ليعودوا إلى قبورهم موتى ثم إلى جهنم وساءت مصيرا .

لقد التحم الجيشان وخرست الألسنة وصمت الآذان إلا من قعقعة السيوف وزئير الفرسان ، مما دعا إلى خروج قائد القلب من الروم إلى خالد ، ثم دخوله فى الإسلام لما أدهشه من العجائب ، ثم اقتتلوا نهارا فلم يطلع الصبح بعد ليلته حتى كان خالد فى رواق رئيس الروم ، بقدرة الحى القيوم لا إله إلا هو . وأصاب المسلمون كل ما فى معسكر القوم ، واستشهد من المسلمين نحو ثمانية آلاف . وكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق والإسلام ، فقد ظهر بعدها سلطانه وتتابعت فتوحاته ، وفى أثنائها ورد البريد بوفاة الصديق ، وخلافة الفاروق .

ثم عزل الفاروق خالدا من إمرة الجيش وقد سمع لأمره ونزل على حكمه ، ولم يكن ذلك عن سخط ولا خيانة (كما قال الفاروق نفسه) ولكنه خشى أن تفتتن الناس به .

هذا إلى أن مسلك خالد كان يخالف مسلك ابن الخطاب ، فقد كان فى خالد ناحية استبداد ، وكان يتصرف دون رجوع إلى أمر الخليفة على أن يخبره بعد ذلك بما فعل ، وعمر رضى الله عنه يحب أن يعرض عليه الأمر قبل أن يقع ولا سيما فيما يتعلق بالأموال ،

ولهذا جاء فى الخبر أن عمر كتب إليه ألا يعطى شاة ولا بعيرا إلا بأمره ، فكتب إليه كما كتب إلى الصديق من قبله : إما أن تدعنى وعملى وإلا فشأنك وعملك ، وعند ذلك عزله . ولهذا أيضا قيل : إن عمر سمع راجزا يذكر خالدا ، فقال : يرحم الله خالدا . وكان طلحة بن عبيد الله حاضرا فتمثل بهذا البيت :

لا أعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى (١)

فقال عمر ما عتبت على خالد إلا تقدمه وما كان يصنع فى المال .

وبعد ـ فهذه بعض سيرة خالد لا نسوقها تنويها بخالد ، ولكنها الذكرى بأولئك الغر الميامين ، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لنقول : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولنحاول أن نجد فيهم الأسوة الصالحة حتى نستعيد ماضينا من مجد أراقوا على جوانبه الدم ، ولنطلب الإسلام الصحيح الذى قلب أوضاعهم ، وأوجب سموهم وارتفاعهم ، لا ذلك الإسلام المشوه الذى أضحك العالم منا ، وجعلهم يتداعون علينا . ولنروض أنفسنا بالتمسك بالدين فى توجيهاته وأخلاقه وفى تحقيق ما شرع ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

لقد نصر الله خالدا وأصحاب خالد ، ولقد أيد الله كل من التمس التأييد فى نصرة دينه الحق وفى تحقيق عزة الإسلام وكرامته وعدم الخضوع لمخلوق كيفما كان وفى تعظيم الله وحده والجوء إلى حماه وكنفه : و « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » .

اللهم اكتب لنا النصر والتأييد ، وحقق لنا المجد والرفعة والسؤدد بالتماس الأسوة الصالحة فى نبيك وفى أصحاب نبيك صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . آمين م

محمود النواوى

---

(١) هذا البيت لعبيد بن الأبرص من الشعراء الجاهليين أصحاب المعلقات ، ومعناه أنه لا معنى لأن تهمل أمرى فى حياتى ثم تبكى على وتندبنى بعد مماتى .

الإسلام ومشاكل المجتمع :

ثورة الاسلام على الفقر واحتكار الاموال

تتمثل خطة الإسلام : فى مكافحة الفقر واحتكار الأموال فى موقفين بارزين : موقف الدفاع ، وموقف الهجوم ، وترمى خطة الدفاع إلى حماية الفرد والمجتمع من غوائل الفقر الذى ينتاب الأفراد والجماعات نتيجة لأسباب كسبية تدخل فى نطاق التصرف الإنسانى ، وتخضع لمسئولية السلوك والفعل الاختيارى مثل القعود عن العمل مع القدرة عليه فانه يؤدى إلى الحاجة ، ومثل الإسراف وسوء التدبير فانه يؤدى بصاحبه إلى الإفلاس ، ومثل الربا فانه يجر إلى إعواز بعض الناس وإثراء البعض الآخر حيث يمتص به بعض الناس جهود بعض ، وهكذا .

وتتجلى هذه الخطة ــ خطة الدفاع ــ فى مظهرين : مظهر الدفاع لصد عدوان الفقر الذى يغتال بعض الأفراد نتيجة لإهمالهم وسوء تصرفهم من غير أن يشاركهم أحد فى جر ويلاته عليهم : أى نتيجة لأسباب شخصية ليس لأحد سوى أصحابه أثر فيها ، ومظهر الدفاع لدرء أخطار الفقر الذى يجتاح بعض الناس نتيجة لأسباب جماعية تقوم على أكتاف بعض جهات المجتمع : مثل الربا ، والغش فى التجارة ، والتطفيف فى الكيل والوزن ، واحتكار السلع والأقوات لبيعها فى السوق السوداء بسعر أغلى من السعر الذى يجب أن تباع به ، ونحو ذلك مما يترتب عليه تركز الثروة فى يد بعض الأفراد واجتياح الفقر والفاقة للجم الغفير من الناس .

أما خطة الهجوم : فانها مركزة ضد الفقر الذى يسيطر على المجتمع أو بعضه نتيجة لأسباب طبيعية لا أثر فيها لعمل الفرد ولا لعمل المجتمع كالزمانة والعجز عن الكسب ، والزلازل ، والبراكين ، والآفات الزراعية ، ونحو ذلك مما يفتك بأقوات الناس ويعرض حياتهم للضياع ولا أثر فيه لعمل الإنسان مطلقا . وذلك أن الإسلام تتبع أسباب الفقر وأعد لكل منها من وسائل الكفاح ما يناسبه وضعا للدواء فى موضعه ، وحسما للشر من منبعه .

وتقوم المقـاومة فى خط الدفاع الأول على الوسائل الآتية وهى : —

محاربة البطالة ـ وتحريم الإسراف وإضاعة المـال فيما لا يفيد ـ والحجر على السفهاء فى أموالهم ـ والتحبيب فى الغنى والتنفير من الفقر ، وذلك أن مواطن الخطر فى هـذا الخط هى : —

البطالة ـ وسوء التدبير ـ وعـدم أهلية التصرف ، والعزوف عن الدنيا باسم الدين والزهد ودعوة التقرب إلى الله تعـالى : فأقام الإسلام أمام هـذه المخاطر وسائل الدفاع السابقة ليسد على عـدو الإنسانية الأول طريقه الأول الذى قد يغير منه على بعض أفراد المجتمع ، وهذا بيان هذه الوسائل .

محاربة البطالة

جاء الإسلام بالدعوة إلى العمل ، ومكافحة البطالة والـكسل ، واستخدم لذلك أنجع الوسائل لأن العمل روح الحيـاة ، وأساس العمران ، وطريق سعادة الأفراد والأمم ، والـكسل والقعود مطية الهلاك والخسران .

وقد اعتمد الإسلام فى مكافحة البطالة وتسخير جميع القوى للعمل على ما يأتى :

(١) بعث روح النشاط وتشجيع الجهود بأقرار المـلكية الفردية ونظام الدرجات وتقرير أن الجزاء على قدر العمل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فهذا من أقوى العوامل فى تحريك الهمم ودفع الناس إلى العمل لأنه يلائم الفطرة ، وتدعو له طبيعة الـكون ونظام الحياة .

فقد أودع الله فى الإنسان ميلا غريزيا يدفعه إلى طلب المـال إذ أنه قوام حياته ، والإنسان إذا شعر بأن ما يحصل عليه من المـال بطريق العمل يكون ملـكا له ينتفع به حال حياته ، وينتقل إلى ورثته وهم أقرب الناس إليه بعد ممـاته شمر عن ساعد الجد ، وبذل فى كفاحه فى الحياة أقصى جهد ، وإذا أحس بخلاف ذلك خارت قوته وانهارت عزيمته ، وقد خلق الله الناس متفاوتين فى القوى والمواهب ، ومن لوازم ذلك أن يكونوا متفاوتين فى الغنى والفقر ليشعر كل منهم بحاجتـه إلى الآخر ، ويقوم بواجبه فى الحياة ، ويسود التعاون الذى هو عماد الحياة ، ومبعث النشاط والنهوض . قال الله تعالى : « نحن

قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

فالناس كحروف الهجاء لا تدل على المقاطع والكلمات إلا باختلاف الصور والهيئات بيد أن للتفاوت حدا طبيعيا ينبغى ألا يزيد عنه وإلا كان مدعاة للتناحر ووقوف الأعمال، وإنما يخرج التفاوت بين الناس عن حيز المعقول بالاعتداء على حق الغير وتحصيل الأموال بغير أسبابها المشروعة الصحيحة ، فلذا حدد الإسلام موارد الملكية ، وحرم أكل أموال الناس بالباطل ، وشرع لذلك من الوسائل والقوانين ما يحفظ لكل ذى حق حقه ويكفل مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ومن هنا يظهر الفرق بين نظام الإسلام وبين الرأسمالية فالإسلام وإن أقر مبدأ الملكية الفردية فانه حدد موارد الكسب وقيد حرية الفرد بما لا يتعارض مع حرية الغير وحق الغير ، وبهذا تحاشى عيوب النظام الرأسمالى .

(٢) تكوين الباعث الروحى وإثارة الوازع الدينى : فقد حفل الإسلام بالترغيب فى العمل وبيان علو منزلته عند الله حتى أكد أن منزلة العامل فى سبيل لقمة العيش عند الله لا تقل عن درجة المجاهد فى سبيل الله والصائم الذى لا يفطر والقائم الذى لا يفتر ، بل فضل الله السعى فى طلب الرزق على الجهاد فى بعض الحالات . روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال : أحىّ والداك ؟ . قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد . أى اسع عليهما فالسعى عليهما لا يقل عن الجهاد فى سبيل الله وأحاديث فضل العمل والحث عليه تملأ كتب السنة .

(٣) قوة السلطان : لم يقصر الإسلام اعتماده فى التوجيه إلى العمل على الباعث الطبيعى أو الوازع الدينى بل ضم إلى ذلك وسيلة القهر والقوة فجعل من سلطة الحاكم القيام بمطاردة العاطلين والمتسولين وتوجيه القوى الصالحة كلها إلى العمل ليؤخذ بقوة السلطان من فسد طبعه ولم يستجب لداعى الحق والإيمان ، وجعل من واجب الدولة أن تفتح أبواب العمل لكل قادر لا يجد لنفسه عملا يؤديه وبذلك قام بما يشبه ـ التعبئة العامة إلى العمل وحشد جميع الجهود فى ميادين الكفاح والجد توطيدا لدعائم الدولة الإسلامية وأخذا بناصيتها إلى ذروة المجد والسؤدد : عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفاقة ، ثم رجع فقال : يا رسول الله : لقد جئتك من أهل بيت ما أرانى أرجع إليهم حتى يموت بعضهم من الجوع . فقال :

انطلق هل تجد من شيء فانطلق فجاء بحاس وقدح فقال : يارسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلبسون بعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذهما مني بدرهم ؟ فقال رجل أنا يارسول الله . فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فقال : هما لك . قال : فدعا الرجل فقال اشتر فأسا بدرهم وبدرهم طعاما لأهلك . قال ففعل ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق إلى هذا الوادى فلا تدع حاجا ولا شوكا ولا حطبا ولا تأتنى خمسة عشر يوما ، فانطلق فأصاب عشرة دراهم ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : فانطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاما وبخمسة كسوة لأهلك . فقال : يا رسول الله : لقد بارك الله لى فيما أمرتنى . فقال : هذا خير من أن تجىء يوم القيامة فى وجهك نكتة المسألة : إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع ــ رواه أبو داود والترمذى والنسائى فهذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم ــ وهو المشرف الأعلى على شئون الدولة الإسلامية ــ مع هذا السائل يبين أن من وظيفته أن يحارب البطالة فى رعيته بالفعل كما يحاربها بالقول ، ويدل أيضا على أن من واجب الدولة أن تهيئ أسباب العمل وتفتح أبوابه أمام كل قادر ، ومن الميادين التى وجه الإسلام أتباعه إليها الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » . ومنها إحياء الموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله وتوكلا عليه كان حقا على الله أن يعينه ويبارك له » . إلى غير ذلك من أبواب السعى التى فتحها الإسلام فى وجه أصحابه ، وذلك ليقضى على البطالة فى جميع صورها ، ولا يكون بين الأمة من يعيش عالة على غيره مع قدرته على العمل حتى لو تزيا بزى الزهاد ولبس مسوح الرهبان ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل عنه فان لم تكن له حرفه سقط من عينى ، ولاحظ على رجل أنه يطوف بالمنازل كل ليلة يتكفف الناس فضربه بالدرة وحذره من الرجوع إلى السؤال ، وأخرج ما فى مخلاته فوضعه لإبل الصدقة ، وقال : إنما أنت تاجر ولست بسائل ، ومن هذا يتضح أن الإسلام قد وضع الحل السديد لمشكلة التسول والبطالة .

وبعد فالإسلام دين السعى والعمل ، لا دين الخمول والكسل كما يقول أعداؤه ، وبه نهض الأولون ، وسادوا جميع الأمم .

محمد السيد ندا
المدرس بكلية الشريعة

المثاليـةالواقعية
فى الفـكرة الدينية

الأخـلاق :

الأخلاق تمثل القمة فى الفـكرة المثالية . . . وهى الجانب الذى تبدو فيه المثالية رفيعة سامقة حتى يظنها الناس ليست فى طوق البشر ، بل تسمو عن مستواهم كثيرا .

والأخلاق هى التى تحدث عنها فيقال لك : هـذه مثالية ! وتعتبر هذه الجملة الصغيرة اليسيرة كافية للاستعفاء من تكاليف الأخلاق . . . وإسقاطها من الحساب !

والأخلاق هى التى فلسف مكيافللى التملص منها ، وقال : إن الغاية تبرر الواسطة . . فقال ناس : هذه هى الواقعية !

فهل الأخلاق هى هذا البرج العاجى من أحلام الخيال - فى فكرة الدين ومنطق الإسلام ؟

* * *

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [١] هذا مكان الأخلاق فى الإسلام .

لـكن بناء الأخلاق فى هـــذا الدين قائم على أساس واقعى ، ليس فيـه شطحات ولا تحليقات فى الخيال . فالأخلاق فيه محددة ، مبينة مفصلة . . .

يقول علامة الهند السيد سليمان الندوى : ـ إننا نجد فى التوراة أحكاما عديدة تتصل بالأخلاق ، منها سبعة تعدّ أصولا ، وليس فى هذه الأصول السبعة إلا أصل واحد إيجابى وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بهما . أما الستة الأخرى فـكلها سلبية وهى النواهى : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشهد على جارك شهادة زور ، لا تخادن حليلة جارك ، لا تطمع فى مال جارك . . . وبعض هذه الأصول داخل فى بعض ، فهى فى الحقيقة أربعة

---

[١] وفى رواية « صالح الأخلاق » . قال . السيوطى . رواه البخارى فى الأدب ، والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى شعب الايمان . صحيح .

والإنجيل ردّد هذه الأحكام السبعة كما هى فى التوراة وزاد عليها الحث على محبة الغير ... أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة فى المعاشرة وبقوانين مفصلة فى المعاملات ، وأفاض فيما كان نهرا حتى جعل منه بحرا » .... وهو يضرب المثـل لتوجيهات القرآن الأخلاقية بمـا ورد فى سورة الإسراء « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ... الآيات ٢٣ : ٣٩ » وفيها خمسة أوامر وخمســة نواه .... ونضيف إلى ذلك أوصاف المؤمنين فى صدرسورة «المؤمنون» وأوصاف عباد الرحمن فى سورة «الفرقان» وهكذا ... ونشير إلى ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن « شعب الإيمـان » فى جملة مواضع أوجزها ما قال فيه « الإيمـان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وقد استقصاها أعلام الإسلام فرأوها تدور حول شيئين لا ثالث لهما : الحق ، والخير ، وكل شعبة من شعب الإيمـان الإسلامى لا ريب أنها تدخـل إما فى باب الحق ، أو فى باب الخـير ، والعمل الصالح هو عمل المؤمن بما هو مؤمن به ، فلا يكون العمل صالحا إلا إذا كان من عمـل الحق أو من عمل الخير ، وهذا هو الإسلام » [١] .

والأخلاق فى الإســلام فطرية .... إنسانية :

وليس أدل على ذلك من أنه يسمى الخير معروفا ، والشر منكرا ... فليس فى تعاريفه الأخلاقية اعتساف يكد الأذهان .... إنها أخلاق مستمدة من طبيعة الناس التى يعلمها منزل الـكتاب ، وليست مفروضة فرضا نظريا لا يطابق الحوائج والمجتمعات ... « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» . «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفتاك المفتون » [٢] والأخلاق فيه شاملة .... جامعة .

إن الأخلاق فى الإسلام تستوعب كل جوانب السلوك ... فهى أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعـلم ، وتنفر من التقليد والتضليل « ... أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ... » ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .« أو لو كان آباؤهم لا يعقلون

[١] الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى ـ تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب .

[٢] الاول رواه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والترمذى ـ صححه السيوطى . الثانى رواه أحمد حسنه السيوطى .

شيئا ولا يهتدون » ، « فإن تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

ثم هناك أخلاق النفس ، وهى أبرز ما تتجه إليه العقول حين تذكر الأخلاق ...

وهنا الأوامر بالصدق والأمانة والإحسان ، والنواهى عن الكذب والخيانة والفساد « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » كذلك هناك أخلاق السلوك ، أو هى المعروفة بالآداب العامة وقواعد فيها اللياقة والمجاملة « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد فصل الإسلام آداب التحية ، والاستئذان ، ومجاملات التهنئة والعزاء ... ونهى عن التجسس والغيبة واللمز والتنابز بالألقاب .

فلست أدرى إذن ، من أين جاءت الصورة التى حددت « الأخلاق الدينية » بأداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ... فحسب حتى كتب من الكتاب من قال بأن الأخلاق الدينية لا تكفى ، أو لعلها لا تصلح مطلقا ـ كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ...

إن القيام بالشعائر ، واجتناب الخمر والميسر ، من أحكام الإسلام .

لكن ليس معنى هذا أن هذه الأوامر والنواهى وحدها هى الأخلاق الدينية .

إن الرجل قد يصلى عادة ... وقد يجتنب الخمر لأنه لا يستطيع مذاقه ، أو لأنه يضر صحته ... وقد يتوقى الميسر خوفا على جيبه وسمعته ، أو لأنه تعوّد قضاء وقت فراغه على غير الموائد الخضراء ... وليس معنى هذا أنه صاحب أخلاق ، بل تبقى جوانب شخصيته محتاجة لأضواء تكشف الأستار ... لابد أن نفحص منهجه فى التفكير ، ونستشف موازين القيم فى نفسه ، ونضع أيدينا على ألوان مختلفة من سلوكه فى الحياة حتى نستطيع أن نحكم عليه .

وقد كان عمر يسأل الشاهد الذى يزكى شخصا عن طريقة معرفته لذلك الشخص ... ولا يكتفى بالمعرفة السطحية للقيام بالشعائر ، دون الخبرة العميقة والمخالطة الشاملة مما يكشف عن أغوار النفوس .

فالذين ظنوا أن « الأخلاق الدينية » محصورة فى مظهريات باهتة ... قد دخل عليهم الخطأ والخلط فى تحديد مدلول الأخلاق فى دين الإسلام .

والأخلاق فى الإسلام ... واقعية :

واقعية لأنها تفترض فى الإنسان السعى للكمال لا بلوغ الكمال المطلق « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » [١] « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون [٢] ولقد وصف الله المتقين بجمل من بينهم الذين فعلوا فاحشة ثم تابوا ... لا الذين خلت حياتهم من الأخطاء « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » .

وليس معنى هذا أنها تفترض فى البشر الخطيئة المؤبدة والدنس ... إن معصية آدم قد غفرها الله له وليست تلاحق ذريته إلى النهاية « فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم » ... والإنسان يولد وفى نفسه قوى وبواعث ودوافع ، ليس ملكا وليس شيطانا « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . والمرأة مخلوق طاهر كالرجل « ... أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » والمجتمع كذلك ينبغى أن تقوم سمعته على العفة والطهر ، لا على . الافتراء والتجنى « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » .

والأخلاق فى الإسلام واقعية ، إذ تدعو إلى المحبة ... ولكنها لا تهمل الكره ... قد يكون من الممكن أن يتحول الناس جميعا إلى المحبة أو لا يتحولوا ... لكن الذى لاشك فيه أن تحولهم هذا يحتاج إلى وقت ، وأنه حتى يتم هذا التحول ـ إن كان من الممكن أن يتم ـ فستحدث أخطاء ليس من المنطق أن يقف إزاءها الإسلام سلبيا ، أفلاطونيا ، متفرجا ... لا بد أن يحمى نفسه وأتباعه ... قد يكون المعتدى معذورا ... قد يكون ضحية لظروف التربية أو تقاليد المجتمع أو ضغط الدولة ، ولكن المجتمع الإسلامى لا يملك إلا أن يرد العدوان ، ويترك الحساب النهائى للديان ... لا بد أن ينظر للمجموع لا للأفراد ...

---

[١] الطبرانى فى الكبير — صححه السيوطى .

[٢] رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك — صححه السيوطى .

لا بد أن يقيم ركن المسئولية على القصد الجنائى ، أما الباعث فيقدره فى حدود تجعل هذا التقدير عمليا ممكنا .

لذلك أتى الإسلام فى أخلاقياته بالمحبة « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والسلام « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ... لكنه مع ذلك وضع شريعة العقوبة للداخل ، وشريعة الحرب للخارج « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، « ولكم فى القصاص حياة » ، « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم » ، « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

لكنه ينّدى بالأخلاق شريعة القوة ... وكل الناس يعرفون وصايا الإسلام فى الحرب وسنعود إليها حين نتكلم عن المثالية الواقعية فى التشريع ... وحسبنا أن نشير فى إيجاز إلى الوفاء بالعهد ، وتجنب الاعتداء على النساء والشيوخ والأطفال والرهبان ، وغير المحاربين جملة ، وعدم الفساد والإتلاف لغير الضروريات الحربية ، وهكذا .

والأخلاق فى الإسلام واقعية ... إذ لا تؤدى إلى التصادم بين الدنيا والدين . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصه يوم القيامة » ... يستطيع الإنسان أن يتملك، مادامت ملكيته لاتتعارض مع سياسة الإسلام الاقتصادية التى تنفذها الدولة ، ولا تتصادم مع شريعته القانونية ، وما دام يؤدى واجباته والتزاماته المالية للمجتمع والدولة ... فالزهد فى الإسلام ليس عزلة و بطالة ، وليس نزعة فردية ... ولكنه سعى فى الأرض وتنمية للانتاج وملكية للثروة ، ثم وضع لهذا كله تحت تصرف المجتمع والدولة ... إنه زهد فيما ملك الفرد ، لا فيما عجز عن امتلاكه .

والأخلاق فى الإسلام واقعية ... إذ فرقت بين الكبائر والصغائر « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » ... وفرقت بين المجاهرة والتستر (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : عملت البارحة كذا وكذا ، فيكشف ستر الله عز وجل) [1] ... وفرقت بين

[١] الطبرانى فى الأوسط صححه السيوطى .

أخلاق وأخلاق ، فقد يكون المؤمن جبانا أو بخيلا ، ولـكنه لايكون كذابا « إنما يفترى الـكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الـكاذبون » .

وهى واقعية إذ استثنت حالات الإكراه والفتنة « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » « إلا أن تتقوا منهم تقاة » . لـكنها لا تتوسع فى التقية بغير ضرورة قاسرة ملجئة ، ولقد حددت السنة على سبيل الحصر مواضع ، رخصت بالكذب فيها : هى الحرب ، وحديث الرجل لزوجته ، والإصلاح بين المتخاصمين (١) . فهل هناك واقعية أكثر من هذا ؟

دين يقوم على مكارم الأخـلاق ... لـكنه لا يغفل استثناءات فى أضيق نطاق ، يغلب فيها اعتبارات أسمى وأعم ، وترجح لديه أخلاق ... على أخلاق .

فالحرب ... إعلان لفقدان الثقة بين المتحاربين ، فلا بأس فى الـكذب إذ الحرب خدعة ... وليس معنى هـذا أن تعطل الفضيلة فى الحروب ، فما زال للشجاعة مكانها ، وللصدق موضعه عند الحديث الجادّ والمفاوضة الصريحة النزيهة ، وللرحمة محلها فلا يتبع المدبر ولا يجهز على الجريح ولا يؤذى الشيوخ والنساء والأطفال .

وحديث الزوجين ... إن غاب فيه الصدق حينا فقد قامت التضحية فى كل الأحيان ... لأن الزوج حين يتحـدث عن حبه لزوجته وهو لا يحبها ، فانما يريد أن ينـكر ذاته ، ويضحى بمشاعره من أجل الوفاق والوئام ...

والإصلاح بين الناس ... فضيلة ، يغض البصر من أجلها عن فضيلة أخرى ...

ومن البديهى أن ذلك كله يكون فى حدود ...

فليس معنى الـكذب فى ضرورات الحرب أنه كذب على طول الخط ، وليس معنى الـكذب بين الزوجين حينا أنه الـكذب الذى لا يعالج شيئا و يعقد أشياء ، وليس معنى الـكذب للاصـلاح أن يكون كتمانا لأمور جوهرية لا تلبث أن تنـكشف ، فتسوء العلاقات من جديد ...

لـكن لابدّ للمؤمن من الـكياسة والفطنة !! ..

« يتبع » فتحى عثمان

[١] الترمذى وأحمد .

الدين ووسائل تعلمه

ليس من قصدى فى هذه الكلمة أن أبين الدين ولا أن أشرح حاجة الناس إليه . فقد عرف الناس فى إجمال قد يعجزون عن تبيانه أن الدين الصحيح مجموعة من العقائد والأحكام والنظم أوحى بها الله إلى من اصطفاه من عباده ليبلغها إلى خلقه ويدعوهم إليها ويرضى منهم أن يدينوا بها ويعملوا بمقتضاها لا لحاجة به إلى أعمالهم ولكن ليهديهم ويصلح بها من شأنهم فى دنياهم ويجزيهم فى أخراهم جزاء المخبتين المطيعين . وقد عرف الناس أيضا أن الدين حاجة فطرية ، أو ضرورة اجتماعية لا غنى لهم عنها ، فاذا فقدوها عن طريق الغيب التمسوها فى عالم الحس ، فى الأرض أو فى السماء ، فى شجر أو حجر ، أو كوكب أو طوطم أو ما إلى ذلك ، أو فزعوا إلى عظيم من عظمائهم فألهوه وعبدوه ودانوا بتعاليمه ليسدوا فراغ أنفسهم من هذه الأديان . وقد فاض تاريخ البشرية بمعبودات ونظم ، ورغم ما كان يدعو كثير منها إلى الاستهزاء والسخرية ، فقد لازمتهم وكانت منذ كانوا .

والمقصود بالدين فى كلمتنا : الدين الإسلامى ، وبوسائل تعلمه علماؤه والكتب الدينية التى تدرس فى الأزهر ، فليس هناك علماء يقومون بتعليم الدين الإسلامى تعليما صحيحا مبنيا على أسس سليمة من الفهم والإفهام غير علماء الأزهر . وقد تعرض علماء الأزهر كما تعرضت كتبه لحملات كثيرا ما كانت مغرضة ظالمة ، وأحيانا ما كانت مخلصة إلا أنها جاهلة ، ورموا بالجمود والتعقيد ، ورميت كتبه بالتوعر والصعوبة ، واتخذت ظواهر عبارات من القرآن والسنة شبها على خطأ طرق التعليم الدينى بالأزهر وخطأ أسلوب التأليف فى الكتب الدينية ، . وارتفعت أصوات بالمطالبة بتيسير طرق التعليم الدينى وتيسير كتبه . واستجابة لتلك الدعوة ورغبة فى الهداية والتوجيه قام كثير من العلماء الأفاضل بتحقيق هذه الرغبة ، ولكن رغم ما قام به هؤلاء من تهذيب الكتب وتيسير طرق عرضها فما زالت دون رضا كثير من الناس ، وما زال علماء الدين وكتب الدين غير واضحة فى نظرهم وهى محتاجة وستحتاج إلى مزيد من التبسيط والتوضيح لتكون بلغة الصحف حتى يستوى فى فهمها والإلمام بموضوعاتها من يحسن أن يقرأ ومن وقف على أعتاب

المعرفة و إن لم يهتك أستارها وحجبها . هذا ما يقولون و يريدون ، وذلك خطأ ولا شك، وأمنية بعيدة المنال مهما جهد العلماء وأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم . ذلك لأن الدين الإسلامى مجموعة من العقائد والقواعد والأحكام والنظم ، أو مجموعة من القوانين ، وهذه القوانين لها أصول خاصة وحدود خاصة واصطلاحات خاصة وطرق تعبير خاصة ولها أسس من علوم متعددة يشتبك بعضها ببعض و يسلم بعضها إلى بعض ، وكل أولئك فى حاجة إلى زمن طويل يقضيه الطالب فى تحصيلها والإحاطة بها وقد لا يكون كثيرا ولا غريبا أن ينفق الطالب لها من عمره عشر سنين أو أكثر . وشأن علوم الدين شأن غيرها من القوانين والعلوم لها كتبها ولها رجالها الذين تخصصوا بها وأفرغوا وسعهم فيها .

و إذا كان طالب القانون الأجنبى أو طالب الطب أو طالب الهندسة يكفيه أن يلم بالقراءة ليكون طبيبا أو مهندسا أو قانونيا فليكف المسلم أن يلم بالقراءة ليكون عالما دينيا يفهم أحكام الدين و يحيط بأصوله وقواعده و يجتهد و يفتى ، وحينئذ يصبح للمسلمين خمسمائة مليون من العلماء والمفتين بقدر عددهم و يزدادون بنسبة ما يزداد المسلمون و يبارك الله فى أنسالهم وذرياتهم .

إن شأن العلوم جميعها شأن واحد ، ولا بد فى تعلمها من معلم أو من موقف بلغة أهل العلم القدماء ، ومن هنا كانت الحاجة إلى العلماء و إلى معاهد العلم ، ولو كان يكفى فى تعلم العلوم معرفة القراءة والكتابة وتوافر الكتب لما كان هناك حاجة إلى شىء من ذلك ، ولكفى شعوب العالم جملة من الكتاتيب أو المدارس الأولية يتعلم فيها ناشئتها القراءة ليكونوا بعد ذلك وفى قليل من الزمن أئمة فى العلوم والفنون ما دامت كتبها فى أيديهم ومتناولهم ، ولا يقول ذلك من له مسكة من عقل أو طرف من معرفة ، فلا بد للدين إذن من متخصصين به ، ولا بد له من كتب خاصة به كذلك ، ولا يضير علوم الدين أن تكون على هذا النحو فشأنها شأن غيرها كما أسلفنا ، وقد شرط كثير من العلماء الموقفين فى علوم الدين وأوجبت جمهرتهم على العامة تقليد إمام من الأئمة فى أحكام الدين ، ولم يطالبوهم بالوقوف على أصولها ومناط أدلتها ، لأن ذلك يخرج عن طوق العامة و يذهب بهم مذاهب الحيرة والضلال .

ولقد حاول كثير من العلماء وما زالوا يحاولون تبسيط العلوم تيسيرا على الطلاب ، فماذا

كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة ، هى أنه مع ما بذل من محاولات فى الكتب وفى طرق العرض ما زالت قواعد العلوم فى مستواها العالى لم يرق إليها إلا الخريت الماهر ولم ينلها إلا من دفع مهرها غاليا من فكره ووقته وجهده .

لقد حاول عشرات من العلماء تيسير قواعد النحو بشتى الوسائل بالحذف مرة والتخفيف مرة وتكرار الأمثلة والشواهد مرات ، فما بلغوا ما أرادوا وأراد بعض الكاتبين وما استغنى تلاميذ المدارس بالكتب عن الأساتذة وما أباحت قواعد اللغة حماها إلا لمن بذل وجاهد وصبر وصابر ، وإنه ليؤسفنا أن نقول : إن قواعد اللغة ما زالت ثقيلة على نفوس التلاميذ .

هذا إلى أن المبالغة فى تبسيط كتب علوم الدين، أو غيرها قد يكون مدعاة إلى الخطأ والتشويش فى قواعدها وأحكامها ، وقد يكون من ورائه خطر آخر، فقد تغرى بساطتها بعض قصار النظر باقتحامها والادعاء فى تعرف حقائقها والتنفج باكتناه أسرارها، وهناك تكون الفوضى بآثارها ونتائجها ، ولعل من آثار تلك الفوضى ما نسمعه هنا وهناك من دعوى الاجتهاد من أناس هم فى أول الشوط من المعرفة والفقه ، وكل محصولهم العلمى آيات وأحاديث حفظوها من كتاب أو التقطوها من أفواه الخطباء بالأندية والمساجد دون أن يتدبروا معانيها أو يتنبهوا لمقاصدها وما يربطها بغيرها من روابط وما تشير إليه من أحكام .

إن من النظم الثقافية التى وصل إليها علماء التربية بالتجارب عهودا طويلة تنوع التخصص فى فروع المعرفة ، فمن غير الممكن أن يتقن شخص ما سائر فروعها وإذا فمن لغو القول بل من فجوره أن يتهم بعض الناس علماء الأزهر بأنهم غير صالحين لأنهم لا يحسنون أنواعا من العلوم الأخرى ، فلو صح ذلك لوجب أن يكون المهندس طبيبا وقانونيا وعالما ذريا حتى يكون صالحا فى مهنته نافعا لأمته ، وكذلك غيره من العلماء ، وليس فى مجال الهذر أمعن من هذا الكلام ، ومما نسمعه فى مجال الطعن على علماء الأزهر أنهم يحتكرون الدين واحتكار الدين عمل لا يقره الإسلام ، وفى هذا الكلام شىء من المغالطة قد تجوز على البسطاء فيحسن أن نبين الحقيقة فيها لنخرس ألسنة مفتريها أو نخجلهم على الأقل إن كانوا يخجلون .

والحقيقة أن هناك فرقا بين احتكار تعليم الدين واحتكار الدين نفسه ، أما تعليم الدين

فلا شك أنه صناعة تستلزم صناعا مهرة هيئوا أنفسهم لصناعتهم ، واستوفوا أسبابها ، وليس مما يضير علماء الأزهر أن يكونوا أولئك الصناع ، كما أن لغير علوم الدين صناعا لا ننافسهم فى صناعتهم ولا نزاحمهم عليها . أما العمل بالدين فليس صناعة من الصنائع ولم يدع علماء الأزهر أنها كذلك وأنهم يحتكرونها ويذودون الناس عنها . فالدين لله يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد يقول قائل : إن الدين الإسلامى دين يمتاز بالوضوح والبساطة وإن أهم أصوله القرآن الكريم والسنة السمحة ، والقرآن نزل بلسان عربى مبين ، وجاءت السنة بلغة أفصح المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى أنبيائه أجمعين ، فما بالكم تحجرون واسعا وتضيقون رحبا وتصعبون سهلا وتحولون دوننا وما نريد من فهم الأحكام من أصولها واستقائها من منابعها ، ولكننا نقول لهؤلاء : إن بيان القرآن وفصاحة الرسول ليست بالنسبة للأجيال الحاضرة من شعوب العرب الذين استعجمت لغتهم واستبهم عليهم أسلوب القرآن والسنة وجهلوا الطريق إلى غايتهما ومقاصدهما وقربت المسافة بينهم وبين الأعاجم ، وإنما هو بالنسبة إلى العرب الخلص الذين لا تخفى عليهم مقاصد القرآن والسنة وطرق دلالتهما من عبارة وإشارة وإجمال وتفصيل وما يعرض لهما من تعارض وما يدعو إليه من ترجيح ولا تخفى عليهم غرائب اللغة وأسرار الأساليب وما إلى ذلك مما لا بد منه لفهم القرآن والسنة ، واستمداد الأحكام منهما ، وأين نحن من ذلك الآن ؟

على أن بعض أولئك العرب ما كانوا يشتغلون بفهم القرآن والسنة ، وكانت تند عن أذهانهم وعقولهم بعض الألفاظ وبعض الأحكام فيسألون عنها ويستفتون فيها ، فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وإذا كان ذلك شأن أولئك العرب ، فهل لكثير منا وهم أشباه العوام والأعجام أن يدعوا القدرة على فهم القرآن والسنة واستمداد الأحكام منهما ووسائلهم إلى ذلك قليلة وأسبابهم ضعيفة .

ألا إن الأولى بنا أن يعرف كل منا نفسه ويلزم صفه وأن يترك كل وما يحسنه وأن يوسد الأمر إلى أهله ، فذلك أمارة الإنصاف والوعى الثقافى الصحيح ، ووسيلة استقرار الأمور وإتقان الأعمال .

أبو الوفا المراغى

بحـــــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

– ٩ –

النوع الخامس : الاستحسان بالعرف ، ويتحقق هذا فى كل شىء يتعارفه الناس ويعتادونه إذا كان ذلك الشىء يخالف قياسا من الأقيسة أو قاعدة من القواعد المقررة ، وأمثلة هذا النوع كثيرة فى الفقه الحنفى تظهر للمتتبع لمسائل العرف والأحكام المبنية عليه ، ومن هذه الأمثلة ما يأتى :

١ — أن كل شرط يجرى به العرف يعتبر شرطا صحيحا عند جمهور الحنفية ، وهو استحسان ثابت بالعرف على خلاف القياس أى الدليل الشرعى العام ، وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبى صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع وشرط » . [١]

٢ — ان الأصل العام فى الوقف أن يكون مؤبدا ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يجوز وقف المنقول استقلالا عن العقار لأن المنقولات على شرف الهلاك فلا تكون قابلة للتأبيد ، ولكن الامام محمد بن الحسن أجاز وقف ما جرى به العرف منها كالكتب ونحوها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام الذى تمسك به الإمام أبو حنيفة ومنع وقف المنقول المستقل عن العقار مطلقا [٢] .

٣ — أن بيع الشرب لا يجوز استقلالا عند جمهور الحنفية لجهالة المبيع أو لكونه غير مملوك للبائع ، لأن الماء لا يملك إلا بالأحراز ، والأحراز فيه غير ممكن ، وهذا هو القياس أى القاعدة العامة ، ولكن أفتى بعض مشايخ الحنفية بجواز بيعه

---

[١] فتح القدير والعناية حـ ٥ ص ٢٢١ ، حاشية ابن عابدين حـ ٥ ص ١٢٧ ، وشرح المجلة لمحمد خالد الأتاسى حـ ٣ ص ٦٤ ، ٦٥ .

[٢] راجع الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه حـ ٣ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

استحسانا لجريان العرف فى بعض البلاد به . جاء فى البزازية لحافظ الدين الكردرى « أنه إذا باع شرب يوم أو أقل أو أكثر فلا يجوز لعدم الملك قبل الأحراز أو للجهالة ، وهذا هو القياس وهو مذهب جمهور المشايخ لكن بعض مشايخ بلخ قد أجازه استحسانا نظرا لتعامل أهل بلخ عليه » [١] .

النوع السادس : الاستحسان بالمصلحة ، ومن أمثلة هذا النوع ما يأتى :

١ — الأصل المقرر فى المذهب الحنفى أن عقد المزارعة ينتهى بموت العاقدين أو أحدهما كما فى الإجارة ، ولكنهم استثنوا من ذلك بعض الصور منها ما إذا مات صاحب الأرض والزرع لم يدرك بعد فحكموا ببقاء العقد فيها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام حفظا لمصلحة العامل ودفعا للضرر عنه [٢] .

٢ — الأصل العام أن الزكاة لا يجوز إعطاؤها لبنى هاشم لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس) وفى رواية لمسلم عن عبد المطلب (إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن لهم فى خمس الخمس ما يكفيهم ويغنيهم) [٣] .

وقد أجاز أبو حنيفة دفع الزكاة فى زمانه إلى بنى هاشم استحسانا رعاية لمصلحتهم وحفظا لهم من الضياع . لأن عوضها وهو خمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم وإيصالها إلى مستحقيها ، وإذا لم يصل العوض عادوا إلى المعوض (٤) .

٣ — إذا شرط البائع على المشترى أن يعطيه رهنا معينا بالثمن المؤجل ، وقبل المشترى ذلك جاز البيع والشرط عند جمهور الحنفية استحسانا لأن هذا الشرط يؤكد الحصول على الثمن ، وفى هذا مصلحة للبائع ، والقياس أى الدليل العام يقتضى فساد كل

---

[١] الفتاوى البزازية بهامش جـ ٦ ص ١٢١ من الفتاوى الهندية ، وفتح القدير جـ٤ ص٢٠٤ .

[٢] الدر المختار ورد المحتار جـ ٥ ص ١٩٠ .

[٣] بلوغ المرام مع سبل السلام جـ ٣ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

[٤] حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

من البيع والشرط فى هذه الصورة وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن بيع وشرط) وبهذا القياس أخذ زفر [١] .

٤ — الأصل العام أن الأمين لا يضمن إلا بالتعدى على الأمانة أو التقصير فى حفظها ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يضمن الصانع كالخياط والكواء ما يكون فى يده من أمتعة الناس إلا إذا وجد منه تعد أو تقصير فى الحفظ ، وهذا هو القياس ، ولكن أفتى أبو يوسف ومحمد بن الحسن بوجوب الضمان عليه إلا إذا كان الهلاك من شىء لا يمكنه الاحتراز عنه كالحريق الشامل أو النهب العام ، وهو استحسان روعى فيه المحافظة على أموال الناس من الضياع نظرا إلى كثرة الخيانات وضعف سلطان الإيمان على النفوس [٢]

هذه هى أهم أنواع الاستحسان فى الفقه الحنفى وأمثلتها . ومنها يتبين بجلاء أن الاستحسان عند أئمة الحنفية ليس قاصرا على القياس الخفى الواقع فى مقابلة القياس الجلى كما صوره بذلك بعض علماء الأصول فى تعريفه المتقدم ، وأنه ليس قاصرا على الاستحسان الثابت بالنص أو الإجماع أو الضرورة أو القياس الخفى الواقع فى مقابلة القياس الجلى كما يقول بعضهم فى تعريفه السابق .

وأن القياس الذى يذكر فى مقابلة الاستحسان قد يكون المراد به القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه ، وقد يكون المراد به الدليل الشرعى العام ، أو القاعدة المقررة ، وليس المراد به خصوص القياس الاصطلاحى كما يدل عليه مسلك الأصوليين .

حجية الاستحسان

من يقرأ كتب الأصول [٣] فى مبحث الاستحسان يجد فيها تضاربا غريبا واختلافا عجيبا فى حجية الاستحسان . فبينما يقول بعض العلماء فيه : إنه تعسف وتلذذ وميل مع

---

[١] راجع بدائع الصنائع حـ ٥ ص ١٧١ ، فتح القدير حـ ٥ ص ٢١٥ .

[٢] شرح مجلة الأحكام لمحمد خالد الأتاسى حـ ٢ ص ٧١٨ .

[٣] الرسالة للامام الشافعى ص ٥٠٣ وما بعدها والأحكام لابن حزم حـ٦ ص ١٦ وما بعدها والأحكام للآمدى حـ ٣ ص ١٣٦ ـ ١٣٨ ، والمختصر لابن الحاجب حـ ٢ ص ٢٨٨ ، وجمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار حـ ٢ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

الهوى وحكم بالتشهى ، يقول آخرون : إنه تسعة أعشار العلم ، كما يروى عن مالك [١] وإنه أغلب فى الفقه من القياس، كما يقول أصبغ بن فرج المالكى[٢] وإن العالم به مع باقى الأدلة يسمه الاجتهاد فى كل شىء من أموره ، كما يقول الإمام محمد بن الحسن [٣] .

وخلاصة ما يؤخذ من كتب الأصول فى حجية الاستحسان أن الاستحسان حجة عند الحنفية والمالكية وكذلك عند الحنابلة على مانقله الآمدى وابن الحاجب ، وقرره الجلال المحلى ، ووافقه عليه العطار فى حاشيته ، وليس بحجة عند الإمام الشافعى ، كما يدل على ذلك قوله فى العبارة المشهورة عنه : « من استحسن فقد شرع » ، وقوله فى رسالته الأصولية : « والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب ، والمطلوب لا يكون أبدا إلا على عين قائمة تطلب بدلالة : يقصد بها إليها ، أو تشبيه على عين قائمة ، وهذا يبين أن حراما على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر » ، وتصريحه فيها بأن الاستحسان تعسف وتلذذ [٤] .

ولكن هذا الإنكار من الإمام الشافعى لا يمكن حمله على الاستحسان الذى يقول به الحنفية ومن معهم من العلماء ، وإنما هو محمول على الاستحسان بمعنى آخر ، وهو القول بالرأى والتشهى من غير اعتماد على دليل شرعى ، ولا شك أن الاستحسان بهذا المعنى باطل عند جميع العلماء لا يسوغ لأحد أن يأخذ به فضلا عن إمام من أئمة المسلمين .

يدلنا على ذلك ما ثبت عن الإمام الشافعى من العمل بالاستحسان والحكم به فى مسائل كثيرة . من ذلك ما نقله الآمدى فى الإحكام أن الإمام الشافعى قال « أستحسن فى المتعة أن تكون ثلاثين درهما ، وأستحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام ، وأستحسن ترك شىء للمكاتب من نجوم الكتابة ، وقال فى السارق إذا أخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت : القياس أن تقطع يمناه ، والاستحسان ألا تقطع ، وقد استحسن ـ كما استحسن غيره من الأئمة ـ جواز دخول الحمام من غير تقدير عوض للماء المستعمل ولا تقدير مدة

---

[١] الاحكام لابن حزم حـ ٦ ص ١٦ .

[٢] المرجع المتقدم ص ١٦ والاعتصام للشاطبى حـ ٢ ص ٣٢٠ .

[٣] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر حـ ٢ ص ٦١ .

[٤] الرسالة للامام الشافعى ص ٥٠٤ وما بعدها .

المكث فيه ، وجواز شرب الماء من أيدى السقائين من غير تقدير فى الماء وعوضه [١] وهو استحسان ثابت بالعرف والعادة على خلاف ما تقضى به القواعد المقررة فى باب البيع والإجارة ، وهو عدم الجواز للجهالة فى المبيع أو فى مدة الإجارة وهذا ـ كما ترى ـ نوع من أنواع الاستحسان الذى يريده الفقهاء القائلون به .

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف بين الأئمة الأربعة فى حجية الاستحسان والاعتماد عليه فى استنباط الأحكام الشرعية ، والاختلاف بينهم إنما هو فى كثرة العمل به وقلته فمنهم من توسع فى الأخذ به كالحنفية والمالكية ومنهم من لم يتوسع فى ذلك كالشافعية والحنابلة ، ولعل هذا هو السر فيما هو مشهور بين كثير من الناس وما يجرى على بعض الألسنة والأقلام من أن الاستحسان أصل من أصول الحنفية ، وأن غيرهم من الفقهاء لم يأخذوا به ولم يعتدوا به فى استنباط الأحكام .

وبهذا ينتهى الكلام على المصدر الثانى من مصادر الشريعة النظرية ؟

زكى الدين شعبان

الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

الإيمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والتى لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا يئل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته ، وتداركت عثراته ، ، ستروح من أعطافها رائحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

مصطفى لطفى المنفلوطى

---

[١] الأحكام للآمدى ج ٣ ص ١٣٦ .

الندم والتوبة

- ٣ -

اتضح مما قلناه فى الندم أن عين النادم ترنو بحسرة إلى ذلك الماضى الذى لم يعد فى قدرة البشر تغييره ، وأن عين التائب تتطلع إلى المستقبل يدفعها الأسف على مامضى ويجذ بها الأمل فى إصلاح ما تبقى .

فالتوبة إذن ندم صحيح يورث عزما يغير سلوك المرء من سيئ إلى حسن ، ويحول حياته المذنبة الآثمة إلى حياة طيبة صالحة .

وجوبها :

والتوبة واجبة على كل مذنب يخشى الله واليوم الآخر ، ووجوبها عن طريق الأخبار والآثار ظاهر جلى ، فالآيات والأحاديث فى ذلك كثيرة متضافرة .

قال الله تعالى : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » فقسم القرآن الناس إلى تائب وإلى ظالم ، وما ثم قسم ثالث البتة وجعل من لم يتب ظالما - وهو ظالم حقا - لجهله بربه وآفات نفسه .

وقال تبارك اسمه : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

فجعل سبحانه رجاء تكفير الذنوب مرهونا بالتوبة النصوح الخالصة لله الخالية من الشوائب .

وقال صلى الله عليه وسلم : اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها (١) ...

وعنه عليه الصلاة والسلام : (أقلعوا عن المعاصى قبل أن يأخذكم الله فيدعكم هتا بتا)(٢) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٩ ، والهت الكسر ، والبت القطع .

على أن وجوب التوبة لمن شرح الله صدره بنور الإيمـان أوضح وأظهر ؛ إذ هو لشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان و يتنبه بأدنى إشارة .

قال حمـاد بن زيد : « عجبت لمن يحتمى من الأطعمة لمضراتها كيف لا يحتمى من الذنوب لمعراتها » (١) .

وقيل للفضل بن عياض رحمه الله : « ما أعجب الأشياء ؟ فقال : قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه » (٢) .

وهكذا يكون الإيمـان الحاصل عن نور البصيرة وشدة الحب فى ذات الله .

أولئك قوم آثروا طـاعة الله على مجاراة الشيطان ؛ أشرقت بصائرهم فعرفوا للتوبة منزلتها فسارعوا إليها فلا غرو أن كانوا أولياء الله وأحباءه ، وفى مثلهم يقول الله تعالى : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وفيهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (التائب حبيب الله) ، (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) .

وجوبهـا على الفور :

تبين ممـا تقدم أن التوبة واجبة مطلوبة لـكن بقى علينا أن نعرف أن هذا الوجوب على الفور أم أنه ممدود موسع فيه ؟ .

ونحن إذا لاحظنا ما قدمناه سهل علينا أن نقول : إن هـذا الوجوب على الفور ؛ لأن المعـاصى للايمـان كالمأكولات المضرة للأبدان لا تزال تجمع وتتعفن وسرعان ما تودى بالإنسان إن لم يسارع إلى تطهير نفسه من ضررها ؛ فاذا كان الخـائف من الهلاك فى الدنيا يجب عليه ترك ما يضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك .

قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربـكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وقال عز من قائل : « فانه كان للأوابين غفورا » .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٧٩ .

(٢) » » » » »

والأواب هو الذى إذا أذنب ذنبا بادر إلى التوبة .

وقال جل شأنه : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحد هم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » .

والسر فى هذا التشريع الحكيم هو أن التوبة الصادقة التى تذهب بالخطيئة يجب أن تكون قبل الموت حتى يكون هناك متسع من الزمن يظهر فيه التائب استعداده لتعديل مجرى حياته الخاطئة ويحول فيه ذلك المجرى فعلا حتى يكون استعداده الأول قد استؤصل تماما فيكون غفران الذنوب له عملا معقولا مبررا .

أما هؤلاء الذين يتوانون و يصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لا يشعرون فليس لهم من رحمة الله ومغفرته نصيب [١] .

روى عن على كرم الله وجهه أنه قال : « لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، و يؤخر التوبة لطول الأمل » [٢] .

وقال لقمان لابنه : « يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة » [٣] .

وقال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره فرأيته قائما و بيده رقعة فقال : يا محمد أقرأت ما فيها ؟ فقلت : هى بيد أمير المؤمنين فرمى بها إلى فاذا فيها مكتوب :

إنك فى دار لها مدة ... يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها ... يقطع فيها أمل الآمل
تعجل بالذنب لما تشتهى ... وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة ... ما ذاك فعل الحازم العاقل [٤]

---

[١] مذكرات الأخلاق للدكتور مهدى علام .
[٢] أدب الدنيا والدين ص ٨٣ .
[٣] إحياء علوم الدين للغزالى ـ باب التوبة .
[٤] أدب الدنيا والدين ص ٨٤ .

عموم التوبة فى الأشخاص والأحوال

وكما أن التوبة واجبة على الفور فهى كذلك عامة لجميع الأشخاص وفى جميع الأحوال.

أما عمومها لجميع الأشخاص فظاهر جلى أمر به الشرع وارتآه العقل، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى: «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه».

وقوله عز وجل: «يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا». وقوله سبحانه «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» فعمم الخطاب ورتب رجاء الفلاح على التوبة.

وقال صلى الله عليه وسلم: (يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فانى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة) [١].

والعقل بعد أن يتدبر معنى التوبة ويعرف أنها الرجوع عن الطريق المبعدة عن الله تعالى يحتم ذلك؛ فالإنسان من حيث هو عاقل يتجافى عن الطريق المبعدة وينأى عن المفازة المهلكة.

وهنا يسير البحث الخلق الدينى مع أبحاث علم النفس جنبا إلى جنب؛ فاذا تأملنا الإنسان من بدء حياته نجد أن غرائزه هى الحاكمة المسيطرة والمتسلطة الآمرة تقوده إلى ما تحبه النفس وتهواه، وبتوالى الأيام والدأب على فعل ما تميل إليه النفس تتكون العادات ثم يأخذ العقل فى الظهور رويدا رويدا فيجد أمامه كثيرا من العادات المتكونة والميول المتسلطة التى ألفتها النفس واعتادتها وهى فى غير الاتجاه الصحيح الذى يريده العقل فيأخذ فى تقويمها وتعديلها. وهنا تنشأ معركة بين العقل والهوى؛ فأيهما تغلب قهر صاحبه واحتل مناطقه وأزعجه عن مألوفه؛ فان لم يقو العقل ولم يكمل فازت الشهوات وظهر الهوى وتحفز الشيطان وهو يردد: «لأحتنكن ذريته إلا قليلا». وإن كمل العقل وقوى أخذ فى قمع الشهوات ومفارقة سيئ العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى طاعة الله.

---

[١] رواه مسلم.

ولا معنى للتوبة إلا الرجوع عن طريق دليله الشيطان إلى طريق الله تعالى .

وأما عمومها على كل حال فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه أو بخواطره المذهلة عن ذكر الله تعالى . حتى فى أعلى مراتب البشر لايخلوأحد منهم عن غفلة أوقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص، ولا يتصور بحال خلو البشر عن هذا النقص وإنما يتفاوتون حسب درجاتهم وطاعاتهم وقربهم من الله ، وأما أصل النقص فلا بد منه .

وإذا كان رسول الله محمد صلوات الله عليه وهو خير البشر عامة يقول : « إنه ليغان على قلبي وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة »[١] فكيف بمن هو دونه منزلة ! إنه أولى بأن يحصل منه ذلك .

ومن ثم كرمه الله تعالى فغفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر قال تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... » .

فظاهر الآية يصرح بأن له ذنوبا ولكن الله تعالى كرمه بغفرانها والصفح عنها .

سؤال يرد بالخاطر :

وهنا يرد بالخاطر سؤال وهو :

هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر ؟

والإجابة عن هذا السؤال لها اعتبارها وقيمتها فى نفس السائل وفى نفس غيره ؛ فربما كانت الإجابة عنه تنير السبيل أمام كثير من المذنبين وتطمعهم فى رحمة الله تعالى وغفرانه .

وللاجابة عنه نقول :

إن للعلماء فى ذلك آراء :

١ — فمنهم من قال : لا تصح التوبة إلا إذا أقلع الإنسان عن كل الذنوب ، وذلك لأن الذنوب مهما اختلفت وتنوعت فهى ترجع إلى أمر واحد هو مخالفة أمر الله

---

[١] رواه مسلم ، وأورده الغزالى فى إحياء علوم الدين باب التوبة .

تعـالى ، فاذا تاب المرء فانمـا يفيء إلى أمر الله ، فمن تاب من بعض الذنوب وأصر على بعض آخر فقد ناقض نفسه وكأنه يقول : أنا لا أخالف أمر الله ، أنا أخالف أمر الله .

ولـكن هذا الرأى فيـه عسر ومشقة ولا يستطيعه معظم الناس ، إذ فيه من الحرج ما لايخفى ، والله تعـالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

هذا إلى أن فيه قصر التوبة على أفراد قليلين وهذا بعيد عن فضل الله ورحمته بعباده وهو القائل : « ورحمتى وسعت كل شىء » .

٢ — ومنهم من قال : تصح التوبة من الذنب مع الإصرار على آخر ولو كان من نوعه .

وهذا الرأى أيضا بعيد عن غرض التوبة ، وإلا فما قيمة التوبة عن شرب الخمر مثلا مع الإصرار على تعاطى المواد المخدرة المهلـكة .

٣ — والرأى السديد الذى نرتضيه وبه قال كثير من العلماء هو : أن التوبة لاتصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه .

وأما التوبة من ذنب مع مقارفة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه فتصح كما إذا تاب من أكل الربا ولم يتب من شرب الخمر فان توبته من الربا صحيحة .

قال النووى : « ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى » [١] .

توبة العائد للذنب

والإجابة عن السـؤال السابق تذكرنا بسؤال آخر وهو : ما مصير توبة من تاب ثم عاود الذنب ؟ .

ونترك لإمام الحرمين الإجابة عن ذلك . يقول : « من تاب وصحت توبته ثم عاود الذنب فالتوبة المـاضـية صحيحة والغرض ممـا ذكرناه أن تعلموا أن التوبة عبادة من العبادات يقضى بصحتها وفسادها ؛ فاذا سيقت على شرائطها لم يقدح فى صحتها ما يقع بعد مضيها وعلى معاود الذنب تجديد التوبة ثم هذه التوبة عبادة أخرى سوى التى ذكرناها » .

---

[١] النووى فى رياض الصالحين ـ باب التوبة ، وراجع مدارج السالـكين لابن القيم ص ١٥٢ ، الارشاد للامام الجوينى باب التوبة .

التوبة الصحيحة مقبولة لا محالة

عرفنا حقيقة التوبة وتبين لنا فضلها ووجوبها ولكن النفس تواقة لأن تطمئن متطلعة لأن تعرف مآل توبتها وكأن هامسا يهمس قائلا : ما علامة التوبة الصحيحة ، وهل إذا صحت تكون مقبولة ؟

وإنا نختم بحثنا فى التوبة بالإجابة عن هذين السؤالين ونطمئن هذه النفس القلقة فنقول :

نعم للتوبة الصحيحة علامات وأمارات تدل على قبولها منها :

١ — أن يكف عما كان يقدم عليه من ذنوب [١] .

٢ — أن يكون بعد التوبة خيرا منه قبلها .

٣ — ألا يزال الخوف مصاحبا له .

٤ — أنه كلما تذكر ذنبه انخلع قلبه ، وتقطع ندما وخوفا على قدر عظم الجناية وصغرها [٢] .

وإذا صحت التوبة فهى مقبولة لا محالة وذلك أن كل مولود يولد على الفطرة والقلب خلق فى الأصل سليما ، وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهقه من غبرة الذنوب وظلمتها .

ونار الندم تحرق تلك الغبرة ، ونور الحسنة يمحو عن صفحة القلب ظلمة السيئة ، وكما لا تستقر ظلمة الليل مع نور النهار فكذلك لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات ؛ فحرقة الندم وسكب الدموع تغسل القلب وتطهره وتزكيه وكل قلب طاهر زكى فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول .

فواجبنا إنما هو التزكية والتطهير وأما القبول فقد سبق به القضاء ووعدنا به الله ووعده الحق حيث يقول : « قد أفلح من زكاها » . ويقول سبحانه : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » .

فمن يتوهم أن التوبة النصوح غير مقبولة كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل والوسخ لا يزول .

---

[١] أدب الدنيا والدين ص ٨٤

[٢] أدب الدنيا والدين ص ١٠٠

اللهم إلا إذا تلبس الوسخ وغاص فى تجاويف الثوب أو تراكمت الذنوب حتى رانت على القلوب ، لكن مثل هذا القلب لا يرجع ولا يثوب وإن كان يبدو منه كثيرا أن يقول ـ ولكن باللسان فقط ـ تبت وندمت وهى توبة لا تغنى من الذنوب فتيلا .

ولأن التوبة الصحيحة مقبولة قال فقهاؤنا : إن من ارتكب ما يوجب الحد فتاب قبل ثبوته عليه سقط عنه الحد [١] .

هذا البيان وإن كان كافيا للنفوس المطمئنة وذوى البصائر المشرقة قد لا يكون كافيا لمن كثرت ذنوبهم وعظمت آثامهم وتملك الخوف والوجل قلوبهم ، ولكنا نبث فيهم روح الأمل ونعضد جناحهم بذكر الآيات البينات والآثار الشاهدة لقبول التوبة .

وإذا وافق العقل النقل فلا مجال للشك والريب .

ندعوهم لأن يستمعوا إلى قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » .

وإلى قوله سبحانه : « أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » .

وأن يصيخوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [٢] .

وإلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة » متفق عليه .

وأن يستمعوا إلى ما روى أن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » [٣] .

وفى الحديث الإلهى العظيم حديث أبى ذر : ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار

---

[١] ابن عابدين ج ٣ ص ١٩ .
[٢] رواه مسلم فى التوبة .
[٣] رواه الترمذى وقال حديث حسن ، مدارج السالكين ص ١٦٧

وأنا أغفر الذنوب ، فمن علم أنى ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا أبالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » يا عبدى لا تعجز فمنك الدعاء وعلىّ الإجابة ومنك الاستغفار وعلىّ المغفرة ومنك التوبة وعلىّ تبديل سيئاتك حسنات » [١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أقبل إلىّ يمشى أقبلت إليه أهرول » (٢) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطايا كم السماء ثم تبتم لتاب عليكم » [٣] .

وأخيرا ندعوا أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم حتى كادوا أن ييأسوا من رحمة الله ـ ندعوهم لأن يتدبروا هذا الحديث العظيم الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » (٤)

وفى هذا المعنى يقول ابن المبارك :

أيضمن لى فتى ترك المعاصى وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصى [٥]

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ؟

أبو زيد شلبى
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] مدارج السالكين ص ١٦٧
[٢] رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .
[٣] رواه ابن ماجه فى الزهد .
[٤] رواه مسلم فى التوبة .
[٥] أدب الدنيا والدين ص ٨٠ .

تعليقات

الحلال بين ، والحرام بين
دع ما يريبك إلى مالا يريبك

إن الجهود المشكورة التى تبذلها وزارة التربية والتعليم لتشهد بصادق العزم على إنهاض المجتمع المصرى من طريق العلم النافع ، وتبشر بادراك الغايات الكريمة التى تطمح إليها الأمة من زمن بعيد فى حياة خالصة من الشوائب ، تمثل فيها العقلية الناضجة ، والوطنية الصادقة . . ويتجلى مظهرها الدينى فى الخلق الحميد ، والسمو بالنفس عن لوثة الميوعة والتحلل وما إلى هذا مما خلفته سياسات دخيلة ـ كانت ـ وتوجيهات مشؤومة ، ويكلف القادة اليوم نشاطا مضاعفا فى استئصال جذوره ، وبذر البذور الصالحة مكانه .

وإن من الجهود الميمونة ـ مشروع الألف كتاب ـ الذى اضطلعت به إدارة الثقافة فى وزارة التربية لسد الفراغ فى المكتبة الإسلامية .

وما من شك فى أن هذه وجهة محمودة تتلاقى عندها الرغبات ، وتهش لها الوجوه ، ويتعلق بها الأمل المنشود ، والرجاء فى توفيق الله .

غير أن أمرا من الأمور قد يبلغ من الأهمية مبلغه ثم تنقصه دقة الرعاية من المشرفين عليه فينحرف عن وجهتهم ، أو تلاحقه شبهة تغض من قيمته ، وإن كانت النية به حسنة والقصد فيه بريئا .

ومن ذلك أن إدارة الثقافة نشطت إلى ترجمة كتاب (الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم) لمؤلفه محمد على اللاهورى القاديانى المذهب . وهو كتاب ينزع إلى اعتبار القرآن من أفكار النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا غرابة ، فان هذا اللاهورى تلميذ مباشر لغلام أحمد القاديانى صاحب المذهب

الباطل ، والضلالات الفاحشة فى العقيدة ، والأحكام ، وهو صنيعة السياسة الاستعمارية الإنجليزية إلى درجة الـكفر الصراح فى سبيل الزلفى إلى الإنجليز .

كما يشهد بذلك جميع كتبه الحافلة بالأباطيل المنكرة .

ومن العجيب الذى لا يتفق والجهود المبـاركة التى تبذلها وزارة التربية ، ولا يلائم الغاية التى التزمتها وأعلنتها إدارة الثقافة ، أن السادة الذين ترجموا الـكتاب أثنوا على هذا اللاهورى القاديانى ثناء يجعله فى مصاف القديسين ، كما أفرطوا فى الثناء على متبوعه غلام أحمد القاديانى ، وفى ذلك ، وفى اختيارهم لهذا الـكتاب وعنايتهم بنشره ، إيحاء للناس بالاطمئنان إلى القاديانية ، وتوجيه للناشئة التى لا تميز الخبيث من الطيب إلى ناحيتها . وفى هذا من الخطر ما فيه ممـا لا يرتضيه مسلم ، فضلا عن الوزير كمال الدين حسين الذى عرف بالغيرة الدينية وبالحرص على تطهير الثقافة من لوثة الإلحاد .

هذا وقد نشرت مجلة الأزهر فى عدد رجب المـاضى مقالها الافتتاحى فى هذا الصدد قياما بواجبها ورجاء فى تدارك الأمر بحبس كتاب اللاهورى عن التوزيع ، منعا لأضراره، وحرصا على حسن الظن بمـا تختاره إدارة الثقافة ، كما كتبنا فى ذلك إلى السيد الوزير .

والأمل فى سيادته أن يبادر ــ مشـكورا ــ إلى تحقيق ما رجونا . والسلام عليه وعلى من اتبع الهدى »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

جرح الاسلام

لا تبتئس بالجرح أفرط شره	وطغى أذاه ، فكل جرح يوسى
أقم المنـار لمدلجين تنكبوا	سبل الرشاد وجدد النـاموسا
انظر أيسـتهدى الغوىّ مبينها	أم يستبين الدارس المطموسا
صدأ النواظر والقـلوب أشد من	صـدأ الحديد مضرة إن قيسا

أحمد محرم

ركن الحرس الوطنى بالأزهر :

الاسلام والشجاعة

إن الدارس لتعاليم الإسلام الكريمة يرى أن الإسلام قد غرس فى نفوس أهله الشجاعة ورباهم عليها ، ورغبهم فى التضحية ، وحبب إليهم الموت والاستشهاد ، ونزع من قلوبهم الجبن والخور ، وكره إليهم الضعف والاستخذاء ، فقد أشاد القرآن الكريم بذكر الشهداء ومالهم عند الله من مثوبة وعند الناس من ذكر حسن وثناء جميل ؛ وامتلأ بآيات الشجاعة والإقدام ، ونبه الناس إلى أن الله جعل للانسان أجلا لا يعدوه ، وأن حبه للحياة لا يمد له أسباب البقاء ، كما أن رغبته فى الموت لا تعجل له الفناء ، وأنه وحده الذى يعلم متى وكيف تنتهى حياته .

ولقد جاءت السنة المطهرة مؤيدة للقرآن الكريم فى دعوته ، مفصلة إجماله شارحة إيجازه . فعرف المسلمون الأولون تعاليم دينهم جد المعرفة ، ونزلت منهم منزل الغيث من الأرض الخصبة فأثمرت حرية وكرامة وإباء وشهامة وعزة وشمما ، فكانوا شجعانا لنصرة دينهم ، فدائيين لتحرير أوطانهم . فتوحدت قواهم بعد تفرق وقويت بعد ضعف ، وصاروا أعزة على أهل الباطل لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، ووقفوا بجانب الحق يدافعون عنه بأنفسهم وأموالهم ، وباعوا أرواحهم لله ، وهبوا مجاهدين لتحرير النفوس من الرق والعبودية والأخذ بيد الإنسانية المعذبة وإعادة الحياة الصحيحة بين الناس ، حياة العزة والكرامة والحرية واحترام القيم الأخلاقية .

فلا غرو أن رأينا عمر الفاروق لا يخشى الموت ولا يهاب الردى ، بل أعلن كلمته الخالدة : من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو يرمل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى فانى مهاجر إلى الله ، وأن رأينا الصدّيق أبا بكر حينما انتقضت عليه جزيرة العرب كلها عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعمر وقد أشار عليه بمهادنتهم إلى حين :

ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، أجبار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام ! والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه ولو لم يخرج معى أحد من المسلمين . وأن رأينا خالد بن الوليد يقول وهو على فراش الموت : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى جسمى موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية بسهم . وهأنذا على فراشى أموت كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

أما بعد فلنتعلم من قرآن الله وسنة رسوله وسيرة سلفنا الصالح خير دروس الشجاعة والتضحية ، ولنخض المعارك ضد الباطل فى أى مكان وزمان ، ولنسالم من سالمنا ، ولنحارب من حاربنا ، ولنقف لكل عدو بالمرصاد ، ولندافع عن كرامتنا وعزتنا وشرفنا .

فإن متنا فعز وشهادة ، وإن حيينا فنصر وسيادة .

محمد محمود الفضالى
كلية اللغة العربية ــ السنة الثانية

الاسلام فى الصين

جاء فى كتاب (تاريخ الصين) الذى ألفه الأستاذ جين يون من جامعة بكين أن أول وفد إسلامى بلغ الصين كان فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان حوالى سنة ٦٥١ م ثم تتابعت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون حتى بلغ عدد المسلمين يومئذ فى عاصمة الصين وحدها أربعة آلاف نسمة . وبلغ عدد الوفود الإسلامية إلى الصين فى عهد أسرة تانغ وأسرة يون بين سنة ٦٥١ وسنة ١٢٠٧م ٧٦ وفدا . ولما قام (شى جول) الثائر الصينى بثورته على حكومة الصين سنة ٧٦٢ استنجد ملك الصين سونسرنغ بالدولة العباسية فأمدته بجنودها . ومن علماء الغرب الذين زاروا الصين الرحالة ابن بطوطة وهو أدق من كتب عن الصين من العرب القدماء ، وزار الصين غيره من العراق ابن وهاب وسليمان فى القرن التاسع الميلادى وسجل أحدهما ما شاهداه فى رحلتهما .

الكتب

عمدة التفسير – عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر – الجزء الثانى ٢٨٧ ص – دار المعارف بمصر

نوهنا فى جزء جمادى الأولى من هذه المجلة بما تصدى له العلامة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر من تصحيح وتنقيح وتحقيق تفسير الحافظ ابن كثير فى طبعة مختصرة زاد بها هذا الكتاب النفيس نفاسة وتمحيصا على ما وصفناه و بيناه .

وهذا الجزء الثانى مبدوء بالآية ١٦٨ من سورة البقرة : « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » ومختوم بالآية ٩٢ من سورة آل عمران : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم » .

ومما امتاز به هذا المختصر التعليقات عليه مما لا يجده القارئ فى غيره ، كالتعليق فى ص ١٨ – ١٩ على حديث « لا وصية لوارث » و بيان أسانيده الصحيحة ، التى نقلها الأفراد عن الأفراد مما لم يصل إلى الإمام الشافعى رحمه الله ، فذكر فى الرسالة (ص ٣٩٨ – ٤٠١) ثبوته عنده بنقل عامة عن عامة حيث قال : « ووجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنه من أهل العلم بالمغازى – من قريش وغيرهم – لا يختلفون فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح : لا وصية لوارث ، ولا يقتل مؤمن بكافر . و يأثرونه عمن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازى ، فكان هذا نقل عامة عن عامة ، وكان أقوى فى بعض الأمر من نقل واحد عن واحد . وكذا وجدنا أهل العلم عليه مجمعين » .

ومن هذه التعليقات تصحيحه أن حديث « عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية ولنساء أخريات ليس منهن أم هانئ كما وقع فى تفسير ابن كثير . ومن نفيس التعليقات ما جاء فى ص ١٢٣ – ١٢٤ فى سبب نزول آية : « و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » . وأنها نزلت فى أخت معقل بن يسار المزنى بعد أن طلقها زوجها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة فخطبها مع الخطاب ، وكانت أخت معقل ترغب فى رجوعها إليه كما رغب مطلقها ومعقل يأبى ذلك حتى نزلت الآية فقال معقل : سمع لربى وطاعة ،

وزوجه . قال الترمذى وفى هـذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى . لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيبا ، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها . وقال الإمام الطبرى مثل ذلك ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن هذا هو الصواب ، وأن ترك الأمر فى ذلك إلى المرأة الثيب ترتبت عليه مفاسد مشاهدة زيادة على مخالفته للنصوص كحديث « لا نكاح إلا بولى » .

وفى ص ١٩٢ وص ١٩٦ ـ ١٩٧ تعليقات على الربا وما تركه المسلمون من شريعة دينهم مندفعين مع شرائع أعدائه .

وفى ص ١٩٨ تنبيه إلى حديث فى صحيح البخارى ترك ابن كثير مكانه بياضا ، ثم جاء مصححو ابن كثير فى الطبعة التجارية (١ : ٣٣٢) فنقلوا من البخارى حديثا غير الذى أراده ابن كثير دون بيان أنه زيادة من عندهم فكان هذا العمل تزييفا وافتراء على ابن كثير وفى ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ تعليق ورد على محاولة للسيد رشيد رضا رحمه الله تأول حديث شهادة خزيمة بن ثابت الأنصارى ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها بشهادتين ، بما يخرج الحديث عن معناه وينفى هذه الخصوصيه لخزيمة . إلى غير ذلك من محاسن هذا المختصر وتحقيقاته . وكنا نود أن نشير إلى أمثال ذلك فى الجزء الأول ولكن ضاق النطاق عن استيعابه .

أضواء على التاريخ الاسلامى

للأستاذ فتحى عثمان — ٣٠٣ ص — مطبعة دار الجهاد بالقاهرة

طالما رددنا الشكوى على صفحات هـذه المجلة من وقوف إخواننا الجامعيين فى مصر من تاريخ العروبة والإسلام موقف الأجنبى الشانئ الذى يتصيد الهفوات ، بل يصدق الأكاذيب ويشكك فى الحقائق ، ويبنى على ذلك أحكامه الجائرة على أنظف ماض لأنظف أمة ظهرت على مسرح الحضارة . وأحب أن أعتذر فى هذا الشهر لاثنين من أفاضل الجامعيين أحدهما الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى فى جامعة الإسكندرية لمقاله النفيس المنشور قسمه الاول فى هذا الجزء عن الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، فقد دل على يقظة فكرية بلغ بها الذروة فيما تحدث به فى مقاله عن مؤتمر عقد فى أمريكا سنة ١٩٥٣ للبحوث الإسلامية . أما الجامعى الآخر فهو الأستاذ فتحى عثمان منشئ المقالات والبحوث الكثيرة فى هذه المجلة ومؤلف كتاب (أضواء على التاريخ الإسلامى) الذى صدر فى هـذا الشهر عن مكتبة دار العروبة ، وتحدث فيه عن أكثر المعانى التى تجول فى أذهان شباب العروبة والإسلام فى هذه الأيام حول تاريخهم ومراجعه

والكتب المؤلفة فيه وكيف يستفيدون منها فى بعث ذلك الماضى العظيم وتخليصه من شوائب الأغراض التى تسلطت عليه والأهواء التى دفعت حملة الأقلام إلى تشويهه . وبذلك وضع أصابع المثقفين منا على مواضع الألم من هذه الناحية ، وأيقظهم لحقائق كان كثير منهم فى غفلة عنها ، وأظن أن هذا الكتاب سيكون له ما بعده إن شاء الله فى البعث المرتجى، بما ينبعث من خلال فصوله وبين سطوره من أضواء على التاريخ الإسلامى، فشكرا للمؤلف على هذه التحفة ، وينبغى لكل عالم ومتعلم ومنسوب إلى العلم من قراء العربية أن يتصفحه ويطيل التأمل فيه من ألفه إلى يائه . ونطمع من المؤلف أن يواصل المكتبة العربية بمثل هذه البحوث القيمة .

حقوق الانسان بين الشرق والغرب

للاستاذ محمد شاهين حمزة — ٢١٥ ص — إدارة مجلة الرابطة الإسلامية

من أعظم أكاذيب هذا العصر وخرافاته التى تذاع بين الناس بمختلف وسائل الإذاعة، فيخيل إلى الجماهير أن فيها شيئا من الصدق ، ولو بنسبة النصف أو الربع أو العشر ، ما يزعمونه من أن فى أوربا وأمريكا اهتماما بمعنى الإنسانية وانتصارا لحقوق الإنسان ، بدليل ما يؤلفونه لذلك من لجان وهيئات ، وما يسطرونه فى هذا المعنى من وثائق . وإيمان الغرب بالإنسانية والإنسان هو — فى الواقع — ما يعترفون به بمعاملتهم الهمجية للملونين فى الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب إفريقية ، وما شاهدناه ونشاهده من انتدابهم ووصايتهم فى القرن العشرين على فلسطين وأهلها ، وأساليب حكمهم فى الجزائر وأخواتها . والإنسانية كل لا يتجزأ ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

وهذا الموضوع كان ينبغى لأبناء العروبة والإسلام أن يتناولوه بالتآليف ليمحصوا به الحق ، ويبينوا للناس قيمة هذه الأكذوبة التى امتلأت الدنيا بالدعاية لها . وجزى الله خيرا الأستاذ المفضال السيد محمد شاهين حمزة النائب السابق وصاحب مجلة الرابطة الإسلامية حيث أدى عنا الواجب من هذه الناحية ، فتكلم فى هذا الكتاب على التعصب والتسامح، وعلى حقوق الإنسان عند دول الغرب واحدة واحدة، وتحدث عن أصابع الاستعمار والرأسمالية ، وعن ماضى ذلك فى الأمم السالفة ومختلف الديانات . ودعا فى النهاية إلى قيام هيئة أمم شرقية يكون مقرها فى الشرق تنبثق منها حقوق الإنسان الصحيحة فتنتشل هذا العالم الغريق فى بحر أطماعه ووحل أحقاده ، استجابة لدعوة الإسلام منذ نادى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

الأدب والعلوم

مؤتمر توحيد المناهج والمراحل التعليمية

انعقد فى القاهرة مؤتمر عربى مشترك لدراسة توحيد المناهج والمراحل التعليمية .

ومن أهم ما وجه المؤتمر عنايته له ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية ، فألف لجنة فرعية لوضع الخطوط العريضة لمشروع المناهج الخاصة بها ، وقد أعلن المؤتمر أن اللغة العربية ليست مادة دراسية وحسب ، ولكنها « جزء من شخصية كل عربى » .

وبحث منهج التاريخ وأهميته ، باعتبار أن التاريخ العربى من مقومات القومية العربية

وقرر المؤتمر الاستغناء عن اللغة الأجنبية فى المرحلة الأولى ، على أن يكون تدريسها بعناية من بدء المرحلة الاعدادية .

وقرر المؤتمر بالاجماع إلغاء امتحان الدور الثانى ، والنظر إلى الامتحان كعملية تقييم مخففة لا يقصد بها إرهاق التلميذ .

ومن مقررات المؤتمر أن تكون مراحل الدراسة فى جميع البلاد العربية ثلاثا : ابتدائية ومدتها ٦ سنوات ، وإعدادية وثانوية ومدة كل منهما ٣ سنوات ؛ وتقرر أن تسمى كل سنة دراسية « الصف » .

وتقرر أن تكون المصطلحات موحدة وأن تبدأ المرحلة الابتدائية فى سن السادسة

القرآن فى المدارس الابتدائية

وافق مجلس نقابة المعلمين على التوسع فى تعليم الدين بمختلف مراحل التعليم ، على أن يقوم التلاميذ بحفظ أجزاء القرآن الكريم بدلا من الآيات المختارة .

مدارس المبشرين بالسودان

أذعنت إرساليات التبشير البروتستانية فى السودان لقرار ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية .

أما إرساليات التبشير الكاثوليكية فعلقت أمر ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية على موافقة البابا . لكنها وافقت على ألا تقبل فى مدارسها إلا أبناء طائفة الروم الكاثوليك .

وقد رفضت وزارة المعارف السودانية اشتراط تعليق الضم على موافقة البابا ، ورضى الوزير بأن يجتمع به ممثلو هذه الارساليات الكاثوليكية للبحث فى هذه النقطة .

أنباء العالم الإسلامي

سيادة العرب على أوطانهم وحيادهم الايجابي

(بيان أقطاب العرب الأربعة)

عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ٢٥ رجب عام ١٣٧٦ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٧ و ٢٧ من رجب سنة ١٣٧٦ الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٧ اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وجلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم .

وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التى يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولى والتباحث فى القضايا التى تمس الأمة العربية وتؤثر فى مجرى حياتها ونهوضها وتقدمها وحفظ كيانها .

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التى بذلها صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ، وما أوضحه جلالته للمسئولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق الأوسط ، وما تناوله البحث من أمور .

كما أوضح جلالته ما أفهمه للرئيس الأمريكى بصورة خاصة عن حقوق العرب وقضاياهم بما فى ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائجه وحق مصر فى سيادتها على قناة السويس وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التى تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ماوراء خطوط الهدنة وذلك دون تحقيق أى مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثى .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها فى المجتمع الدولى وأن تساهم

بنصيبها فى إرساء العلاقات الدولية على أسس تحو بها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

إن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعى شعوبها وازدادت إيمانا بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن أعلنته من عزمها على تجنيب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعد بها عن منازعاتها والتزام سياسة الحياد الإيجابى محافظة بذلك على مصالحها القومية . وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيق وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

ويرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وإجماع الرأى العام العالمى بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ماوراء خطوط الهدنة فان العدوان الثلاثى ضد مصر لا زال قائما بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام فى منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالى قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب .

ولذلك قرر المجتمعون :

١ — العمل على انسحاب إسرائيل فورا إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .

٢ — التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياههم الإقليمية .

٣ — وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار والخسائر التى لحقت بها من جراء العدوان .

٤ — رفض جميع المحاولات التى تبذل للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها فى قناة السويس، إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر وسيادتها عليها كاملة وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

٥ — استنكار العدوان البريطانى على أراضى اليمن والتضامن معها فى صد هذا العدوان .

٦ — التأييد المطلق لحق عرب الجزائر فى الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .

ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبعثة عن إيمانهم بحق أمتهم فى أن تحيا حرة مستقلة، والمستندة إلى قوميتهم العربية التى برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة، لتزيدهم تضامنا فيما بينهم لبلوغ أهداف الأمة العربية فى الحرية والوحدة والتقدم .

غنائم مصر

من مدخرات قاعدة القنال

لما قامت بريطانيا بجريمة الغدر فى هجومها على مصر ، كان من النتائج المشروعة لحالة الحرب التى ترتبت على ذلك استيلاء مصر على الغنائم الحربية التى بقيت مدخرة فى قاعدة القنال . ويقول چون هير وزير الحربية البريطانية فى تصريح له فى شهر فبراير إن هذه الغنائم هى ما يقرب من ٢٧٠٠ سيارة عسكرية و ١٨ ألف طن من الذخيرة و ١٢٠ ألف طن من العتاد المخزون . وقال : إن قيمة هذا العتاد تقدر بستين مليونا من الجنيهات .

شركات مقاولى قاعدة القنال

اعتبرت الجهات المسئولة فى مصر شركات مقاولى قاعدة القنال غنيمة حرب ، لأنها كانت لحراسة ذخائر ومعدات حربية ، وهذا هو الوجه القانونى لاعتبارها غنيمة حرب . ولكنه من ناحية عمالها ومستخدميها يعتبر مبررا قويا لتدبير عمل سريع لهم بعد تسجيل أسمائهم فى مكاتب التخديم الحكومية .

اللغة العربية

فى الشركات والمؤسسات بمصر

صدر قرار جمهورى بوجوب استعمال اللغة العربية فى جميع السجلات والمحاضر والمكاتبات الصادرة من الشركات والمؤسسات الأهلية إلى الجهات الحكومية أو فى معاملاتها ، وفى تحرير العقود والإيصالات والمكاتبات المتبادلة بين الجمعيات والهيئات وبينها وبين الأفراد ، وكذلك اللافتات . وأجاز كتابة لغة أجنبية إلى جوار اللغة العربية ، على أن يراعى فى كتابة اللافتات أن تكون اللغة الأجنبية تحت اللغة العربية وبخط أصغر منها . وحدد القرار عقوبة المخالفة بغرامة من عشرة جنيهات إلى مائتى جنيه . وقد بنى هذا القرار الجمهورى على أن دستور مصر نص على أن اللغة العربية هى لغة البلاد الرسمية ؛ وهذا القرار أحد وجوه العمل بهذا النص الدستورى .

وفد الجامعات اليوغسلافية

فى زيارة الأزهر

زار الأزهر وفد أساتذة الجامعات اليوغسلافية الذى يزور مصر الآن ، وقد استقبلهم نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر — فضيلة وكيل الجامع الأزهر وفضيلة سكرتيره العام . وقد وقفوا على مظاهر النشاط الأزهرى فى جميع نواحيه .

شهادات

* شهد جوزيف جرين سفير أمريكا السابق بالأردن أمام لجنة الدفاع والشئون الخارجية المشتركة بمجلس الشيوخ الأمريكى أن النفوذ الشيوعى فى إسرائيل أقوى منه فى أية دولة عربيـة أخرى ، بسبب الشيوعيين الذين هاجروا إليها من أوربا الشرقية ، وأن الشيوعيين بدأوا نشاطهم فى إسرائيل قبل أن يبدأوه فى الدول العربية .

* وشهد هنرى بايرود سفير أمريكا السابق بمصر بأن الهجوم الذى شنته إسرائيل على مصر فى فبراير ١٩٥٥ هو الذى أطلق حالة القلق والاضطراب من عقالها فى الشرق الأوسط، وأن الفدائيين المصريين لم يرسلوا لمهاجمة إسرائيل إلا بعد هـــذا الهجوم . وقال : إنه كان من الخطأ أن تلغى أمريكا عرضها للمساعدة فى إنشاء السد العالى .

* وقال جيمس مكدونلد ســـفير أمريكا السابق فى إسرائيل : إنه لم يحـــدث منذ مباحثات الهدنة التى أجراهـا رالف بانش سنة ١٩٤٩ أى تقدم ، بل بالعكس تشدد العرب أكثر من ذى قبل .

* وأعرب جورج وادسورث سفير أمريكا السابق فى المملـكة السعودية عن اعتقـاده بأن من مصلحة البلدين أن يسمح للسعودية بشراء الأسلحة من أمريكا ، لأن السعودية تعد من عوامل الاستقرار فى المنطقة ، وقد رفض الملك سعود استمرار قبول الأســلحة من الروس .

قضية الجزائر

فى الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى منتصف فبراير وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بإجماع ٧٧ دولة على المشروع الذى تقدمت به الـكتلة الاسيوية الافريقية ودول أمريكا اللاتينية وهو « أن الحـالة فى الجزائر قد أدت إلى آلام كثيرة، وكانت سببا فى خسائر جسيمة فى الأرواح . ولذلك تعرب الجمعية العامة عن أملها فى الوصول ـ بوسائل مناسبة، وبروح متسمة بالتعاون ـ إلى حـل ديمقراطى عادل لمشكلة الجزائر ، على أن يكون هـذا الحل متفقا مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة » .

مناهج الدراسة النسوية

تتجـه النية إلى تعـديل مناهج المـدارس النسوية والثانوية الفنية ، وسيدخل فى المنهج ـ علاوة على التدبير المنزلى ـ وسـائل تربية الأطفال، والرضاعة ، والحضانة ، والأعمال الخاصة بالمنزل ، والحياة الزوجية .

الفهرس

صـــــوم رمضان

للسيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن الله عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ؛ إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » .

وهذا واضح فى أن جزاء الصوم لا يقف عند حد ، وثوابه يتجاوز معايير الحساب والتقدير ؛ فانه من أعظم دلائل الإخلاص ، وأقوى مظاهر الجلد والصبر ؛ وقد قال الله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وأخرج الشيخان أيضا عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ، فالصوم لى وأنا أجزى به » — وخلوف فم الصائم هو ما يكون من تغير رائحة الفم من أثر الصوم وترك الأكل — وهذا من أقوى الشواهد على فضل الصوم ، وما له من الآثار الطيبة ، وحميد العاقبة ،

حتى إن ما يستكره عادة وطبيعة من تغير رائحة الفم هو عند الله أطيب وأفضل وأحسن عاقبة للصائم مما يستطيبه الناس من رائحة المسك .

وروى البخارى عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جُنة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل » - أى لا يتكلم بما فيه فحش وقبح ، ولا يكن منه ما يكون من الجاهلين من الصخب ومظاهر التجبر والغطرسة - « وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم » .

ومعنى كون « الصيام جُنة » أنه وقاية وحماية من المعاصى ومن العذاب .

وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فقال إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه .

مكانة الصوم

ومزاياه الدينية والدنيوية

الصوم شريعة من أهم الشرائع التى جاء بها الإسلام ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أحد الأركان الخمسة التى قام عليها هذا الدين الحنيف : فقال عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ولأهمية الصوم وسمو مكانته وعظم منافعه الجسمية والروحية ، كتبه الله فريضة على الناس فى الإسلام ، وفى الشرائع السماوية التى سبقت الإسلام ، كما قال عز وجل : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

فهو تهذيب للنفوس ، وسمو بالأرواح ، يعلم الناس كيف يترفعون عن مظاهر الحيوانية التى كل همها الأكل والشرب وإشباع البطن ؛ يعلمهم كيف يسمون بأنفسهم إلى مستوى الملائكة الذين غذاء أرواحهم مراقبة الله وعبادته وتقواه . ويربى فيهم ملكة الصبر ، وقوة قهر النفس ، ويعودهم احتمال الشدائد ، والجلد أمام العقبات والأحداث ومكاره الحياة .

والصوم ينمى فى النفوس فضيلة الأمانة والإخلاص فى العمل ، وألا يراعى فى العبادة غير وجه الله ؛ ويقضى على رذائل الدهان والنفاق والمراءاة .

وهو تصفية للنفوس من علائق الدنيا وشهواتها ، وتخليص لها من الانهماك فى متعها وزخارفها ، حتى لا تطغى المادية و يشتد سلطانها على سلوك الناس فى هذه الحياة ، وحتى يكون السلطان الغالب فى الحياة للفضائل الطيبة ، والمعنويات السامية . وبذلك يكون الإخاء الإنسانى ، وتكون المحبة ، و يتحقق التعاون بين الأفراد والجماعات : الأمر الذى فقدته الحياة المادية التى تصرخ الأمم الآن من شدة ضغطها على النفوس ، وتتلمس الخلاص منها إلى حياة سلم وأمن وتعاون ومحبة .

هذه المعانى السامية ، وهذه الحكم الرائعة ، التى هى بعض مزايا الصوم وثمراته ، قد أشار إليها القرآن فى آية الصوم بقوله تعالى : « لعلكم تتقون » ، وأرشد إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الصوم جنة » ؛ فان الصوم يبعث على تقوى القلوب ، وخشيتها لله وحده ، و يقضى على ما تحمل النفوس من الضغائن والإحن ، والعجب والفخر والبطر ، ويحميها من الميل مع الهوى ، ومن حب التجبر والطغيان ، و يعصمها من الفحش والفجور ومنكرات الأمور .

نعم الصوم خير مرب للانسان على فضائل الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل ، وعلى الجد والحزم وقوة العزم ، وهذه الفضائل هى معدن الخير كله ، وأصل المحامد جميعها ، فان من يضبط نفسه و يمسكها طوال النهار عما اعتادته من الأكل والشرب ، وعما تشتهيه من المتاع الذى أحله الله فى غير أوقات الصوم ، فلا يتناول شيئا من الطعام أو الشراب جهرة ولا خفية ، ولا يتمتع بشىء من ذلك المتاع — من يضبط نفسه و يمسكها عن الحلال على هذا النحو ، امتثالا لأمر الله ، ورعاية لأحكام الله ، وقصدا إلى نيل رضاه ، فانه من غير شك يكون قو يا على منعها عن الحرام ، و إمساكها عما فيه غضب الله وسخطه ، و يكون فى سلوكه فى مجتمعه ، ومعاملته مع غيره ، أهلا للصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد ، و إنجاز الوعد ، لايكذب ولايمارى ، ولا يغش ولايخون ؛ بل يترفع بدينه وشرفه عن أن يأتى منكرا ، أو يفعل فاحشة ، أو يكون منه ما يخدش الشرف والكرامة وعلو الهمة .

هذا إلى ما للصوم من منافع تعود على الناس بصحة أبدانهم وسلامة أجسامهم ، فهو حمية لها ، ووقاية لقواها ، وتنقية لأجهزتها من آثار الأخلاط الضارة التى يشهد الطب بأنه يرجع إليها دائما مختلف العلل والأمراض .

التدرج فى شرع الصيام

وقد سار الإسلام فى شريعة الصيام ، على طريقته فى التدرج بالأحكام . ففرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، فى شهر شعبان منها ، قبل غزوة بدر . واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون فرضيته هكذا متأخرة بعض الشىء عن بدء ظهور الإسلام ، وعن شرعية غيره من الصلاة و بعض الأحكام ؛ وذلك لأن فطم النفس ، ومنعها عن مألوفاتها ومشتهياتها ، جهاد فيه مشقة ، لا يصبر عليه إلا من تمكنت عقيدة التوحيد فى قلبه ، ومرن على الصلاة ، وحب طاعة الله ، وحسن الاستماع لأوامره ، وقبول أحكامه ، والتأثر الكامل ، والانتفاع العظيم ، بآيات الذكر الحكيم .

وهذا هو أحكم الطرق فى التشريع ، وأحسن مثل يحتذى فى النصح والهدى والإرشاد : أن يؤخذ الناس بالتدرج فى الموعظة : يبدأ معهم بما يخف على نفوسهم ، وما يكونون أحسن قبولا له وطاعة فيه ، ثم يستعان بذلك على الانتقال بهم إلى غيره ، مما يكون فيه نوع مجاهدة ومشقة . وهكذا تربى فيهم الفضائل والملكات الطيبة . و بهذا تتكون الأمة الصالحة ، و به وحده يمكن أن يجتمع الناس على الخير ، وعلى التعاون فى البر والعمل النافع .

ولقد كان من التدرج فى الصيام الذى أتى به الإسلام ، أنه فرض على الناس ـ قبل أن يفرض صوم رمضان ـ أن يصوموا يوم عاشوراء ، وهو يوم معظم له فضله وشرفه . ثبت تعظيمه وصومه فى الديانات السابقة على الإسلام ، وحفظت آثار هذا التعظيم ومظاهره ، عند قريش فى الجاهلية ؛ فقد كانوا يحتفلون بهذا اليوم ، ويكسون فيه الكعبة . وقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم مظاهر هذا التعظيم باقية فى يهود المدينة بعد الهجرة :

ففى الصحيحين من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان . وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى شأن يوم عاشوراء — « من شاء فليصمه ، ومن شاء أفطر » .

وفى الصحيحين أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم

صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عـدوهم ، فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

فيوم عاشوراء كان يصام فى الجاهلية ، وصامه النبى صلى الله عليه وسـلم ، ثم فرض صيامه على النـاس قبل أن ينزل القرآن بفرض الصيام ، وقد انتهت فوضيته بفرض صيام رمضان ، ذلك الشهر العظيم ، لكن صوم عاشوراء قد استمر شيئا مندوبا إليه ، ويستحب أن يصام قبله يوم التاسع ، كما نبه إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع » .

حكمة تخصيص شهر رمضان

بشريعة الصيام

بين الله تعـالى فى صدر الآية الكريمة : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » . منزلة هـذا الشهر وجلال مكانه بين أشهر السنة من حيث إنه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، فأنزل فيه أول ما أنزل من القرآن ، الذى هو فى جملته هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية ، تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، ليس هو من إنشاء محمد وابتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقريته وذكائه ، وإنما هو كلام الله ووحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ودليلا باقيا على صدقه فى دعواه أنه رسول الله إلى النـاس لينقذهم من الشرك والضلال والزيغ والانحراف ، وليقضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شيء من هداية القرآن فى جملته .

وهو فى تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، فى باب الهدى والإرشاد ، والتفرقة بين الحق والباطل ، يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته داعيا إليـه ، آمرا باتباعه والتمسك بأهدابه ، ويكشف عن البـاطل ومساويه ، ناهيا عنه محذرا من مفاسده وأضراره .

وقـد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذى هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف ــ شرف اختياره لتنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها ــ يجب أن ترعى حرمته ، وأن تحيـا دائمـا ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهى شريعة تناسب حال القرآن

ودعوته ، وتتفق مع أهـدافه وغاياته ، والحـكمة من إنزاله ، فان القرآن هدى ونور ، يحث على التقوى والرحمـة وعلى العـدل والمساواة، و إحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول و إخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والغش والنفاق .

وكذلك الصيام وحكمته : فانه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمون النفس على الجلد والصبر فى مكافحة الشدائد والملمـات ، وعلى جمع الهمة وبذل الجهد ، لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

وهو أحسن مبصر بحـكمة تنزيل القرآن ، وخير مساعد على الاهتداء بهديه ، والانتفاع بتعاليمه وإرشاداته .

فصوم رمضان إذاً هو إحياء سنوى مجيد لذكرى نزول القرآن الـكريم ، وهو أعظم آيات الشكر لله على امتنانه بهذه النعمة الجليلة . ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى بتعظيم هذا الشهر والاحتفال به ، بكثرة العبادة ، وبذل كل جهوده فى شكر الله على ما أنعم به عليه وعلى أمته ، وكان يكثر فيه من البر والإحسان وتلاوة القرآن ، يعرضه على جبريل أمين الوحى عليه السلام . وهـذا هو أحسن المثل فى إحياء الذكريات وتمجيد الصالحات .

حكم الصوم

وبيان طرف من الأعذار المبيحة للافطار

قد بينت الآية الـكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم . وشهر رمضان هو أيامه التى عدتها ثلاثون أوتسعة وعشرون ، وليس هو الهلال ، والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما يظن بعض النـاس ، فان نزول القرآن لم يكن فى هلال رمضان ، و إنمـا كان نزوله فى أوقات من ليل أو نهـار ؛ ولأن الذى يصام ليس هو الهلال ، وإنمـا هو تلك الأيام . هـذا إلى أن الصيام واجب عام ، وليس مقصورا على من رأى الهلال ، فمن رأى الهـلال ومن لم يره فى وجوب الصوم على سواء .

فشهود الشهر إذاً معناه الحضور فيه : تقول شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد ، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة ؛ وتقول : يشهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين ، فليس الشهود فى ذلك على معنى الرؤية والإبصار ، وإنما هو على معنى الحضور والوجود فى تلك الآونة أو المشاركة فى تلك الأعمال .

وعلى هذا يكون الصوم واجبا على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعا .

وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف ، وهم العقلاء البالغون ، فلا يجب الصوم على صبى دون البلوغ ، كذلك لا يجب على مجنون ، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعا عنه القلم ؛ حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إلى وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاته من الصيام ، كما لا يكلف بقضاء ما فاته من الصلوات ، فان وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب ، وذلك غير متحقق فى المجنون ، فهو والصبى غير المكلف على سواء .

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضا مرضا لا يستطيع معه الصوم أو لا يستطيعه إلا بجهد جهيد ، أو كان الصوم عاملا على زيادة مرضه ، أو تأخر برئه منه ، فانه يكون معفى من وجوب تنجيز الصيام فى وقته المحدد ، ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاته بعد زوال المانع ، فيصوم أياما بعدد ما فاته . فان لم يدرك أياما يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعا أن يصوم ، بأن استمرت به العلة والضعف حتى مات فلا يؤاخذ بشئ مما فاته من صيام .

وليس على هذا المريض الذى أعفى من وجوب تنجيز الصوم شىء من الفدية التى تجب على غيره فى بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فان لم يستطع أداءه فى حالة المرض وجب أن يقضيه فى حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويزول فلا ينتقل الوجوب إلى شىء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه فى الخروج به عن العهدة .

وكذلك المسافر الذى يقطع مسافة السفر الشرعية له أن ينتفع بهذه الرخصة ، رخصة الفطر ، على أن يقضى ما فاته بعد إقامته بصيام عدة ما فاته من أيام أخر ؛ لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيرا وأفضل ، كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم

إن كنتم تعلمون » إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حد الاجهاد والإعياء ، ففى هذه الحالة يكون كالمريض ، وينبغى له الفطر ، وعليه القضاء ، وليس عليه فدية .

أما الذى يطالب بالفدية ـ وهى إطعام مسكين يوما كاملا عن كل يوم يفوت صومه ـ فهو الهرم الذى لا يستطيع الصوم إلا بجهد يستنفد طاقته ، ويبذل فيه غاية الوسع ، فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام ؛ لأنه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته ؛ لأن المانع عنده من الصوم فى وقته ليس من الموانع التى من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم ، يزداد فيه صاحبه كل يوم ضعفا على ضعف ؛ فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن كل يوم ؛ وذلك بر ونفع يعود على الجماعة ، بسد حاجة واحد من الفقراء والمساكين يوما كاملا يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم بيوم ، مادام ليس هناك إثم ولا عدوان .

وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جدا من كتاب الضمان الجماعى والتعاون الإنسانى الذى أتى به الإسلام .

وقد بين القرآن الكريم نوع الفدية ومن تجب عليه ؛ وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فان المراد بالذين يطيقون الصيام هم الذين يبذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ؛ وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال ، فانك لا تقول : أطيق حمل رطل أو نصف رطل ، ولكن يصح أن تقول : أطيق حمل قنطار أو قنطارين .

والذى يؤيد أن المراد بالإطاقة فى الآية هو هذا المعنى الذى أشرنا إليه ما ورد فى قراءة أخرى تقول « وعلى الذين يطوقونه » بتشديد الواو ؛ فان التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعتريه بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين . وبهذا تلتقى القراءتان ، والقراءات ـ كما قال العلماء ـ يفسر بعضها بعضا .

ويلحق بالهرم الذى يضعف عن احتمال الصيام ـ فى وجوب الفدية والاكتفاء بها

عن الصوم ـ من كان مريضا مرضا مزمنا من شـأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهما طال أمده .

ومن الأعذار المبيحة للافطار مع وجوب القضاء بعد زوال تلك الأعذار ما ورد عنه السؤال إلى لجنة الفتوى بالأزهر من السيد قائد كليـة الطيران فى مصر ، ونص السؤال بعد الديباجة :

« يقوم طلبة كلية الطيران بتدريباتهم اليومية الخـاصة بالطيران ابتداء من الساعة الخـامسة والنصف صباحا ويستمر طيرانهم لغاية الساعة العاشرة . ثم يتلقون بعد ذلك محاضراتهم فى العلوم النظرية ابتداء من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الثانية بعد الظهر وكذلك لمدة ساعتين أخريين من الرابعـة بعد الظهر إلى السادسـة علاوة على طيرانهم بعد الظهر أيضا فى بعض الحالات » .

وحيث إن النظم الطبية المتبعة فى السلاح الجوى هى عدم طيران المدرس أو الطـالب ومعدته خالية وإن حالة العمل بالكلية لا تحتمل تأخير تدريبات الطيران المذكورة لشدة الحـاجة لتخريج طيارين بأسرع ما يستطـاع للذود عن الوطن فى هـذه الظروف غير المستقرة ، هذا علاوة على ما فى هذه التدريبات من إرهاق شديد وعمل متصل ، فأرجو الإفادة بالحـكم الشرعى فى هذه المسألة .

وصدر الجواب من لجنة الفتوى بهذا النص :

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال .

وتفيد بأن إعداد القوة للدفاع عن الوطن فرض يجب على الأمة القيام به وبذل الوسع فى تحصيله ؛ لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وتجب المبـادرة بهذا الإعداد والإسراع فيـه فى الأوقات التى يتوقع فيها حـدوث مفاجآت كأوقاتنا التى نحن فيها .

ولا ريب أن الطيران قد أصبح فى هذا العصر من أهم أنواع هذه القوة ، ومن أعظم

وسائل الدفاع التى تستخدمها الأمم وتتسابق فى التدريب عليها تدريبا يضمن لها الوصول إلى الغاية .

ولما كان التدريب المذكور يستدعى عملا شاقا متواصلا ، وكانت النظم الطبية مع هذا تقضى بعدم الطيران فى حالة خلو المعدة ، كما جاء فى السؤال ، كان لهؤلاء الطلبة ومعلميهم عذر شرعى فى الإفطار فى رمضان ، لأن الشريعة الإسلامية قد بنيت على اليسر ودفع الحرج ، ولذلك أباحت الشريعة الإفطار لمن هو أقل عذرا وأدنى ضرورة من هؤلاء ، كما يعلم ذلك من الرجوع إلى مذاهب الفقهاء . اهـ

وبهذا علم أنه يجوز لهؤلاء الطلبة ومعلميهم الإفطار فى رمضان للأعذار التى وردت فى السؤال . لكنه يجب عليهم القضاء بعد زوال هذه الأعذار .

ويستخلص من هذا التشريع الحكيم ـ الذى حاطه الله بالتيسير على العباد فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر ـ حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التى يطول فيها النهار جدا ، وهى البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فانه ما دام عندهم ليل ونهار فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فمن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فانه يسوغ له الفطر ، ويجب عليه قضاء ما فاته فى أيام يستطيع فيها ذلك ، فان الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان فى منطقة تمكث فيها الشمس زمنا طويلا من غير غروب ، أو فى منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فانه يقدر لصيامه ـ فى كل أربع وعشرين ساعة ـ مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فوائد الصوم الروحية والبدنية ، التى من أجلها كتب الله الصوم على العباد . ولا ينبغى القول بسقوط هذه العبادة عنه ، فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزمنة فى كل أربع وعشرين ساعة ، كى ينتفع أيضا بثمرات هذه العبادة التى هى أهم أركان الإسلام .

أشياء قد يخفى حكمها على بعض الناس

وهي غير مفسدة للصيام

ينبغي للمفتي ـ إذا كان بصدد مسائل يختلف في حكمها الفقهاء ـ أن يراعي في فتواه حالة الناس وما هو أرفق بهم وأوفى بالغرض من تحقيق مصالحهم وما يكونون له أحسن قبولا وأقوى امتثالا .

ومن أجل هذا اخترنا في المسائل التالية ـ التي قد يلتبس الأمر فيها على بعض الناس ـ أن الحكم فيها هو عدم فساد الصيام .

فلا يفسد الصوم بشيء من الحقن العضلية أو التي تكون تحت الجلد ؛ ولا بالحقن التي تكون في الأوردة ، ولو كانت للتغذية لأن السائل لا يدخل بها في الجوف من منفذ طبيعي كالفم والأنف ؛ ولأن التغذية من طريق الأوردة لا تفيد شبعا ولا ريا ؛ لأنها ليست من طريق يوصل إلى المعدة ، وإنما هي لمجرد حفظ الحياة من طريق يوصل مباشرة إلى القلب .

أما الحقنة الشرجية فقد قرر العلماء أنها تفسد الصوم ؛ لأن السائل يدخل بها إلى الجوف من منفذ طبيعي ؛ لكنه لا تجب فيها الكفارة ؛ لعدم تكامل الجناية على الصوم كما في الأكل والشرب والجماع ، وإنما الواجب فيها القضاء لا غير .

والتقطير في العين لا يفسد الصوم كما هو مذهب الحنفية .

كذلك لا يفسد الصوم بالقيء ولا بالسواك ، سواء أكان السواك رطبا أم يابسا . وقد سأل بعض المسلمين عن استعمال معجون الأسنان بالفرشة المعروفة ، « والجواب » أنه يجب الاحتراز عن إيصال شيء من هذه المادة إلى الحلق ؛ فإن ما يصل إلى الحلق يجري غالبا إلى المعدة ، فيفسد به الصوم . فإن احتاط الصائم في استعمال هذا المنظف ، وعمل على ألا يصل شيء منه إلى الحلق فلا يفسد صومه . أما إذا وصل إلى حلقه من هذه المادة شيء ولو بغير اختياره فإنه يفسد الصوم . ومن أجل ذلك كان استعمال هذه المادة لا يخلو من الكراهة ؛ لأنه غير مأمون العاقبة .

على أنه لا ضرورة مطلقا لاستعمال هذه المادة بتلك الطريقة في تنظيف الأسنان ، بل إن استخدام السواك المعروف أولى وأسلم عاقبة ، وأشد تقوية للثة والأسنان .

إثبات رمضان وذى الحجة

وبيان الحكم فى اختلاف المطالع

من خير ما أرشدنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام ، وإثبات شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » . فقد ربط ثبوت الشهر شرعا بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان . فاذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعة : بأن كان القمر لم يتم بعدُ دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى « الميلاد » ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون الرؤية — كالغيم والغبار — فقد أرشد النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما يتبع فى ذلك : فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ فى حاجة إلى تفقد الهلال فى اليوم التالى لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمرا مهما يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التى تقع كثيرا بين أهل الأقطار الإسلامية ، فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام :

ذلك أن بعض هذه الأقطار ، قد يتيسر لأهله رؤية الهلال ، فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر ، على ما يبلغهم من تحقق الرؤية فى بعض الأقطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صيامهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم جميعا ، فى أداء عبادة من أهم العبادات ، وشعيرة هى من أعظم أركان الدين؟

حقا إن مواقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ؛ واختلاف هذه المواقع — ولا سيما عند النظر إليها بحسب الخطوط الطولية للكرة الأرضية — يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت : فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين ، بساعة وساعتين ، وثلاث ساعات ، وأكثر من ذلك ، على حسب التباعد بين الجهتين شرقا وغربا ، ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإمساك والإفطار فى أيام رمضان ، فى جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يكون ناس فى وقت

المغرب وحلول الإفطار فى رمضان، على حين أن ناسا آخرين ، يكونون فى وقت العصر ، أو الظهر ، أو وقت الفجر ؛ فإن كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، هى وقت طلوع الفجر ، وشروق الشمس ، وهى وقت ضحى وزوال ، وعصر وغروب ، وهى وقت ظلمة الليل ، أوله ووسطه وآخره ، على حسب مواقع البلاد .

لكن اختلاف المواقع الذى يبلغ به التفاوت فى المواقيت ، ذلك المبلغ العظيم ، ليس له مثل هذا الأثر البالغ ، فيما يرجع إلى إثبات الأهلة ، فانه ليس بين الأقطار الإسلامية ، الشرقية والغربية - فى أغلب الأحوال - تفاوت يتعذر معه تحقيق الفكرة التى نريدها من توحيد أمر الصيام ، بعد أن تتفق الدول الإسلامية جميعها على توحيد العمل برؤية الهلال ، متى ثبتت ثبوتا أكيدا فى أى قطر من الأقطار الإسلامية .

إن علماء الفلك يقررون أن هلال رمضان فى هذا العام ، سيمكث فوق الأفق فى مصر ، ثلاث عشرة دقيقة ، بعد غروب الشمس من يوم الأحد ، الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٧ ، فاذا لم يتمكن بعض أهل المشرق : فى أندونيسيا أو الهند مثلا من رؤية الهلال ، بعد غروب الشمس عندهم فى ذلك اليوم ، ثم رآه أهل الحجاز أو أهل مصر ، بعد غروب الشمس من اليوم نفسه ، فما الذى يمنع من اعتبار أن هذا الهلال هو هلال رمضان ، بالنظر إلى الهند وأندونيسيا وما إليهما من بلاد الشرق ؟

إنه لاشك فى أن هذا الهلال هلال جديد ، هو هلال رمضان ، كما أنه لاشك فى أن النهار الذى يلى ليلة رؤيته هو نهار « الإثنين » بالنظر إلى جميع الأقطار ، فما المانع من أن يكون يوم الإثنين هذا هو أول أيام الصيام لجميع المسلمين ، مع فارق واحد ، ليس له كبير تأثير : وهو أن هذا اليوم « الإثنين » يبدأ عند أهل المشرق ، قبل غيرهم من أهل مصر أو الحجاز مثلا ببضع ساعات .

إنه لا شبهة فى أن ذلك الهلال هلال جديد ، وهو - منذ اللحظة التى يولد فيها - هلال جديد بالنظر إلى أقطار الأرض جميعها ، وأن رؤيته فى الحجاز أو فى مصر ، تكون قبل انقضاء الليل عند أهل المشرق ، الذين لايتمكنون من رؤيته فى أول ليلة ؛ ولذلك هم يرونه - فى الليلة التالية - أكبر حجما ، وأعلى فى الأفق منزلة ، مما يكون فى الليلة الأولى ، عند أهل الحجاز أو مصر ، الذين يكونون قد تمكنوا من رؤيته فيها .

ومن هنا اختار كثير من أئمة الفقه ، فى المذاهب الأربعة ، عدم التعويل على اختلاف

المطالع فى إثبات الهلال . وهو رأى قوى ، ووجهة نظر سديدة . ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام ، من أقوى العوامل ، على تمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية ، فى جميع أقطار الأرض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ؛ والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التآلف والتقارب واتحاد الكلمة .

وهـذا الرأى القوى السديد ، لا يتنافى مع مادل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، فان ذلك خطاب للأمة الإسـلامية ، المتكافلة المتعاونة ، فى إقامة شعائر الدين ، وإيجاب للصوم على جميع المكلفين ، متى تحققت رؤية الهلال ؛ فيكفى إذاً لإيجاب الصوم على أهل قطر ، أن تثبت رؤيته ولو فى قطر آخر ؛ فان الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو « رؤية » ، بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه يقول : « صوموا إذا رئى الهلال » ، « إذا تحققت رؤية الهلال » .

وإذاً لا فرق بين قطر وقطر ، فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد وبلد من قطر واحد .

... ...

هذا ــ ولا ينبغى أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » معناه : من رأى هـلال رمضان فليصمه » ، وأن ذلك يتنافى مع فـكرة توحيد البـدء بالصيام ؛ فان الشهود فى الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء فى إيجـاب الصوم ، وإنمـا الشهود هو الحضور . والمعنى : من حضر شهر رمضان ، وأدرك زمنه ، فواجب عليه أن يصوم ، متى كان أهلا للتـكليف بالصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطـالع ، واعتبارها أو عدم اعتبارها ، محل اجتهـاد الفقهاء ــ ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ــ فلا يكون بدعا أن يرجح أحد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع ، نظرا لمـا قدمناه من أسباب هذا الترجيح .

... ...

قد يقول قائل : إن هـذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال ، مع الأقطار الواقعة غربيه ، فكيف يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى فى الجانب الشرقى منه ، ولاسيما تلك التى هى فى نهاية الشرق الأقصى ؟ إنه إذا رئى الهلال فى مصر فى ليلة ،

فإن هـذه الليلة ـ من وقت غروب الشمس ـ تكون من الشهر الجـديد ، بالنظر إلى أهل مصر ؛ ولزم أن تـكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش ، من وقت غروب الشمس عندهم أيضا ، بل إن رؤية الهلال تكون فى هـذه الأقطار ، أيسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق الأفق هنـالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس ، أكثر ممـا يكون فى مصر ، لكن تلك الليلة التى تحتسب من الشهر الجديد لمصر وللبلاد الواقعة غربيها ، لا تـكون جديدة أو لا تكون جديدة كلها ، لأهل الأقطار الشرقية : كالهند والباكستان ، وأندونيسيا ، ما دام نظام دورة القمر لا يسمح برؤيتهم الهلال بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا ، ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرقى قطر رأى أهله الهلال ، تختلف قليلا أو كثيرا عن حالة البلاد الواقعة غربى هـذا القطر ، لـكن هذا الاختلاف لا يمنع من الأخذ بفـكرة توحيـد الصوم ؛ فانه إذا كان الفرق ـ بين قطر شرقى وآخر غربى يكون أهله قـد رأوا الهلال ـ هو بضع ساعات لا تبلغ ليلة كاملة يصير بها أحد القطرين فى ليل والقطر الآخر فى نهـار فانه يمـكن من غير شك توحيد بدء الصيام .

فمتى تحققت رؤية الهلال فى بلد من البـلاد الإسلامية فانه يمـكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد .

ولا يمنع من هذا التوحيد أن يكون الليل الجديد متحققا فى بعض البلاد الإسلامية : « بلد الرؤية وما يقع غربيها » . عقب غروب الشمس ، على حين يكون تحققه فى البلاد الشرقية بعد ذلك بساعة أو ساعات إلى ما قبل طلوع الفجر .

وعلى هـذا الاعتبار : ـ « اعتبار أن اشتراك أى بلد إسلامى مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجـديد يحتم اشتراكهما فى بدء الصيام » ـ يجب الصـوم على أهل البلاد الأندونيسية جميعها وما فى حكمها ، بل على من هم أبعد من ذلك فى جهة الشرق ، إذا رؤى الهلال فى مصر أو فى الحجـاز مثلا . ومن باب أولى إذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر من الأقطار الواقعة شرقى مصر أو الحجـاز .

أما أهل البـلاد التى لا تشارك بلد الرؤية فى جزء من الليل الجـديد فانهم يكونون حينئذ فى نهـار يعتبر آخر نهـار من شهر شعبان ، فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها حين يصومون النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

وبعد : فهذا البيان ـ الذى يمكن أن يجعل أساسا فى العمل على توحيد الأقطار الإسلامية ، فى الحكم بثبوت الهلال متى ثبتت رؤيته يقينا فى بلدة منها ـ لا يقتصر أمره على هلال رمضان ، بل الحكم كذلك فى ثبوت هلال ذى الحجة ، الذى يتعلق به أمر شعيرة كبرى ، هى شعيرة الحج والوقوف بعرفة :

فانه إذا رئى هلال ذى الحجة من هذا العام فى بلدة جا كارتا أو كراتشى مثلا بعد غروب الشمس من يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٥٧ ، فان نظام دورته يسمح برؤيته حتما فى الحجاز ومصر وما بعدهما من جهة الغرب ، وتكون الليلة الجديدة من شهر ذى الحجة ـ وهى ليلة السبت ، التاسع والعشرين من شهر يونيه ـ فى كل قطر من هذه الأقطار ، ثابتة عقب غروب الشمس من أفقها ، وإذاً يكون الوقوف بعرفة فى يوم الأحد وهو اليوم التاسع من الشهر العربى ، من أوله من غير شك .

أما إذا رئى الهلال بعد غروب الشمس من ذلك اليوم « الجمعة » فى مصر أو فى تونس أو فى مراكش أو فى بلدة « دكار » على المحيط الأطلسى ، وكان نظام دورة القمر لا يسمح برؤيته فى ذلك اليوم فى بلاد الحجاز كانت الليلة الجديدة ثابتة فى بلد الرؤية عقب غروب الشمس من أفقها . أما بلاد الحجاز فانها لا تدخل فى الليل الجديد إلا بعد ذلك بمقدار ما بينها وبين بلد الرؤية ، لكنها تشترك معها فى جزء عظيم من الليل الجديد ، وإذاً تشترك معها فى جزء عظيم أيضا من نهار « الأحد » الذى هو اليوم التاسع من ذى الحجة حسب الرؤية .

ومما تقدم يتبين أن الأمر فى توحيد الأقطار الإسلامية على مبدأ ذى الحجة ، أيسر وأقرب منه فى موضوع الصيام وثبوت هلال رمضان ، لأن الفرق الزمنى بين الحجاز وآخر بلد من بلاد المغرب الإسلامية قليل لا يمنع اتحاد الإقليمين فى حكم ثبوت الهلال . فهما مشتركان حتما فى جزء عظيم من الليل ، وكذلك فى جزء عظيم من النهار .

وعلى هذا لا يظهر سبب وجيه لما يقوره بعض الفقهاء الذين لا يعولون على اختلاف المطالع ، من استثناء شهر ذى الحجة واعتبار أن إثبات هلاله مقصور على بلد الحج نفسه . والله الهادى والموفق للصواب .

... ...

كلمة الختام

يجب على المسلمين أن يهتموا باستقبال رمضان ، وأن ينهضوا لتحرى الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التـاسع والعشرين من شهر شعبان ؛ كى يبنوا عبادتهم على يقين وطمأنينة ، ويكونوا عاملين بنص الحـديث الصحيح : « صـوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيتــه » .

ولا ينبغى لهم أن يتهاونوا فى هذا الأمر العظيم ، ويقعدوا عن التمـاس الهلال ، اعتمادا على أن الفلكيين قد كفوهم مئونة البحث عنه ، وأعفوهم من مشقة رصده وتكلف رؤيته ، بمـا قاموا به من حساب يعرف دورة القمر ، ووقت ميلاده ، ومبدأ الشهر القمرى ونهايته .

ولمـاذا لا يتخذ المسلمون هذا الحساب الفلكى عاملا مساعدا يسهل لهم مهمة البحث ، ويمكن لهم من رؤية الهلال فى غير عسر بمـا يبين لهم من منزلة القمر ، ومقدار ارتفاعه ، وغاية مكثه فوق الأفق ، وبمـا يحدد لهم من البعــد بينه وبين نقطة مغيب الشمس يمينا أو شمـالا ، حتى لاتزيغ الأبصار وتضطرب فى تعرف موقعــه وحتى لايضيع الوقت فى التمـاس الهلال وتفوت الرؤية بفعل هذا الاضطراب ؟

إن تقــدم علم الفلك وبراعة أهله فيما يعالجون من شؤونه وذلك الحساب الدقيق الذى يضبطون به أحوال القمر ومنازله ومواقعه ويحددون به أوائل الأشهر القمرية ونهاياتها لاينبغى أن يكون مثبطا لهمم المسلمين عن أن ينهضوا لاستقبال الهلال ، وأن يعملوا ـ مستعينين بتلك المقررات الفلكية ـ على أن يروه رؤية عينية ؛ فان ذلك هو غاية العلم ، وهو عين اليقين .

ولقد يسر الله أمر الرؤية فى هذا العصر ، بمـا اخترعه العلماء من الآلات الحديثة ، التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى ، مهما كان صغيرا دقيقا ، ما دام ليس هناك مانع غالب بسبب طغيان أشعة الشمس على الأفق ، أو طروق عوارض جوية تحول دون الرؤية .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس فى تحرى الهلال أكثر من التماسه بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل أخرى ـ رحمة بهم وتخفيفا عليهم ـ

فان ذلك لايمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة ميسرة .

فاذا اهتم المسلمون فى الأقطار كلها بهذا الأمر الدينى العظيم ، وبذلوا عنايتهم فى التماس الهلال وتحرى رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واتفقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان ، بما تحقق من رؤية هلاله بالأعين المجردة ، أو بالأجهزة الحديثة الموضحة المكبرة - إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فانه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال ، متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

هذا وإنى أوجه إلى إخوانى المؤمنين ، الأوفياء الصادقين ، نصيحتى خالصة طيبة - وعسى أن يكون لى ولهم فيها كل الخير ، وأعظم النفع - ألا يفرطوا فى شريعة الصوم ، فهى فريضة محكمة ، ثوابها عظيم ، وعذاب التفريط فيها جسيم أليم ، لم يأمر الله بها إلا لحاجتنا إليها ، وارتباط سعادتنا بها ، فى دنيانا وآخرتنا .

وعليهم أن يحققوا المعانى النبيلة ، التى من أجلها فرض الصيام ، فلا يبخلوا بمعروف ، ولا يقصروا فى طاعة ، ولا يتورطوا فى معصية ، ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه .

وعليهم أن يراعوا عدم الإسراف فى الطعام والشراب ، فان إتخام البطن بعد الجوع الشديد ، مفسدة متلفة ، والاعتدال والتوسط فى المباحات ، وحتى فى العبادات ، هو خير ما ينصح به الإسلام .

أسأل الله أن يهدينا جميعا إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا فى ديننا ودنيانا ، وأن يوحد كلمة المسلمين ، ويجمع قلوبهم على المحبة والتعاون والمودة ، ويدفع عنهم شر المعتدين ، ويرد عنهم كيد الباغين ، وأن يوفقهم للعمل على نصرة دينهم ، وإعزاز ملتهم ، ليصلح أمرهم وتقوى شوكتهم ، ويعز سلطانهم إنه ولى المؤمنين .

وهو الهادى إلى سواء السبيل « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين ٠٠

عبد الرحمن تاج

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء التاسع ــ القاهرة فى غرة رمضان ١٣٧٦ ــ ١ إبريل ١٩٥٧ ــ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

من البلبلة ... الى الاستقرار

الاستقرار أمنية من أمانى كل كائن حى .

وهو أمنية الأمانى فى مصر والشرق العربى والعالم الإسلامى .

ولتحقيق أمنية الاستقرار قامت هذه الثورة فى مصر قبل نحو خمس سنوات .

وفى سبيل الاستقرار ، وقفت مصر الثائرة من الاستعمار ، وقفات البطولة والمجد ، فى السنوات الخمس الأخيرة .

وللانتقال بأمانى الاستقرار إلى مجالات العمل سنّت الثورة هذه الأنظمة التى ترمى بها إلى إيجاد طبقة وسطى من الشعب تعلو على مستوى الفاقة والإسفاف ، وتدنو من الكيان المثالى الذى يحيا فى الأسرة حياة كريمة ، فتحيا به مصر فى المجتمع الإنسانى حياة كريمة .

وللاستقرار مظهر بدائى يتحدّث بلغة العيش ، والعمل، والإصلاح الزراعى ، والتقدم الصناعى ، وهو يتناول جماهير الناس ، ولأجله سنت الثورة هـذه الأنظمة ، وستؤتى ثمراتها مع الزمن .

وله مظهر آخر أسمى من ذلك وأرفع ، وهو توحيد الاتجاه الفكرى وإن تعددت الطرق إليه . والأمة التى توحد اتجاهها الفكرى يكافئها الله بالاستقرار الفكرى . وكلما قام استقرارها الفكرى على أسس سليمة ، وتحددت أهدافه الأصيلة ، توطدت بذلك سعادتها ، وسعادة الوطن بها .

بالاستقرار الفكرى تطَّرد الأمور فى المجتمع وتسير نحو أهدافها ، كما يطَّرد سير القطار فيطوى المفاوز إذا تقدّمته قاطرة قوية سديدة الاتجاه .

وبالاضطراب الفكرى تضطرب الأمور وتضعف صلتها بأهدافها ، كما يضطرب سير القطار إذا تقدمته قاطرة مختلة . أو يتعطل عن التقدم إذا وقع بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

كنا فى مصر — قبل الأيام التى قامت فيها الثورة — كالقطار تتقدمه قاطرة مختلة : نرى أننا فى حركة ، ونزعم لأنفسنا أننا فى تقدم . وكان الأغيار مطمئنين إلى عطالتنا والتواء اتجاهاتنا ، فكانوا آمنين من صلاحنا ، واثقين من ابتعادنا — عاما فعاما — عن أهدافنا الأولى ، وسجايانا الأصيلة ، وكياننا الذاتى ؛ لنذوب فيهم ، ولنكون ذيولا لهم ؛ مكتفين عن معانى القوة بأسمائها وعناوينها ، ومن المدنية بمتعها وشهواتها وملاهيها ، ومن الثقافات والعلوم بقشورها ومظاهرها وشهاداتها وشعائرها .

وقامت الثورة ، فكانت هى القاطرة القوية التى تريد لمصر وللعروبة الاتجاه السليم نحو القوة ، والتعايش الكريم بين الأمة ، والتعاون فى شتى ألوانه ومختلف أغراضه ، والأخلاق المتجاوبة فى معانى الجدّ والصدق والعفة والقناعة والإيثار والتراحم .

ومن الحقائق التى يدركها كل بعيد النظر ثاقب البصيرة ، أن الاستعمار لما أخذ يتظاهر لنا بالانكماش والانسحاب فيما بين الحربين العالميتين ، كان مطمئنا إلى أنه ترك لنا وراءه — من المؤمنين به ، والشانئين لما يخشاه فى الشرق الإسلامى من نهوض جدّى واتجاه أصيل — رجالا ونساء سيخلفونه فى السهر على ما بذره فى القلوب والعقول من بذور ، وعلى ما سنه لمجتمعاتنا من سنن ، وعلى ما رسمه لتربيتنا وتعليمنا من مناهج ، وما أفسده علينا من دين وأخلاق وسجايا وفضائل .

زعم لنا الاستعمار أنه قد أخذ بأيدينا إلى العلم ، وملأ مجتمعنا بالمتعلمين . وكذب علينا الاستعمار ، فقد علمنا أن نكتفي من العلم بقشوره ، وأن نتعلق منه بالشهادات نأكل بها العيش ، دون التعلق بالعلم نفسه للحياة به والتعمق بحقائقه واستثمار نظرياته في نتائجها من العمل .

وخلط لنا الاستعمار بين الثقافة والعلم ، فأوهمنا بأن الثقافات الأجنبية من العلم الذي نحتاج إليه ، وأن حاجتنا إلى الثقافات الأجنبية مقدمة على حاجتنا إلى العلم ، ثم أحكم صلة أبنائنا بتلك الثقافات بقدر حرصه على أن يجعلهم أجانب عن ثقافتهم الأصيلة . وأقنعهم بأن قبلتهم إنما هي في عواصمه وحواضره ، حتى صحت فينا النبوة المحمدية : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . فأمسينا نرى أن السنن التي ينبغي لنا أن نعمل بها في مجتمعنا وبيوتنا هي التي نقتبسها من مجتمع الأغيار وبيوتهم ، وافقت بيئتنا وما نحن عليه أو خالفتهما ، وشوه الاستعمار لأبنائنا جمال ماضيهم وكرّهه إليهم ، بقدر ما موّه لهم مخازي ماضيه وحببها إليهم .

وهكذا صح ما أنذرنا به اللورد كرومر في أحد تقاريره السنوية عن مصر يوم تنبأ بظهور جيل من أبنائنا « لا يعرف حرمة القديم » . وهو لا يعني بذلك قديم أمته ، بل يعني به قديمنا نحن . . . لأنه رسم الخطط لذلك مع القسيس دانلوب يوم سلطه على عقول أبنائنا وقلوبهم ونفوسهم .

فنحن نعيش الآن مع جيل من أبنائنا يفسر ثورتنا بعقلية الثورة الفرنسية ، بل بعقلية الثورة الكمالية .

ويفهم الحروب الصليبية بأغاني توركاتو تاسو ، ومن هم أبعد عن الحق والانصاف من توركاتو تاسو ، أكثر مما يفهمها في سجع العماد الأصفهاني وترسل القاضي بهاء الدين ابن شدّاد .

وينظر إلى الإسلام وأنظمته وتاريخه بالعين التي كان ينظر بها لوثيروس وكالفن إلى الكاثوليكية وأنظمتها وتاريخها .

ويتحدث عن أئمة الإسلام وأعلامه ، وخلفائه وأمرائه ، كما يتحدث عن رجال الانجيزسيون وقادة الوقائع في سان برتلمي .

وإذا نيط بأحدهم اختيار كتاب إسلامى ليترجم تحت اشراف الدولة فى الإدارة العامة للثقافة ، لا يميز بين علماء الإسلام ودعاة القاديانية ، ويجرى قلمه بالثناء على الدجال القاديانى بما يضن بمثله على الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، مع أن القاديانية مضى على افتضاحها فى العالم الإسلامى أكثر من نصف قرن .

هذا مبلغ علمهم . وهم معذورون، لأن دنلوب لما وضع الأساس لمعارفنا فى مدارسنا بعد الأساس السابق الذى كان قد أقامه على باشا مبارك وأعوانه ، كان جد خبير بالكيان الذى سيقوم على ذلك الأساس ، وبالنسيج الذى كان سيخرج من تلك المصانع ، والنتائج وليدة مقدماتها .

ومن هنا اضطغنوا كل هذه الإحنة للاسلام ممثلا بالأزهر وعلمائه وزيه وكتبه ومناهجه ورسالته ، فاتخذوا من كل ذلك مباءة لتندرهم وسخريتهم ، وتجاوزوا الأزهر إلى المجمع اللغوى لأنه منسوب إلى العربية ، مع أن ثلاثة أرباع رجاله منهم ، ومنه ارتفعت الدعوة إلى اصطناع الحروف اللاتينية ، والتأدب باللهجات العامية ، فلم تشفع هذه السخافات للمجمع اللغوى المسكين ، ولا أنقذته من ألسنة الجيل الذى وصفه اللورد كرومر بأنه سوف لا يعرف حرمة القديم .

والمجاملات التى يجاملهم بها ناس منا فى المجالس الخاصة ، لا يحفظون لها أمانة المجالس ثم لا يذيعونها كما سمعوها ، بل يجمحون إلى ترجمتها بلغة ثقافتهم الجنسية التى أصبحت لبعض الكتبة والصحفيين ، والأدباء والمصورين ، والشعراء والقصصيين ، هى العلم كله ؛ فلا تجول عقولهم إلا فى مضايق هذا العلم القذر دون سائر علوم البشر ومعارفهم ، وليتهم إذ ابتلوا بهذه النقيصة انحصر فيهم داؤها ، ولكنهم منذ استمين بهم فى تكبير أحجام الصحف والمجلات ملأوها بمعارفهم هذه ، حتى بات شبان الوطن وشاباته ضحايا لهذه الأقلام ، فلا يجدون ما يقرأونه وما يفكرون فيه وما يثقفون به عقولهم ويشحنون به قلوبهم إلا هذه الثقافة الجنسية التى تسلط دعاتها على كل مقروء ومكتوب فى أرضنا ، ومن ضاقت الأرض بقلمه الركيك الهزيل حلق بذهنه فى السماء ليهتك أقداسها ، ويلحد فى خالقها ، ويشكك المخلوقات بكل ما يجهله من علم الغيب .

إن هذا ـ بلا ريب ـ أسوأ ما خلفه لنا الاستعمار من نتائج تعليمه الفاسد ، وياليته أبقى لتلاميذه على شيء من الأخلاق والمروءات . وإنى لا أزال أذكر وصفا رائعا بقلم السيد أنور السادات لما لقيه يوم كلف بانشاء جريدة الجمهورية واختيار من يتعاون معهم فى تحريرها ، فكان كلما أراد أن يتعرف على وجوه جديدة من العارفين بها يجد رأى الواحد منهم فى صاحبه أسوأ من رأى الفرنسيين فى الألمان ، والأمريكيين برجال الكرملين .

لهذا وكثير غيره مما لا تتسع لبسطه هذه الصفحات ، بقى الاتجاه الفكرى عندنا إما كالقطار تتقدمه قاطرة مختلة ، أو كالقطار بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

إن مصر بلد إسلامى عريق ، ما فى ذلك شك . بل إن مصر عند المسلمين بمكانة القلب من العالم الإسلامى ، وليس من الإنصاف ـ كما أنه ليس من المصلحة ـ أن يتسلط عشرون كاتبا منحرفا ، وعشرة مدرسين سلبهم الله نعمة الإيمان ، على أمة مسلمة ذاقت حلاوة الإسلام فى بضعة عشر قرنا ، وهى تحرص على أن يكون هذا الإسلام أنفس مواريثها لأبنائها وأحفادها وذرياتها إلى يوم القيامة . وإن الإسلام كما هو عقيدة وعبادة فهو كذلك سنن وأنظمة وأخلاق وفضائل وعفة وحياء يشترك فيها خمسمائة مليون مسلم إلى ما وراء سور الصين وإلى أقصى جزر أندونيسيا وأعماق القارة الإفريقية .

فالبغى على الدين الذى يدين به أكثر من عشرين مليون مسلم فى مصر هو فى الوقت نفسه بغى على الدين نفسه الذى تدين به السودان وشعوب شمال إفريقية وشرقها ووسطها وأعماقها ، وتدين به شقيقاتنا شعوب البلاد العربية ، وسائر من نعتز بهم ويتجاوبون معنا من الأمم الإسلامية فى أنحاء الأرض . ولحسن الحظ ان موقف القانون المصرى من هؤلاء الذين هدم التعليم الاستعمارى الإيمان فى قلوبهم كفيل بأن يكف أيديهم عن أن تمتد إلى أقداس المواطنين . وفى هذا الشهر وقف فى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة الرجل القانونى الأستاذ محمود عبد اللطيف المستشار بمحكمة النقض فى جمع عظيم من الذين يمثلون مصر المسلمة ، فكان مما قاله فى كلمة ألقاها على رءوس الأشهاد :
إن كل من يشعر بأن دينه يعتدى عليه فى جريدة أو مجلة أو كتاب أو غير ذلك من وسائل النشر والإذاعة ، فان القانون يعطيه الحق بأن يبلغ النيابة العامة عن هذا الاعتداء كما يبلغ أى مواطن عن أية جريمة . وإن القانون يحتم على النائب العام ووكلائه إذا تلقوا هذا

البلاغ أن يطالبوا القضاء بتطبيق المادتين ١٦٠ و ١٦١ من قانون العقوبات على الذين يهاجمون الدين ويؤذون الناس فى معتقداتهم .

وبعد فان مصر فى حاجة ماسة إلى الاستقرار ، وإن من أعظم مظاهر الاستقرار الاستقرار الفكرى ، وسبيل ذلك توحيد الاتجاه الفكرى ، وليس سبيل ذلك أن نقول لأكثر من عشرين مليون مسلم فى مصر تنازلوا عن إسلامكم ليتحد الاتجاه الفكرى بينكم وبين عشرين أو ثلاثين من حملة الأقلام والمدرسين استطاع الاستعمار أن يحولهم عن الاتجاه الإسلامى !

ومسلمو مصر ـ ممثلين فى أزهرهم وعلمائه ـ يعملون من ناحيتهم على تحقيق توحيد الاتجاه الفكرى بما أدخلوه فى مناهجه فى عشرات السنين الأخيرة من مختلف العلوم الكونية ، وبما يساهمون به من نشاط فى دعوة الأمة إلى إصلاح المجتمع . وفى افتتاحية الجزء الماضى من هذه المجلة تحدثت عن موضوع البدع وضرورة مقاومتها وتنوير أذهان الشعب من ناحيتها ، وكنت وأنا أكتبها متأثرا بما لمسته من اهتمام علماء الأزهر بهذا الأمر واتخاذهم الأهبة والعدة للسير بالوطن فى طريقه .

لقد آن لمصر أن تقضى على « عهد البلبلة » فى الأفكار والنزعات والشهوات ، إنه عهد قد عمل له الاستعمار ورسم خططه منذ كان يعمل على أن تكون مصر بلدا « دوليا » فى ثقافته وتجارته وإدارته ومصالحه والقائمين بتلك المصالح ، وما العهد ببعيد على بلدية الإسكندرية التى كان يقوم بها ويمثلها ويملأ كراسيها أعضاء من كل جنس وملة ولغة ، فكانوا كأنهم فى برج بابل . وتلك نتيجة حتمية لتجاهل عروبة مصر وإسلامية مصر وامتلاء مصر بشتى المدارس المختلفة الثقافات والنزعات والسياسات والأغراض والمقاصد ، فكان فيها كل شىء رائجا ونشيطا ومحترما إلا حرمات العروبة والإسلام ، والناس الذين صنعتهم مناهج دانلوب بمختلف ألوانها ، والمدارس الأجنبية بشتى آدابها ولغاتها ونزعاتها ، لا يزالون هم المنبثين فى مرافقنا وصحافتنا ، ومنهم قلة تتجاهل ما تطورت إليه مصر ، والطريق الذى تسير فيه ، والأهداف التى ترمى إليها . فاذا تمكنت مصر من كف أيدى تلك الشرذمة القليلة من بقايا التعليم الاستعمارى عن أن تؤذى الأمة فى دينها وعفة أبنائها وبناتها ولو بالأقلام من صفحات الصحف والمجلات حتى لا يبقى فيها إلا الطيب النافع كان لذلك ما بعده إن شاء الله فى سداد خطواتنا ، والله الموفق م

محب الدين الخطيب



- ٤٩ -

توجيه الناس إلى مسالك الأرزاق

> « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

١ — طلب الرزق أمر طبيعي ، فمن مقتضيات الحياة أن يتناول الجسم حظه من مطعم ومشرب وملبس وسوى هذا مما يتقوم به الجسم والعقل والروح .

غير أن اتجاه الناس إلى الأرزاق يتأثر بمؤثرات متباينة ، فقد يتكالب المرء على الكسب غير مشفق ، ولا متحرج فى مسالكه ، بل يدفعه طمع مسترسل ، وأنانية متحكمة : وكثير ما هم .

وآخرون يستجيبون لنزعة مذهبية من فلسفة أو دين موضوع ، فيتزهدون فى الكسب أو يتحرجون من التمتع بالحلال : زاعمين أن هذا تقشف تتهذب النفس به فيكون قربة إلى معبودهم .

وكانت هذه الوجهة ـ ولا تزال ـ ظاهرة دينية عند الهنود ثم عند آخرين ممن ينتمون إلى كتاب سابق .

وكان لهذه النزعة موجات فى المجتمع القديم ، فتسربت إلى العقلية العربية يوما ما ، وحسبها المسلمون الأولون تصوفا يدعو إليه الإسلام فى أسلوب التكليف .

حتى زعم رجال من خيار الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما يعظهم ويصرفهم عن التعمق فى دنياهم إنما يقصد إليهم حظر ما أباح الله من طعام ، ونوم ، وزوجة ، وتزاور ، وائتناس .

٢ — ولما لم تكن وجهة الإسلام قطع الناس عن دنياهم ، ولا من أهدافه أن يرجع بهم إلى الكهوف ، أو يحبسهم فى الصوامع ، جاءت الآيات البينات ، وجاءت السنة النبوية مؤازرة لعقولهم فى فهم ما أنزل على محمد ، وإيضاح أن التنعم بما أسبغ الله من الرزق هو قوام الحياة ، والسبب فى تقوية الصلة بالله : بادراك فضله ، والاستشعار بقدرته ، والتعبد لذاته ، وشكر نعمته ، وكان من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا « ليس فى دينى ترك النساء واللحم ، ولا اتخاذ الصوامع » وقال : « لا آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا » وهكذا من توجيهاته صلى الله عليه وسلم : وان يتاح ذلك كله إلا مع الأخذ بنصيب من الدنيا .

بل العمل فى الدنيا وسد مافيها من فراغ ، وتعمير مابها من خراب ، وتجليتها فى مظهر من الزينة : كل ذلك ضروب من مناهج الإسلام التى ينادى بها أهله ، ويحمدهم عليها .

٣ — ومن دعوة القرآن إلى ذلك آية الموضوع .

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » .

فهذا نداء بالإقدام على الحلال فى كل نوع من أنواعه .

وفى هذا التوجيه غاية عمرانية ماجدة : هى الحث على اغتنام الأرزاق الطيبة ، وأن يسعوا وراء هذه الأرزاق ، وأن يتعاونوا فى سبيلها ، ويتعارفوا من طريق التعامل بينهم .

وفى هذا التوجيه إشارة ضمنية قوية إلى أن فى مجال الحلال فسحة وغناء عما لا يكون حلالا . . وسيأتى تصريح بذلك .

ثم يقترن بهذا النداء فى حيزه ومقصده نهى المؤمنين عن التعدى بتحريم الحلال (ولا تعتدوا) .

وللتعدى صور يشملها الحظر فى قوة :

منها : الامتناع عن الطيبات بتحريمها على النفس : تقربا إلى الله ، كما زعم زاعمون .

ومنها : تحريمها بيمين أو نذر أو نحوهما : عند الغضب من أحد ، أو الرغبة فى النكال بأحد . . وهذا افتراء على الله ، وتشريع لما لم يشرعه ، ولذلك كان المشروع فى هذه

الحالة أن يحنث المانع نفسه و يفتدى يمينه أو نذره بكفارة يمين : تأديبا له على ما صنع واجترأ به .

ومنها الامتناع عن الطيبات الحلال شحا وتقتيرا ، فهذا فى حكم المحرم لها تقريبا ، وتلك مسئولية غير هينة ، إذ فيها هوان للنفس ، وانكماش عن المروءات : أشبه بمن يقبض يده إلى عنقه تحرجا من مدها إلى عمل الخير خوفا على ماله ، وفى ذلك يقول الله للبخيل والشحيح : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » .

ومنها : الاعتداء فى نفس الطيبات ، بمعنى التوسع فى جلبها والإسراف فى تناولها : على غير ما يقتضيه الحزم .

فان ذلك تبديد لما تملك اليد ، وتعرض لمذلة الفاقة والضيق ، فيصبح المسرف ملوما عند الناس ، لا يترفق به أحد ، ويصبح فى نفسه محسورا نادما على ما ضيع .

فضلا عن تعريض الزوجة والولد لمأساة الحرمان والفقر .

وهذه جناية على الغير ، فى حين أن تيسير الحياة للأولاد وللزوجة والورثة عند الإمكان مسئولية فى عهدة الزوج أمام الله .

والنبى صلوات الله عليه يقول : إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس .

وأنت ترى من خلال هذا التوجيه النبوى حرصا على كرامة الأولاد وسواهم من زوجة وورثة .

والقرآن يفصح عن ذلك فى قوله تعالى : « ولا تبسطها ـ اليد ـ كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

ومن صور التعدى : تجاوز الحلال إلى تناول المحرم لذاته كالخبائث من لحم الخنزير والخمر وما عرف بالنهى عنه كغير المذبوح ونحوه .

أو المحرم لعارض كالمال المشبوه ، والمغصوب ، والمسروق ، والملوث بنجاسة طارئة ، والفاسد المخيف على الصحة .

فلاك هذا كله الحرص على الطيبات ، والحيطة فى الكسب تحرجا من الخبيث لسبب من الأسباب .

وسبيل هذا عدم التعدى بالامتناع ، أو بالإسراف ، أو بتجاوز الحلال .

وهذا نظام يكفل للجماعة وللأفراد حياة متزنة مكفولة الراحة والاطراد .

وفيها تذوق لرفاهية الحياة ، وإدراك لما أنعم الله ، وتنبه إلى وجوب شكره .

وقد بلغت عناية الله بالتوجيه إلى مسلك الاعتدال فى الأرزاق مبلغ التهديد الشديد على الانحراف عنه .

فيقول عز شأنه آخر الآية : « ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » . وماذا بقى للمعتدى بعد أن صارحه ربه بأنه لا يحبه ؟؟ وماذا بقى من الأمل بعد افترائه على تشريع الله بتحريم ما أحل ، وبتحليل ما حرم ؟ « إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم » .

ثم تعود الآية التى معنا فتستنهضنا استنهاضا قويا إلى التمتع بالحلال بقوله تعالى «وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا » وليس الأمر أمر الأكل وحده ، وإنما هو التمتع بمعناه الشامل فى مطعم وملبس وتفكه بكل ما تطيب له النفس فى دائرة الحلال ، وفى حدود التوسط على نحو ما سلف ، وفى ضوء ما تشهد به التجارب الواقعة .

فسياق القرآن فى أمر واقعى يبصره كل ناظر فيما حوله ، ويشهد به كل من عركته التجارب ، وتغيرت حاله وتبدل شأنه من ضيق بعد بسطة ، ومذلة بعد نضارة ومرح .

وأقدار الله منوطة بالأسباب ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وليس لنا من عذر بعد البيان ، فى الدعوة ، والتهديد بالبغض والعذاب .

ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى « واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » والدعوة إلى التقوى مرددة فى كل معرض . ولكن أكثرنا صادف عنها ، أو هى عازبة عن تفكيره .

فأين التقوى مع الغفلة ؟؟ وأين تكون الخشية مع القسوة ؟؟

إنما تكون التقوى لمن آمن بالله وبما أنزل على محمد .

ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، وإنا لنرجو ونرجو فى ضراعة وأمل ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر



سبيل المؤمنين

— ١ —

مكان حذيفة فى الصحابة ـ الشر والفتن والنفاق توائم ـ تعاقب الشر والخير ـ خيار الأئمة وشرارهم ـ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يقول : كان النـاس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ؟ قلت : وهل بعد ذلك الشر من خـير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدىى ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ! قلت : يا رسول الله صفهم لنـا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتـكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فقلت : فان لم يـكن لهم جماعة ولا إمام ؟ ! قال : فاعـتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

أبو عبد الله حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن المقدمين عنده علمـا ونبلا وفضلا ، كان صاحب سره فى المنافقين ، لا يعلم

نفاقهم غيره ، وتلك مزية اختصه بها النبي صلوات الله عليـه وسلامه ، وقد أرسله ليلة الأحزاب سرية وحده ليأتيه بخبر القوم ، فذهب إليهم وجاءه بخبرهم .

وكان عمر يجله ويسأله : هل تعلم فيّ شيئا من النفاق ؟ فيقول : لا . . وأبلى فى الفتح الإسـلامى بلاء حسنا ، وولاه عمره المدائن ، وقال لأصحابه تمنوا ، فتمنوا ملء البيت الذى هم فيه جوهرا لينفقوه فى سبيل الله ، فقال عمر : أتمنى رجالا مثل أبى عبيدة ومعاذ وحذيفة وأستعملهم فى طاعة الله تعالى . . .

كان أحفظ الصحابة رضوان الله عليهم، لأحاديث الفتن وأشراط الساعة، حتى ليقول فيما رواه الشيخان : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه ؛ وروى مسلم عنه قال أخبرنى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بمـا كان إلى أن تقوم الساعة ؛ وفى صحيح مسلم أيضا عنه قال : والله إنى لأعـلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بينى وبين الساعـة . لاجرم أن الله تعالى علم نبيه مالم يكن يعلم وأوحى إليه من أنباء الغيب كثيرا ، وإن كانت فى جنب علم الله قليـلا . . ثم اختص صلى الله عليه وسلم صاحب سره منها بالنصيب الأوفى . .

والشر والفتن والنفاق توائم ، بعضها من بعض ، يبرأ منها الإيمـان والمؤمن الحق ؛ لأنها معاول هـدم وفساد ونقض ، تهدم الأمـة ، وتفرق الـكلمة ، وتنقض العروة ، وتفسد ذات البين ، وتجعل أهلها أثرا بعد عين ! ! وأشدها ما التبس أمره ، واضطربت مذاهبه، كما قال رضى الله عنه ـ وقد سئل أى الفتن أشد ؟ ـ أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدرى أيهما تركب !

* * *

كان رضوان الله عليه شديد الخوف والحذر ، من الفتن والنفاق والشر ، وحبب الله إليه السؤال عنها ، ليحذرها ويحذر منها ، كما حبب الله لغيره من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن وجـوه الخير ، ليعملوا بها ويبلغوها ، وكلهم على هدى من الله ورحمة . . .

وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما سأل ــ عما هم فيه من الخير العظيم ، والفضل العميم ، والهـدى والنور ، والشفاء لما فى الصـدور ، الذى بعث الله به خاتم النبيين ، يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم ، بعد أن كانوا فى جهالة جهلاء ، وضـلالة عمياء ، وظلمات بعضها فوق بعض . . هل يكون بعد هذا الخير ــ وما أعظمه ــ شىء من شر ؟ فأجابه من لا ينطق عن الهوى عليه صلوات الله : نعم إن شيئا من الشر لـكائن ! ابتلاء للأمة ، واختبارا للنعمة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الـكاذبين » .

ساله حذيفة مرة ثانية : هل من خير يجىء بعد ذلك الشر فيمحوه ؟ فأجابه المعصوم صلى الله عليه وسلم : نعم ، سيكون خير خالص لاشية فيه ، كالنور مضيئا لا دخان به ، وكالمـاء صافيا لا كدر معه .

قال حذيفة مرة ثالثة : هل يلحق ذلك الخير من شر ؟ فأجابه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، ولـكنه خير يخالطه الشر ، كالنور معتما ، والمـاء مكدرا ، فكذلك الناس ونفوسهم ، يرشدون بغير سنتى ، ويسلـكون غير سبيلى ، على أنك ترى المعروف منهم حينا فتشكره ، وإن كنت ترى المنـكر أحيانا فتنـكره ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .

* * *

لم يقنع حذيفة رضى الله عنه بما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعاقب الخير والشر وهو يجيبه فى كل مرة . . بل سأله مرة خامسة عما وراء هذا الخير المدخول . . هل من شر يكون بعـده ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : نعم ، شر أشـد وأفظع ! يطيره دعاة فتن ، وأرباب سوء ، يدعون النـاس إلى الفساد ، ويصدونهم عن سبيل الرشاد ، يقولون مالا يفعلون ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويكتمون الحق وهم يعلمون ، مأواهم ومن اتبعهم النار ، وبئس القرار !

والعجب أنهم من جلدتنا ، وأبناء عشيرتنا وملتنا ، يتـكلمون بهذا اللسان العربى ، وربما قرءوا كتاب الله تعالى ، وتحدثوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـكن أفئدتهم من الخير هواء : « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » .

فمن أدرك منهم أحدا فلينبذه نبذ النواة ، وليلزم جماعة المسلمين ، ويتبع سبيل المؤمنين ، من السمع والطاعة ، فان من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

* * *

نعم ، إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة . . هكذا توعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كل أمير أو حاكم لم يجهد لأمته ، ولم ينصح لجماعته ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ؛ كما قال صلوات الله عليه وسلامه : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة .

* * *

وإنما حتم النبي صلى الله عليه وسلم على كل امرئ أن يسمع ويطيع لإمامه فيما أحب أو كره ـ ما لم يؤمر بمعصية ـ حرصا على وحدة الأمة ، وجمعا لكلمتها ، وطلبا لسلامتها من محنة الفتنة ، ومغبة الفرقة ، وهو الذى أرسل رحمة للعالمين .

فاذا لم يكن إمام للناس ولا جماعة ، وتقطعوا أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، فليعتزل هذه الأحزاب كلها ، وليتحمل من البلاء ما حمل ، وله إذا صبر واحتسب جزاء الصابرين .

* * *

ذلك ، والحديث علم من أعلام النبوة ، ما فى ذلك ريب ، ولكن هل يشير إلى فتن معينة ، وفرق خاصة ؟ وما هى تلك الفرق ؟ هذا ما نرجو أن نكشف الغطاء عنه فى الجزء التالى بمشيئة الله تعالى وتوفيقه وهو ولى التوفيق .

طه محمد الساكت

الثقافة الاسلامية

والحياة المعاصرة

— ٢ —

... أما الجهود المبذولة لتطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبرير القيم الغربية وتقريب ما بين الشعوب الإسلامية والغرب ، فهى الغاية الأخيرة ، والهدف المقصود الذى يسعى إليه أصحاب المؤتمر الإسلامى الأمريكى . وهى الدافع الأول لإنفاق ما ينفقون من جهود وأموال . وهى اللب والصميم من هذه الخطة ومن تلك التدابير ، والأمثلة عليها كثيرة متراكمة ، تملأ صفحات الكتاب من أوله إلى آخره . ولكنها متباينة تلبس أشكالا مختلفة . فهى تجىء تارة فى صورة اقتراح موضوعات وطرائق للبحث ، على مثال ما نجده فى مقال القسيس هارولد سمث ، حيث يقول : « إن وجهتى فى هذا المقال هى أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقا لدراسة النظرية الإسلامية المهمة فى الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك للعلماء المسلمين أنفسهم — ص ٥٩ » . فمن الواضح أنه إذا سمح لقسيس أمريكى — وقد سمح له فعلا — بأن يقترح مواضيع البحث الإسلامى وطرائقه ، فمعنى ذلك أن توجيه الفكر الإسلامى قد أصبح فى يد الأمريكيين ، بل فى يد قسسهم . ومما يدخل فى هذا النوع كلام الأمريكيين ومن جاراهم من المسلمين عن معضلة القضاء والقدر ، والتى لا ينتهى البحث فيها إلى ثمرة أو نتيجة يقينية ، ولا ينتج إلا الخلاف وإلا صرف المسلمين عن الأخطار الحقيقية التى تهدد كيانهم إلى المناقشات البيزنطية وإلى القتال فى غير ميدان . وكأن المسلمين قد تخلفوا واستعبدوا لأنهم جهلوا الحل الصحيح لمشكلة القضاء والقدر . وكأن حلها هو العلاج الحاسم لما يعانون من آفات ، ولما يخضعون له من ضروب الاستعباد والاستغلال : (تراجع أمثلة لذلك فى صفحات ٤٨ — ٤٩ ، ٨٤ — ٩١) .

ومن أساليبهم فى هذا التطوير أيضا أن يستدرجوا المسلمين للكلام فى نقاط معينة من نظم الشريعة التى تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين فيما يجرى باسم المدنية . وذلك

لكى يلجئوهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والميل بها إلى ما يوافق العادات الغربية السائدة . وأكثر ما نجد هذا التحريف فى المرأة وما يتصل بشئونها، مثل ما نجده فى مقال الدكتور منير القاضى عميد كلية الحقوق ببغداد ، الذى يزعم أن الإسلام قد «أسس للمرأة حقوقا فى الحكم . فلم يفرق بين الرجل والمرأة فى سائر الأحكام . ومنح النساء حق المبايعة لرئيس الدولة كالرجال » . ويستشهد لذلك بآية من آيات القرآن الكريم ، يوردها مبتورة على هذا النحو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن – ١٢٦ » . وتمام الآية الشريفة هو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله إن الله غفور رحيم – الممتحنة ١٢ » . وواضح من الآية أن البيعة هنا هى عهد من النساء بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزام طريق الله المستقيم ، ولا يمكن أن يستنتج منها أن الإسلام قد منح النساء حق المشاركة فى انتخاب رئيس الدولة على ما يريده الباحث ليوافق به أهواء الأوربيين . وفساد قوله واضح كل الوضوح ، لأن رياسة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على هذه البيعة ، ولا هى مستندة إلى انتخاب البشر . ولكنها مستمدة من اختيار الله سبحانه وتعالى له ، واصطفائه من بين سائر خلقه . وشبيه بهذا المذهب فى التحريف ما نجده فى كلمة عقيلة الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا عن « التطور الاجتماعى للمرأة فى مصر » عند كلامها عن الحجاب والنقاب وتعدد الزوجات . فكلامها كله لا يقوم إلا على المجازفة وسوء الفهم والاستنتاج ، والاعتماد على ما كتبه الأوربيون من المزاعم التى لا تستند إلى دليل (ص ٥١٧ ، ٥١٩) .

ومن أساليبهم فى التطور كذلك – وهو أسلوب خبيث يخفى على أكثر الناس – بعث التاريخ السابق على الإسلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية . والكتاب الذى نعالجه يحتوى على مثالين لهذا الأسلوب ، فى مقالى الدكتور كون ، والدكتور ولسون (٢٨٩ – ٣٠١، ٣٣١ – ٣٤٢) . وستجد فى المقال الأول صورة من اهتمام أمريكا بتوجيه المسلمين للعناية بالتاريخ القديم حيث يقول الدكتور كون : (منذ الآن يجب أن يبذل علماء الآثار الغربيون جهدا مشتركا لتدريب علماء الآثار المسلمين حتى يستطيعوا القيام بالعمل الذى يقومون به .... ويجب أن يبذل كل جهد ممكن للتأكد من أن هذه الأبنية والأهرام والتماثيل والنقوش سيحافظ عليها – ص ٢٩٧) . وستجد فى المقال الثانى

صورة مما بذله الغربيون من جهود فى تأسيس علم الآثار ، وإنشاء إدارات ومتاحف وطنية له فى كل مكان (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) . والأمريكيون يهدفون بذلك إلى تلوين الحياة المحلية فى كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص يستند فى مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى . وبذلك تعود الحياة الاجتماعية التى وحد الإسلام مظاهرها إلى الفرقة والانشعاب ، برجوعها إلى أصولها القديمة السابقة على الإسلام ، فيستريح المستغلون من احتمال تكتل المستعبدين ، ثم تكون هذه المدنيات الحديثة أكثر قبولا لأصول المدنية الغربية ، ويكون كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراد حمله عليه من الصداقات بعد أن تتفكك عرى الأخوة الإسلامية . وذلك هو مالا يكاد يخفى فى قول الدكتور ولسون : « إن فى بلاد الشرقين الأدنى والأوسط فى هذه الأيام نهضة حضارية ، هى - من ناحية - جديدة ، ولكنها - من ناحية أخرى - بعث للقديم . ومن المأمول والمتوقع أن النهضة العربية الإسلامية ستكون تأكيدا للقيم القديمة فى نطاق الأحوال الشخصية - ص ٣٣٨ » . وهو واضح أيضا فى كلامه عن (نهضة الغرب المسيحى) وحركة (إحياء المعارف) ، التى « قامت عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية الوثنية » حيث قال بعد ذلك : « ونستطيع أن نعبر عن هذا بعبارة أخرى فنقول : لقد كان الغرب من الثقة بقوته الفكرية وبإيمانه الدينى بحيث اتخذ أساسا له مواد تنتمى إلى عصر سابق على المسيحية . وقد تمكن بالاعتماد على هذا الأساس القديم من أن يدرس نفسه ، ويختط سبيله للمستقبل . فهل يصدق هذا القياس على الإسلام؟ ص٣٣٨» . ومما يؤكد ذلك الهدف دعوة هذا الباحث إلى إلحاق إدارات الآثار بوزارات المعارف ، وتنبيهه إلى خطأ إلحاقها بمصالح السياحة ، وتعليله ذلك بأن « هناك حاجة ماسة إلى توثيق الروابط بين ميدان العمل الأثرى وبين البحث والدرس فى الجامعات - ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ » . ومن الواضح أن هدفه من ذلك هو تنشئة الأجيال القادمة على قيم تستند إلى أساليب الحياة والفكر فى هذه الجاهليات التى عفى الإسلام على آثارها وقام على أطلالها .

هذا الاهتمام الشديد بالآثار يذكرنا بالنشاط المفاجئ لبعوث الآثار الأجنبية عقب الحرب العالمية الأولى ، وما صحب هذا النشاط من عرض روكفلر المغرى المريب ، فقد أعلن هذا الثرى الأمريكى وقتذاك تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية يلحق به معهد لتخريج المتخصصين فى هذا الفن ويذكرنا هذا الاهتمام الأمريكى

الجديد أيضا بالمـادة ٢١ من صك انتداب بريطانيا على فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، وهو الصك الذى أصدرته العصابة التى كانت تسمى وقتذاك بعصبة الأمم ، فقد بلغ اهتمام الغرب الشديد بالآثار وقتذاك إلى درجة إثباته فى صلب صك الانتداب الذى تنص المـادة الحادية والعشرون منه على « أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات » .

وهذا هو الدكتور اشتياق حسين قريشى وزير معارف الباكستان ، وقد كان أستاذا للتاريخ فى جامعة دهلى وعميدا لـكلية الآداب بها - تقرأ بحثه فى هذا المؤتمر ، فتجد فيه كلاما عن حركة الإحيـاء الهندى فى القرن المـاضى ، وهى الحركة التى جولت العقل الهندى إلى مجد الهند القديم السابق على الإسلام فى شتى نواحى الحياة ، من عمارة وتصوير وغناء ولغة وأدب ، والدكتور قريشى ينسب نشأة التفـكير فى الباكستان إلى هذه الحركة التى ردت الهندى إلى قديمـه الجاهلى ، وتركت المسلم يحس بالغربة التى لا مفرّ منها إلا بالفناء والذوبان فى هذه الحركة الجديدة ، التى كانت تنظر إلى الفتح العربى على أنه قصة الإذلال القومى ؛ بينما كان يعتبره المسلم أوج مجد أجداده (ص ٤٣٦ - ٤٣٨) . ووصف هذا العالم الباكستانى المسئول لحركة الإحياء الهندى تكاد تـكون صورة مطابقة لمـا كان يحدث فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم العربى والعالم الإسلامى ، وهـذا التشابه وحده لا يمكن أن تسوق إليه الصدفة ، وهو دليل على أن هناك خطة مدبرة وراء هذا التوافق فى الأسلوب وفى الزمن .

* * *

والواقع أن جهود الأمريكيين فى تطوير الشريعة الإسلامية ، واتخاذ هـذا التطوير وسيلة لتطوير المسلمين أنفسهم ، هذه الجهود على اختلاف صورها وأساليبها ليست إلا امتدادا لجهود الدول الأوربية الاستعمارية ، وعلى رأسها انجلترا ، فيما يسميه باحثوهم وساستهم بالتغريب (Westernization) ، ونستطيع أن نقدم صورة من هذه الخطة ، بلسان أحد ساسة الإنجليز المسئولين وهو اللورد لويد ، الذى كان مندوبا ساميا فى مصر ، حيث يقول فى كتابه « مصر منذ كرومر » الذى ظهر سـنة ١٩٣٣ : إن التعليم الوطنى عند ما قـدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة القديمة - حسب تعبيره - تقف حاجزا فى طريق أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور

التعصب الديني ـ والعبارة كلها هي عبارة اللورد لويد ـ ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير . فلو أمكن تطوير الأزهر ـ عن طريق حركة تنبعث من داخله هو ـ لكانت هذه خطوة جليلة الخطر . فليس من اليسير أن نتصور أى تقدم ، طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه الجامدة ، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه ، فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إصلاح التعليم اللاديني (المدنى) ، الذى ينافس الأزهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعند ذلك سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فاما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى .

وقد أثمرت هذه الجهود التى بذلها المستعمرون فى العالم الإسلامى خلال قرن أو أكثر . وكان ثمرتها مجموعة من علماء المسلمين المتفرنجين الذين شاركوا فى هذا المؤتمر ، من أمثال الدكتور فضل الرحمن الهندى ، الذى قسم الإسلام فى بحثه إلى إسلام كلاسيكى وإسلام حديث (ص ٧٨) ، ثم جعل فى أقسام هذا الإسلام الحديث إسلاما هنديا نسبه إلى السيد أحمد خان (أو السير أحمد خان) مؤسس جامعة عليكرة ، التى أنشئت ـ باعترافه ـ لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية (ص ٨١ ـ ٨٢) ، وهى الجامعة التى أنشئت فى أول الأمر باسم « الكلية المحمدية الإنكليزية » (ص ٣٩٥) . وفضل الرحمن هذا ينادى بأن كل تغيير جديد فى رأى الإنسان عن العالم يستلزم ترجمة جديدة وإعادة تقرير للحقائق الأساسية للعقيدة (ص ٩١) . ومن أمثلة هذه النماذج لثمار الجهود الاستعمارية أيضا الدكتور آصف على فيظى سفير الهند السابق فى مصر[١] . فهو يطالب بمناقشة (المعتقد اللاهوتى الذى يقول إن الله هو واضع القانون) ، ويقترح طريقة لنقد حديث للشريعة (ص ٣٨١) ، ويقرر أن قوانين الشريعة يجب أن تندثر أو تخضع لأساليب التقنين الغربى الحديث[٢] (ص ٤٠٧) ، ويقول إن التصور الأساسى للاسلام (لا تمكن المحافظة عليه سليما إلا باعادة تفسيره وإعادة تقريره فى كل عصر وفى كل مرحلة من المدنية) ، ويقسم تعاليم الإسلام إلى (عناصر دائمة) و (عناصر قابلة للتغيير) ، ويذهب

---

[١] المجلة ـ هو اسماعيلى من أصحاب العقيدة الباطنية ، والاسماعيليون فرقتان إمام الفرقة الاولى منهما أغا خان ، وإمام الفرقة الأخرى طاهر سيف الدين ، وآصف على فيضى ـ أو فيظى كما ينطقونه بعجمتهم ـ هو من الفرقة الثانية .

[٢] المجلة ـ كما حاول أسلاف فيظى أن يحلوا رسائل إخوان الصفا محل القرآن ، وإلى هذا اليوم تقول هذه الفرقة من الاسماعيليين : « إن القرآن كتاب العامة كما أن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة » أى أئمة الاسماعيلية .

إلى أن الإصلاح الحديث لما يسميه (اللاهوت الإسلامى) يجب أن يستفيد من الدراسات الحديثة فى الفلسفة وفى علم النفس ومن الفكر الأوربى والتفكير البروتستنتى والتفكير المدرسى المسيحى والتفكير اليهودى (ص ٤١١) .

وقل أن تجد بين المشاركين فى المؤتمر من لم يضرب فى هذا الميدان بسهم . فالدكتور منير القاضى عميد كلية الحقوق ببغداد يحرف الكلام عن مواضعه فى القرآن ليميل بالقيم الإسلامية نحو القيم الغربية (ص ١٢٦ ، ١٢٧) . والدكتور صبحى محمصانى المحامى اللبنانى يدور كل بحثه حول الدعوة لتطوير الشريعة الإسلامية (والسير فى قطار الحياة العصرية) وتجنب (المزج بين الدين ومعايش الدنيا) ، ويسلك لذلك سبلا ملتوية ، فهو تارة يشكك فى أهمية الحديث الشريف ، وتارة أخرى يحقر التراث الفقهى ، وطورا آخر يسفه المحافظين ويتهمهم بالجهل وبأنهم يقفون فى وجه الاتحاد والأخوة الإنسانية . أما الدكتور أمين فارس رئيس قسم التاريخ بالجامعة الأمريكية فى بيروت فهو ينادى بأن الدراسات الإسلامية يجب [1] أن تسير على نمط دراسات المستشرقين فيما يسميه (المنهج العلمى) لتميز بين الحقيقة والأساطير (ص ٣٠٤) . والدكتور محمد كفراوى السكرتير العام لوزارة الشئون الدينية فى أندونيسيا يقرر أن وزارة الشئون الدينية إنما هى وضع استحدثته أندونيسيا ليكون وسطا بين (فكرتين متعارضتين ، هما النظام الإسلامى والنظام العلمانى) ، كما يصرح بأن الحكومة تعين المساجد والكنائس على قدم المساواة وتحمى النشاط التبشيرى ، الأجنبى منه والأندونيسى (ص ٣٧٩) .

* * *

وبعد ، فهذه نماذج من الكتاب الذى نشرته مؤسسة فرانكلين وكتبت على غلافه (بحوث ودراسات إسلامية) . فهل يرى القارئ أن هذا الذى يحتويه الكتاب يصح أن يوصف بأنه بحوث إسلامية ؟ وهل أدرك القارئ من أسماء المشتركين فى المؤتمر أن أمريكا جادة فى أمركة الإسلام عن طريق الذين يحتلون مراكز القيادة والتوجيه فى العالم الإسلامى ، وأساتذة الجامعات منهم خاصة ، وأساتذة الكليات التى تخرج المشتغلين بصناعة الكلام كالمعلمين والمحامين على الأخص ؟

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية

[1] المجلة - والذى يقرر هذا الوجوب على الاسلام لا صلة له بالاسلام ، فهلا تطوع بهذا الوجوب لعقائد الطائفة التى ينتسب اليها ؟ .

المثاليـة الواقعية

فى الفـكرة الدينية

– ٢ –

الأخلاق فى الإسلام واقعية ، بمـا اتخـذته إلى النفس من أساليب ...

ارتبطت بالإيمـان نفسه : « الإيمـان بضع وسبعون شعبة ... » ، « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... » ، « الحيـاء شعبة من الإيمـان » ... وهكذا باتت الأخلاق فى حراسة العقيده .

وارتبطت بالعبادة ... فأصبحت العبادات معامل للتحليـل النفسى ، ومراكز للتدريب الاجتماعى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنـكر » ، « الصوم جنة ... فاذا كان أحـدكم صائمـا فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب » ، « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ... والتوبة والاستغفار محاولات للاستبطان ، والتحليل النفسى الذاتى ، حتى لا تتفاقم العقد المـكبوتة فى اللاشعور .

وارتبطت بالتشريع ... فهناك حـدود وتعزيرات ، هى عقوبات لجرائم أخلاقية كالزنا والقذف وشهادة الزور ... لكن الأساس فى التوجيه الأخلاقى قائم على التربية ... لذلك اهتم التشريع الجنائى الإسلامى بتحريم اللون من الـكذب الذى يعرقل سير العدالة ، وهو شهادة الزور ... وترك المجال فسيحا فيما وراء ذلك لغير القانون .

وأهمية الأسرة والمجتمع فى التوجيه الخلقى بالغة ... إن الصدق ليس نظرية تلقن ، إنه عادة يجب أن ينطبع بها الذهن ويمرن عليها اللسان وتستقر فى باطن اللاشـعور ... ومن هنا كانت أهمية التربية الأسرية ، والعرف الاجتماعى . ومن هنا كانت أهمية اختيار البيئة العربية لحمل الرسالة الإسلامية وقد كانت معدن كثير من الفضائل ... والقرآن يأمر الأبناء على لسان لقمان : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنـكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . ويخـاطب الرسول : « وأمر أهلك بالصـلاة واصطبر عليها » . ويأمر جمهور المسلمين : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ، « كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته » ... وبالنسبة للمجتمع عامة يأمر الإسلام باشاعة الخير ، والتواصى بالحق والصبر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ... وبالعكس ، لعن الذى كفروا من بنى إسرائيل لأنهم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ونحن نرى فى التوجيهات النبوية ، أساليب فى التربية الأخلاقية رائعة ...

إنه لا يتحدث عن العقيدة ، ولا يصور الجزاء ، إلا ويربط الناس بمفتاح من مكارم الأخلاق يلجون به باب الجنة ... إنه لا يتركهم (للوجد الدينى) و (الجذب الروحى) ينتفضون إذ يتمثلون الجنة والنار ، والحساب والميزان ... إنه يترك فى أيديهم معالم واضحة ، وفقا لحاجة من يخاطبهم ... فتارة تكون الفضيلة التى تدخل الجنة هى « برّ الوالدين » وتارة تكون « الصلاة لميقاتها » ... وثالثة تكون « الجهاد فى سبيل الله » ... ورابعة يقول الرسول «الصيام جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة بالليل شعار الصالحين» وهكذا ... والمهم ألا يترك رسول الله الناس فى متاهة ، يحوقلون ويتعوذون ، ويبكون بالدمع الهتون ... دون برنامج أخلاقى محدد المعالم مستبين الملامح والقسمات . ورسول الله لا يضيق بالضعف البشرى ... بل يواجهه بالعلاج ، والعلاج البطىء أحيانا . فهذا الذى لا يطيق القيام بالصلوات لا يتنكر له ، ولا يتبرم به ... بل يأخذ عليه العهد أن يلزم مجلسه ما استطاع ، وأن يصدقه الحديث إذا تكلم ... وعن طريق الاقتداء والصدق ، يصلح أمر الرجل . ثم ذلك الذى تستعر شهوته فيصارح الرسول بأنه لا يملك سبيلا إلى أن يكفكف حدتها ويهدهد سورتها ... يأخذه الرسول برفق ، ويذكره بمواطن الحساسية عنده ، بأمه وأخته وابنته ... وهكذا .

ولقد استعان أسلوب التربية الإسلامى بالرمزية ..... فجعل الشيطان رمزا للشرور والآثام ، ووجه كل طاقات الإنسان الهجومية ودوافعه فى المقاتلة إلى هذا الشرّ « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » .... ومعاداة الشيطان معناها إعلان الحرب على الشر فى كل مكان « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » : ولست أعنى بالرمزية هنا أنى أنفى وجود الشيطان الحقيقى ، فهذه قضية لا أخوض فيها ، ولكننى أشير إلى تمثل المؤمن للشرّ مركزا فى هذا الشيطان .... حتى يصير فى الذهن والضمير علما على الشر

وعنوانا للباطل .... والمسلم يستعيذ بالله من الشيطان بلسانه فى مواطن ، ويرمى بيده الجمار فى الحج ليخسأ الشيطان ... وكل هــذه أساليب التربية والتدريب ، تذكر بالشيطـان والشر ، حتى يتوقاهما الإنسان .

لقد كان الإسلام واقعيا فى منهجه الأخلاقى فى هذا كله ... وكان واقعيا حين أودع هذا كله فى شخص كائن بشرى حى يعيش مع الناس ويتكلم ويتعامل ويتفاعل ... وهو فى هذا كله « خلقه القرآن » ... يقول سليمان الندوى عن علماء السنة : « وهم قـد حفظوا شئون حياة النبى وأحواله وأخباره كلها ولم يتركوا أمرا من أموره ولا شأنا من شـئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه فى قيامه وجلوسه ، ونهوضه من النوم ، وهيئته فى ضحـكه وابتسامه ، وعبادته فى ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب وما هى حليته وشمـائله ... ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل ... يقول باسورث سمث : إن ما قيل عن العظماء فى مباذلهم لا يصح ـ على الأقل ـ فى محمد رسول الإسلام ... إن أعظم النـاس لا يأذن لزوجه بأن تحدث النـاس عن جميع ما تراه من حليلها ، لـكن رسول الله كانت له فى وقت واحـد تسع زوجات ، وكانت كل منهن فى إذن من الرسول بأن تقول عنه للناس كل ما تراه منه فى خلواته ... فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل يثق بنفسه كل هذه الثقة ؟ ؟ » . ويقول : « إن حياة موسى تمثل لنـا القوة البشرية العظيمة ... وفيما نعرفه من حياة المسيح نمـاذج لسماحة النفس ورقة الطبع ودماثة الخلق ولين الجانب ... ولن تجد الجمع بين هاتين الخصلتين المختلفتين جمعا قويـا عزيز الوجود إلا فى حياة محمد ، فانه هو الذى مثلت حياته أعمالا كثيرة متنوعة بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية فى جميع أطوارها » [١] .

فهل يرى القارئ فى هذا المنهج الأخلاقى المتـكامل ، شيئا خياليا ؟ ؟ ؟

---

(١) الرسالة المحمدية . راجع أيضا الحديث عن « وسائط الفكرة » فى الحلقة الأولى من هـذا البحث « المثالية الواقعية » الجزء ١٠ المجلد ٢٥ ، والحديث عن « تـكامل الفـكرة » فى الحلقة الثالثة الجزء ٤ المجلد ٢٦ .

إن هذا المثل الأعلى الأخلاقى فى الإسلام، واقعى فى ذاته، واقعى فى وسائل تطبيقة، واقعى فى افتراض حالات الاستثناء من القاعدة... واقعى فى تكامل هـذا كله، وتجانس هذا كله، دون نشاز أو نشوز. بقى أن نقول: إن الحالة الاقتصادية والمستوى المعاشى، لهما آثار لا تتخلف فى الأخـلاق... فالجوع والحـاجة يلحان على الرجل أن يسرق وأن يكذب ليأكل ويعيش... ويلحان على المرأة أن تسقط لتـأكل بثدييها ! ! ! والإسلام يقدر هذا كله، لذلك ضمن حقوق المعاش [١] حتى يتيسر النهوض بتكاليف الأخلاق، وحتى لا تصير المعدة ثقلا على الضمير. وأسقط عمر حـدّ السرقة عن المغبون، وأسقطه عموما فى عام المجاعة...

وصدق الله العظيم، حين وصف رسوله الكريم، وحدد أصول رسالته: «يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنـكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم» م

فتحى عثمان

حريق مكتبة الاسكندرية

لـما استنجد تيودتس بيوليوس قيصر لينقذ مكتبة الإسكندرية من نار أسطول، رد عليه يوليوس قيصر ساخرا: أهذا كل شىء ؟

فصاح به تيودتس: أتقول عنك الأجيال القـادمة إنك كنت جنديا متبربرا يجهل قيمة الكتب ؟.

فرد عليه قيصر: أنا نفسى مؤلف. إن الذى يحترق هنـاك هو ذاكرة البشرية، ذاكرة مخزية دعها تحترق... أأنقذ صفحات من الجلد نقشت عليها الأخطاء نقشا رديئا ؟

ثم ضحك وأمر بأن ينقذوا الذاكرة.

---

(١) راجع حقوق الانسان فى شريعة الاسلام ـ الازهر ـ م ٢٤ ح ٧، ح ٨.

في سبيل مكافحة الالحاد :

موقفنا من الدين

ما أكثر واجبات المسلمين اليوم ! ... وما أثقل التبعات الملقاة على عواتقهم الآن ! .. ولكن واجبهم فى ميدان الدين خطير جليل ، إذ هو مفتاح لأداء واجبات كثيرة ، فلو أتقن المسلمون معرفة دينهم ، وأخلصوا فى التمسك به ، وأحسنوا التطبيق له ، لسهل عليهم القيام بواجباتهم الضخمة فى الميادين الأخرى ، لأن الدين القيم يتناول نواحى الحياة المختلفة بالعلاج والتقويم .

والدين فى هذه الأيام يتعرض لأعنف ابتلاء ، وأوقح هجوم ، دون محاسبة لهؤلاء المهاجمين أو إنكار عليهم ... تتعرض أصول الدين للسخرية والاستهزاء ، فنسمع ونقرأ إنكارات لله وللبعث والجزاء ، ونقرأ هجوما على الأخلاق الفاضلة ، وتندرا على العفة والبكارة والشرف ، وتطاولا على الآداب الإسلامية والأحكام الفقهية ، ونقرأ الدعوة إلى فتح دور الفجور ، ونقرأ التحدث عن الفتاة المطلوبة التى تحب أباها وتشتهيه ، وتعيش بلا أدنى تخجل أو ندم [١] ! ... كما تتعرض قواعد الدين وأركانه للتعطيل والإهمال وتتعرض حرماته للانتهاك والاستحلال ، ويتعرض رجاله لحملات فيها القليل من الحق والكثير من الباطل ، وفيها سوء النية وخبث الطوية ولؤم الاستغلال ، وفيها الهضم الأثيم لحقوق هؤلاء الرجال ، وفيها التعويق الظنين لهم عن أداء رسالتهم ، وفيها محاولة اتخاذ الهجوم على أشخاصهم سببا للقضاء على الدعوة الدينية التى يمثلونها وينتسبون إليها : « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

والدين تكليف إلهى للعباد بما يفيدهم ويسعدهم فى الحال والمآل ، ولكنه ليس تكليفا بالعسير أو المرهق أو الشاذ ، بل هو تكليف بما يجب أن يكون منا لله ، حتى

---

[١] هذه إشارات إلى مقالات وكلمات فاضت بها صفحات فى صحف ومجلات عربية تصدر فى بلاد إسلامية !!..

يتحقق فينا الخضوع والعبودية والشكران لبديع السموات والأرض ، الرزاق ذى القوة المتين ، وبما يجب أن يكون منا للناس حتى يتحقق فينا الاجتماع والتعاون والخلق الكريم ، وبما يجب أن يكون للنفس حتى تصير زكية نقية ، تحسن الاستجابة لله ، كما تحسن الاستمتاع الطيب بهذه الحياة ، ، وينسب إلى عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « ما تمتع الأشرار بشىء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله » !.

* * *

والدين من عند الله ، فليس لبشر أن يزيد فيه أو يحذف منه ؛ والذين يهاجمون الدين يحاولون إخضاع أمره كله للعقل البشرى المحدود ، وللفكر الإنسانى الضئيل أمام جلال المبدع سبحانه ، ويريدون أن يجعلوا المسألة فكرية عقلية خالصة ، كأنها عملية حسابية إذا لم تخضع لما وضع الإنسان من قواعد ونظريات فهى ضلال ؛ والذين درسوا الدين على بصيرة يعلمون أن دين المرء منبعه القلب الزكى الطهور ، الذى تعصمه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، والذى يسنده العقل الناضج المستقيم ؛ وما أشبه التدين الصحيح بحكومة مستورة غير محدودة للسلطان على الإنسان ، تنبعث من أعماق نفسه ، ومن جذور عواطفه ، ومن لجة مشاعره ، ثم يستخدم المؤمن السليم عقله مع هذا ، فيتلمس الأسباب والأغراض وحكم التشريع ، فإذا اهتدى عقله إلى الإدراك ـ وكثيرا ما يكون ـ رضى وشكر ، وإذا صعب أمامه المرتقى ، أو امتد به الطريق ، تذكر حدوده ونقصه ، ثم رضى واستجاب : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ؛ ومن قبلهم تأدبت الملائكة مع ربهم فوكلوا إليه علم ما لم يعلموا : « قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » .

* * *

والمرء حين يتدين لا يدخل عالم المادة المحشود بحسياته وذواته وأجرامه ، وإنما يدخل عالم الروح ، ويؤمن بالغيب ، ولذلك يبدأ دين المسلم من الإيمان بالله جل جلاله الذى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، والذى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » ، والذى يصف نفسه بقوله : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

فارجع البصر هـل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

ثم يتطلع المسلم إلى هذا الكون العريض ليأخذ عنه مؤيدات هذا الإيمان، ومؤكدات ذلك اليقين، وليرى فى كل شىء آية تدل على الله الواحد الأحد، فهو يتطلع إلى هذه الطبيعة على أنها صنعة الله الكبرى ، ومظهر عظمته الواسعة ، ومن هنا جاء فى القرآن الكريم : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » ؟ .

ثم يفىء المسلم إلى قلبه ، لأنه مرآة الإيمان ، ومعقد الشعور بجلال الخالق ، ومما يروى فى الآثار القدسية : « ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » وقلب المؤمن ليس شيئا قليلا ، وليس كونا صغيرا ، بل ينطوى فيه العالم الأكبر ، ومما يلفت إلى هذه القيمة العالية لقلب الإنسان ونفسه قول القرآن : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ؟ ! .

* * *

إن فى الدين مجالا واسعا رحيبا للقلب وعاطفته ، يجب أن نعنى به وأن نحرص عليه لأن القلب هو الذى يتأثر ويتذكر ويعتبر « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ولكن هذا القلب الشاعر المؤمن محتاج إلى سناد من العقل أو دعامة من التفكير، ومن هنا رأينا القرآن الكريم يخاطب القلوب والمشاعر تارات ، ليحييها ويوجهها نحو نوره ، ويخاطب العقول تارات ، لتكون عونا وسندا لهذه القلوب ، فتلتمس العقول من حولها ومن آيات ربها دلائل وشواهد تزكى بها عواطف هذه القلوب وتؤيد بها مشاعرها ؛ وإذا اجتمع العقل السليم مع القلب القويم اكتمل للايمان فى نفس الإنسان عنصر العاطفة وعنصر الفكر ، وإذا شعر المرء بعاطفته وأيد عقله هذه العاطفة كان المرء بعد ذلك من خير الجنود لتلك العاطفة ؛ وكتاب الله المجيد يوجهنا تلك الوجهة فيدعونا إلى تلمس دواعى الحق فى النفس باحياء القلب ، وفى الآفاق باستعمال الحق ، فيقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » فعلى الذين يريدون طريق الهداية والحق أن يدخلوا رحاب الدين بهذين الرائدين : القلب الزكى الطهور ، والعقل القويم المتواضع ؛ لأن العاطفة وحدها قد تهيم ، ولأن العقل وحده قد يضل ، والدين « صراط مستقيم » ! ! .

ويتصل بهذه الناحية أن يكون المسلم على حذر شديد من أن يقول فى الدين برأيه ، أو هواه ، أو رغبته فى الشهرة ، أو مجاملته لمن يريد مجاملتهم ، أو لمطمع يريد تحقيقه ، أو لمضرة يريد تجنبها ، فان المسلم إذا أصابته هذه البلوى كان نكبة على نفسه وعلى الناس. وبلاء المجتمعات الدينية — من زمن بعيد — يلوح فى أقوال ينسبها قائلوها إلى الدين ، ويعملون على ترويجها بشتى الوسائل، إرضاء لجليس، أو تحقيقا لرغبة ، أو خدمة لطائفة، أو كسبا لشهرة ، أو استجابة لهوى ، ومن هنا جاء الحديث : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وجاء فيه : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ! .

* * *

وهناك واجب على المسلمين يتعلق بالأحكام الفقهية التى قد يلوح لنا أن فيها اختلافا أو تناقضا ، مع أننا لو أنعمنا النظر فى هذه الأقوال والأحكام ، وعرفنا أدلتها ومناسبة كل منها ، لارتقينا بها إلى مرتبة التوفيق ، ولعرفنا حكمة هذا الاختلاف ؛ فالدين الإسلامى فى بعض المسائل يورد الحكم بأكثر من صورة ، لأنه يريد بكل صورة حالة من الحالات ، وقد يأتى الحكم فى المسألة وله ثلاث شعب ، أو ثلاثة أطراف ، فطرف أعلى فيه التشديد والتقوية ، وطرف أدنى فيه التيسير والتخفيف ، وطرف وسط ... ولكل من هذه الأطراف زمانه ، ومكانه ، وحالته، فلا يكون بينها اختلاف ؛ والطرف الأول الأعلى يكون فى حالات التأديب والردع ؛ والحد الأدنى يكون عند وجود الأعذار أو الضرورات ، والحد الوسط هو الحد المعتاد الذى ينبغى أن نتبعه فى العادة ! . .

فلنأخذ مثلا لذلك موضوع الحرب والسلام كما يصوره القرآن الكريم ..... إننا نراه يدعو تارة إلى القتال الشديد العنيف ، وتارة يدعو إلى الأمن والسلام العام ، وتارة ثالثة يدعو إلى الاستعداد والإعداد والمعاملة بالمثل ... وقد يظن ظان أن ذلك تناقض أو اختلاف ، وليس كذلك .

إن القرآن يدعو إلى السلام العام فيقول مثلا : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ويقول : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » ويقول : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » ، وإنما يكون ذلك فى الأحوال الصالحة لنشر السلام والتبشير به ، وبين القوم المستعدين لتقبل دعوة السلام ، وأما حين يستعلن الكفر ببغيه والشرك بطغيانه ، وحين تتعرض حرمات الإسلام للانتهاك ، ويداس وطن الإسلام ، فهنا يدوى النفير العام ، وهنا يحرض القرآن الكريم على القتال العنيف الشديد : « يا أيها

النبي جاهد الـكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » ، « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونـكم كافة » ! . .

فاذا دفع المسلمون عن أنفسهم عار الاستعباد والهوان ، كان عليهم بعد ذلك أن يؤمنوا حريتهم ، وأن يحفظوا أمنهم ، فيحسنوا الاستعداد للفاجآت ، ويقفوا للطوارئ بالمرصاد ، فاذا حدث عدوان من أحد قابلوه بالمثل ، وشرعة المماثلة هي أجدى الوسائل لحفظ السلام ولذلك يقول القرآن : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونـكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، ويقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، ويقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

فأنت ترى أنه قد أمكن التوفيق بين الآيات الكثيرة الواردة فى شأن الحرب والسلام ، وعرفنا من هذا أن لـكل طائفة من هذه الآيات الـكريمة مناسبتها ؛ ومن الممـكن لعلماء الملة أن يفصلوا للناس مظاهر هـذا التوفيق فى شتى أبواب الملة ؛ متى توافرت العزائم وخلصت النيات ، وقد حاول الفقيه عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه : « الميزان » أن يفتح الباب أمام الباحثين فى هـذا المجال ، ولـكن مجهوده ــ مع قيمته ــ مجهود فردى ، لا يكفى ولا يشفى ، ومن واجب العلماء أن يعطوا هذه الناحية ما هى جديرة به من العناية والبحث .

* * *

أما بعد فليذكر المتطاولون على دين الله القائلون فيه بالهوى والافتراء كلمة الإمام مالك رضى الله عنه : « من ابتدع فى الإسـلام بدعة يراها حسنة ، فقـد زعم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسـالة » ، وليحذر القائلون بغير ما أنزل الله إنذار رسـول الله لهم حينما قال لبلال بن الحارث : اعلم . قال : أعلم يا رسول الله . قال : اعلم يا بلال . قال : أعلم يا رسول الله . قال : إنه من أحيا سـنة من سنتى قد أميتت بعدى فان له من الأجر مثل من عمل بها ، من غـير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لاترضى الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها ، لاينقص ذلك من آثام الناس شيئا !

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ! .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

من هدى الرسول
فى رمضان

يقول الله سبحانه : « لقـد كان لـكم فى رسـول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ويقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

فأحق النـاس باقتداء المسلمين به والاهتداء بهديه فى قوله وفعله وخلقه هو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا سيا وهديه خير الهـدى ، وطريقته أقوم الطرق وأعدلها وأخلاقه أكرم الأخلاق وأقربها إلى الفطرة السليمة .

وقد كان من هدى الرسول فى رمضان كثرة الجود والبر ، روى البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يـكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) .

والصائم إذا أحس بألم الجوع ومرارة الحرمان وحرارة العطش كان ذلك أكبر وازع له وأعظم واعظ ، فلا يسعه إلا البذل والعطاء ، والعطف على البائسين والمحرومين ، وإن من أكثر من البر فى رمضان فقد أحيا سنة من سننه صلى الله عليه وسـلم ، ومن ذا الذى لا تتوق نفسه إلى إحياء سنة من سننه وهو القـائل « طوبى للغرباء . قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى » ومن البر فى رمضان إطعام الطعام ولا سيا للصائمين . روى الترمذى فى سننه عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : من فطّر صائما كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » وتقديم الطعام للصائم عند إفطاره من خلال الخير التى ينبغى أن تطلب ومن الفضائل التى تستحق التنويه » روى أبو داود فى سننه باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة فجاءه بخبز وزيت فأكل ، ثم قال

النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم فى لطف إلى أن الارتفاق باطعام الطعام لا يكلف المطعم أكثر مما يصنع لنفسه ما دامت النفوس عامرة بالسماحة والقناعة فقال « طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة » رواه البخارى ومسلم .

ومن هدى النبي فى رمضان كثرة الذكر وتلاوة القرآن والإكثار من العبادة والقيام فى الليل وبخاصة فى العشر الأواخر من رمضان ، ففى الحديث المتفق عليه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره - أى اجتهد فى العبادة - وأيقظ أهله وأحيا ليله » . وذلك لأن قيام هذه العشر مظنة قوية لموافقة ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر . روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور - أى يعتكف - فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » وأرجى هذه الليالى أوتارها كما ورد فى الصحيح .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة ، ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . وروى مسلم بسنده عن أبى عطية قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة رضى الله عنها فقال لها مسروق : رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلاهما لا يألو - أى لا يقصر - عن الخير ، أحدهما يعجل المغرب والإفطار ، والآخر يؤخر المغرب والإفطار . فقالت : من يعجل المغرب والإفطار ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، فقالت : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع » وكانت طريقته صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات أو تمرات فان لم يجد فعلى ماء ، ثم يصلى المغرب ، ثم بعد ذلك يأكل ما تيسر له مع تجنب الإفراط والإسراف كما هو شأنه دائما . عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فان لم تكن رطبات فتميرات ، فان لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

وهذه الطريقة النبوية هى أقوم الطرق وأحسنها لصحة البدن ، لأن تناول الطعام الخفيف أو الماء بمثابة إيقاظ للمعدة وتنبيه لها ، فاذا ما أكل الصائم بعد هذا تكون معدته على استعداد لتقبل الطعام وهضمه هضما جيدا ، ولعل فى شرب النبى صلى الله عليه وسلم الماء على طبيعته ما يرشد الصائم إلى أن يتحاشى ما استطاع المشروبات المفرطة فى البرودة لأنها تعطل المعدة عن عملها وتورث ضررا ، وهذا هو السر فيما ينتاب الكثيرين منا فى رمضان من اضطراب فى الجهاز الهضمى ، وأما شرب الساخن أو الدافئ فانه أفيد وأحسن لأنه يساعد على الهضم ولا يسبب للمعدة أى اضطراب أو ضرر ، وأما ما يصنعه الكثيرون منا الآن من الإفراط فى شرب المثلجات أو النقيع المثلج ، فالإقبال بنهم وشره على ما لذ وطاب من أنواع الطعام حتى لا يدع فى معدته متنفسا ثم يكون الاسترخاء فالنوم فعجز المعدة عن أداء وظيفتها ، فأبعد ما يكون عن هدى النبوة .

ومن هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان السحور ، ففى الحديث المتفق عليه : « تسحروا فان السحور بركة » . وروى أبو داود والنسائى بسندهما عن العرباض ابن سارية قال : « دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور فى رمضان وقال : هلم إلى الغذاء المبارك » . وكيف لا يكون السحور بركة ؟ ، وهو الذى يقوى الصائم ويعينه على صيام النهار والقيام بأعماله على خير ما تكون ، ويخفف من غلواء الجوع والعطش فلا تضيق نفسه ولا تسوء أخلاقه . وقد أشار إلى هذا الرسول صلوات الله عليه وسلامه بقوله : « استعينوا بالقيلولة على قيام الليل ، وبالسحور على صيام النهار » . رواه ابن ماجه .

ومن السنة فى السحور تأخيره إلى قبيل الفجر ليكون أدعى إلى المعانى التى ذكرناها ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قيل كم بينهما ؟ قال خمسون آية » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بلالا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » قال ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا ، ومن ثم يتبين أن من أكل بعد مدفع الإمساك ، وقبل طلوع الفجر وأذانه ، فلا حرج عليه فى هذا ، وهذه من المسائل التى تشتبه على بعض الناس فيظنون أن تناول شىء بعد وقت الإمساك لا يجوز ومفسد للصوم ، ويظهر أن تحديد وقت للامساك أمر قديم بل بلغ الأمر ببعض الناس فى العصور السابقة أن قدموا الأذان الثانى إلى وقت الإمساك

وقد اعتبره الحافظ ابن حجر من البدع قال فى الفتح « تنبيه . من البدع المنكرة ما أحدث فى هذا الزمان من إيقاع الأذان الثانى قبل الفجر بنحو ثلث ساعة فى رمضان وإطفاء المصابيح التى جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط فى العبادة ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ؛ وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا ، فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير وكثر فيهم الشر والله المستعان » .

ومن هدى النبي فى السحور التخفيف فيه ، ففى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم سحور المؤمن التمر » رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه ، وروى الإمام أحمد باسناد قوى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فان الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين » وهذا الهدى النبوى فى الإفطار والسحور هو ما يشير به نطس الأطباء اليوم ويؤيده الطب الحديث ، وصدق الله حيث يقول : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » .

أيها المسلمون فى كل قطر ، هذا هو هدى نبيكم فى رمضان متجاوب مع الفطرة السليمة كل التجاوب ، لا عنت فيه ولا مشقة ولا تبذير ولا إسراف ، ولا تكليف فيه فوق الطاقة المالية أو البدنية . فمن أراد فلاحا فى دينه ودنياه وسعادة فى أولاه وأخراه وصحة لبدنه وزكاة لروحه وصلاحا لحاله فعليه بالتأسى بهذا الهدى النبوى القويم ، ففى اتباعه الفوز بمحبة الله ورضوانه وصدق الله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

المروءة

* المروءة أن لا تعمل فى السر شيئا تستحى منه فى العلانية .
* المروءة الحزم ، وهو مع العقل .
* لا يصلح المروءة إلا التواضع .
* المروءة العفة والحرفة .

السينما

وتأثيرها على المراهقين والأحداث

ورد فى الأنباء أن أربعة عشر شابا تقل أعمارهم عن العشرين ، اتهموا فى (نيويورك) بقتل عدة أشخاص للتسلية ولتقليد أبطال أفلام رعاة البقر وأفلام الإجرام ، وكان آخر ضحية لهم زنجيا عذبوه باللكم وحرق السجاير فى قدميه قبل إلقائه فى النهر وموته غرقا ، ثم ادعى هؤلاء الشبان أنهم لم يرتكبوا هذه الجرائم ، واقترح البعض إحالتهم إلى مستشفى لفحص قواهم العقلية وبحث حالاتهم النفسية ، ولكن المحكمة رفضت ذلك خشية أن يزعم كل مجرم بعد ذلك أنه ارتكب جرائمه وهو متأثر بنزوات الشباب .

وجاء كذلك أن البوليس الأمريكى أصبح يضج من تفشى الجرائم بين الصبية نتيجة للمناظر التى يشاهدونها بكثرة الآن فى التليفزيون وفى الأفلام السينمائية عن أساليب وطرائق ارتكاب الجرائم . . . فقد قال صبى فى مشيجان فى السادسة عشرة من عمره للبوليس بعد أن قبض عليه وهو يدخل عملة مزيفة من الصفيح فى ثقب الآلة الأوتوماتيكية التى تخرج الحلوى والشكولاتة فى إحدى محطات المترو : إنه زيف عددا منها بنفسه بعد أن شاهد هذا المنظر فى قصة فى التليفزيون . وقال صبى آخر فى الخامسة عشرة من عمره حاول أن يخطف فتاة فى مثل سنه بينما كانت تجلس فى سيارة والديها أمام منزلها بأن صوب إليها مسدسا ودفعها أمامه : إنه شاهد هذا المنظر فى أحد الأفلام .

ومن هذه الحوادث وأمثالها اجتمع رأى الناس هنا وهناك على أن الأفلام السينمائية تؤثر تأثيرا سيئا على الصبية والأحداث والمراهقين ، ومن هنا أصدرت بعض الدول تشريعات تقضى بمنع الأحداث من الجنسين ممن تقل أعمارهم عن سن معينة من دخول دور الخيالة وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشرطة السينمائية وغيرها .

ويهمنا هنا أن نتجرد بعض الشىء مما اجتمع عليه رأى الناس نتيجة ما يقرءون ويسمعون من أمثال تلك الحوادث والأنباء ، ونحاول أن نبحث هذا الموضوع الخطير فى ضوء من الحقائق العلمية الاجتماعية والنفسية ، لنكون أقدر على الإلمام به على حقيقته واتخاذ الحلول السليمة لمشكلاته .

فمما لا ريب فيه أن (السينما) اختراع مفيد للناس فى مجتمعاتنا الحديثة ، وليس يهمنا

هنا أن نبين مناحى فائدته للناس على وجه العموم ، وإنما تنحصر الدراسة على الأحداث والصغار من هؤلاء ، وليس ينكر أحد أن كثيرا من الأفلام العامة فضلا عن الأفلام العلمية الخاصة بعرض المعلومات الجغرافية أو التاريخية أو ما شاكلها لها أحسن التأثير فى التلاميذ من حيث تعليمهم وتوسيع مداركهم وتشويقهم للمعرفة العامة بعرضها فى صور حية على الشاشة بدلا من العرض النظرى الممل الذى يقوم به المدرسون التقليديون والكتب المدرسية العادية ، كما أن لها هذا التأثير من حيث تنمية مواهبهم وتخصيب أخيلتهم .

ويضع علماء النفس والتربية مشاهدة الأفلام السينمائية ضمن أساليب التعليم التى تمتزج بخصائص روح اللعب ، شأنها فى ذلك شأن إجراء التجارب ورؤية النماذج ومشاهدة الصور والقيام بعمليات التحنيط ونحت النماذج والقيام بالرحلات والمعسكرات وما إلى ذلك .

ويؤكد الدكتور (چورچ هنرى جرين) فى كتابه عن (أحلام اليقظة) أن الأطفال يظهرون اهتماما شديدا نحو الحيوانات والدمى الكبيرة وبعض أفلام السينما ، فالأطفال شديدو الميل إلى أفلام (شارلى شابلن) الصامتة ؛ لأن ما يقوم به من حيل مضحكة تشبه أنواع السلوك المحظورة عليهم إلى حد كبير ، ففى إحدى المناسبات مثلا يحاول (شابلن) أن يقطع رغيفا من الخبز إلى حلقات ، بيد أنه يقطعه على شكل حلزونى ، ثم يتظاهر بأن الرغيف قد أصبح مزمارا من الغاب مما يكون مثارا لضحك مشاهديه من الأطفال الذين اعتادوا النظام الصارم فى آداب المائدة ، كذلك تحدث حركات (ميكى ماوس) فى المتفرجين التأثير نفسه للأسباب عينها ، كما أن جانبا من الولع (باخوان ماركس) و (لوريل وهاردى) لا يخرج تفسيره عن ذلك .

وقد قام فى فرنسا أخيرا أربعة أطباء إخصائيين فى الأمراض العصبية والنفسية بدراسة موضوع تأثير الأفلام السينمائية على الأحداث والمراهقين ، وقد لاحظوا سهولة الوقوف على مبلغ تأثر الأطفال بمختلف الأفلام السينمائية عند ما تزيد أعمارهم عن العاشرة . بيد أن عملية إدراكهم لهذه الأفلام تجتاز مرحلتين ، الأولى مقدرتهم على تتبع تسلسل الصور التى تمر أمام أعينهم وإيجاد رابطة بينها ، وهذا لا يتيسر إلا بعد سن العاشرة ، والثانية الوقوف على المعنى الإجمالى للقصة ، وهذا يتطلب نموا عقليا يندر توافره لدى الحدث قبل بلوغه الثانية عشرة من عمره على الأقل .

وتمكن العلماء الأربعة من الوقوف على مدى التجاوب بين بعض المناظر و بين حالة الطفل العاطفية نتيجة التجربة وحياته الخاصة فى منزله و بيئته الاجتماعية ، فمثلا حدث أن طفلة أجهشت بالبكاء حين رأت منظرا لقاعة المحكمة فى أحد الأفلام ، إذ أعادت تلك الصورة إلى ذاكرتها قصة طلاق والديها .

وقرر العلماء المذكورون أنهم على خلاف ما يظن الكثيرون يرون أن مشاهدة الأفلام البوليسية لا تؤثر على عقلية الطفل السوى ولا توحى إليه بأعمال إجرامية مماثلة لتلك التى شاهدها ، ولكن طرق العرض الفنية فى بعض الأفلام البوليسية المثيرة هى التى كثيرا ما ترشد الأطفال إلى الاقتباس منها أو محاولة تقليدها فى ألعابهم .

ومن الواضح أن كثيرا من الأفلام السينمائية فيها ما ينمى خيال الطفل عند رؤية المناظر الجميلة أو سماع الموسيقى المصاحبة للعرض ، كما أن لها الأثر الحسن فى أسلوب حديثه وملبسه وتكسبه بعض الخصال الحميدة فى ألعابه وتصرفاته .

والسينما فى نظرنا لا تؤثر التأثير السيئ على الأطفال والمراهقين لمجرد كونها (سينما) أو بدعة ضارة ، بمعنى أن السينما فى حد ذاتها ليست السبب الوحيد فيما نراه من انحراف بعض الأطفال والمراهقين . والواقع أنها كسواها من وسائل التعريف والعرض لها تأثير بالغ سواء على الصغار أم على الكبار ، فكم من رجال تخطوا دور المراهقة بزمن طويل ويتأثرون بأفلام السينما وبما تعرضه عليهم من مناظر وصور وأفكار واتجاهات ، وكم من امرأة تخطت كذلك هذا الدور ورغم هذا تتأثر بتلك الأفلام تأثرا لا يقل عن تأثر الفتيات الصغيرات ، إن الفيلم السينمائى قد يهدى الرجل إلى تغيير معاملته لأولاده واتباع سياسة خاصة معهم أو إلى تغيير معاملته بأصدقائه أو بزوجته والتغاضى عن أخطائها ، وقد يحوله الفيلم السينمائى عن الوقوع فى تصرف معين قد يكون طائشا وهو لا يدرى آثاره ونتائجه التى يعرضها عليه الفيلم فى صورة واضحة جلية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة .

أما أولئك الذين ينحرفون من الصغار ، وأما أولئك الذين يسيئون فهم الأفلام أو الإفادة مما تعرضه من أفكار وصور، فهم أولئك الذين أساء إليهم المجتمع الذى يعيشون فيه ، ممثلا فى إهمال التربية المنزلية أو ضعف التربية المدرسية أو ظروف البيئة القاسية أو آلام الحرمان البغيض أو كوارث الدهر وسوء الحظ فى الحياة، هؤلاء جميعا سواء أكانوا صغارا أو كبارا تكمن فى أنفسهم نزعات إلى السوء ونزعات إلى عدم انتهاج السبيل السوى إلى الخروج على الأوضاع إلى النقمة من المجتمع إلى التلذذ بارتكاب الجريمة إلى إرضاء

غرائزهم المكبوتة ونزعاتهم الشيطانية التي كونتها ظروف البيئة والمنزل والأهل وانخفاض مستوى العيش والأخلاق وسوء التربية وأحداث المجتمع .

إن السينما تستثير فقط هذه النزعات غير العادية لدى الناس من صغار وكبار ، شأنها فى ذلك شأن سائر وسائل التثقيف والتعليم والتهذيب فى مجتمعات هذا العصر الحديث ، وقصر هذه الاستثارة على الصغار فيه تجن على الحقيقة ، ومحاولة منع الصغار من مشاهدة الأفلام وإباحة ذلك للكبار ليس علاجا شافيا لما تحدثه السينما من أثر سيئ فى الناس .

إن العلاج الشافى فى نظرنا ذو شقين :

أولهما : المجتمع فى حد ذاته ، المجتمع الذى يتمثل فى : المنزل والمدرسة والجامعات والتربية الخلقية والدينية العامة ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من حيث الدخل ومستوى المعيشة ، هذا المجتمع بشتى مظاهره وأوضاعه لابد من تقويمه هو نفسه فى هذه المظاهر والأوضاع ، فان هذا هو السبيل إلى التقليل من تكوين النزعات الانحرافية لدى الناس من صغار وكبار ، ولهذا التقويم والإصلاح وسائل وأساليب ، وإنما يعنينا هنا الفكرة فى حد ذاتها ، فاذا ما قلت هذه النزعات والانحرافات وإذا قضى عليها فلا خوف من السينما وأفلامها على الناس .

وثانيهما : الأفلام السينمائية نفسها ، التى تمس الحاجة إلى إصلاحها ، وإعطاء القائمين عليها دروسا كثيرة فى أهدافها والغرض منها فى مجال الترفيه والتهذيب والتثقيف والإرشاد القومى ، إن العقول التى تدبرها وتؤلف لها وتخرجها فى حاجة إلى تصفية وتربية لتقدم المفيد المستساغ ، وهى الدولة نفسها المنوط بها التدخل لتحقيق تلك الأهداف والأغراض من الأفلام حتى لا يسيء القائمون عليها استغلالها رغبة فى الربح المادى والكسب الحرام ، فلئن خشى على فئة من الناس كصغار السن من فيلم معين بالذات ، فهو ذلك الفيلم نفسه الذى يمنع عرضه وليس هؤلاء الصغار الذين يمنعون من مشاهدته ورؤياه ، وكذلك الشأن إذا خشى على الكبار .

إن السينما اختراع جليل ابتكرته عبقرية التقدم فى العصر الحديث ، ومن حق كل فرد من الناس أن يتمتع به ويفيد منه ، فان أساء القائمون عليه استغلاله وعرضه فالذنب فى ذلك ليس ذنب الناس وإنما ذنب المشرفين والمخرجين والمنتجين والمستغلين ، وذنب الدولة التى أفسحت لهؤلاء الطريق دون إشراف كلى لتحقيق ما يجب أن تهدف إليه الأفلام وما يجب أن يكون عليه تأثير هذا الاختراع الجليل .

أحمد طه السنوسى

أوضاع الهلال

وحدود رؤيته

الهلال — فى لغة العرب يطلق على ما استضاء من جرم القمر إلى ثلاث ليال من أول الشهر و بعد ذلك يسمى قمرا ، وأما عند أهل الهيئة فالمراد بالهلال ما يرى من المضىء منه فى أول ليلة فقط ، وأما عند الشرعيين فهو نور القمر الدقيق المقطوع بوجوده فوق الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما وكذا برؤيته حينئذ وجوبا أو جوازا عند عدم المانع من سحاب أو مطر أو غبار أو بخار ، هـذا وتدل نصوص الحساب والرصاد فى كتب الفلك العملى المشهورة فى عهد النهضة العلمية الإسلامية قبل الحروب الصليبية على أن للقمر بعـد مفارقته الاقتران حالتين « استحالة الرؤية و إمـكانها » وللامكان ثلاث حالات (إمكان مع خفاء وعسر – إمكان مع بيان دون عسر – إمكان متوسط بينهما) فهذه أربع حالات (الأولى) استحالة الرؤية (الثانية) إمكانها مع الخفاء (الثـالثة) إمـكانها مع التوسط (الرابعة) إمكانها مع البيان دون عسر ...

وهذه الحـالة الرابعة هى التى يسميها الفقهاء بالحالة التى يقطع فيها بوجود القمر فوق الأفق بعـد غروب الشمس عقب اجتماعهما بحيث يتجه نوره إلى سطح الأرض ويرى وجوبا عند عدم مانع السحاب أو المطر أو الغبار أو البخار وقد اشترطها معتمدو الحساب من الفقهاء لأن يـكون سببا للصيام والفطر كالرؤية بالفعل عند وجود مانع من سحـاب أو مطر الخ .

ومن ذلك يعـلم أن الحساب لا يعتمد سببا للصيام أو الفطر إذا تبين به أى حالة من الأحوال الثلاثة الباقية ...

أما حالتا الإمكان مع خفاء أو مع توسط بينه و بين البيان فيجعلهما الفقهاء حالة واحدة أيضا يسمونها « حالة يقطع فيها بوجـود القمر على الأفق بعـد غروب الشمس عقب اجتماعهما كما تقدم فى الحالة الأولى لكن مع جواز رؤيته عند عدم السحاب وغيره » كما يعبر

هؤلاء الفقهاء عن حالة استحالة الرؤية بأنها (حالة يقطع فيها بوجود القمر على الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما مع امتناع الرؤية عند عدم المانع من سحاب أو غيره) .

« ما ورد فى المؤلفات القديمة من تحديد أئمة
الحساب والرصد من الفلكيين لهذه الحالات »

قال العلامة محمود بن عمر الجغميني : « إذا بعد القمر عن الشمس مقدارا قريبا من (١٢ جزءا) مال نصفه المضىء إلينا ميلا صالحا فنرى طرفا منه وهو الهلال ، وتبعه فى ذلك صاحب كتاب (تشريح الأفلاك) وغيره والمراد بالجزء هنا (درجة من مدار التقويم) وتسمى أجزاؤه بدرج السواء » .

وقال محمد عبد الحليم فى حاشيته على الجغميني : ذكر فى الكتب المشهورة أنه ينبغى أن يكون البعد بين تقويم النيرين أكثر من عشرة أجزاء ، وقيل ينبغى أن يكون بين مقارنتهما عشرة أجزاء أو أكثر حتى يمكث القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس ثلثى ساعة أو أكثر . ثم قال : والمشهور فى هذا الزمان بين أهل العمل أنه ينبغى أن يتحقق الشرطان يعنى حتى تمكن الرؤية . ثم قال : ويسمون البعد الأول (بعد السواء) . والبعد الثانى (البعد المعتدل) . ثم قال المحشى أيضا : وقد ذكر بعضهم أنه ينبغى أن يكون الارتفاع المرئى للقمر عند غروب الشمس (٨ درجات) أو أكثر لتمكن الرؤية وقيل إن انحطاط الشمس عند غروب القمر ينبغى أن يكون ٨ درجات أو أكثر . انتهى .

وقال بهاء الدين المجدى فى رسالته : (خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال) : ومتى كان كل من قوسى المكث والرؤية (١٢درجة) والارتفاع (١٠ درجات) فان الهلال يرى ، وقيل : إن كان المكث (٨ درجات) والارتفاع (٧) والنور (١٠) رؤى الهلال وكذا لو شهد حدان إلا أنه يعسر من جهة الثالث ثم قال : والذى جربه المتأخرون أنه متى كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق أقل من سبع درجات فان الهلال يجوز رؤيته وإن كان (١٣ درجة) رؤى بينا وإن كان أقل من (١٣ درجة) إلى (١٠ درجات) جازت رؤيته قريبة من البيان وإن كان أقل من (١٠ درجات إلى ٧) جازت رؤيته قريبة من الخفاء ثم قال المجدى أيضا : وهذه الحدود كافية فى رؤية الهلال أقرب التقريب . انتهى .

وقال الشيخ محمد مراد الفيومى فى رسالته (بهجة النظر فى حساب الأوقات والقمر) قال ألوغ بك : إذا كان البعد بين النيرين وقت الغروب وهو بعد السواء أزيد من (١٠ درجات) ومكث الهلال المحقق بين (١٠ درجات و ١٢ درجة) فيمكن رؤيته دقيقا ، وإن كان المكث بين (١٢ و ١٤ درجة) فالهلال معتدل وإن كان أكثر من ذلك فهو ظاهر وضاء . .

وقال كشيار إن كان قوس الرؤية (٨ درجات) وقوس النور (١٠ درجات) وقوس المكث (١٢ درجة) رؤى الهلال بينا وإن شهد فيها اثنان فاحكم بالرؤية وإلا فعسر ، وقال صاحب اللمعة : إذا كان قوس المكث (١٢ درجة) وقوس النور ثلثى إصبع فان الهلال يرى وإن نقصا معا فلا يرى وإن اختلفا فعسر ، وقال شارح اللمعة : إذا كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق أقل من (٧ درجات) فالرؤية ممتنعة وإن كان (١٣ درجة) رؤى بينا إلى (١٠) فأقرب إلى البيان وإلى سبع فأقرب إلى الخفاء ، وقال غيره إن كان مجموع قوسى النور والرؤية أكثر من (٢٠ درجة) ونصف درجة رؤى الهلال وإلا فلا ثم قال الفيومى أيضا : والذى امتحن بالمشاهدة إذا كان قوس المكث (٦ درجات) والنور ثلثى إصبع يرى بينا وإن نقص أحدهما يرى بعسر وإن نقصا معا فلا يرى مع صفاء الجو وحدة البصر ثم قال : والتحقيق أن حدود الرؤية تختلف بحسب آفاق المغارب انتهى . أقول : وتحديد الفيومى (للرؤية البينة) بكون المكث (٦ درجات) والنور بثلثى إصبع لا يعقل إلا إذا كان ميل الشمس وعرض القمر فى نهايتهما شمالا وعرض البلد شماليا أو يكون هذا الوضع فى الفلك المستقيم .

كثرة هذه الأقوال سببها كثرة الأوضاع

لا شك أن هذا الاختلاف فى نتائج الأرصاد إنما جاء من اختلاف أمكنة الرصد وأزمنته وتعدد الراصدين ، وبالتأمل فيما جاء بها من الشروط والحدود نجد أن بعضها الأقل متحد وأكثرها مختلف ولا يبعد أن نعتبر الأقوال المتحدة الشروط والحدود (وضعا واحدا) وأن نعتبر الأقوال المختلفة أوضاعا للقمر متعددة بعدد هذه الأقوال . . . . وبضم أوضاع الإمكان مع البيان إلى بعضها وكذا أوضاع الإمكان مع التوسط أو مع الخفاء الخ حصلنا لكل نوع على الأوضاع الآتية :

عـــدد
٩ تسعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع البيان دون عسر .
٤ أربعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع الخفاء بعسر .
٥ خمسة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع التوسط بين الخفاء والبيان .
٣ ثلاثة أوضاع للقمر لا يمكن فيها رؤيته .

٢١ بجملتها واحد وعشرون وضعا لا يسمى فى ثلاثة منها هلالا وهى أوضاع استحالة الرؤية .

ويلاحظ أن موضع الرصد لم يعرف من هـذه الأقوال إلا فى تحـديد ألوغ بك فان المعروف أن مرصده كان بمدينة سمرقند (عرض ٤٠ درجة شمالا) أبعد مراصد الإسلام عن خط الاستواء، وقد اشترط للامكان مع البيان أن يكون المكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) ومعنى ذلك أن يكون زمن المـكث (٤٨ دقيقة زمنية) وهو أقسى حدود الرؤية التى ذكرت فى جميع الأقوال ممـا يدل على أنه كلما كان موطن الرصد أقرب إلى خط الاستواء كانت الرؤية أسهل شروطا .

وعلى كل فنحن نذكر أوضاع الهلال التسعة لإمكان الرؤية مع البيان دون عسر لأنها مخ هذا البحث ضبطا لحدودها على ما تبين لنا ، وللمجتهد أن يحدد ما يشاء .

«الوضع الأول» إذا كان قوس الرؤية أكثر من (١٠ درجات) وقوس المكث (١٠ درجات) فأكثر حتى يكون زمن المـكث ثلثى ساعة فأكثر « الثانى » إذا كان كل من قوسى الرؤية والمكث (١٢ درجة) وقوس الارتفاع (١٠ درجات) . « الثالث » إذا كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق (١٣ درجة) . « الرابع » إذا كان المـكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) . « الخامس » إذا كان قوس الرؤية (٨) والمكث (١٢) والنور (١٠) . « السادس » إذا كان المكث (١٢) والنور (ثلثى إصبع) . « السابع » مجموع الرؤية والنور (٢١ درجة) . « الثـامن » الارتفاع (٨ درجات) . « التاسع » إذا كان المـكث (٦ درجات) والنور (ثلثى إصبع) .

هذه أوضاع الحـالة التى اعتمدها بعض الفقهاء سببا للصيام أو الفطر كالرؤية عنـد وجود المـانع كسحاب أو مطر أو بخار أو غبار على ما بينه المتقدمون من الرصاد، ولا زلنا نطالب مرصد حلوان أن يقوم بتحقيق هذه النقطة بالذات على نير ما ذكرناه من أعمال المتقدمين حتى يعين لنـا أمكنة وأزمنة هـذه الأوضاع تسهيلا لتطبيق الأحكام الفقهية عليها والله المعين ١ﻫ

محمد أبو العلا البنا
أستاذ الفلك بالأزهر — وتخصص القضاء الشرعى

عقيدة التوحيد

سر فى حمى الدين وارتع فى نواحيه ... واشرب رحيق الهدى واهتف بساقيه
وانشق شـــذا طيبه عطرا يؤرجه ... فى روضــه من يدانيــه ويدنيه
أزهــاره فى ربى الدنيــا مفتحــة ... تزهو على الدهر فى عجب وفى تيه
تفتر بسمتهــا عن حــكمة وتقى ... وتغمض الطرف لا يرمى بتشويه
آيات حــكمتها جاءت منسقة ... فى روعــة من بيــان جــل منشيه
تهــدى إلى الحق فى توثيق عروته ... وتنظم الــبر فى أسمى معــانيه
وتــكسب الحمد فى أجلى مظــاهره ... وتورث المجـــد قاصيه ودانيه

* * *

عقيدة غرسهــا التوحيـــد ثابتة ... وفرعها فى مدار النجم يهــديه
لا تعرف الزيغ بالأهواء إن درست ... معالم الــكون فى بحث وتوجيــه
ولا تنقب عن دنيــا مسعورة ... بالحقد والغـــل يصليهــا وتصليه
ولا تزل بأحـــداث مروعــة ... يرمى بهــا الغـــدر فى جلى دواهيه
لــكن تصــاول فى عزم وفى ثقــة ... عناصر البغى فى شتى مراميــه
وتقذف الباطـل المدحور جانبه ... بالحق حتى يوارى فى دياجيــه
ومن يغــامر بسوء ينقلب أبدا ... إلى الهوان بخسر فى أمانيه
فصانع الشر لا تهـــدى مقاصــده ... وصانع الخـــير لا تبلى أياديه

* * *

لهفى على شرعة الإســلام مزقها ... فى جهــله مدع والجهل يرديه

أسفّ فى زعمه : أن لا إله له   وإنما الدهر يحييه ويفنيه
وضل فى رأيه : أن لا حدود له   مقومات : وأن لا شىء يعنيه
وأن كل امرئ يسعى لغايته   ما شاء أمضى ، بلا عرف يجاريه
كأن هـذا الورى فى عيشه بقر   سوائم يتلهى فى مراعيه
يا للسماء لأوصال مهلهلة   تصور العقل مفتونا وتحكيه

* * *

يا قوم : إن جلال الحق فى وضح   من البيان يجليه ويعليه
وإن أهداف هذا الدين معدلة   وعزة تتسامى فى مراقيه
ونحن فى الشرق لا تخبو عزيمتنا   عن الجهاد إذا نادى مناديه
والسيف فى قبضة الأحرار فى ظمأ   وليس إلا دم الأعداء يرويه
والنصر فى غمرة الأحداث منعقد   بوثبة من أسود الغاب تحميه

* * *

لا نترك الغرب يلهينا ويخدعنا   وقد تكشف عن سم يساقيه
وهذه عزة الإسلام تدفعنا   إلى ذرا المجد فى حزم نواتيه
نشارف الشمس فى العلياء منزلة   ونشعل النور للحيران يهديه

* * *

إن العروبة فى الدنيا محررة   تسمو على دهرها فى غير تمويه

محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ والإرشاد

أمين هذه الأمة

وتلك صورة لإمام جليل من أئمة الصحابة يشبه خالدا فى أنه بطل فاتح ، فتح الله به بلاد الشام للاسلام . واخضع به جبابرة الروم ، وقضى بايمانه وإيمان من معه من الصحب الكرام على عددهم وعددهم ، على ما فيه من تذلل وانكسار لله ، وهو مصداق ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر خفضه .

على أن أبا عبيدة يمتاز بأنه كان من السابقين الأولين الذين لم ير الإسلام منهم بأسا ولم يبتل المسلمون بجبروتهم .

فقد دخل فى الإسلام طوعا ، وانخرط فى سلك المؤمنين الصادقين منذ دعى دعوة الحق ، فجرى عليه ما جرى على السابقين والصادقين ، وأحبه النبى صلى الله عليه وسلم حبا جعله يعجب به وينتدبه لعظائم الأمور ويرشحه لما يسمح به استعداده الطاهر النقى ويبشره بالجنة فى عدة تعد على أصابع اليدين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

ذلك هو الرجل الذى حير عمر بن الخطاب أين يضعه من شئون الدولة ، فلم يجد أهم ولا أخطر من أن يقذف به فى خضم الجهاد المرير ومقاساة شدائد الحروب قائدا وزعيما أمام قوم لا قبل بهم لغير قوة السماء وجبروتها مؤثرا إياه على قائد عرفت مواقفه الناجحة الموفقة وفتوحاته الخارقة المؤيدة وهو خالد بن الوليد .

وكان عمر ناقدا بصيرا بالرجال وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ذلك هو الرجل الذى تمنى الناس يوما فى مجلس ابن الخطاب فكان أمنيته بيتا ممتلئا رجالا من أمثاله . كما روى ابن عساكر فى تاريخه عن عمر بن الخطاب أنه قال لجلسائه يوما : تمنوا . فقال كل واحد أمنيته ، وقال عمر بن الخطاب : لكنى أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح . ثم روى أن عمر قال : ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أحلاما ، وأثبتها جنانا ، إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح .

ذلك هو الرجل الذى خلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم لقبا كان يتطلع إليه أبو بكر

وعمر وكبار الصحابة بجعله أمين هذه الأمة ، وسماه أمينا حق أمين ، لما عهد من قيامه على شئون الإسلام وزهده فى المادة ، وإيثاره الحق والعدل وجانب الله والدار الآخرة ، ولقد صدق حكم من لا ينطق عن الهوى فكان من صادق أمانته ونصفته ودقته وتحقيقه لما استرعاه الله فى ذلك كله المثل المحتذى ، حتى لقد حاول عمر أن يخرجه من بين أصحابه زمن الطاعون واحتال لذلك بما استطاع ، فأبى أبو عبيدة أن ينجو بنفسه ويترك جيش الإسلام يصلى نار الطاعون ويصير حصيدا له دون قائده أبى عبيدة ، وكذلك الأمانة وصدق الاسترعاء فيما استرعى الله سبحانه ، وهكذا كان الرعيل الأول من هذه الأمة الذين جعلهم الله أئمة الهدى ومصابيح الهداية ، إلا أنهم يتفاوتون فى المزايا كما أشرنا إلى ذلك فى غير هذا الموضع رحمهم الله وجعل لنا فى سيرتهم خير مذكر وأعظم مجدد لمجد الإسلام العظيم . فإليك صورة مجملة لسيرة هذا الأمين الكريم .

أبو عبيدة فى عهد النبوة

كان أبو عبيدة قبل الإسلام كريما مكرما يقرن إلى السيد الكريم المكرم أبى بكر الصديق ، على ما بينهما من تفاوت فى السن يبلغ حوالى اثنتى عشرة سنة كما يظهر لمن حقق التواريخ ، وذلك يدل على نبوغ مبكر فى أبى عبيدة .

روى ابن عساكر فى تاريخه أنه كان يقال «داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح» ولعل واضحا من القرائن أنه ليس معنى الدهاء هذا المكر السيىء والاحتيال الخبيث المادى المغرض ، ولكنه ما فسرته الحياة ودل عليه التاريخ الصادق من صدق الفراسة وقوة الحدس وبعد النظر للحق وللخير ، فكان من دهاء أبى بكر أن حاط دعوة الإسلام وعمل جهده على جمع الناس حول الحق ، وكان من أمنّ الناس فى صحبته على السيد الرسول صلوات الله عليه ، ثم حال دون رجوع الناس كفارا أقرب ما يكونون من الكفر منذ لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، بل وسع رقعة الإسلام ورسم الطريق لكل من يجىء بعده من ولاة المسلمين ، فأيد الله العاملين الصادقين بنصره ونشر بهم ألوية الحق والعدل . وكان من دهاء أبى عبيدة أن لزم الجادة لم يحد عنها قيد شعرة ، ولم يخرج على أمر من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده فى خير المسلمين ، وكان عضدا متينا وساعدا قويا لا يحيد عن الحق كما سترى صور ذلك .

وجاء الإسلام فكان أبو عبيدة من السابقين الذين لم يعرف لهم خصومة فيه ولا التواء

فى الأخذ به ، ويقول كثير من أصحاب السير : إنه ممن أسلموا بدعوة أبى بكر الصديق ، ويخالف آخرون فيرون أنه أسلم عن غير طريقه ، على أنه كان من السابقين ولا محالة ، وكان ممن أسلموا قبل أن يستخفى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الفئة القليلة فى دار الأرقم بن أبى الأرقم .

قال ابن عساكر فى تاريخه ، عن يزيد بن رومان قال : « انطلق عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا فى ساعة واحدة ، وذلك قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها » .

وقد قام صاحبنا اليوم أبو عبيدة بالإسلام وشرائعه وأخلص للدعوة وصاحبها منذ دخل فى الإسلام وهو فى العقد الثالث من حياته حتى أحبه الله ورسوله وحتى صار النبي صلى الله عليه وسلم يخلع عليه خلعا من الألقاب ويشهد له بما يوجب الغبطة ويحقق التقدير الكريم ، فتارة يقول « هو أمين الأمة » ، ويوما يطعن فى خاصرته ويقول : « إن ههنا خويصرة مؤمنة » وحينا ينظر إليه فيقول : « إن ههنا لكتفين مؤمنين » ومرة يقول : « ما من أصحابى إلا وقد كنت قائلا فيه لا بد ، إلا أبا عبيدة » .

مواقفه فى بدر ، وأحد ، والحديبية

وجدير بمن كانت هذه المواقف الكريمة بعض ما روته له كتب السنن والسير أن يكون موضعا لتلك الشهادات وذلك التقدير ، فأما فى بدر فان أبا عبيدة فى ذلك المعترك الفاصل بين الحق والباطل كان يرى أباه عدوا لدعوة الحق يتراءى له بين صفوف تحادّ الله وتكذب نبيه فيعرض عنه ويتنحى عن متجهه ويود لو خلا الميدان من ذلك الأب الذى أحبه كأشد ما يكون الحب محسنا ومربيا ومنعما متفضلا ، ثم أبغضه كأشد ما يكون البغض محاربا لله ورسوله ورجاله الخير وطمع له فى الهداية .

ولكن أباه يتعرض له كلما أعرض ، ويلتمسه كلما بعد ، كأنما يتحدى فيه ذلك الإيمان الذى لم يذق طعمه ولم يدر ما معناه ويتكرر ذلك التحدى من والد أبى عبيدة فيشغله عن واجب الجهاد ويريد أن يضيع عليه فرصة القربان الرفيع إن لم يكن حريصا على قتله ، والله لا يحب أن يتخاذل الإيمان أمام الكفر ولا أن يلقى بالنفس بالتهلكة من أجل مشرك لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فكل تخاذل حينذاك معصية ، وكل تفريط

فى الإثخان على الكافرين منقصة ، فليؤثر أمين الأمة جانب الحق مهما واجهه ، وليقض على كل مودة حباً له « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » فكانت العزيمة من أمين الأمة وكانت التضحية الصادقة فى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . هذه رواية بعض المفسرين والمحدثين فى مقتل عبد الله بن الجراح والد أبى عبيدة ، حتى قال بعضهم إن الآية الكريمة (لا تجد قوما) ... نزلت فى أبى عبيدة وموقفه يوم بدر فأما الذى يرويه الشيخان البخارى ومسلم بسنديهما إلى أنس فهو أنه قتل أباه وهو فى أسارى بدر لما سمعه يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايكره ونهاه عن ذلك فلم ينته ، وهذه أدل على صدق إيمانه لأنه قتله وهو فى مندوحة من قتله . وقتله وهو فى هدوئه لايتحكم فيه انفعال الجهاد . ولا ضجر الجلاد فآثر حب الله ورسوله على ذلك الحب الفانى ، وكذلك يكون الإيمان ، وهكذا فليكن المؤمنون .

وأما موقف أحد فقد تحدث المتحدثون من الرواة أنه كان واحدا من خمسة عشر رجلا أحاطوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفدوه بأنفسهم يوم العدوان فى أحد كان منهم سبعة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال المقريزى فى إمتاع الاسماع (ص ١٦١) :

وثبت معه خمسة عشر رجلا ثمانية من المهاجرين هم : أبو بكر . وعمر . وعبد الرحمن ابن عوف . وعلى بن أبى طالب . وسعد بن أبى وقاص . وطلحة بن عبيد الله . وأبو عبيدة بن الجراح . والزبير بن العوام . وذكر الأنصار رضى الله عن الجميع .

ثم كان لأبى عبيدة موقف آخر مشهور فى هذه الموقعة وهى أنه بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها بعد أن عالج ذلك مرارا وسقط على الأرض ثم أخذ الحلقة الثانية فنزعها أيضا ولم يبال ما أصابه من ألم شديد فى سبيل ذلك وما أصيب به من سقوط ثنيته حتى صار أهتم ، يقول الناس ما رأينا أجمل من هتمه ، عوضه الله لما صنع لرسوله صلى الله عليه وسلم وضحى من أجله وستكون تلك التضحية نورا بين يديه يوم القيامة .

وفى غزوة الحديبية كان لأبى عبيدة موقف من مواقف الإيمان واليقين التى لم يكن يتحلى بها إلا مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد استفاض ما كان من عمر رضوان الله عليه فى ذلك اليوم وشغبه على صلح النبى صلى الله عليه وسلم بسورة قد يتوهم منها إدهان وملاينة تجرح الحق فى كرامته ولكنها كانت عزا للاسلام ومجدا أدركه النبى

صلى الله عليه وسلم بنور النبوة واطمأن إليه بتوجيه الله عز سلطانه فقبل أن يرد إلى المشركين من جاء منهم إلى المدينة ولا يرد إلى المسلمين من فر منهم ، إلى مكة ولكن عمر رضى الله عنه ببادئ النظر أنكر ذلك وشغب عليه وحاول أن يحرض بعض الخلصاء على معاونته فى ذلك ، فماذا كان من أبى عبيدة أمين هذه الأمة ؟

لقد اتجه إلى عمر مقرعا وزاجرا حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا عبد الله لم يضيعنى » . فقال أبو عبيدة ما هذا يابن الخطاب ألا تسمع يابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول ، تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك يا عمر . فيصغى عمر . إلى ذلك الصوت الكريم الصادق ، ويفيء إلى دعوة الحق ، ويتهم نفسه كما قال أبو عبيدة ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . ويتوب إلى الله عز وجل مستسلما لما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما استبان فيه وجه الحق ، وأيدته سورة الفتح التى نزلت عليهم وهم فى طريقهم إلى المدينة ، فينجو عمر من هلاك كان يحيق به بفضل صرخة الحق من أخيه الصادق أبى عبيدة .

وهكذا كانت مواقف أبى عبيدة فى الإسلام كلها إيمان وإيقان واستسلام وإذعان وطهر ونقاوة .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يرشحه للعظائم كما يرشح عظماء الصحابة فتذكر كتب التاريخ والسير سرية تعرف باسمه « سرية أبى عبيدة بن الجراح » قضى فيها على شغب طوائف من الأعراب من محارب وثعلبة وإمار ، فهربوا واستاق منهم النعم والمتاع الكثير ، وكان فى أربعين رجلا فقط من أصحاب رسول الله ، وكان فى غزوة ذات السلاسل ــ التى كان يقودها عمرو بن العاص رضى الله عنه ــ لأبى عبيدة موقف إنقاذ مشهود فقد وجهه النبى صلى الله عليه وسلم مددا لعمرو ومعه سراة المهاجرين كأبى بكر وعمر وعدة من الأنصار ، ويذكر فى هذه الغزوة أن أبا عبيدة أراد أن يتقدم للامامة فى الصلاة فنحاه عمرو واختلف أصحابه مع أصحاب أبى عبيدة ، ولكن أبا عبيدة آثر الإبقاء على الوحدة . وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن نتطاوع ، فوالله لإن عصيتنى لأطيعنك ، هذا إلى مواقف خطيرة جليلة .

يظهر بالتنويه بها كثير من مجد الإسلام ورفعة رجاله الأعلام ، نجتزئ اليوم بما ذكرنا منها على أن نستأنف فى مقال آخر الحديث عن أبى عبيدة الفاتح وعن تحليل بعض مزاياه وصفاته الكريمة ، جعل الله سبحانه لنا فيه وفى أمثاله خير عبرة وخير ذكرى ٠

محمود النواوى

صفحة من تاريخ الأزهر فى الجهاد :

الشيخ سليمان الجوسقى . . .

فرغ الشيخ سليمان الجوسقى من صلاة الفجر فى الجامع الأزهر على عادته فى كل يوم ، ولكنه فى ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته فى كل شىء ، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل ، وهو فى تفكيره منصرف عن كل شىء من حوله ، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم ، وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقيها إليهم فى إغفال واستسلام كأنه لا يبالى شيئا من أمرهم .

ومضى الشيخ الجوسقى إلى حلقة الدرس وهو على هذه الحال ، ساهم واجم ، مستغرق فى ذلك التفكير العميق الثقيل ، ولقد أخذ مكانه فى حلقة الدرس والطلاب يحفون به منصتين ، ولكنه جلس صامتا واجما لم يتكلم بكلمة ، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم فى كل يوم .

وما كان الشيخ الجوسقى هكذا أبدا ، ولا عرف طلابه عنه هذه الحال فى يوم من الأيام ، فقد كان شيخا مكفوف البصر ، يتولى شئون طائفة العميان والتدريس لهم فى الأزهر ، ولكنه لم يكن يرى فى تلك المحنة حدا يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة ، فكان معروفا بين إخوانه بقوة الشكيمة والصرامة فى الحق ، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته ، ويبذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم ، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة ، والالتحام فى المعركة ، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس ، يهش للدعابة ، ويطيب له التبسط فى الحديث مع طلابه ومريديه ، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة ، ومسائلهم الخاصة ، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية ، ويحبونه أعظم الحب ، وكان إذا ما أقبل على الدرس فى كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه ،

فيفضون إليه بما فى نفوسهم ، ويسمعون منه بما يشير به عليهم ، ثم يفرغون معه لدرس التفسير فى كتاب الله الكريم ، وما يزالون حتى ترتفع الشمس ، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر .

ولكن الشيخ أقبل على طلابه فى ذلك اليوم ، وهو على تلك الحال التى لم يألفوها منه ، ولم يعرفوها عنه ، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه فى نفسه أو فى أسرته ، فقال قائل منهم : لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى ، فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا !

قال الشيخ فى صوت محتبس أجش : كيف وهذا هو اليأس يأخذ بنواصينا وأقدامنا ، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شدا عنيفا ، فليس لنا منه متنفس . وفيم أنتم وهذا الدرس ، وما هو إلا كلام تلوكونه بألسنتكم ، وتخورون به خوار البقر ، ولكنكم والله لا تحسونه بقلوبكم ، ولا تعرفون فيه حق دينكم ، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التى ترددونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس ، وكأنها تجارة كلامية ، حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التى تقيم أودكم ، وتمسك رمقكم ، إذن فياضيعة الإسلام فيكم ، ويا خسارته بكم ، ولست أدرى أهى نهاية الزمان ، أم ان الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ويبعثه بعثا جديدا فى عقول هذه الأمة وقلوبها ؟ !

قال الطالب : وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءا فى دينه ، أو تفريطا فى حق من حقوقه ؟ !

قال الشيخ : وماذا بقى هناك من حقوق دينكم ؟ وأى أثر لذلك فى نفوسكم ؟ لقد جل الخطب حتى أوشك أن لا يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم ، هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم فسكتم ، ثم انتهبوا دوركم وأموالكم فأذعنتم ، ثم انتهكوا حرماتكم وأعراضكم فرضيتم وصبرتم ، وها هم أولاء - فيما عرفت - يعمدون إلى تغيير نظام المواريث فى دينكم ، فيجعلون حق الإرث كله للبنت وليس للولد منه شىء كما هو شرعهم ، ومتى بطل جزء من الشريعة فانها جميعها لابد صائرة إلى المسخ والزوال ، وإنكم لصائرون غدا أرقاء فى خدمة هؤلاء الفرنسيس الكفار ، وبكم تكون نهاية هذا الدين ، وزوال الملة ، ونعوذ بالله من هذا الزمان .

وسرت بين الطلاب همهمة وغمغمة ، وارتفعت الصيحات استنكارا لتلك النازلة الساحقة التى حلت بالمسلمين فى دارهم ، ووقف بعض الطلاب يتكلمون ، فمنهم من يلقى اللوم على أولئك المماليك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يتلظى فى أتون المعركة ، ومنهم من يعتب على دولة بنى عثمان التى تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح هذه الديار ، ومنهم من يسب الخائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب ، ومنهم من يقول : إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا فى دينهم ، وحقوق ملتهم .

وعاد الشيخ الجوسقى يتكلم فقال : حسبكم يا أبنائى هذا الضجيج على غير طائل ، إننا اليوم لسنا فى مقام توزيع التبعات وليس من الحكمة أن نترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملوم فى هذه الكارثة ، وإنما الواجب أن نفزع لدفع النازلة التى حلت بنا ثم نصفى أمورنا إذا بقى لنا أمر بعد ذلك ، فحرام عليكم طعامكم وشرابكم ، وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم فى وطنكم ، وأن تجلسوا فى هذا المكان باسم الإسلام والفرنسيون يصنعون بإسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا .

قال قائل منهم : وماذا فى طاقتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين . وقد حرمنا نعمة البصر فما ندرى إلى أين نسير ، والله يقول : « ليس على الأعمى حرج » .

ولم يكد الطالب يتم قولته حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلا : ألا لعنة الله عليكم إن كان هذا هو مدى إدراككم ويقينكم ، نعم لا حرج عليكم فيما هو من شئونكم الخاصة ، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام ، وإنها لآخذة برقابكم جميعا ، والله يقول : «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »، فانفروا إلى الناس فى دورهم ، وحيث هم فى أعمالهم ، وتفرقوا على أبواب الطرق والحارات ، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقى الرحى ، وإن الفرنسيين قد استباحوا حرماتكم ، وأهانوا شرفكم ، ونهبوا أموالكم ، وبدلوا دينكم ، فلا عزة لكم بين الأمم ، ولا كرامة لكم عند ربكم إذا ما رضيتم بهذا الأمر فيكم .

ووقف الشيخ فى انفعال وقوة ، وأخذ يصرخ قائلا والدموع تنحدر على خديه : والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد ، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء ، ولقد خاض رسول الله الحرب حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ، وفى سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين ، فلعنة الله علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم .. ثم اندفع الشيخ

واندفع معه طلابه إلى الخارج وهم يصيحون : إلى الجهاد والاستشهاد ، إلى الموت في سبيل الله .. وكانت الثورة .

* * *

كانت الشمس ترتفع للضحى ، وكانت القاهرة تبدو هامدة واجمة تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسى الذى جثم على قلبها بجأة ، وكان الناس يغدون ويروحون وهم لايدرون من أمرهم شيئا لليوم أو الغد ، فما هى إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغلى كالمرجل ، وكان الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده ، فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابه على أبواب الطرق ، وتغلغلوا فى الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسينية ، وراحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم ، واستباحوا حرماتهم ، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين فى الجهاد والاستشهاد ، وكأنما كانت الشرارة قد اندلعت فى الهشيم ، فاذا بالجموع تتداعى من كل ناحية ، والصيحات ترتفع من كل جانب : إلى الجهاد ، إلى الاستشهاد ، النصر للاسلام .

واتصل الخبر بالسلطات الفرنسية ، فركب الضابط « ديوى » على رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود ، ومر بشارع الغورية ، وعطف على خط الصنادقية ، ثم قصد إلى بيت القاضى فوجد جموعا كبيرة من المصريين وهم يصيحون ويتوعدون ، فتراجع أمامهم وأراد أن يخرج من بين القصرين ، ولكنهم أدركوه والتحموا به فى معركة عنيفة أسفرت عن جرح « ديوى » بجراح بالغة وقتل أكثر فرسانه وجنوده ، ولم يفلت القائد الفرنسى من براثنهم إلا بأعجوبة ... وأيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم وبين الفرنسيين ، وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف ، فرابطت الجموع عند الأطراف وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح وباب النصر والبرقية وباب زويلة وباب الشعرية ، وأقاموا المتاريس فى كل مكان مفتوح للهجوم ، وأخرجوا ما عندهم من السلاح والذخيرة ، وباتوا الليل ساهرين منتظرين .

وأصبح الصباح ، وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية والقلعة ، وهى مستعدة بالعتاد الكامل ، والمدافع الثقيلة ، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل وركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة ، وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان ، ولم يكن دوى القنابل مألوفا لعامة الشعب ، فسار بينهم الفزع والرعب ، ولكن المرابطين على المتاريس وقفوا ثابتين يدافعون فى شجاعة وعناد ، وأمضت القاهرة

ليلة مظلمة لم تعهدها من قبل ، فكنت لا تسمع فى وسط ذلك الظلام الخانق الرهيب ، إلا دوى القنابل وهى تتساقط فى كل مكان ، وإلا صيحات المجاهدين والمدافعين وهى تتجاوب بالثبات والإقدام ، وطال الترقب ، والفريقان يتبادلان الرمى والضرب ، وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدئة الثورة ، ولكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم .

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة وتساقط القتلى من الجانبين فى الشوارع والطرقات وتهدمت الدور فى كثير من المواقع ، وبقى المواطنون فى أماكنهم صامدين ، يناضلون ويدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم ، فوقفوا عن الضرب والرمى ، وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين ، فانحدروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون فى الأهالى العزل قتلا وفتكا ، وعاثوا فى حى الأزهر جميعه ، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم ، واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرق بمبادئ الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس ، فربطوا فيه خيولهم ، وشربوا فيه الخمور ، وعاثوا بكل ما فيه من المصاحف والكتب والخزائن فسادا وتلفا وداسوها بنعالهم .

وأصبح الصباح فى اليوم التالى ، وكانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت فى حى الأزهر وفى جميع الأحياء التى عضدت الثورة ، وأخذوا ينهبون الدور ويبحثون عن السلاح فى كل مكان ، ثم أخذوا يبحثون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة واعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم فى بيت البكرى بعض الوقت ، ثم نقلوهم إلى القلعة . .

وقصد الشيخ السادات ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسى وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمهلهم بعض الوقت ، وفى كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن ، وبعد خمسة عشر يوما انكشفت الحقيقة فى صنع الاستعماريين ، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة ، بعد أن قتلهم الفرنسيون ومثلوا بهم أشنع تمثيل ، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم فى حق أبناء المدنية الفرنسية ، فطالبوا بحق أمتهم فى الحرية والحياة . . .

محمد فهمى عبد اللطيف

الأزهر وعيد الأم

في اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس احتفلت البلاد بعيد الأم، وعنيت الهيئات التعليمية والمؤسسات التربوية بدعوة الأطفال إلى تقديم الهدايا لأمهاتهم ، وإقامة الحفلات الرمزية تكريما لهن وقياما بحق الوفاء نحوهن .

ولعل بعض الناس يتساءلون - كما تساءلوا من قبل فى عيد العلم - أين دور الأزهر فى هذا العيد ؟ ؟ ولماذا لم يكن هو حامل لواء الدعوة إليه ورسالته أقوى صلة به ؟

إن الأزهر وهو مركز الإشعاع الروحى والدينى والثقافى لا فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى كله - قامت رسالته منذ نشأته على دراسة الدين ومبادئه ، وتفهم تعاليمه وهدايته والحرص الكامل على التحلى بما يدعو إليه من خلق كريم ، والسير على المنهج الواضح الذى رسمه لإقامة حياة كريمة فاضلة ومدنية صحيحة سليمة ، وكرس جهوده لنشر هذه المبادئ والفضائل والأخذ بيد الناس إلى طريق النور والسهر على تطهير المجتمع من الفساد والانحلال .

هؤلاء طلاب الأزهر وشيوخه وهم حفظة القرآن الكريم الذين عذبت ألسنتهم بتلاوته ، وامتلأت أسماعهم بذكره ، ووقر فى قلوبهم حبه - إنهم لم ينسوا أبدا قول الله سبحانه : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » . وقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » . وقوله : « قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » .

إنهم يدرسون فى جميع مراحل التعليم حديث الرسول الكريم وآثار الصحابة والتابعين وكلها تمجيد للأمومة وسمو بها وتحذير من عقوقها والتفريط فى حقوقها . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين . ثم قال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، وقول الزور وشهادة الزور » .

ولما سأله بعض الصحابة : من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال له : « أمك » وكرر ذلك مرات . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

إنهم الداعون فى جميع الأوقات وفى جميع الميادين وبكل الوسائل إلى تطبيق هـذه التعاليم والحث على التمسك بها .

أليسوا هم المربين للناشئة فى المدارس والمعاهد والحريصين على غرس هذه الفضائل فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ؟

أليسوا هم الموجهين للناس نحو هـذه الآداب فى المساجد والمجتمعات بالخطب والمحاضرات والإذاعة والمقالات والمؤلفات ؟

أليسوا هم الذين يقومون بدور كبير فى فض المنازعات والخصومات التى تنشأ فى الأسرة بسبب الإخلال بهذه الواجبات ؟

إن الأزهر حين يكرم الأمومة لايقصر تكريمها على يوم النيروز ولا على دعوة لتقديم هدية أو إقامة حفلة ، بل إن تكريمه لهـا ــ وهو من صميم رسالته ــ موجود فى كل لحظة من لحظات العمر وبكل وسيلة ممكنة . إنه حين يكرم الأم لايغفل جانب الأب أو يتناسى حق الرحم ، فكل أولئك لهم حقوق جعل الله القيام بهـا مناط الخير والرضوان ، وسبيل السعادة فى الدارين . إنه يقوم بذلك لا تحقيقا لفكرة من الفكر أو تقليدا من التقاليد ، بل يؤديه بوحى من إيمـانه ووازع من دينه وضميره يخشى من التهاون فيه عقابا دونه كل عقاب ماعدا الشرك بالله .

إن الأزهر لم يكن غافلا عن هذا التكريم ــ كما غفل عنه الناس آمادا طويلة فلم يتنبهوا له إلا تقليدا للغرب منـذ قليل ــ ولم يكن برنامج نشاطه قاصرا عن هذه المـادة حتى يقوم من يدعوه إلى تكميل مافيه . ثم لمـاذا لايكون ذلك احتفالا بعيد الأب والأم معا ؟ هل أدرك الغربيون قيمة الأم الآن فخصوها وحدها بالتكريم ؟ أم خافوا عليهـا الضياع فقاموا بذلك لحمايتها والحفاظ عليها ؟ وهل ضاع الأب المسكين ــ الذى يشقى ويكد ويقاسى ما يقاسى فى سبيل إسعاد أسرته حتى تصرف الأنظار عنـه إلى الأم ؟ أم أن الغرب يعد العدة ليطلع على الناس بعد بعيد له فنسرع نحن جاهدين مقلدين ؟

ألا فلتعلموا أن الغرب يريد أن يصرف الشرق إليه ، ويفرض زعامته عليه ، بمـا يخترعه من أسماء ويبتكره من عناوين .

واعلموا أن التربية الدينية السليمة هى خير مايوجه الطفل إلى القيام بواجبه نحو أسرته ومدرسته ووطنه ، فاحرصوا على دينكم واحذروا فتنة الغرب وسمومه ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

محمد فهيم اسماعيل
المراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية

من أعلام الاسلام :

الامام محمد بن ادريس القرشي

الشافعي : هو محمد بن إدريس القرشي المطلبي من جهة الأب ، الأزدي من جهة الأم ، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد في بلادالشام بغزة أوعسقلان سنة ١٥٠ هـ ، ولما مات أبوه حملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين .

نشأ رضى الله عنه يتيما فقيرا حتى إنه صور حالته فى قوله « كنت يتيما فى حجر أمى ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه إذا نام ، فلما جمعت القرآن دخلت المجلس الذى يعقد فى المسجد أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى جرة عظيمة » . « خرجت من مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » . ولا شك أن إقامة الشافعى بالبادية فى حداثة سنه ، هذبت لسانه وأعانته على تذوق اللغة وفهم معانى القرآن فهما وثيقا ومعرفة السنة مما ساعده على أن يكون أسلوبه عربيا مبينا حتى أضحت الكتابة الركيكة والأسلوب الهزيل يؤذيه . يحكى أنه سمع رجلا يلحن فقال له الشافعى أخرستنى .

لقد كان لتنقله بين الأصقاع المختلفة الفضل فى معرفته لأعلام الإسلام فى ذلك الحين أمثال شيبان بن عيينه ومسلم بن خالد الزنجى مما أكسبه معرفة بالحديث والفقه وحفظ الموطأ عن مالك وأخذ عنه فقهه ولازمه إلى أن مات مالك سنة ١٧٩ هـ . فأضفى ذلك على شخصية الشافعى سمة العلم والتفقه وهو ما زال فى مقتبل عمره ومطلع حياته .

لقد كان سفر الشافعى إلى العراق نهزة فى حياته وفرصة فى أيام عمره فقد مكنه الرحيل من مجالسة محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الذى أخذ عنه فقه العراقيين ، ويقول هنا الحافظ بن حجر « انتهت رياسة الفقه إلى مالك بن أنس ثم رحل إليه الشافعى ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبى حنيفة فأخذ الشافعى عن صاحبه محمد ابن الحسن وعلى ذلك اجتمع للشافعى علم أهل الرأى ، وعلم أهل الحديث ، فتصرف

فى ذلك حتى أصل الأصول . وقعـد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره وعلا ذكره وارتفع قدره حتى صار منه ما صار [١] » .

أطبق المؤرخون على أن صفات الشافعى العقلية واللسانية، وحسن بيانه وقوة عارضته وقدرته الفائقة على الجدل ، ومهارته الممتازة فى الاستنباط وثقافته الواسعة فى اللغة والأدب جملته لا يستسيغ الطرائق العلمية والسبل الفقهية والمسائل الدينية التى يسير عليها أصحاب الإمام أبى حنيفة فهجر طريقتهم ولـكنه لم يتركها ، ذلك أن القياس عندهم منهاج صحيح ، ولـكنه فى نظره ليس على إطلاقه بل لا بد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة ، ثم عندهم طريقـة التفريع وتوليد المسائل الـكثيرة من أصولها ، وعندهم الجدل والاستدلال بالعـدل والمصلحة و إلحـاق الشبيه بالشبيه ، وما بين الإسناد من فروق ثم من موافقات .

فرأى الشافعى أن يضيف كل هذه الثروة العراقية إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولا ، ومن الاستنباط أخيرا وأخرج مذهبا جديدا دعا إليه فى العراق سنة ١٩٥ هـ وتبعه عليه من أصحابه البغداديين أمثال أبى على الحسين بن على الـكرابيسى وهو من مشاهير أهل العراق ومثل أبى ثور الـكلبى وكأبى على الزعفرانى . ثم رأى رضى الله عنه أن يرحل إلى مصر فرحل إليها وأقام بها أربع سنوات أملى فيها كثيرا من كتبه .

مسلك الشافعى فى الاجتهاد :

قال « الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، و إذا اتصل الحـديث عن رسول الله وصح الإسناد منه فهو سنة ، والإجماع أكبر من الخبر المفرد والحديث على ظاهره و إذا احتمل معانى فما أشبه منها ظاهره أولاها به و إذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشىء ماعدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصـل ، ولا يقال للأصل لم وكيف ، و إنمـا يقال : للفرع لم ؟ فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة » . وقال أيضا : « إذا حدث ثقة عن ثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك حديث يخالفه عمل به ، فاذا كانت هناك أحاديث مختلفة نظر

---

[١] توالى التأسيس ص ٥٤ .

هل فيها ناسخ ومنسوخ ؟ فان لم يكن ناسخ ومنسوخ نظر فى أوثق الروايات وأمعنها فى الصحة فعمل بها ، فان تكافأت عرضها على أصول القرآن والسنة الثابتة وعمل بما كان من الأحاديث أقرب إلى ذلك ، وإذا ثبت الحديث عن رسول الله لا يترك هذا الحديث لأى قياس ولا لأى رأى ولا لأى أثر يروى عن صحابى كائنا من كان ، أو تابعى كائنا من كان » [١] .

موقف الشافعى من القياس :

وقف الشافعى من القياس موقفا وسطا ، لم يتشدد فيه تشدد مالك ، ولم يتوسع فيه توسع أبى حنيفة ، فهو يقول : « إن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار ثم القياس عليها ، ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وآدابه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه . ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما نص قبله من السنة وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب . ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ولا يعمل بالقول به دون التثبت ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد به تثبيتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك (رسالة الشافعى فى الأصول ص ٧٠) ومن هنا ترى الشافعى لا يأخذ بقول مالك بالمصالح المرسلة ولا يساير الحنفية فى قولهم بالاستحسان .

من هذه الآراء العلمية التى أوردها الشافعى ، استطاع تحديد موقفه بقواعد فقهية لم يسبق أن فكر فيها مشرع ، ولا يخفى ـ كما سبق أن بينا ـ أن لكثرة تنقله بين الأصقاع المختلفة وتردده على مجالس العلماء ما أكسبه ملكة فائقة فى الحديث ، وأنه رغم هذه الثقافة لم يتعصب لأهل بلد من هذه البلدان : العراق ، اليمن ، مكة ، مصر . وهى البلاد التى جاب أقطارها وخالط أهلها وامتزج بهم امتزاج الأهل بالأهل . ومن أجل ذلك كان المحدثون أميل بطبعهم إلى الشافعى ، لأنه توسع فى استعمال الحديث والاستدلال به أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة وحد من الرأى والقياس وضيق سلطتهما كذلك ،

---

[١] ضحى الاسلام جزء ٢ .

وكان من أنصاره أحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه وغيرهما من كبار المحدثين. ونظرا لأن الشافعي قرب وجهة النظر بين المدرستين : مدرسة الحجاز ، ومدرسة العراق ، واختار ما رأى الحق فى كلتيهما ، فقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبى حنيفة إلى مذهبه الجديد .

كتاب الأم :

كتاب وضعه الشافعى ، وهو مجموع أمال أملاها فى حلقته ، كتبها عنه تلاميذه ، والكتاب فصيح العبارة ، حسن الأداء ، محكم الوضع ، عليه مسحة من كلام البادية وفصاحتها . وفى الكتاب تتجلى براعة الجدل المنطقى . والكتاب مبوب على أبواب الفقه كما فعل مالك فى الموطأ ، وقد أمليت هذه الأبواب فى جامع عمرو بالفسطاط . والكتاب يعطينا صورة وضاءة قوية لمناحى الشافعى ولمذهبه الجديد .

لماذا وضع الشافعى علم أصول الفقه ؟

أهل الحديث كانوا يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن . فأصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس على خبر الواحد ، وهم يقبلون الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث ثم لا يقبلون الحديث الصحيح إذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى - (الرازى ص ٣٥٠ ، ٣٥١) .

لما ذهب الشافعى إلى العراق أول مرة استرعى نظره تحامل أهل الرأى على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأى أقوى منه وأعظم جاها بما لهم من مكانة عند الخلفاء وبتوليهم شئون القضاء . وذلك إلى أنهم أوسع حيلة فى الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا ، ويمثل حال الفريقين ما روى من إمامى أهل الرأى والحديث : أبى حنيفة ومالك .

لهذا كان طبيعيا أن يجادل الشافعى عن أستاذه وعن مذهبه . وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعى عن مالك ومذهبه . وقد روى أبو عبد الله الصفانى يحدث عن يحيى بن أكثم قال : « كنا عند محمد بن الحسن فى المناظرة ، وكان الشافعى رجلا قرشى العقل والفهم صافى الذهن سريع الإصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » (ابن حجر ص ٥٩) .

ولما عاد الشافعى إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ ليقيم فيها سنتين اشتغل بالتدريس والتأليف . روى الحافظ البغدادى فى كتابه (تاريخ البغدادى) عن أبى الفضل الزجاج يقول « لما

قدم الشافعي بغداد كان يعقد حلقة ويقـول : « قال الله وقال الرسول » وأصحاب الرأى يقولون « قال أصحابنا » حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره واختلف إلى دروس الشافعى جماعة كأحمد بن حنبل وأبى ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرأى إلى مذهبه ويروى عن أحمد بن حنبل أنه قال « ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة إلا وللشافعى عليه منة » وقال « إن أصحاب الرأى كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعى وأقام عليهم الحجة » (الانتقاء ص ٧٦) .

سئل أحمد بن حنبل : ما ترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين : أهى أحب إليك أم التى بمصر ؟ قال عليك بالكتب التى وضعها بمصر فانه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك ، كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير (يراجع هامش الانتقاء ص ٧٧) .

مذهب الشافعى الجـديد :

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعى إلى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تـكون دلائلها نصوصا ، لـكن الشافعى كان يعنى قبل كل شىء بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول يجمعها ، وذلك هو النظر الحـكيم .

وضع الشافعى لعلم أصول الفقه :

قال الرازى : « اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم أى علم أصول الفقه الشافعى ، فهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف » .

ويقول بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط :

« الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه ، صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحـديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس الذى ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول رسالتهم » .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته :

« كان أول من كتب فيه ـ أى علم أصول الفقه ـ الشافعى رضى الله عنه ، أملى فيه رسالته المشهورة ، تـكلم فيها فى الأوامر والنواهى والبيان والخـبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس » .

عباس طه

الفتاوى

السؤال

وردت إلينا عدة استفتاءات على أثر ما نشر فى الصحف منسوبا إلى السيد وزير الأوقاف من قوله : « يجوز للعريس أن يختلط بعروسه ويتمتع بها : أى يقبلها ويعانقها قبل عقد الزواج ليتأكد من صلاحيتها له وليأمن العيوب الخفية فيها » .

وقوله — فى صدد إنشاء مسجد خاص بالسيدات فى القاهرة تتولى إحداهن إقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وأذان — سأسمح للنساء بأداء الصلاة على حالتهن التى يرتدن بها المجتمعات ، وانه ما دامت السيدة تأمن الفتنة فلم لا نسمح لها بأن تصلى وهى حاسرة الرأس عارية الذراعين ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . « وبعد » فمما يجب أن يعلم أولا :

أن الله تعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وأنزل معه الكتاب هدى للناس ، وأمره أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فكان دستور الإسلام القرآن ، وكانت السنة الصحيحة بيانا له ، وكانا الأصلين الأولين اللذين يرجع إليهما ويعتمد عليهما فى الأحكام ، قال تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وكل ما يخالفهما فهو تقوّل وافتراء على الله ورسوله يردّ فى وجه قائله .

* * *

والإسلام كما جاء بما يطهر العقول من دنس العقائد الزائغة ، وجاء بالآداب القويمة الفاضلة ، شرع من الأحكام ما لايمكن المجتمع أن يعيش فى ظل المدنية الفاضلة إلا

باتباعها والتزام العمل بها ، فهى قوام سعادته ، وهى الـكفيلة باجتلاب المصالح له ودرء المفاسد عنه .

ومما امتاز به الإسلام :

١ — اليسر فى الأحكام ، فقد شرع أحكام الرخص دفعا للحرج والمشقة فى حالات الضرورة ، كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، وهذا النوع من الأحكام من باب التشريع الاستثنائى الذى لا يسوغ التوسع فيه ، شأن الاستثناء فى كل تشريع .

٢ — والسماحة فى تعاليمه ، فليس فيها من التكاليف ما يشق ويرهق فى كل حال ، وفيها من المقاصد والمبادئ والمقومات ما يرقى بالنوع الإنسانى إلى ذروة الـكمال حيث أفسح له المجال فى التفكير والحريات الطبيعية ، والعلاقة بين الأفراد والجماعات فى النطاق الذى تحقق فيه الفائدة ، ويندرئ معه الضرر والعدوان .

ولذلك شرعت الحدود والزواجر بجانب الأحكام والتكاليف ، وهـذا هو معنى يسر الإسلام وسماحته ، ولا يعنى المتشرعون سواه حين يتحدثون عنهما .

ومن الناس من لم يفقه هذا المعنى فتحدث عن سماحة الإسلام بما يقضى بأنها مجاراة الشهوات وإقرار العادات ، مع أن قليلا من الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله يدل دلالة ظاهرة على أنهما حاربا الشهوات الباغية والعادات الذميمة التى يأباها الخلق والفضيلة والمصلحة الظاهرة ، وشرعا الحدود والزواجر للردع عنها صيانة للمجتمع من الانحلال ، وللأخلاق من التردى فى مهاوى الرذيلة ، وارتفاعا بقدر الإنسان عن المهانة والضعة . ثم نقـول :

مما شرعه الإسلام للنساء ــ وهن شقائق الرجال ــ فى بناء المجتمع أحكام من شأنها صيانة حرماتهن وتحصين عفافهن وتحريم ما يفضى للاعتداء عليهن ، حتى يعشن فى سياج من الفضيلة ومناعة من العزة والـكرامة ، فحدد للمرأة ما يباح كشفه والنظر إليـه من جسمها للأجنبى وهو الوجه والـكفان ــ بقوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منهـا » بعد الأمر بغض البصر فى قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » أى عمـا حرم النظر إليه . وهذا إذا كان النظر بغير شهوة ، أما إذا كان النظر بشهوة ،

فأنه يحرم النظر إليهما لقوله عليه الصلاة والسلام لعلى : « لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وليس لك الآخرة » .

واستثنى من ذلك للضرورة النظر ولو بشهوة إلى الوجه والكفين فى حالة الخطبة لما رواه أبو هريرة : « أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : انظر إليها فان فى أعين الأنصار شيئا ـ يعنى الصغر » ولحديث أبى حميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة » .

ولا يجوز اللمس ولا النظر إلى غير ذلك فى حال الخطبة لعدم الضرورة إليهما .

وهذا هو ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، وما جاء فى بعض الأقوال من جواز النظر فى حال الخطبة إلى ما سوى ذلك فلا يعول عليه لمخالفته للآية والأحاديث .

* * *

وأما ما نشر فى بعض الصحف على لسان السيد وزير الأوقاف من إباحة التقبيل والعناق للمخطوبة قبل العقد أو إقرار ذلك فهو قول باطل يرده كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب الأئمة قاطبة ، إذ لم ينقل عن أحد من المسلمين ـ لا الفقيه ابن حزم ولا غيره ـ إجازته من الأجنبى للأجنبية فى أى حال ، فضلا عن أنه إباحية فاحشة تنكرها الأخلاق والعادات الفاضلة .

على أن الله تعالى قد حرم على المرأة أن تكشف صدرها ونحرها للأجنبى منها بقوله تعالى : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » وحرم عليها أن تبدى زينتها الباطنة وهى غير الوجه والكفين من نحو الصدر والذراعين والساقين إلا للزوج والمحارم المذكورين فى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... الآية » وحرم عليها إبداء العورة الفاحشة لغير الزوج ، وذلك دليل قاطع على حرمة نظر جسمها فضلا عن لمسها ومعانقتها وتقبيلها للأجنبى منها ، فكيف يزعم مسلم أنه يجوز للخاطب أن يرى مخطوبته مكشوفة العورة؟! .

وما جاء فى عبارات بعض المؤلفين مما يفيد جواز النظر للمخطوبة وهى عارية فان أمكن تأويله بما يوافق كتاب الله تعالى وسنة رسوله فبها ، وإلا رد على قائله كما قدمنا .

وقد علم من ذلك أن رأس المرأة وعنقها ونحرها وصدرها وذراعيها وساقيها وسائر جسدها ـ ماعدا الوجه والكفين ـ عورة لا يباح كشفها فى غير الصلاة إلا للزوج والمحارم.

أما فى الصلاة فلا يباح لها كشف ما عدا الوجه والكفين سواء أكانت صلاتها فى مخدعها أم فى غيره كما ورد فى السنة المأثورة ، وإليه ذهب جمهور الأئمة .

فالقول بجواز صلاتها عارية الرأس مكشوفة الذراعين والساقين إذا أمنت النظر قول لا يقره جمهور الأئمة .

* * *

أما حكم إنشاء مسجد خاص بالنساء كما جاء بالسؤال فهو بدعة لم تعهد فى عهد النبوة ولا فى القرون الثلاثة التى هى أفضل القرون كما جاء فى الحديث، ولا ضرورة ولا مصلحة هنا فى ذلك ، والخير فى الاتباع لا فى الابتداع . وفى الحديث : « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

* * *

ومما يجب التنبيه إليه أن الإفتاء فى الدين مقام خطير لا يتصدى له إلا فقيه ثقة أمين على الأحكام، ولا يجوز الإفتاء بما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ويجر إلى مفسدة ظاهرة من الشاذ من الأقوال .

كما لا يجوز لعالم من علماء المسلمين أن يذيع باسم الدين آراء ليس لها وزن عند جمهور أئمة المسلمين . والله أعلم ؟

حسنين محمد مخلوف
عضو جماعة كبار العلماء ـ ومفتى الديار المصرية سابقا
ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر

النور والحكمة

املأ الأرض يا محمد نورا	واغمر الناس حكمة والدهورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى	أمم الأرض أن تذوق الثبورا
أنكر الناس ربهم وتولوا	يحسبون الحياة إفكا وزورا

أحمد محرم

المؤمن الحـــــق

ذكرت لك أيها القارئ الفاهم لكلامى ومراميه ، المدرك لقوادمه وخوافيه أن الإيمان عند جمهور المحققين هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم و بينت لك أن هـذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره ، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله . وأزيدك هنا أن أصحاب هذا المذهب اتفقوا على أن هذا المصدق بقلبه فقط إذا طلب منه الإقرار بالشهادتين فامتنع عن الإقرار بهما من غير عذر كان كافرا كفر عناد لا كفر جحد و إنكار ، لأن المفروض أنه مصدق بقلبه فاذا اتفق له وهـو مصدق بقلبه أنه لم ينطق أبدا بالشهادتين ولم يجرهما لسانه لـكن إذا طلب منه الإقرار أقر كان بذلك التصديق وحده مؤمنا شرعا ومصيره الجنة إن شاء الله .

وذهب الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه وكثير من أتباعه إلى أن الإيمان تصديق بالقلب و إقرار باللسان أو ما فى حكمه كاشارة الأخرس وليس العمل بالجوارح من مسماه ، وعلى هـذا فالمصدق بقلبه التارك للاقرار بلسانه لايكون مؤمنا إيمانا يترتب عليه الأحكام الأخروية .

وذهب أهل الحديث والفقهاء [١] إلى أن الإيمان المعرفة بالجنان أى التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . ووافقهم على ذلك القلانسى من أهل السنة والنجار من المعتزلة . وهناك بعـد ذلك مذاهب أخرى لا حاجة بى إلى ذكرها لما فى ذكرها من التطويل من جهة ولأنها فيما أرى لا وزن لها لأنها بينة الضعف ظاهرة البطلان .

قال العلماء : وأوضح هذه المذاهب وأحقها بالاعتبار أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط كما يشير اليه قول الإمام على كرم الله وجهه الإيمان معرفة والمعرفة تسليم والتسليم تصديق ، ومما يؤيد هـذا المذهب قوله تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان)

---

[١] المجلة ـ ومنهم الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد وجمهور السلف كما سيأتى فى هذا المقال .

وقوله سبحانه (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) وقوله عز وجل (وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقد أضاف القرآن الكريم والنبي العظيم الإيمان إلى القلب ونسبه اليه ولم ينسبه إلى شئ آخر فدل ذلك على أن محله القلب وأنه فعل من أفعاله وليس فعل القلب إلا التصديق فالإيمان إذن هو التصديق وحده بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولا يعزب عن بالك أيها القارئ أن كلامنا فى الإيمان المجرد من غير تعرض لكونه كاملا أو غير كامل ، فالإيمان المجرد هو التصديق فقط كما هو الراجح المرضى من مذاهب العلماء وبه أقول ، أما الإيمان الكامل فقد أجمعوا على أنه التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان وعلى ذلك حملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس لما سألهم عن الإيمان فوكلوا علمه إلى الله ورسوله فقال « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس » وحملوا عليه أيضا ما ذهب جمهور سلف الأمة وأئمتها مالك والشافعى وأحمد بن حنبل والأوزاعى وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين من أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . وكذلك ماذكره البدر العينى [١] فى شرح البخارى من أن مذهب السلف وأهل الأثر أن الإيمان عبارة عن مجموع ثلاثة أشياء : التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . فكل ذلك محمول كما علمت على الإيمان الكامل لا مجرد الإيمان ، والمؤمن الكامل هو المؤمن الحق أى الثابت الإيمان الشامخ اليقين الذى لايتزعزع ولا يرتاب ، وهو من جمع أمورا خمسة بينها الله سبحانه وتعالى فى قوله عز من قائل « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا » :

(الأمر الأول) وجل القلب عند ذكر الله عز وجل وهو المشار إليه بقوله : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » . أى خشيت وذلت واستكانت هيبة لعظمته وخضوعا لسلطانه وخشوعا لجلاله وكبريائه ، وسواء فى ذلك أن يذكره المرء بلسانه أو يذكره له غيره كأن يقول له اتق الله ، أو يتذكره بقلبه فيخافه خوف إجلال وإعظام ، ولا ينافى هذا اطمئنان قلبه وهدوؤه وسكونه كما تشير إليه الآية الكريمة : « الذين آمنوا وتطمئن

---

[١] وهو من علماء الحنفية .

قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . بل إن هـذا الوجل بالمعنى المذكور يستتبع قطعا طمأنينة القلب وسكونه . لأن الوجل ناشىء من معرفة الله سبحانه حق معرفته وتيقن جلاله وعظمته واعتقاد أنه الخالق البارئ لا إله سواه ، وأنه رب كل شيء وهو على كل شيء قدير ، يعطى ويمنع ويعفو ويصفح وهو خير الراحمين ، فمتى ذكر المرء ذلك كله لا شك يخضع قلبه إجلالا ، ويطمئن لما يحصل له من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد .

أما خوف العقاب فانما يكون من أهل الزيغ والفساد الذين غلظت أكبادهم وقست قلوبهم وصمت آذانهم فلا يسمعون نداء من يدعوهم إلى الهدى ويرشدهم إلى الصراط السوى صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ولذلك قال أهل الحقائق : الخوف خوفان ، خوف عقاب ـ وهو خوف العصاة والمذنبين ، وخوف الهيبة والعظمة ـ وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه ويخشونه . جعلنا الله ممن توجل قلوبهم إذا ذكر الله سبحانه .

(الأمر الثانى) زيادة الإيمان عند تلاوة الآيات وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » . وقد علمت أن الرأى الراجح الذى تسنده الأدلة وتدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الإيمان هو التصديق فقط ولا تدخل فى حقيقته الأقوال ولا الأفعال . وقد اختلف العلماء فى أن الإيمان بهذا المعنى يقبل الزيادة والنقص فذهبت طائفة إلى أنه لا يقبلهما فالمصدق إذا أتى بالطاعات واستغرق فيها أو أتى بالمعاصى وانهمك فيها فتصديقه بحاله لم يتغير بزيادة ولا نقص ، إذ لو زاد أو نقص لكان شكا وخرج عن كونه إيمانا ، فقبوله الزيادة أو النقص تذهب من أصله ولا تبق له أثرا .

وذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (وبه أقول وله أختار) إلى أن الإيمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة والنقص ، فان كثرة الأدلة وتضافرها وتعاضد الحجج وقوتها مما يوجب ذلك ويثبته ، إذ لا يعقل أن المثبت بدليل واحد يساوى فى ثبوته ورسوخه المثبت بأكثر من دليل . إن بديهة العقل لا تسوى بينهما ، ولو لم يتفاوت التصديق بحسب كثرة الأدلة وتظاهرها لكان إيمان آحاد الناس بل إيمان المنهمكين فى المعاصى والفسق مساويا لإيمان الأنبياء والملائكة وظاهر إلى حد البداهة بطلان ذلك ، وما زعموه من أن قبوله الزيادة أو النقص يجعله شكا مدفوع بما بينه العلماء

فى علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، فقد رتبوها وفاوتوا بينها فجعلوا أدناها علم اليقين وأعلاها حق اليقين ، ومع ذلك لا شك فى واحد منها .

فالإيمان كذلك متفاوت فى درجاته قوة وضعفا من غير أن يكون هناك شك فى واحد منها وكأنهم أرادوا أن له حدا أدنى وهو التصديق الذى لا يعتوره شك ولا يعترضه ريب ، ويتفاوت إلى أعلى حتى يكون إيمان الأنبياء والملائكة ، وبين الحدين درجات كثيرة كلها تصديق ويقين ، ولعل مما يدل على ذلك ما حكاه الله سبحانه فى القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه بقوله : « رب أرنى كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلى . ولكن ليطمئن قلبى » . أى يسكن قلبى بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ، فالمعاينة تثبت التصديق وتقويه ، ويدل على زيادة الإيمان آيات كثيرة منها هذه الآية التى نحن بصددها وهى قوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » . وقوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون » . إلى غير ذلك من الآيات . ويدل عليها أيضا ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار » . فهذه النصوص وأشباهها تدل على قبول الإيمان الزيادة والنقص ولم يعارضها معارض عقلى ولا نقلى صحيح فوجب المصير إلى ذلك ، وما أجاب به المانعون للزيادة والنقص من أن الزيادة فى هذه النصوص ليست زيادة فى التصديق وإنما هى فى المؤمن به (بفتح الميم) من الأحكام والشرائع إذ لم يؤمن بها قبل نزول الآيات ، ما أجاب به أولئك خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بدليل عقلى أو نقلى صحيح ، على أنه يبعد فى قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا » . وقوله سبحانه : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » . هذا وما بيناه من الخلاف فى قبول الإيمان الزيادة إنما هو على الرأى المرضى القائل : إن الإيمان هو التصديق فقط من غير حاجة إلى إقرار أو عمل ، أما عند من يرى أن الإيمان تصديق وقول وعمل فلا ريب أنه حينئذ يقبل الزيادة بزيادة الطاعات والنقص بنقص الطاعات . والله ولى التوفيق م؟

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
والمدير العام للوعظ بالجمهورية المصرية

أعياد ومواسم وذكريات

تتشابه الشعوب على اختلاف مواقعها وتفاوت ثقافتها وتباعد حقبها التاريخية فى كثير من شئونها ، وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد والعادات والمواسم والذكريات ، فالكل شعب عقائد وعادات ومواسم وذكريات ، سواء فى ذلك الشعوب القديمة والحديثة والمتبدية والمتحضرة ، والباحث فى تاريخ الشعوب المتقصى فى ملاحظة شئونها القومية والاجتماعية يدهش لما بينها من تشابه فى هذه النواحى على بعد ما بينها فى الأزمنة والأمكنة . ومن العجب أن نرى تشابها بين بعض العادات الصينية والمصرية أو بين العادات المصرية الحديثة والعادات المصرية الموغلة فى التاريخ . ولئن صح أن نعلل التشابه بين حديث العادات المصرية وقديمها بأنه من عمل الوراثة ، فكيف نعلل التشابه بين العادات المصرية وغيرها من عادات الأمم التى تناءت بها الأمكنة وانقطعت بينها الصلات وبخاصة فى العصور القديمة قبل أن يتقارب العالم بوسائل النقل الحديثة ؟

أيمكن أن يجىء ذلك من سبيل المصادفات أو من قبيل توارد الخواطر أو من ناحية المحاكاة والتقليد والنقل والاقتباس ؟ إننا نرجح أن يكون ذلك من قبيل توادر الخواطر ، فالشعوب بدافع الولاء والوفاء والشعور بالتقدير لمن يستحق التقدير والتكريم تحرص على ذكريات العظماء الذين أخلصوا فى خدمة أممهم وشعوبهم ونهضوا بها فى أى ناحية من نواحى حياتها . وتحتفل بها فى صور شتى تتطور مع التاريخ حتى يعفى عليها الزمن وينسيها اختلاف الليل والنهار ، كما تتخذ الشعوب من مظاهر الطبيعة البارة ببنى الإنسان مواسم تحرص على إحيائها والاحتفال بها وإظهار الابتهاج بقدومها ، ومن هنا احتفل الفرس وما زالوا يحتفلون بالنيروز ، واحتفل المصريون قديما وحديثا بفيضان النيل ، واحتفل غيرهم بعيد الحصاد وعيد الربيع وما إلى ذلك من أعياد لكل شعب ولكل أمة .

إن الاحتفال بالذكريات والمواسم أيا كانت صلتها بالدين شعور تفيض به عواطف الشعوب ، وإحساس ينبعث من أعماقها لا يمكن أن يغالب أو يحارب ، فليس هناك

شعب مهما بلغت درجة ثقافته أو مستواه الاجتماعى يخلو من أعياد يحتشد لها ويحتفى بها ، يستوى فى ذلك الشرق والغرب والإفرنج والعرب ، ومخطئ من يعذل الشرق على احتفاله بالموالد والمواسم ، وإن كان ذلك عيبا فلكل شعب نصيبه منه ! !

وكيف يكون الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء والزعماء ومظاهر الطبيعة والحوادث السياسية والاجتماعية البارزة فى تاريخ الشعوب عيبا تلام الشعوب على القيام به ؟ الا إنه الوفاء بالواجب وآية الحيوية وحسن التقدير فى حياة الشعوب والأفراد ، والتغاضى عنه جمود فى الإحساس ونضوب فى العواطف ومظهر من مظاهر الجحود تأبى الأمم الناهضة أن تتهم به وتؤاخذ بالتقصير فيه .

كيف يمكن أن تغضى الأمم المتمدينة عن الاحتفال بأنبيائها وعلمائها، وكل نبى أوعالم فى تقدير أمته إمامها إلى الهدى وقائدها إلى الفلاح والرشاد ، ومنقذها من خزى الدنيا وعذاب الآخرة [١] ؟ إن عاطفة الوفاء لهؤلاء قوية لا تقهر وغالبة لا تغلب ، وكيف يمكن لأمة حية تشعر بكيانها ووجودها وتحس بنعمة الحرية والتحرر والاستقلال أن تغضى عن الاحتفال باستقلالها وتحررها .

إن الاحتفال بذكريات العظماء والحوادث المشهورة فى تاريخ الأمم آية التقدير والوفاء كما أسلفنا ، وليس من الخير الدعوة إلى إهماله ، كما أنه ليس من اليسير إهماله لأنه شعور يكاد يكون من طبائع الشعوب الواعية الحية ، إلا أنه قد يكون من الخير ألا نسرف فى اختراع أعياد لمناسبات غير مهمة وليست ذات خطر حتى لا تفقد الاحتفالات قيمتها ، ولأن فى ذلك مشغلة ومتلفة ، فالأعياد مهما تخففت الشعوب من مظاهر الاحتفاء بها لابد لها من جهد ووقت ومال قد تكون فى حاجة اليه مهما كان قليلا .

وأرانى هنا فى حاجة إلى بيان موقف الدين من هذه الاحتفالات وأبادر فأقول : إن الدين لايمنع منها ومحاولة ربطها بالدين وتطبيق أحكامه عليها من حرمة أو كراهة من ناحية وصفها بالبدعة خطأ أو غفلة عن معنى البدعة المحدثة التى يقصدها حديث :

---

[١] للمجلة - ويترتب على هذا أن يحرص هداة الأمة فى كل عصر على أن يدعوا الأمة إلى إحياء ذكريات أنبيائها وعلمائها بإحياء سنتهم والعمل بهداياتهم ، وإماتة ما يخالفها ويناقضها .

« من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » لأن المحدث المقصود فى الحديث المحكوم برده المذموم على فعله هو المحدث فى الدين .

إن الصلة بينها وبين الدين قد تكون من ناحية ما عسى أن يدنس جلال تلك الموالد من منكرات تتخذ هذه الاحتفالات ستارا لها ، وليس من شك فى أن الدين لا يرضى عنها بل يطلب ويلح فى الطلب إزالتها بكل مايستطاع . فالحديث عن المنع وطلب المحاربة ينبغى أن يوجه إلى تلك المنكرات .

وهل يحرم الدين أو يكره أن تحتفل الجامعات والمدارس فى محاريبها العلميــة بذكرى المولد النبوى أو ذكرى شهداء بدر أو غيرهما من الذكريات الإسلامية ليكون ذلك دعوة للشباب إلى القدوة والمحاكاة ونشر المفاخر الإسلامية فى أشخاص أبطاله ومجاهديه ؟ لا . لا يحرم الدين ذلك ولا يتـــدخل فيه وفى أمثاله لذاته ، وإنما يتـدخل فيما يلابسه من آثام ومنكرات يستحدثها شياطين الإنس احتيالا على الرزق الخبيث والـكسب والحرام .

إن الاحتفال بالموالد وبعيد الهجرة ونحو ذلك تقاليد مستحسنة ابتدأها قدماؤنا وسرنا على نهجهم واحتفلنا بهـا كما احتفلوا ، ولم يدخلها تقادم الزمن فى نطاق العبادات ، وما زالت فى نطاق العادات يحتفل بهـا من يشاء ويهملها من يشاء .

إن الدين الإسلامى لايعرف إلا عيدين فقط يدعو إلى الاحتفال بهما والبذل والإنفاق فيهما ، كما يدعو إلى التواصل بالتهانى والتسامح والصفح فى رسوم بينتها كتب الشريعة ـ وهما عيد الفطر والأضحى ـ وستطالع كلمتنا هذه سادتنا القراء فى غرة رمضان وقد تلألأ هلاله فى الأفق يبشر بقدوم رمضان شهر القرآن والرضوان ، ورمضان ضيف تجمع الأمم الإسلامية على الاحتفال بقدومه وتكريمه شعوبا وحكومات ولكل منها تقليد فى ذلك ، وإنه لاحتفال محمود وتقليد كريم ومظهر من مظاهر الاستمساك بالدين وإحياء شعائره . أعاده الله على المسلمين قاطبة فى عزة وكرامة .

أبو الوفا المراغى

لغويات

قمر الدين

قمـر الدين معروف فى مصر ، ويتخذ منه شراب أو طبيخ ، وهو من المشمش ، وأكثر ما يستعمله الناس فى رمضان ، ويجلب إلى مصر من الشأم وبعض بلاد أخرى . ويعنينى هنا لفظه وأوليته .

وجاء فى صحيفة الأهرام الصادرة فى يوم ١٤ / ٥ / ١٩٥٤ مقال عنوانه : «المشمش» قال كاتبه ـ بعد أن ذكر موطن المشمش وشيئا عنه ـ : « ويعمل منه شراب ومربى . وأهل الشام يجيدون صنع قمر الدين . تجفف الثمـار ببذرتها أو بعد نزعها فى سوريا وتركيا واليونان وكليفورنيا . ويستعمل فى الخشاف ، والمشمشية . وهو يغسل ويصفى من نواه، ويفرش على ألواح دهنت بالشيرج ؛ ويوضع فى الشمس ويرقق ويبخر بغاز الكبريت ليجعل لونه فاتحا ، ويترك ثلاثة أيام . ويعرف بعد الجفاف بقمر الدين نسبة إلى مدينة شامية تجيد صنعه ، وهى أمر الدين ، والنوى يصدّر لأمريكا ليستخرج منه زيت اللوز الملين . ويدخـل فى صناعة الصـابون . واليابس منه أجود من الطرى . . . وعرف الأمريكيون قمر الدين أخيرا ، ويسمونه المشمش الجلدى » .

ويرى القـارئ لهذا الكلام أن قمر الدين سمى باسم بلدة فى الشأم هى أمر الدين . ولا أعرف شيئا عن هذه البلدة (١) ، وهل أمر الدين أصله قمر الدين فأبدلت القاف همزة، كما ينطق بهـا فى هـذا العصر أهل القاهرة ولبنـان ، فالميم مفتوحة ، أو الهمزة أصلية والميم ساكنة .

وعندى أن « قمر الدين » لهذا الطعام من المشمش استعار اسمه من ضرب من المشمش يسمى قمر الدين ، كان معروفا من قديم ذكره ابن بطوطة فى رحلته .

فقد جاء فى ص ١٥٢ من الجزء الأول من مهذب الرحلة فى الكلام على مدينة أصفهان

(١) المجلة — ولا أهل الشام يعرفون عنها شيئا ، وما ذكر فى مقال الأهرام من المجـازفات العلمية فى صحافتنا ، وكان الذى يظنه الناس فى توجيه اسم « قمـر الدين » أنه بمعنى شهر الله ، لأنه من خصوصيات شهر رمضان فى الشام وغيرها .

فى بلاد إيران : « وبها الفواكه الـكثيرة . ومنها المشمش الذى لا نظير له يسمونه بقمر الدين . وهم ييبسونه ويدّخرونه ، ونواه ينـكسر عن لوز حلو » . وفى ص ٢٢٥ من هذا الجـزء تحدّث عن أنطاليا من مدن آسية الصغرى أو بلاد الأناضول ، وقال : « وفيهـا البساتين الـكثيرة والفـواكه الطيبة ، والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين . وفى نواته لوز حلو . وهو ييبس ويحمل إلى ديار مصر . وهو بها مستظرف » .

الغيط ، عيشة ، الميدة

١ — اشتهر فى مصر الغيط للحقل أو المزرعة . ورأى بعض الباحثين أن الصواب فيه الغائط ، وهو فى الأصل المطمئن والمنخفض من الأرض ، وهـذا فى العادة مكان الزرع ، فأما المشرف والمرتفع فلا يزرع .

ويصحح استعمال الغيط أنه ورد فى معنى الغائط . وقد قرئ به فى قوله تعالى فى الآية ٤٣ من سورة النساء : « أو جاء أحد منكم من الغائط » قرأ ابن مسعود : أو جاء أحد منكم من الغيط . ويرى ابن جنى أن أصله الغيط بتشديد اليـاء وأصله غيوط ، وقد خفف ، كما قيل سيد فى سيد وهين فى هين . وهـذا لأن الغائط عنده من الواوى . ويرى غيره أنه ورد غاط يغوط غوطا وغاط يغيط غيطا ، فالغيط فى الأصل مصدر يائى العين أطلق على الوصف .

ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٣/٢٥٠ : « الغائط : ما انخفض من الأرض ، وجمعه غيطان . ويقال : غيط وغوط ، وزعم ابن جنى أن غيطا فيعل ، إذ أصله عنده غيط مثل هين وسيد إذا خففتهما . والصحيح أنه فعل ، كما أن غوطا فعل ، لأن العرب قالت : غاط يغوط ويغيط ، فأتت به مرة فى ذوات اليـاء ، ومرة فى ذوات الواو » . وفى البحر ٣/٢٥٨ : « وقرأ ابن مسعود : من الغيط . وخرج على وجهين : أحـدهما أنه مصدر ، إذ قالوا : غاط يغيط . والثانى أن أصله فيعل ثم حذف كميت » . وفى اللسان : « ابن جنى : ومن الشاذ قراءة من قرأ : أو جاء أحد منكم من الغيط . يجوز أن يكون أصله غيطا ، وأصله غيوط خفف . قال أبو الحسن : ويجوز أن تكون الياء واوا للمعاقبة » يريد أبو الحسن أنه يجوز أن تكون ياء الغيط أصلها واو ، وهـذا القلب لا يدعو إليه التصريف ، وإنمـا يأتى عن العرب فى كلمات ، ولا باعث على ذلك إلا المعاقبة بين الحرفين ، وذلك كما قالوا : المياثق فى المواثق . وقد عقد ابن سيده فى المخصص بابا لهذا فى ص ١٩ من الجزء الرابع عشر . وقد علمت أنه يستغنى عن هذا إذ ورد الغوط والغيط .

٢ — ويقول الناس عيشة فى عائشة علما . وهذا استعمال قديم ، ويدل عليه أن بعض اللغويين القدماء أنكروه . ففى اللسان (عيش) : « وعائشة مهموزة . ولا تقل : عيشة . قال ابن السكيت : تقول : هى عائشة ولا تقل : العيشة . وقال الليث : فلان العائشىّ ولا تقل : العيشىّ ، منسوب إلى بنى عائشة » . وجاء عيشة فى قول الشاعر :

انعم بعيشة عيشا غير ذى رنق   وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق(١)

٣ — ومن قبيل عيشة فى عائشة قولهم : ميدة فى مائدة ، وقد جاءت فى قول الراجز :

وميدة كثيرة الألوان   تصلح للجيران والإخوان

* * *

تطلب الأكثر فى الدنيا وقد نبلغ الحاجة فيها بالأقل

هذا البيت من قصيدة للبحترىّ . وحرف الروى فيها لام ساكنة ، وترى سكون اللام فى « الأقل » عارضا إذ أصله الأقلّ مشدّدا . وقد جرى البحث فى مثل هذا إذا أريد ضبط الأقل فكيف يكون ؟ أيضبط بالسكون أم يضبط بالتشديد . وكنت أرى بعض الكتاب يضبط مثل هذا بالسكون تحته شدّة ، هكذا : «بالأقلّ» . وقد وجدت كلاما فى هذا لأبى العلاء المعرّىّ إذ يعلق على هذا البيت بقوله : « (٢) كان على القوافى المشدّدة ؛ مثل (الأقلّ) و (الأشل) تشديد ، وذلك عندهم خطأ ؛ لأن التخفيف لازم . وكان بعض أهل العلم يعاب بأنه وجد بخطه قول لبيد :

يلمس الأحلاس فى منزله   بيديه كاليهودىّ المصل

مشدّد اللام فى « المصل » . وحكى أن عثمان بن جنى كان يرى فى مثل هذه الأشياء أن يكون التشديد من تحت الحرف ، والأجود أن يعلم الناظر أن التشديد لا يجوز فى مثل هذه المواضع » . فتراه لا يرى التشديد . على أن وضع الشدة مع السكون غير بعيد عن عمل ابن جنى ، فلا بأس باحتذائه .

الطرب والطربة

تعورف الطرب فى الفرح ، والطربة — وهى المرّة من الطرب — فى الذعر والجزع . والطرب فى اللغة العربية يأتى للفرح والذعر على السواء . ومما جاء فيه الطرب للجزع قول الشاعر :

(١) انظر نوادر المخطوطات للأستاذ عبد السلام هارون ١/٧٢ .

(٢) انظر عبث الوليد ١٨٠ .

يقلن لقــد بكيت فقلت كلا وهل يبكى من الطرب الجليد

وأكثر ما يصرّف النـاس الطربة فيقولون : انطوب علىّ من نبأ سيئ جاءه . ولا يكادون يصوغون من الطرب فعلا .

وقد تنبه لهـذا عالم من علماء القرن العـاشر[١] الهجرى هو محمد بن إبراهيم الحلبي فى كتابه : « بحر العوّام فيما أصاب فيه العوامّ » . وهو لا يجعل تصرّف العـامّة انحرافا عن الاستعمال العربىّ ذا بال ، ويهوّن من أمره ، إذ يجعله من باب الاستغناء عن الشيء ، وهو أمر أكثرت منه العرب ، يريد أن العامّة استغنت عن استعمال الطرب فى الجزع بنحو ذعر وفزع ، ولم تتعمد تخصيص الطرب بالفرح ونفى الجزع عنـه . وهو يقول : « ولا يضرّ النـاس الآن تركهم استعمال الطرب فى الأمر الآخر ، استغنى عنه بغـيره ممـا يرادفه ، كما أماتوا ماضى يدع ، استغنى عنه بترك فيمن قال : إنه قـد أميت » . وفاته أن يذكر أن الطربة لم تستعمل فى الفرح ، استغنى عنه بمـا يرادفه .

حمص الحب

يقول أهل الريف : حمص الذرة أى وضعه فى التنور المحمى لتزول منه الندوة فيسهل طحنه . ويرى أبو على القـالى أن أصله المحمس بالسين ، وتراه يقول فى النوادر ١٦٧ : « الأحمس : المتشدّد فى دينه . وسميت قريش الحمس من ذلك . ومنه سمىّ الحمس الذى تقول له العـامّة المحمص لأنه يقـلى قليا شـديدا » . وفى اللسان (حمص) : « قال الأزهرى : وقرأت فى كتب الأطباء : حب محمص ، يريد به المقلو . قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من الحمص ــ بالفتح ــ وهو الترجح . وقال الليث : الحمص : أن يترجح الغلام على الأرجوحة من غير أن يرجحه أحـد » . يريد أن الحبّ إذ يقلى يشبه الغـلام الذى يترجح على الأرجوحة فى تقلبه ، فأخذ الأطباء له الحمص من هذا وسموه محمصا .

وما تقدّم لك يقضى بأن المحمص للمقلو ليس أصيلا فى اللغة . وجاء فى القاموس : « حب محمص ــ كمعظم ــ : مقلو » . وفى التـاج بعـد أن نقل عبارة الأزهرى : « قلت : والذى يظهر أنه لغة فى السين » . فعلى هذا يكون التحميص أصيلا فى العربية .

محمد على النجار

---

[١] توفى سنة ٩٧١ كما فى شذرات الذهب .

استلف واستسلف وتسلف

صيغ عربية مختلفة المعنى لا تصوب واحدة لتستعمل مكان الأخرى

كذلك اشترك محمد مع محمود واشترك محمد ومحمود كل منهما له معنى خاص به

فى باب تصويب عبارة وتخطئة أخرى لابد من الرجوع إلى قواعد اللغة والنحو والصرف ، ولا يحكم بالخطأ على عبارة لعدم ورودها بالذات فى كتب اللغة المحدودة ، ولاسيما إذا كانت تدخل فى غالب الأقيسة وقواعد اللغة ، وكتب اللغة لم تلتزم أن تحيط بجميع مشتقات كل مادة من مواد اللغة العربية ، لأن للغة فى كتب الأدب ودواوين العرب متسعا لا تحيط به قواميس اللغة . وأذكر أن صاحب القاموس وقد سماه بالقاموس المحيط ، أول ما ألفه كان أضعاف هذا القاموس بعشر مرات ثم اختصره إلى هذا القدر ، فأين جمهرة اللغة التى حذفها من ذلك ، وها هو ذا شرحه قد أضفى عليه عشرة أمثاله ، وبعد ذلك كله كتب الكاتبون فيما فات القاموس المحيط وصرحوا أنه ليس بالمحيط ، وأن ما كتبوه مما فات المحيط ليس كل مافات المحيط ، وعندى مخطوط قديم اسمه : (ابتهاج النفوس فيما فات القاموس) لعله لم يظفر بالطبع ، وقال فى خطبته : ليس كل ما أذكره هو كل مافات القاموس .

هذه إحدى الفوائد التى أردت أن ألفت إليها النظر بنية حسنة .

ثانيتها : أن هذه الصيغ مختلفة المعنى بحسب أوضاعها وصيغها الصرفية فلا تصوب إحداها وتخطأ الأخرى ، لأن لكل صيغة معنى خاصا بها تستعمل فيه ، فان استعملت صيغة فى غير ما وضعت له كان ذلك تجوزا أو تحريفا ، ومن ذلك صيغ استلف واستسلف وتسلف ، ويضر اللغة أن لا توجد صيغة منها فى هذه المادة للزوم كل منها فى قصد المتكلم .

ثالثة الفوائد من كلمتى القصيرة : أن سرد الكتب اللغوية لصيغ مادة ليس معناه أن هذه الصيغ يستعمل بعضها مكان بعض ، إلا إذا تقاربت وصح بينها التجوز .

هذا ما قصدته بالتعقيب والتعليق ، وهو بسيط واضح مختصر لامرية فيه ، وخدمة اللغة فيه واضحة ، والنية فيه خالصة ، وليس كل مزيد مقصورا على السماع .

وقد تلقاه أحد الفاضلين المتعقب عليهما وهو الاستاذ الريدى التربوى بالقبول والشكر، وأرسل إلىّ على غير صلة من قبل بطاقة شكر لتحرير هذا الموضوع البسيط ، وقد أثلج صدرى بقبوله الحسن وتواضعه الكريم . أما الأستاذ النجار فقد ردّ علىّ بصحيفتين طويلتين ردّا خرج عن صريح ما أريده ، ونقل الكلام إلى بحث قياسية الثلاثى المزيد وعدمها فى زيادة الألف . ثم أخذ فيما عسى أن يكون جاء فى عباراتى العابرة من مطعن أو نقد حيث قلت مثلا : هاتان الصيغتان لم يردا ، وكان الواجب فى نظره أن أقول لم تردا ، ويضرب لذلك تعبيرا مفارقا يضرب به مثلا لكلامى بقوله : (جاءتنى كتاب والمراد رسالة) وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر باعتبار معناه باب واسع عربى صحيح لاريب فيه ، وكذلك القول فى الإفراد والجمع وإعادة الضمير فيهما باعتبار المعنى ، قال الله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » وبنو إسرائيل جمع مذكر أنث الفعل فى إسناده إليه لأنه بمعنى الجماعة أو القبيلة ، وقال تعالى « وإلى عاد أخاهم » ، « وإلى ثمود أخاهم » عاد الضمير جمعا والمرجع مفرد اللفظ، وهذا لايحصى فى القرآن الكريم واللغة . فالاعتراض بمثل هذا من مثل الأستاذ النجار مما يقابل بالتعجب فهل يريد الأستاذ إحجامى عن التعقيب عليه وحرمان القراء من فحص يأتى عن نظرين لا عن واحد ؟ . . . »

محمد عبد السلام القبانى

رجال التاريخ

* إذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
* لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا دارا صغيرة .
* للتاريخ حدود كمالك الأرض ، فلا يتسع إلا لعدد محدود .

مصطفى صادق الرافعى

حكمة مشروعية الرق فى الاسلام

بزغت شمس الإسلام والرق ينشر فى الدنيا ظلامه الدامس ويعقد فى أجوائها سحابه الداكن ، والناس يتعلقون بأهدابه ويحافظون على تشعب سبله والتفاوت التام بين السادة والعبيد فى شتى شئون الحياة - فلم يكن من الحكمة أن يفاجأ العالم بالقضاء على شىء أصبح الاستغناء عنه متعذرا مراعاة للمعروف المألوف وحرصا على التوازن الدولى ، وخوفا من إيجاد فئة متعطلة ربما انقلبت شرا وبيلا على المجتمع كما حدث ذلك فى أمريكا والسودان عند تحرير الأرقاء ، وطمعا فى استقلال الرقيق بعد تهذيبه وتشذيبه لإعلاء كلمة الله - لهذا أبقى الإسلام أصل الاسترقاق بعد ما أدخل عليه من الإصلاحات ما يكفل للأرقاء حقوقهم ، وللسادة مصالحهم ، وللمجتمع سعادته ورخاءه ، فأباح للامام أن يضرب الرق على بعض الأسرى فى الحروب الشرعية إذا رأى مصلحة المسلمين تقتضى ذلك كما حدث من النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الغزوات .

وقد بدا لبعض الناس أن فى هذا الاسترقاق استذلالا للانسان وإهدارا لكرامته « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » فاجراء الأحكام التكليفية على العبيد ووعد الممتثلين منهم بمزيد الثواب ، وتوعد المخالفين بشديد العقاب ، أعظم برهان على اعتبار إنسانيتهم وأدمغ دليل على عدم إهدار كرامتهم - أما تنصيف بعض الأحكام بالنسبة إليهم فذلك تخفيف من ربهم ورحمة بهم ومراعاة لصالحهم وصالح ساداتهم ، وليس فى التخفيف أدنى إهدار للآدمية وإبعاد عن الإنسانية ، وإلا كان التخفيف عن المريض والمسافر إهدارا لآدميتهما وإبعادا لهما عن إنسانيتهما .

فالإسلام لم يقصد من استرقاق الأرقاء وإباحة تملكهم إلا وضع يده عليهم لئلا يبرحوا دار الإسلام التى تعتبر بمثابة مدرسة كبرى لنشر تعاليم الدين الحنيف . يتلقون فيها مبادئ الفضيلة ويتعرفون منها الروح الإسلامية الصحيحة . فلا هدف له وراء تملك هذه الرقاب إلا تعليمها وإرشادها ، وغرس الإيمان فى قلوبها بسبب مخالطة المسلمين وحسن معاملتهم ، والتمهيد لحياة ثقافية يقوم فيها الأحرار والعبيد على قدم المساواة - وإنك لتلمس عناية الإسلام بالرقيق وتوجيه السادة إلى إرشادهم وتعليمهم والتلطف فى معاملتهم واضحا جليا فى القرآن الكريم وأحاديث رسولنا المصطفى الأمين وأفعال صحابته الأطهار المكرمين .

(أ) أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فها أنت ذا ترى أن القرآن يقرر فى هذه الآية قاعدة المساواة بين جميع الأجناس البشرية لا فرق بين الحر والعبد .

وقال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

إذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة التى نظم الله تعالى الأرقاء فى سلكها بقوله « وما ملكت أيمانكم » أدركنا بوضوح مقدار عناية الشارع بهم ، إذ نظمهم فى سلك الأهل والأصحاب دليل على اعتبارهم ، بل إن ذكرهم مع الوالدين أعظم دليل على العناية بهم والإحسان إليهم ، وذلك عكس ما كان يفعل بهم قبل الإسلام من تعذيبهم والتنكيل بهم . فقد كان اليونانيون يمرنون شبابهم على الفتك بالأعداء فى أشخاص العبيد غير مبالين بدمائهم التى كانت تسيل أنهارا ، وكان الجاهليون يقومون بعملية إخصائهم وإكراه الإماء على البغاء وغير ذلك من أساليب الوحشية .

وتتجلى رعاية الله بالأرقاء فى تذييل الآية بقوله « إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » إثر قوله « وما ملكت أيمانكم » مما يدل على أنه ينبغى للسادة أن يكونوا على جانب كبير من لين الجانب والبعد عن الخيلاء مع مماليكهم .

(ب) وأما السنة فقد روى البخارى ومسلم عن ابن سويد قال رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسأله عن ذلك فذكر أنه سابّ رجلا على عهد رسول الله فعيره بأمه فقال صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم .

وروى أحمد والنسائى عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وأخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران .

فالحديث الأول يقرر أخوة الأرقاء لمواليهم ويحث على تسويتهم بهم فى طعامهم

ولباسهم والرفق معهم فيما يكلفون به من الأعمــال ، والثانى ينطق بمبدأ المساواة بين الأحرار والعبيد فى أمرين خطيرين أحدهما الدماء والآخر الأمان ، فلو قتل حر عبدا قتل به ولو أمن عبد محــاربا اعتبر أمانه ، ولزم جميع المسلمين ، والثالث يحض السادة على تعليم الأرقاء وتأديبهم ثم إعتاقهم ليظفروا بالأجر مضاعفا .

وإنا نقتصر على ما ذكرنا من الأحاديث الشريفــة خوف الإطالة ، ففى السنة معين يفيض توصية بالأرقاء فى كل ما يرفه عنهم ويحفظ حقوقهم ويفتح باب التحرر أمامهم .

(حـ) على أنك لو رجعت إلى العصر الذى عاش فيه أصحــاب الرسول صلى الله عليه وسلم دهشت من حسن معاملة الصحابة للعبيد ، فانظر إلى عمر رضى الله عنه وقد أركب غلامه وسار وراءه وهما ذاهبان إلى بيت المقــدس . وانظر إلى على كرم الله وجهه وقد اشترى ثوبين أحدهما أغلى من الآخر تره يعطى لعبده الأغلى فيقول له العبد : أنت أحق به فيقول له على : أنت أحق ، فأنت شاب وأنا هرم . وهذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان إذا مشى بين عبيده لا يميزه أحد من بينهم لأنه لا يتقــدم عليهم ولا يلبس إلا من لباسهم .

وأنت خبير بأن الرقيق إذا رأى هذه المعاملة الــكريمة وشاهد ما يسير عليه المسلمون فى حياتهم وتفهم ذلك تفهما صحيحا بسبب الخلطة والمعاشرة أشرب قلبه حب الإسلام وانخرط فى سلــكه حتى إذا تخلص من الرق ـ وذلك أمر تشوف إليه الشارع فى مواضع متعددة ـ نصب نفسه داعية إلى الإسلام يهدى قومه إليه بتعليمهم روحه الصحيحة إذا رجع إليهم ، ومن لم يرجع كان داعية فى الدائرة التى يعيش فيها .

ومن هنا نعلم أن سبب إبقــاء الرق ليس الاستذلال ، وإنمــا هو التعليم والإرشــاد لتــكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، إذ لو كان الإذلال مقصودا لــكان المشركون العرب والمرتدون أولى بالاسترقاق ، لــكن ليس لهم إلا الإسلام أو السيف . الأمر الذى يدل على أن الغرض الذى يرمى إليه الشارع من الرق لم يكن يتوفر فى المشركين العرب والمرتدين ، فان الأولين نزل القرآن بلغتهم ، ومع ذلك تعاموا عنه عنادا وكبرا ، والآخرين رجعوا إلى الــكفر بعــد أن ذاقوا حلاوة الإيمــان . فتعليم الفريقين غير مجد فاسترقاقهم لا يأتى بالغرض المقصود وهو تعليم الأرقاء وإرشادهم ليسلموا ويسلم غيرهم بواسطتهم ، وبذلك ينتشر الإسلام وتنتشر مبادئه .

محمد زكريا البرديسى
المدرس بكلية الشريعة

تربية روح المقاومة فى الأمة

حقيقـة الأمة :

لا تقاس حقيقة أمة ما ولا قوتها بكثرة عددها وقوة حديدها وعظم إمكانياتها ، وإن يكن لهـذه الأمور وزن وتقدير وحساب . وإنما تقاس حقيقة الأمة وقوتها بقوة السر الكامن فى أفرادها الذى ينشئ لها ذاتيتها المتميزة وشخصيتها القوية وقدرتها على المقاومة ، ويشبه أن يكون ذلك كائنا حيا يتمثل فى قوة العقيدة والعاطفة وكمال الوسيلة والغـاية ، واستواء الإرادة الحرة والعزم الصليب .

هذه هى المقومات الحقيقية الأولى فى قوة الأمم ، يجىء بعدها فى الدرجة الثانية وزن المادة ، فان مائة ألف سيف فى يد جبان لا تغنى عنه شيئا لأن الرجل قبل كما قيل .

خـير أمة :

والأمة الإسلامية بحكم أنها حملت أشرف الرسالات وأشق الغايات ، وأن عليها أن تقيم فى أرض الله موازين القسط وأن تخرج النـاس من الظلمـات إلى النور ، كان لا بد من أن تمـد لذلك إعدادا ، وأن تجهز نفسيا أولا لغلاب قوى البـاطل والشر فى ذات نفسها وعدوها .

إعـدادها :

من أجل ذلك تكفل الله العلى الحكيم باعدادها وإمدادها بالوسائل والأسباب التى تستعين بها فى تحصين نفسها ومقاومة عدوها واتقاء أسباب الضعف والهزيمة أن تلم بها .

ويعنينا الآن أن نتحدث عن واحد منها شرعه الله عز وجل لهـا ليعدها للاضطلاع بما حملت بما ينشئ لها من روح المقاومة وجلادة الحر وهو الصوم ، فنحن أحوج من عقل سره ، وأفاد منه فى هذه الأيام .

الصوم وسيلة لتربية روح المقاومة :

إن أولى المعارك التى يخوضها الإنسان وأخطرها ، والميدان الأول له ، نفسه التى بين جنبيه ، فان هو انتصر عليها كان على غـيرها أقدر ، وإن عجز أو انهزم فهيهات أن يقوم لعدوه أو أن تقوم له قائمة . وصدق الله العظيم « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

فلذلك أمدت العناية الإلهية المسلم بفريضة الصوم ليكون قوة ووسيلة تروضه وتزكيه وتجعله سيد نفسه ومالك أمره ، لا يقوده هواه ، ولا يحكمه بطنه ، بل تخضع وتطوع له هذا البطن وشهواته وتجعله مصرفا بأمره يجوع ويشبع برغمه ، ويعطش ويروى برغمه .

بذلك يصبح فى قدرة المسلم أن يقول .. لا ، إذا وجبت ، وأن يقول نعم ، إذا وجبت ، لا يلتوى به هوى ولا تستذله شهوة ولا يسقط به حرص أو طمع .

تربية من الله عز وجل للمسلم على أن يكون حرا من سلطان البطن الذى طالما أذل النفوس وأحنى رءوسا ، طليقا من قيود الباطل واتباع الهوى ، لا يتقيد إلا بالله والحق ، منيع الجانب مناعة اكتسبها من طول مراغمته لبطنه ومجاهدته لهواه .

مدة حضانة :

وشهر رمضان بذلك مدة حضانة للنفس المسلمة ينشئ فيها الكائن الحى الذى عجزت عنه مناهج التربية ومحاولات البشر ، حتى أنشأه الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

فكما يحتضن الطائر بجناحيه الكائن الهامد الذى لا تحسه الحياة ، ويضمه إليه مدته المقسومة ، فاذا هو بعد ، يكسر الأغلال وينقف الجدار ، وينضو عنه قيود الحبس ، وينطلق حرا يملأ الحياة .

كذلك يحتضن رمضان بليله القائم ونهاره الصائم ، ضمير المسلم وجلده ، وإرادته وعزمه ، وروحه وجسمه ، فلا تنتهى أيامه المعدودات إلا بحياة الحى فى ضمير المسلم ، وانطلاقه من قيود البطن وأغلال الشهوة ، بعد أن يحطم أسوارها ويخرج من سلطانها . لا .. بل يجعلها مسخرة بأمره .. فلا يحاول بطن أن يكون فى حجم مملكة أو مدينة أو قرية ، وبذلك ينحسم الباطل والشر وتحل المشكلة ما دامت الحياة لا تجد كل ساعة من يعقدها .

فوق الحياة والأزمات :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أصبح فلا يجد ما يطعمه فى أى من أبياته ، فيقول « إذن فانى صائم » .

أهو تحد للفقر فى بيته ؟

أم هو إعلان الرضا من نفسه ؟

أم مبادرة الضيق ومصادرة الحرج أن ينفذ إلى قلبه ؟

أم هو إخضاع الحياة للعقيدة ، تجعلها فوق الحاجة والضرورة .. ؟ أم ميراث لنا منه صلى الله عليه وسلم نجد فيه الأسوة الحسنة ؟ .

وحدث البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت « إن كان يمضى الهلال والهلالان والأهلة الثلاثة ، شهران لا يوقد فى بيت من أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، وانها لتسعة أبيات » . قيل يا أم المؤمنين ، فما كان طعامكن ؟ قالت الأسودين : التمر والماء .

هذه البيوت التى خلت من كسرة الخبز يوما تحدت قصور المشرقين ومصانع الجبارين ونازلت طواغيت المشرق والمغرب فصرعتها ودكتها بفضل هذه المناعة والصلابة التى جعلتها فوق الضرورة والحاجة ، وسائر ما يخضع الناس .

وروى المؤرخون أن الناس شكوا إلى إبراهيم بن أدهم غلاء اللحم فى السوق ، فقال لهم : أرخصوه بالترك ، ففعلوا ، فنزل السعر . فقال لهم : ما يعرض لكم شىء من هذا الداء فداووه بمثل هذا الدواء .

وهو رحمه الله يخاطب أمة جلدت واكتسبت مناعة وقدرة من طول ما صامت وكابدت أنواعا من الحرمان .

فمن لنا بأن تدرك هذه الأمة التى قد يطيش صوابها لو ارتفعت أسعار قمر الدين والياميش أو شاع أن البترول أو السكر أو ما إلى ذلك قل أو اختفى ، فمن لنا بأن تدرك أن المقصود من فريضة الصوم أن تتزود بالطاقة التى تواجه بها كل شدة ، وأن يوجد البيت المسلم الصلب الذى يكون أبدا مستعدا لمواجهة كافة الظروف والاحتمالات بحيث يكون أبدا فوقها لا يخضع ولا يتخشع لها .

تدريبات على قلب العادات وتجديد الأيام :

فالصوم لا يعلن الثورة على البطن فحسب وإنما يعلنها على مألوف الناس وعاداتهم حتى لا يعيش البيت المسلم أسير عادات وأوضاع وكيف خاص بحيث تطبعه الحياة والأيام ، لا . لا . . . ! وإنما هو يعد المسلم بحيث يصنع الأيام ويحكمها . فهو يعلن الانقلاب التام فى حياة المسلم الرتيبة وعاداته المألوفة فمن كان يفطر فى الصباح ففطوره بعد الغروب .

ومن كان يتغدى ظهرا فلا غداء له .

ومن كان يتعشى عند العشاء جعل ذلك سحورا له عند السحر .

ومن كان لا يستيقظ قبل الفجر فعزمة من الله عليه أن يقوم ليتسحر فأن فى السحور بركة .

ومن كان يطعم ثلاث وجبات فهما اثنتان .

ومن كان يمارس ما اشتهى من طعام وشراب وحلال فقد حرم عليه ذلك من الفجر إلى الغروب .

إنه انقلاب فى مألوف كل مسلم ومسلمة مقصود لله قصدا ليتم به إعداد البيت القوى الصلب الذى يحمل أعباء الرسالة وتكاليف الحق ، ويكون مستعدا فى أى لحظة للتنازل عن حياته الرتيبة وعاداته المألوفة دون أن يجد لذلك حرجا أو مشقة لو اقتضى كفاحه للباطل وجهاده للشر أن يعيش فى الخنادق أو يصيب ما دون الكفاف .

هو إعداد من الله للمسلم أن يكون أبدا حرا قويا لا تأسره عادة ولا يستبد به إلف أو كيف أو ترف .

ولن يقبل الله من المسلم أن يكون عاجزا ، يقول عن شيء من عاداته أو كيوفه : لا أستطيع تركها أو لا أقدر على التخلص منها . فان الله يربيه على ترك ما هو أكبر من ذلك فى الصوم على ترك الطعام والشراب جملة وإلى حين ، وإنما إيقاع هذا التغيير ثلاثين يوما لتستجمع الطاقة وتترسخ الملكة وتتربى القدرة فى نفس كل مسلم ومسلمة ، لينشأ المؤمن القوى لا الضعيف ، الحاكم لا المحكوم ، السيد لا المستعبد ولو لكيفه هو وشهواته .

ولذلك لما نزل تحريم الخمر ونزلت الآية إلى « فهل أنتم منتهون » قال الشاربون : انتهينا يا رب . ويذكر الرواة أنه لم يبق يومئذ بالمدينة دن ولازق ولا قدح فى بيت إلا أهريق وألق به خارجها . وانتهت الخمر من حياة المسلمين فى لحظة ، وكانت من قبل دما يجرى فى عروقهم ، ويخالط مخ عظامهم وشغاف قلوبهم ، دون أن تحتشد لذلك الدولة بمالها وجندها وعسسها وقوانينها ومحاكمها ، والفضل فى ذلك للتربية والرياضة التى بنت رجالا غلبا وعزائم صلبا فى مدرسة تفتح لهم كل عام شهرا مفروضا يمنح فيه كل مسلم ومسلمة جنة تقيه ضعف نفسه وبأس عدوه ، ولذلك قال الله عز وجل : « لعلكم تتقون » .

عبد المعز عبد الستار

تعليقات

يقظة دينية محمودة

إلى عهد قريب كانت لهجات المجددين آخذة فى الجهر بالإباحية ، وكان المتأثرون بهذه النزعة يعتزون بها كلون من ألوان الثقافة الجديدة الواسعة ، وكتقليد لأوساط يعتبرونها أوساطا راجحة فى عقليتها ومظاهر حضارتها ، ثم هم يراءون الناس بأنهم دعاة نهضة ، أو أصحاب غيرة على مجتمعنا الإسلامى أن يظل معزولا عن موارد الحياة النابهة .

وقد أحس هؤلاء بانصياع أناس لهذا الاستدراج الفاتن ، فأغراهم إحساسهم بإفساح الخطى فى مزالق التضليل ، وزعموا أن رغبتهم آتية فى تحويل المجتمع الإسلامى عن وجهته الأولى .

فبعد أن كانت نغمتهم لا تعدو كلمات تقال فى مجالس خاصة ، أو مجتمعات مشوبة ، أصبحت لهم صحف ومجلات فيها خداع للأغرار وللغواة من ناشئة البيوت الهينة .

ولم تكن هذه الدعوات الآفكة لتعيش طويلا فى بيئة شرقية إسلامية تأصل فيها التدين والاحتشام لولا أنها تلقفتها جهات معادية لنا كأمة ذات دين ، وأدب ، وتاريخ ، وتود القضاء على قوميتنا وشخصيتنا وسلخنا من طابعنا الإسلامى والشرقى عامة .

تلك الجهات المعادية كانت فيما مضى تجود لنا حملات تبشيرية تحاول معارضتنا فى معتقداتنا ، أو ترويج معتقدها فى أوساطنا ، دون أن تنال منا قليلا ، بعد ما تكبدته كثيرا من جهود ، وما تكلفته من أموال .

تلك الجهات المعادية لمست فى المجددين من كتابنا ليونة ، ومطاوعة بقدر ما يفيدون من أموالها ، فوفرت على نفسها كل محاولة مجهدة ، وبسطوا أيديهم بالعطايا المالية فى كثير من السخاء .

وهذه معاوضة وتجارة معيبة ينكرها كل ذى شمم وطنى ، وكل ذى إباء دينى ، وخاصة إذا كان أحد طرفيها من كتاب أكثرهم ريفى النشأة ، وأكثرهم من أبوين مسلمين ، ولم تخالطهم فى نشأتهم ميوعة ولا انحراف ، اللهم إلا جشع يغلب النفوس الخائرة ، ويدفع بها إلى المغامرات .

وإن كثيرين من شرفاء الأنفس أهابوا غير مرة بأصحاب النفوذ قديما وحديثا أن يكفوا أولئك الكتاب المغالطين باسم حرية الرأى ، وحرية الكتابة ، وحرية ، وحرية الخ ...

ولكن الرجاء مع وجوب المبادرة إلى تحقيقه لايزال فى مدارج الأمل ، وربما زالت معوقاته فى ساعة قريبة .

وليس معنى الاعتراض على هذه الدعايات المشئومة ، ولا معنى الأسف لإمهالها حتى اليوم ، أنها ظلت فى فشوها كما كانت من قبل . . بل نلحظ أنها تعثرت أخيرا فى معوقات شديدة . . . منها أن الوعى الوطنى استشاط فى يقظة واعية إلى مايجب الأخذ به من حيطة فى وجه الدعاة المخادعين الذين يمهدون للسياسات الدخيلة الماكرة : تلك السياسات التى تجد أيسر السبل فى نفوذها أن تفت فى الدين ، والخلق ، وتطفئ جذوة الغيرة على المقومات الأدبية ، وتهدم الكيان الشخصى . . . ومنها أن الحكم اليوم فى أيدى أناس ليس فى نفوسهم غواية ، وليس فى طباعهم هوادة ولاميوعة ، فهم قدوة غير قدوة الأمس . وهم رجال ، ولا يعرفون سوى الرجولة ، وهم الذين انتزعوا الشباب من مخالب الرذيلة ، ونفثوا فيهم النخوة الوطنية ، إذ علموهم أن الوطن ينشد فيهم حماسة وحراسة ، واستنهضوهم إلى لقاء العدو فى بأس شديد ، حتى أخلفوا ظن العدو بنا ، وعلموه أننا جميعا مجدون للوطن ، ولا يشغلنا شىء سوى مجد الوطن ، والحفاظ على بيضته .

وإنا لنلحظ أخيرا أن وجهة الشباب منذ الثورة أخذت تتحول فى سرعة عن دعاة المجون ، وأرباب الغوايات ، وعن المجددين المخادعين .

وقد لمسنا فى مناسبات عدة غيرة كمينة فى طوايا الشباب أكثر مما كنا نفرض ، ورأينا الناس بطبيعتهم البريئة ، وفطرتهم الجدية ، يغارون على مقوماتهم الأدبية أكثر وأكثر مما كان مفروضا أن يوجد فى أناس وصلوا بثقافتهم ـ كما يتحدثون ـ إلى مقام الجهر بالرأى ، ولكنه مع الأسف جهر بالرأى الفاسد المرذول الذى يجتاح كل معنى من معانى الكرامة . . ونحن نؤمن ونؤمن بأن كل نغمة شاذة ، وكل نزعة منحرفة ، إنما هى إلى بوار ، لأنها ناضحة من مهابط الرذيلة والباطل ، وإن خالها الأغرار أمرا يرغب فيه .

ونؤمن ونؤمن بأن كل مقاومة للفساد إنما هى صولة للحق مهما صادفت عنتا .

وطبيعة الحق غلابة ، وهازمة للباطل ، وإن أقاموا له عمدا ، وشدوا له أركانا .

ثم : أليس يقول الله الحق تعالى : « إن الباطل كان زهوقا » ؟ ؟ . فمن أصدق من الله قيلا ؟ ؟ ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

تبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية الكتاب الآتى منطوياً على الكشف الذى يليه خاصا بتبرعات الأزهر لمدينة بورسعيد

السيد رئيس جمهورية مصر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فقد سبق أن تقدم الأزهر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بالشيك رقم ٢٦٠٧٢٩ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها كدفعة أولى إسهاما منه فى مساعده قوات الدفاع وإعانة المنكوبين فى بور سعيد .

وفى ٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ تقدم بالشيك رقم ٦٨٤٣٢ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف من الجنيهات كدفعة ثانية للغرض نفسه .

واليوم يتقدم الأزهر إسهاما فى هذا الواجب بالشيك رقم ٦٩٦٦١ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف وثلثمائة وسبعة وثلاثين جنيها وثمانمائة واثنين وتسعين مليما كدفعة ثالثة .

والله نسأل أن يحفظ للوطن عزته وكرامته ، ويحميه من اعتداء المعتدين ، وأن يمدكم بالنصر والتوفيق لما فيه خير مصر والعروبة والاسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته م

البيان

مليم	جنيه	
٢٥١	٤٧٥٣	من الماهيات والأجور والمعاشات والإعانات بواقع ٢ ٪ من ماهيات نوفمبر وديسمبر ١٩٥٦ ويناير ١٩٥٧ .
—	١٦٧٠	من استحقاق السادة المدرسين من نصيبهم فى وقفى محمد توفيق باشا وعثمان ماهر باشا .
—	٢٠٠٠	من جماعة كبار العلماء

مليم	جنيه	
١٨٥	٢٢	من الوعاظ (دروس السيدات)
٧٠٠	٣٠٩٥	« بعثة الأزهر بالكويت
٧٩٦	١٩٢٣	« « « بالحجاز
٨٠٠	٢٦٧٣	« « « بالرياض
—	٤٤٠	« « « بالصومال
—	١٣٠	« « « بالسودان
—	١٥	« « « بجلفا
٦٨١	٧٦	« « « بسوريا
٩٦٦	٢٠٣	« « « بلبنان
٥٦٠	٤٩	« « « بليبيا
—	٨٠	« « « بأريتريا
—	١١٠	المركز الإسلامى بواشنجتون
٦٥٣	٣٦٠	قيمة الـ ٢ ٪ من ماهيات المبعوثين عن نوفمبر وديسمبر ٥٦ ويناير ٥٧
٥٩٢	١٧٦٠٣	الجملة

السداد

مليم	جنيه	
—	٥١٧٠	دفعة أولى بشيك للسيد رئيس الجمهورية شيك رقم ٨٦٠٧٢٩ فى ١٩٥٦/١١/١٢
—	٥٠٠٠	دفعة ثانية شيك رقم ٦٨٤٣٢ فى ١٩٥٦/١٢/٣
٨٩٢	٤٣٣٧	دفعة ثالثة شيك رقم ٦٩٦٦١ فى ١٩٥٧/٢/٢٨
٧٠٠	٣٠٩٥	تبرعات مبعوثى الكويت أرسلت رأسا إلى السيد الرئيس عن طريق وزارة معارف الكويت .
٥٩٢	١٧٦٠٣	



الابداع ، فى مضار الابتداع

لداعية الهدى الشيخ على محفوظ ـ الطبعة الخامسة ٤٥٨ ص ـ
دار الكتاب العربى

الزيادة فى الدين كالنقص منه ، كلاهما مدرجة لتغييره وإفساده . والدين المحمدى هو الذى كان عليه الصحابة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى كان عليه التابعون الذين أدركوا الصحابة واهتدوا بهداهم . فكل ما لم يكن معروفا أنه من الدين فى زمن الصحابة والتابعين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . وقد كان للاسلام العزة وللمسلمين السعادة والكرامة يوم كان المسلمون على بساطة الإسلام وطهارته كما كانوا فى الصدر الأول ، ثم ما زال الأمر ينتكس بالتدريج بطروء البدع على الإسلام حتى صرنا إلى ما نرى .

السنة هى طريق المسلمين إلى الإسلام ، والبدعة ما خالف سنة الإسلام ، والعالم الشجاع هو الذى يدعو المسلمين للرجوع إلى سنة الإسلام ، وكان داعية الهدى الشيخ على محفوظ (عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله) فى طليعة علمائنا الشجعان الذين رفعوا الصوت عاليا فى عشرات السنين لانتشال المسلمين من قاذورات البدع ، بخطبه ومحاضراته ومقالاته ومؤلفاته . وكتابه (الإبداع ، فى مضار الابتداع) كنز من كنوز الخير ، بل قلعة من قلاع الحق ، ولا خير فينا إذا لم يواصل علماؤنا هذه الدعوة ، وإذا لم يثابر خيارنا على الاستجابة لها ، حتى تضمحل البدع كلها من دنيا المسلمين وتزول إلى غير رجعة ، فينشأ من المسلمين جيل قوى بقوة الإسلام ، قانع بفطرة الإسلام ، عامل على إقامة مجتمع إسلامى كالمجتمع الذى كونه حامل آخر رسالات الله محمد صلى الله عليه وسلم . فالى فطرة الإسلام أيها المسلمون ، وهذا الكتاب دليل لقافلة الخير إلى المجتمع الإسلامى المنشود .

رسالة رمضان

للاستاذ محمد عبد الله السمان — ٦٢ ص — مكتبة العلم بالقاهرة

هذه الرسالة دراسة تحليلية لرسالة رمضان : الروحيـة .. والإنسانية .. والخلقية . وبحث ممتع شبق فى ذكريات الشهر الجليل القدر ، وقد روعى فيها سهولة الأسلوب ، وتركيز المعانى ودقة البحث . وقد أهداها إلى رواد شهر مضان الذين يتعشقون قربه ، ويرحبون بمقدمه . وما ألطفها من هدية .

مجلة معهد الاسكندرية الدينى

السنة الثانية (شعبان ١٣٧٦) — ٢٤٠ ص — مطبعة الأزهر

نوهنا فى ص٥٦٥ من السنة الماضية لهذه المجلة بالجزء الأول من مجلة معهد الاسكندرية الدينى ، وقلنا إنه جزء يغنى باتقانه وغزارة مادته وسمو أهدافه عما لو كانت المجلة شهرية .

وجزء هذه السنة من مجلة معهد الاسكندرية الدينى أغزر مادة من أخيه فى السنة المـاضية ، وقد افتتحه فضيلة شيخ المعهد الأستـاذ الشيخ محمد الصادق عرجون بمقـال نفيس تحدث فيه عن سيف الإسـلام إذا كان فى قبضة قوية من أهـله الصادقين وكيف يفتح طريق الحق والخير للانسانية ، وإذا كان فى الأيدى الهزيلة كيف تتداعى الأمم على أهله كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ؛ وهو يقول : لم يكن عجزنا عن اللحاق بأسلافنا الأمجاد فى التجديد والبناء لأننا أنقص منهم فى مقومات البشرية الواعية المفـكرة ، وإنمـا مرد عجزنا إلى فقدان الروح الإسـلامى المجدد الوثاب بمـا خـدعنا به الاستعمار الفـكرى والروحى ـ وهو أشد وأنكى من الاستعمار السياسى ـ من نغمة التسامح الدينى فى تزويرات خبيثة بها انخدع المستضعفون ، فألقت بنا إلى هوة الكسل البليد والجمود الميت . ثم تكلم عن الثورة المصرية وأثرها فى البعث التحريرى للعرب ، وعن الاستعباد الفـكرى وأنه أسوأ أثرا من الاستعباد السياسى ، وتخلص من ذلك إلى واجب العلماء والمصلحين .

وإذا كانت هذه المعانى هى فاتحة المجلة ، وهى كالعنوان لها ، فالـكتاب كله يعرف من هـذا العنوان . والمجـلة مقسمة إلى أبواب : باب الدين والاجتماع ، باب الأدب واللغة ، باب العلوم ، الفتاوى ، النشاط الثقافى ، النشاط الرياضى .

فشكرا لمعهد الإسكندرية الدينى ولفضيلة شيخه ورجاله على هذه التحفة ، والمأمول من طلبة المعهد أن يتخـذوا من قلوبهم وأرواحهم حقلا لزراعة هـذه المبادئ الإسلامية وتموين العالم الإسلامى بثمراتها .

الأدب والعلوم

الاتحاد الثقافى العربى

تم فى دمشق توقيع الاتحاد الثقافى العربى بين مصر وسوريا والأردن ، وهو يتضمن ١٥ مادة و ٧ ملاحق ويستهدف بناء جيل عربى يؤمن بوطنه ، ويثق بنفسه وبأمته ، ويملك أداة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الإيجابى ، ويرمى إلى التعاون بين الدول الثلاث فى ميادين العلم والتربية والثقافة ، وتبادل المعلومات والأساتذة والمؤسسات الفنية والخبراء .

والدول المتعاقدة ترمى إلى أن يكون هذا الاتفاق سبيلا للوحدة الثقافية العربية الشاملة ولهذا فهى ترحب بانضمام الدول العربية الشقيقة ، وذلك بمجرد إبلاغ الحكومة المختصة رغبتها فى الانضمام ، على أن تبلغ رغبتها هذه إلى سوريا التى نص على أن تكون (دولة إيداع) لهذه الاتفاقية . وأن تعمل الدول المتعاقدة على توحيد التشريعات والأنظمة الخاصة بالتربية والتعليم والثقافة ، على أن يتم التنفيذ الكامل لذلك فى فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات .

وأقرت الاتفاقية ما قرره مؤتمر توحيد المناهج والمراحل التعليمية ــ ونشرناه فى باب الأدب والعلوم من الجزء الماضى ــ وهو أن تكون مراحل التعليم ثلاثا ، الأولى الابتدائية ومدتها ست سنوات ، والثانية الإعدادية والثالثة الثانوية ومدة كل منهما ثلاث سنوات . وستضع وزارات التربية فى الدول الثلاث العناصر الأساسية للمناهج الدراسية الموحدة قبل بدء العام الدراسى لسنة ١٩٥٨

مكافآت للمتفوقين الأزهريين

قررت إدارة الأزهر توزيع ١٥٠٠ جنيه على المتفوقين من الطلبة الأزهريين فى امتحانات الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية ، هذا عدا مكافآت المسابقات الصيفية وأموال الأوقاف الموجودة لمثل هذا الغرض .

الفرنسية والألمانية

لمناسبة المعرض الصناعى الذى أقامته ألمانيا الغربية فى مصر ، كتب رئيس تحرير الأهرام فى باب (ما قل ودل) ينصح لآباء الطلبة المصريين بأن يوجهوا أبناءهم لتعلم الألمانية بدلا من الفرنسية ــ ومعلوم أن هذا الكاتب كان إلى زمن قريب من دعاة الأدب الفرنسى والثقافة الفرنسية ــ فأعلن الآن : أن الألمانية لغة الصناعة والتجارة والابتكار والإبداع ، فهى لغة الغد ، وليست لغة الأدب الفرنسى الإباحى الذى يمثل الآن أقذر ما فى آداب العالم جميعا .

هـذا ما جاء فى (ماقل ودل) ، ولو أن هـذه الحقيقة أدركها فى سنة ١٩١٩ الشيخ الذى نهل من الأدب الفرنسى فى باريس ثم جاء فتتلمذ عليه مباشرة أو بالواسطة جميع الذين يصدر عنهم وعن المتأثرين بهم ما أصيب به جونا الثقافى من بلبلة واضطراب فكرى لكانت مصر اليوم سائرة إلى المعالى فى غير الطريق الذى أفاد منه الاستعمار ودفعنا إليه

المدارس الكاثوليكية بالسودان

أعلن المؤتمـر الوطنى الكاثوليكى فى الولايات المتحـدة أن حكومة السـودان قررت (تأميم) المدارس التابعة لإرساليات التبشير الكاثوليكية ابتداء من أول أبريل (أول رمضان) .

وقدر المؤتمر أملاك الكنيسة الكاثوليكية فى السودان بنحو ثلاثة ملايين دولار .

العرب عرفوا طريقهم

قالت صحيفـة (بافالو ايفـنن نيوز) الأمريكية : « إن الشرق الأوسط لا يقف الآن على مفترق الطرق فى جغرافية العالم وحسب ، بل هو يقف كذلك على مفترق الطرق فى تاريخ العالم . إن العرب فى الوقت الحاضر يرون الطريق أمامهم بوضوح ، وهم يعرفون ما ذا يريدون ، وكيف يصلون إلى ما يريدون .

إن الأمم العربيـــة تعمل اليوم جاهدة لتقدم بلادها فى مختلف النواحى » .

بوليس لحماية الأحداث

وافق وزير الداخلية المصرية على مشروع إنشاء بوليس يتخصص فى البحث عن عصابات استغلال الأحداث وإفسادهم ، ومراقبة الأحداث المنحرفين بالشوارع والميادين ، والبحث عن الأحداث المفقودين ومساعدتهم فى العودة إلى ذويهم ، وحماية الأحداث بوجـه عام ، وتسـجيل المـعلومات والإحصاءات الخاصة بذلك لدراستها وتقـديمها إلى الجهات المعنية بحالات الأحداث .

وسيتم إنشاء هذا البوليس على مراحل ، تبدأ المرحلة الأولى فى القاهرة ، والثانية فى الإسكندرية ، ثم يعمم بالتـدريج فى أمهات المدن المصرية .

ويتبع هذا البوليس قسم جماعة الآداب بالإدارة الجنائيـة بوزارة الداخليـة الذى سيكون عنوانه « قسم جماعة الآداب والأحداث » وستقوم مكاتب بوليس حماية الآداب بواجبات بوليس حماية الأحداث ، وسيساهم مع وزارة الشئون الاجتماعيـة والعمل ، وغيرها من الهيئات الاجتماعية ، فى إنشاء وعى عام بمشاكل الأحداث .

الامتحانات

فى برقية من همبورغ أن خبراء التعليم وعلم النفس فى ١٥ دولة من دول اليونسكو قرروا فشل وسـيلة الامتحانات للدلالة على فهم الطلبة للعلوم واستيعابهم لها .

أنباء العالم الإسلامي

القوات السعودية بالعقبة

عقد اتفاق بين مصر والمملكة العربية السعودية والأردن على أن تعسكر قوات سعودية جديدة في ميناء العقبة الأردني ، عقب انسحاب القوات البريطانية من قاعدتها هناك . وقد دخلت القوات السعودية بالفعل منطقة العقبة ، وهي على استعداد للتحرك إلى القاعدة متى تم انسحاب البريطانيين عنها .

وكانت وحدات من القوات السعودية والقوات السورية قد رابطت على حدود الأردن المشتركة مع حدود إسرائيل عقب الاعتداء الثلاثي على مصر في ٢٩ اكتوبر الماضي .

مذكرة مصر بشأن القنال

بمناسبة استئناف قناة السويس نشاطها الملاحي قريبا ، سلمت مصر إلى دول العالم مذكرة أعلنت فيها أنها تؤمن باحترام الاتفاقيات الدولية ، وستطبق اتفاقية سنة ١٨٨٨ نصا وروحا ، وستحصل مصر رسوم القناة كاملة ، وتودع قيمة الرسوم في البنوك التي تعينها الهيئة ، وسترصد الهيئة المصرية ٢٥ في المائة من دخلها السنوى تودع في البنك الأهلي أو بنك التسويات الدولى للانفاق منها على صيانة القناة وتحسينها ، وتخصيص الهيئة المصرية ٥ في المائة من دخلها السنوى كرسم امتياز تحصله الحكومه المصريه سنويا ، أما فئات الرسوم فتبقى كما هي بدون زيادة عملا باتفاقية سنة ١٩٣٦ المعقودة مع الشركة المؤممة طبقا لقرار ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وأى خلاف في ذلك تقبل مصر مبدأ التحكيم أو عرض الأمر على محكمة العدل الدولية .

وتتناقل الأنباء يوميا من جميع أنحاء العالم تصريحات على لسان المسئولين في الدول الغربية عن حق مصر في إدارة القناة ، وكان آخرها تصريح رئيس وزراء كندا بأن إدارة مصر للقناة حق لا ينازعها فيه أحد .

روسيا تنذر فرنسا وإسرائيل

أذاع راديو موسكو إنذارا من الدوائر الحاكمة في الاتحاد السوفيتي بأن المستعمرين وأعوانهم لا يزالون يلعبون بالنار ، ويستخدمون إسرائيل أداة للقيام بعمل استفزازى خطير ضد مصر والبلاد العربية الأخرى ، بدليل التصريحات التي أدلى بها أخيرا بن غوريون بأن إسرائيل ستحقق بالقوة مطالبها فيما يتعلق بالملاحة في خليج العقبة ، وقد اعتبرت الدوائر الدبلوماسية الغربية الإنذار الروسى بمثابة هجوم مضاد للتصريح الذى أدلى به كريستيان بينو وزير

خارجية فرنسا وأكد فيه استمرار التأييد الفرنسي لإسرائيل .

وذكرت وكالة تاس أن الدوائر الحاكمة في روسيا تؤكد أن روسيا كانت ولا تزال خصما شديد المعارضة لاستخدام القوة ضد بلاد الشرقين الأدنى والأوسط ، وأن شن عدوان جديد على مصر سينشئ حالة خطيرة تهدد تهديدا مباشرا بوقوع نزاع مسلح على نطاق واسع وستكون لذلك عواقب وخيمة على قضية السلام . والدوائر الحاكمة في الاتحاد السوفيتي تندد في تصميم وعزم بموقف المتطرفين في كل من فرنسا وإسرائيل لأنهم بدلا من المعاونة على تسوية الموقف بالشرق الأوسط تسوية سلمية ، يعملون عامدين على إلهاب المشاعر وتهيئة الجو لمغامرات عسكرية جديدة منطوية على خطر .

ذكرى استقلال تونس

اشتركت أكثر من خمسين دولة في الاحتفال الأول الذي أقامته تونس لذكرى مرور سنة على استقلالها . وقد قاطع الوفد الفرنسي هذه الذكرى والحفاوة بها لأن تونس أحسنت استقبال ممثلي الجزائر في هذا الاحتفال .

وقد سافر إلى تونس لتمثيل مصر السيد حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، وكان يحمل معه إلى باي تونس رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر مصحوبة بقلادة النيل التي قدمها له في حفلة بهيجة .

همجية فرنسا في الجزائر

وقع ٣٧٥ من كبار الشخصيات الفرنسية على احتجاج موجه إلى حكومتهم لخرقها القوانين الوضعية والإنسانية في الجزائر ، بما تقوم به من تعذيب المجاهدين المعتقلين ، فلا هي اعتبرتهم من جيوش الأعداء فعاملتهم بالضمانات التي كفلتها معاهدة جنيف لجنود الدول المعادية ، ولا هي اعتبرتهم من رعايا فرنسا فاعترفت لهم بالحقوق التي تمنحها قوانينها للمواطن الفرنسي . وعابوا على حكومتهم ارتكابها جريمة إعدام الرهائن الأبرياء دون محاكمة ، وقيامها بالأعمال الوحشية والسلب والتدمير الشامل في القرى للارهاب أو للأخذ بالثأر ، إلى غير ذلك مما لا يصلح عذرا للوحشية ولا تستطيع أن تتنصل من مسئوليته حكومة متمدنة .

أستاذ قانوني فرنسي

يحتج على همجية فرنسا في الجزائر

بعث البروفسور رينيه كابيتان (أستاذ القانون في جامعة باريس وأحد زعماء فرنسا الحرة خلال الحرب الماضية) الرسالة الآتية إلى مسيو رينيه بلبير وزير معارف فرنسا :

« علمت الآن من نشرة الأخبار التي أذاعها الراديو أن علي أبو منجل انتحر في مدينة الجزائر بأن ألقى بنفسه من السطح ، فرارا من الاستجواب الذي كان عليه مواجهته . لقد

كان على أبو منجل تلميذا لى فى كلية الحقوق بمدينة الجزائر عندما كنت زعيم حركة المقاومة فى شمال إفريقية ، وقد صدمنى نبأ موته فى هذه الظروف . وما دامت حكومة بلادى تأمر بهـذه الإجراءات التى لم تلجأ إليها مع الأسرى الألمان حتى فى زمن الحرب ، أو مادامت تغض النظر عنها ، فلن أشعر بالقدرة على التعليم فى كلية حقوق فرنسية ، ولهـذا سأتوقف عن محاضراتى . افصلونى إن شئتم أو استطعتم ، إنى سأقابل بالسرور كل ما يساعد على إعـلان احتجاجى على هـذه الأعمال التى من شأنها تلويث سمعة فرنسا »

فرن ذرى فى مصر

أعلن فلاديمـير بارسكوفسكى مستشار الوفد الروسى فى الأمم المتحدة أن روسيا وقعت اتفاقا مع مصر لإنشـاء فرن ذرى ومعمل ملحق به للأبحاث الذرية ، وأن الاتحاد السوفيتى سيقوم بتدريب المصريين على تشغيل الفرن ، وهـو صغير الحجم طاقته ٢٠٠٠ كيلووات ، وسيستخدم فى أغراض البحث والتدريب غير مرتبط بأية شروط

مصر والسودان

عقد فى القـاهرة فى اليوم الثالث من رمضان اجتماع مصرى سـودانى حضره رئيس الجمهورية المصرية ووزير الداخلية المصرية وآخرون ، ورئيس الوزارة السودانية ووزير الخـارجية السودانية وآخرون ، وتنـاولت المباحثات فى جـو مفعم بالود والإخاء الموقف السياسى الدولى والوضع السياسى العربى والصـلات التى تربط بين الشعبين الشقيقين السـودانى والمصرى ، وأعرب الجـانبان عن إيمـانهما العميق بضرورة المضى قدما فى سياسة تحقيق عزة الوطن العربى والأهداف القومية العربية بانتهاج سياسة استقلالية وتحقيق استـكمال تحرير الوطن العربى والمحافظة على حقوقه المشروعة وكيانه السياسى والاقتصـادى .

وتحقيق الأهداف القومية العربية بكل ما تعنيه من تحرر ووحدة سياسية ، والتمسك بسياسة الحياد الإيجـابى والبقاء بعيدا عن ميدان الحرب الباردة ورفض أى محاولات لجر بلديهما للأحلاف الأجنبية . كما يرفضان الانحياز إلى أى معسكر ، وهمـا يصادقان من يصادقهما على أساس المصلحة العربية وحدها ، ويعتقدان أن إسرائيل يساندها الاستعمار تشكل خطرا على البـلاد العربية وتهدد السلام فى الشرق الأوسط . والسعى إلى تحقيق العـدالة الدولية وتوكيد المساواة والسيادة بين الدول ، وأن لأية دولة عربية أن تدرس أى عون اقتصادى يجىء من أية جهة ورفض أى عون اقتصادى يمس سيادتها واستقلالهـا بطريق مباشر أو غـير مباشر أو يضار به أى قطر عربى شقيق . والأخذ بأسباب نهضتهما وتعاونهما المشترك الوثيق لتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية بمـا يعود على الشعبين الشقيقين بالخير والرفاهية .

الفهـرس

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى

مليم	
٤٠٠	فى وادى النيل
٢٠٠	لطلبة وادى النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠	خارج الوادى
٣٠٠	للطلبة خارج الوادى
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء العاشر ـ القاهرة فى غرة شوال ١٣٧٦ ـ ١ مايو ١٩٥٧ ـ المجلد الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لمـــــاذا نحج ؟

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » البقرة ١٧٧

الصورة المثالية فى الإسلام للرجل المسلم أن يعيش ماعاش مؤمنا بالله ، متوخيا مرضاته ، مقيما للحق ، متعاونا مع الناس على الخير ، صادقا فى عهده ووعده ، صابرا على شدائد الحياة ، مجاهدا مع المجاهدين فى قمع الباطل والشر والتنكيل بأهلهما فى السلم والحرب ، إلى أن تعلو كلمة الله فى الأرض ، وتبلغ الإنسانية مستواها النبيل الذى أراده الله لها فى كتبه ورسالاته .

وقد ينتهز الشيطان فى الرجل المسلم بعض نواحى الضعف التى هى من مقتضى بشريته ، فيغريه بارتكاب القليل أو الكثير من الإثم ، ثم يتداركه الله بالتوبة النصوح ، فيعود إلى الصورة المثالية التى أرادها له الإسلام ، ويكون منه ذلك الفارس المحمدى الصادق فى عهده ، الوفىّ فى وعده ، الصابر على مشاقّ الحياة ، الكادح فى سبيل الحلال ، مسالما متعاونا رحيما فى السلم ، محاربا قويا نبيلا فى ميادين الجهاد ، قائما بالحق متعاونا مع أهله ، محبا للخير عاملا على إذاعته وتعميمه بين الناس .

الآثام هى أوضار النفس الإنسانية فى نظر الإسلام ، وسبيل الخلاص منها إزالتها ومحوها بالتوبة النصوح . فالتوبة لنظافة النفس كالوضوء الذى يباشر به المسلم صلاته إذا أراد الوقوف بين يدى الله يناجيه ويقرّ له بالطاعة ويسأله المعونة والهداية فى التزام الصراط المستقيم .

غير أن من الأوضار ما لا يكفى الوضوء فى إزالته ، فنشعر بالحاجة إلى الاستحمام ، وهو من نعيم الدنيا . وأوضار النفس التى نسميها « الذنوب » قد نحتاج فى تطهير النفس منها إلى أكثر من التوبة العابرة ، نحتاج إلى أن نخلع منها كلها لنستأنف الحياة النظيفة من جديد . والحج هو الحمام الذى يخلع فيه المسلم من ماض تراكمت فيه أوضار الخطأ والإثم التى تعافها النفس الإسلامية ويكرهها الله ، ليستأنف بعده حياة جديدة هى حياة النعيم التى ترتاح لها النفس الإسلامية ويحبها الله .

وفى المسلمين كثيرون كانوا ولا يزالون يشعرون بحاجتهم إلى تجديد النفس بالحج ، ملتمسين فيه هذا التطهير من أوضار الذنوب ، ليستأنفوا بعدها حياة نقية فيها الراحة وفيها النعيم . وقديما قال شاعر من أسلافنا — فيما أنشده الهجرى — كما جاء فى معاجم العربية الكبرى ، لسان العرب وتاج العروس وغيرهما :

تركت احتجاج البيت حتى تظاهرت ... علىّ ذنوب بعدهن ذنوب

فالحج تجريد للنفس من ماضيها المشوب بالإثم ، ومن ثم فهو تجديد للحياة ، وبقدر ماتصدق نية المسلم فى ابتغاء هذا التجديد من الحج يكون حجه مبرورا ، و « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

إن سفائن البحر والبر والجو ستتجه ـ فيما بين صدور هذا الجزء من مجلة الأزهر والجزء الذى بعده ـ مزايلة كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى حاملة حجاج المسلمين من الصين وإندونيسيا والملايا والقارة الهندية ، ومن شمال إفريقية وغربها وأعماقها وشرقها ، ومن ليبيا ومصر والسودان ، والشام والعراق ، ومن كل مكان ، قاصدة الكعبة بيت الله الحرام وعرفات ، وسائر تلك البقاع المباركة التى أقام الله فيها بيد أبى الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل أول بيت قام لتوحيده والنداء بدعوته فى الأرض . وبالرغم من حرص النظام الاستعمارى منذ مائة سنة إلى الآن على صد الناس عن حج بيت الله الحرام وإقامة العوائق والصعوبات فى طريقهم إليه ، فان عدد الحجاج المسلمين ما برح يزداد ويزداد عاما فعاما ، حتى عزم الملك سعود ـ جزاه الله خيرا ـ على توسيع الحرم المكى لتكون مساحته بعد التجديد خمسة وسبعين ألف متر مربع ، وسيكون ما حول ساحته من طابقين ، وسيتسع لمائتى ألف وخمسين ألف مصل من الحجاج الوافدين وسكان أم القرى ، وسيجهز بالمراوح وأجهزة تكييف الهواء اتقاء لوطأة الحر فى أشهر القيظ ومحافظة على صحة ضيوف بيت الله المعظم .

لقد يسر الله سبل الحج فى هذا العصر ، وتوطدت فيه دعائم الأمن بما لا عهد لحجاج المسلمين بمثله إلا فى صدر الإسلام وزمان التابعين والتابعين لهم باحسان . والمسلمون الآن فى إقبال عظيم على إقامة هذه الشعيرة من شعائر الإسلام ، حتى بلغ عدد الذين يقفون فى عرفة ويطوفون بالكعبة بيت الله الحرام فى هذه السنين رقما قياسيا لا نظير له فى التاريخ .

ولكن بقى أمر آخر يجب أن يعرفه المسلمون جميعا ، ويجب أن يؤمن به الحجاج منهم ويعملوا به ، وهو أن العبادات كما أن لها أركانا ومناسك لا تتم إلا بأدائها ، فان لها كذلك حكمة عالية ومقاصد سامية هى روحها ، وهى سببها الأول ، وهى الغاية القصوى منها .

فالصلاة وصفها الله عز وجل (فى سورة العنكبوت ٤٥) بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإن تكبير الله فى إحرامها وفى أركانها يصغر أمر الدنيا كلها فى نفس المصلى حتى يرى أنها لا تساوى بخزائنها وكنوزها ارتكاب جريمة تتغير بها هذه الصفة الإلهية للصلاة ، فالمصلى ـ الذى يعلم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ يستحى من الله وهو

يعلن عن عظمته بجملة « الله أكبر » أن يكون هو الذى ينقض صفة صلاته بما يستبيحه من بعض مخازى الفحشاء والمنكر ، وأكثرها شيوعا الكذب والغش والغيبة والنميمة ، بل يستحى من ربه وهو بين يديه يخاطبه طالبا منه أن يهديه الصراط المستقيم ، ثم لا يكاد ينفتل من صلاته حتى يخرج بشىء من أقواله أو أفعاله عن الصراط المستقيم .

والصائم الذى سمع ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم من قول الصادق المصدوق : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » يستحى من الله ومن رسوله ، بل يشفق على نفسه وعلى صيامه ، أن يصدر عنه شىء من قول الزور أو العمل به . وأى إثم فى الدنيا لا يدخل تحت هاتين الكلمتين : قول الزور ، والعمل به ؟ إن هذا الحديث المحمدى من جوامع الخير إلى يوم القيامة .

والحج ، هذه الشعيرة من شعائر الإسلام ، يقبل المسلمون على إقامتها والمسارعة إليها بشغف ونشاط وارتياح ، ويدخرون لنفقاتها كرائم أموالهم ، والحلال الطيب من نقودهم ، فلماذا نقصر فى إرشادهم إلى الحكمة الإلهية فى الحج والمقاصد الإسلامية منه ؟

لماذا لا نقول لهم إذا بلغوا أعلام الحرم وحدوده ، وخلعوا عنهم المخيط من ملابس الحضارة ليلتفوا بمآزر الفطرة من لباس الإحرام : إننا نخلع مع ثياب الحضارة ما أغرانا به الشيطان من آثامها وزلاتها ، إننا اليوم أمام فرصة أنعم الله بها علينا لنتوب إليه توبة نصوحا من كل ما اقترفنا قبل اليوم من إثم ، وعلينا الآن أن نبرأ إليه من زلات الماضى ونتطهر من أوضاره ، لندخل فى حياة جديدة نعاهد الله على أن تكون حياة نظيفة يرضاها لنا ، ويثيبنا عليها بسعادة الدنيا والآخرة ؟

لماذا لا نقول لهم : إننا إذا هتفنا نناجى الله بكلمة « لبيك » لا معنى لذلك إلا أننا نعقد عقدا بيننا وبين الله على الاستجابة لكل ما هدانا إليه من مبادئ الإسلام العالية ، وهداياته السامية ، واجتناب كل ما يدنس حجنا ويسخط ربنا ما دمنا أحياء إلى أن نلقاه مع أوليائه وصفوة عباده الصالحين ؟

لماذا لا نقول لهم : إننا بتوجيه كلمة « لبيك » لله وحده عز وجل نعترف لربنا ولأنفسنا بأننا لا نطلب الخير والنفع إلا منه ، ولا نشرك به أحدا غيره من نبى أو ملك أو ولى فضلا عن غيرهم ، وأن كل ما سوى الله مخلوق له ، وكل مخلوقاته — على مراتبهم — محتاجون إليه ، ملتمسون رحمته ، ولا يكون منهم شىء إلا باذنه ؟

إن مشركى الجاهلية كانوا فى حجهم يلبون الله كما نلبيه نحن فى الإسلام ، غير أنهم كانوا يستثنون فيقولون : « إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » . فجاء الإسلام ليبطل هذه المثنوية ، وليوجه قلوب الناس إلى الله وحده .

لمـاذا لا نقول لهم إذا جاءوا لرمى الجمرات فى منى : إن هذه حرب يعلنها الإسلام على الشيطان وحزبه وتسويلاته ، وإننا كلما خطر ببالنـا بعد اليوم خاطر نعلم أنه يسخط الله يجب علينا أن نعلم أن هذا الخاطر من تسويل الشيطان ، وأنه عدو لنـا ، وأننا آذناه بالحرب ونحن نرمى هذه الجمرات فى الحج ، ومن تمـام الحج ـ بعد الحج وما دام الحاج على قيد الحياة ـ مواصلة مخالفة الشيطـان واعتباره العدو الذى لا ينبغى للعاقل أن يغفل عن وساوسه وينقاد لتسويلاته .

أهم شىء فى العبادات ـ ومنها أدعية الحج ـ أن نعقل معانى ألفاظها ، وأن نعلم أن هذه المعانى تنعقد بها العهود بين المخلوق والخالق ، وأن المخلوق ينبغى له عقد العزيمة على توخى ما يدعو الله به ، وإلا فانه لا يـكون جادا بدعائه ، ولا يكون دعاؤه مستجابا . ولو أن كل مسلم إذا قال لربه فى صلاته : « اهدنا الصراط المستقيم » تصور معانى هذه الكلمات وتأمل فى مدلولاتها وعقد عزمه على توخى الصراط المستقيم فى تصرفاته الشخصية ، وفى معاملاته مع الناس ، لـكان المسلمون بهذه الـكلمة وحدها أمة صدق واستقامة وخير ، وكان ذلك منهم أبرع إعلان عن الإسـلام فى أمم الأرض ، وأنه النظام الذى تبحث عنه الإنسانية ولا تزال تائهة عنه .

أيها الواعظون فى الحج ، أوصلوا هذا الخير إلى نفوس إخوانـكم الحجاج وقلوبهم ، علموه لهم كما تعلمونهم مناسكهم . وإذا أفلح الحجاج ـ عاما فعاما ـ فى الانخلاع من الماضى والتطهر من أوضاره ، ونووا صادقين أن يجددوا عهدهم مع الله على تجديد حياتهم بما يرضيه ، فانهم سيعودون ـ ان شاء الله ـ إلى أوطانهم حاملين معهم نصيبا مباركا من رسالة الإسلام كما بعث الله بها حامل أكمل رسالاته ، وأرجو أن نعمل بذلك من عامنا هـذا ، ليعود إلينا النور والهدى من بلاد النور والهدى ، والله ولى العاملين .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٥٠ —

التقليد فى الخطأ مهانة ، ومهلكة

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ! ! أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » .

١ — حينما نزل القرآن بمعارفه وآدابه : كان عرب المدن وأعراب القرى على بعد شاسع من دعوته لفشو الجهالة ، وتحكم العصبية ، وجمود الأفهام والأذهان عن استبدال مبدأ بمبدأ .

ودعوة القرآن كانت رحيمة بهم ، لا تعاجلهم بالمهانة ، ولا تسبق إلى تخويفهم بالإنذار ، لأن طبيعة القرآن رفق وتلطف ، وهو شفاء ورحمة ، وسياسته دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى إذا ما وضحت للأفهام وجهته ، ونهضت على المتخلفين حجته ، كان للقرآن أن يشتد ويشتد ، وأن يلهبهم بأسلوبه ، ويقدح فى وجوههم نار وعيده ؛ ليهز تلك القلوب الغلاظ ، وينفذ إلى دخائلها القاتمة ، أو ليتركهم وقد انصرفوا عن دعوته ، وتشبثوا بباطلهم ، ورضوا لأنفسهم بسوء العاقبة ، « إن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

٢ — وانظر — مثلا — إلى ذلك الأسلوب الرحيم العذب يدعو به محمد — صلوات الله عليه — قومه ، وأمته « تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول » .

فهو يدعوهم إلى شىء من عند ربهم ، ليستخدموا عقولهم فى فهمه ، ويقفوا منه موقف الفاحص الفطن ، وحينذاك يجنحون إلى صوابه عن بينة ، ويتخيرون ما يلمسون

خيره : دون أن يقحمهم فى الأمر على غير بصيرة ، ودون أن يكلفهم على ذلك أجرا ، ولكن انظر إلى الجهل إذا أطبق ، و إلى الذهن إذا تغلق ، فهم لا يجيبون بعلم يفهمونه ، ولا برأى يناقشونه ، بل يقولون : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » فهذا انكماش خائر عن مسايرة الدعوة فى وجهتها القاصدة ، وهو تزهد فى الخير الذى يستقبلهم ، وعكوف على الباطل الذى غمرهم ، و يمتد فى مرمى أنظارهم ، والقرآن يعجب من إنكارهم لأنفسهم ، وتقليدهم لآبائهم ، و يبدى أن الأعجب من هذا تقليدهم لآبائهم وهم لا يشهدون لهم بعلم ، ولا يعرفونهم برشد و اهتداء . . و إنما هى عصبية تزين لهم القبيح ، وتحبب إليهم البغيض ، وتقذف بهم عن التفاهم المنصف : فيقول الله تعالى : « أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » ؟ ؟

يعنى أن التقليد مجردا عن التعقل معابة وخزى ، فما بالك إذا كان تقليدا لغير عالم ولا مهتد ؟

إن أولئك الآباء لا يصلحون للقدوة لأنهم كانوا جهلة مجردين من المعرفة ، وكانوا فى غباوة وعماية ، فلم يكونوا على صواب فى أنفسهم حتى يصلحوا قدوة لمن بعدهم .

والجمود فى ذاته آفة عقلية ، تنجم عن بداوة غاشمة ، و يؤرثها تحيز المرء إلى شىء يظنه صوابا ، و يراه شعار آبائه أو من ينتمى إليهم ، وناهيك بالعرب الذين كانوا يرون عزتهم فى التشيع للأنساب ، و يرون الحفاظ على تقاليد الآباء لونا من ألوان النسب الماجد .

و إذا كان القرآن يحدثنا بذلك عن أولئك ، فأنه يوجهنا إلى أن التقليد والتشبث به يحجب الهداية إلى الحق عن ولوج القلب ، و يبعد المرء عن تيار الحياة الراشدة .

و إنه لخليق بالإنسان أن يعجب من نفسه حينما يقلد غيره ، وهو عالم بأن الغير جهول ، أو بعد أن يعلم أنه جهول . . والجدير بالمرء ــ وقد وجهنا القرآن ــ أن يبحث فى نفسيته ، و يحرص على الاستفادة بما وجهنا إليه ، وعلى العلاج بما هو الدواء الذى تجاهله الأولون ، وشغلتهم عنه مفاتنهم ، حتى ضاعت عليهم الفرصة ، وأصبحوا مضرب المثل فى المهانة ، والتشنيع بالجهال ، و بتقليد الجاهلين .

ذلك الدواء الذى وصفه لنا الحكيم العليم : هو الرجوع إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، وفى هذا ـ لاشك ـ صلاح للدين وللدنيا ، أو فيه على أقرب الفروض صلاح لجانب من الجانبين لمن قعدت به همته عن الجمع بين الناحيتين .

نكتب هذا ونشعر بأن فى القراء وفى الناس عامة من يتحلل من أخذ نفسه بذلك الأدب : لزعمه صعوبة فى الأمر ، أو تكليفا يضايق النفس ، أو يتحلل زاعما أن توجيهنا إلى أهداف القرآن سبيل الواعظين الذين يسرفون فى الترهيب .

والحق أنها مزاعم وهمية ، وهى من نزغات الشيطان ، فانها لم تقعد بواحد من المهتدين لأنفسهم ، ولم تكن صارفة لمن جربوا ، وسلكوا دنياهم فى نشاط ، ثم لم يقطعوا أنفسهم عن دينهم ، ولم يبالغوا فى إرهاقها ، وإنما عرفوا أن الأمر لايعدو الأخذ بالحلال ، وباب الحلال واسع رحيب ، وفيه غناء عن كل حرام ، وعن كل شأن مريب .

إن التقليد الذى عابه القرآن كان وليد الضلالة ، وسيظل كذلك معابة أدبية ، ونقيصة عقلية ، ومسقطا رديئا من مساقط الجهالة التى سوغت لهم أن ينحتوا الأحجار بأيديهم ، ويعتبرونها آلهة لهم ، ويعبدونها كما كان يفعل آباؤهم .

وإن أشد ما ينكره العقل فى هذا الباب أن يكون تقليدا على حساب الدين ، فينصرف المرء عن معين الحق ، ومنبع الهداية فى تشريع الله ، وفيما حمله إلينا الثقات من رجال العلم : إلى مزاعم فاضحة يتجربها محترف جهول ، أو يتشدق بها مفتون جرىء ، يحسب لنفسه أنه سبق إلى ما لم يفهمه غيره ، ويزعم أن ذلك هو الفهم الجديد ، وما هى إلا فتنة استخدمهم فيها شيطانهم ، ليهونوا على الناس أن يتخطوا حدود ما أنزل الله على رسوله ، ويشاقوا الله فى دينه .

كثيرا ما يقتحم أناس ميدان الكتابة معتدين بأنفسهم : ظانين ، أو موهمين أنهم أهل رشد وإرشاد ، ولكن الحق والصدق والأمانة فى غير جانبهم : لو كانوا يستحيون وينصفون ، والأمر بحاجة إلى مقاومة هذه النزعات كلها ؛ حتى يستقيم للناس شأنهم فى دنياهم ودينهم .

ولا جرم أن الذين يفسد فى دخائلهم وازع الدين ، وتضعف فيهم خصلة الحياء : لا يمكن أن يكون منهم المواطن الصالح الذى ينضح طبعه بالخير كما تبتغيه الأمة مهما تغطى بأثواب الرياء .

إن قضية التقليد ، ومشكلة العدوان على مهابة الدين ، والتحلل من المبادئ الحقة ، والمحاولات المأفونة التي تعودناها من أناس كثيرين في السياسة وغيرها ؛ لأمور تقتضي عناية جديدة من أولى الأمر ومن القادرين على إنكار المنكر بأيديهم ، أو بألسنتهم - والسكوت عن الإنكار بالقدر الممكن مسئولية دينية واجتماعية ، ولا يعفى المقصرين فيها عذر يلتمسونه ، أو سبب يرجحونه ، ويتعلقون به .

فان الله - سبحانه - جعل الأمة الإسلامية فى رعاية حكامها يسألون عنها ، وجعلها كذلك فى كفالة متبادلة بينها : ينصح بعضها بعضا ، وينهى بعضها بعضا ، ويستمع بعضهم إلى بعض فيما يبذله ناصح لمنصوح ، وفيما ينكره ناه على منهى ، وهذا معنى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فان تسامح كل فيما يلزمه ، أو تسامح البعض : كانت المسئولية واقعة ، وكان الجزاء بالمرصاد .

وربما تمنع ناصح عن بذل النصح ، أو سكت عن إنكار المنكر ، وهو يعفى نفسه من المسئولية محتجا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم : لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، إذ يفهم المعتذر عن نفسه أن كل امرئ مسئول عن عمله ، ولا يسأل عن غيره ، ما دام هو معتدلا مهتديا .

والأمر على غير ذلك ، فان هذه الآية جاءت بعد آية المقلدين لآبائهم ، لتفصح عن شيء هام : هو - أن النصيحة واجبة من المسلم للمسلم ، وأن كل امرئ أمانة فى عهدة أخيه ، فاذا نصحه وبين له ولم يستمع إليه كان بريئا من عهدة الإخاء ، وما عليه من حساب المقصر شيء ، وعليه أن ينصح نفسه ، ويتعهدها بحسن التوجيه ، وليس يضره إثم غيره مادام هو فى ذاته مهتديا ، وما دام قد أبرأ نفسه من واجب التناصح .

والمفروض أن المقلدين لآبائهم قد رفضوا نصح الرسول لهم ، والمفروض كذلك أن أصحاب الدعوة المرشدين إلى الخير يلاقون مثل هذا الرفض من العصاة ، ويجهدون أنفسهم فى المقاومة ، ثم يلاحقهم أسف لعدم التوفيق فى هداية من أرادوا لهم الخير ، فالله تعالى يخفف عنهم ما يساورهم ، ويعلن إليهم أن مرجعهم جميعا إلى الله ، وأنه صاحب القضاء العادل بين عباده ، فلا حرج عليهم أن يريحوا أنفسهم من دعوة المكابرين .

وهناك حالة شبيهة بهـذا ؛ وهى أن يعرف الآمر بالمعروف أنه سيهان من غيره ؛ وأن دعوته إلى الخير تلابسها مخـاوف الإيذاء من السفهاء ؛ دون أن يصل إلى شيء من غرضه ؛ فلا مانع أن يتريث ويتأنى ؛ حتى تحين الفرصة للنصيحة المجدية بالدعوة الحـكيمة ؛ فعليه نفسه كذلك ؛ ولا يضره ضلال من ضل .

هذا وكل ما نقوله غير واقف عند أعمال الدين ؛ بل هو منصب وشامل لـكل شأن من شئون الناس ؛ وهذه رسالة الإسلام التى انطوت عليها تعاليمه ؛ وهى الـكفيلة بخلق أمة ناضجة كاملة ، وهى الرسالة التى يحقد عليها أبناء الغرب قديمـا وحديثا ؛ فهم يأخذون لأنفسهم منها ما يسعد حياتهم ؛ ثم هم يحقدون على المسلمين ؛ ويحاولون استئصالهم من الأرض ، وإن كانوا مع حنقهم عليها شامتين كثيرا لمـا يرونه فاشيا فى المسلمين من عـدول عن دستورهم السماوى إلى تلك المهازل التى رسمتها سياسات الاستعمار ، وصبغتها بألوان فاتنة للنفوس التى لم يطبعها طابع إسلامى .

تلك المهازل التى تصاغ مرة فى مناهج ثقافيـة ، أو فى مشروعات اجتماعيـة ، أو فى معاهدات سياسية ، أو أفلام تمثل ويذاب فيها تجريح الإسـلام ذوبا معسولا فى أفهام الأحداث الذين هم الجيل المقبل ، تلك المهازل التى آزرها الاستعمار طوال عهده ، وحارب بهـا كل نغمة إسلامية ، وكل فضيلة يشع بها القرآن ، أو يشرق بها حديث نبوى ، وحارب من أجلها رجال الدين فى شخص الأزهر ، وحارب بها الأزهر فى شخص أبنائه وعلمائه ، حتى كان من أثر هـذه الحرب الباردة أن أصبح الجمهور الإسلامى فى غير لونه الدينى ، وأصبح الروح الإسـلامى فى كماله وحضارته الأصيلة بعيـدا عن عقلية الـكثيرين ، وبخاصة من أسلموا أنفسهم للهوى ، وطوحوا بها وراء المغريات النسوية وغير النسوية فى ظل المدنية الحديثة التقليدية .

إن الشرق كله ، والوطن الإسلامى بخاصة ، ليحس إحساسا جديا بانهماك الغرب فى مناوأته ، والقضاء على كل مقوماته ، وكل مظهر من مظاهر الحيوية الـكامنة فى تعاليم الإسلام تفصيلا ، وفى دستوره العام ، وفى دخيلة كل مسلم صحيح الوجدان ، ونحن مع الغرب اليوم فى ملحمة تمثل الحروب الصليبية ، وسيكون النصر فيها لدين الله ، ولوطن هذا الدين ، بفضل المجاهدين المخلصين لا بفضل المذبذبين .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



سبيل المؤمنين

— ٢ —

الشورى فى الإسلام ـ مبادرة الفاروق ـ عهد الصديق ـ منشأ الفرق والطوائف ـ بشارة نبوية ـ أئمة الجور ـ متى يكون الفرار ؟! لا يأس من روح الله .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ؛ فقلت يا رسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ؛ فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ! فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فقلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ! رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

* * *

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ بمقتضى الدستور الإلهى ـ هو الحاكم المقدم ، والرئيس الأعظم ، لخير أمة أخرجت للناس ، وكان مع تلك الولاية العظمى مأمورا بمشاورة أمته فيما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل .

فلما لحق صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى ، كان شأن المشورة بين أمته أعظم ، وكانت لما لم يرد فيه نص من الأحكام ألزم .. وعلى أساس هذه الشورى مضوا رضوان الله عليهم فى تولية الخلفاء الراشدين أئمة لهم .

ولئن بادر الفاروق بمبايعة الصديق رضى الله عنهما ، ولما تنضج الشورى فى المبايعة ، لقد كان الفاروق مترجما لما فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه ، من أن أحب الناس إليه ، وخليفته فى حياته ، أولى الناس قاطبة بأن يكون خليفته من بعد وفاته .. ذلك إلى أنه رضى الله عنه بادر إذ أوجس فى نفسه خيفة من أن ينحدر الاختلاف فى الشورى ــ والاختلاف فيها لا بد منه ــ إلى عاقبة لا يعلم إلا الله مداها ، وهذه الدنيا من حولهم تريد أن تتخطفهم ، وتتربص بهم الدوائر ! .

ولئن عهد أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه ، لقد كان عهدا شوريا ما أجل خيره ، وأعظم ثمره وبره ، لأنه وليد الشورى الصديقية العبقرية ، التى تمخضت عن استنباء الأجلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستطلاع آرائهم فيمن يلى أمرهم من بعده ، فكان إجماعهم رائعا على أن من اختاره الصديق لهم ، هو خيرهم وأفضلهم ، وأقواهم على احتمال هذا العبء غير مدافع .

* * *

ثم كانت الشورى فى خلافة ذى النورين ، وأبى الحسنين ، رضوان الله عليهم ، سافرة نيرة .. ولئن حدثت فى عهديهما أحداث كانت منشأ فرق وطوائف ، ثم نحل ومذاهب ، فرقت المسلمين فرقا ، وقطعتهم أحزابا وشيعا ، منى بها المسلمون إلى يومنا هذا ، إنه البلاء المبين ، الذى يبتلى الله به عباده حينا بعد حين ، ليجمعهم على إمام سيد ، عبقرى مجدّد ، كما جمعهم على الحسن بن على رضى الله عنهما ، لما ترك الأمر لمعاوية وهو أحق به منه ، بعد أن بايعه على هذا الحق أربعون ألفا على الموت . . .

وبهذا الإصلاح العبقرى العظيم ، حقق الله بشارة جده صلى الله عليه وسلم ، إذ بشر أمته وهو على المنبر والحسن إلى جنبه ، وهو صلى الله عليه وسلم يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (١) .

---

(١) رواه البخارى وشرحناه فى الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين .

وقد اشتركت فى هذه الأحداث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ؛ لما وليت أمر المطالبة بدم عثمان رضوان الله عليه ؛ فقضى الله أن تزداد شقة الخلاف والفتن من حيث تبتغى هى ومن معها إحقاق الحق (١) ليرينا الله رأى العين أنه لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ؛ ولو بلغت مرتبة الصديقين ؛ وكانت من أمهات المؤمنين .

وهنا نذكر القراء بأن لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوقا وذمما ؛ هى من حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر أمته ؛ منها أن نقبل من محسنهم ؛ ونتجاوز عن مسيئهم ؛ فان لم نتدارس الحسنات ، فلا أقل من أن نتغاضى عن الهفوات ، فانها ليست شيئا مذكورا بجانب ما قدموا لله ورسوله ، ولنعلم أن صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعدلها إلا رضوان الله عز وجل .

* * *

ولما سلم الحسن لمعاوية مقاليد الأمر ، اجتمعت عليه القلوب بعد الفرقة ، وائتلفت بعد النفرة، ودخل الناس فى بيعته أفواجا ، حتى سمى هذا العام بحق عام الجماعة .

ثم كانت أحداث وفتن ، هبت فى ثناياها عواصف هوج ، وتكاثرت فى خلالها طوائف وشيع ، وتزاحمت فيها منكرات وبدع ، لا يزال المسلمون منها إلى اليوم فى شقاء وبلاء ! ! ولولا أن من الله على المسلمين بنعمتين من نعمه الكبرى ، لكان الإسلام منذ قرون أثرا بعد عين : حفظ كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعدا عليه حقا إذ يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وتأييد هذا الدين الذى أظهره على الدين كله : بمن شاء من عباده، حتى إنه ليؤيده بأقوام لا خلاق لهم ، وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قصة القاتل نفسه بعد أن أبلى فى الجهاد بلاء حسنا ! إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

وفى مثل هذا الحديث دليل ساطع على أنه لا يجوز لأحد كائنا من كان ، أن يخرج على أئمة الجور : « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » .

---

[١] انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية للسيد محمود شكرى الآلوسى ، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب .

بل فيه دليل على الدعاء لهم ، ومضى الجهاد معهم . . . اتقاء الفتنة ، وابتغاء سلامة الأمة ، واجتماع الكلمة .

* * *

فاذا عظم الصدع ، وتشتت الجمع ، وتفرقت الأمة وعياذا بالله أيدى سبا ، ولم يكن لهم إمام يجمعهم ، ولا راد يردعهم : فقد حقت عليهم كلمة العذاب ، وحق لمن يرجو النجاة أن يفر بدينه من الفتن ، ولو أن يأوى إلى أصل شجرة وحيدا فريدا يلاقى من آلام الوحدة ما يلاقى حتى الموت ، فان وحدته حينئذ خير من مجتمع كله شر لا أمل للخير فيه ، وضلال لا رجاء للهدى معه ! !

* * *

أما بعد ، فعلى الرغم مما نرى فى زماننا هذا من موجات يأس متتابعة ، وظلمات دنس متلاحقة ، ورءوس رجس متسابقة ، لم يحن وقت الفرار بعد ، ولن يحل لمؤمن أن ييئس من روح الله : « إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

طه محمد الساكت

رسالة تقدير وتأييد

حول ما نسب إلى ابن حزم

تلقى رئيس تحرير مجلة الأزهر من صديقه الجليل فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الملك بن ابراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز رسالة أثنى فيها على المقال المصدر به جزء شعبان « حول ما نسب إلى ابن حزم فيما يجوز للخاطب من مخطوبته » وختم فضيلته هذه الرسالة الكريمة بقوله : « فشكر الله لكم الدفاع عن الإسلام ومحارم الله ، ونحن دائما نتتبع ما ينشر فى مجلة الأزهر من كلمات قيمة فى الدفاع عن الإسلام . وفقكم الله لما يحبه ويرضاه » .

السنة والبـــــــدعة

السنة فى اللغة هى الطريقة ، وسنن الطريق قصده ، ويقال : سن سنة حسنة : أى طرّق طريقة حسنة . وأصل المـادة فى اللغة هو جريان الشىء واطراده فى سهولة ، يقال : سننت المـاء على وجهى ، إذا أرسلته إرسالا ، وصببته صبا سهلا [١] .

والسنة فى الشرع تطلق بعدة معان ، فقـد يراد منها سيرة النبى صلوات الله عليه ، يقول ابن فارس : « وسنة رسول الله عليه السلام سيرته » [٢] ، وقد تطلق على الأحاديث المروية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد تطلق على المندوب ، وقد تطلق على جميع أقواله وأعماله ، وأوامره ونواهيه ، يقول ابن الأثير عن السنة : « والأصل فيها الطريقة والسيرة ، وإذا أطلقت فى الشرع فانمـا يراد بهـا ما أمر به النبى صلى الله عليه وسـلم ، ونهى عنه ، وندب إليه ، قولا وفعلا ، ممـا لم ينطق به الكتاب العزيز ، ولهـذا يقال فى أدلة الشرع : الكتاب والسنة ، أى القرآن والحديث » [٣] .

وقد يطلق لفظ « السنة » ويراد به الصحيح من المعتقدات والآراء ، وهو ما يقابل الباطل أو المشكوك فيه أو الضعيف من المعتقدات والآراء ، ولذلك يطلق تعبير « أهل السنة » بهذا المعنى على الطائفة التى صح اعتقادها واستقام تفكيرها وسلمت أقوالها الدينية من الزيغ أو الضلال أو الإلحاد ، ويصور ابن رجب الحنبلى هذا المعنى بالعبارة التالية : « السنة عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة ، فى مسائل الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القـدر ، وفضائل الصحابة ، وصنفوا فى هذا العلم تصانيف وسموها (كتب السنة) ، وإنمـا خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم ، والمخالف فيه على شفا هلكة » [٤] .

---

[١] أساس البلاغة ، ج ١ ص ٤٦٢ . ومعجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ص ٦٠ .
[٢] المصدر السابق .
[٣] النهاية فى غريب الحديث ، ج ٢ ص ١٨٦ .
[٤] كتاب غربة الاسلام لابن رجب الحنبلى ، ص ٨٨ بتحقيق الكاتب .

وقد ذكرت مادة « السنة » فى القرآن الكريم ست عشرة مرة ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة النساء : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » ، وقوله فى سورة الإسراء : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » وفى سورة الأحزاب : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » . وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته ، كما قد يراد منها الإرشاد إلى طريق الحق ، وفى الحديث : « إنما أنسى لأسن » أى أن الله يدفعنى أحيانا إلى النسيان ، لأسوق الناس بالهداية إلى الطريق المستقيم ، وأبين لهم مايحتاجون أن يفعلوا إذا أصابهم النسيان أو عرض لهم ، وكأن هذا مأخوذ من قول العرب : سننت الإبل إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها .

وقد يراد من السنة معنى التعميم ، أى جعل الشىء مشروعا معروفا عاما ، ومنه الحديث : « أنه نزل المحصب ولم يسنه » أى لم يجعل النزول فيه سنة يعمل بها ، والمحصب هو الشعب الذى مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزله من غير أن يسنه للناس ، فمن شاء حصب ، ومن شاء لم يحصب ، ومن هنا قالت عائشة : « ليس التحصيب بشىء » أرادت به النوم بالمحصب عند الخروج من مكة ساعة . وقد يفعل الشىء لسبب خاص فلا يعم غيره ، وقد يفعل لمعنى فيزول ذلك المعنى ويبقى الفعل على حاله متبعا ، كقصر الصلاة فى السفر للخوف ، ثم استمر القصر مع عدم الخوف [١] .

ويقول الجرجانى فى « التعريفات » عن السنة : « السنة فى اللغة الطريقة ، مرضية كانت أو غير مرضية ، وفى الشريعة هى الطريقة المسلوكة فى الدين ، من غير افتراض ولا وجوب ، فالسنة ما واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها مع الترك أحيانا ، فان كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى ، وإن كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد ، فسنة الهدى مايكون إقامتها تكميلا للدين ، وهى التى يتعلق بتركها كراهة أو إساءة ، وسنة الزوائد هى التى أخذها هدى ـ أى إقامتها حسنة ـ ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة ، كسنن النبى صلى الله عليه وسلم فى قيامه وقعوده ، ولباسه وأكله » . وعقب ذلك يعود الجرجانى فيورد هذا التعريف الآخر : « السنة لغة العادة ، وشريعة مشترك

---

(١) النهاية ، جـ ١ ص ٢٣٢ و جـ ٢ ص ١٨٦ .

بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليه بلا وجوب ، وهى نوعان : سنة هدى ، ويقال لها السنة المؤكدة ، كالأذان والإقامة والسنن الرواتب والمضمضة والاستنشاق على رأى ، وحكمه كالواجب : المطالبة فى الدنيا ، إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب ، وسنن الزوائد كأذان المنفرد والسواك والأفعال المعهودة فى الصلاة وفى خارجها ، وتاركها غير معاقب » (١) .

* * *

وأما البدعة لغة فهى من قولهم : أبدع الشيء وابتدعه ، أى اخترعه . ولمادة « بدع » أصلان فى اللغة ، أحدهما ابتداء الشيء وصنعه على غير مثال سابق ، والآخر الانقطاع والكلال والضعف ، ولذلك أورد الزمخشرى من مجازات العرب قولهم : أبدعت حجتك إذا ضعفت ، وأبدع بى فلان ، إذا لم يكن عند ظنك به فى أمر وثقت به فى كفايته وإصلاحه ؛ وأورد ابن زكريا قولهم : أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت ؛ واشتقت « البدعة » المعروفة فى اصطلاح الشرعيين من البدعة اللغوية ، لأن البدعة الدينية ليس لها أصل ، بل هى مخترعة ، لأن قائلها ابتدعها واخترعها من غير مقال إمام ، ولأنها الفعلة المخالفة للسنة المأثورة ، ولأنها الأمر المحدث الذى لم يكن عليه الرسول والصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعى (٢) ، ومن شأن الأمر المخترع الذى ينهض على غير سند سابق أو أساس متقدم أن يكون ضعيفا كالا ، ولهذا سميت البدعة فى الدين بالحدث ، أو الإحداث ، وعرفها النووى بأنها « إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) » ؛ وإليها يشير الحديث : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة » ، والحديث الآخر : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وإذا كان النووى قد قال كما قال غيره إن البدعة « منقسمة إلى حسنة وقبيحة » فانه يراد بذلك مطلق البدعة ، أى مطلق الأشياء التى حدثت بعد الرسول ، دون تخصيصها بالدين ، وأما إذا كانت البدعة فى دين الله بزيادة أو نقص أو تبديل أو تحريف

---

[١] التعريفات ، ص ٨٢ و ٨٣ .

[٢] أساس البلاغة ، ج ١ ص ٣٦ ، ومعجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٢١٠ . والتعريفات ، ص ٢٩

[٣] تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ٢٢ .

فلا خلاف فى أنها ضلالة ، وأن صاحبها مستحق للعذاب ، وحينئذ لا يقال عن البدعة فى الدين إنها تنقسم إلى حسنة وقبيحة ، بل « كل ما أحدثه الناس فى أمر الدين ولم يأخذوه من كتاب الله أو سنة رسوله المبينة لكتابه فهو بدعة سيئة وضلالة يستحق متبعها العقوبة فى النار [١] » ! .

وأما البدعة المطلقة فهى التى يمكن تقسيمها إلى حسنة وقبيحة ، وبهذا الإطلاق قسموا البدعة إلى واجبة مثل الاشتغال بالعلوم التى نفهم عن طريقها كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلوات الله عليه ، ومحرمة مثل مذاهب الجبرية والمرجئة والمجسمة ، ومندوبة مثل الكلام فى دقائق التصوف وكل إحسان لم يكن فى العصر الأول ، ومكروهة مثل زخرفة المساجد وتزويق المصاحف ، ومباحة مثل التوسع فى اللذيذ الطيب من المآكل والمشارب [٢] . وقال الشافعى : « المحدثات من الأمور ضربان : أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا ، فهذه البدعة الضلالة ، والثانية ما أحدث من الخير ، لا خلاف فيه لواحد من العلماء ، وهذه محدثة غير مذمومة (٣) »

ويقول ابن الأثير : « وفى حديث عمر رضى الله عنه فى قيام رمضان : نعمت البدعة . هذه البدعة بدعتان ، بدعة هدى وبدعة ضلال ، فما كان فى خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو فى حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه ، وحض عليه الله أو رسوله فهو فى حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك فى خلاف ما ورد الشرع به ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد جعل له فى ذلك ثوابا ، فقال : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها . وقال فى ضده : ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . وذلك إذا كان فى خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا النوع قول عمر رضى الله عنه : نعمت البدعة هذه ، لما كانت من أفعال الخير وداخلة فى حيز المدح سماها بدعة ومدحها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم ، وإنما صلاها ليالى ثم تركها ، ولم

---

[١] مجلة المنار ، المجلد السابع ، ص ٥٨ .
[٢] تهذيب الاسماء للنووى ، ج ٢ ص ٢٢ .
[٣] المصدر السابق ، ص ٢٣ .

يحافظ عليها ، ولا جمع الناس لها ، ولا كانت فى زمن أبى بكر ، وإنما عمر رضى الله عنه جمع الناس عليها ، وندبهم إليها ، فبهذا سماها بدعة ، وهى على الحقيقة سنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى . وقوله : اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر . وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر : كل محدثة بدعة ، إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة ، وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا فى الذم (١) » .

وأستحسن أن نختار التعبير بكلمة « البدعة » عما يكون ابتداعا فى الدين ، وذلك الابتداع لا يكون إلا مذموما ومضافا إلى الضلال والعذاب ، وقد يقوى هذا الاستحسان الجملة الأخيرة الواردة فى عبارة ابن الأثير السابقة وهى قوله « وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا فى الذم » كما أستحسن أن نختار استعمال كلمتى « السنة السيئة والسنة الحسنة » فيما يكون ابتداعا خارجا عن نطاق أحكام الدين ، داخلا نطاق الحياة الدنيا ، وهذا الابتداع كما قررنا قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا ، وقد يزكى هذا الاستحسان حديث الرسول : « من سن سنة حسنة ... » الخ ، ويقول السيد رشيد رضا : « وأما السنة الحسنة والسنة السيئة فى الحديث الآخر فهى تشمل كل ما يخترعه الناس من طرق المنافع والمرافق الدنيوية أو طرق المضار والشرور ، فمن اخترع طريقة نافعة كان مأجورا عند الله تعالى ما عمل الناس بسنته ، وله مثل أجر كل عامل به ، لأنه السبب فيه ، وكذلك حكم مخترعى طرائق الشرور والمضار ، كالضرائب والغرامات والفواحش ، عليهم وزرها ما عمل الناس بها » [٢] .

ومما يستحق الملاحظة أن مادة « البدعة » قد وردت مرتين فى القرآن الكريم ، وليس فى إحداهما مايدل أو يشير إلى الرضى عن البدعة أو قبولها ، بل فيهما مايشير إلى نفى الابتداع وإنكاره ، ففى سورة الأحقاف جاء قوله تبارك وتعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » . وفى سورة الحديد جاء قوله عز وجل : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » .

* * *

[١] النهاية ج ١ ص ٦٦ .

[٢] مجلة المنار ، المجلد السابع ، ص ٥٩ .

والصوفية يتحدثون عن السنة والبدعة على طريقتهم ، فنرى يحيى بن معاذ الرازى يقول : « العبادة حرفة ، حوانيتها الخلوة ، ورأس مالها الاجتهاد بالسنة ، وربحها الجنة » . وسئل أبو يزيد البسطامى عن السنة والفريضة ، فقال : السنة ترك الدنيا ، والفريضة الصحبة مع المولى ، لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا ، والكتاب كله يدل على صحبة المولى ، فمن تعلم السنة والفريضة فقد كمل » وسئل أبو حفص النيسابورى : ما البدعة ؟ . فقال : «التعدى فى الأحكام ، والتهاون بالسنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاقتداء والاتباع » . وقال سرى السقطى : « قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة ، كيف يقل عمل مع التقوى » ؟ . وقال الحارث المحاسبي : « من طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق » ؟ . . . ويقول الفضيل بن عياض : « من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة » ! .

* * *

وعلى الرغم من تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من البدع والضلالات ومحدثات الأمور ، فاننا نرى البدع من حولنا تذيع وتشيع ، وتسيطر وتتحكم ، وعلى الرغم من تحريض الرسول على الاستمساك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين فاننا نرى السنة غريبة ، ونرى أهلها قلة غرباء ، ومن العجيب أن نرى سفيان الثورى المتوفى سنة إحدى وستين ومائة يقول : « استوصوا بأهل السنة خيرا ، فانهم غرباء » ونرى يونس بن عبيد المتوفى سنة تسع وثلاثين ومائة يقول : « ليس شيء أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها » [١] ! . . . فليت شعرى ماذا يقول هذان العلمان لو أنهما أدركا العصر الذى نعيش فيه ، ورأيا كيف طغت البدع وضاعت السنن ؟ ! .

إن الواجب على الدعاة إلى الخير الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، أن يعقدوا العزم على مجاهدة البدعة ومناصرة السنة ، وأن يبذلوا جهدهم فى دعوة الناس إلى سنة الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفى المباعدة بينهم وبين البدع والمحدثات ومنكرات الأمور ، وعلى من يريد الدعوة إلى السنة والتذكير بها أن يتحلى بالضرورى من آداب الدعوة إليها ، وأول ما يلزم الداعى إلى السنة هو أن يكون عارفا للسنة بصيرا بها ، فقيها فيها ،

---

[١] كتاب غربة الاسلام لابن رجب الحنبلى ص ٨٥ و ٨٦ بتحقيق الكاتب .

حتى يدعو إليها غيره على بصيرة ويقين ، ويلزمه كذلك أن يكون حكيما فى دعوته ، لا يهون ولا يتخاذل فى مواطن الصدق والصدع ، ولا يقسو أو يغلظ حيث يحسن اللين والرفق ، وليتذكر أن ربه عز وجل بعث موسى وهارون إلى فرعون الطاغية الجبار ، وأمرهما أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ؛ وكم من أناس يظهرون بمظهر الدعاة إلى السنة ، وهم فى الواقع ينفرون منها ويباعدون بين الناس وبينها ، وما ذلك إلا لخشونتهم فى الدعوة وفظاظتهم فى العبارة وجهلهم بطرق التوجيه والإرشاد ، والحق شديد ثقيل ، والنفوس ضعيفة عليلة ، فلا بد من سوق الحق إلى هذه النفوس بحكمة وموعظة حسنة وطريقة مثلى .

ولا بد من توافر الإخلاص عند الداعية بأن يريد وجه الله بالدعوة إلى السنة والحض عليها ، لا أن يريد الاستغلال أو الاتجار أو الاستعلاء أو التحكم أو الشهرة ؛ وكم من أناس أساءوا إلى الدين لأنهم اتخذوا الدعوة إليه تجارة دنيا وسبب مغنم ، ولم يقصدوا وجه الله الذى لا يضيع عنده أجر من أحسن عملا ، ولو توافر الإخلاص عند الداعية لساق الله إليه ما تتطلبه دنياه من حاجات دون أن يقصر همته وغايته على طلب هذه الحاجات : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

ومن الواجب على الداعية إلى السنة أن يلاحظ تقديم الأهم على المهم ، والعناية بالأصول قبل الفروع وبالكليات قبل الجزئيات والجواهر قبل الأشكال والحقائق قبل الأعراض ، ولا شك أن الدين كل لا يتجزأ بمعتقداته وعباداته وأصوله وفروعه وبواطنه وظواهره وأقواله وأعماله وجواهره وأشكاله ، ولا بد لنا من الحرص على ذلك كله ولكن الذى يغرس الدين فى نفوس خربت منه — أو كادت — محتاج إلى التدرج فى هذا الغرس ، وإلى تقديم ما يصلح أن يكون أساسا ودعامة لسواه ! ! ...

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

خداع وتضليل

كلما اشتد النزاع السياسى بين الدول الكبرى للسيطرة على الشعوب الصغيرة ، والتحكم فى مصائرها ، والإفادة من مواردها وخيراتها ، برزت الغيرة على الإسلام والعناية بشئونه ، والبحث عن الأخطار التى تهدده وتهدد شعوبه . ونشطت أقلام بعض العلماء فى الدول الكبرى للبحث عن أحوال الشعوب الإسلامية فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والخلقية ، ونشطت الإذاعات أيضا للعمل فى هذا الميدان .

وإن المتتبع لصحف العالم وإذاعاته فى الوقت الحاضر ليدهش لهذا النشاط المتدفق بالغيرة على الشعوب الإسلامية ، ففى الشرق وفى الغرب إذاعات متواصلة ومقالات متلاحقة تعالج مشاكل المسلمين ومصالح المسلمين . وإذا كان القارئ على ذكر من حوادث التاريخ القريب أمكن أن يربط بين هذا النشاط والنشاط الذى اشتد فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، والذى كان من أثره أن أنشئت بعض المراكز الإسلامية فى عواصم بعض الدول الكبرى : كالمركز الإسلامى فى لندن ، والمركز الإسلامى فى واشنطون ، وقد أخذت الدعايات السياسية حينذاك تمتدح هذا العمل وتعنى بابرازه ، وببيان الفائدة منه فى ربط الشعوب ، واستلال الإحن والبغضاء من قلوبها ، لتعيش متضامنة متعاونة فى ظلال المحبة والسلام .

وإن المسلم الواعى ليعلم مقدار ما فى هذه الغيرة من صدق ، وما تنطوى عليه من أهداف ، ويقرأ ويسمع فيبتسم ثم يضحك ، وقد يغلبه الشعور بالعجب فيقهقه ملء شدقيه عجبا وسخرية من هؤلاء الذين يقيمون أنفسهم مقام الواعظين المرشدين ، أو مقام الأوصياء الأمناء على الشعوب الإسلامية يعنيهم أمرها وتهمهم شئونها ، نعم يقهقه ملء شدقيه من هؤلاء الذين يخادعون الناس وما يخدعون إلا أنفسهم وكأنهم لا يشعرون . ويتساءل أحقا ما يدعيه هؤلاء وأولئك من الغيرة على الإسلام ، والاهتمام بشئون المسلمين والعناية بأحوالهم ، وإذا كان ذلك حقا فمن هو الذى تألب على الشعوب الإسلامية وسلبها عزها ومجدها وأمعن فى إذلالها وتوهينها ، واستعمل أدنأ الوسائل وأخسها للوصول إلى هذه الأهداف ، وشنها حربا صليبية امتدت من أقدم العصور إلى الآن ، وما تزال

مستعرة النيران فى قلوب الكتل الشرقية والغربية ، ما تخمد إلا ريثما تشتعل ، وما تزال الشعوب الإسلامية تصطلى بتلك النيران فى الشمال والجنوب وفى الشرق والغرب ، وما تزال بعض الدول التى تتشدق بمبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية تمعن فى الشعوب الإسلامية تقتيلا وإذلالا وإبادة ، وماتزال أيديها ملطخة بدماء الأبرياء فى فلسطين والجزائر ومصر واليمن وغيرها لأسباب أصحها عند البحث والتمحيص هو التعصب على الإسلام ومحاولة النيل منه ، أو القضاء عليه لو أمكن ومعاذ الله ، ولا يخفى ذلك على المسلمين بعد طول التجارب وتكرار المحن .

لقد استيقظت الشعوب الإسلامية واستفاقت ، ونبهتها الحوادث والكوارث إلى الأخطار التى تكتنفها ، واستنار وعيها وصار فى طوقها أن تميز بين أعدائها وأصدقائها ، وتعرف مكان المصلحة أو المضرة فيمن تعاديه أو تصافيه ، وتزن هذه الدعايات التى تأخذ أسماعها وأبصارها من الصحف ومحطات الإذاعة فى الشرق والغرب بميزان المصلحة والواقع ، وتستكنه ما فيها من حق وما تنطوى عليه من خداع وتضليل .

ليست الشعوب الإسلامية من الحماقة والغفلة بحيث تصدق أن الكتل السياسية الشرقية أو الغربية يعنيها أمر الإسلام ، والحرص على عقائده ونظمه ، وتعنيها رفاهية الشعوب الإسلامية ورخاؤها ، فتستجيب لتلك الدعاوى وتؤمن بحسن نيات القائمين بها ، ولكنها تفهم حق الفهم ماذا يراد من تلك الدعاوى ، وما هى الأهداف الحقيقية التى تكمن وراءها ، تعلم الشعوب الإسلامية أن التظاهر بالغيرة على الإسلام وشعوب المسلمين إنما هى لأغراض سياسية بحتة توحى بها الظروف والأحداث قصد اجتذابها إلى ناحية معينة ؛ وربطها بمعسكر خاص . وهى لهذا تتوقف وتتوقف طويلا لتزن تلك الدعاوى وتسير فى سبيل لا حب من مصلحتها الدينية والقومية .

إن من المدهش أن تتحدث بعض الألسنة والأقلام عن الخطر على العقائد الإسلامية ، والأخلاق الإسلامية ، وتدعو فى إلحاح إلى الوقاية من هذا الخطر وتفادى عواقبه ، وتركز اهتمامها فى الشعوب الإسلامية ، وكأنما هذا الخطر لم يتهدد إلا هذه الشعوب ، أما من عداها من الشعوب فقد استقامت أحوالها وسلمت عقائدها وصحت أخلاقها واستمكن بناؤها الاجتماعى ، فلا تشكو زيغا فى عقائدها ولا اضطرابا فى أخلاقها ولا قلقا فى اجتماعياتها .

من المدهش أن تتحدث بعض الألسنة والأقلام عن الشعوب الإسلامية وتغض عن شعوب قد اختل فيها كل شيء وصارت إلى حال خير منها الجاهلية الأولى . أفلا تستحق تلك الشعوب من أولئك الدعاة شيئا من العناية ؟ أم أن مصلحة شعوبهم أهون عليهم من مصالح الشعوب الإسلامية ؟

أيها المشفقون على الشعوب الإسلامية ، عليكم أنفسكم وشعوبكم : عظوها أولا وطهروها من أدران الحقد على الإسلام والمسلمين ، وفكوا أغلالها من قيود التعصب ، وبشروها - وهى المسيحية - بما بشر به رسول المسيحية من تسامح ومحبة وسلام ، وارحضوها من عار التوحش والبربرية وسفك دماء الأبرياء المجاهدين فى سبيل حرياتهم وعقائدهم ، ودون ديارهم وأموالهم ، وطالبوها بالكف عن الدسائس والمؤامرات ؛ وبث بذور التفرقة بين الأمم والجماعات ، عليكم بها وجدوا واجتهدوا وإنه لميدان فسيح للجد والاجتهاد ، فاذا أفلحتم فى ذلك واعترفتم للشعوب بحقوقها فى حرياتها وأموالها وبلادها ، وبقى لكم فضل من نشاط فابذلوه فى العناية باصلاح الشعوب الإسلامية وإنهاضها والأخذ بأيديها .

أما أن تكون الشعوب الإسلامية عرضة للفتك والتدمير والإبادة من الدول الكبرى وأذنابها ، ثم يقوم من بنيها نفر بالدعوة إلى العناية بها والأخذ فى إنهاضها فذلك هو الخداع والتضليل ، والنفاق الذى لم يعد يجوز عليها بعد ما تجرعت من غصصه وبلت من مره ، ومحال أن تؤمن به أو تنخدع بزخرفه .

إن الشعوب الإسلامية بلغت رشدها وحطمت قيود الذل والاستعباد ، وأمسكت زمام أمورها وأخذت توجهه أينما كانت مصلحتها لا تعنيها مذاهب الشرق أو الغرب إلا بمقدار ما يتفق وتلك المصلحة . وقد يرضيها من الدول الكبرى ويصلح ذات بينها ويعيد إليها بعض الثقة أن تكف أيديها عنها ولا تظاهر أعداءها ، عليها ولا تقحم أنفسها فى شئونها ، ولا تختلق المعاذير للاعتداء عليها وانتقاص حقوقها ، أما أن ترى الشعوب الإسلامية بأعينها غير ما تسمع بآذانها ، ويكذب أفعال الدول الكبرى أقوالها فهذا هو الكذب والنفاق والخداع والتضليل ؟؟

أبو الوفا المراغى

لبيك اللهم لبيك

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

بهذا النشيد الإلهى الحبيب إلى النفوس المؤمنة ، وبهذه الكلمات المشرقة العذاب التى هى رمز التوحيد والإيمان ، وعنوان الخضوع والإذعان ، والاعتراف بالجميل والإنعام ، يرفع الحجاج أصواتهم مسلمين وجوههم لله ومقبلين عليه ، يحدوهم الرجاء فى عفو الله ومغفرته ، ويحثهم الشوق إلى زيارة هاتيك البقاع المقدسه التى فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس ، وزمزم العين الثرة المباركة ، ومقام إبراهيم عليه السلام الذى يشهد لله بالقدرة والجلال ، ولإبراهيم بالإخلاص والامتثال .

وقد شاء المشرع الحكيم أن يكون الإهلال بالحج والعمرة بهذه الصيغة المأثورة ، ليكون إيذانا من الحاج والمعتمر بنبذ الشرك وعبادة كل ما سوى الله من حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان أو إنسان ، وتخصيص العبادة بالله الواحد القهار ، وإقرارا من المسلم بأن قصد بقاع شرفها الله ودعا لزيارتها على لسان أنبيائه ورسله ليس من الشرك ولا من الوثنية فى شىء ، وإنما هو امتثال لأمر الله ، فهو الآمر الحكيم المتصرف كما يشاء . فلا تعظيم إلا لما عظمه الله ، والحلال هو ما أحله الله والحرام هو ما حرمه الله ، وليسا بالعقل ولا بالتشهى واتباع الأهواء .

وفى رفع الصوت بهذا التوحيد الخالص إزالة لكل اشتباه ، واحتراس بالغ لأى إيهام قد يتطرق إلى بعض الأذهان . وكأنى بك أيها المسلم ترغب فى معرفة صيغة ومعنى هذه التلبية التى يرفع أصواتهم بها الآلاف المؤلفة من المسلمين حين يقصدون إلى بيت الله الحرام محرمين بحج أو عمرة ، وإليك البيان :

« صيغة التلبية » : فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بهذه الصيغة : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ،

إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وهذا القدر هو الذى اتفق عليه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وكثير من أصحاب السنن المعتمدة ، لذلك رأى بعض الأئمة الاقتصار فى التلبية على هذا القدر الذى اتفقت عليه غالب الروايات الثابتة ، وذهب البعض الآخر إلى جواز الزيادة وقالوا لابأس بها من غير استحباب أو كراهة ، واستدلوا بما روى عن بعض الصحابة من زيادتهم بعض العبارات على هذا ، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه وفيه : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يهل باهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات ويقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير فى يديك ، لبيك والرغباء إليك والعمل » .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقتدى بأبيه الفاروق ويزيد هذه الزيادة ، ففى صحيح مسلم من رواية نافع عن عبد الله بن عمر أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك . قال : وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يزيد فيها : لبيك لبيك وسعديك ، والخير بيديك ، والرغباء إليك والعمل . وقد وردت هذه الزيادة أيضا فى مسند الإمام أحمد . ومما يشهد للزيادة أيضا ما رواه النسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه والحاكم عن أبى هريرة قال « كان من تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك إله الحق لبيك » وروى أن أنسا رضى الله عنه كان يزيد « لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا » . وهكذا نرى أن الزيادة على المتفق عليه من المأثور عن النبي أو الصحابة لا بأس منها .

معنى التلبية :

« لبيك اللهم لبيك » لبيك مصدر مثنى وهو ما عليه إمام العربية سيبويه ، وتبعه على ذلك جماعة من أئمة اللغويين . والتثنية هنا غير حقيقية . والمراد بهذا التعبير وما شاكله التكثير أو المبالغة فى الإجابة ، ومثل هذا قولهم حنانيك أى تحننا بعد تحنن . والمعنى أجيبك يارب إجابة بعد إجابة، وأسعى فى طلب مرضاتك سعيا بعد سعى ، وقيل فى معنى هذه الفقرة : اتجاهى وقصدى إليك يا الله . وقيل : أنا مقيم على طاعتك لا أبرح عنها . وقيل : إخلاصى لك [١] ، والأولى والأظهر هو المعنى الأول ، لأن استعمال « لبيك »

---

(١) فى القاموس [ألب : أقام كلب . ومنه « لبيك » أى أنا مقيم على طاعتك إلبابا بعد إلباب وإجابة بعد إجابة . أو معناه اتجاهى وقصدى لك . من دارى تلب داره أى تواجهها . أو معناه محبتى لك ، من امرأة لبة أى محبة ، أو معناه إخلاصى لك من حب لباب أى خالص] .

فى الإجابة أمر معروف، ولأن الملبي مجيب داعى الله سبحانه وتعالى ، وهو الخليل إبراهيم عليه السلام ، يوم أن فرغ من بناء الكعبة وأمره الله سبحانه أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقد روى عن ابن عباس بإسناد قوى قال : « لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له : أذن فى الناس . قال : رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ . فنادى إبراهيم : يا أيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه من بين السماء والأرض ، ألا ترى أن الناس يجيبون من أقصى الأرض يلبون » . وفى رواية عنه « فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء » .

وفى اختيار هذا اللفظ الدال على هذا المعنى الكريم تنبيه على تكريم الله سبحانه لعباده المستجيبين له وإشعارهم بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه ، فهم ضيوفه وزواره ، وحق على المضيف أن يكرم ضيوفه وزواره .

« لبيك لاشريك لك لبيك » إقرار بالوحدانية ، ونفى للشريك وماعسى أن يتوهم ، فنحن وإن كنا جئنا قاصدين تعظيم بيتك وأداء مناسكك ، فما عظمنا إلا ما أمرتنا بتعظيمه ، وقلوبنا عامرة بتوحيدك ، وألسنتنا لاهجة بنفى كل شريك لك ، وكيف لا وآثارك الدالة على وحدانيتك فى الأنفس والآفاق متكاثرة ، وفى كل شىء لك آية تدل على أنك الواحد الأحد الفرد الصمد .

وكان أهل الجاهلية يلبسون الحق بالباطل ، وينقضون التوحيد بالإشراك فيقولون : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، ملكته وما ملك » فأبطل الإسلام هذه الزيادة الكافرة ، وأبقى الحق المأثور من لدن الخليل عليه السلام .

« إن الحمد والنعمة لك والملك » روى لفظ ان بكسر الهمزة وفتحها ، فالكسر على أنه كلام مستأنف ، والفتح على أنه تعليل لما قبله . والذى عليه جمهور العلماء ترجيح الكسر ، لأنه يقتضى أن تكون الإجابة لله سبحانه غير معللة بعلة ، وأن الحمد لله على كل حال . ولفظ « الملك » يجوز فيه النصب على العطف ، أو الرفع على أنه مبتدأ ، والخبر مقدر ، أى والملك لك : وكأن الحاج أو المعتمر يقول : إنا نجيبك يا ربنا ونسعى إليك وندوم على طاعتك وكيف لا ؟ وأنت لك الحمد فى السموات والأرضين ، ولك الحمد فى الأولى والآخرة ، ولك الحمد لأنك متصف بكل كمال وجلال ، ولك الحمد لأنك مولى

النعم ومعطيها ، وما من نعمة من النعم الظاهرة والباطنة والجليلة والعظيمة إلا وهى منك ومردها إليك ، ونعمك يارب لاتعد ولا تحصى ، وكيف تحصى نعمك ؟ وما من إنسان يتنفس إلا ولك ياربنا فى كل نفس نعم ومنن ، وما من نعمة من نعمك إلا ولك فيها حق الشكر علينا ، ومهما شكرنا فنحن عاجزون عن الوفاء ، فكيف لانجد فى السعى إليك ، ونرفع أصواتنا بتوحيدك والثناء عليك ، وأنت مالك الملك والمتصرف فى الكون كما تشاء ، تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . وما أجمل أن نكرر فى هذا الموقف شعار التوحيد ، وأن تترطب ألسنتنا بقولنا : « لاشريك لك » .

« لبيك وسعديك » أى إسعادا لك بعد إسعاد ، ومسارعة فى طاعتك وطلب رضاك بعد مسارعة .

« والخير بيديك » فكل خير فهو منك و بتوفيقك وفضلك ، ومهما يكن من خير فمرده إليك ، وفى تعريف الخير بالألف واللام والاقتصار عليه فى هذا المقام حسن وأى حسن !

« والرغباء إليك والعمل » روى الرغباء بفتح الراء والمد ، وبضم الراء والقصر أى الرّغبى . والمعنى : الضراعة والمسألة إنما هى إليك يا ألله ، فأنت المقصود فى الحوائج ، وأنت الحقيق بالإجابة ، وأنت المقصود بما نعمل من طاعات . فتقبل منا أعمالنا ، وارحم ضراعتنا ، وأجب سؤلنا ، واغفر لنا ماقدمنا وما أخرنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

هذه هى التلبية وهذا هو معناها . فعليك أيها المسلم أن تستشعر هذه المعانى وأنت تلبي رافعا صوتك بها ، وأن تملأ قلبك بها ، فخير الذكر ما كان مفهوم المعنى نابعا من أعماق القلب ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

فتح مكة

في شهر رمضان المبارك من العام الثامن لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحت مكة ودانت للمسلمين ، وطهرت من أوثان الكفار ، ودالت بفتحها دولة الشرك والمشركين ، وتتابع الناس بعدذلك أفرادا وجماعات يدخلون فى دين الله أفواجا . فكان فتحها أعظم ما فتح الله به على المسلمين . وقد من الله تعالى على رسوله بفتحها إذ يقول : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » . ذلك بأن مكة لم تكن بلدا كسائر البلاد ، فقد كانت أعظم المدن فى بلاد العرب وأقدسها على الإطلاق . فيها الكعبة ، بنية أبينا إبراهيم عليه السلام الذى كانت تحج إليه كل قبائل العرب على اختلافها ، والتى كانت تضم فى الجاهلية أكبر مجموعة من أصنام القبائل المختلفة . وكانت لقد استها حرما آمنا فى الجاهلية ، لا يستبيح فيها العرب حربا أو قتالا . وعليها قامت شهرة قريش بين قبائل العرب . وقد زاد فى هذه الشهرة ، وأعان على إقرارها فى أذهان الناس ما كان من محاولة أبرهة صاحب الفيل هدمها ورجوعه عن ذلك خائبا ، وتشتت جيشه ، وهلاك أصحابه . وقد جعلت لها هذه المكانة الدينية أولا ، ثم توسطها بين طريق الشام واليمن ثانيا ، شهرة تجارية كبيرة تزعمتها قريش ، فقامت فيها وفيما حولها أكبر أسواق العرب فى الجاهلية ، مثل عكاظ بين نخلة والطائف ، وذى المجاز بجانب عرفه ، والمجنة بمر الظهران . وقد كانت هذه المكانة الدينية والتجارية هى السبب الأول فى امتناعها على الإسلام ، وفى تشبث قريش بأن تحتفظ بوضعها القديم ولا تغيره ، حرصا على مكانتها الدينية والتجارية ، التى قد تتعرض للزوال والاضمحلال ، بدخولها فى الدين الجديد الذى لا يعرف عنه العرب شيئا . فمقاومة قريش للدين الجديد كانت فى حقيقة الأمر دفاعا عن مكانتهم الأدبية وعن كيانهم الاقتصادى .

وقد يبدو للمتأمل فى السيرة أن التفكير فى غزو مكة قد بدأ منذ اضطر النبى صلى الله عليه وسلم إلى تركها والهجرة إلى يثرب ، وأن كفاح المسلمين وقتالهم الذى سبق هذا الغزو لم يكن إلا مقدمات تمهد لذلك الفتح الكبير .

أذن للرسول أن يرحل عن مكة حين ضاق بها و بأهلها إلى مكان يأمن فيه على دعوته وعلى أصحابه . وفى هذا المكان الجديد ، و بين الأنصار الذين أخلصوا له ، أخذت الدعوة سبيلها إلى الانتشار ، تدبرها — بعون الله وتوفيقه — مقدرة سياسية وحربية عجيبة ، لا تتاح إلا لمن اصطفاه الله وشرفه بحمل عبء أكرم الدعوات وخاتمة الرسالات .

كان همه الأول — صلوات الله وسلامه عليه — أن يوحد صفوف حزبه ويجعل منهم كتلة متماسكة . فهو يؤاخى بين المهاجرين والأنصار ، وينهى عن العصبية ، ويصلح بين الأوس والخزرج ، فيزيل آثار الثارات والعداوات .

وكانت السياسة التى تحراها أن لايحارب عدوين فى وقت واحد ، أو بتعبير آخر — حسب اصطلاحنا الحديث — أن لايحارب فى جبهتين .

كانت قريش هى عدوه الأول ، ومكة هدفه الأسمى . ولكنه لم يستطع أن يولى وجهه شطر مكة وو راءه اليهود فى المدينة ، بحصونهم المنيعة ، وأموالهم الكثيرة ، وعدتهم الضخمة . فلم يكن بد إذن من أن يهادن اليهود أو يهادن قريشا . أما قريش فلم يكن إلى مهادنتها من سبيل . على أن من المجازفة أن تعلن الحرب على قوة كبيرة كاليهود تساكنه فى مدينة واحدة . ولذلك فهو يختار مهادنة اليهود ، ثم يتخلص منهم دفعة دفعة ، كلما نقض فريق منهم عهده أجلاه عن المدينة — وما أكثر ما ينقض اليهود العهود — أجلى فريقا منهم فى السنة الثانية للهجرة بعد واقعة بدر — وهم بنو قينقاع — أجلاهم إلى أذرعات بالشام . ثم أجلى فريقا آخر فى السنة الرابعة للهجرة — وهم بنو النضير — أجلاهم إلى خيبر . ثم أفنى البقية الباقية منهم بعد أن حاصرهم فى العام الخامس للهجرة — وهم بنو قريظة — بعد ما كان من كيدهم للمسلمين وائتمارهم بهم وهم محاصرون بعدوهم فى غزوة الخندق .

ومنذ السنة الثانية للهجرة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يناوش قريشا ويعكر عليها أمنها وطمأنينتها ، ويفسد عليها تجارتها وهى أكبر ما تعتز به ، حتى اضطرت بعد (بدر) أن تغير طريقها التجارى المعتاد وتسلك طريق العراق ، مستعينة ببعض رجال بكر بن وائل ليدلوهم على الطريق .

ففى السنة الثانية للهجرة خرج الرسول إلى قريش فى ودّان وفى بواط وفى العشيرة ، ولكنه لم يلتحم بهم . ثم التحم بهم فى هذا العام فى سفوان ثم فى بدر .

وفى السنة الثالثة التحم بهم فى أحد . وفى السنة الخامسة حاولت قريش غزو المدينة فى واقعة الخندق بتحريض من يهود بنى قريظة . وفى السنة السادسة وصل النبى إلى حدود مكة ، وعاد بصلح الحديبية . وفى العشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة فتح الله مكة على رسول الله ، فدخلها فى جيوش المسلمين الجرارة التى بلغت اثنى عشر ألفا ، فى كتيبته الخضراء ، على ناقته « القصواء » ، وهو معتجر بشقة برد أسود ، وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤه أسود ، وقد طأطأ رأسه فوق ناقته حتى إن لحيته لتمس واسطة الرحل أو تقرب منه ، تواضعا لله تعالى ، حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ، حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس فقال : العيش عيش الآخرة .

وقد كانت « الحديبية » هى أول محاولة جدية لغزو مكة . والواقع أن النبى لم يخرج فى هذه المرة غازيا كما فهم كثير من صحابته فى ذلك الوقت . ولكنه أراد أن يعجم عود عدوه قبل أن يندفع إليها فاتحا مهاجما ، وأن يختبر قوته وقوة خصومه ، وأن يتحسس موضع قدمه قبل أن يخطو ، وأن يفزع عدو الله وعدوه ويلقى الرعب فى قلوبهم . ولذلك فهو يذيع بين أصحابه ويعلن لأعدائه أنه لم يخرج إلا معتمرا . ويقرر أنه لا يريد حربا ، وأنه لم يأت إلا زائرا للبيت معظما له . وهو يخرج مع أصحابه ليس معهم إلا السيوف فى القرب – وهى سلاح المسافر لا سلاح المحارب – يقول له عمر بن الخطاب وسعد ابن عبادة : لو حملنا يارسول الله السلاح معنا ، فان رأينا من القوم ريبا كنا له معدين ! فيجيبهما عليه الصلاة والسلام : لست أحب حمل السلاح معتمرا . ثم إنه يخرج مقدما الهدى بين يديه ، حتى إذا انبعثت به ناقته « القصواء » من باب مسجد المدينة مستقبلة القبلة أحرم فلبى . « لبيك اللهم لبيك : لبيك لاشريك لك . لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . » فيحرم عامة الناس باحرامه .

لم يخرج النبى إذا غازيا فى هذه المرة . ولكنه كان قد رأى فى نومه أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ مفتاح الكعبة وعرّف مع المعرفين ، فخرج أصحابه معه فى نحو ألف وثلاثمائة أو يزيدون قليلا وهم لا يشكون فى الفتح ، تأويلا لرؤيا النبى . ومن هنا كانت صدمتهم الفاجعة حين رأوا ما انتهى إليه الأمر من رجوعهم عامهم لم يدخلوا مكة ولم يطوفوا بالبيت ، حتى دخلهم أمر عظيم كادوا يهلكون منه . وهذا هو عمر رضى الله عنه يثب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اتفق على الصلح ، ولم يبق إلا الكتاب ،

فيقول له : يا رسول الله . ألسنا بالمسلمين ؟ فيقول النبي : بلى . فيقول عمر : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فيجيبه النبي : أنا عبد الله ورسوله . ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني . فيذهب عمر إلى أبي بكر فيقول له : ألسنا بالمسلمين ؟ فيقول : بلى . فيقول عمر : فلم نعطى الدنية فى ديننا ؟ فيقول له الصديق رضى الله عنه وأرضاه : الزم غرزه - يعنى اعتلق به وأمسكه ، أى اتبع قوله ولا تخالفه - فانى أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله . وجعل عمر يردد على رسول الله الكلام وهو يقول : أنا رسوله ولن يضيعني ، ويردد ذلك . فقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك . فجعل عمر رضى الله عنه يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حينا . ثم إن الرسول يدعو الناس بعد أن كتب كتاب الصلح إلى أن ينحروا ويخرجوا من إحرامهم ثلاث مرات ، فلا يجيبونه ، وهم ينظرون إليه ذاهلين عن أنفسهم ، حتى يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فينطلقون إلى الاقتداء به ، وكأنهم لم يكونوا يسمعونه .

بمثل هذا الوجوم تلقى الصحابة صلح الحديبية ، ولم يكونوا يرون فيه خيرا . ولكن الواقع أن صلح الحديبية كان خيرا كله ، وأنه كان أعظم ما فتح الله به على المسلمين منذ دعا الرسول إلى دعوته حتى ذلك الوقت . ولكن الناس لم يكونوا يعلمون ، وكان الله ورسوله أعلم .

لننظر إذن فى شروط هذا الصلح :

١ — أول هذه الشروط أن يرجع النبي من عامه فلا يدخل مكة . فاذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا ، معهم سلاح الراكب - السيوف فى القرب (١) - بعد أن تخرج منها قريش .

٢ — والشرط الثانى أن توضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٣ — والشرط الثالث أن من أتى محمدا من غير إذن وليه رده عليه . ومن جاء قريشا ممن هو مع محمد لم يردّوه .

---

[١] القرب جمع قراب (بكسر القاف) وهو وعاء يكون فيه السيف بغمده وحمالته .

٤ — والشرط الرابع أن من أراد أن يدخل فى عقد محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهد دهم خل فيه .

وأول ما فى هذا الصلح أن فيه اعترافا صريحا بالدولة الإسلامية الناشئة . وهو بعد هذا خير كله لمن تأمله متدبرا .

فالشرط الأول يضمن للمسلمين دخول مكة فى العام القادم ، يقيمون فيها ثلاثة أيام وقد خرج عنها أهلها . أى نصر هذا ؟! أهل مكة يخرجون عنها ليدخلها المسلمون للمرة الأولى فيحتلونها ثلاثة أيام . وفى ذلك مافيه من إذلال الكفار ومن إفزاعهم وإقلاقهم وزعزعة نفوسهم . وقد دخلها المسلمون — إنفاذا لهذا الشرط — فى عامهم التالى ، يحملون السلاح ، فيها البيض [١] والدروع وفيها مائة فرس . لم يدخلوا بها مكة ، ولكنهم حملوها معهم ليظهروا قريشا على قوتهم ويرهبوهم . ويقول النبي لأصحابه عند الكعبة : رحم الله امرءا أراهم اليوم قوة . فيطوف صلى الله عليه وسلم وهو مضطبع بثوبه (قد أخرجه من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر) يهرول هو والمسلمون فى الثلاثة الأشواط الأولى. وهذا هو بلال يؤذن للظهر من فوق ظهر الكعبة ، فيقول عكرمة بن أبى جهل حين يسمعه لقد أكرم الله أبا الحكم (يعنى أباه) ، لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . ويقول صفوان ابن أمية وخالد بن أسيد مثل ذلك . ويغطى سهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم مما يسمعون . فهل هناك إذلال للمشركين أكثر من ذلك .

أما الشرط الثانى فهو يضمن للرسول صلى الله عليه وسلم سلما طويلا يتفرغ فيه لنشر الدعوة على نطاق واسع ، وقد أمن طريق المسلمين يذهبون حيث يشاءون ، وقد استطاع الرسول عقب الهدنة مباشرة أن يبعث بكتبه إلى ملوك الأرض يدعوهم للاسلام . فأسلم فى الهدنة أكثر ممن أسلم من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية . ثم إنه لم يكن من صواب الرأى أن يغزو مكة ، ومن ورائه يهود خيبر ، الذين أجلاهم عن المدينة ، فبنوا فى خيبر الحصون ، وظلوا يتربصون به الدوائر . وقد هادن النبي اليهود أولا ليفرغ لمكة . وها هوذا اليوم يهادن مكة ليفرغ لليهود . وقد استطاع الرسول فى العام التالى للهدنة أن يفتح حصونهم ويستولى عليها . وبذلك أمن ظهره وكفى كيدهم ، واستطاع أن يتفرغ لفتح مكة ، متقويا بما وقع فى يده من غنائم حصون خيبر الكثيرة ، من سلاح وحلى وغذاء وكساء .

---

[١] البيض جمع بيضة وهى غطاء للرأس يقرب مما نسميه الآن [الخوذة] .

أما الشرط الثالث ففى ظاهره إذلال للمسلمين ، لأنهم يردون إلى قريش من جاء إليهم مسلما بغير إذنهم ؛ أما هم فلا يردون عليهم من جاءهم من المسلمين . والحقيقة أن هذا الشرط خير كله للمسلمين وشر كله على قريش ، فما حاجة النبى إلى المسلم الذى يرتد عن إسلامه ويريد قريشا ؟ أليست عودة مثل هـذا المنافق إلى قريش خيرا من بقائه بين المسلمين ، يفت فى عضدهم ويطلع على عوراتهم ؟ ثم ماذا يضير المسلمين فى أن يردوا مسلما من قريش إليهم يقيم بين أظهرهم ، فيكون ظهيرا للمسلمين عند الغزو ، ويكون عونا لهم ، أو (طابورا خامسا) كما نسميه اليوم ؟ .

أما الشرط الرابع فقد مكن للنبى أن يتخذ لنفسه حلفاء من أهل مكة نفسها ، إذ دخلت خزاعة فى حلفه ، فكانوا عينا له فى مكة ، يطلعونه على دخيلة القوم ويدلونه على عوراتهم ، وبذلك أصبحت مكة وفيها فريق يظاهر النبى ، ليس فيها سر يخفى عليـه ، وأصبحت المدينة يدا واحدة كل أهلها من المسلمين المخلصين لله ولرسوله .

فى صلح الحديبية ظهر بعد نظر النبى صلوات الله وسلامه عليـه ، وظهرت رباطة جأشه ، وأناته ، وحلمه ؛ لم تستفزه فظاظة المشركين وسوء أدبهم ، ولم تصرفه عن وجهه . فهذا سهيل بن عمرو يضرب ابنه أمام رسول الله لإسلامه ، وابنه «أبو جندل» يستغيث قائلا : يا معشر المسلمين . أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ والمسلمون يبكون لكلامه ، والرسول يسأل أباه أن يتركه ، فيحلف أن لا يتركه . فيسأله أن يجيره من العذاب ، فيأبى . ويسلمه الرسول لأبيه قائلا : اصبر واحتسب ، وعمر يتعجب ويعانى فى نفسه من ذلك عناء شديدا ، حتى لقد امتحن فى إيمانه امتحانا قاسيا ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يملك نفسه ، ويمضى لما هدى إليه من إتمام هـذا الكتاب الذى غاب عن المسلمين ما فيه من خير كثير ولم يغب عنه . فاذا هموا بالكتاب أملى النبى على على بن أبى طالب قائلا : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » قال له سهيل (ممثل أهل مكة) : لا أعرف الرحمن . اكتب ما نكتب « باسمك اللهم » ، فيضيق المسلمون ويضجون . ولكن النبى يملك نفسه ويقول لعلىّ : اكتب «باسمك اللهم» . فاذا أملى : هذا ما اصطلح عليه محمد رسـول الله ، قال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولاتبعتك . أفترغب عن اسمك واسم أبيك ؟ ويضج المسلمون وترتفع أصواتهم . ولكن النبى يقول : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب .

وهذا هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان يقول بعد ذلك : ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد .

* * *

ولم يمض على صلح الحديبية سنتان حتى نقضته قريش ، فأعانت بعض حلفائها من بنى بكر على حلفاء النبى من بنى خزاعة . فأرسلت خزاعة وفدا إلى الرسول تستعينه وتستنجده ، وأدركت قريش سوء صنيعها ، وقد علمت أن المسلمين قد أصبحوا من القوة بحيث لا تنهض لهم قريش ، فأرسلوا أبا سفيان لاسترضاء النبى وتجديد العهد الذى بينهما . ولكن المسلمين لاذوا عن مطلبه ولم يصرحوا له بشىء ، فعاد إلى مكة لا يعرف حقيقة أمرهم وما انتووه ، حتى فوجئت مكة بجيوش المسلمين الضخمة تطرقها ، فلم يكن لها بد من أن تخضع ، لما رأت من تفوق المسلمين وكثرة عددهم .

ولست أحب أن أتتبع تفاصيل هذه المعركة ، فأدخل فى سرد طويل يعرفه الناس ، ويستطيعون أن يظفروا به فى كتب التاريخ ، فليس فى هذا السرد كبير غناء . ولكنى أحب أن أقف عند بعض المواطن التى قد نتعلم منها ما يفيد .

لم تتجل دقة التنفيذ وبراعته فى شىء كما تجلت فى هذه الاحتياطات المحكمة التى اتخذها الرسول لتأمين سلامة الجيوش والتمهيد لانتصارها يوم الفتح . ولم يتجل الوفاء والكرم والصفح الجميل فى شىء كما تجلى فى صنيع النبى الكريم .

أحاط الرسول غزو مكة بالتكتم التام ، حتى لقد سارت جيوش المسلمين وهى لا تعرف وجهتها بالضبط ، فظان يظن أنه يريد الشام ، وظان يظن ثقيفا ، وظان يظن هوازن .

لما قدم وفد خزاعة على الرسول مستصرخا عزم على إغاثته ، ولكنه كتم عنهم ذلك ولم يصرح بشىء . وقدم أبو سفيان فى عقب وفدهم ، فلقى أبا بكر ، فتحدث إليه فى تجديد الحلف ، فلم يظفر منه بشىء . فانطلق إلى عمر فجبهه بالرد ، وقال : والله لو وجدت الذرّ تقاتلكم لأعنتها عليكم . فانطلق إلى عثمان ، متوسلا إليه بما بينهما من قرابة ورحم ، فلم يجبه إلى شىء . حتى لقى عليا ، فقال له : والله ما أجد لك شيئا أمثل من أن

تقوم فتجير بين الناس ، فانك سيد كنانة . فقام وصاح بين الناس : ألا إنى قد أجرت بين النـاس ، ولا أظن محمدا يخفرنى . ودخل على النبي ، فلم يزد على أن قال له : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ؟ وعاد أبو سفيان لا يعرف : أقبل الرسول إجارته بين الناس ، أم أنه عزم على أمر .

ولا يكاد أبو سفيان يولى قافلا إلى مكة حتى يطلب إلى زوجـه عائشـة أن تجهزه للقتال ، وأن تخفى ذلك فلا تظهر عليه أحدا . ويدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى مشتغلة بتجهيز النبي ، فيقول لها : يا عائشة . أهمّ رسول الله بغزو ؟ فتقول : لا أدرى . فيقول : إن كان همّ بسفر فآذنينا نتهيأ له . فتقول : لا أدرى . لعـله يريد بنى سليم . لعـله يريد ثقيفا . لعله يريد هوازن . فلما استعجمت عليه انطلق إلى رسول الله يسأله ، فأخبره بوجهه ، وطلب منه أن يخفى ذلك .

وأمر النبي بمراقبة الطرق بين الجبال حتى لا تتسرب الأخبار إلى قريش ، ووكل ذلك إلى رجال تحت إمرة عمر بن الخطـاب ، فكان يطوف عليهم قائلا : لا تدعوا أحدا يمر بكم تنـكرونه إلا رددتموه .

وأذن مؤذنو الرسول فيمن حوله من القبائل يقولون : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان فى المدينة . فانثالت على النبى الرجال من مختلف القبائل ، فى سلاحهم وعدتهم وخيولهم ، حتى بلغوا عشرة آلاف أو أكثر من ذلك بمـا لا يتجـاوز اثنى عشر ألفا .

ويحيط النبى جيش المسلمين المجـاهد فى سبيل الله بكل ما يوفر له أسباب النصر ، ويعينه على قهر الشرك وإعلاء كلمة الله . لمـا خرج من المدينة نادى مناديه : من أحب أن يصوم فليصم . ومن أحب أن يفطر فليفطر . وصام هو ، حتى إذا كان بالعرج صب على رأسه ووجهه ماء من شـدة العطش . فلما كان بالـكديد ـ بين الظهر والعصر ـ أخذ إناء من ماء فى يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة . ثم بلغه بعـد ذلك أن قوما صاموا فقال : أولئك العصاة . فلما بلغ الرسول « مر الظهران » أمر أصحابه أمرا صريحا بأن يفطروا ، فقال لهم : إنـكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لـكم .

ويقدم النبى الطليعة من الفرسان أمام الجيش ـ وعملها شبيه بعمل (الطوابير) السريعة التى تتقدم الجيوش الآن ـ فاذا ظفرت هذه الطليعة برجل من هوازن أخـذته واستجوبته علمه عن قريش واستعدادها ، ثم تحبسه حتى تنتهى من الغزو .

وقد كان الرسول يعتمد ـ فيما يعتمد ـ على التهويل والإرجاف بالعدو ومخادعته . فهو إذا قرب من مكة أمر المسلمين أن يوقدوا النيران ، فيوقد المسلمون عشرة آلاف نار . فلما خرج أبو سفيان يتجسس ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رأوا الأبنية والعسكر والنيران (بمر الظهران) وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل ، فأفزعهم ذلك فزعا شديدا ، وظلوا يتعجبون من كثرة عددهم وهم لا يعرفون من أمرهم شيئا . ثم يقبض المسلمون على أبي سفيان ، ويأمر النبي بحبسه حتى تمر جيوش المسلمين ويراها . وتمر به الكتائب على راياتها ، كلما حاذته كتيبة كبرت ثلاثا ، وأبو سفيان يتعجب من كثرتهم وقوتهم . حتى إذا بلغت منه الرهبة وملأ قلبه الرعب أطلقوه إلى مكة ليصيح فى الناس مذعورا : من أغلق بابه فهو آمن . ويقول للذين يريدون المقاومة : رأيت ما لم تروا ، رأيت الرجال والكراع والسلاح . ما لأحد بهذا طاقة . فاذا دخل الرسول مكة طاف بالبيت فى سلاحه يكبر فيكبر المسلمون لتكبيره ، حتى ارتجت مكة تكبيرا . كل هذا والمشركون ينظرون من فوق الجبال ، قد أخذ منهم الفزع وبلغ منهم الرعب كل مبلغ .

ويتجلى الوفاء والعفو والكرم فى كل تصرفات الرسول فى ذلك اليوم . فهو يصفح عن أبي سفيان ، ويتجاوز الصفح إلى أن يحفظ عليه مكانته بين الناس ، إذ ينادى منادى المسلمين : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ولا يزال يعطيه من غنائم حنين حتى يرضى . ينظر إلى النبي بعد (حنين) والفضة بين يديه ، فيقول : يا رسول الله . أصبحت أكثر قريش مالا ، فتبسم عليه الصلاة والسلام . فقال أبو سفيان : أعطني من هذا يا رسول الله . فقال : يا بلال . زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل . فسأل لابنه يزيد ، فأعطاه مثل ذلك . ثم سأل لابنه معاوية ، فأعطاه مثلها . فقال أبو سفيان : إنك لكريم ، فداك أبي وأمى . والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت . فجزاك الله خيرا . وكذلك فعل النبي مع زعماء قريش ورءوسها الذين آذوه بالأمس وأخرجوه من بيته ومن وطنه وهو أحب شيء إليه . بل إنه ليطلب من أصحابه أن يتلطفوا معهم ، فيقول لهم حين أغلق سهيل ابن عمرو عليه بابه وأرسل ابنه يطلب الأمان ، يقول لهم : من لقى سهيل بن عمرو فلا يشد إليه النظر ، فلعمرى إن سهيلا له عقل وشرف . ويقول لهم فى عكرمة بن أبي جهل حين أمنه ، وكان قد هرب إلى اليمن خوف القتل : يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا ، فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى ، ولا يبلغ إليه .

بمثل ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يملك أهل مكة ، وأن يشد بهم أزر الدعوة ، وهم قومه وعصبيته . ولو أنه استجاب لشهوة الغضب والانتقام ـ وحاشاه ـ لفرق قريشا وقسمها ، ولبقيت فى نفوسهم مرارة لا تزول . ولكنه عفا وأحسن فملكهم . وما هو إلا أن أعلن خروجه لهوازن حتى تبعته قريش عن بكرة أبيها وأمدوه بما شاء من مال وسلاح . وتتابعت غزواته وفتوحه ، لا يقف فى سبيله شىء ، حتى دانت له العرب ، وأقبلت وفودهم من كل فج تبايع بالإسلام .

* * *

وبعد ، فلو شاء الله ـ سبحانه ـ لعزز الحق بغير قتال ، ومحق الباطل فلم تقم له دولة ساعة من نهار . ولو كان الله مكرما أحدا بذلك لكان خاتم رسله أحق خلقه بأن يساق له النصر بغير قتال ، ويجمع الناس على دعوته دون أن يتكلف ما تكلف من مشاق . ولكن حكمته السامية الخفيّة ـ سبحانه وتعالى ـ قد اقتضت أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، وأن يجعل فى ذلك خير الناس وعمران الكون . ولو أمن الناس لاستناموا وتواكلوا وتعطلت العقول ، ولو أمنوا لضلوا وطغوا وأعرضوا عن ذكر الله . ولولا مداولة الله بين الناس ودفعه بعضهم ببعض لسلطت على الناس المدنيات الفاسدة ، بعد أن يطغيها الترف الذى تنتهى إليه كل الحضارات ، وإذن لغشى قلوبهم ظلام الكفر وكانوا من الهالكين . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

فى ظل هذا الصراع تهذب المحن النفوس وتصهرها وتصفيها ، ويلجأ الناس إلى ربهم متضرعين ، وتتفجر للعقل الكادح فى سبيل التفوق أسرار الكون وتتفتح مكنوناته ، ويصفو إيمان المؤمنين حتى يبلغ الذروة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ، ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت ، وهو السميع العليم . ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، إن الله لغنى عن العالمين » .

محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى ـ بجامعة الإسكندرية

أدب الاستماع لكتاب الله الكريم

قال الله تعالى : — « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها و إياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فانه سيجيء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم) .

فى شهر رمضان يكثر المسلمون قراءة القرآن والاستماع له ، لأن القرآن الكريم بدأ إنزاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ، ولأن قراءته والاستماع له من أفضل العبادات التى يتقرب بها المسلمون إلى الله سبحانه وتعالى . وكل عبادة لها حكم ومقاصد أرادها الشارع الحكيم ، ولها شروط وآداب أوجب الشارع رعايتها ليصل المسلم بها إلى التقرب من الله وليحقق الحكمة التى أرادها الله ، وقد أرشد الله قارئ القرآن والمستمع له إلى ما يجب أن يراعى فى القراءة والاستماع بقوله سبحانه لرسوله « ورتل القرآن ترتيلا » . والترتيل تبيين الكلمات ، والتأنى فى الأداء ، وإخراج الحروف من مخارجها ، و إيفاؤها حقها من صفاتها اللازمة لها والعارضة كاظهار المظهر ، وإدغام المدغم ، ومد الممدود وقصر المقصور ، وترقيق المرقق ، وتفخيم المفخم ، وما إلى ذلك من القواعد التجويدية ، لأن المراد من قراءة القرآن والاستماع له هو تدبر معانيه وفهم مقاصده ومراميه . وقد سئل الإمام على كرم الله وجهه عن معنى الترتيل فقال « الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » .

والذى يحقق هذا هو حسن الأداء ، وجودة النطق والوقوف على ما تم معناه ، ولم يتعلق بما بعده من غير تكلف ولا تعسف . يقول الشمس بن الجزرى فى هذا المعنى :

مكملا من غير ما تكلف ... باللطف فى النطق بلا تعسف

وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : « لا كسردكم هذا ، لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدها » .

ومما يعين على هذا قوة نبرات الصوت وملاءمة الأصوات الندية لها ، وقد روى أبو داود فى سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « زينوا أصواتكم بالقرآن » وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وليس المراد بتزيين الصوت هو التغنى ومراعاة الألحان الموضوعة لفن النغم ، إنما المراد من تزيين الصوت بالقرآن والتغنى به مراعاة ما تقتضيه معانى الآيات من صوت حزين فى تلاوة

آيات الوعيد والتحذير ، وصوت مستبشر فى آيات الوعد والتبشير ، مما ينبه السامع ويعينه على الفهم والتدبر ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أقرأ الناس فقال : « من إذا قرأ رأيته يخشى الله » وروت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رجلا لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . هذا وقد أرشد الله سبحانه وتعالى المستمع إلى ما يجب عليه بقوله « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » والاستماع هو الإصغاء بالتدبر والتفكر فيما يستمع له ، والإنصات هو الصمت والسكوت حين الاستماع .

أمر الله المسلمين إذا قرئ القرآن أن يصغوا إليه إصغاء المتفكر المتدبر وأن يصمتوا ولا تشغلهم ألسنتهم عما تسمع آذانهم لأنهم باصغائهم وإنصاتهم يفهمون معانى الآيات ويهتدون بهديها فتحيا قلوبهم ، وتصفو نفوسهم ، وتستيقظ مشاعرهم فتقوى حاسة الاعتبار فيهم ، وتكون نفوسهم أهلا لرحمة ربهم وفضله وإحسانه ولهذا قال سبحانه : « لعلكم ترحمون » .

هذه آداب قراءة القرآن الكريم والاستماع له كما بينها الله ورسوله ، وهى الآداب التى تتفق وجلال القرآن وتحقق الغرض من تلاوته والاستماع له .

فالقارئ الذى أنعم الله عليه بنعمة الصوت ، عليه أن يشكر نعمة الله بحسن ترتيل القرآن واستخدام صوته الحسن فى اجتذاب السامعين وترقيق قلوبهم وإيقاظ مشاعرهم ، وعليه أن يستشعر أنه يقرأ كلام الله ، وأن الله يسمعه ويراه ، وأن يستشعر أن خروجه عن حدود الترتيل ليوافق النغم ومبالغته فى التأنق والتكلف ليستزيد إعجاب السامعين تحت تأثير النغمات خضوعا لحكم التطريب . كل هذه آثام لا ترضى الله ورسوله ولا تتفق وجلال القرآن الكريم ، وأنه لا قيمة لرضا الخلق إذا غضب الخالق .

والسامع الذى وفقه الله أن يستمع إلى القرآن عليه أن يصغى ويخشع ويتدبر فيما يسمع ، وعليه أن يستشعر أنه يستمع ليهتدى ويتعظ ويتوب إلى الله لا ليلهو ويطرب ، وأن اشتغاله فى أثناء الاستماع بالكلام هو إعراض عن أفضل ما ينبغى أن يستمع له ويتدبر ما فيه ، والله سبحانه وتعالى لم يقل « فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تطربون » بل قال : « لعلكم ترحمون » .

فلتكن وجهة السامع بالاستماع أن يهتدى بهدى القرآن ، وأما الصخب وتعالى الأصوات للاعجاب والاستحسان والاتجاه إلى مجرد النغم والألحان ، فهذه كلها آثام وغفلة عن أن هذا كلام الله ، وأنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

متولى عبد الله الفقاعى
المدرس بمعهد القراءات

ابن خــــــلدون
وفلسفته الاجتماعية

مقدمة ابن خلدون :

حازت مقـدمة ابن خلدون شهرة عالمية فى تاريخ الاجتماع البشرى ، فهى الأولى من نوعها فى علم الاجتماع . وعلى الرغم من أن ابن خلدون كتب مقدمته فى مدينة فاس فى الأعوام الأربعـة التى قضاها فى العزلة من سنة ٧٧٥ إلى سنة ٧٧٨ هـ ، فاننا لم نعثر على مؤلف آخر أتى بمجموعة من العـلوم كهذه المجموعة الفريدة من حيث تـكوينها ووضعها ، والمقدمة أشبه بدائرة معارف صغيرة أحاطت بكل ما كان يشغل العقل البشرى من العلوم والمعارف فى القرون الوسطى .

استهل ابن خلدون مقدمته بتعريف علم الاجتماع ، وأوضح طبيعة العمران بقوله : « إن الاجتماع الإنسانى ضرورى للأفراد والجماعات مادام الإنسان مدنيا بالطبع » . ثم أردف هذا الاستهلال بالقسم الثـانى ، وقد تكلم فيه عن العصبية ومدى تعريفها ، وحلل فى هذا القسم نفسية الشعوب من النـاحية السيكولوجية ، وأما القسم الثالث فقد تكلم فيه عن معنى الخلافة ، وفى القسم الرابع سرد وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبـه ، وفى القسم الأخير من المقدمة شرح جانبا كبيرا من نظريات الفنون والمعارف .

نقد المقدمة من بعض نواحيها :

عقـد ابن خلدون فى مقدمتـه المشهورة فصولا فى العمران ، قرر فيها أن البداوة طبيعية ، وأن الغـالب على أهل البـدو الشجاعة والقرب من الخير إذا قيسوا إلى أهل الحضر ، ثم خص العرب بطـائفة من هذه الفصول ذهب فيها إلى أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصـبغة دينية ، وأنهم إذا راموا التوسع السـياسى من طريق الحرب فلا يتغلبون إلا على السهول والبسائط دون المواقع الجبلية والقلاع الحصينة ، وأنهم أبعـد الأمم عن سياسة الملك ، وأنهم إذا تقلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب . وأن المبانى التى اختطها العرب أسرع إليها الفناء ، وأن العرب أبعد الناس عن الصناعات .

وردا على ذلك نقول : أما أن العرب أبعد الناس عن سياسة الملك . فهذا أبعد الأشياء عن الحقائق . فالعرب هم الذين شادوا دولة انتظمت ما بين حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا . ومن سفوح جبال القوقاز شمالا إلى السودان جنوبا . وهم الذين ساسوا هذه الدولة ودبروا أمرها زهاء مائتى عام .

أما سياسة الملك ، فقد كان لسياسة عمر بن الخطاب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، والمأمون وغيرهم ، فى إدارة شئون المملكة الإسلامية مع اتساع أطرافها ، ما كان من شأنه أن استقرت قواعد الملك على أسس وطيدة ، ما تزال إلى يومنا مضرب المثل فى السياسة الرشيدة .

استطاع العرب أن يفتحوا فارس والروم والمغرب والأندلس . مع صعوبة مسالكها ووعورة دروبها . وأما دعوى ابن خلدون أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ، فهى دعوى منقوضة من أساسها . بدليل ما اختطه العرب من المدن كالفسطاط وبغداد ، هذا بجانب ما شادوه من المساجد ، كمسجد قرطبة فى الأندلس وجامع دمشق ، وقصور الأمويين الماثلة فى بادية الشام كالمشتى وقصير عمرة ورصافة هشام . أما عزوف العرب عن الحرف ورغبتهم عن الصناعات . فانى أحيل القارئ على ما كتبه العلامة دربير فى كتابه القيم (المنازعة بين العلم والدين) .

أما عدم قدرة العرب على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، فأمر لا نقر ابن خلدون عليه . إذ لولا جمع كلمة العرب أيام الخليفة عمر لما استطاعوا غزو فارس والروم ومصر ، وفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، ولولا جمع كلمتهم أيام صلاح الدين ما استطاعوا القضاء على الصليبيين فى الشام حول بحيرة طبريه .

وفات ابن خلدون أن يذكر أن مبعث جمع كلمة العرب منشؤه الإيمان ، ومن الإيمان نبتت العقيدة ، ومن قوة العقيدة تجمعت وحدة الصفوف ، والذى انتهى بالعرب فى كل مواقفهم الحربية إلى النصر والظفر .

نظريات ابن خلدون الاجتماعية والسياسية :

يمتاز ابن خلدون بنفاذ نظرته وسعة اطلاعه على الشئون الاجتماعية ، وبخاصة فيما يمس النظم الداخلية للدولة . وترجع هذه الخصوصيات فيه إلى استعداده الطبيعى أولا ،

وإلى أنه شغل عدة مناصب سياسية فى تونس ، والأندلس ، ومصر ، هيأته لأن يكون واسع الاطلاع على حياة الشرق ، وصاحب رأى سليم فى السياسة الدولية التى كانت سائدة فى زمانه .

وقد أضاف الأستاذ محمد عبـد الله عنان فصلا فى كتابه عن ابن خلدون وازن فيه بين مكياڤلى السياسى وبين العلامة ابن خلدون . وأوضح سياسـة كل منهما على انفراد . ولـكن الموازنة بين هاتين الشخصيتين بعيدة كل البعد عن متناول البحث . وذلك نظرا للتفاوت الـكبير بين العقليتين من ناحية وإلى استعداد كل منهما من ناحية أخرى . فبينما يدعو مكياڤلى إلى نبذ العهود ، وإلى نكران الشرف تبعا للمصلحة العامة للدولة ، نرى ابن خلدون يدعو إلى إبعاد الشر عن الدولة سالكا طرق الدهاء السياسى . وشتان بين الطريقتين .

وفى المقدمة كلام كثير عن النظام الاجتماعى ، وتقرير القواعد التى بمقتضاها تتكيف أساليب الحكم ، وتقوم عليها أنظمة الحـكومات . وأهمل ابن خلدون وضع قواعد ثابتة وقوانين عامة يسير عليها الرجل السياسى ، ويمكن للدولة تطبيقها فى السياسة الخارجية . بينما نجد فى كتاب الأمير لمكياڤلى أشباه هذه القواعد ، وهـذه القوانين التى يحتاج إليها الدبلوماسى ، وتتزود بهـا الدول فى تنفيذ سياستها وتعزيز سلطانها الخارجى .

تظهر مقدرة الرجل السياسى عادة فى المفاوضات السياسية التى يقوم بهـا فى شبه معاهدات بين دولته والدول الأخرى ، سواء أكانت هـذه المعاهدات تمس السياسة أو الاقتصاد أو التعاون الثقافى . ولمـا كانت الدولة الإسلامية مضطربة اضطرابا شديدا وقت ظهور ابن خـلدون فى مصر نظرا لهجوم التتار على آسيا الصغرى بقيادة تيمورلنك ، اضطرت مصر إلى تعيين ابن خلدون سفيرا لهـا لدى بلاط تيمورلنك فى ذلك الحين ـ وقد جرت محادثات بين القطبين السياسيين أظهر ابن خلدون فى تلك المحادثات السياسية كفاية ونباهة أعلت من قيمته السياسية فى نظر تيمورلنك ، وانتهت المحادثات بجو من الثقة والطمأنينة ، وكانت نتيجتها إبعاد الأذى عن وادى النيل .

ولكن للأسف لانعلم ماهو الحديث السياسى الذى أفضى به ابن خلدون إلى عاهل التتار الغشوم ، وما هى الأساليب التى اتبعها للوصول إلى تحقيق أغراضه ؟ ولكن الذى لاشك فيه ، والذى استطعنا الوقوف عليه ، أنه كانت هنـاك مفاوضات سياسية نهض بعبئها ابن خلدون ، وتناقش فيهـا مناقشة جدية مع الفاتح تيمورلنك . حتى لقد كوفئ ابن خلدون منه بجائزة سنية شهادة منه على حنكته السياسية ومرونته فى أساليب الكلام .

ثقافة ابن خلدون :

الذى يطلع على مقدمة ابن خلدون يحكم لأول وهله أنه كان ملما بضروب المعارف التى كانت موجـودة فى عصره ، وأنه استفاد من التجارب القاسية التى لقيها فى حياته ، ومن التيارات السياسية التى خاض غمراتها أثناء اشتغاله ببلاط الملوك فى أفريقية وبلاد الأندلس وفى مصر .

كل ذلك أعان ابن خلدون على وضع مقدمته النفيسة ، وحسبه منها أن تعتبر أنها إنتاج فى علم الاجتماع .

فلسفة ابن خلدون الاجتماعية :

لابن خلدون فلسفة فى حفظ الاجتماع ، وسلامة الدولة ، وثبات سلطانها ، وتوافر قوتها لصد كل عدوان خارجى . مؤداها العناية بنقاء السـلالة من كل دخيل عليها من الأجناس الأخرى . وهـذا منه غلو فى مذهب العنصريه Racisme وهو مخالف لمبـادئ الحـكمة الإسلامية القـائمة على أن الناس كلهم سواء أبوهم آدم وأمهم حواء ، وأن جميع ضروب الأجناس صالحة للترقى والتكمل ، كما أن جميعها عرضة كذلك للتدلى والتسفل . وأن لاشأن هنا لاختلاف الدماء فى ذلك . وإنمـا المؤثر الحقيقى فى كل ذلك هى المبادئ والعقائد . فاذا كانت سليمة سلم المجتمع من آفات الاجتماع ، وإن كان ذووه من أجناس مختلفة . وأعظم شاهد على ذلك الأمة الإسلامية نفسها التى اختلطت الدماء فيها إلى أقصى حـد بسبب دخول أمم مختلفة فيه كانت لا تجمعها أية جامعة . فقد أسست أمبراطورية لا تغرب عنها الشمس ، ورفعت للمدنية علما لا يزال خفاقا فى أقطار شاسعة من الأرض . فاذا كان قد دب إلى هذه الأمبراطورية الفساد . فانما كان ذلك بسبب استبدالها المبادىء الإسلامية بمبادئ فاسدة اقتبستها من هنا وهناك .

فالعنصرية التى كان يرفع علمها ابن خلدون فى زمنه مبدأ فاسد . وقد ظهر له أشياع غلاة فى هذا العصر فلم يفلحوا فى إقامتها ، وكانت سببا فى إضعاف كيانهم بمـا جلبوه على أنفسهم من الأحقاد والسخائم .

وهـذا الخطأ فى النظر لا يقدح فى علو كعب الرجل فى كل ما تصدى له من الشؤون الاجتماعية الأخرى ، ولقد لقى جزاء عمله بخلود اسمه فى سجل كبار العقول فى الأمة الإسلامية ..

عبد الحميد سامى بيومى

المؤمن الحـــــق

بينا لك أيها القارئ فى مقالنا السابق أن المؤمن الحق من جمع بين أمور خمسة بينها الله سبحانه فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقا » . وحدثناك عن الأمرين الأولين ، وها نحن أولاء نحدثك فى هذا المقال عن الأمور الباقية والله المستعان .

الأمر الثالث من الأمور التى لا بد أن يتصف بها المؤمن ليكون مؤمنا حقا : التوكل على الله عز وجـــل ، وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « وعلى ربهم يتوكلون » . والتوكل على الله الاعتماد عليـه سبحانه فى الشئون كلها وتفويض الأمر إليه والثقة به ثقة لا حد لها ، فلا يرجى إلا هو ولا يؤمل الخـــير إلا منه ولا يخشى سـواه ولا يستعان فى الأعمـال إلا به « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وهو فى الحقيقة مبنى على التوحيد فمن اعتقد أن الله واحد لاشريك له، بيده الخير والشر وهو على كل شىء قدير « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » واعتقد أن محمدا عبده ورسوله هدانا إلى الله وأرشدنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، من اعتقد ذلك فوض الأمر جميعه إلى خالقه ووثق به وتوكل عليــه ، وليس معنى التوكل القعود عن العمل وترك الأسباب واطراح الوسائل والإخلاد إلى الخمول و إلى الراحة والـكسل ، فهذا توكل الجاهلين وليس من التوكل فى شىء ، بل هو تواكل وإهمـال لا يرضاه الله ولا رسوله ولا يرضـاه أى مفـكر عاقل لنفسه ، و إنما التوكل الحق مزاولة الأعمـال واتخاذ وسائلها والاعتماد على الله سبحانه فى نجحها واستثمار ثمرتها . ألا تسمع إلى الله سبحانه يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملـكم ورسوله والمؤمنون » ويقول « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـدا » . وإلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول للرجل الذى جاءه فقال : يا نبى الله أخلى ناقتى وأتوكل على الله أو أعقلها وأتوكل فقال له : بل اعقلها وتوكل على الله ، فقد أمره باتخاذ الأسباب العادية لما أراد .

ويقول عمر رضي الله عنه : إنى لأكره أن يكون الرجل سبهللا ، لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة ، فالتوكل الحق تفويض الأمر كله لله مع مزاولة الأعمال والاحتياط لها والاجتهاد فى إيفائها ما تتطلبه من أسباب لتكمل بها .

هذا وإن فضل التوكل عظيم وأثره حميد ، وحسبنا فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا - أى تسرح فى الغدوة والصباح خميصة البطن خاليتها وترجع آخر النهار مملوءة البطن ، وهكذا من يتوكل على الله يضفى عليه خيره ونعمه ويرزقه من حيث لا يحتسب .

الأمر الرابع : إقامة الصلوات وهو المشار إليه بقوله سبحانه : «الذين يقيمون الصلاة» ومعنى إقامة الصلاة أداؤها فى أوقاتها وتعديل أركانها وحفظها من أن يقع خلل فى فرائضها وسننها وآدابها ، والصلاة وصلة بين العبد وربه يقف فيها العبد بين يديه مقبلا عليه بقلبه خاشعا بجميع جوارحه خاضعا لأمره ، يناجيه ويضرع إليه ويعظمه أتم التعظيم . ألا تراه يدخل أول ما يدخل فى صلاته بقوله (الله أكبر) أى الله أعظم وأجل من كل شىء ، ثم يظل فيها متنقلا من تكبير إلى تسبيح إلى تحميد إلى تهليل حتى يختمها بقوله (السلام عليكم) والسلام اسم من أسمائه تعالى ، ولذلك طلب من المصلى أن يتطهر قبل أن يدخل فى صلاته استعدادا لهذا الموقف العظيم ، وتهيؤا للقيام بأفضل قربة وأعظم طاعة بعد الشهادتين ، فقد ورد : ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم : الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ، وقال عليه الصلاة والسلام : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر .

وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الصلاة لوقتها . وعلى المصلى أن يتم أركانها من ركوع وسجود ويطمئن فيها فلا ينقرها نقر الطائر ولا يستعجل فيها استعجالا قد يؤدى إلى بطلانها ، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى لا يتم ركوعه ولاسجوده فقال له بعد أن أتم صلاته هكذا : (صل فإنك لم تصل) . حصل ذلك منه ثلاث مرات وهو فى كلها يستعجل ، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم كيف يصلى ، وقد ورد أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فان انتقص من فريضته شىء (أى نقصا لا يبطلها) قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع ليكمل به ما انتقص من الفريضة . وقال : أسوأ

الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ـ وقال ابن مسعود رضى الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين ـ وعلى المصلى أن يخشع فى صلاته ويستحضر عظمة ربه وجلاله وهيمنته على خلقه فلا يحدث نفسه بهم من هموم الدنيا ولا بشىء من متاعها ، بل يقبل على الله إقبالا كليا بخشية وتمسكن وتضرع فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه) ورأى سعيد بن المسيب رضى الله عنه رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : لو خشع هذا لخشعت جوارحه . وكان على بن أبى طالب رضى عنه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ، فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ، ويروى عن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فقيل له : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

قال الإمام الغزالى رضى الله عنه : لا بد فى الصلاة لتكون حية غير ميتة من أمور ستة :

١ — حضور القلب وهو أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ، ومتى كان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب .

٢ — التفهم لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع المعنى ، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يستوى الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات ، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر .

٣ — التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب ، إذ الرجل قد يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعانيه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما .

٤ — الهيبة وهى أمر زائد على التعظيم ومتفرعة عليه ، فهى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم والإجلال .

٥ — الرجاء وهو أمر زائد عما سبق ، فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه ويخاف سطوته ، ولكن لا يرجو مثوبته ، والعبد يجب أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل ، كما أنه يخاف بتقصيره عقاب الله سبحانه وتعالى .

٦ — الحياء وهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اه بتصرف . ولا شك أن الصلاة بغير ما ذكر تكون صلاة صورية ليس لصاحبها منها إلا التعب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كم من قائم حظه من صلاته التعب والوصب) .

وبعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ترك صلاة متعمدا فقد برئ بذمة محمد عليه السلام) . ولذلك يرى الإمام أحمد رضي الله عنه تكفير من ترك الصلاة ، أما الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهم فانهم يفرقون بين من تركها كسلا ومن تركها جحدا (أي إنكارا لمشروعيتها) فتاركها كسلا عاص فاسق يستتاب ثلاثة أيام فان تاب وإلا قتل حدا لا كفرا ، ومن تركها جحدا فقد ارتد عن الإسلام والعياذ بالله ، لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، وحكمه أنه يقتل كفرا إلا إذا تاب كما هو مذهب مالك رضي الله عنه ، ومن أجل ذلك كانت الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن فرط فيها ولم يقم بها وهن دينه وضعف يقينه ، نسأل الله أن يوفقنا للمحافظة عليها وأدائها كما ينبغي للمسلم أن يؤديها .

(الأمر الخامس) إنفاق الأموال وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « ومما رزقناهم ينفقون » والمراد الإنفاق في وجوه البر وسبل الخيرات مع طيب القلب وسماحة النفس ، وسواء في ذلك الإنفاق الواجب كالزكاة الواجبة والنفقة على الزوجة والوالدين الفقيرين والأولاد الصغار والإنفاق التطوع كالصدقة الجارية على الفقراء والمساكين ، وهذا باب واسع يدخل فيه كل نفقة أريد بها وجه الله سبحانه وتعالى ، فبناء المساجد إنفاق في سبيل الله وبناء القناطر إنفاق في سبيل الله ، وبناء المستشفيات والملاجئ إنفاق في سبيل الله ، وتجهيز الجيوش بالعدة والعتاد إنفاق في سبيل الله ، وقرى الضيف إنفاق في سبيل الله إلى غير ذلك مما هو بر وسخاء ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : (من أدى الزكاة وقرى الضيف وأدى الأمانة فقد وقى شح نفسه) . أي ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، وبهذا تمت الأمور التي لا بد أن يتصف بها المرء ليكون مؤمنا حقا . ولقائل أن يقول إن الآية الكريمة اقتصرت على خمس خصال ، فهل نفهم من ذلك أن غير ما ذكر فيها لا يشترط في المؤمن الحق فيكون المرء مؤمنا حقا وإن ترك الصوم والحج والجهاد في سبيل الله وغير ذلك ، أو ارتكب بعض المؤثمات مما لم تتعرض له الآية الكريمة بأمر ولا نهي .

ونقول : إن الآية الكريمة بما بينته تضمنت جميع الطاعات وترك جميع المنهيات ، فالمذكور فيها كالعنوان لما سواه ، فان أعمال الإنسان دائرة بين أعمال القلوب وبين أعمال الجوارح ، فالوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة الآيات والتوكل على الله من أعمال القلوب ، فهى عنوان لجميع أعمال القلوب فعلا كالإخلاص ، أو تركا كترك الحقد والحسد ، وإقامة الصلاة والإنفاق من أعمال الجوارح فهى كالعنوان لجميع أفعال الجوارح من حج وغزو وغير ذلك ، وبالجملة فالآية الكريمة تعرضت لجميع الأعمال بما صرحت به وما يتبع ذلك ويلزمه بل بعضه كاف فى ذلك فوجل القلب عند ذكر الله وزيادة الإيمان مما يستدعى القيام بجميع الطاعات ومجانبة جميع الآثام ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذلك تقول الآية الأخرى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا » فهى تلاقى الآية الأولى تماما ، ولكن كل آية عنونت بما يناسب ماسيقت له ، ويؤخذ غيره بطريق المفهوم واللزوم ، فان الايمان والهجرة والجهاد فى سبيل الله وإيواء المهاجرين ونصر النبى صلى الله عليه وسلم ودينه الحنيف كل أولئك يدل أعظم دلالة على المحافظة على الطاعات والبعد عن المعاصى والمؤثمات .

نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة م

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

التسلح . . . والتهيب

المسلمون على جهالة بعضهم	عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها	وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيبلغون مدى العواصف نوما	أم يدركون سنا البروق جلوسا
ليس الذى لبس السلاح كعاجز	جعل التهيب والنكول لبوسا

أحمد محرم

أبو عبيدة فى عهد الشيخين

أبى بكر وعمر

لما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وخلفه أبو بكر رضى الله عنه على شئون الإسلام كان يجتهد جهده أن يحذو حذو النبى صلوات الله وسلامه عليه .

وكان من ذلك أن وضع الناس على منازلهم ، وكان أبو عبيدة أمينا لهذه الأمة كما وصفه الرسول صلوات الله عليه ، فرأى الخليفة أن يجعله على بيت مال المسلمين يحفظه ويباركه ، ويتعهده ويستصلحه .

ولكن الخليفة القائم على إنشاء دولة إسلامية يعوزه الرجال الأبطال الفاتحون والمجاهدون الناجحون من ذوى السابقة المعروفة ، فاذا كانت الأمانة إلى ذلك ، فالثقة الموفورة والفتح الميمون .

وإذا كان أبو بكر قد رشح أبا عبيدة للخلافة كلها – لولا موقف عمر يوم السقيفة وتأثيره فى المسلمين بما أبان من فضل الصديق – فماذا عسى تظن برضاه عنه وترشيحه لكل خطير من شئون الدولة، وكان أهم الشئون عند الصديق قتال الأعداء لحفظ كيان الإسلام .

ولاه الصديق إذا إمرة جيش من الجيوش التى وجهها إلى الشام وأمره أن يقصد حمص ، على أن هناك قوادا آخرين فى جهات أخرى ،ولكن أبا بكر أوصاهم إذا اجتمعوا معا على قتال مشترك أن يجعلوا أمير الجميع أبا عبيدة .

ولما فرغ خالد من الفرس بعد أن أظهر فى قتالها من المهارة وقوة الإيمان ما كان موضع إعجاب المسلمين وعلى رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق أمره الخليفة أن يسير إلى أبى عبيدة لمعاونته على فتح الشام وأمره أن يكون أمير الجماعة وكتب إلى أبى عبيدة بذلك ، فقبل خالد الوضع على استحياء وأدب وفى اعتذار للقائد الأمين ، وأعجب القائد الأمين بما فعل الخليفة وطيب خاطر القائد الجديد بما لا يصدر إلا عن نفوس وهبت نفسها لله وطرحت حظوظ النفس وشهواتها . جعل الله لنا فيهم أسوة صالحة كريمة .

على أن السيد الخليفة يعتذر إلى أبى عبيدة بأن ذلك التصرف لم يكن لأنه لا يفضل أبا عبيدة على خالد ، ولكنه ظن أن له خبرة فى الحرب ليست لأبى عبيدة ـ وهو دأب الكبار الكرام من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعيهم باحسان ، يسعون الناس جميعا بأدبهم وخلقهم وتقديرهم العادل المحسن .

ثم قاد خالد الجيش الذى أصبح أبو عبيدة أحد قواده الموزعين بين أقسامه : فأبو عبيدة على القلب ، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على الميمنة ، ويزيد ابن أبى سفيان على الميسرة .

وفتحت دمشق فتحا عجيبا بعد أن أبلى المسلمون فيها بلاء عظيما واستشهد كثير من الصحابة ، ولكن بعد أن فتكوا بالروم فتكا ، وبعد أن فتحوا بلادا قبل ذلك وهم فى طريقهم إلى دمشق .

قال المؤرخون : إنه فى أثناء فتح دمشق ورد البريد بوفاة الصديق وخلافة الفاروق ، وإن عمر رضى الله عنه عزل خالد عن إمرة الجيش وردها إلى أبى عبيدة ، وكان يعيب على خالد أن فيه تبذيرا للمال لأنه يعطى الشعراء ويعطى المجاهدين فوق ما يستحقون ، وكان عمر أدق منه وأبصر بالأمر . وحاول أن يغير من طريقته فلم يفعل خالد اعتدادا بنفسه . ونحن نطوى هنا كثيرا من تفصيل المؤرخين وخلافهم ، لأن الوقوف عند ذلك جدير أن يطول به مجال القول بما لا متسع له فى هذه المجالات .

على أن موقف كل من خالد وأبى عبيدة بعد ذلك التغيير أيضا من الخليفة الجديد هو موقف النبل الأول والأدب فى كل منهما ، وقد تجلى ذلك فى أن أبا عبيدة رضى الله عنه لم يخبر خالدا بخطاب عمر إلا بعد أن انتهى فتح دمشق ، فلم يكن حريصا على أن ينسب فتح هذا البلد العظيم إليه كما قد يصدر من بعض النفوس التى تعنى بالمظاهر ، على أنه احتفظ لخالد بجوهر القيادة حين قال له : أنت مرجعى والمستشار فى كل ما يعرض لى لا أعصيك ولا أخالفك .

وتجلى النبل والأدب فى قبول هذا المجاهد الفاتح الذى أنقذ الإسلام ، وطار اسمه فى كل مكان ، حتى كاد اسمه يهزم جيش العدو دون قتال ولا محاولة ، وظهر إخلاص خالد فى الجهاد تحت إمرة أبى عبيدة كاخلاصه قائدا عاما وأميرا للجيش ، فقد سار الجيش

متسانداً يوغل فى بلاد الشام ويتوغل فى الفتح . فغزا فحل من أرض الأردن وهزم جيش الروم هزيمة منكرة فقد كان الجيش الرومى يبلغ ثمانين ألفا ولم يفلت منهم إلا الشريد . هذا برغم ما كان من تهديد الروم للمسلمين وزعمهم أنهم أعطوا الله عهداً ألا ينصرفوا عنهم وفيهم عين تطرف ، ولكن الله خيب ظنهم وعكس الأمر عليهم .

وفى حمص عبأ هرقل لهم جيشا جرارا لا يهزم من قلة ، ولكن المسلمين تذرعوا بالإيمان والصبر فانقضوا على الجيش وقتلوا قواده ، ثم تتبعوا أجناده ففتكوا بهم ، ولجأ الباقى منهم إلى الحصون فحاصروهم حتى دوخوهم ، وانتهى الأمر بتسليم الجيش الرومى وكتابة عهد الأمان مع أبى عبيدة . وهكذا ظل أبو عبيدة يفتح بلاد الشام بلداً إثر بلد بعضها بنفسه وبعضها بمن يختاره من كبار المجاهدين ففتحوا مرج الروم وقنسرين وحلب وأنطاكية وبيسان وأجنادين وهكذا ، حتى انتهى الأمر إلى فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة على يد عمر بن الخطاب نفسه كما طلب الروم ذلك .

نقل بعض المؤرخين أن الروم امتنعوا عن فتح باب السور حتى يروا عمر ويجدوا فيه الصفة التى يجدونها فى كتبهم ، فسار عمر إليهم حتى قرب من السور ووقف بإزائه فنظر إليه البطريق وهو خلف السور ثم زعق بأعلى صوته : هذا والله الذى نجد نعته وصفته فى كتبنا ، وهو الذى يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ، فانزلوا إليه ويحكم واعقدوا معه الأمان والذمة . ففتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزية ، فخر ساجداً لله على قتب بعيره ، ثم كتب لهم الكتاب ودخل بيت المقدس وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وأقام عشرة أيام ثم رجع إلى المدينة ، ثم ما زال الفتح يطرد للمسلمين بين الشام والعراق ومصر على يد هذا الخليفة العظيم صاحب الفضل فى جعل هذه البلاد إسلامية يدوى فيها صوت الحق ، ويرتفع فيها منار العدل والإحسان .

وكان آخر أمر أبى عبيدة الكريم فى تلك البلاد بل فى كل هذه الحياة الدنيا أن ظهر الطاعون بالشام سنة ثمان عشرة ، وكأن ظهوره كان أثرا لكثرة الجثث المنبثة فى الإقليم وتعفن البلاد بها وتلوث مياهها وكل شىء فيها ، وكان يسمى طاعون عمواس لأنه من ذلك المكان بدأ .

وكان رأى أبي عبيدة ألا يخرج من هذه البلاد ، ولو كان فيها ذلك الوباء على خلاف رأى عمر ، وإن كان عمر قد ألزمه الحجة بأن ذلك فرار من قدر الله إلى قدر الله وبحديث رواه لهم عبد الرحمن بن عوف .

وأصر أبو عبيدة على ألا يخرج ولا سيما بعد أن تفشى الطاعون وفتك بأصحابه برغم أن عمر رضى الله عنه تلطف له بعد عودته من الشام فى كتاب رقيق يقول فيه (إنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت فى هذا الكتاب ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلىّ) .

ونستطيع أن نتفهم السر فى تشبثه بالبقاء بأنه حريص على تحقيق الأمانة بأدق معانيها والوفاء بأخص مميزاته ، فهو فى جماعة لا بد أن يؤاسيهم ولو ضحى بنفسه معهم إرضاء لجانب الإخلاص والأمانة والإيمان الصادق وإيثار الجانب الروحى ولو عزم عليه الخليفة الذى كان يرى أن طاعته من طاعة الله عز وجل ، وذلك حين يقول فى جوابه « يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلى وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره ، فخللنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى » .

بخ بخ لك يا أبا عبيدة لقد طبت حيا وميتا وحققت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أنك أمين حق أمين .

وقرأ عمر الكتاب فبكى رثاء لأبى عبيدة قبل أن ينزل به قضاء الله ، ولما سئل أقضى أبو عبيدة يا أمير المؤمنين ؟ قال « لا . وكأن قد » .

وطعن أبو عبيدة بحظه من هذا الوباء وأحس بالموت فأوصى يقول :

« أقرئوا أمير المؤمنين السلام ، وأعلموه أنه لم يبق من أمانتى شىء إلا وقد قمت وأديته إليه ، إلا ابنة خارجة نكحت فى يوم بقى من عدتها لم أكن قضيت فيها بحكومة ، وقد كان بعث إلى بمائة دينار فردوها إليه » فقالوا له إن فى قومك حاجة ومسكنة ، فقال : ردوها إليه ! .

ثم أوصى بوصاة عامة يقول فيها : « انصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا فان امرءا لو عمر ألف حول ما كان له بد أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ،

الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم له وأعملهم ليوم معاده . والسلام عليكم ورحمة الله . يا معاذ بن جبل صل بالناس » .

وتوفى فى فحل أو الأردن أو عمواس على اختلاف الروايات . رحم الله أبا عبيدة وعطر ذكراه وذكرى أصحابه الأبطال المجاهدين .

من صفات أبى عبيدة

١ — عرف رضوان الله عليه بالتواضع ولين الجانب ، وقد كان من مظاهر ذلك ما مر بك من تنازله عن الإمرة لعمرو بن العاص أولا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أرسله عونا له فى غزوة ذات السلاسل على رأس طائفة من الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر . وحاول أصحاب أبى عبيدة أن يجعلوه أميرا عليهم . ولكنه لم ير إحداث الخلاف بعد أن تشبث عمرو بطلب الإمرة على الجميع .

وكان من مظاهره ما مر بك من نزوله عن الإمرة لخالد فى عهد أبى بكر رضى الله عنه عن طيب خاطر وتكريم ، ثم إخفائه كتاب عمر باسناد الإمرة إلى أبى عبيدة حتى فتحت دمشق على يد خالد .

وقد ذكروا أن خالدا وأبا عبيدة اقتسما دمشق ففتح خالد جانبه عنوة بشدة بطشه ولكن أبا عبيدة فتح ناحيته صلحا لدماثة نفسه واقتياد نفوس الأعداء له ، وهذا معنى يشيع فى سيرته وجميع تصرفاته .

٢ — وأيد ذلك المعنى فيه أن كان زاهدا فى الدنيا وفى متاعها وعازفا عن كل مظاهرها .

وقد رأيت ما كان من موقفه فى أمر الطاعون وهو موقف يدل على أنه كان يرجو حسن المآب . ولا يطلب الدنيا ولا يحرص على بقاء فيها ولا استزادة منها لأنه يزدريها ، ويحقر كل ما فيها . وقد اشتهر فى كتب التاريخ والأدب والرواية ما كان من قصة عمر بن الخطاب مع أبى عبيدة يوم دخل الشام .

قالوا : إن عمر حين دخل الشام قال لأبى عبيدة : اذهب بنا إلى منزلك . قال : وما تصنع عندى ، ما تريد إلا أن تعصر عينك على ، قالوا : فدخل منزله فلم

ير شيئا قال : « أين متاعك ؟ لا أرى إلا لبدة وصحفة وشنا [١] وأنت أمير ! أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة إلى جونه فأخذ منه كسيرات ، فبكى عمر . فقال له أبو عبيدة : قد قلت لك إنك ستعصر عينيك على . يا أمير المؤمنين : يكفيك ما بلغك المقيل . قال عمر : غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة . فأى زهد هـذا وأى شهادة هذه من رجل كان يلبس المرقع ولا يأكل أدمين فى طعام . لقد كان أبو عبيدة كبيرا . لقد مات أبو عبيدة وهو لا يملك من حطام الدنيا إلا فرسه وترسه .

ومن كان هكذا زاهدا فى الدنيا معرضا عن حطامها كيف تكون سيرته وكيف يعيش الناس فى كنفه ، لقد رأيت أنه أوصى برد مائة دينار كان الأمير بعث بها إليه إلى بيت مال المسلمين ولم يبال أن فى جماعته فقراء ومعوزين ، ثم أين نقع من هذه الصفة ونحن نؤثر أنفسنا بالمال ولا نبالى كيف نجمعه ، فاللهم رحماك ولطفا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ — على أنه كان قويا فى دينه شجاعا مقداما لا يبالى أن يقول كلمة الحق لله ما دام يعلم أنها كلمة حق . إنه لم يبال أن يخالف عمر بن الخطاب ذلك الإمام الشديد القاسى فى الحق ، فانه لما هم بالرجوع وقد نزل الطاعون بالشام قال له فى صراحة المؤمن الصادق القوى : أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟ قال له عمر : نعم ، فرارا من قدر الله إلى قدر الله ، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ...

والخبر مشهور متداول غير أنا نشير إلى مادل عليه من شجاعة وإقدام ، ولقد أصر على رأيه حتى مات شهيدا بالطاعون كما رأيت .

وقد جاء أن عمر لما ولى الخلافة كتب إليه كتابا مشتركا بينه وبين معاذ ، على أنه جامل أبا عبيدة فى أول ما عمل من أعمال الخلافة فعزل خالدا عن الولاية العامة وجعله مكانه ، وكان مما فى هذا الكتاب : « وإنك يا عمر أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد أحمرها وأسودها ، يقعد بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع والشديد والضعيف ، ولكل عليك حق وحصة من العدل ، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك . وإنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر وتجب فيه القلوب وتكشف فيه العورات وتظهر فيه

[١] الشن القربة .

المخبآت وتعنو فيه الوجوه لملك قاهر » . وكتب إليهما عمر يشكرهما ويوصيهما ويطمئنهما ويقول فيه : « وما سلطان الدنيا وإمارتها فان كل ما تريان يصير إلى زوال ، وإنما نحن إخوان فأينا أم أخاه أو كان عليه أميرا لم يضره ذلك فى دينه ولا دنياه ، بل لعل الوالى يكون أقرب إلى الفتنة .. وكتبتما تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ، وإنما كتبتما نصيحة لى ، وقد صدقتما ، فتعهدانى منكما بكتاب ولا غنى لى عنكما » .

هكذا كان المفلحون : صراحة فى الرعية وجرأة فى الحق ، وتواضع من الراعى ، وقبول للنصح وتشجيع عليه . وأولئك الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فكان النجاح والنصر .

٤ — وكان أبو عبيدة شجاعا فى الحرب خبيرا بشئونها وسيفا من سيوف الله على أعدائه ، ولولا ذلك كله ما اختير لذلك الموضع ولا كان ذلك الفتح المبين على يده . لقد وجهه أبو بكر وعمر ذات اليمين وذات الشمال فلم يقف تياره ولم يستقر قراره ، ولكنه فتح وأوغل فى الفتح حتى مات مجاهدا غريبا .

٥ — فأما أمانته ودقته فيها فقد تجلى أثرها فى جميع مواقفه وهو الوصف الذى شهد به الصادق المصدوق له ، فظل ملازما له طول حياته حتى فى آخر لحظاته ، حتى إنه خرج من الدنيا وليس له فيها إلا عتاد الحرب .

وقد بلغ من أمانته أن كان يكتب إلى الخليفة بكل دقيق وجليل فى أمرى الحرب وغير الحرب من شئون الدين والدنيا لا يدخره نصحا ولا يكتمه أمرا .

إن الحديث عن أبى عبيدة قد يطول ولا ينفد ويقصر فما يستوعب ، رحم الله أبا عبيدة وجعل من سيرته عظة لنا وعبرة لجماعتنا حتى نجد فى الحياة ونأخذ منها بالقسط الصالح الرفيع .

محمود الشرقاوى

لغويات

السلطة

السلطة من الأطعمة معروفة . وجاء فى مستدرك التـاج : « والسلطة ـ محركة ـ : ما يعمل من التوابل ، عامية » ، فـكانت هـذه الـكلمة إذا حية فى أيام السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس ، وكانت وفاته سنة ١٢٠٥ هـ ، وكان الأقدمون يقولون : الـكامخ ، وهو معرّب . وفى معرب الجوالبقى ٢٩٨ : « والـكامخ الذى يؤتدم به معرّب » فأما السلطة فهى كلمة إفرنجية ، وهى فى الفرنسية Salade ، سالاد . واشتقاقها عندهم من سل Cel أى الملح لدخوله فيها .

وقد بدا لبعض الباحثين أن السلطة عربية ترجع إلى السليط ، وهو الزيت ، وذلك أن الزيت يدخل فيها . ويدفع هـذا الزعم أن السلطة لم تعرف إلا فى العهد الأخير حين كثر تحول الغربيين إلى المشرق ومعهم أطعمتهم وأمتعتهم .

وكنت رأيت منذ حين فى خطط المقريزى نصا فيه السلائط بمعنى أنأنهم أن السلطة كانت معروفة فى عصره ، ثم تبين لى تحريف فيه رجعنى عن هذا الذى فهمته . أما النص فهو فى « ما كان يعمل فى يوم عاشوراء ج ١ ص ٤٣١ من طبعة بولاق » . وهو : «قال ابن المأمون : وفى يوم عاشوراء ـ يعنى : من سـنة خمس عشرة وخمسمائة ـ عبى السماط من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش ، وهو السماط المختص بعاشوراء ، وهو يعبى فى غـير المـكان الجـارى به العادة فى الأعياد . ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم ، والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس . وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات ، وجميع الخـبز من شعير » . وقد وقفت بالاطلاع على النسخ المخطوطة غير المطبوعة أن (سلائط) محرّفة عن (سلائق) . والزبادى جمع الزبدية . وفى التاج أنها بكسر الزاى صحفة من خزف . وقد سقت هذا النص هنا لئلا يغتر به أحد ، كما اغترت حقبة من الدهر . وقد سبق بحث كلمة السلطة فى مجـلة المجمع العلمى فى دمشق فى المجلد ١ ص ٣١٥ ، والمجلد ٨ ص ٥٦٥ ، فمن أراد مزيدا فليرجع إلى هذا المرجع .

الشيعة الاثنا عشرية

هم فريق من الشيعة ، يقولون باثنى عشر إماما من آل البيت ، أولهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وآخرهم الحسن العسكرى . وهم يعتقدون فيهم العصمة عن الخطأ ، وأنهم مرجع دينهم وحجتهم عند ربهم .

ويعنينى فى هـذا المقام صيغة النسب . فاثنا عشر مركب عـددى ، وهو يدخل فى المركب المزجى ، ووجه النسب إليه أو الإضافة ـ كما يقول سيبويه ـ أن يقال : اثنىّ أو ثنوىّ ، أى أن ينسب إلى الجزء الأول ويهمل الجزء الأخـير . ويقول سيبويه فى الـكتاب ٢ / ٨٧ : « وسألته ـ يعنى الخليل ـ عن الإضافة إلى رجل اسمه اثنا عشر فقال : ثنوىّ فى قول من قال : بنوىّ فى ابن . وإن شئت قلت : اثنىّ فى اثنين ، كما قلت : ابنى . وتحذف عشر كما تحذف نون عشرين . فتشبه عشر بالنون كما شبهت عشر فى خمسة عشر بالهـاء . وأما اثنـا عشر التى للعد فلا تضاف ولا يضاف إليها » .

والذى منع أن ينسب إلى اثنى عشر غير علم أن كلا من العـددين مراد ، فلو حذف أحدهما ضاع فى اللفظ معناه المقصود ، وهـذا بخلاف العلم فقد صار المركب هو الدال بجملته على المعنى ، فصار حذف أحدهما هينا محتملا ، ولأن العلم إذا تلفظ به غلب على ظن السامع المراد قبل تمـامه . ويقول الرضىّ فى شرح الشافية ٢ / ٧٣ : « ولا يجوز النسب إلى العدد المركب غير علم لأن النسب إلى المركب بلا حـذف شىء منه مؤدّ إلى الاستثقال كما مر . ولا يجوز حذف أحـد جزأى المركب المقصود منه العدد ، إذ همـا فى المعنى معطوف ومعطوف عليـه ، إذ معنى خمسة عشر خمسة وعشر ، ولا يقوم واحد من المعطوف والمعطوف عليه مقام الآخر » .

فقد بان لك أن الواجب أن يقال : الشيعة الاثنية أو الثنوية . وقـد يقول قائل : إن هذا يوقع فى الالتباس ، فلا يدرى أهو نسب إلى اثنين أم هو نسب إلى اثنى عشر ، والجواب أن العرب قد لا تبالى بالالتباس فى هذا الباب اعتمادا على الملابسات والقرائن التى تدفع إلى المراد .

وقد تحرّس أبو حاتم السجستانى من الالتباس وفرّ منه بالنسبة إلى الجزأين منفردين فهو يقول : الثنوىّ العشرىّ أو الاثنىّ العشرىّ . ذكر هذا ابن سيده فى المخصص ٢٤٣/١٣ والرضىّ وغيره .

وترى أن أحدا لا يجيز النسب إلى جملة المركب ، نعم ورد فى النسب إلى بعلبك اسم مدينة فى الشام ــ وهو مركب من بعل وبك ــ بعلبكى . ويقول ياقوت فى معجم البلدان « وتقول فى النسب إليه بعلى [١] كما تقول: طلحى . وأما من قال : بعلبكى فليس بعلبك عنده مركبا ، ولـكنه من أبنية العرب » . ويرده أنه ليس من أبنية العرب ــ فيما أعلم ــ هذا البناء أى فعللّ ، فانما هو مركب لا محالة . وقد نص الأشمونى على أن هذه النسبة شاذة . وذكره الشيخ خالد فى التصريح وسكت عن حكمه ، ويخرج عليه المثال الذى نتحدث عنه ، وهو الاثنا عشرية . وقد جاء فى مفاتيح العلوم للخوارزمى من رجال القرن الرابع فى مبحث التشريح : « الاثنا عشرى : معى متصل بالبوّاب ، طـوله اثنتا عشرة إصبعا » على أنه كان ينبغى أن يقال : الاثنتا عشرى ، لأنه منسوب إلى اثنتى عشر كما ترى .

والاثنا عشرية يجـرى إعرابها على آخرها أى على التاء . وإذا قيل : الاثنـا عشرى فالإعراب على الياء . وهذا ظاهر لاشىء فيه . ويبقى بعد هذا أمر الألف فى (اثنا) هل تبقى مع العوامل لا تتغير بتغيرها ، أو تتغير إلى الياء فى حالتى النصب والجر .

يرى فريق من الباحثين أن الألف تبقى ، وأنها ليست حرف إعراب ، وإنما أوثرت لأنها علامة الرفع وهو أشرف أحوال الإعراب . فيقال : فلان من الشيعة الاثنا عشرية .

ويبدو احتمال آخر . وهو أن تكون الألف فى حالة الرفع ، والياء فى حالتى النصب والجر ، فيقال فلان من الشيعة الاثنى عشرية . ويسوغ هذا الوجه استصحاب الأصل قبل النسبة ، ودفع القبح من بقاء الألف فيما هو على صورة المثنى فى حالتى النصب والجر ، وأن إعراب الجزء الأول قبل النسبة كان على وجه الشذوذ إذ هو مركب مزجى حقه البناء ، وإنما دفع البناء أن اللفظ على صورة المثنى ، فيبقى هذا الشذوذ بعد النسب . ولهذا نظير فى نحو امرئ وابنم مما يعرف بالمعرب من مكانين .

يستأنس للوجـــه الأول بقولهم فى النسبة إلى البحرين (الإقليم المعروف على الخليج الفارسى) : بحرانى . فتراهم التزموا الألف . ويعلل الخليل هـذا بقوله : كأنهم بنوه على بحران . والذى يعنينا هو التزامهم الألف فى النسب . ويرى بعض الباحثين أن تحكى حالة المنسوب إليه فاذا كان (اثنا عشر) التزمت الألف ، وإن كان (اثنى عشر) التزمت الياء . وهذا ممـا لا يجرى فيه الحـكاية » .

---

[١] المجلة ــ وعليه جرى أعلام العلماء من أبناء هـذه المدينة ، وكثير منهم من فقهاء الحنابلة اشتهر كل منهم بالبعلى ، ولهم تراجم فى كتب طبقات الحنابلة .

جلست عَلْأَرض . علىَّ مِلْمجدين

يقول بعض العرب : جلست علأرض ، يريد : على الأرض ، ومحمد ملمجدين يريد : من المجدين . وهذا كثير من أمرهم ، حتى صار منهجا مسلوكا وطريقا محتذى عند المحققين من علماء العربية . وفى الهمع ٢/٢٠٠ « وجعل ابن مالك هذا قليلا . وجعله ابن عصفور وغيره من الضرورات . ونازعهما أبو حيان فقال : إنه حسن شائع لاقليل ولاضرورة . قال : ولو تتبعنا دواوين العرب لاجتمع من ذلك شىء كثير ، فكيف يجعل قليلا أو ضرورة . بل هو كثير ويجوز فى سعة الكلام . . . قال نعم : لجوازه شرط وهو أن تكون اللام ظاهرة غير مدغمة فيما بعدها فلا تقول فى « من الظالم » مظالم ، ولا فى « من الليل » : مليل » . قال : ونظير ذلك حذف نون (بنى) فانهم يحذفونها إلا إذا كان بعدها لام ظاهرة ، فيقولون فى بنى الحارث : بلحارث ، ولا يقولون فى بنى النجار : بنجار » ومما جاء من هذا الباب قول قطرى بن الفجاءة الخارجى :

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

و يقول المبرد فى الكامل [١] فى التعليق على هذا الشعر : « : وقوله : غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد : على الماء فان العرب إذا التقت فى مثل هذا لامان استجازوا حذف إحداهما استثقالا للتضعيف ، لأن ما بقى دليل على ما حذف . فيقولون : علماء بنو فلان . . . وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك : بنو ، لقرب مخرج النون من اللام . وذلك قولك : فلان من بلحارث و بلعنبر و بلهجيم » .

والذى يهمنى فى هذا الموطن الرسم والإملاء . فالكلمات على ومن و بنو بعد الحذف تبقى على حرف واحد ويوجب الرسم أن يوصل هذا الحرف بما بعده مع حذف ألف أل . فيقال : علماء ، ولا يقال : ع الماء ولا عالماء ، وهكذا يجرى سائر الأمثلة . و يكتب قول الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألكة ... غير الذى قد يقال ملكذب

هكذا ، وأصله : من الكذب . نعم نقل عن الزمخشرى أنه كان يصل الحرف بألف أل ، فيكتب : عالماء . وعلماء الرسم على خلاف هذا . و يقول الأمير فى حاشيته على المغنى فى مبحث إن المشددة : « قوله : بلحارث مختصر من بنى الحارث . ترسم الباء متصلة باللام اختصارا بعد حذف الألف فى الرسم أيضا . ووجد بخط الزمخشرى رسم عالماء بالألف بعد العين قياسا على (فالماء) و (كالماء) مثلا » .

محمد على النجار

---

(١) انظر الكامل بشرح المرصفى ج ٢ ص ٢٤٨

آراء صادقة :

الحاكم العادل

عمر بن عبد العزيز

لنستطيع أن نحكم على إنتاج أدبى ما ، يجب أن نحدد الهدف الذى سعى المؤلف إلى تحقيقه ، ثم نتبين خطواته المتتابعة لنعلم مدى توفيقه فى سيره ، فنتأكد من بلوغه الهدف أو قصوره عنه . . . وتحديد الهدف لايكون بقراءة المقدمة ، فكثيرا ما يخدع المؤلف قارئه ، فيرسم لإنتاجه صورة براقة لاتنطبق على حقيقته ، ولابد من استشفاف عميق يصل به الناقد إلى رأى صادق تمليه بصيرته الفاحصة وتؤكده ثقافته المحيطة ، وإذ ذاك ينتصب الميزان العادل فى يده ، فيرجح أو يشول ، دون تحيف أو انحراف .

وإذا حاولنا أن نستشف الهدف الذى قصد إليه الأستاذ أحمد الشرباصى من مسرحيته : « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » لم يعجزنا أن نجد الخيوط التى تسير بنا إلى غايتنا فى يسر وسهولة ، فالمؤلف كاتب فاحص زاول المقالة والمحاضرة والبحث العلمى فى إنتاجه الأدبى ، ولأول مرة يفرد كتابا خاصا لمسرحية تاريخية تتحدث عن علم بارز من أعلام الإسلام . وكان فى وسعه أن يترك المسرحية جانبا ، ويلجأ إلى التحليل التاريخى كما صنع ، إذ تحدث فى كتبه السابقة عن أبى بكر الصديق ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وزينب بنت على ، فلماذا لجأ إلى الأسلوب المسرحى فى كتابه عن عمر بن عبد العزيز ؟ ! ! . . وهل هناك غاية نستشفها ، أو سبب نتلمسه ، فى غير محل أو لجاج ! ؟ .

إن الواقع الأدبى للحياة المعاصرة يجيب عن هذا السؤال ، فقد طغت الرواية طغيانا كبيرا على الإنتاج فى عهدنا الراهن ، فزخرت المكتبات العربية بشتى القصص والمسرحيات ، واندفع القراء إلى التهامها التهاما جعل لها المكان الأول فى الذيوع والرواج . . . وقد تنكب كثير من أصحاب هذه القصص الذائعة سبيل الفضيلة والكرامة ، فأخذوا يتملقون الغرائز الهابطة ، ويتحدثون عن النزوات الجنسية ، والشهوات الجامحة حديثا

يترك أثره السيئ وعواقبه الأليمة . . . إنك لتلتاع أسوأ التياع حين تجد شباب المدارس والجامعات يندفعون إلى إدمان مخدر مهلك يتسلل إلى أفكارهم ، من ممارسة هذه القصص النكراء ، فيعيشون فى جو بئيس من التلهب والاستفزاز ، يذكيه الحرمان ، ويؤججه الكبت والقنوط والشيطان ، فاذا حاولت مناقشتهم مناقشة عاقلة سمعت على ألسنتهم حديث هذه القصص المدمرة ، وقد نظر هؤلاء الأغرار إلى أصحابها المفاليك نظرات الإكبار والتجلة ، وهم فى حقيقة أمرهم صعاليك تافهون يتملقون الغرائز المريضة برخيص القول ومبتذل الحديث . . . .

ولا سبيل إلى إنقاذ هذا الشباب المتهالك بغير توجيه حى متيقظ ، يقدم القصص الرفيعة ذات المطامح السامية ، لتأخذ مكانها فى نفوس الشباب ، فتطرد ما يخيم فى عقولهم من تفاهة وما يرين على قلوبهم من نزوات . . . بل إن القصص الإسلامى الصادق من الندرة فى الإنتاج بمكان يحز ويؤلم على كثرة من ينتسبون إلى الإسلام من الروائيين . . . وهذه سلسلة « الكتاب الذهبى » مثلا ، قد أخذت منذ سنوات تدفع إلى قرائها على رأس كل شهر قصة عصرية ، وليس فيما أصدرته جميعه ما يخدم الفكرة الإسلامية ، غير قصة « وا إسلاماه » فقط ، ولولا مكانة مؤلفها الغيور ما أتيح لها أن تظهر فى حلقات السلسلة المتعاقبة للكتاب الذهبى ، أما إذا بحثت عن قصص الغريزة فى هذه السلسلة ، فانك واجد كثيرا وكثيرا من التفاهات .

وهذه الحاجة الماسة إلى وضع قصص مسرحى إسلامى ، قد ألجأت المؤلف الباحث الأستاذ أحمد الشرباصى إلى كتابة مسرحيته عن عمر بن عبد العزيز . . . وحين ولج هذا المعنى الجديد لم تكن له حرية القاص الطليق ، بل قيد نفسه بقيود محرجة عاقت أجنحته كثيرا عن الطيران والتحليق ، فقد تعمد أن لا يعدو الحقيقة والواقع فى حادثة تذكر أو موقف يسجل ، مع أن خيال الروائى يجيز له أن يمزج الأسطورة بالحقيقة ، ليكون صورة مشرقة خلابة عن بطل قصته . . . وقد زاد المؤلف فى قيوده فاختار أشخاص روايته من ذوى السمات الواضحة فى التاريخ الإسلامى ، دون أن يكون فيهم شخص خيالى يتيح للكاتب سعة فى التصرف أو بسطا فى الحديث ، كما تجنب ظهور العنصر النسائى على مسرح روايته ، تحرجا من الشبهة وقطعا للألسنة . . . وفى ظلال هذه القيود المرهقة ظهر المؤلف بمسرحيته ليقول للقراء : لقد كتبت لكم تاريخ عمر بن عبد العزيز فى أسلوب شائق جذاب ، له تسلسل القصة ، وطرافة الحوار ،

ولكنه لم يعد الحقيقة والواقع ، فاذا أردتم نموذجا واقعيا للنبل الإسلامى فى بعض مشاهده . فلديكم ما كتبت عن عمر ، ففيه العظة البالغة ، وفيه التحرى الدقيق ! ! . . .

لقد ذكرتنى هذه المسرحية الإسلامية الجديدة بمسرحية « محمد » التى ألفها الأستاذ توفيق الحكيم . ولن أتعرض إلى الموازنة بين المسرحيتين ، فلكل منهما اتجاه تنفرد به ، ولكنهما تلتقيان فيما فرض عليهما من القيود الشديدة والتحفظ العنيف . . . وتكاد تحس بتبرم توفيق الحكيم وضيقه بما فرضه على نفسه ، إذ يقول فى مقدمة كتابه : « لقد عكفت على الكتب المعتمدة والأحاديث الموثوق بها ، واستخلصت منها ما حدث بالفعل ، وما قيل بالفعل ، وحاولت قدر الطاقة أن أضع كل ذلك فى موضعه ، كما وقع فى الأصل ، وأن أجعل القارئ يتمثل ذلك كأنه واقع أمامه فى الحاضر ، غير مبيح لأى فاصل — حتى الفاصل الزمنى — أن يقف حائلا بين القارئ والحوادث ، وغير مجيز لنفسى التدخل بأى تعقيب أو تعليق ، تاركا الوقائع التاريخية والأقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة » .

فى هذه القيود السالفة سار توفيق الحكيم فقرب لكثير من الأذهان تاريخ الرسول العظيم ، وفى ظلال القيود السالفة سار الأستاذ أحمد الشرباصى ، فرسم لنا تاريخ عمر ابن عبد العزيز . . . وإذا كان الأستاذ أحمد حسن الزيات قد قال فى العدد (١٣٥) من مجلة الرسالة عن الأستاذ توفيق الحكيم : « إنه يحرر الحادث من فضول الرواية ونافلة الحديث ، فيرده إلى جوهره ، ويحيله إلى بساطته ، ثم يبعث الأشخاص ، ويحدد الأمكنة ، ويعيد الملابسات ، ويحيى البيئة ، ويرجع بالقارئ إلى عصره ، فيحيا حياته ويعايش أهله ، فيرى بعينيه ما يعملون ، ويسمع بأذنيه ما يقولون » . . . إذا كان الأستاذ الزيات قد قال ذلك عن صاحبه ، فاننا نستطيع أن نقوله عن الأستاذ الشرباصى ، نعم نقوله ونزيد عليه فنحكم بأن الأستاذ الشرباصى قد جعل من حياة عمر بن عبد العزيز وحدة متماسكة لم تتشعب أدوارها بين المناظر والفصول كما فعل توفيق الحكيم ، بل أعطى للقارئ صورة أمينة فى نطاق محكم متسلسل ، فأنت إذا قرأت مثلا الفصل الأول من مسرحية « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » وهو عن حياة عمر الوالى بالمدينة فستجد به صفوة ما ذكره المؤرخون ، دون أن تحتاج إلى مصادر لتستزيد وتتأمل ، بل إن ما يمكن أن يوجه إلى عمر من نقد فى ترفهه وتنعمه قد وجهه المؤلف الكاتب على

لسان بعض الشخصيات فى المسرحيـة ، دون أن يحيد به إعجابه عن تسجيل مؤاخذته العابرة ، وإذا نجح كاتب ما فى إبراز مثل هذه الصورة أمينة منصفة فى أسلوب مسرحى جذاب ، فقد بلغ ما أراد !!.

وقد بين الأستاذ الشرباصى وجهته التاريخية الواقعية فى مقدمة كتابه حيث قال : « وإنما عنيت بإبراز ملامح الشخصية العمرية كما يصورها التاريخ المصفى ، لأنى رأيت هذا الإبراز التاريخى الدقيق عن طريق الحوار أجل قيمة وأعظم ثمرة من العناية بالصنعة الفنية أو الحيلة المسرحية ... ومن الميسور عند تمثيل هـذه المسرحية أن نراعى التحوير الذى تتطلبه ظروف التمثيل من الاختيار أو الاختصار » الخ .

فالصنعة الفنية والحيلة المسرحية ـ وما إلى ذلك مما قد يتوجـه إليه الاعتراض ـ كل أولئك أمر يفهمه الـكاتب المؤلف ويعلمه ، ولـكنه لا يحرص عليه حرصا تطمس معه بعض المعالم ، ويتجاهل بإزائه أكثر الحقائق ، وهو يعترف بأن من الميسور مراعاة هـذا الجانب إذا جاء دور المسرحيـة فى الإخراج والتمثيل ، ولئن ترك الـكاتب بعض مقاييس الفن فى مسرحيته عامدا لحسبه أنه قـد وافق الواقع ، وأرضى الحقيقة والتاريخ !!.

إن القصة التاريخية تتعرض وقائعها الصادقة إلى الإرجاف إذا سبح الـكاتب وراء خياله فمزجه بالواقع ، فالأشخاص الخياليون فى أدوارهم المتعاقبة يفسدون على التـاريخ كل شىء : ولعل مما يهون ذلك أن قارئ القصـة لا يتلمس بها الحقائق ، ولـكنه يقصد الإمتاع الأدبى مع بعض الإلمـام بالصور العامة للجو التـاريخى الذى يتصفحه ويرنئيه ، وقـد كتب الأستاذ إبراهيم رمزى رواية « باب القمر » فتحدث عن نشأة الدولة الإسلامية الأولى فى فجر الإسلام ، ومع حرصـه البالغ على سرد الحقائق التاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حرصا يشـكر عليه رحمـه الله رحمة واسعة ـ فقد كان بطل الرواية شخصا خياليا أضعف قيمتها التاريخيـة ، ومال ببعض حقائقها إلى المبالغة والإغراق ، وإن قرب الأستاذ رمزى كثيرا من الحقائق ورسم الصورة العامـة على قدر المستطاع .

محمد رجب البيومى
المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية

كلمة الأستاذ الأكبر

فى عيد الفطر المبارك

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فانه يجمل بى فى هذا اليوم العظيم ، يوم عيد الفطر المبارك ، أن أهنئ إخواننا المسلمين ، فى الأقطار الإسلامية جميعها ، بما من الله عليهم ، إذ وفقهم لإتمام فريضة الصيام ، واستقبال يوم هو عند الله من أكرم الأيام : يوم يصل موسمين من مواسم الخير ، ويربط بين ركنين قويين من أركان الإسلام ، هما صوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

هو يوم فرح وبهجة باتمام طاعة ، وتأهب واستعداد لأداء طاعة أخرى . فكان جديرا أن يكرم بالذكر والشكر لله ، على أن أتم على المسلمين نعمة القيام بأمره ، ووفقهم أن يغتنموا دائما من فيض فضله وبره ، كما يرشد إلى ذلك قوله جل شأنه : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » .

وإن من مظاهر شكر الله على هذه النعمة ، أداء ما أوجبه فى هذا اليوم من صدقة الفطر التى جعلها طهرة وزكاة للصائمين ، وبرا بذوى الأرحام وغيرهم من المعوزين ، وربطا بين المسلمين : غنيهم وفقيرهم ، فتتواصل بذلك قلوبهم ، وتتواد أفرادهم وجماعاتهم ، ويتعاونون بالبر والتقوى على بناء مجتمع يسوده الخير والسلام .

ومن هنا كان هذا العيد يوما عظيما من أيام الفوز والظفر ، وكانت فرحة المسلمين باستقباله فرحة انتصار عظيم ، فى معركة جهاد النفس بالصبر وقوة الجلد ، وبالثبات على مشاق الحرمان ، طوال شهر رمضان ، فرحة يشعر الصائمون فيها بالسعادة ، بما غنموه فى جهادهم من مغانم كبيرة ، لها أثرها الجميل فى طهارة نفوسهم ، وتقوية روابطهم .

ثم هى فرحة تشعر المسلمين بيوم الفوز الأكبر ، يوم يفرحون بلقاء الله ، وينالون جزاء ماقدموا من عمل صالح فى هذه الحياة .

فيأيها المسلمون : أقبلوا على الله فى هذا اليوم بالشكر على ماأفاء عليكم بالصوم وجهاد النفس ، من خير جزيل ، وفضل عظيم ، وتواصلوا فيه بالتعاطف والمودة ،

وتواصوا فيه بالبر والرحمة ، فقد جعل الله لكم من هـذه الشعائر التى تجمعكم إلى عبادته فى وقت واحد ، إرشادا بأنكم أمة واحدة ، مهما اختلفت بكم الديار ، وتباعدت الأقطار . كما جعل لكم من مواسم الطاعة ، التى تعود عليكم عاما بعـد عام ، تذكرة وتبصرة للأخذ بأسباب العزة والقوة .

أيها العرب ، أيها المسلمون : إنه ليس على وجه الأرض اليوم أمة مثلكم ، تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع ، وتكالبت عليها فعل الذئاب الجياع ، قصد تمزيقها وامتصاص حيويتها ، وإذلالها والقضاء على حريتها .

وإنى — مع هذا — لا أود اليوم أن أقول : إن هذه الحروب الشنيعة ، التى تشنها على الشرق بعض الدول الطاغية الباغية من أمم الغرب ، هى حروب دينية ، يستعيد بها أولئك الطغاة البغاة ، تاريخ أسلافهم أصحاب الحروب الصليبية ، ولكنى أكتفى الآن بالوقوف عنـد ظواهر الأمور ، غير متكلف كشف ما قد يكون وراءها من أسرار ومخبآت نوايا .

أكتفى بذلك لأقول : إنها حروب على الدنيا ، حروب اقتصادية استعمارية ، قوامها الشره والجشع ، والباعث عليها حب التسلط والاستعمار ، لانتهاب ما فى بلادنا من كنوز وثمرات ، واقتناص ما وهبنا الله من أرزاق وأقوات . وشعوب الشرق وأممه هم الهدف الذى تصوب إليه دائما هذه الحروب الفاجرة ، وبلادهم هى الغرض الذى يدبر له الشر والسوء ، ترتكب فى سبيل السيطرة عليها كل خيانة ، وتنتهك للتغلب على أهلها كل حرمة ، والغاية عند أولئك الطامعين الجشعين تبرر كل وسيلة ، مهما كانت خسيسة رذيلة .

أيها المسلمون . أيها العرب

إنى أوجه الخطاب إليكم وإلى شعوب أهل الشرق جميعا ، فإن أمرنا جميعا واحد ، وآمالنا فى الحياة واحدة ، وإن اعتصامنا بالحق ، وكفاحنا للتمتع بعزة الحرية ، والتخلص من السيطرة الأجنبية الغربيـة ، هى الأمور المجيـدة التى يجب أن نتعاون فى سبيلها ، ونتضافر للوصول بها إلى أهدافها ، وأن نتواصى فيها بالخير ، ونتناصح بخالص النصح ، حتى ندرك الغاية ، وحتى يستقر لكل شعب من شعوبنا حقه الكامل فى الحرية والاستقلال .

أيها المسلمون ، أيها العرب ، أيها الشرقيون : إنه ليس بينكم إحن أو عداوات يمكن أن تصرفكم عن مقاومة العدو الحقيقى الذى هو عدوكم جميعا ، وليس بينكم من المشاكل ما يستعصى على الحل ، وعلى إرادة الحياة الآمنة ، وعيشة السلم والاستقرار الشامل ، فليس عند دولة من دولكم ، ولا شعب من شعوبكم ، قصد الحيف والجور ، أو حب التسلط الظالم الفاجر ، على دولة أخرى أو شعب آخر .

وإذا كانت حياة الجماعات لاتخلو من بعض المشاكل والخلافات ، كخلافات الأحزاب السياسية فى الأمة الواحدة ، وكمشاكل الجوار بين دولة ودولة ، فليست هذه فى الحقيقة عداوات أصيلة ، إنما هى هنات هينات ، ولولا أن الأجانب الطغاة محترفى الغزو والحرب والنهب والسلب ، ينفخون دائما فى آذان تلك الخلافات ، ويوسوسون دائما فى صدور من يستخفونهم من أطرافها ، لما طال أمدها ، ولقضى عليها فى مهدها .

فالاستعمار هو أصل الشر وأساس البلاء ، هو العدو الحقيقى ، العدو المشترك ، الذى يجب أن نشترك فى دفعه ، والقضاء على جميع أساليبه وأذنابه ، حتى لا يجد ثغرة ينفذ منها إلى صفوفنا ، أو يتحكم منها فى أى مرفق من مرافق بلادنا .

أيها العرب ، أيها المسلمون : إن لكم فى دينكم قوة دافعة كفيلة بأن تبعث فيكم النهضة ، وتدفع عنكم كيد أعدائكم ، وترد مكرهم إليهم . ألا وإن النصر معقود بالصدق مع الله ، فاصدقوا مع الله ، واعملوا على ألا تتنازعكم الأهواء ، أو تخدعكم حيل الأعداء .

ثقوا بالله ، واستمسكوا بحقكم فى الحياة ، واعلموا أن أعداءكم يتربصون بكم ، وينتهزون الفرص لالتهامكم والقضاء عليكم ، فأجمعوا أمركم ، ووحدوا كلمتكم ، وألفوا بين صفوفكم ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، وابذلوا من أرواحكم وأموالكم ما يدرأ عنكم الشر ويدفع عنكم المهانة .

أسأل الله العلى القدير ، أن يؤلف بين المسلمين ، ويشد أزرهم ، ويقوى عزائمهم ، ويؤيد زعماءهم المخلصين ، بالنصر والفتح المبين ، إنه سميع مجيب ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

برقيات التهانى

بمناسبة عيد الفطر المبارك

أبرق صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية البرقية التالية بمناسبة عيد الفطر المبارك :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر مصر

يسرنى أن أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة بعيد الفطر المبارك : راجيا لسيادتكم ولأعوانكم المخلصين ولقادة العرب ، دوام التوفيق والنجاح ، لخدمة قضية السلام ، وتوطيد دعائم الوحدة ، ورفعة شأن العرب والمسلمين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس البرقية التالية :

قصر الجمهورية

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

تلقيت بخالص التقدير تهنئتكم الرقيقة بمناسبة عيد الفطر المبارك ، وإنه ليسرنى أن أبعث إليكم بصادق الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

جمال عبد الناصر

كما أبرق فضيلته إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية يهنئهم بعيد الفطر المبارك ، ويرجو للأمم العربية والشعوب الإسلامية العزة والقوة واتحاد الكلمة .

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر برقيات تهنئة بمناسبة عيد الفطر المبارك من الهيئات الدينية والإسلامية من مختلف أقطار العالم : شرقية وغربية ، وكان من بينها البرقيتان التاليتان :

١ — طشقند :

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأغر حضرة شيخ عبد الرحمن تاج — حفظه الله .

أهنئ فضيلتكم خاصة ومعشر العلماء والموظفين بالأزهر الشريف عامة بهذا العيد السعيد واليوم المبارك ، عنى وعن حضرة والدى المفتى وعن مسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان . هذا يوم تبتهج فيه وجوه المسلمين فى عامة البلاد والشعب المصرى بوجه خاص ، إذ فى هذه السنة كلل الإله سبحانه كفاحكم ودفاعكم عن استقلال وطنكم العزيز بالنصر المبين ، ونور وجوهكم عند العالمين ، كما نبتهج ونشكر الله تعالى ، فليبتهج المصريون بعيدهم الذى تلألأت آياته فى جو من سعادة الدين والدنيا .

وليشكروا الله على ما تم لهم من الكرامة والحسنى .

نائب رئيس الإدارة الدينية
بآسيا الوسطى وكازاخستان
(الشيخ الحفيظ ضياء الدين ابن المفتى اشان باباخان)

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر بالبرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الكبير مفتى آسيا الوسطى وكازاخستان طشقند

أشكر لفضيلتكم ولابنكم الكريم الشيخ الحافظ ضياء الدين جميل تهنئتكم ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد أمثال هذا اليوم السعيد عليكم وعلى المسلمين فى بلادكم وفى جميع الأقطار بالفوز والنصر المبين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

٢ — موسكو

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وإخوانه المحترمين .

إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو قمر الدين صالح يرسل باسمه وباسم جميع المسلمين فى موسكو خالص التحية وأبرك التهانى بعيد الفطر السعيد ، ويرجو لكم وللشعب المصرى كل فلاح وتوفيق ، مع أطيب التحية .

(قمر الدين صالح)

ثم أجاب عليه فضيلة الأستاذ الأكبر بالبرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الشيخ قمر الدين صالح — إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو

أشكر لكم ولمسلمى موسكو تهنئتكم بالعيد ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم وعلى المسلمين عامة باليمن والخير والسلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

تبرعات الأزهر

لمدينة بورسعيد

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فيسرنى أن أرفع إلى سيادتكم الشيك رقم ٧٠٨٧٢ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ ١٠٦ ج و١١٤م (مائة وستة من الجنيهات ومائة وأربعة عشر مليما) قيمة الدفعة الرابعة من تبرعات الأزهر لمنكوبى بور سعيد .

ونضرع إلى الله القوى العزيز أن يحفظ للوطن عزته وكرامته ، وأن يشملكم بتوفيق من عنده للعمل على ما فيه قوته ومنعته .

كما نسأله تعالى أن يجمع كلمة العرب و يوحد بين صفوفهم ، و يوفقهم إلى كل ما يعلى شأن بلادهم و إعزاز دينهم .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ،،

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

* * *

نشرنا فى العدد الماضى « رمضان ١٣٧٦ » قائمة تبرعات الأزهر لمنكوبى مدينة بورسعيد وقد بلغت فى جملتها :

مليم	جنيه
٥٩٢	١٧٦٠٣

وقد وردت التبرعات التالية لنفس الغرض :

المبلغ	البيان	
٢٥	من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر	مبعوثى الأزهر بالهند
٢٥	« « « « عبد العال العقباوى	
٥٠	« « « « محمد محمد عبد الرؤوف مبعوث الأزهر بالملايو	
١١٤ ر٦	باقية من مبالغ سبق التبرع بها من الموظفين .	
٧٠٦ ر١٧٧٠٩	جملة التبرعات .	

* * *

هذا وقد ورد إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مبلغ ٢٠ ج عشرين جنيها من المواطن السيد/ حسن البدوى ٢٣ شارع همدان بالجيزة تبرعا منه لمساعدة محاربى الجزائر ، ووجه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى سيادته خطابا يشكر فيه صادق عاطفته وحسن بره .

الامام البخـــــارى

وكتابه الجامع الصحيح

البخارى : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبة (بردذبة كلمة فارسية معناها الزراع) . كانت أجداده على دين المجوس ، وأول من أسلم من أجداده المغيرة ، أسلم على يد اليمان الجعفى والى بخارى ، فكان ولاؤه له ، وتنقل الولاء فى أولاده ، فلذلك يقال فى البخارى إنه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفى .

اتفق مؤرخو التاريخ الإسلامى أن البخارى ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ وأنه توفى يوم السبت عند صلاة العشاء ، ودفن ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، ودفن بخرتنك ، قرية على فرسخين من سمرقند .

كان والد البخارى محدثا ، مات وهو صغير وترك له مالا جليلا ، فنشأ فى حجر أمه وأسلم إلى الكتاب . فلما بلغ عشر سنين بدأ فى حفظ الحديث فى كتب ابن المبارك ووكيع ، وهما محدثان مشهوران .

وقد روى كتاب طبقات الشافعية وكتاب الخطيب البغدادى أن البخارى كان يحفظ فى صباه سبعين ألف حديث وأكثر ، ولا يجىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم . وكان البخارى يقول عن نفسه ـ كما هو مذكور فى تاريخ أبى الفدا ـ ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب ابن عشر سنين ، فلما بلغت ثمانى عشرة سنة ، صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم ، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خطا البخارى فى جمع الحديث خطوة جديدة ، فمالك بن أنس يجمع أحاديث الحجاز وخاصة أهل المدينة ، وابن جريج أحاديث الحجازيين وخاصة أهل مكة ، ولكن البخارى وسع فى هذه الدائرة وسن سنة لمن بعده من المحدثين فى الإمعان فى الرحلة لطلب العلم ،

وبعبارة أخرى لطلب الحديث ، فبعد أن سمع حديث أهل بلده ذهب إلى بلخ وسمع محدثيها ورحل إلى مرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص ، فهو بهذا وضع له خطة أن يجمع ما تفرق من الحديث فى الأمصار وأقام فى هذه الرحلات نحو ستة عشر عاما لقى فيها عناء شديدا لا يتحمله إلا الصابرون ، وأخيرا عاد إلى موطنه ثم مات سنة ٢٥٦ هـ .

كما أنه خطا بالحديث خطوة أخرى ، فى جده فى التمييز بين الحديث الصحيح وغيره ، وقد كانت الكتب قبله لا يعنى فيها بهذا الموضوع عنايته ، فكان المحدث يجمع ما وصل إليه تاركا البحث عن رواته ومقدار الثقة بهم إلى القارئين أو السامعين .

وهذا العمل – أعنى تعرف صحيح الحديث من ضعيفه – كان يحتاج البدء فيه إلى عناء لا يقدر ، فهو يحتاج إلى معرفة واسعة بتاريخ رجال الحديث وتاريخ حياتهم ووفاتهم ، ليعرف هل التقى الراوى بمن روى عنه أولا ، ويحتاج إلى معرفة دقيقة برجال الحديث من زمن البخارى إلى زمن الصحابى ، ما مقدار صدقهم والثقة بهم وحفظهم ، ومن منهم صادق أمين ، ومن منهم مستور الحال ، كما يحتاج إلى مقارنة الأحاديث التى ترويها الأمصار المختلفة وما بينها من فروق وموافقات وما فيها من علل ، كما يحتاج إلى معرفة مذاهب الرواة ونزعاتهم ، من خارجى ومعتزلى ومرجئ وشيعى إلى غير ذلك ليتبين منها مقدار ما يحمله مذهبه على القول بحديث غير صحيح أو تأويل له غير راجح وهى مهمة فى غاية العسر والمشقة ، لأن كثيرا منها يتصل بالنيات والضمائر وخفايا السرائر ، فكم من باطن لا يتفق والظاهر وكم من متصنع تقوى وصلاحا وقد اتخذ ذلك سلاحا (ضحى الإسلام – الجزء الثانى) .

كتابه الجامع الصحيح :

أراد البخارى فى كتابه أن يقتصر على جمع الأحاديث الصحيحة ، والحديث الصحيح فى اصطلاح المحدثين : هو الحديث المسند الذى يتصل إسناده – من الراوى إلى النبى صلى الله عليه وسلم – ويكون كل راو من رواته عدلا ضابطا ، وقد أنفق البخارى فى جمع كتابه هذا ستة عشر عاما ، وسماه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جمع فيه على ما ذكره ابن حجر (٧٣٩٧) حديثا ، وهذا العدد تدخل فيه الأحاديث المكررة ، ولا تدخل فيه المعلقات والمتابعات والموقوفات والمقطوعات .

فاذا أضيفت إليه التعليقات والمتابعات بلغت (٩٠٨٢) حديثا غير الموقوف والمقطوع ، وإذا حذف المكرر واقتصر على عدّ الأحاديث الموصولة السند غير المكررة كانت ٢٧٦٢ حديثا .

وقد جاء فى الجزء الأول من مقدمة فتح البارى ، أن البخارى اشترط فى جمعه للأحاديث التى يصححها شروطا تسمى « شروط البخارى » ، كما اشترط مسلم شروطا تخالف بعض الشىء شروط البخارى ويسمونها شروط مسلم، فكلاهما اشترط فى الحديث أن يكون إسناده متصلا ، وأن يكون كل راو من رواته مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد . وكان البخارى يرى أن المحدث إذا كان من أساطين المحدثين وهم المكثرون من جمع الحديث وروايته كالزهرى ونافع ، فان أصحابه الذين يروون عنه درجات تختلف فى مقدار الصلة به ، وفى الحفظ والإتقان ، فالدرجة الأولى من كان يزامله فى السفر ويلازمه فى الحضر ، والدرجة الثانية من لم يلازمه إلا مدة قصيرة ، وكلا النوعين عرف بالتثبت ، ويلى ذلك درجات ، فالبخارى يشترط فى الرواة أن يكونوا من الدرجة الأولى عادة ، وقد يروى عن رجال الدرجة الثانية ، ولكنه فى الغالب يرويه تعليقا على حديث ، ويسمى ذلك أيضا شرطا من شروط البخارى ، ومسلم يقبل رجال الدرجة الثانية كما يقبل الأولى ولا يقتصر فى الدرجة الثانية على التعليق ، وأما غير المكثرين فاكتفى فيهم عند البخارى ومسلم بشرط الثقة والعدالة وقلة الخطأ .

أما السبب الجوهرى فى اتباع البخارى لشروط قيد بها الأحاديث التى جمعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرجع إلى أن أحاديث العهد الأموى أكثر من أحاديث عهد الخلفاء الراشدين ، وأحاديث العصر العباسى أكثر من أحاديث العهد الأموى (١) ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أدخل اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أهل الديانات الأخرى فى الأحاديث أشياء أخرى كثيرة من دياناتهم وأخبارهم ، فملئت الأحاديث بما فى التوراة وحواشيها وبعض أخبار النصرانية وتعاليم الشعوبية كالأحاديث

---

(١) المجلة — ليس معنى هذا أن متون الأحاديث زاد عددها ، وإنما الزيادة نشأت عن ازدياد عدد الرواة ، فالحديث الذى كان يرويه الزهرى صار يرويه عشرات من تلاميذه فكثرت طرق الحديث الواحد .

التى تدل على فضل الفرس والروم » انظر جولد زيهير ودائرة المعارف الإسلامية فى مادة حديث » ، فكان هـذا الخلط فى الأحاديث من أقوى الأسباب فى هجرة البخارى إلى الأمصار المختلفة لتنقية الأحاديث ونقدها وتمييز الجيد والزائف منها .

وفى الحق أن ثقات المحدثين بذلوا من الجهد فى التمحيص ما لا يوصف ، واجتهدوا فى وضع رواة الحديث من التابعين ومن بعدهم فى موازين دقيقة بقدر الإمكان مع شرح تاريخهم ، ووضعوا فى ذلك قواعد للجرح والتعديل .

أما القواعد فنوعان : نوع يستند فيه على الرواية وصحتها ، والرجال ومقدار الثقة فيهم ، وهذا سماه النقد الخارجى ، ونوع يعتمد فيه على الحديث نفسه ، هل معناه يصح أولا يصح ؟ وما هى أوجه الصحة وعدم الصحة ؟ إلى غير ذلك من سباب الدفاع والاتهام ، ويسمى هذا النوع بالنقد الداخلى .

ولقد جرت هذه القواعد المحدثين إلى تقسيم الحديث باعتبار ذلك إلى حديث صحيح وحسن وضعيف وإلى مرسل ومنقطع ، وإلى شاذ وغريب ، وغير ذلك .

وقـد اشتهر فى هذا الباب يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، وعبد الرحمن ابن مهدى المتوفى سنة ١٩٨ هـ ، ثم يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ هـ ، وأحمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ ، ومحمد بن سعد فى طبقاته سنة ٢٣٠ هـ . وبالرجوع إلى كتاب الجامع الصحيح نرى أن البخارى كان مع قدرته الفائقة فى الحـديث فقيها ، فيعده السبكى شافعيا فى كتابه طبقات الشافعية ، والظاهر أن البخارى كان مجتهدا مستقلا وله استنباطات تفرد بها وآراء توافق أحيانا مذهب أبى حنيفـة ، وأحيانا مذهب الشافعى ، وأحيانا تخالفهما ، وأحيانا يختار مذهب ابن عباس ، وأحيانا مذهب مجاهد وعطاء .

(يتبـع)

عباس طه
المحـامى

من مقومات الشخصية الاسلامية :

الايجابية الفعـــــــالة

من أكبر ما يهـدد الأمم والأفراد السلبية القاتلة ، والآلية الرتيبة ـ إذ يغدو الفرد وقد هبط من الآفاق الإنسانية العليا إلى صورة من المعيشة الغريزية والأعمال التلقائية ... يعيش ليأكل ، ويتزوج لينجب ! !

والنتيجة الحتمية لهـذه السلبية هى إصابة الطاقة البشرية بالشلل .... الشلل العقلى الذى ينجم عن تضييق الأفق والارتباط بدائرة محدودة من الاهتمامات ، والشلل النفسى إذ تقعد العزائم الإنسانية محصورة مقصورة على أنمـاط من الحياة لاتزيد كثيرا عما يحدث فى عالم الحيوان ـ بل والجماد أيضا .

ذلك أن العقل سما بالإنسان عن أن يكون قانون علاقته بالكون والأحياء مثل قانون الجسم الصلب الذى يتمـدد بالحرارة ، ودوره فقط أن (يتمـدد) إذا صادف الحرارة ! ! كذلك سمـا العقل بالإنسان عن أن يكون مثل النبات المشدود إلى الأرض ، والحيوان المرتبط بالغريزة ....

ولن يشغل الإنسان مكانه تحت الشمس إن كان تكرارا لخلق الله فى عالم المـادة والنبات والحيوان ، وإن لم يكن نمطا جديدا فريدا فى الحياة والأحياء ! !

ويخطئ الإنسان إذا ظن أن اختيار هذا اللون من الحياة السلبية الآلية ، سيكفل له الهدوء والهناء ، إن انفعالاته الإنسانية وإدراكاته العقلية ستظل تضغط عليه ، فتعذبه على الرغم منه ....

وسينفق طاقته العقلية والنفسية ـ وهى لابد أن تعمل مثلما تعمل معدته ورئتاه ـ فى جحره الذى يعيش فيـه ، وسيدفع ضريبة الإنسانية التى تنـازل عنها ورضى بالدون منها ! ! !

سيتعذب هذا الإنسان فى دائرته الصغرى ـ دائرة نفسه وأولاده ، وجيرانه وشركائه ـ

وسيضغط عليه عقله كى يستعمله فى اتقاء الشر واجتلاب الخير، وستدفعه أعصابه إلى التفاعل مع الناس القلائل بحكم الضرورة ، وستتجسم مشكلاته الصغيرة ، وستتضخم متاعبه القليلة ، وسيضحى من راحته ومتعته ما يضحى الإنسان الذى عرف مكانه ومكانته وربما أكثر منه ، وهو يدرى أو لا يدرى ! ! !

إن تهرب الإنسان من أعباء الإنسانية لن يهيئ له انخلاعا من تكوينه العقلى والنفسى ، ومن هنا يشقى شقاء مضاعفا حين لا يستعمل أدواته وملكاته استعمالها الصحيح . . . .

اللهم إلا إن تصورنا إنسانا يبلغ من النجاح فى تجاهل ذاته ، والتعود على أسلوب الجماد والحيوان ، أن يفقد خصائص الإنسان ! !

وسلبية الإنسان تفقده كل شىء . . . . حتى الأهداف الصغيرة التى يرتبط بها بحكم نوازعه البيولوجية أو السيكولوجية . . . . تفقده نفسه وأسرته وهما من أول ما يتجه إليه إنسان أو حيوان . . . . إذ يصاب مثل هذا المخلوق باضطراب وتخليط فتلتبس عليه المعالم ، وتضيع الأهداف ــ مهما كانت صغيرة ــ وترتبك الخطوات وتتخبط التصرفات . . . . فإذا به لا يمسك نفسه ولا يحمى أسرته ، ويفقد كل شىء منذ فقد أن يكون شيئا ! !

والسلبى قد تهبط عليه الثروة وقد يصيبه الجاه ! ولكنه لا يستفيد من ثروة أو جاه . . . ويراه الناس فيقولون : يا ليت لنا مثل ما أوتى ، إنه لذو حظ عظيم . . . . ولو تبينوا لعلموا أن الذى لا يشعر بذاته لا يشعر بماله ومنزلته . . . وأن الذى قرر أن يعيش على هامش الحياة سيعيش على هامش المال والجاه . . . .

وقد يرى (العاقل !) أن يعيش سلبيا كى يكسب المال أو يصل إلى الجاه . . . . فسرعان ما يزداد بالمال والجاه هبوطا فى نظر الناس ، إذ فقد الهدف الذى به تحدد قيمة الوسائل . . . . وما تجدى طائرة بمحرك ذرى تسابق سرعة الصوت أو الضوء شخصا لا يريد أن ينتقل من حجرة نومه ؟ ؟ ؟

* * *

والإسلام حريص على أن يفوز أفراده وجماعاته بالحياة . . . . إنهم دفعة للانسانية فكيف يدفعون إذا فقدوا أولى الخصائص والمقومات ؟ ؟

إن عقيدة الإسلام الأساسية عقيدة إيجابية ، تدعم الشخصية الإسلامية من أول الطريق .

« لا إله إلا الله » ....

قد يكون من الممكن أن يقول المؤمن : الله موجود .... هذا القول يسمح بجواره لآلهة أخرى تخلقها الأهواء ...

ومن هنا كانت هـذه الصيغة التى تنفى كل ألوهية عن غير الله .... إنها صرخة إيجابية تتحدى الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى .... إنها صيحة لتقرير الوضع الصحيح الصريح الذى لا يحتمل معه أى قيل وقال ....

ولربما كان العرب يتركون محمدا لو دعا لإلهه وترك ثلاثمائة وستين إلها آخر يعيشون حول الكعبة .... لكنه ألغى اعتبار هـذه الأصنام ، وما زال يكافحها حتى هدمها هدا يوم الفتح وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

« محمد رسول الله » ....

يؤمن المؤمن برسل الله أجمعين ، لا يفرق بين أحد منهم .... لكنه لا يعلن فى شعار عقيدته ما قد يجمعه بالناس من أتباع عيسى وموسى ، إنه يعلن ما يميزه عن الجميع وما يفترق بينه وبين غيره ... إنها خطة إيجابية فى الحياة ! !

والقـرآن ...

كتاب واضح صريح ... يعلن رأيه فى الديانات وأتبـاع الديانات ، ويدعو للجهر بهذا الرأى فينتشر مكتوبا أو مقروءا .... لا يتوارى ولا يدارى ! !

* * *

ثم يطلب الإسلام من أبنـائه أن يبلغوا دعوته .... ويقيموا دولته .

وما دام هذا الدين (دين دعوة) فهو إيجابى ... وسيصل إلى نقطة حتمية لا مناص منها ترتفع فيها الأهواء بالسيوف فى وجه هذه الإيجابية الدافعة .... وهنا يكون من المنطق ومن مسايرة الدفعة الإيجابية أن يحمل الدين السيف ليدافع عن نفسه .... ويكون من المنطق ومن الإيجابية كذلك ألا يترك الميـدان خلاء إذا صرع الأعداء فيقيم دولة الإسلام لتحمى الـكسب الذى أحرزه العقل الإنسانى والعزم الإنسانى طوال طريق الكفاح .

والدولة الإسلامية : حين تقوم تواصل كفاحها الإيجابى فى الداخل وفى الخارج ، فليس سلطانها نهاية تتقلص جهودها على حمايته ، فتحصره وتحصر نفسها ، بل هى تواصل

الجهود والجهاد فى إيجابيتها العالمية : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

* * *

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من قواعد الإسلام الإيجابية .

إن الناس حين يسمعون : ينبغى أن نكون كذا أو نعمل كذا ، قد يسكتون ... لكنهم حين يسمعون الحرب تشن على باطلهم ، يحسون الغضاضة ويبدأون النكير !!

والإسلام يقرن الأمر بالمعروف بالنهى عن المنكر ، ويجمع بين البناء والهدم ، حتى لا تفرخ الشرور من جراء تمييع الدعاة إلى الخير ، وحتى لا يضيع الحق بين (المعروف) الذى يدعى إليه باللسان ، وبين (المنكر) القائم فى الناس بالعمل ولا تمسه يد إنسان !!

لقد دعا الإسلام الفرد والمجتمع والدولة إلى إنكار المنكر بكل وسيلة مستطاعة مشروعة ، ودعوة الإسلام صريحة فى النهى عن الشرور وزجر أصحابها ، وهى لا تقنع بكلمات منمقة عن الخير تطير فى الهواء (تمصمص) لها الشفاه ...

إن كثيرا من أصحاب اللباقة يحسبون الخير فى الابتعاد عما يغضب الناس على الدوام ، وفى تملقهم بما يحبون ، أو بما يسكتون عنه ويتحملونه على الأقل .

وقديما كان الملك المخلوع إذا دخل مسجدا قفز القارئ إلى آيات النعيم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » ... !!!

* * *

ودولة الإسلام لا تقف سلبية إزاء العالم ... إنها تتبادل المنافع والثقافات مع الغير ، وتطلب العلم والخير من كل طريق .

وهى لا تترك المظالم الدولية تستشرى ، فتهدد القيم التى تدعو إليها وقد تهدد هى نفسها من بعد حين ، تترك الباغى يرتفع والمظلوم يتلوّى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

* * *

وتستطيع أن تتلمس جذور النزعة الإيجابية فى تكوين الشخصية الإسلامية حين تتعرف على مدى إيمان هذا الدين بكرامة الإنسان ... « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

« فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »

وإن مما تميز به الانسان وحقق له كرامته أمانة الله التى أودعها إياه ... العقل. وبقدر مانحرص على الإفادة من عقولنا ، وترقية مداركنا ، بقدر مانعبد الله باستعمال نعمه .

علينا أن نفكر... وعلينا أن نتعلم لنرقى بجهاز تفكيرنا ... وعلينا أن نعمل بما يستقر عليه فكرنا لتربو قدرتنا على التفكير وترشد مسالكنا فى العمل .

والإسلام قد رفع العقل الانسانى إلى الذروة ، يوم اعتمد عليه فى كشف سر الوجود والتعرف إلى رب الكون والناس والتفهم لحقائق الدين .

لقد عرض الله الإيمان به جل جلاله على منطق العقل الإنسانى ... وأنزل كتابه يعلم الناس مرة ومرة ومرة ... ويعرض حجة وحجة وحجة ... ويورد اعتراضات المعترضين ليرد ويفند ! !

لقد أكرم الله العقل الإنسانى ... وعلى هذا التكريم يقوم الأساس الإيجابى فى تكوين الشخصية الإسلامية .

ومن هنا قام العربى المسلم يناقش الرسول المعصوم : أهو منزل أنزلكه الله ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ ... فلما أجابه بأنه اجتهاد ورأى : قال له ـ وإن كان هو رسول الله ـ ليس هذا بمنزل ! !

إن من لا يحترم العقل الإنسانى لن يحترم الإنسان نفسه ... وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خاطب عقولنا ، فانظر إلى شناعة الجريمة التى يرتكبها مخلوق يريد أن يفرض على الناس قولا بغير حجة ، ورأيا بغير دليل ، وانظر إلى شناعة الجريمة التى يرتكبها من يعطل (أمانة الله) فى الإنسان ، ونعمته التى ميز بها بنى آدم عن الحيوان ، والجوهرة التى حظيت بالتكليف والخطاب ، بعد منة الله بالخلق والإبراء ...

ما أصدق الأستاذ عز الدين اسماعيل حين كتب فى هذه المجلة منذ سنوات ، يعلل الأزمة الثقافية عندنا بأنها أولا وقبل كل شىء « أزمة أخلاقية » .

فتحى عثمان

من أعلام النهضة الفكرية :

الشيخ حسين المرصفى

هذا علم من الأعلام ، طوت الأحداث ذكراه فى مطاوى النسيان ، فقليلون هم الذين يذكرون شيئا من خيره ومن أثره [١] ، على أنه كان دعامة من دعامات النهضة الأدبية والفكرية فى مصر ، بل كان الرائد الأول لهذه النهضة التى عمت آفاق الشرق العربى .

والشيخ حسين المرصفى من بلدة « مرصفا » فى مديرية القليوبية ، وهى بلدة أنجبت عددا لا يحصى من علماء الشريعة وأعلام الأدب ، وما نحسب أن فى مصر بلدة تطاولها فيما أنجبت من فحول العلم والأدب ، نذكر منهم الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى أول أستاذ للشريعة فى دار العلوم ، والشيخ زين المرصفى الذى كان أستاذا للأمير حسين كامل الذى أصبح سلطان مصر ، والشيخ سيد بن على المرصفى أستاذ الجيل فى الأدب العربى ، والشيخ محمد حسن نائل المرصفى صاحب المؤلفات الأدبية والذى أخرج مجلة الجديد منذ عشرين عاما فكانت فتحا جديدا فى الصحافة المصرية ، والشيخ حسين المرصفى الذى نسوق الحديث عنه اليوم .

وكان والد الشيخ حسين الشيخ أحمد المرصفى عالما كذلك من علماء الأزهر النابغين ، يتمتع بمكانة مرموقة فى عصره ، وتميز شخصيته بطابع ملحوظ من العزة والهيبة .

وما كان طالب يستطيع أن يرفع صوته فى درسه ولو بالسعال كما يقول على باشا مبارك فى ترجمته ، ودرج ولده حسين فى طريقه ، فطلب العلم فى الأزهر حيث كان والده يشتغل بالتدريس فيه ولكن شأن الابن كان عجبا من العجب ، فقد كان ضريرا ، يؤثر العزلة عن الناس ، ولعل محنته كان لها أثر فى ذلك ، وكان يتميز بحافظة قوية نادرة ، حتى كان كما يقول على مبارك باشا لا يسمع شيئا إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج وحدة الذهن

[١] المجلة — لقد ألف الأستاذ محمد عبد الجواد من رجال دار العلوم كتابا جيداً عن المرصفا وحياة حسين المرصفى .

وقد استغل هذه المواهب فى الدرس والتحصيل، فبرزت شخصيته، وظهرت براعته، فلما تخرج فى الأزهر جلس للتدريس فيه، واستوى بين نظرائه شيخا له مكانته وطريقته، وأبرز ما كان نبوغه وظهوره فى علوم العربية وآدابها ..

ويظهر أن مجال الثقافة الأزهرية فى ذلك الوقت كان أضيق من أن يكون مرادا لهمة الشيخ حسين ومواهبه الممتازة، فأقبل على تعلم الفرنسية حتى حذقها، كما تعلم القراءة والكتابة على طريقة العميان المعروفة، وبهذا فتح بنفسه لنفسه آفاقا جديدة من الثقافة التى كان لابد منها لتكوين شخصية علمية كامنة. فلا عجب أن أصبح من أجلاء العلماء وأفاضلهم، وصاحب اليد الطولى فى كل فن كما وصفه على مبارك معاصره ومؤرخه، ولا عجب أن انتدبه القائمون بالأمر يومذاك - وهو الشيخ الضرير - ليسهم فى بناء النهضة الثقافية والفكرية التى كان الخديو إسماعيل يعمل على تثبيت دعائمها وتشييد بنيانها، فاختير مدرسا فى مدرسة العميان، ثم اختير أستاذا للأدب العربى فى دار العلوم يوم كانت مدرجا عاما لإلقاء المحاضرات الثقافية العامة، وفى هذا المجال برزت شخصية الشيخ حسين حقا وتجلت مواهبه وعبقريته، وكان عمله الخالد الذى أقامه دعامة من دعامات النهضة الأدبية الماثلة .

ففى دار العلوم أخذ الشيخ حسين يلقى محاضراته فى الأدب، وقد رسم لنفسه وللطلاب فى ذلك منهجا جديدا أو على التحديد منهجا لم يكن لأبناء ذلك الزمن عهد به، وذلك أنه اعتبر علوم العربية من النحو والمعانى والبيان والبديع والعروض والقوافى والإنشاء والكتابة وسيلة إلى الأدب وفهم نصوصه والتبريز فيه، وكانت كل هذه العلوم تعتبر غاية فى نفسها، ولذلك عنى بالإفاضة فى شرح هذه الوسيلة، وكان أبرز ما فى هذا المنهج إيراد النصوص الأدبية للاستشهاد، والاستطراد فى شرحها وتحليلها، وهنا كانت كل عبقرية الرجل، وكان ذوقه وفنه وتجديده .

وقد جمع هذه المحاضرات فى كتاب ضخم طبع باسم « الوسيلة الأدبية » . هذا المنهج الجديد أضفى عليه الشيخ جديدا آخر، ذلك أنه كان صديقا للشاعر الكبير محمود سامى البارودى باشا، والمنشئ البليغ عبدالله فكرى باشا، وكان شعر البارودى بعثا جديدا للشعر العربى فى أروع صورة، كما كان نثر عبد الله فكرى لونا من النثر فى أبرع نسجه، فكان يستشهد بآثارهما، ويفيض فى شرحها وتحليلها، ويظهر للمحتذين كيف يكون فن القول إبداعا واختراعا وانطلاقا على السجية فى الأداء والتعبير، وكانت هذه جرأة من الشيخ ،

إذ لم يجعل المعاصرة حائلا دون الحكم والتقدير ، فى عصر كان الناس فيه يقدسون القديم تقديسا ، ولا يرون خيرا فى أثر معاصر ، ومن ثم كان تأثير كتاب الوسيلة الأدبية فى الجيل الذى أتى من بعده كأقوى ما يكون التأثير .

قال السيد مصطفى صادق الرافعى فيما كتبه عن شوقى : « إن الكتاب الأول الذى راض خيال شوقى وصقل طبعه وصحح نشأته الأدبية هو بعينه الكتاب الذى كانت منه بصيرة حافظ ، أى كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفى ، وليس السر فى هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة ، فهذا كله كان فى مصر قديما ، ولم يغن شيئا ، ولم يخرج لها شاعرا كشوقى ، ولكن السر ما فى الكتاب من شعر البارودى لأنه معاصر ، والمعاصرة اقتداء ومتابعة على صواب — إن كان الصواب — وعلى خطأ إن كان الخطأ ، فكل ما فى الكتاب أنه ينقل روح المعاصرة إلى روح الأديب الناشئ ، فتبعثه هذه الروح على التمييز وصحة الاقتداء ، فاذا هو على ميزة وبصيرة ، وإذا هو على الطريق التى تنتهى به إلى ما فى قوة نفسه ما دام فيه ذكاء وطبع ، وبهذا ابتدأ شوقى وحافظ من موضع واحد ، وانتهى كلاهما إلى طريقة غير طريقة الآخر ، والطريقتان معا غير طريقة البارودى » .

والحق أن شوقى لم يتتلمذ على كتاب « الوسيلة الأدبية » فحسب ، بل كذلك تتلمذ على مؤلفه شخصيا ، حدث شوقى عن نشأته الأدبية فقال : « وفقت لنظم الشعر وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى ، وكان أستاذى يومئذ المغفور له الشيخ حسين المرصفى ، وعليه قرأت الكشكول ، وديوان البهاء زهير ، حتى إذا بلغت فى مطالعة الكشكول إلى قول الشاعر :

ونحورن عنه القميص نخاله ... بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا حمى الوطيس رأيته ... عند اللواء على الخميس زعيما

استخف الطرب الشيخ ، وطلب إلىّ أن أشطر البيتين فقلت :

ونحورن عنه القميص نخاله ... ملكا تنم به السماء كريما
يحمى الحمى عف اللواحظ والخطا ... بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا حمى الوطيس رأيته ... نارا على نار الوغى وجحيما
وإذا القبائل أطبقت ألفيته ... عند اللواء على الخميس زعيما

فاستحسن البيت الأول والثانى ، وأرشدنى إلى مواضع التكلف من الثالث والرابع ،

ثم اقترح أن أجرب لسانى فى الحكمة فعملت هذين البيتين وهما أول عهدى بانشاء الشعر:

قصارى العيش أن يذ هب إن حلوا وإن مرا
فان شئت فمت عبدا وإن شئت فمت حرا

فأعجب الشيخ بهما كثيرا ، وبشرني بمستقبل في الحكمة غزير . وهذا الذى ذكره شوقى ينبئ بما كان يتمتع به الشيخ من طبع مرهف ، وذوق دقيق ، فى فهم الشعر وتمييزه لما يدل على ما كان له من يد وجهد فى خلق ذلك الجيل العظيم الذى حمل لواء النهضة الأدبية فى مصر والشرق العربى .

على أن أثر الشيخ حسين المرصفى فى الحركة الثقافية لم يقف عند هذا المنهج الجديد الذى نهجه فى دراسة الأدب وبعث الآثار الأدبية الرائعة ، ولم يقتصر على تلك المحاضرات التى كان يلقيها على تلامذته فى دار العلوم ، والدروس التى كان يؤديها لمن يقصدون الاغتراف من معينه ، فاننا نجد له إلى جانب ذلك أثرا آخر يدل على وجهة جديدة فى التفكير وعقلية واسعة الآفاق فى فهم الحياة ومقوماتها ، ويتجلى هذا فى كتابه « الكلم الثمان » ، وهو كتاب ضمنه الشيخ ثمانى مقالات ، أو كما يقول : ثمانى كلمات ، هى كلمات « الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحريه والتربية » وقد شرح هذه الكلمات شرحا وافيا مخاطبا به شبان ذلك الزمان الذين كانوا يلهجون بها ويؤدونها دون أن يقفوا على حدود معانيها ، وأن اقتحام هذه الناحية بالحديث والكتابة لأمر عجيب من شيخ أزهرى فى ذلك الزمن ، ويبدو أن هذا كان من آثار الثقافة الفرنسية للشيخ حسين ، ومخالطته للأساتذة الأجانب الذين كانوا يزاملونه فى التدريس بدار العلوم ، وإن كانت مادته كلها فى سياق الكلام والاستشهاد لما يقول عربية إسلامية ، ولقد مضى ما مضى من الزمن ، وما زال هذا الكتاب بموضوعاته وبمادته جديدا طريفا ، فمن الجدير بالشبان أن يطالعوه وأن ينتفعوا به .

رحم الله ذلك الشيخ العظيم ، وأسدى إليه من الثواب بقدر ما أسدى من الجهد فى خدمة الثقافة العربية والحياة الفكرية .

محمد فهمى عبد اللطيف

تعليقات

(أ) عبرة شاخصة
(ب) توجيه لمن يعى

(أ) آخر ما مر بنا من الأحداث الكونية تلك الهزات الأرضية التى اضطربت لها الجبال والأبنية ، وذعرت لها الوحوش ، ووجفت منها الأفئدة ، وكثيرا ماترتجف الأرض وما عليها ، ويكون لذلك من المكاره والأضرار ما يكون فى بعض الأقطار ... وفى كل مرة تستشعر الأنفس الغافلة أن لله قدرة خارقة تتحكم فى هذه الدنيا ، وأن له رحمة بالأرض وساكنيها ، وتستلهم الخواطر من تلك الأحداث أن الله حينما يذكرنا بجبروته يتداركنا برحمته ، ويتلطف بنا فى قضائه ، ويتمثل للمؤمنين قوله سبحانه : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » .

ومع هذا التنبيه إلى ما فى أقدار الله من عبر لا نلبث أن ننسى ، ثم تذهب العبرة وكأن الأمر كان خبرا لا واقعا ... وتلك قضية زمنية تلازم الناس ولا يتحولون عنها وإن ذكرهم القرآن ، أو تكررت بهم النوازل ، وطالت عليهم القرون .

وكانت سنة الله فى الأمم أن يسوق إليهم العبر ، ويمهلهم أمدا طويلا حتى إذا تمادوا أخذهم بالعذاب من عنده على أى نحو يريده من أنواع الهلاك .

ولكن رحمته بالناس بعد الرسالة المحمدية أن يمهلهم ، ويفسح لهم ، وهو اللطيف الخبير .

وإذا كان لطف الله واقيا لنا من عذابه المعجل ، وكانت رحمته بنا حافظة لنا من مهالك أخرى كنا نتوقعها أو نحن مهددون بها : فمن حقه علينا أن نحسن اللجوء

إليه ، وأن نفى له بما عهد إلينا الوفاء به ، وأن نحبب إليه ، وفى ذلك الغناء لنا عن كل وسيلة نزعمها مجدية مع الغفلة عن جانبه ، وفى جانبه القوة التى لا تهن ، والحول الذى لا يطاول .

(ب) وها نحن - أهل مصر - فى ضوء العبر التى مرت بنا ، وفى استقبال ما ننتظر ، نذكر أننا نخطو فى فجاج واسعة من مناحى الحياة ، ودوافع الأمل تحدونا إلى مواصلة الخطى نحو مستقبل يتصل بماضينا ، وفى سبيلنا لمحات النجاح المنشود .

والظاهرة التى تتمثل فيها اليوم وجهتنا وتتضح فى ضوئها نوايانا ومساعينا هى إعداد وسائل الحياة النيابية على ما ترتجيه الأمة من مغايرة لحياة برلمانية سابقة كانت فى جملتها مغانم لأفراد ، وخسارة فادحة على المجموع ... ولم تعد فى مظهرها أن تكون خداعا سياسيا ، جارفا بالقيم الأخلاقية ، وهاجما فى غير تريث على التقاليد الإسلامية فى ظل دستور كان مزعوما فيه أن دين الدولة هو الإسلام .

والظاهرة البادية اليوم هى نشاط المتهيئين للنيابة والراغبين فى الإدلاء من طريقها إلى الهيئة التشريعية والهيمنة على القائمين بالحكم .

ومع أن هذه شواغل تزحم خواطر الكثيرين عن شئون أخرى ، فأنها لن تشغل أحدا عما يحاك لمصر من مؤامرات ، وما يهب عليها من لفحات الغيظ الكامن فى أوكار الاستعمار .

ومصر إزاء هذه الموجات الصاخبة ، وإزاء ما هنالك من خبيئات ماكرة ، تحتاج إلى كفايات وجهود ، وتقدير للأمانة فى النيابة ، وسمو بها عن المتاجرة ، والخيلاء باللقب ، والزهو بعضوية مجلس الأمة ، والإخلاص فى الانضواء تحت الراية بنفسية غير تلك النفسيات التى سلكت فى الحزبيات ، وتموجت فى هوامش السياسة أو فى عبابها تموجا يكفى للقذف بها عن حومة هذا المجلس الجديد .

غير أننا مع ما نلحظه من حرص الحكومة على صيانة الانتخابات من التأثيرات ، والإسفاف فى الدعاية ، نرى أشخاصا نفذوا إلى الصفوف الأولى من منافذ خفية ، بعد أن كانوا فى معترك الدعايات الحزبية أدوات فى يد الأحزاب ، وبعد أن كانوا أبواقا تستأجر للجهر بمناقب فلان ومساوئ فلان .

ونرى من هؤلاء الأشخاص من يستخدم كلمة الحياد فى تـكرار الإعلان عن نفسه ، ويستغلها فى خداع الناخبين واستدراجهم إلى الثقة فيه ، وتغطية نفسه بأغطية كثوب الرياء ليصرف الناس عن الدقـة فى الاختيار ... والنـاس يعلمون بفطرتهم أن الشخص المتهدم فى كيانه الأدبى مثلا ، والشخص المجاهر بالتحلل ، أو بالجرأة على آداب دينه ، لا يصلح بحال لأن يكون عضوا فى ذلك السور الحصين الذى يكفل للأمة حيـاة كاملة أو قريبة من الـكمال .

إن شخصا أو أشخاصا عرفوا بالانزلاق فيما يقولون ، أو فيما يوجهون به الناس دون احتشام، لا يصلحون لحمل الأمانة، ولا يطاع لهم قول فيما يزعمونه لأنفسهم أو على غيرهم، والناخب لواحد ممن عرفوا بشىء من ذلك يكون هو نفسه مسيئا إلى نفسه وإلى وطنه، وفى اعتقادنا أن الشعب الواعى سيواجه تمحيص المرشحين من الشخصيات المخدوشة فى ماضيهم أو حاضرهم ، ومن الشخصيات التى جاهـرت بفتنة الناس يوما ما عن دينهم أو عن خلقهم واحتشامهم ، ولو كان أولئك المخدوشون ممن يخفى حالهم على أناس من الناس أو كانوا متشحين بوشاح براق .

ويجب أن تكون العين التى ينظر بهـا الناخبون فى صفحات المرشحين بصـيرة فى حذر ، وألا يتغاضوا عن سوأة لأحد ولو كانت فى نظرهم هنة من الهنات .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

نحن جزء منها ، وهى جزء منا

لـما انتفضت أوربا الصليبية انتفاضة البغضاء على العرب فى القرن الخامس الهجرى وما بعده ، زحفت جموع الصليبيين فى وقت معا على غرناطة فى الأندلس ، وعلى بيت المقدس فى فلسطين ، وعلى انطاكية فى الشام ، وعلى دمياط فى مصر ، وعلى قرطاجة فى تونس ، لأنها جميعاً فى اعتبار الصليبية بلاد عربية .

بلى ، قد صدقوا ، إنهـا جميعا بلادنا ، نحن جزء منها وهى جزء منا ، فليغضب اليوم من يغضب من ساستهم وكبرائهم حين نقولها ، فقد قالوها قبل أن نقولها ...

جمـال عبد الناصر



فى ظلال الكعبة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى – ٦٣ صفحة – مطبعة السنة المحمدية

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر ، شخصية لامعة فى المجتمع الإسلامى ، وهو معروف لقراء هذه المجلة ببحوثه الفقهية ، ونفحاته القرآنية ، وتعليقاته الحكيمة ، وقد أراد أن يتقرب إلى الله بعمل صالح فى هذه الأيام ، فأصدر رسالة بعنوان : « فى ظلال الكعبة » يقول فى تقديمها : « هذه صفحات من القصص الحق ، أوجزت فيها القول عن بيت الله الحرام – الكعبة – الذى شعت منه إشراقة الهدى فانجابت دياجير الضلالة ، ووضحت فى ضوئه معالم الوطن الأول للاسلام ... » .

ونكتفى بذكر الموضوعات التى تناولها فى بحثه : « البيت الحرام فى كتاب الله – حادث الفيل – كسوة الكعبة – الجانب التشريعى للكعبة – الصفا والمروة – عرفات – منى – بئر زمزم » .

وبهذا استوعب فضيلته جميع ما يهم المسلم معرفته : عن تاريخ الكعبة وما حولها ، وأسرار مناسك الحج ، فى أسلوب ممتاز ، وروحانية صافية ، مما لا يستغنى عنه مسلم .

وقد اختار فضيلته إصدار هذه الرسالة فى موسم الحج لتكون هدية منه إلى حجاج بيت الله الحرام .

تفسير الطبرى

الجزء التاسع – ٦٤٠ ص – دار المعارف بمصر

صدر أخيرا الجزء التاسع من كتاب جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام الكبير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى وفيه تفسير سورة النساء من الآية ٨٨ إلى نهايتها بالآية ١٧٦ ، والآيات الخمس الأولى من تفسير سورة المائدة . وقد تضمن تفسير هذه الآيات من السورتين استشهادات بنحو ألف ومائتين وخمسين حديثا وأثرا .

وإذا كان علم الإمام المجتهد محمد بن جرير قد يسر للمسلمين استعراض أهم ما يحتاجون إليه من نصوص البطون الثلاثة الأولى من صدر الإســلام فى كل ما يتعلق بالآيات التى تصدى لتفسيرها ، فان علمه ـ فى هذه الطبعة ـ قد ماشى علم الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق تلك النصوص من أحاديث وآثار ونقد سندها والتعريف برواتها ، مما لا يجده الباحث مجتمعا فى غير هذا التفسير . أضف إلى ذلك علم أخيه الأستاذ محمود شاكر بعلوم العربية ومذاهب الأدب ودخائل التاريخ الإسلامى .

إن هذه الطبعة من تفسير ابن جرير تحفة من تحف المكتبة العربية والتراث الإسلامى ، وكل جزء من أجزائه مدرسة يحتاج إليها كل دارس لعلوم الإسلام وشرائعه .

الله والعلم الحديث

للأستاذ عبد الرزاق نوفل ـ ٢٥٨ ص ـ مكتبة مصر بالقاهرة

الدين الحق يهدى إلى الحق ، والعلم الصحيح ينشد هذا الحق ويدل عليه ، فكأنهما المعنيان بقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم « مرج البحرين يلتقيان » ولذلك كان من رسالة القرآن توجيه العقل الإسلامى إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض .

إن الإسلام يرحب بكل حقيقة قطعية الثبوت لا تقوى أحداث المستقبل على نقضها أو تغيير حكم العقل عليها ، وإنما يرحب بكل حقيقة لأنه « دين الحق » وهذا هو اسم الإسلام كما سماه القرآن .

ولقد حاول كثير من المؤلفين أن يسجلوا نواحى الالتقاء بين نصوص الإسلام وحقائق الكون ، ومنهم الدكتور عبد العزيز اسماعيل باشا فى كتابه « الإسلام والطب الحديث » والغازى أحمد مختار باشا فى كتاب له عن تفسير آيات من القرآن بحقائق حديثة عن علم الفلك ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى سلسلة أحاديث كان ألقاها فى دار الشبان المسلمين بالقاهرة ، والأستاذ محمد محمود ابراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة فى كتابه « إعجـاز القرآن فى علم طبقات الأرض » ، وبين أيدينا الآن أحدث كتاب فى مثل هذه المعانى وهو كتاب « الله والعلم الحديث » للأستاذ عبد الرزاق نوفل الذى سبق لنـا الإشارة إلى صدوره فى جزء ربيع الأول من هـذه السنة (ص ٢٧١)

وقد صدره السيد الأستاذ ابراهيم الطحاوى بكلمة قيمة قال فيهـا : « نحن بنى الانسان فى أيامنا هذه وقد سادت دنيانا ضلالة الهوى وسيطرة الظالمين ، فى حاجة إلى أن نتعرف

إلى الله ثانية لـكى نجو من العذاب الأليم ، وإن كتاب اليوم (الله والعـلم الحديث) لمفتاح طيب من مفاتيح الطريق ، نحن المسلمين ـ بل نحن بنى الإنسان ـ فى حاجة إليـه لنعرف ونحس ونهتدى » .

وقد أبى المؤلف أن يضع لفصول كتابه فهرسا لئلا يكتفى متصفحها بالرجوع إلى بعض فصوله دون سائرها ، ونحن نجاريه فى الإمساك عن بيـان ما احتواه الـكتاب من نفائس ، لنغرى القارئ بقراءة الـكتاب متسلسلا من أوله إلى آخره لأن شيئا منه لا يغنى عن شيء آخر فيه ، فكله نفيس نافع إن شاء الله .

مصر فى القرن الثامن عشر

للأستاذ محمود الشرقاوى ـ الجزء الأول ١٩١ ص ـ مكتبة الإنجلو المصرية

لمـا أهدى الينا الأستاذ المحقق محمود الشرقاوى الجزء الثانى ثم الجزء الثالث من كتابه « مصر فى القرن الثامن عشر » ونوهنا بهما فى ص ٩٢١ من السنة المـاضية و ص ١١١ من هذه السنة ، كان الجزء الأول من الـكتاب قد نفدت نسخ طبعته الأولى . والآن صدرت طبعته الثانية فأهداه الينا ، وهو مصدر بفصل عن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى وأسرته وكتابه عجائب الآثار ومخطوطاته وطبعاته وترجمته الفرنسية . يليه فصل عن الحياة الفـكرية فى عصر الجبرتى وأعلام معاصريه وحياة المجتمع فى زمانه ، يلى ذلك استعراض للأثر الاجتماعى الذى تركته الحملة الفرنسية فى مصر وحياتها وحالة المرأة والتنظيم الإدارى والتكافل الاجتماعى والعاطفة الوطنيـة ومركز الأجانب إلى غير ذلك ممـا انطوت عليه حوليات هذا المؤرخ المصرى الأمين الذى كان تاريخه الحلقة الأخيرة فى سلسلة تاريخ مصر فكانت تالية لتاريخ ابن إياس وتاريخ ابن الفرات قبله . وإن الدراسات التى قام بهـا الأستاذ الشرقاوى فى كتاب الجبرتى قد يسرت للقارئ صورة عن عصر الجبرتى هى أصدق صورة كانت تكون غامضة لولا تسجيل الجبرتى لملامحها ولمحاتها يوما فيوما .

رحمه الله ، وجزى صاحب الدراسات فى تاريخه ما هو أهل له من خير .

مواكب الارواح إلى عالم الافراح

للأستاذ الشيخ على رفاعى ـ ١٢٦ ص ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ على رفاعى المفتش العام للوعظ بالأزهر نشاط حميد فى التأليف ، إلى جانب مهمته الرسميـة فى الوعظ ، وقد سبق لنـا التعريف ببعض مؤلفاته . وكتابه هذا عن الروح ، والروح من أمر الله استأثر بعلم أوليتها لمـا دبت الحياة فى أهل الحيـاة

من مملكتي الحيوان والنبات ، فظل ذلك لغزا مجهولا من العلم إلا ما علمه الله لنا .
وقد استعرض المؤلف معارف المسلمين وغير المسلمين فى أمر الروح بفصول شيقة ولطيفة ، واستطرد إلى ما يتاجر به بعض الإفرنج ومقلدوهم وما توسعوا فيه من خرافات التنويم المغناطيسى وتحضير الأرواح مما كنا نتمنى لو تجرد منه الكتاب ، واقتصر على ما صح فى كتبنا مما استمده من كتاب ابن القيم وأمثاله ، على أن المؤلف أشار إلى أن هذا ليس من غرض كتابه ، وإنما قصد إقناع من يريد معرفة عجائب الروح وأنها شيء غير الجسم . شكر الله له .

فكرة الجنسية (أى القومية)

فى التشريع الإسلامى المقارن

للأستاذ أحمد طه السنوسى – ٧٢ ص – مكتبة وهبة بالقاهرة

هذه دراسة قانونية دقيقة ومركزة للعلاقة أو الرابطة القانونية والسياسية التى تربط بين الفرد من جهة والدولة من جهة أخرى ، والنظر اليها من الناحية الإسلامية ، أى من ناحية تعريف الشخص المتمتع بجنسية دار الإسلام . وبحوث الكتاب تنطوى فى ثلاثة فصول : الأول فى الدولة وتقسيم العالم بحسب نظرية اختلاف الدارين ، ونظرية انقطاع العصمة ، مع بيان تنازع القوانين وتعريف الموطن والجنسية . والفصل الثانى فى رابطة الجنسية فى التشريعات الحديثة وفى الشريعة الإسلامية والتعريف بماهية الجنسية الإسلامية ودور الدين فيها . والفصل الثالث فى تعريف «المسلمين» و «الذميين» ومعنى عقد الذمة أو الأمان المؤبد وتأصيل علاقة الذميين بدار الإسلام ، كل ذلك مقارنا بين الفقه الاسلامى والتشريع الغربى . وقد سبق للمؤلف تحقيق هذه الموضوعات فى مجلات متنوعة كمجلة المحاماة ومجلة الثقافة ، ولعل القراء يذكرون بحثه بعنوان « اختلاف الدارين فى التشريع الاسلامى » فى المجلد ٢٥ من هذه المجلة .

المخترعون

للأستاذ أحمد طه السنوسى – ١٢٨ ص – الحلقة ١٧٢ من سلسلة « اقرأ »

وأهدى الينا الأستاذ السنوسى كتيبا آخر له عن المخترعين هو حلقة من سلسلة « اقرأ » مؤلفا من ثمانية فصول : أولها من هم المخترعون ، والثانى فى درجات المخترعين ، والثالث عن المخترعين بين الإخفاق والنجاح ، وعنوان الرابع المخترعون والبحث العلمى ، والخامس الدولة والمخترعون ، والسادس المخترعون والنهضة الحديثة ، والسابع المخترعون والتقدم البشرى ، والثامن تقدير المخترعين . ومثل هذا الموضوع يرجى له الأثر الطيب فى جمهور المثقفين فى نهضتنا الصناعية المباركة .

الأدب والعلوم

بدائع الصنائع للكاسانى

رأت مشيخة الأزهر إعادة طبع كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع لمؤلفه الإمام علاء الدين أبى بكر ابن مسعود الكاسانى ، وأصدر مجلس الأزهر الأعلى قرار بتأليف لجنة من أصحاب الفضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد شيخ كلية اللغة العربية رئيسا ، والشيخ أحمد الشعراوى الأستاذ المساعد بالكلية ، والشيخ محمود العقدة المدرس بها ، والشيخ زكريا البرى المدرس وأمين الفتوى بالأزهر أعضاء . وتتولى اللجنة مراجعة النسخة المطبوعة القديمة على الأصول الخطية ومراجعة الآراء فى المذاهب الأربعة والإشارة إلى مواطنها والتعليق على النقول التى تخالف الراجح فى المذاهب وضبط الآيات والأحاديث والأعلام وتخريج الأحاديث ووضع فهارس منوعة على النظام الحديث حتى يتيسر لرجال التشريع الانتفاع به بأيسر طريق

كليات إقليمية

قال وزير التربية والتعليم فى زيارته الأخيرة للاسكندرية : إنه تقرر إنشاء ثمانى كليات فنية فى عواصم بعض المديريات فى بداية العام الدراسى المقبل ، والوزير يتطلع بايمان وثقة إلى اليوم الذى يصبح فيه بعاصمة كل إقليم مجموعة من المعاهد العليا الفنية تستوعب جميع أبناء الإقليم وتؤهلهم لنفع الإقليم وبالتالى لنفع الشعب جميعا .

بيع المدارس الأجنبية

لمؤسسة التربية القومية

وافقت وزارة المالية على ما طلبته وزارة التربية والتعليم من الترخيص بشراء المدارس والمعاهد الأجنبية الموضوعة تحت الحراسة لحساب مؤسسة التربية القومية التابعة لنقابة المعلمين . وستتخذ الإجراءات لتقدير قيمة هذه المدارس توطئة لتسليمها إلى المؤسسة بعد توقيع العقد الابتدائى .

والمنتظر أن يدفع ثمن هذه المدارس على أقساط طويلة الأجل ، وسيعين لادارتها أحد كبار رجال التعليم السابقين .

دراسة ألفاظ الحضارة

تشتغل لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة فى المجمع اللغوى بدراسة الألفاظ الخاصة بالعمارة وبعض فروع الفنون الجميلة .

وقد اقترح فضيلة الأستاذ العلامة السيد محمد الخضر حسين على المجمع دراسة أسماء العقاقير المستعملة فى الطب تيسيرا للأطباء والصيادلة فى الاستغناء عن أسمائها الأفرنجية وتعجيلا لتعريب التذاكر الطبية فى وصف العلاج للأمراض .

أنباء العالم الإسلامي

الرئيس السوري في مصر والحجاز

وصل إلى القاهرة يوم الخميس ٢٥ رمضان رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي ، واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ثلاث مرات استعرضا فيها الموقف بالشرق الأوسط وبخاصة في الأردن عقب التطورات الأخيرة .

ثم غادر القاهرة صباح اليوم التالي إلى الحجاز مع بعثة مصرية للاجتماع بالملك سعود الذي بعث إلى الرئيس جمال برسالة خاصة يطلب فيها إيفاد مبعوثين إلى المملكة السعودية لبحث الموقف في المنطقة . وقد اجتمع الملك سعود في مساء الجمعة بالرئيس السوري والوفدين السوري والمصري في قصر جلالته بجوار الكعبة المشرفة ، واستمر الاجتماع من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل حيث جرت مباحثات بشأن الأزمة التي نشبت في الأردن . وعاد الرئيس السوري والوفدان السوري والمصري في يوم الأحد إلى مصر ، وبعد الاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر عاد الرئيس السوري إلى دمشق وعقد مجلس الوزراء برئاسته . وأعرب رئيس مجلس الوزراء السوري على أثر انفضاض المجلس عن ارتياحه لنتيجة المحادثات التي جرت في القاهرة ومكة في جو من الإخاء والتعاون الحقيقيين لما فيه خير الدول العربية وبما فيه القضاء على الخطط الاستعمارية .

بيان سعودي أردني مشترك

طار الملك حسين بجأة إلى المملكة السعودية يوم الأحد ٢٨ رمضان وفي أثناء زيارته للملك سعود جرت بينهما محادثات حول الشئون العربية التي تهم العالم العربي ومن بينها الوضع الراهن في الأردن باعتبار أنه القطر العربي الواقع في الخطوط الأمامية للدفاع القومي العربي ، والذي يهم أمره البلاد العربية جميعا ، وعلى الأخص الدول الثلاث المتحالفة معه : مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية . وقد أذيع بيان مشترك من العاهلين أعلنا فيه أنهما خرجا من هذا الاجتماع على تفاهم صريح واضح بأن السياسة القومية العربية التي وضعت خطوطها في اجتماع القاهرة الأخير بتاريخ ٢٧ رجب الموافق ٢٧ فبراير بالاشتراك مع الرئيس شكري القوتلي والرئيس جمال عبد الناصر هي السياسة العربية القومية التي ارتبطا بها ارتباطا وثيقا وتعاهدا على الوفاء بمبادئها مهما كانت الظروف ...

فهرس

المجلد الثامن والعشرين

(لسنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م)

(ا)

(ب)

(ت — ث)

(ج - ح - خ)

(ص - ط)

(ع - غ)

(ن — هـ)

(و — ى)

الفهـرس